

من التحرير إلى الدولة
تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية
١٩٤٨ - ١٩٨٨

هليغى باومغرتن
ترجمة: محمد أبو زيد

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
رام الله - فلسطين
٢٠٠٦

**From Liberation to the State
History of National Palestinian Movement 1948 - 1988**

By Helga Baumgarten

Translated by: Mouhamad Abu Zaid

© Copyright: MUWATIN - The Palestinian
Institute for the Study of Democracy
P.O.Box: 1845 Ramallah, Palestine
2006

ISBN 9950-312-26-4

This book is published as part of an agreement
of cooperation with the Chris Michelsen Institute - Norway

جميع الحقوق محفوظة
مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية
ص.ب ١٨٤٥، رام الله، فلسطين
٢٠٠٦

تصميم الغلاف: سليمان منصور

يصدر هذا الكتاب ضمن اتفاقية تعاون مع مؤسسة كريس مكلسن - النرويج

تصميم وتنفيذ مؤسسة ناديا للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
رام الله - هاتف ٢٩٦٠٩١٩ - ٠٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وأفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس
بالضرورة موقف مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

إهداء

إلى مصطفى ودرويش

المحتويات

٩	تمهيد
١٧	تقديم: صادق جلال العظم
١٩	المقدمة
٢٧	المدخل النظري
٣٩	الفصل الأول: في أعقاب النكبة
٤٣	أولاً: هزيمة الحركة الوطنية الفلسطينية بقيادة الحاج أمين الحسيني
٥٣	ثانياً: تقسيم فلسطين
٦١	ثالثاً: المجتمع الفلسطيني والترحيل العام ١٩٤٨
٧٣	رابعاً: الفلسطينيون في الشتات وتسييس جيل جديد
٩٧	الفصل الثاني: حركة القوميين العرب
٩٩	أولاً: التأثيرات الأيديولوجية
١١٣	ثانياً: تأسيس حركة القوميين العرب
١١٩	ثالثاً: القضية الفلسطينية في الفترة ١٩٥٢-١٩٥٨
١٣٣	رابعاً: القوميون العرب وعبد الناصر (١٩٥٥-١٩٦٣)
١٥١	الفصل الثالث: حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"
١٥٣	أولاً: نشوء حركة "فتح"
١٥٨	ثانياً: التطور الأيديولوجي والتنظيمي حتى ١٩٦٣
١٦٨	ثالثاً: "فتح" والقوميون العرب العام ١٩٦٣: مراجعة أولية
	الفصل الرابع: الجدل السياسي - الأيديولوجي بين حركة
١٧٥	القوميين العرب و"فتح" حول تحرير فلسطين
١٧٩	أولاً: الكيان الفلسطيني
١٩٩	ثانياً: إستراتيجيات التحرير: من الحرب الخاطفة إلى عقيدة الكفاح المسلح

	الفصل الخامس: منظمة التحرير الفلسطينية تحشد طاقات
٢٤١	المجتمع الفلسطيني: من الشتات إلى المناطق المحتلة
٢٤٤	أولاً: المقاومة الفلسطينية في الشتات (١٩٦٨-١٩٧٤)، أسطورة
٢٧٠	الكفاح المسلح وتبلور إستراتيجية سياسية
	ثانياً: منظمة التحرير الفلسطينية والمناطق المحتلة
٢٩٧	الفصل السادس: الانتفاضة، التمرد الفلسطيني على الاحتلال الإسرائيلي
٢٩٩	أولاً: الجذور التاريخية
٣٢١	ثانياً: اشتعال الانتفاضة
٣٣٠	ثالثاً: إعلان الدولة
٣٤١	الخاتمة
٣٥٥	ملحق الوثائق
٣٩٥	المصادر والمراجع

"لا يكفي أن نقدم الموجود، من الضروري أن نفكر في المرجو
والممكن".

(مكسيم جوركي)

"كم مرة يعرض شيء ما ذاته بأن يكون ممكناً، أو حتى أن يكون على
غير ما كان عليه حتى الآن. ومن هنا كان العمل عليه ممكناً. ولكن هذا
في حد ذاته ليس ممكناً دون توفر الإمكانية فيه أو قبله".

(ارنست بلوخ)

"شعب حر على أرض حرة، هكذا بشكل شامل، إنه الرمز الأخير
لتحقيق المحقق، أي تحقيق المحتوى النهائي الأكثر راديكالية في الممكن
الموضوعي-الواقعي بشكل عام".

(ارنست بلوخ)

تمهيد

شكّل إعلان وثيقة الاستقلال الفلسطينية التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٨، ذروة التحليل المقدم في هذا الكتاب في نسخته الأصلية الألمانية، المنشورة في خريف العام ١٩٩١. ونقطة البداية في الكتاب هي إعلان آخر للاستقلال، الذي أقره البرلمان الفلسطيني في غزة العام ١٩٤٨ الذي شكل حكومة عموم فلسطين.

وقد فشلت محاولتا الحركة الوطنية الفلسطينية في تحقيق لاستقلال، الأولى في العام ١٩٤٨، التي قادها الحاج أمين الحسيني، رئيس الحركة الوطنية الفلسطينية قبل العام ١٩٤٨، والأخرى بعد أربعين عاما التي قادها ياسر عرفات، رئيس الحركة الوطنية الفلسطينية فيما بعد العام ١٩٤٨.

وشكّل فشل السعي الفلسطيني نحو الاستقلال في العام ١٩٤٨ جزءاً من النكبة التي كانت من نتائجها إقامة دولة إسرائيل على أنقاض فلسطين، ورافق ذلك تهجير وتشريد معظم السكان الفلسطينيين (ثلاثة أرباع مليون تقريباً) من المناطق التي أقيمت عليها الدولة اليهودية الجديدة.

المحاولة الثانية لإقامة دولة فلسطينية العام ١٩٨٨، على جزء صغير من فلسطين التاريخية، أي المناطق التي احتلتها إسرائيل في حرب العام ١٩٦٧، رُفضت بغطرسة من قبل إسرائيل، التي أضحت قوة إقليمية في الشرق الأوسط.

وفقط في العام ١٩٩٣، مع توقيع القيادتين السياسيتين الإسرائيلية والفلسطينية إعلان المبادئ في أوسلو وواشنطن على التوالي، أصبح خيار إقامة دولة فلسطينية خياراً واقعياً.

ومع ذلك، وبعد خمس سنوات من الألفية الجديدة ولغاية الآن، لم يتم تأسيس دولة فلسطينية، ولم يتم تحرير الشعب الفلسطيني، بل على العكس من ذلك، فإن الدولة الفلسطينية وحرية الفلسطينيين من الاحتلال تبدو أكثر بعداً وأقل احتمالاً من أي وقت مضى، نظراً للأحداث التي شهدتها المنطقة منذ اندلاع الانتفاضة الثانية في أيلول العام ٢٠٠٠. ويبدو أن الحكومة الإسرائيلية أكثر إصراراً من أي وقت مضى لمواصلة احتلالها للشعب الفلسطيني، واستعمارها لما تبقى من الأراضي الفلسطينية.

وهكذا، فإن التاريخ الفلسطيني منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى اليوم، يُسجل ككتابات متواصلة، على الرغم من الثورة الفلسطينية من العام ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩، وانطلاق حركة المقاومة الفلسطينية في العام ١٩٦٥ والعام ١٩٦٨ على التوالي، والانتفاضة الأولى التي بدأت في كانون الأول العام ١٩٨٧، وكانت ذروتها الكبرى في إعلان الاستقلال في الجزائر في تشرين الثاني من العام ١٩٨٨، فضلاً عن مؤتمر مدريد للسلام، وإعلان المبادئ في أيلول من العام ١٩٣٣ المنبثق عن عملية المفاوضات في أوسلو.

فلماذا - إذن - يُترجم هذا الكتاب الآن باللغة العربية، وينشر بعد خمسة عشر عاماً من طبعته الأصلية؟

من الواضح أن السبب الرئيسي هو الحقيقة البسيطة المحزنة، أنه لغاية الآن، لم ينجح الفلسطينيون في إقامة دولتهم، ولا في تحقيق تحرّره من الاحتلال والاضطهاد. هذا هو المحور البارز للكتاب وتحليله بناءً على التجربة التاريخية الفلسطينية. ولذلك، فإن الوقت مناسب جداً، وبخاصة في هذه اللحظة من التطورات التاريخية السياسية، أن نتناول للمرة الثانية تاريخ النضال الفلسطيني من أجل التحرّر وإقامة الدولة.

وبعد ذلك، فمن حق كل شعب، ومن واجبه دراسة ومعرفة تاريخه من أجل مجابهة تحديات الحاضر، والتحصير لبناء مستقبله.

وفي الحالة الفلسطينية، لدينا مشكلة إضافية خاصّة جداً: فقد حُرّم الفلسطينيون لعقود عدّة من دراسة تاريخهم، بينما تتعلم الشعوب الأخرى من تاريخها. وبدلاً من ذلك، فقد أُجبروا على تعلّم تاريخ مشوّه، إن لم يكن مقنعاً بالصمت وحتى بالكذب السافر.

كان هذا هو الوضع في الفترة التي كانت فيها الضفة الغربية جزءاً من الأردن، حيث اضطهد الفلسطينيون من قبل النظام الهاشمي، واضطهدوا أكثر منذ الاحتلال الإسرائيلي في حزيران العام ١٩٦٧ الذي استمر - للأسف - لغاية اليوم.

وبعيداً عن هذه التشوهات والتزييفات للتاريخ، فلم يُجر الكثير من البحث عن الفترات الحرجة في النضال الوطني الفلسطيني من أجل التحرير بعد العام ١٩٤٨، وبخاصة الأبحاث المستندة إلى المصادر الفلسطينية الأصلية. وفي الحقيقة، فإن العلامة السياسي الفلسطيني يزيد صايغ فقط، قام بنشر كتاب عن هذه الفترة معتمداً على مصادر ذات صلة (متوفر الآن بالإنجليزية ومترجم للعربية)، لكنه، أيضاً كغيره من الكتّاب والمؤرخين وأساتذة العلوم السياسية والصحافيين، ركز كثيراً على الفترة ما بعد العام ١٩٦٧، حيث يتوافر الكثير من الأبحاث، عوضاً عن فترة التشكل من العام ١٩٤٠ وحتى العام ١٩٦٨، التي تشكل المادة الرئيسية لهذا الكتاب، وهناك عدد من

أطروحات الدكتوراه الممتازة؛ مثل أطروحة صالح عبد الجواد التي لم تتح للرأي العام لسوء الحظ.

وفي هذه الناحية، يؤمل أن يسدّ هذا الكتاب الثغرة التي نلمسها كثيراً؛ فهو مبنيّ في فصوله الرئيسية على تحليل عميق لوثائق فلسطينية من الفترة المذكورة سابقاً، وهي فترة تشكيل الحركات الفلسطينية التي تتكون منها الحركة الوطنية الفلسطينية، أي "فتح"، وحركة القوميين العرب، والجهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. ولم يشمل التحليل الحركات الإسلامية التي لم تلعب دوراً بارزاً أو مؤثراً في هذه الفترة، ولكن دورها يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في الفترات اللاحقة.

وباستثناء الدور الوحيد المهم الذي تلعبه معرفة التاريخ لكل مجتمع ولكل شعب، فهناك أسباب سياسية أخرى أكثر إلحاحاً لنشر هذا الكتاب، وجعله متاحاً لجمهور القراء الفلسطينيين في هذه اللحظة بالذات:

أولاً- وفي الدرجة الأولى، أن الموت المفاجئ والمأساوي للقائد الوطني الفلسطيني ياسر عرفات يجبر الفلسطينيين بصفة عامة، والباحثين في التاريخ الفلسطيني والسياسة بصفة خاصة، للعودة خطوة إلى الوراء، والبدء في التفحص والتقييم، لمعرفة أين وصلنا؟ وما يمكن أو يجب عمله؟

ثانياً- الكثير من القضايا التي لعبت دوراً تاريخياً حيوياً في تطور الحركة الوطنية الفلسطينية، بدأت ثانية في احتلال مركز الصدارة في الشأن السياسي الفلسطيني والتطورات التاريخية السياسية الحالية. إنها قضايا الكفاح المسلح، والدولة، وأخيراً العلاقة بين الآمال والأحلام، وأحياناً الأوهام، والواقع القاسي والوحشي للسياسية، سياسة المصلحة باختصار.

يأمل الكتاب في إعطاء قاعدة تاريخية لهذه المناقشات، كنقطة مرجعية مع قاعدة تاريخية، وتحليلات ومناقشات نقدية للحوار الدارج.

وللأسف، لم تعط قضية الكفاح المسلح تفكيراً كافياً من خلال تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ولغاية الآن.

لقد تمّ تمجيد الكفاح المسلح، ولم يتم تحليله تحليلاً جدياً بطرح أسئلة عن مدى ملاءمته وفعاليته في سياق الأوضاع الفلسطينية الخاصة، والأهداف المفترض تحقيقها. وفقط، قلة من المفكرين تناولوه نقدياً. ومن ناحية تاريخية، فقد تم ذلك من قبل ناجي علوش في أوائل الستينيات. ولكنّه من خلال قراراته السياسية والتنظيمية في ١٩٦٧/١٩٦٨، قد ناقض فعلياً تحليله السابق، واستخدم هذا النقد ثانية من قبل صالح عبد

الجواد، من خلال أطروحته العام ١٩٨٥ المذكورة أعلاه، وكذلك عن طريق مساهماته في المناقشات العامة منذ بداية الانتفاضة الحالية. ولم تل أفكاره النقدية أي مناقشات عامّة عميقة، على الرغم من أن مثل تلك المناقشات تستوجب الاستحقاق، وهي لازمة بشدّة، وبخاصّة في الوضع الحرج الذي يجابهه المجتمع الفلسطيني حالياً.

لقد سيطرت إقامة دولة فلسطينية على كل برامج المجلس الوطني الفلسطيني منذ أوائل السبعينيات، وفقط في العام ١٩٨٨، تم اتخاذ قرار واضح لصالح إقامة دولة فلسطينية، يتم إنشاؤها بتعايش سلمي مع دولة إسرائيل.

ويبدو حالياً أن هذا الهدف ما زال هو السائد من جهة، ومن جهة أخرى فقد ظهرت أفكار جديدة تتراوح بين إقامة دولة في كل فلسطين التاريخية وبين دولة ثنائية القومية. وهنا أيضاً يجب إجراء مناقشات عامّة مفتوحة، واتخاذ قرار واضح حول الهدف السياسي للانتفاضة الحالية. ويجب أن تكون هذه المناقشات أيضاً حرة، ومفتوحة، وقبل كل شيء غير مبنية على الأوهام والأساطير؛ لا بالنسبة لما يمكن وما يجب تحقيقه، ولا بالنسبة لماهية الدولة، وما يجب أن تكون. والكتاب الذي يجري تقديمه هنا لا يقدم أية أوهام تتعلق بالدولة وقدرتها على إنجاز التحرير، بل على العكس من ذلك، فهو متشكك جداً بهذا الشأن، بناءً على مستند إلى الحقيقة التاريخية التي تقول إن كل دولة يجب أن تكون لها سيادتها على شعبها قبل أي شيء. ومع ذلك، هناك حاجة لأخذ التجربة مع السلطة الفلسطينية بعين الاعتبار، حيث أن الفلسطينيين حاربوا دائماً من أجل دولة ورغبوا فيها ويستحقونها كأي شعب في هذا العالم، دولة تحترم وتحافظ على حرية الفرد وعلى حقوقه، وتبني نظامها على حكم القانون. ولتحقيق دولة كهذه، على المجتمع الفلسطيني مواصلة كفاحه، بدون أي شك، وقبل كل شيء ضد الاحتلال، لأنّه فقط بدون احتلال، وفقط في سياق السيادة الكاملة، يمكن إنجاز هذا الهدف، وضمن هذا المجتمع بالذات. وبعد ذلك، فإن الحرية لا تعطى لأي شعب، إذ يجب أن يُناضل من أجلها، ويتم تحقيقها من الداخل. وسوف يكون هذا نضالاً طويلاً ومستمرًا.

أخيراً وليس آخراً، يطرح هذا الكتاب مسألة القيادة السياسية. ومن الواضح أن هذه نقطة أساسية، وبخاصّة في فترة توفى فيها قائد تاريخي، والقيادة الجديدة على وشك التشكل. وهذه المسألة تحتاج إلى تفكير وتحليل مستفيض على جميع المستويات، إذ كيف يمكن لقيادة معينة، أو نظام سياسي معين أن يؤثر على قدرة المجتمع، لمجابهة ظروف وتحديات صعبة كما في الحالة الفلسطينية، لم تجابهها إلا القليل من المجتمعات؟ ومرة أخرى، فإن تناول التجارب التاريخية بداية مناسبة دائماً لإجراء حوار حول الظروف الراهنة، مع ما تتضمنه من تحديات.

نُشر هذا الكتاب قبل خمسة عشر عاماً، ولم تُجر تغييرات لهذه النسخة العربية. وعلى الرغم من عدد الإصدارات الجديدة، وبخاصّة الكتاب المذكور أعلاه من قبل يزيد صايغ،

يبدو لي أنه لا يوجد اكتشافات جديدة رئيسية يجب إضافتها، أو أي تغييرات ذات صلة لإجرائها. وقد ساعدت الأبحاث الجديدة الواردة في عدد من الكتب في دعم وتأكيد تحليلي الإجمالي.

وهذا لا يعني أن معرفتنا عن التاريخ الفلسطيني المعاصر كاملة، بل على العكس، فالكثير من الأسئلة ما زالت مفتوحة.

يوجد إذًا مجال واسع للأنشطة ولأبحاث جيل كامل من المؤرخين الفلسطينيين وأساتذة العلوم السياسية. دعوني أذكر وأبين هنا، فقط، بعض الأسئلة والمشاكل الرئيسية التي يجب معالجتها:

- فعاليات وتنظيم اللاجئين الفلسطينيين، وبخاصة في أوائل الخمسينيات.
- التغيير في حركة القوميين العرب من القومية العربية إلى الوطنية الفلسطينية، التي يبدو أنها حدثت في وقت ما خلال الانتقال من الخمسينيات إلى الستينيات، والقرارات التنظيمية التي اتخذت، ومناقشة الكفاح المسلح.
- التأسيس الفعلي لـ "فتح" في الكويت، ولكن قبل أي شيء تطوّر التنظيم الأيديولوجي والتغيير في التركيز من الكيان الفلسطيني إلى الكفاح المسلح. وفي هذه المسألة، يبدو أن تاريخ تدوين الوثيقة "هيكل البناء الثوري" حاسم. فكلانا أنا (بناءً على بنية ظرفية وحوارات معقولة ومقنعة) وصالح عبد الجواد (الذي يمتلك الوثيقة الأصلية) أرجعنا تاريخها إلى العام ١٩٦٢، وهي فترة نعرف القليل عنها (الأعداد ذات الصلة من فلسطينا غير متوافرة في أي مكان!)، والتي شهدت تغييرات كثيرة داخل "فتح". ويؤرخها يزيد صايغ، الذي استعمل عدداً من طبعات الوثيقة من سنوات لاحقة، مُرجعاً تاريخها إلى العام ١٩٥٩، دون إبداء أي سبب لذلك.
- لم تكن العلاقة بين الحاج أمين الحسيني و"فتح"، وبالتحديد ياسر عرفات في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات فحسب، بل امتدت أيضاً إلى أواخر الخمسينيات، وبخاصة في السنة التي بدأت فيها "فتح" بنشر فلسطينا (١٩٥٩). وهنا أؤكد أن الحاج أمين ساعد عرفات فعلاً، من خلال تعريفه بتوفيق خوري، محرر فلسطينا، أي مالك الترخيص لنشر جريدة. هذا التحليل أكدّه يزيد صايغ مدعماً بالإثبات من خلال معلومات متناثرة حصل عليها في عدد من المقابلات، على الرغم من أن صايغ نفسه لم يصل إلى هذا التحليل الذي قدمته. ومن الواضح أنه لا يرى أي مشكلة في ذلك، ولهذا لا يجد أي صلة بين مجيء الحاج أمين لبيروت في السنة ذاتها التي وصل فيها عرفات أيضاً، وبدأ بنشر فلسطينا.

- أخيراً، هناك مشكلة تقييم وتقدير لدور ياسر عرفات في تطوير الكفاح الوطني الفلسطيني. وقد أصبحت هذه مشكلة أكثر إلحاحاً بعد الموت المفاجئ والمفجع للقائد الوطني التاريخي الفلسطيني. وفي كتابي، فقد تفهمت دوره المركزي، وفي منعطفات معينة كان دوره تاريخياً من حيث البصيرة والتأثير، لكن هذا لم يمنعني من طرح أسئلة نقدية حول قيادته.

وقد اعتبر يزيد صايغ خليل الوزير القائد الإيجابي في الكفاح الفلسطيني، وخصص الدور السلبي أو الدور المسؤول عن كل الأخطاء في هذا الكفاح لياسر عرفات. معظم التحليلات بما في ذلك تحليلي ترى ائتلافاً متقارباً، ومنهجية واحدة أيضاً في ممارسات كل من عرفات والوزير. للأسف، فإن الصايغ لم يوضح ويقنع القراء لماذا يرسم صورة سوداء وبيضاء عندما ينظر إلى "أبو عمار" مقارنة مع "أبو جهاد".

سوف تكون مهمة طلابنا وباحثينا المستقبليين ملء الفراغات في الخطوط العريضة المدرجة هنا، والإجابة عن الأسئلة المطروحة التي تتناول تطور الوطنية الفلسطينية وتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية. كل ما آمله أن يهيئ كتابي هذا نقطة الانطلاق ويشجع على الاستمرار في طريق البحث ومهمة كتابة التاريخ. إنها طريق فاتنة، حتى وإن كانت وعرة، ومع ذلك، فمن الضروري السير عليها.

إن ترجمة هذا الكتاب كانت عمليةً طويلة ومضنية، حيث بدأت في برلين مباشرة بعد إنهاء أطروحتي الأصلية للدكتوراه، وانتهت حديثاً هنا في فلسطين. وقد قام بالترجمة الفعلية محمد أبو زيد، الذي بوّدي أن أشكره لتحمّسه للكتاب والترجمة. وقام بالتحرير معتمصم الأشهب، وبسام المهر الذي كان له دور مركزي، والذي تعاونت معه عن قرب في تزويد نصوص الوثائق الأصلية حيثما أمكن، والتي قمت بتصويرها أولاً في بيروت، ثم ترجمت للألمانية، الأمر الذي استلزم العثور عليها بالنسخ الأصلية من أجل تضمينها في هذه الطبعة. وقد كان انتقالي من بيروت إلى ألمانيا، ثم إلى فلسطين، في الحقيقة تحدياً قاسياً جداً، وآمل أن نكون قد استطعنا تغطيته بنجاح. كانت المهمة أكثر تعقيداً، حيث أن المصدر الأصلي لوثائقي "مركز أبحاث م.ت.ف"، قد هوجم من قبل إسرائيل في حرب ١٩٨٢. والكثير من الوثائق، لسوء الحظ، غير موجودة أبداً، أو لا يمكن العثور عليها. ولسوء الحظ، لم أستطع إيجاد النسخ المصورة لجريدة الثأر، أول جريدة سرّية لحركة القوميين العرب، ويبدو أنه لا توجد نسخ يمكن إيجادها في أي مكان.

ربما كانت النسخ المصورة الخاصة بي (عدد لا بأس به من نشرات الثأر والجرائد السريّة الأولى الأخرى للحركة الوطنية الفلسطينية) هي آخر النسخ المتوفرة لهذه الوثائق الثمينة. آمل أن نكون قادرين على نشر كل هذه الوثائق بالسرعة الممكنة، من أجل توفيرها لمن يرغب من الجمهور، وبخاصة للطلاب والباحثين للفترة قيد الدراسة.

أقدم شكري أيضاً لصديق جلال العظم، وكان أوائل التسعينيات، عندما أملتُ في طباعة مبكرة للكتاب بالعربية؛ أي مباشرة بعد نشره بالألمانية، كتب مقدّمة له. وبموافقته فقد قررنا طباعة مقدّمته هذه بدون أيّ تغييرات.

لقد تم إجراء تغيير واحد للطبعة الأصلية باللغة الألمانية، حيث أن هذه الطبعة العربية تستهدف قراءاً فلسطينيين وعرباً، وارتأينا أنه من المفيد إضافة مجموعة صغيرة من الوثائق الأصلية تعاد طباعتها كملحق في نهاية الكتاب.

بهذا، نأمل أن يأخذ القارئ فكرة أفضل عن تفكير قادة الفصائل المختلفة للحركة الوطنية الفلسطينية. كما قد تزيد من شهيتهم لكتابٍ كامل مع وثائق من هذه الفترة، وهو في مرحلة التخطيط.

عندما كنت أجري البحث لهذا الكتاب، وفي عملية الكتابة والتحضير الفعلي لنشره، ساندني الكثير من الناس بسخاء من وقتهم. لقد شكرتهم في مقدّمة النسخة الألمانية، وأودّ أن أكرّر شكري هنا. على أن أضيف شكري إلى منى نصولي من معهد الدراسات الفلسطينية في بيروت التي كانت كريمة وفعّالة في مساعدتها بتزويدي ببعض المواد في النسخة العربية الأصلية. أيضاً في الفترة الممتدة بين الطبعتين الألمانية والعربية لكتابي، خبّرتُ أحداثاً عدة، وقابلت أشخاصاً عديدين، عليّ أن أشكرهم هنا: أولاً، عليّ أن أذكر أحمد اليماني "أبو ماهر"، محارب من أجل حقوق الفلسطينيين من عمر مبكر، سواء في جمعية العمال الفلسطينيين - العرب في فلسطين، أو بين اللاجئين في لبنان، أو في صفوف حركة القوميين العرب، وأخيراً كناشط وعسكري في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. إنه أحد القلائل الذين لم يتوقفوا إطلاقاً عن النضال من أجل المحرومين والمستغلين والمسحوقين والمقموعين.

ثم أريد أن أتذكر أبو ريا، وزوجته وأولاده الذين قُتلوا بقسوة وحقارة في مذابح بين فصائل فلسطينية في بيروت؛ مثل مئات الآخرين الذين تمّ نسفهم في عمارة شقق بالفاكهاني في العام ١٩٧٨. لقد أحبّ أبو ريا الحياة، وأحبّ الناس، أحبّ فلسطين، وطيلة حياته حارب من أجل مستقبل أفضل للفلسطينيين، فقط ليتمّ قتله من قبل رفاق سابقين في السلاح.

وعلى الرغم من كلّ الإنجازات التاريخية للانتفاضة الأولى، فإن هذه الفترة من النضال شهدت سقوط العديد من الضحايا، كان أولهم من بين اليافعين، الذين تم اعتقالهم من قبل الجيش والبوليس الإسرائيلي، والذين دمّرت حياتهم في هذه العملية بدون وجود من ينقذهم، حتى بعد إطلاق سراحهم من السجن، دعوني أتذكر واحداً من هؤلاء الأطفال الضحايا، جاري القديم سمير الذي شهدت اعتقاله مرات عدة في منتصف الليل عندما كنت أجلس وراء آلة الطباعة وأعمل في هذا الكتاب في نسخته الأصلية. لن

أنسى أبداً صورة اليافع الصغير الذي انتزع بوحشية من قبل مجموعات مرعبة المظهر من رجال البوليس السري وحرس الحدود: وكنا نقف نحن البالغين على الشرفة أو في الحديقة لا حول لنا، وأيدينا مقيدة غير قادرين على التصرف أو المساعدة أو منع الاعتقال.

أخيراً وليس آخراً، أريد أن أذكر هنا أم مصطفى وأكرمها كواحدة من النساء والأمهات الفلسطينيات العديداً، اللواتي قضين كل حياتهن في النضال والمعاناة، ولا يزال يسكنهن أمل في مستقبل أفضل.

كل ما تبقى لي هو إنهاء هذه المقدمة بالدعاء والأمل أن تعيش أم مصطفى (حماتي أو أمي الفلسطينية فعلاً) لتري الحرية في فلسطين وللفلسطينيين، ولو أن ذلك قد يبدو غير محتمل في هذه اللحظة.

بعد ذلك، فإن ولدها مصطفى (زوجي) كتب أغنية بسيطة جداً، ولكنها تحمل أمنية يتمنى كل الفلسطينيون أن تتحقق:

بحلم بكره

بكره سلام

بكره محبة

بكره أمان

القدس

أيلول ٢٠٠٥

تقديم

ينصح الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه كل محقق في الهاوية ألا يطيل النظر، لأن الهاوية ستحدق به بدورها، كما يحذر كل مصارع للتنين من تحوله هو أيضاً إلى تنين آخر. إن الذي يهم الدكتور هيلغا باومجارتن عمقاً في هذا العمل، هو ألا يقع نضال الشعب الفلسطيني، هذا المصارع المزمّن واليومي للتنين الإسرائيلي والمحقق الدائم والأقدم في الهاوية الصهيونية، في أيّ من هذين المحظورين أو ما يشبههما. في الواقع، ليس أدل على الفارق النوعي الصّارخ بين رفين المتصارعين أكثر من الحقيقة الأساسية الجلية الراهنة التالية: نعرف جيداً (ويعرفون جيداً) إن سقوط الشهيد الفلسطيني يجذب ويؤكد ويوطّد ويخصّب ويشحذ ويوسع فسحة الأمل. ويعرفون جيداً، في الوقت ذاته، إن سقوط القتل الإسرائيلي يُبعد ويسلب ويشكّك ويزعزع ويُعقّم ويعطل المستقبل. ويتميز حرص المؤلف هذا بطابع مزدوج: فهو من ناحية أولى حرص ذاتي شعوري أساسه "فلسطينيتها" المكتسبة بالالتزام الواعي والاختيار الحر، وهو، من الناحية الثانية، حرص موضوعي، عقلاني، تاريخي، أساسه الدراسة العلمية المجردة لحركة الواقع الفلسطيني، بتطوراتهِ وتقلباتهِ وصراعاتهِ وإنجازاته وانكساراته منذ قيام دولة إسرائيل وحتى اللحظة الحاضرة (بما في ذلك الانتفاضة، والتدمير الأمريكي للقوة العسكرية والاقتصادية العراقية في حرب الخليج الثانية). تَجَمع هيلغا باومجارتن ببراعة في كتابها بين قرب الدراسات التحليلية الخارجية الجادة من جانب، والمنصفة للتاريخ نفسه من جانب آخر. لهذا لا تعني موضوعية التناول عندها اللامبالاة أو ضعف الالتزام أو ما شابه ذلك، كما تبقى معاشيتها الحميمة للكفاح الفلسطيني، بدقائقه اليومية وتفصيله الحياتية، معصومة عن مزلق الغرور الذاتي العربي التقليدي الأجوف ومبالغاته، وعن أوهام الوعي العربي العفوي الزائف وشطحاته المشهورة.

لهذا كله، بودي الشروع في هذا التقديم بالقول: "يسعدني جداً تقديم الترجمة العربية لكتاب الدكتور هيلغا باومجارتن ... الخ". لكنني في الحقيقة لست سعيداً على الإطلاق. لست سعيداً لأن كل مراجعة لتاريخ التحدي الصهيوني الاستيطاني الإجلائي للوجود الفلسطيني، ابتداءً بالعقد قبل الأخير من القرن التاسع عشر، تبين أن الحروب والثورات والانتفاضات والانقلابات والاتفاقات والمعاهدات والتسويات والهدنات التي

أسفر عنها هذا التحدي، كانت لا تشكل على الدوام سوى توازنات عربية فلسطينية مؤقتة وهشة مع الجانب الصهيوني الإسرائيلي، سرعان ما تنهار كلها ودون استثناء لمصلحة الطرف الغازي، وعلى حساب الطرف العربي المدافع. هذا هو القانون العام الذي حكم العلاقة التاريخية التناحرية بين طرفي الصراع وتوازناتها، ولا شيء في مراجعة الدكتوراة باومجارتن لتاريخ الكفاح الفلسطيني، بما في ذلك لحظته الحاضرة بسخونتها واحتمالاتها وراهنيتها، يوحي بأن تحولاً حقيقياً نوعياً ما قد طرأ، أو هو على وشك أن يطرأ، على طبيعة القانون العام المذكور أعلاه، بل، وعلى العكس من ذلك، إن الدلائل جميعها تشير اليوم إلى أن وضعاً شبيهاً بالوضع "الجنوب إفريقي" الكلاسيكي قد تبلور بالفعل بالنسبة لطبيعة علاقة الأراضي الفلسطينية المحتلة بدولة إسرائيل الأساس والمركز. فغزة، بحركتها وكثافتها السكانية وبؤسها وخصائص نضالها المميزة، تذكر مباشرة بـ "سوويتو" (soweto) المركز الأكثر شهرة للنضال التحرري المدني في جنوب إفريقيا. كما أن أي إطلاع سريع على شكل شبكة الاستيطان التي تفرزها إسرائيل في الأراضي المحتلة وعلى أهلها، يذكر رأساً بعمليات تقتتيت الشعب الإفريقي هناك إلى "هوم لاندز" (homelands) مستقلة ذاتياً، وتهميش أجزاء أخرى منه بتحويلها إلى "كوميونيتيز" (communities)، مكتفية بذاتها وعزل أشلائه المتبقية في أحياء محصورة وحارات منغلقة على نفسها. أضف إلى ذلك أن سياسة العمالة والتشغيل الإسرائيلية إزاء اليد العاملة الفلسطينية، العمل في المكان المطلوب فيه العمل العربي، ولكن الإقامة والنوم في الـ "هوم لاندز" -المستقلة ذاتياً والبعيدة أمنياً- لا تختلف من حيث المبدأ عن الممارسات المشهورة لحكومة بريتوريا العنصرية في هذا الميدان، مع الإشارة اللازمة إلى الإجراءات الأمنية والبوليسية والعسكرية والإرهابية المتطرفة في حدتها وقمعيتها التي لا بد من اللجوء إليها برتابة يومية، لحماية تلك السياسة وتأمين حسن تطبيقها، واحتواء التمردات عليها. لذلك، لم تتقاعس الحكومة الإسرائيلية عن تشكيل "كتائب الموت والاغتيال" اللازمة لهذا الغرض، نقلاً عن الأصل الجنوب إفريقي الرائد دوما في مثل هذه الميادين المشبعة.

في لحظة يبدو فيها النضال الفلسطيني وكأنه يدخل في مرحلة جنوب - إفريقية نموذجية، تغدو المراجعة النقدية للنفس والماضي والتاريخ والمرحلة الراهنة ضرورة لا مفر منها، استعداداً لاستنباط الوسائل والتكتيكات والاستراتيجيات الملائمة لمواجهة الطور الجنوب إفريقي الجديد الذي أخذ يفرض نفسه، ليس على الشعب الفلسطيني وحده فحسب، بل على المنطقة بأسرها. ولا شك أن كتاب الدكتوراة هيلغا باومجارتن إسهام مهم وجديد، من منظور متطلبات اللحظة الفلسطينية الراهنة، في مثل هذه المراجعة. وبهذه المناسبة، جدير بنا أن نتذكر دوما الحقيقة القائلة بأنه "محكوم على الذين لا يتعلمون من التاريخ أن يكرروه".

صادق جلال العظم

مقدمة

للكتب قصصها الخاصة بها التي عادة ما تكون طويلة. وتعود قصة هذا الكتاب إلى بداية السبعينيات حين قمت بأول زيارة لي إلى الشرق الأوسط، إذ اقتادتني الصدفة إلى لبنان، ذلك البلد الذي كان في حينه مدعاة للدهشة والإعجاب "كسويسرا الشرق الأدنى". في ذلك الوقت، كنت، وإلى حد كبير، أغفل مشاكل تلك المنطقة، في حين سيطر فراغ كامل على سوق الكتب - حتى صدور كتاب فالتر هولشتاين ١٩٧٢ (Walter Hollstein) لا سلام حول إسرائيل - حول الجذور الاجتماعية للصراع على فلسطين - ١٩٧٢، ذلك الكتاب الذي فتح آفاقاً جديدة في هذا المجال. وبذلك يكون قد بدأ بحثي الذاتي عن الأسباب التي تقف خلف الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني. ففي ألمانيا الاتحادية، اعتاد المرء، في حينه، أن ينظر إلى دولة إسرائيل ومجتمعها اليهودي-الإسرائيلي من زاوية التاريخ الألماني فقط؛ فإقامة الدولة اليهودية العام ١٩٤٨ سهل الأمر على الكثيرين، وهو ما شكل "مخرجاً" مريحاً للتاريخ الألماني الحديث الذي تميز بالعنصرية، والعداء للسامية، والقضاء على اليهود في أوروبا. فقد بدا، وكأن الدعم المادي للدولة الفتية، تلك الدولة التي تماهى معها الفرد إلى أبعد حد، يعد "تعويضاً" عن الجريمة التي اقترفت، إضافة إلى ذلك، فإن موقع إسرائيل الجغرافي البعيد ساعد على منحها تلك المسحة من الغرابة والجاذبية.

وفي ظل هذه الظروف، ظهر الفلسطينيون على مسرح الأحداث، في حال أنهم ظهروا بالفعل، على شكل عنصر إزعاج ليس إلا. فالوقوف وجهاً لوجه أمام الفلسطينيين في لبنان، إضافة إلى ما قدمه هولشتاين من عرض تاريخي للصراع على فلسطين، دفعني إلى هناك، إلى حيث موطن الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين. لقد كان قد كتب الكثير عن إسرائيل وحولها، في حين قوبل الفلسطينيون بالصمت، أو تم إلصاق تهمة الإرهاب بهم، وبالأذات منذ العملية الإرهابية التي حدثت في ميونخ خلال الألعاب الأولمبية العام ١٩٧٢. ويراودني الأمل أن أساهم بهذا الكتاب الذي يعرض لتاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية منذ ١٩٤٨ إلى أن يشعر الناس هنا (المقصود في ألمانيا- المترجم) بوجود الفلسطينيين، سواء كضحايا دولة أقيمت على حسابهم، أم في صراعهم الطويل من أجل الحرية والحياة الكريمة، فقد آن الأوان للتوقف عن استخدامهم كورقة مقايضة في عملية تصفية الحسابات التاريخية بين اليهود والألمان، كما حدث خلال

حرب لبنان العام ١٩٨٢، وما حدث ويحدث منذ العام ١٩٨٧ بالنسبة للانتفاضة. فمن خلال وجهة النظر هذه، نعمل نحن على اختزال الفلسطينيين إلى "محور أساسي لنظرة شمولية تبريئية..."، ذلك أن مجالها التاريخي لا علاقة له مع مكان المنازعات ولا مع الصراع في فلسطين، ولكن ذو علاقة وطيدة جداً بالتاريخ الألماني^١.

كذلك لم يعد اليوم بالإمكان تجاهل الفلسطينيين، هكذا ببساطة، وذلك في سياق محبة السامية، والتي غالباً ما تطفئ، وبشكل سيئ، على العداء المترسخ للسامية، أو حتى تستبدله "بقراءة" تاريخية خاطئة. فمحبة السامية هذه تجعل من إسرائيل دولة معصومة عن الخطأ، وترفع الإسرائيليين إلى نعم المثل من ناحية أخلاقية وسياسية كديمقراطيين لا غبار عليهم، ما يعني العودة إلى تجاهل الإسرائيليين كبشر مثلهم مثل غيرهم.

ومن المفترض أن يقف المرء من الدولة - سواء أكان ذلك دولة إسرائيل أم دولة فلسطينية مستقبلية - موقفاً نقدياً؛ فمشاعرنا يجب أن تبقى حكرًا على البشر. وعلى السياسة التي تمارس اتجاه دولة إسرائيل أن تضعها تاريخياً وجغرافياً في نصابها الصحيح، هناك في منطقة الشرق الأوسط، إلى حيث تبدأ قصتها ويلاحظ وقعها وتأثيرها. حينئذ فقط يمكن استيعاب الفلسطينيين كضحايا لهذه الدولة، ولكن أيضاً كأصحاب شأن.

ويحاول هذا الكتاب إظهار كيفية تحول الفلسطينيين من محقرين، مهانين، إلى أناس تعلموا خلال الانتفاضة "السير القويم"؛ إذ بلغوا اليوم نقطة التحول: لقد أصبحوا مستعدين بل وقادرين على التوصل إلى تسوية تاريخية، أو بكلمات أخرى، القبول بتعايش سلمي بين دولة فلسطينية صغيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة وعاصمتها القدس الشرقية ودولة إسرائيل في حدود ١٩٦٧ وعاصمتها القدس الغربية. وحتى تصبح هذه التسوية التاريخية حقيقة، وحتى يتم القيام بالخطوات الأولى لتحقيق ذلك من خلال البدء بالمفاوضات بين إسرائيل وم.ت.ف، ممثل الشعب الفلسطيني، يحتاج كلا الطرفين - الفلسطيني كما الإسرائيلي وقد فهم أن مستقبلاً "دون تمييز واضطهاد وضمن حق العودة لكلا المجموعتين الوطنيتين" ^٢ يبقى دونما بديل - إلى تضامننا.

عندما قرأ ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لم.ت.ف. في الخامس عشر من تشرين الثاني العام ١٩٨٨ أمام المجلس الوطني الفلسطيني إعلان استقلال دولة فلسطين، صوت إلى جانبه كافة أعضاء المجلس. فبعد مرور ٤١ سنة على قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، الذي يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين، إحداهما يهودية والأخرى عربية - فلسطينية، أقدمت الحركة الوطنية الفلسطينية، والمؤطرة في م.ت.ف، على قبول هذا التقسيم. وهي بذلك تكون قد تخلت عن قسم كبير من الوطن الفلسطيني التاريخي لصالح الاعتراف بدولة إسرائيل.

ويعتمد هذا الكتاب إلى تحليل كيفية نشوء وتطور هذه الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، التي أبدت من خلال إعلان الاستقلال استعداداً، لا لبس فيه، لتسوية سلمية مع إسرائيل - وهو بالشيء الجديد في تاريخها الذي اتسم بالصراع مع الحركة اليهودية-الصهيونية، ولاحقاً مع دولة إسرائيل. ومسألة نشوء الدولة ظاهرة طالما تكررت في تاريخ الشرق الأوسط، الشيء الذي ينطبق بشكل خاص على تاريخ فلسطين؛ فإعلان قيام دولة إسرائيل في أيار ١٩٤٨، وإعلان استقلال دولة فلسطينية من خلال المجلس الوطني الفلسطيني في تشرين الثاني ١٩٨٨ - لا تشكل ارتباطاً الإطار التاريخي لهذا الكتاب.

ويشكل العام ٤٨، بالنسبة للعرب بشكل عام، ولل فلسطينيين بشكل خاص، عام النكبة^٢: فقد أقيمت إسرائيل على الرغم من أنف السكان المحليين الفلسطينيين، وتحت طائلة استخدام العنف، إضافة إلى دعم الدول العظمى (الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، والاتحاد السوفييتي): وهو ما أدى إلى تهجير وهرب حوالي ٧٥٠٠٠ فلسطيني من ديارهم.

وحتى الآن، بقي السؤال المتعلق بالحركة الوطنية الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨ إلى حد بعيد بلا إجابة في الأدبيات الكثيرة والواسعة حول فلسطين. في المقابل، ومنذ زمن، وجدت الحركة الوطنية في عهد الانتداب حتى ١٩٣٩ أو ١٩٤٨ من المؤرخين^٣ من يكتب عنها، فالحركة الوطنية في مرحلة ما بعد النكبة، تم التعرض لها بالتحليل من قبل علماء السياسة^٤، وبالوصف من قبل الصحافيين وذلك كحركة جماهيرية تم تأطيرها منذ ١٩٦٨/١٩٦٩ في م.ت.ف، بقيادة ياسر عرفات^٥، ومع ذلك فإننا نعلم الشيء القليل فيما يتعلق بالفترة الواقعة بين ١٩٤٨-١٩٦٨. إذ تم في هذين العقدتين، بالذات، وضع الأساس للتطور السياسي الفلسطيني والمستمر حتى اليوم. فدراسة نشوء وتشكل الحركة الوطنية في هذه الفترة يسمح لنا، من بين أشياء أخرى، بتعقب جذورها عميقاً إلى فترة الانتداب، وبالتالي إدراك، ليس الصدع التاريخي الذي حصل في العام ١٩٤٨، أي النكبة فحسب، وإنما أيضاً إبراز نقاط الاستمرار ومتابعتها، تلك التي يعود بعض منها إلى عهد الانتداب، وتؤثر عبر ذلك في سنوات ما بعد العام ١٩٤٨.

وفي مركز التحليل تقف حركتان سياسيتان: القوميون (حركة القوميين العرب)، تأسست في بيروت العام ١٩٥٢، و"فتح" (حركة التحرير الوطني الفلسطيني) التي نشأت في الكويت العام ١٩٥٧/١٩٥٨. وهما، أي الحركتين، تعتبران أولى التنظيمات الفلسطينية المستقلة التي ظهرت بعد ١٩٤٨، ومنها تشكلت في ١٩٦٨/١٩٦٩ م.ت.ف، وتشكل الغالبية في الحركة الوطنية. في حين تلعب حركة القوميين العرب والتنظيمات التي خلفتها من جبهة شعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش، وجبهة ديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة نايف حواتمة دور المعارضة.

وفي الاستهلال النظري يتم، بشكل مختصر، وفي السياق التاريخي والنظري المطلوب، تقديم المفاهيم التحليلية المستخدمة في هذا الكتاب: أي حركات وطنية وقياداتها، الأيديولوجية المحركة (الحشد) التي قامت بتطويرها، إضافة إلى الدولة الوطنية المنشودة. وفي استعادة للعام ١٩٤٨، يتم في الفصل الأول التعرض للحركة الوطنية الفلسطينية خلال حكم الانتداب البريطاني. وهنا تقف في مركز الصدارة الهزيمة التي منيت بها الحركة تحت زعامة الحاج أمين الحسيني، وليس فقط في مواجهة المنافس العربي الذي تدعمه بريطانيا العظمى الأمير الهاشمي عبد الله، أمير شرق الأردن. أما ما ترتب على ذلك من كارثة أصابت المجتمع الفلسطيني من هجر وتهجير لجميع السكان الفلسطينيين وتقريباً، من الدولة الوطنية - اليهودية حديثة العهد، فسيتم التعرض له وبخاصة فيما يتعلق بتأثير ذلك على الجيل الذي تسلم دفة القيادة الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨ في الشتات، أي بشكل خاص في لبنان والكويت.

وفي الفصلين الثاني والثالث يتم اقتفاء أثر النشوء والتطور الأيديولوجي - السياسي لحركة القوميين العرب وحركة "فتح" حتى مطلع الستينيات. وهنا يقف التضاد بين سياسة فلسطينية وليدة الدفينة العربية كما مثلها قوميو حبش، وسياسة فلسطينية - محض وطنية، كما كورتها "فتح" - عرفات، في مركز الصدارة.

وفي الفصل الرابع، المركزي، يتم البحث في موضوع استهداف المواجهة السياسية والأيدولوجية المباشرة بين كلتا الحركتين، وذلك خلال العقد الممتد من ١٩٥٨-١٩٦٨ والحاسم مستقبلاً. فأيدولوجية الحشد لوطنية فلسطينية التي تبدو معقدة بنفسها وتتجلى في أسطورة الكفاح المسلح كما رسمتها "فتح"، أثبتت في لحظة الهزيمة الماحقة التي ألحقها إسرائيل بالقومية العربية في حرب ١٩٦٧، تفوقها بشكل كبير على اليسار الجديد، والأقرب إلى الاجتماعي الثوري منه إلى القومية المبرمجة كما سارت عليه الجبهتان الشعبية والديمقراطية، خليفتا حركة القوميين. ففي معركة الكرامة، تلك القرية الواقعة في غور الأردن، يستعيد فدائيو "فتح" بقيادة عرفات من خلال تصديهم للقوة العسكرية الإسرائيلية المتفوقة عليهم بشكل كبير، كرامة الفلسطينيين: فمن جيل النكبة ينهض جيل المقاومة، جيل الثورة والكفاح الوطني. يرافق الفصل الخامس "فتح" على الطريق نحو حشد كافة قطاعات الشعب الفلسطيني المشرذمة منذ ١٩٤٨ من الشتات إلى الضفة الغربية وقطاع غزة اللذين تحتلها إسرائيل منذ ١٩٦٧. وفي هذا السياق، سيتم من بين ما سيتم تفصيله، التوضيح كيف ولماذا أثبتت وطنية "فتح" الفلسطينية تفوقها الدائم على الجبهتين الشعبية والديمقراطية.

وعلى خلفية التحليل الأيديولوجي - السياسي والتاريخي في الفصول الخمسة الأولى، يمكن تقديم تحليل جديد للانتفاضة في الفصل السادس والأخير. إذ سيتم العرض للعلاقة بين الحركة الوطنية في المناطق المحتلة، التي بقيت حتى الآن غير

معروفة بما فيه الكفاية، إضافة إلى توضيح ماهية العمل المشترك بين قيادة م.ت.ف والقيادة الموحدة للانتفاضة منذ ١٩٨٧. ويشكل إعلان الدولة في الجزائر في تشرين الثاني ١٩٨٨ نهاية العرض. هذه الذروة الأولى في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية منذ ١٩٤٨ سيتم عرضها بعد تجريدها من مكوناتها الأسطورية، إضافة إلى معالجة الدينامية التي تسكنها.

ولأن هذا الكتاب لا يقتصر على المهتمين من مستشرقين وخبراء في شؤون الشرق الأوسط، بل يطرق أبواب دائرة واسعة من القراء، فقد تم استخدام الأشكال الشائعة للأسماء على حساب نقل الأسماء العربية الأصلية بحروف أخرى. وهنا أود تقديم الشكر إلى كل الذين مدوا لي يد العون خلال إجرائي لهذه الأبحاث وعلى رأسهم الأصدقاء في بيروت ١٩٧٥-١٩٧٩. كذلك أتوجه بالشكر إلى كل المسؤولين السياسيين الفلسطينيين الذين وجدوا الوقت الكافي، في تلك الفترة الحرجة بالنسبة لهم، للإجابة عن ما طرحته من أسئلة.

لقد أمكن القيام بمرحلة العمل الأولى من هذا الكتاب من خلال منحة دراسات عليا قدمتها جامعة جوتنجن (Goettingen) بتوجيه من بسام طيبي مشكوراً على ذلك. أما النتائج الأولى لهذه الأبحاث فقد قدمت على شكل أطروحة دكتوراه إلى جامعة برلين الحرة (Freie Universitaet Berlin) التي قبلتها. وفي هذا السياق، يستحق كل من فريدمان بيتنر (Friedman Buettner)، والكسندر شولش (Alexander Schoelch) الشكر.

وقد مولت مؤسسة فولكس فاجن (Volkswagen) بحثاً حول العمالة الفلسطينية المهاجرة؛ ومن مرحلة العمل والبحث الثانية هذه، انطلق أخيراً هذا الكتاب إلى حيز الوجود.

أما الدعم الأساسي، فقد قدمه بشكل مثالي الكسندر شولش (Alexander Schoelch)، ذلك المعلم والصديق الذي توفي في سن مبكرة، وهو الذي فهم كيف يمد يد العون باحتراس ورعاية صدر، وبخاصة عندما تبرز العقبات الصعبة.

كما أقدم بالشكر إلى العاملين في المكتبات العامة التالية: الجامعة الأمريكية في بيروت، ومركز الأبحاث الفلسطيني التابع لم.ت.ف، ومركز الدراسات الفلسطينية في بيروت، والمكتبة الحكومية في برلين، ومعهد ترومان في الجامعة العبرية-القدس.

ولقراءاتهم النقدية لصيغ مختلفة من هذا الكتاب، أود شكر ألكسندر فلورس (Alexander Flores) في إرلنجن (Erlangen)، ودوريتيا فريدريك (Dorothea Friedrich) ولولا هوروفيتس (Lola Horowity) في القدس، وروجر هيوك

(Roger Heacock) في رام الله، وأرنو شميث (Arno Schmitt) في برلين. كما تحظى ايستر ديشيرايت (Esther Dischereit) على قيامها بالخطوات الحاسمة لخروج نتائج هذه الأبحاث إلى النور على شكل كتاب بشكر خاص. أما زوجي مصطفى الكرد، وابننا سامي درويش، فقد كان عليهما أن يتعايشا سنوات طويلة مع العمل على هذا الكتاب الذي إليهما أهدي.

هوامش المقدمة

^١ دينر (Diner, 1982)، ص ١٢٧.

^٢ دينر (Diner, 1982)، ص ١٦٧.

^٣ حول أهمية النكبة، انظر العمل الكبير الذي قام به قسطنطين زريق (١٩٤٨) الذي تعرضنا له بالتفصيل في الفصل الثاني، وكتاب موسى العلمي (١٩٤٩)، بالإضافة إلى موسوعة عارف العارف التاريخية ذات الأجزاء السبعة (١٩٥٦-١٩٦٢).

^٤ بوراث (Porath, 1974 and 1977)، ليش (Lesch, 1979)، جبارا (١٩٨٥)، مصلح (١٩٨٨)، مطر (Mattar, 1988).

^٥ كوبان (Cobban, 1984)، جريش (Gresh, 1984)، ميشال (Mishal, 1986).

^٦ هيرست (Hirst, 1983)، رولو (Rouleau, 1984)، هارت (Hart, 1984)، صحيح أنه تعرض بالتفصيل لسنوات فتح الأولى، إلا أنه يستند، من غير تمحيص، إلى معلومات شفوية.

المدخل النظري

سنتعرض هنا بالتحليل للمفهوم الذي يحدد نشوء حركات وطنية في سياق عملية التحرر من الاستعمار. وفي هذا السياق يعرف آلان تورين (Alain Touraine) الحركات الوطنية في المجتمعات غير المستقلة بأنها حركات اجتماعية قادرة على تبوء مكانها التاريخي، وذلك عندما "تتعايش وتترابط مع بعضها البعض" ^١ مبادئ الهوية، المعارضة والشمولية، أي بكلام آخر، أن يتحلى فعلها التاريخي بشرعية شاملة. ثم لا يلبث تورين أن يقدم لنا تعريفاً أكثر وضوحاً، وذلك عندما يفترض أن الحركة الوطنية كحركة تاريخية لا يمكنها البقاء إلا إذا ارتكزت على مبدأ الهوية الذي يدل على مطالبها. كما أنها لا تقوم إذا لم تركز على مبدأ المعارضة الذي يميز الخصم وطبيعة الصراع. وأخيراً فإنه لا يمكنها القيام دون مبدأ الشمولية، أي دون الرجوع إلى الشيء التاريخي الذي يأخذ عادة شكل الحل "العادل" أو "الإنساني"، ويقدم كحل "للمشكلة المطروحة" ^٢. وفي هذا السياق يستقدم مكسيم رودنسون (Rodinson) ^٣ مفهوم "حركة أيديولوجية" (mouvement ideologique). أما العنصر الأساسي في نشوء حركة أيديولوجية فهو الشعور العام بعدم الرضا، وهو ما يقود بدوره إلى المقاومة، وأخيراً إلى المطالبة بتغييرات جذرية في الوضع الذي تسبب في ذلك.

ويصف برينغتون مور (Barrington Moore)، وبوضوح شديد، الكيفية التي تتطور بها عملية تأسيس الحركة الأيديولوجية هذه، وما يقترن بها، بشكل ملازم، من تحريك للجماهير "عندما تظهر على السطح كتلة خطيرة من أناس معبئين بالسخط كنتيجة لتأثير طويل الأمد لقوى تأسيسية، فإن كل شيء يصبح معداً لظهور "المحرضين من الخارج". ومن المهم هنا الاعتراف بالأهمية الحاسمة لدورهم، لأن النقاد الاجتماعيين يميلون إلى التقليل من ذلك حتى لا يصب الماء في طاحونة المحافظة والرجعية. فمنذ عهد الرسل، وربما قبل ذلك، كانت كل الحركات الاجتماعية مسلحة بجيش من الوعاظ والمقاتلين تنشر الأنباء الطيبة للخلاص من آلام العالم وشروره. إنها دائماً أقلية نشيطة تلك التي تعزز وتنشر معايير جديدة للشجب. إنهم يشكلون سبباً لا غنى عنه، وحتى لو كان غير كافٍ، لتحولات اجتماعية كبيرة. فهم مسالمون ومتدرجون، كما أنهم عنيفون وثوريون. وبشكل عام، فهم نسبياً شباب غير مثقلين بروابط وواجبات اجتماعية" ^٤.

إذاً لتحريك الجماهير لا يمكن الاستغناء عن أيديولوجية محرّكة. ° ولكن أيضاً، وقبل كل شيء، عن مؤلفين لهذه الأيديولوجية. دعونا نتمعن أولاً في صانعي الأيديولوجية أو من أسماهم مور (Moore) " المحرضين من الخارج ". ومن المعروف أن هؤلاء هم في العادة المثقفون. واستناداً إلى رودنسون، فإنه من المفترض أن يتم النظر إلى هؤلاء المثقفين كمجموعة وظيفية، كما يجب إدراك طبيعة علاقة هذه المجموعة بإحدى الطبقات:

التنظيرات، وبغض النظر عن مدى التعقيد، هي من صنع المثقفين. فهؤلاء يعبرون وفي وقت واحد، عن موقف المجموعة الوظيفية التي يُشكّلونها، بالإضافة أيضاً إلى الطبقة التي ينتمون إليها. وفي الوقت نفسه، وعلى الرغم من ذلك، هناك وجهان لا يسمح بتجاهلهما: أولاً، أن حالة الشعور أو الأيديولوجية الضمنية المنبثقة عن الوضع العام للمجموعة العرقية التي ينتمون إليها هي المادة، والقاعدة ونقطة الانطلاق لتنظيراتهم. ثانياً، يمتلك هؤلاء وظيفة تحريكية، وبالتالي فإن عليهم إرضاء مشاعر جماهير قومهم ككل. ومن هنا فإن المرء لا يستطيع ببساطة حصر هذه التنظيرات بأساطير نفعية لأحدى طبقات الأمة، التي هي مصدرها، كما يدرج الماركسيون في الغالب على الفعل. إنهم ناجحون بمدى ما يستطيعون تجاوز الموقف الطبقي الضيق. إلا أنه من غير المسموح في الوقت نفسه إنكار خاصيتهم الطبقيّة.^١

ويخصص المؤرخ التشيكي ميروسلاف روخ (Miroslav Hroch) في عمله الرائد الذي تعرض فيه للتحريك والتأسيس الوطني عند الشعوب الصغيرة في أوروبا الوسطى في القرن التاسع عشر مكاناً مركزياً لمسألة " الطليعة الوطنية النشطة في عملية اليقظة الوطنية للشعوب المضطهدة ".^٢ فيذكر هنا في المقام الأول المثقفين الذين يقومون في الطور الأول لليقظة الوطنية بإحياء لغة وثقافة وتاريخ تلك الأمة الصغيرة، وهم في ذلك لا يزالون في عزلة نسبية عن أغلبية الشعب.^٣ في المرحلة الثانية فقط من عملية الحشد الوطني تتسع دائرة المشاركين وتبرز حينئذ أهمية التركيبة الاجتماعية والأصل عوضاً عن البنية الجغرافية للحركة على نطاق أوسع. في هذه المرحلة بالذات تتم صياغة برنامج سياسي: تحقيق التحرر الوطني وحق تقرير المصير في إطار دولة وطنية مستقلة. وفي المرحلة الثالثة والأخيرة يبدأ حشد قطاعات أوسع من الشعب، وبالتالي تكوين حركة جماهيرية.^٤

ولكن ما هي العلامات المميزة لفئة المثقفين " الانتلجنسيا " عند روخ ؟ " الانتلجنسيا ليست مجموعة اجتماعية متكاملة، بل متباينة بشكل عميق إلى درجة يستحيل معها الحصول على طابع واضح المعالم لمصالحها المادية كمجموعة ".^٥

ويفرد روخ مكاناً خاصاً لفئة الطلاب من بين صفوف الانتلجنسيا. وهنا يبرز الالتباس بشكل واضح فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية للمثقفين التي يرى روخ فيها " بالذات " مصدراً من مصادر الراديكالية عند الطلاب.^٦

ومن الإسهامات المهمة لـ روخ في عملية تحليله لطبقة المثقفين إشارته إلى " التأثير الرجعي للذات كعامل ثانوي ".^٧

فالمكانة الاجتماعية في التركيبة التي سبق وصفها أعلاه، لا تحدد بصورة تلقائية تلك الصبغة الطبقية أو الاجتماعية للنشاط في المجتمع، وبخاصة عند أفراد من صفوف المثقفين... فالحافز الذاتي، الهدف وبشكل جزئي التأثير الموضوعي أيضاً، يتأثر في هذه الحالة حسب الفرد، بعامل الإرادة وبالقرار الذي يتخذه المرء بناءً على رؤيته الحياتية العامة، وذلك بشكل أكبر مما يحدث لأعضاء المجموعات الاجتماعية والطبقية الأخرى جميعها.^{١٣}

إلا أن روح، وبشكل صحيح تماماً، لا ينظر إلى عامل الإرادة على أنه نقطة البداية (primum movens)، بل يحاول البحث عن جذور هذا العامل في "الخلفية الاجتماعية (للمثقفين) بمفهومها الواسع".^{١٤} ويشمل ذلك، عوضاً عن الوضع الاجتماعي الحالي، الجذور (الأصل) التي تتعدى بدورها حدود العائلة لتشمل الوسط الذي قضيت إليه أيام الشباب والدراسة الجامعية، وهو ما ستبرز أهميته عندما ننتقل إلى تحليل الحركة الوطنية الفلسطينية.

وعلى الرغم من أهمية النتائج التي يقدمها لنا تحليل روح للمثقفين ودورهم، وبخاصة من خلال تطبيق جزئي لهذه النتائج في حال الحركة الوطنية الفلسطينية التي سنعالجها لاحقاً، فإنه يجدر بنا هنا إبراز حقيقة مفادها أن روح انشغل بالحركات الوطنية الأوروبية في القرن التاسع عشر. وحين ننتقل لتمحيص الحركات الوطنية في المجتمعات غير المستقلة في مرحلة التحرر القومي انطلاقاً من خمسينيات هذا القرن، تتحول تعابير الإنتلجنسيا والمثقفين إلى اصطلاحات غير دقيقة؛ فعندما يُقصد بالإنتلجنسيا كل الذين يتمتعون بتعليم عال، فإن الإنتلجنسيا كمفهوم تصبح فضفاضة.^{١٥} ولكن إذا ما اعتبرنا أن المقصود بالمثقفين الحقيقيين، المعلمون، والصحافيون والباحثون فقط، فإن المفهوم يصبح ضيقاً، وذلك لأن هؤلاء يشكلون فقط جزءاً كبيراً كان أم صغيراً، وذلك حسب المثال الذي نقدمه، من الطليعة السياسية في المجتمعات غير المستقلة.

علاوة على ذلك، فإن التبعية لمجموعة وظيفية من المثقفين ليست في حد ذاتها على درجة من الأهمية بقدر الفروق التي يمكن تسجيلها داخل مجموعة خريجي الجامعات أو الأكاديميين حسب الموضوع الذي تمت دراسته، أو حسب المهنة التي مورست فيما بعد. كما أن الجامعة التي تمت الدراسة فيها (المكان، المستوى، سمعة المؤسسة) لها أهميتها. كل هذا سيظهر جلياً أثناء دراستنا للحركة الوطنية الفلسطينية.

وهكذا يمكننا في الختام تلخيص الأمر كالتالي: الأمر الأساسي هو العمل كسياسي أو كنشيط سياسي، وليس التخصص في وظائف فكرية. لذلك، فإنه من الأفضل استخدام مصطلح "طليعة سياسية" بدلاً من "إنتلجنسيا" أثناء عملية دراسة الحركات الوطنية في المجتمعات غير المستقلة؛ أي بتعبير آخر الحركات الأيديولوجية.^{١٦} وفي المقابل

سنستخدم مصطلح " مثقف " بمعناه الضيق فقط عند الحديث عن المثقفين داخل الطليعة السياسية الذين يمارسون فقط، أو إلى حد كبير، النشاط الفكري، وذلك على سبيل المثال الصحفيون، والكتاب، وبعض قطاعات المعلمين، بالإضافة إلى أساتذة الجامعات.^{١٧}

دعونا الآن نتجه إلى مسألة البحث في الأيديولوجيات المحركة وإنتاجها من قبل مؤسسي الحركات الوطنية في سياق عملية التحرر من الاستعمار.^{١٨} هناك ثلاث مجموعات من الأسئلة تشكل جوهر الموضوع:

١. العلاقة التي تربط مؤسسي حركة وطنية بمجتمعهم، سواء فيما يتعلق بانتساب هؤلاء المؤسسين إلى إحدى الطبقات الاجتماعية الموجودة، أو على صعيد العلاقة بين الأيديولوجية الكامنة في المجتمع المذكور والأيديولوجية حديثة التشكيل وذات المعالم الواضحة لتلك الطليعة السياسية من الوطنيين.

٢. تحديد وظائف الأيديولوجية المحركة.

٣. البرامجية السياسية بمفهومها الضيق والمشمول في الأيديولوجية المحركة: أي الأهداف الملموسة التي تحاول الطليعة السياسية الوصول إليها من خلال الحركة الوطنية ومعها.

وحتى يتم فهم أو تفسير أيديولوجية معينة، فإنه من الضروري تحليلها على أساس كونها مزيجاً مركباً من العناصر الموجودة في الأيديولوجية الكامنة في مجتمع ما، والأهداف البينة لطليعته السياسية. وبكلام آخر: فحتى تستطيع أيديولوجية ما أن تكون مؤثرة، فإن عليها استيعاب المصالح القائمة للسكان بشكل عام، بالإضافة إلى مصالح معينة للطليعة السياسية والطبقة التي ننتمي إليها. ثم العمل على إخراجها في سياق آخر وتمثيلها أمام المجتمع، ومن أجل المجتمع ككل. أما كيفية حدوث ذلك باللموس، فيمكن رؤيته فقط من خلال اختبار أمثلة تاريخية معينة.

وفي خطوة تالية، علينا طرح السؤال حول وظيفة الأيديولوجيات المحركة، وهنا بالذات الأيديولوجيات الوطنية كمثال يحتذى. تتضح هذه الوظيفة من خلال الأوضاع السائدة في مجتمع ما وفي فترة زمنية معينة، أو أنها، أي هذه الوظيفة، نتاج لهذه الأوضاع.^{١٩} وحين نحاول تطبيق ذلك على النموذج الفلسطيني مع رؤية التشرذم الحاد للمجتمع الفلسطيني في الشتات بعد ١٩٤٨، فإن الوظيفة الحقيقية لأيه أيديولوجية محركة تبقى توحيد هذا المجتمع.

وفي هذا الصدد، فإن حق الأولوية في البحث يعود إلى الأسلوب والطريقة التي حاولت الطليعة الفلسطينية اتباعها لتحقيق ذلك. وقد سبق الاستشهاد بـ تورين (Touraine) مع ما طرحه من مستلزمات مركزية يجب أن تؤمنها حركة ما حتى تصبح فعالة كحركة

اجتماعية، أو حسب تعبيرنا المبني على مفهوم رودنسون كحركة أيديولوجية، وهي: الهوية والمعارضة والشمولية.

الأمر ذاته متوفر أيضاً عند رودنسون الذي يستند إلى إي ليمبرغ (E. Lemberq)،^{٢٠} ولكن بشكل أكثر تفصيلاً: وعليه، فإن التوحيد يمكن تحقيقه في حال قيام تلك الأيديولوجية بتحديد المجتمع ظاهرياً، بالإضافة إلى إظهارها لتفوقها كأيديولوجية من موقع ضعف بالذات. باختصار، حين تصبح هذه الأيديولوجية في وضع يمكنها من خلق هوية للمجتمع.

وإضافة إلى ما سبق، يأتي حشد القوى أمام ضغط خارجي، وهو الذي أطلق عليه تورين أنفاً مبدأ المعارضة. وأخيراً، وكأساس لهذا التوحيد، هناك حاجة إلى بنية أخلاقية داخلية، وذلك من خلال نظام يقوم على قيم اجتماعية سائدة. كما يجب اتخاذ إجراءات علنية للمحافظة على وحدة هذا المجتمع، أو كما هو الحال في مثالنا المطروح، خلق الوحدة أولاً.

وهنا يلعب تاريخ مجتمع ما دوراً مركزياً،^{٢١} إذ يعاد صياغته من جديد على غرار الصورة التي يكونها هذا المجتمع عن حاضره، وتكون وظيفته، أي التاريخ، تأكيد هذه الصورة كلما تطلب الأمر ذلك، بحيث يتم الربط بين النجاحات السابقة لهذا المجتمع من جهة، وحقيقة جوهره، الزوايا الإيجابية فقط، من جهة أخرى. في حين أن الهزائم التي حصلت في السابق، أو بشكل عام الظلم، وحتى السلبات كافة، فيتم إسقاطها على صورة الخصم.^{٢٢}

أما الرموز والطقوس فتؤدي وظيفة مهمة في خلق وترسيخ الوحدة الوطنية؛^{٢٣} فهي بمثابة الممثل الدائم لهوية مجتمع ما، وتشمل، بالإضافة إلى أشياء كثيرة أخرى، كالعلم الوطني، وألوانه، والألبسة الشعبية، واللغة واللهجات، بالإضافة إلى الأعياد الوطنية، ... الخ. كما تشمل الأساطير الوطنية التي يجب إبرازها هنا، حتى يتم في هذا السياق توضيح العلاقة بين التاريخ والرمزية، حيث يرى أوليفر كاريه (O Carre) أسطورة البعث من جديد ضد الإمبريالية في المقاومة الفلسطينية خير مثال لإثبات ذلك.^{٢٤} وقد جسدت أيديولوجية الكفاح المسلح هذه الأسطورة كما عبرت عنها البندقية.^{٢٥} ففي الاحتفالات بذكرى انطلاق المقاومة الفلسطينية التي استقرت فيما بعد على الأول من كانون الثاني ١٩٦٥، أي مطلع سنة جديدة، أخذت كل هذه العناصر التي سبق ذكرها لتتداخل مع بعضها البعض بشكل انسيابي: أسطورة الثورة، أسطورة الكفاح المسلح، أسطورة القوة، رموز مثل العلم، اللباس الشعبي، اللباس الموحد، ولكن، وقبل كل شيء الحطة أو الكوفية، البندقية أو السلاح، فاعلية التاريخ السياسية ... الخ.^{٢٦}

إن دراسة كيفية نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة بعد العام ١٩٤٨ تقدم لنا فرصة فريدة للتمتع بتحليل مقارن بين حركتي القوميين العرب و "فتح" ^{٢٧}. فكلتاها تدعي لنفسها الأحقية التاريخية في تأسيس الحركة الوطنية الفلسطينية وتشكيل طليعتها وقيادتها. وخلال ذلك سنحاول إبراز الصفات المميزة التي تنفرد بها كل منهما. فالتناظر يصب التأويل ويقود إلى فهم جديد ووافٍ للتطورات المختلفة. وفي الختام، فإن مثل هذه المقارنة ستمكننا من اختبار فرضيات سببية (Causal Hypothesis) تتعلق بفرص نجاح الحركات الوطنية. أما فيما يختص بالنموذج الفلسطيني، فليس بالإمكان بعد تقديم شهادة محددة حول تحقيق هدف الحركة الوطنية، وهو إقامة دولة وطنية مستقلة. إلا أننا سنحاول، قدر الإمكان، تحديد، وبشكل دقيق، كيف، وعلى أي أساس، استطاعت حركة "فتح" تحريك غالبية الشعب الفلسطيني. ومن غير ريب يبقى السؤال الذي يدور حول احتمالات النجاح التاريخية، وبخاصة في هذا السياق، على قدر كبير من الأهمية.

يحدد البرنامج السياسي لكل الحركات الوطنية التي ظهرت حتى الآن من خلال التحرر وما ينطوي عليه من إقامة دولة وطنية ذات سيادة كهدف نهائي. ^{٢٨} وهو ما يعني تحقيق، هدفين سياسيين يصعب الجمع بينهما في وقت واحد: هدف التحرر الاجتماعي، وهدف استملاك القوة السياسية واستخدامها. وفي هذا السياق لم تشذ الحركة الوطنية الفلسطينية عن القاعدة، على الرغم من أنها، ولأسباب تاريخية معينة (سننتحدث عنها في الفصول القادمة)، احتاجت إلى وقت طويل نسبياً، قبل أن تحدد إقامة دولة فلسطينية كهدف سياسي.

أما هدف هذه الأفكار النهائية، فهو تقديم إطار تعريفي لهذا النموذج التحرري المعمم دولياً، بالإضافة إلى بعض الأفكار التي تذهب أبعد من ذلك حول ممارسة السلطة أو التشكيك في هذه الأفكار. فالسياق الدولي، الذي حاولت فيه الحركات الوطنية في المجتمعات غير المستقلة تحقيق التحرر من الاستعمار، كان ولا يزال يتحدد بشكل أساسي من خلال البنية التي تمتعت بها الدولة الوطنية في النظام الدولي. ففي سياق القرن التاسع عشر قامت القوى الاستعمارية الأوروبية بتقسيم العالم غير الأوروبي إلى حد كبير بينها. ولما بدأت عجلة التحرر من الاستعمار تدور على نطاق واسع جزئياً بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن وبشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية، فإن نموذج الدولة الوطنية كان هو الغاية المنشودة:

فهو، وبلا شك، الوحيد الذي كان متيسراً كنموذج للدولة في مرحلة ما بعد الاستقلال. فأي بديل يمكن أن تقدمه حركة استقلال أو قوة استعمارية مهتمة للدولة المستقلة؟ وحتى لما كانت الحكومة في وقت الاستقلال تتألف من زعماء القبائل التقليديين، الارستقراطيين، حملة الألقاب الدينية، وحتى عند وجود كينونة وطنية، بغض النظر كيف يتم تعريفها، داخل حدود مرسومة بطريقة اعتباطية، ليس أكثر من قصة خيالية ذات طابع رسمي (على سبيل المثال نيجيريا، أو دول الخليج) وحتى في ذلك الوقت،

فقد كان مكتوباً للنموذج التنظيمي والدعائي للدولة الوطنية أن يعمم. ومن هنا، فإن نهاية الاستعمار (ليس دائماً من خلال معارضة محلية) كانت تجلب معها، كأمر ضروري، الدولة. وعلى حد سواء، فإن المعارضة للاستعمار في العالم الحديث لا تستطيع أن تكون إلا بلغة وطنية.^{٢٩}

ومن الجدير بالذكر، أن الحدود المصنعة التي أقامها الاستعمار بين الدول بقيت قائمة مع بعض التعديلات والاستثناءات. كما أثبتت الدول التي تشكلت في هذا القرن أنها، خلافاً للتنبؤات والتوقعات الكثيرة، متماسكة، صلبة العود وقادرة على البقاء. فالواقع التاريخي والسياسي المعيارى للدولة الوطنية كأصغر لبنة في النظام العالمي لعب دوراً حاسماً ابتداءً من الثورة الفرنسية وحتى اليوم، وهو ما عبر عنه ثيودور شيدر (Th. Schieder) بإيجاز شديد لا تنقصه لدعة ناقدة:

كل عمليات التحرر السياسي التي حصلت في القرنين الماضيين، سواء الليبرالي الديمقراطي، الوطني، المعادي للاستعمار، وفي نهاية الأمر الاشتراكي أيضاً، قادت بطريقة ما إلى بناء دولة، تلك الدولة المستقلة التي أصبحت رمزاً للتحرر الكامل، مهما تبدلت هذه الدولة في شكلها ومضمونها، ومهما ضعفت أهميتها الحقيقية وفي النهاية، فإن التحرر يرمز إلى تساوي واستقلالية الدول، الذي لا يمكن الوصول إليه بالفعل، إلا بالمعنى الحقوقي الشكلي فقط.^{٣٠}

وقد كان بسام طيبي العام ١٩٧٠ قد قدم الدولة الوطنية على أنها "إطار تنظيمي لسياسة التنمية"

فالأمة كتشريع لسلطة سياسية نحو الداخل والخارج والدولة الوطنية كإطار مؤسساتي... يظهران في الوقت الحاضر وكأنهما البديل التاريخي المطروح لحل مشاكل الدول المستعمرة وشبه المستعمرة بما يتناسب مع مفهومها للتحرر.^{٣١}

إلا أن تحرر الدول والمجتمعات الهامشية (غير المهمة) لم يتحقق حتى الآن. فالتحرر، كما يبرزه شيدر (Schieder) لم يتحقق إلا بالمعنى القانوني فقط، وهو ما تجسده الأمم المتحدة. فالمشاكل المادية الناتجة عن التطور المتفاوت التي شكلت أرضاً خصبة لنمو القومية والمطالبة بالدولة الوطنية، لا تزال حتى الآن بلا حل. وما أشكال المقاومة الجديدة ضد النظام العالمي السائد وتأثيراته في المناطق غير المهمة (البعيدة عن المركز)، على سبيل المثال الحركات الدينية الأصولية أو العرقية، إلا أعراض من أعراض هذا الواقع.

ولهذا، واستناداً إلى هيجل (Hegel)، فإنه لا يعقل أبداً اعتبار الدولة كهدف وحتمية تاريخية بشكل عام، أو، كما هو الحال هنا، الدولة الفلسطينية. وعلى الأقل، فإنه من المفترض هنا الإشارة إلى بعض الأفكار غير التقليدية في هذا السياق. يحتاج شتيفن هلبروك (S. Halbrook) مستنداً إلى مارتن بوبر (M. Buber):

يجوز للفلاحين الفلسطينيين، وهم الذين شردوا واستغلوا من قبل الأتراك، والإسرائيليين والدول العربية إنكار ذلك الوجه الإنساني والتقدمي للدولة...

فتزايد سلطة الدولة في الشرق الأوسط يقوي فقط العنف المؤسساتي ضد المسلمين واليهود والمسيحيين. ففلسفة مارتن بوبر الليبرالية ترفض الدولة المبنية على العرقية، كما ترفض حكم الصفوة البيروقراطية والاستعمار؛ وبدلاً من ذلك تطمح في تحقيق العالمية والتحرر الشامل لكل الشعوب من خلال تجمعات بشرية تتم إقامتها بصورة حرة. ومن يدري، فربما ينظر إلى هذا الحل الخيالي في يوم ما كشرط واقعي للسلام في الشرق الأوسط.^{٣٢}

وفي حين تشكك هذه الأفكار وبشكل راديكالي بالبنية الحاضرة للنظام الدولي، يحصر دان دينر (D. Diner) جدله، إلى حد ما، داخل بوتقة هذه التركيبة السائدة للسلطة. إلا أنه، وبالنظر إليها من الداخل، يتشكك في واقعيتها، وذلك حين يستثنى الأمة كمصدر شرعية للسلطة كحل للمشاكل في فلسطين/إسرائيل.

من هنا تنبثق أهمية صياغة تصور جماعة ما بحيث يُعترف لكلتا القوميتين، بغض النظر عن العلاقة بين الغالبية والأقلية، بنفس الحقوق القومية الجماعية؛ أي الطموح إلى ثنائية قومية مبرمجة.

وانطلاقاً من نظرية الدولة، فإن الأمر يتعلق هنا بتجريد الوطنية من السياسة، والفصل بين السلطة وتلك الخواص الوطنية ...

الشيء نفسه "كما في أوروبا عندما تحقق الفصل بين السلطة والدين، إذ تحول الدين إلى شأن خاص"، يجب أن يحدث للصراع في فلسطين، ولكن هنا مع القومية. ولأن خواصها غير قابلة للتخصيص...، كونها مظاهر خارجية للاتصال الاجتماعي، لذلك لا يمكن استدخالها. فتجريدها من السياسة يمكن أن يتحقق فقط من خلال ضمان بقائها كشكل حياتي. فضمن حقوق الوطنيات يعادل تجريدها من السياسة، تماماً كما كان ضمان حرية الدين يعادل تجريد الدين من السياسة.^{٣٣}

ومثل هذه الأفكار ليست بالجديدة، فقد كان هانز كوهن (Hans Kohn) قد عبر عنها العام ١٩٤٨:

تجريد شبيه للوطنية من السياسة هو أمر يمكن تخيله. فقد تفقد صلتها بالتنظيم وقد تحول إلى مشاعر حميمة محرقة. وحين يأتي ذلك اليوم، الذي يظهر فيه هذا، فإن زمن الوطنية، كما تمت مراعاتها هنا، يكون قد ولى.^{٣٤}

ويشير شتيفان كراسنر (S. Kranser) في مقالة له ظهرت العام ١٩٨٨ إلى خطر الحرب الذرية وما تحمله في طياتها من إمكانيات إبادة لكل ما هو حي، بالإضافة إلى المشاكل الاقتصادية المتفاقمة، التي بالكاد، تجد حلاً لها في إطار الدول الوطنية بعد. ومن هنا يخرج بنتيجة أنه: "لم يعد مسلماً به أن نظام الدول هو الشكل التنظيمي

الأفضل للحياة السياسية.^{٣٥} إلا أن تحليله هذا للدولة الوطنية ذات السيادة لا يلبث أن يقوده إلى الخاتمة التالية:

إن التأثير الواسع للدولة وذلك في لغة صلاتها بالوحدات الاجتماعية الأخرى، إضافة إلى تأثيرها العميق الذي يعكس نفسه في الجنسية ذاتها كمفهوم يشكل قاعدة أساسية للهوية الشخصية، يجعل التخلص منها شبه مستحيل ...

فالدولة ذات السيادة تشكل في النظام الدولي المعاصر الأسلوب الوحيد المعترف به دولياً في تنظيم الحياة السياسية. بل إنه أضحى من الصعب حتى تخيل بدائل ممكنة. فالتراث التاريخي لتطور نظام الدول ترك بنياناً مؤسساتياً قوياً لا يمكن التخلص منه بسهولة، بغض النظر عن الأوضاع المتغيرة في المحيط المادي.^{٣٦}

وعلى ضوء الانتفاضة الحاصلة في المناطق الفلسطينية المحتلة من إسرائيل، فإنه لا يوجد اليوم حل معقول للقضية الفلسطينية سوى دولة مستقلة في الضفة الغربية، قطاع غزة والقدس الشرقية، جنباً إلى جنب مع إسرائيل كدولة مستقلة داخل حدود ١٩٦٧، على الرغم من أن هذا الحل ربما كان بعيداً عما يطمح إليه الكثيرون.^{٣٧}

الهوامش

- ^١ تورين (Touraine, 1974)، ص ١٧٥.
- ^٢ المصدر نفسه، ص ١٩٩.
- ^٣ رودنسون (Rodinson, 1972)، ص ١٣٧.
- ^٤ برينغتون مور (Barrington Moore, 1982)، ص ٦٢٢ وما يتبع.
- ^٥ تم استخدام هذا التعبير من قبل رودنسون (Rodinson, 1972)، انظر أيضا رودنسون (١٩٧٥)، ص ٥٧١-٥٧٥.
- ^٦ رودنسون (Rodinson, 1975).
- ^٧ هروخ (Hroch, 1968)، ص ٢٢.
- ^٨ هروخ (Hroch, 1965)، ص ٢٣٠-٢٣٢.
- ^٩ هروخ (Hroch, 1971)، ص ١٢١-١٣٩.
- ^{١٠} هروخ (Hroch, 1965)، ص ٢٣١.
- ^{١١} المصدر نفسه، ص ٢٣٠-٢٣٢.
- ^{١٢} المصدر نفسه، ص ٢٣٢.
- ^{١٣} المصدر نفسه، ص ٢٣٢.
- ^{١٤} المصدر نفسه، ص ٢٣٢.
- ^{١٥} انظر: روستوف (Rustow, 1966)، ص ٧٠٧.
- ^{١٦} اقتبست مفهوم "النخبة السياسية" (élite dirigeante) من تورين (Touraine, 1976)، ص ٩١-١١٢، هنا ص ٩٣، بشكله المعدل ليتم تطبيقه ليس على الدول فحسب، وإنما على الحركات الوطنية قبل وصولها إلى الدولة أيضاً. وحسب رأيي فإنه يصف على أفضل وجه القادة والنشطاء السياسيين للحركات السياسية التي يتم اختيارها هنا.
- وفي ذلك، تتم المقارنة مع هيب (Hopp, 1982)، ص ١٥٥ (وما يتبع) الذي يتحدث عن "قوى قيادية ذات الأصول البرجوازية الصغيرة في الدول النامية"، التي يضعها في خانة "برجوازية صغيرة ما بين الطبقات". ويبدو أن المقصود هنا، من حيث المضمون، لم يكن سوى الشيء نفسه الذي أطلقت عليه صفوة سياسية. أما المخاوف التي تنتاب كثيراً من الماركسيين كلما تمثل لهم مفهوم "صفوة"، وبخاصة أنهم يرون في ذلك مفهوم الصفوة عند باريتو (Pareto) وموسكا (Mosca)، فليس من الممكن التعرض له هنا. وفي هذا السياق، نود أن نشير إلى العمل الذي قام به بوتومور (Bottomore, 1983)، ص ١٤٥-١٤٦، إذ يقول: "إن النظرية السياسية الماركسية لا تزال بحاجة لتطوير مفهوم أكثر دقة للصفوات، واختبار العلاقة بين الصفوات والطبقات بشكل أكثر فهماً وحدة..." (ص ١٤٦). انظر أيضاً العمل القديم المؤلف لبوتومور (Bottomore, 1964)، بالإضافة إلى مراجعة لـ روستوف (Rustow, 1966).
- ^{١٧} في هذا السياق، يجب ذكر كتاب الاتس (Alatas, 1977)، الذي يشير إلى "غياب المجموعة المثقفة العاملة في الدول النامية" (ص ٤٨) "عدم وجود بنية تحتية للنشاط الثقافي" (ص ٥٠). بالإضافة إلى ذلك، يوضح الاتس أن دور غاندي ونهرو، على سبيل المثال، لم يكن دور المثقف، بل السياسي، بحيث يأخذ الاتجاه نفسه الذي سرنا به من حيث استخدام صفوة سياسية بدلاً من مثقفين. قارن أيضاً طيبي (١٩٨١)، ص ١٢١-١٤٣ حول المسألة على خلفية "ثقافة إسلامية مستغربة"، وبخاصة بالنسبة للطلاب. انظر هنا أيضاً الفصل الثاني - الجزء الأول، والفصل الثالث - الجزء الأول.
- ^{١٨} في ما يلي أستند بشكل وثيق إلى رودنسون. فالأفكار المطروحة هنا ليس المقصود منها اقتفاء أثر الأصالة، بل تهدف إلى تطوير تساؤلات تساعد على اختبار الحركة الوطنية الفلسطينية، وتمكن من عقد مقارنة مع حركات أخرى أيضاً.

- ^{١٩} رودنسون (Rodinson, 1975)، ص ٥٧٢.
- ^{٢٠} المصدر نفسه، ص ٥٧٤ استناداً إلى ليمبرغ (Lemberg, 1964).
- ^{٢١} المصدر نفسه، ص ٥٧٣.
- ^{٢٢} هذه الوظيفة التي يلعبها التاريخ في إطار الأيديولوجية المحركة مهمة بشكل خاص من أجل القيام بتحليل للحركة الوطنية الفلسطينية. ثم أليست هذه (الوظيفة) بالفعل سوى النقطة التي يتقاطع فيها المعنى السلبي لمراى ومظهر الفريد واللامألوف (على سبيل المثال الوصف الشائع "مخربون") الذي يحاول الخصوم (وبخاصة إسرائيل/ الحركة الصهيونية) إلصاقه بها بالمعنى الإيجابي الذي تدعيه الحركة لنفسها.
- ^{٢٣} رودنسون (Rodinson, 1975)، ص ٥٧٣.
- ^{٢٤} كاريه (Carré, 1972).
- ^{٢٥} ولتوضيح أهمية ذلك، وبشكل خاص ومباشر في سياق عملية اختبار علمية سياسية، ربما كانت تلغي الإشارة إلى المشكلة التي تعاني منها في الوقت الحاضر الطليعة السياسية الفلسطينية في ما يتعلق بنشاطاتها السياسية: فالسياسة التي تقوم على محاولة السعي لإيجاد حل سياسي، تقتضي بالضرورة الطلاق من أسطورة الكفاح المسلح، أو حتى استبداديته. إلا أنه، وفي الوقت عينه، تشكل هذه الأسطورة القاعدة الشرعية لزعامه م. ت. ف بقيادة عرفات. انظر لذلك كاري (Carré, 1984)، الذي ينتقد عرفات نظراً لعدم قدرة هذا الأخير على حل هذا الإشكال بشكل واضح. وهنا، تأتي الانتفاضة المستمرة منذ العام ١٩٨٧ لتحديث هنا تغييراً جذرياً. انظر: باومجارتن (Baumgarten, 1990)، ص ٢٠٧-٢٢٨.
- ^{٢٦} وهنا، كمثال نورد، كيف حددت "فتح"، في ما بعد، الأول من كانون الثاني انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة، على الرغم من ظهور مقال حول "فتح" في صحيفة المجاهد الجزائرية بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٥، تحت عنوان "الأول من تشرين الثاني الفلسطيني"، إذ كتبت الصحيفة تقول: "الثورة الفلسطينية، التي بدأت في ٨ كانون الثاني... نحن، ثورة الأول من تشرين الثاني، ندعم، بعزم وطيد، رفاقنا في العروبة بالسلاح، ثورة الثامن من كانون الثاني، حتى تبقى شعلة الثورة الفلسطينية مستمرة حتى النصر". مقتبس، حسب القيادة العامة لقوات العاصفة. الأيام الثمانون الأولى من حياة العاصفة (بالإنجليزية)، (آذار ١٩٦٥)، ص ٢. ولكن، كيف فرضت هذه الأسطورة ذات النشأة الحديثة، نفسها على المجتمع الفلسطيني، وبالذات طليعته السياسية. هذا ما سيوضحه لنا الاقتباس التالي من نشرة للجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تعود إلى كانون الثاني ١٩٨٥:
- "مع مطلع العام ١٩٨٥، يحتفل شعبنا الفلسطيني، وقواته الثورية الوطنية، وكل قوى التقدم والتحرر العالمية في العيد العشرين لانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة".
- ^{٢٧} حول الإمكانيات، بالإضافة إلى المحاولات المختلفة لعقد اختبارات مقارنة، انظر مجموعة أعمال سكوك بول (Skocpol, 1984). خاصة سكوك بول (1984a)، ص ٣٥٦-٣٩١.
- ^{٢٨} برويلي (Breuille, 1982)، بلاشكة (Blaschke, 1984)، ص ١٠٩-١٢٤، تيلي (Tilly, 1985)، ص ١٦٩-١٩١، كراسنر (Krasner, 1988)، ص ٦٦-٩٤.
- ^{٢٩} زبيدة (Zubaida, 1978)، ص ٦٠.
- ^{٣٠} شيدر (Schieder, 1969)، ص ٤٧.
- ^{٣١} طيبي (١٩٧١)، ص ٤٨.
- ^{٣٢} هالبروك (Halbrook, 1982)، ص ١٩٥-١٩٦.
- ^{٣٣} دينر (Diner, 1982)، ص ١٥٧-١٥٨.
- ^{٣٤} كون (Kohn, 1948).
- ^{٣٥} كراسنر (Krasner, 1988)، ص ٦٧.
- ^{٣٦} المصدر نفسه، ص ٩٠.
- ^{٣٧} انظر، بالإضافة إلى ذلك، Special Report 1988. Towards a State of Independence. Jerusalem: JMCC. بشكل عام حول مسألة الدولة "The Question of the State"، وبخاصة في ما يتعلق بوضع "التحرير في إطار دولة" كرين دورف (Krippendorff, 1985)، وبخاصة ص ١٣٩-١٥٦.

الفصل الأول

في أعقاب النكبة

في أعقاب النكبة

لقد شكلت كارثة العالم ١٩٤٨، أو ما يسمى بالنكبة، خاتمة الهزائم التي منيت بها الحركة الوطنية الفلسطينية في عهد الانتداب،^١ إذ أن هذه الحركة، التي وقف الحاج أمين الحسيني على رأسها، لم تتمكن من تحقيق هدفها السياسي المتمثل في إقامة الدولة الوطنية المستقلة. فبريطانيا العظمى ذات السياسة الإمبريالية في المنطقة، والحركة الصهيونية التي وجدت في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين سبباً لوجودها، بالإضافة إلى الأمير الهاشمي عبد الله وخطته التوسعية اتجاه شواطئ البحر المتوسط أثبتوا أنهم الأقوى، ومعاً استطاعوا تحقيق مصالحهم في فلسطين.^٢ فبدلاً من فلسطين، ذلك البلد الذي انتدبت بريطانيا للصداية عليه، أصبح هناك إسرائيل، الدولة اليهودية، والمملكة الأردنية الهاشمية. أما قطاع غزة، فقد تم وضعه تحت الإدارة العسكرية المصرية.

لقد مُزّق المجتمع الفلسطيني في العام ١٩٤٨ إلى أشلاء صغيرة تناثرت هنا وهناك؛ فقد تواجد الفلسطينيون كأقلية عربية في إسرائيل، كأردنيين (منذ ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ عندما ضمت الضفة الغربية رسمياً من قبل الأردن) في المملكة الأردنية الهاشمية، ولكنهم في الغالب عاشوا كلاجئين على هامش الأحداث في الدول العربية المحيطة بإسرائيل مثل لبنان، وسوريا، والأردن وفي قطاع غزة بشكل أساسي.^٣

هكذا شكلت النكبة نقطة التصدع المركزية في التاريخ الفلسطيني في القرن العشرين. فعدم التواصل كانت الصفة المميزة للتجربة الفلسطينية. إلا أن هذه الطبقة من الجزور والكسور وعدم التواصل كانت تخفي تحتها نوعاً من الاستمرارية في التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع الفلسطيني. أما نقاط الاستمرارية هذه فتستكون موضع اهتمام الفصل التالي، الذي يعالج أيضاً الأسس التاريخية والخطوط التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨، أي تلك التنظيمات التي شكلت م.ت.ف. بعد العام ١٩٦٨.

وللإجابة عن السؤال حول تأثيرات الهزيمة التي منيت بها الحركة الوطنية الفلسطينية، على الحركات الوطنية الجديدة التي نشأت بعد العام ١٩٤٨، علينا أولاً أن ندرس الخلفية الاجتماعية للحركة الوطنية بقيادة الحاج أمين. كما يجب اختبار نشاطها السياسي، ونجاحاتها، وهزائمها بالإضافة إلى أهم خصومها. وأخيراً، ستتبلور أسباب نكبة العام ١٩٤٨. وقد يكون مغرياً القيام بذلك من خلال عقد مقارنة مع تاريخ وتطور الحركة الوطنية السورية في ظل حكم الانتداب الفرنسي. ولأن الحركة الوطنية الفلسطينية لم تعثر بعد على أناس أمثال حنا بطاطو،^٤ أو فيليب خوري،^٥ فإن هذا يجب أن يأتي غالباً على شكل فرضيات أو حوافز تقود إلى تساؤلات جديدة ونقدية قبل كل شيء. فاهتمام البحث ينصب على التركيز على مجموعة من الأسئلة محالاً توضيحها: إلى أي مدى يمكن اعتبار التطور التاريخي الفلسطيني جزءاً من التطور التاريخي في منطقة سوريا؟ وإلى أي مدى يستطيع هذا التطور أن يشق لنفسه طريقاً فلسطينياً خاصاً به؟.

في خطوة ثانية سنقوم بتحليل النكبة كآخر تجربة أثرت في الفلسطينيين جميعهم على حد سواء، ليس فقط في تجاربهم الشخصية، وإنما في الوعي الجماعي أيضاً. وهنا يحتل السؤال عن الهوية الفلسطينية، وبالتالي الأيديولوجيات التي تغذيها، مكاناً مركزياً. كما تبرز هنا مشكلة بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية الذاتية. وما نلبث أن نجد أنفسنا واقفين وجها لوجه مع كنه الكارثة الفلسطينية في العام ١٩٤٨، حيث تكمن جذور المعضلة السياسية الفلسطينية المعاصرة والمستمرة منذ سنوات دون علاج. أما المعضلة فيقصد بها الجمع بين التحرير وبناء الدولة، والفرضية أن فشل "حكومة عموم فلسطين" التي شكلها الحاج أمين، لا تزال تؤثر بلا انقطاع على السياسة الفلسطينية حتى اليوم.

وأخيراً، علينا رؤية النكبة كعملية تشتيت وتجزئة وتهميش للمجتمع الفلسطيني. لكن أية لحظات في مسيرة تطور المجتمع الفلسطيني تحت الانتداب تلقي أضواء جديدة على البعد الاجتماعي لهذه الكارثة؟ ثم إلى أي حد تمكنت النكبة من غرس بذور التنشئة لطليعة اجتماعية وسياسية جديدة؟ ما هو تأثير هذا التكيف الاجتماعي في الشتات (وبخاصة في لبنان والكويت) على الطليعة السياسية الجديدة، وكيف ما زال يؤثر حتى يومنا هذا؟.

أولاً: هزيمة الحركة الوطنية الفلسطينية بقيادة الحاج أمين الحسيني

كسبب لهزيمة الحركة الوطنية بقيادة الحاج أمين الحسيني، يتم بشكل خاص التركيز على "الضعف في تركيبة المجتمع الفلسطيني"^٦ وما ارتبط به بشكل وثيق من غياب كامل لقيادة الحركة الوطنية في العامين ١٩٤٧ و١٩٤٨، حيث كانت هذه في المنفى خارج البلاد. وقد سلك فيليب مطر هذا السبيل في كتابه الجديد عن الحاج أمين، عندما تحدث عن المجتمع الفلسطيني في عهد الانتداب "كمجتمع زراعي ضعيف وغير متطور"، لم تتمكن "قيادته التقليدية" العاجزة من بناء هيكلية تنظيمية تتناسب مع متطلبات الوضع الصعب في ذلك الوقت.^٧

وإذا ما ألقينا نظرة على المجتمع الفلسطيني في منتصف الثلاثينيات، تترأى لنا الصورة التالية^٨: على قمة الهرم الاجتماعي تتربع حوالي ٢٥٠ عائلة تمثل في غالبيتها وجهاء المدن والأعيان. أما مصدر قوتها فقد تقاسمتها الأراضي الشاسعة التي يمتلكونها، بالإضافة إلى المراكز القيادية التي احتلوها في الإدارات الدينية والمدنية في فلسطين، فقد وقفوا، على سبيل المثال، على رأس تجمعات دينية مختلفة بالإضافة إلى مراكز في المدينة أو الإقليم أو على رأس بعض الحمايل.

وقد كانت عملية تركيز القوة في أيدي وجهاء المدن قد بدأت من قبل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو ما عملت حكومة الانتداب البريطاني على تقليصه إلى حد كبير، وذلك بسبب اعتماد الوجهاء على إدارة الانتداب، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور المادية. فكل محاولة للقيادة الفلسطينية لتخطي الحدود المرسومة لها من قبل البريطانيين، كانت تؤاد في مهدها. وأفضل مثال على ذلك النادرة التي تروى عن محاولة الحاج أمين تخطي الصلاحيات الممنوحة له كرئيس للمجلس الإسلامي الأعلى، ومن ثم انتزاع تنازلات من قبل البريطانيين، التي تصور الوضع بطريقة معبرة:

عندما أخبر المفتي في إحدى المناسبات اللورد بلومر بأنه لن يتحمل مسؤولية العمل العربي حتى يتم تقديم تنازلات معينة، وضع اللورد نظارته على عينيه بطريقة مميزة، ونظر إلى المفتي نظرة حادة لا هودة فيها، ثم قال: صاحب السمو، ليست هناك حاجة لأن تكون مسؤولاً، فأنا المسؤول عن استتباب الأمن والنظام في فلسطين.^٩

فوجهاء فلسطين، ومن كان على شاكلتهم في أماكن أخرى، وبخاصة في سوريا، شكلوا بالنسبة للمشرق طبقة خاصة مميزة أطلق عليها فيليب خوري لقب "طبقة كبار ملاكي الأراضي البيروقراطية".^{١٠}

في كلتا المنطقتين كانت تتواجد طبقة وجهاء مدنية نشطة (active urban notability)، تستمد القوة والتأثير من خلال السيطرة على دوائر الحكومة

المحلية والمعاهد الدينية، بالإضافة إلى الاغتناء عن طريق امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي والتعامل بالربا في المناطق القروية.^{١١}

فالطليعة السياسية في عهد الانتداب، التي وصل عددها حسب تقديرات بوراث (Porath) إلى حوالي ٣٠٠٠ نشيط سياسي،^{١٢} كانوا ينحدرون دون استثناء تقريباً من طبقة كبار ملاكي الأراضي البيروقراطية. هذه الطبقة كانت ترى في نفسها الممثل الشرعي للسكان، وعلى هذا الأساس كان يتم التعامل معها بشكل عام. ولا ريب أن المكانة الاجتماعية التقليدية، قد لعبت دوراً بارزاً في هذا المجال.^{١٣} ضمت هذه الطليعة أيضاً مشايخ القرى الذين استمر مصدر قوتهم التقليدي في الانحسار شيئاً فشيئاً منذ منتصف القرن التاسع عشر. وعلى الرغم من ذلك، احتفظ هؤلاء بموقع اجتماعي مهم: "فالمحافظة على الأقاليم الفرعية (Subdistrict) منحت هؤلاء الشيوخ الذين يقفون على رأسها قوة سياسية جعلت منهم عنصراً في الصراع على القيادة داخل المجتمع العربي الفلسطيني". في حين ازداد عدد وتأثير أصحاب المهن الأكاديمية، وبخاصة الحقوقيين منهم بعد العام ١٩٢٩، إلا أن الغالبية، بلا ريب، كانت تنتسب لتلك العائلات المعروفة.

في حين تواجدت في الوسط الضيق للهرم الاجتماعي الطبقة الوسطى المدنية التي كانت تتركز بشكل خاص في المدن الساحلية ذات الكثاثر السريع، بالإضافة إلى القدس. وفي هذا السياق يعيدنا شولش (Schoelch)^{١٤} إلى القرن التاسع عشر، حيث البرجوازية التجارية الجديدة التي بدأت تتطور ببطء في مدن الساحل والقدس، وتشكلت بشكل خاص من مسيحيين محليين، لبنانيين ويهود، بالإضافة إلى أوروبيين، ومن وقع تحت حمايتهم. أما الحصة الفلسطينية في هذه "البدايات الأولى للبرجوازية"، فقد أعيق تطورها كنتيجة للتنافس اليهودي المتزايد، وهو ما عانى منه أيضاً التجار وأصحاب الحرف والمشاريع الصغيرة في كل المدن المهمة في فلسطين، وإلى الطبقة الوسطى يمكن إلحاق شريحة صغيرة من الفلاحين الأثرياء التي كان يتشكل منها تقليدياً مشايخ القرى.^{١٥} أما طبقة المثقفين، الإنتلجنسيا، فقد امتدت أصولها إلى الطليعة المنحدرة من وجهاء المدن، أو الطبقة الوسطى في المدينة، وبشكل أقل في القرية.

أما القاعدة العريضة جداً في أسفل الهرم، فقد تشكلت من الفلاحين الصغار، ومستأجرين، وعمال زراعيين، بالإضافة إلى فقراء المدن الذين يتبعهم كل من الطبقة الدنيا المدنية، وتلك الأعداد المتزايدة من الفلاحين المعدمين الذين تركوا الريف واتجهوا صوب المدينة بحثاً عن عمل. فقد كون هؤلاء مجموعات بشرية عاشت، إلى حد كبير، على هامش الأحداث في المدن الساحلية الفلسطينية "مقتلعون من قواهم الأصلية، دون أن يتم استيعابهم في التجمعات الحضرية الجديدة".

وفي العشرينيات من هذا القرن بلغ عدد سكان فلسطين (باستثناء اليهود منهم) حوالي ٦٦٠ ألف نسمة، وأقل بقليل من المليون في منتصف الثلاثينيات، و١،٣ مليون حسب إحصاء العام ١٩٤٦. سكن المدن بشكل أساسي المسيحيون، فقد عاش ٧٥٪ من مسيحيي فلسطين في المدن. أما نسبة السكان اليهود الذين استوطنوا في المدن فقد بلغت ٨٢٪. في المقابل عاش فقط ٢٣٪ من الفلسطينيين في المدن، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن نسبة القاطنين من السكان عامة في المدن قد بلغت ٣٥٪. الأغلبية العظمى من سكان الريف كانوا من المسلمين والدروز.^{١٦}

وفي الوقت الذي بدأت فيه أهمية وتأثير القدس بالتزايد تدريجياً متحولة إلى مركز للنفوذ الاجتماعي والسياسي منذ نهاية القرن التاسع عشر، كان الولاء الاجتماعي والسياسي في المجتمع الفلسطيني مبنياً بشكل عمودي، بحيث كانت العائلات الكبيرة تقف دائماً على رأس السلم، ما مكن عائلات القدس العريقة من لعب دور حاسم على مستوى فلسطين ككل في عهد الانتداب،^{١٧} بحيث أضحت الصراع الرئيسي داخل المجتمع الفلسطيني صراعاً على النفوذ بين عائلات القدس المشهورة، وبالذات عائلي الحسيني والنشاشيبي. هذا الشقاق (Factionalism) شكل السبب الرئيسي للضعف الذي طرأ على تماسك المجتمع الفلسطيني. وهو يشير إضافة إلى ذلك إلى إشكالية تكوين مجتمع وطني.^{١٨}

في المقابل، كان التناقض بين القرية والمدينة أمراً ثانوياً.^{١٩} الأمر نفسه ينطبق على الصراع الذي كان في طور النشوء بين المناطق الفلسطينية المختلفة ومراكزها المدنية، وبين القدس ذات الوضع المسيطر على مستوى البلاد ككل.^{٢٠}

أما الاختلاف بين الأقلية المسيحية (١٠٪) والأكثرية المسلمة، فقد حاول كلا الطرفين، وبوعي، تقليصها، "وذلك حتى لا يلحق الضعف بالجبهة المشتركة ضد الصهيونية. وقد كانت التسميات التي أطلقتها على نفسها تنظيمات الحركة الوطنية المحلية للحركة الوطنية (الاتحادات الإسلامية المسيحية أ.س.م) مميزة لهذه المحاولات وناجحة إلى حد ما".^{٢١}

وقيل أن نستعرض عن قرب سياسة الحركة الوطنية، يجب التأكيد على أننا في هذه المرحلة لم نتعامل قط مع حركة وطنية منظمة بشكل فعال، بل مع مجموعة من التنظيمات المختلفة كانت تحل الواحدة منها محل الأخرى بتلاحق زمني لا ينظمه قانون. ففي العشرينيات سيطرت الاتحادات الإسلامية المسيحية التي كان يقف على رأسها اللجنة التنفيذية العربية بزعامة الوجيه المقدسي موسى كاظم الحسيني ومقرها القدس.^{٢٢} وفي بداية الثلاثينيات حل محلها مجموعة من الأحزاب التي تأسست حديثاً، والتي تنافست فيما بينها على قيادة الشعب الفلسطيني، وفي مقدمتها الحزب العربي

الفلسطيني المرتبط بعائلة الحسيني وحزب الدفاع الوطني المرتبط بعائلة النشاشيبي. وأخيراً، وفي العام ١٩٣٦ أنشئت الهيئة العربية العليا التي مثلت فيها كل الأحزاب الفلسطينية الستة المتواجدة تقريباً. فكانت بذلك المنظمة "الوطنية" الأولى بعد الاتحادات الإسلامية المسيحية أو اللجنة التنفيذية العربية التي ما لبثت أن تفككت نهائياً العام ١٩٣٤ بعد وفاة موسى كاظم الحسيني. أما قيادة الهيئة العربية العليا، فقد كانت من نصيب الحاج أمين الحسيني مفتي القدس والقائد الوطني الذي تمتع بأوسع تأييد في طول البلاد وعرضها. ركزت المؤسسات التي سبق ذكرها في محاولات السياسية لنيل الاستقلال وإنهاء المشروع اليهودي-الصهيوني الاستعماري في فلسطين على "خليط من احتجاج شعبي غير متواصل، ودبلوماسية، بالإضافة إلى نشاط على المستويين المحلي والدولي".^{٢٣} الأمر نفسه ينطبق على السياسة التي اتبعها الحاج أمين كمفتي للقدس منذ العام ١٩٢١، وكرئيس للمجلس الإسلامي الأعلى منذ ١٩٢٢، ليصبح الزعيم السياسي للفلسطينيين بعد العام ١٩٢٩.^{٢٤}

وبذلك، فإن الحركة الوطنية الفلسطينية لم تختلف، ولا بأي شكل من الأشكال، عن الحركة الوطنية السورية، لا فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية (وجهاء المدن)، ولا فيما يتعلق بشكل نشاطهم السياسي (إضرابات، مذكرات احتجاج، إرسال الوفود إلى المؤتمرات المحلية والدولية، المحاولات الدبلوماسية على المستويين المحلي والدولي).

فالتشابه بين الحركة الوطنية السورية والفلسطينية يظهر أيضاً من خلال ميزة أخرى، شكلت في حال الحركة الوطنية الفلسطينية باستمرار، سبباً حاسماً في هزيمتها أمام التحدي الصهيوني، ألا وهو الشقاق داخل الحياة السياسية.

قادة المدينة كانوا متجانسين في الشعور بالانتساب إلى طبقة معينة، وليس هناك خلافات خطيرة حول المسائل العرقية، أو الدينية، أو اللغوية أو أية تصنيفات أخرى. لكن لأنهم يشعرون نسبياً بالأمان في موقعهم على القمة السياسية، كان إحساسهم بواجب المحافظة على الصفوف مرصوفة، وتوضيح المصلحة العامة في القضايا السياسية الحرجة ضعيفاً. وعليه، فإن التحالفات بين زعامة المدن كانت نادرة الثبوت. واقع الأمر أن الشقاق الكثيف (intense factionalism)، والتحالفات المتغيرة (shifting alliances) قد ميزت ذروة الحياة السياسية في سوريا وفي فلسطين أيضاً، هذا ما يجب إضافته.^{٢٥}

وبلا شك، فإن الشقاق الفلسطيني قد أتاح للقوى المنافسة في فلسطين أفضل الفرص لتحقيق مصالحها وفقاً للفلسفة الاستعمارية المعروفة (فرق تسد). فقد قامت الحركة الصهيونية وعملاؤها من أجل وضع مكانة الحاج أمين برشوة وجهاء المدن الواحد تلو الآخر للحصول على الشرعية الفلسطينية شراءاً أو قسراً، الأمر الذي ينطبق أيضاً على نشاطات الأمير عبد الله.^{٢٦} وخلافاً للحركة الوطنية السورية التي حققت في

نضالها ضد الحكومة الفرنسية الاستقلال العام ١٩٤٥، اختفت فلسطين، كوحدة سياسية عن الخارطة العام ١٩٤٨.

دعونا نلقي نظرة سريعة على الإضراب السوري العام الذي حصل في الفترة من كانون الثاني وحتى آذار ١٩٣٦، وأخرى على الإضراب الفلسطيني العام في الفترة الواقعة ما بين نيسان - تشرين الأول ١٩٣٦ حتى يتضح الفرق الحاسم في وضع كلتا الحركتين الوطنيتين:

ما كان كافياً في سوريا التي كانت عربية بشكل شبه كلي، لم يكن من الممكن أن يحقق نجاحاً في فلسطين، إذ أن اليهود لم يستمروا فقط في العمل، ولكنهم استفادوا أيضاً من الإضراب العربي، وذلك من أجل القيام بخطوات مهمة نحو تحقيق هدفهم في إقامة اقتصاد يعتمد على الاكتفاء الذاتي.^{٢٧}

وفي الوقت الذي أجبر فيه السوريون الحكومة الفرنسية من خلال إضرابهم هذا على الوصول إلى تفاهم مع الحركة الوطنية السورية والدخول في مفاوضات معها،^{٢٨} انتهى الإضراب الفلسطيني الذي استغرق ستة أشهر، دون تحقيق أبسط المطالب، والقاضي بوقف الهجرة اليهودية. فالفلسطينيون نوهوا مرات عديدة إلى عدم صلاحية وعد بلفور، وإلى حقيقة أنهم لم يوافقوا يوماً ما على بسط الانتداب عليهم، وذلك لأنه يتعارض مع مبدأ حق تقرير المصير المعترف به دولياً. ومن هنا جاءت المطالبة بإنهاء حكم الانتداب وإقامة حكومة فلسطينية مستقلة.^{٢٩}

من جهتها ردت بريطانيا العظمى على ذلك بمشروع التقسيم لعام ١٩٣٧، وعلى أساسه يتم تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية. هذا الأمر كان بمثابة الشرارة التي أشعلت الثورة العربية في فلسطين، حيث ثارت أولاً جماهير الفلاحين، ومن ثم قيادة الوجهاء في المدينة ضد التقسيم وضد الانتداب وضد الاستيطان الصهيوني في أرضهم. إلا أن بريطانيا العظمى عملت على قمع هذه الثورة التي عمت البلاد بعنف.^{٣٠}

وقد كانت قبل ذلك في أيلول ١٩٣٧، قد وجهت ضربة إلى زعماء الحركة الوطنية. فاعتبرت اللجنة العربية العليا خارجة عن القانون ونفت بعض زعمائها إلى سيشل إضافة إلى اعتقال ٢٠٠ آخرين منهم. أما الحاج أمين فقد كان قد نجا في تموز من اعتقال محقق، وذلك بالتجائه إلى الحرم الشريف، حيث استطاع من هناك الهرب في جنح الظلام إلى لبنان.^{٣١}

كان الفرق الحاسم في الظروف التي عملت فيها الحركتان الوطنيتان السورية والفلسطينية، وجود الحركة الصهيونية في فلسطين، بالإضافة إلى وعد بلفور الذي تعهدت بريطانيا العام ١٩١٧ بموجبه بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. هذا

التعهد أدخل العام ١٩٢٠ في النص الرسمي لصك الانتداب.^{٣٢} ففي حين تحول الإضراب العام في سوريا العام ١٩٣٦ إلى نجاح كبير لكتلة الوطنيين:

مكن قيادة الكتلة، وفي أقل من شهرين من إنقاذ إستراتيجية "التعاون المشرف". بالإضافة إلى ذلك، فإن الكتلة كانت قادرة على وضع إستراتيجيتها على أرض صلبة. فالتعاون المشرف أصبح يعني الآن حق الكتلة في المشاركة في الحكم مع الفرنسيين.^{٣٣}

في المقابل، فإن الإضراب العام في فلسطين العام ١٩٣٦، والثورة الشعبية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) شكلتا بداية النهاية للحركة الوطنية.^{٣٤}

ففي الوقت الذي قاد فيه الإضراب العام في سوريا في النهاية إلى الاستقلال، فإن فشل التمرد الفلسطيني قد أرسى الحجر الأساس للنكبة، وعطل قيام دولة خاصة بالفلسطينيين. كما كلف التمرد ما يزيد على ٣٠٠٠ قتيل، بالإضافة إلى قيام حكومة الانتداب بإعدام ١٠٠ من الثوار، عوضاً عن ٦٠٠٠ شخص قبعوا في السجون العام ١٩٣٩،^{٣٥} فقد دمرت، ولسنوات عدة قدرة المجتمع الفلسطيني على المقاومة من النواحي السياسية والاجتماعية وأخيراً العسكرية. فالحركة الوطنية التي ارتبطت، بحكم طبيعة تركيبها، مباشرة بقيادتها، هزمت حين تم اعتقال قادتها أو إبعادهم. أما الحاج أمين، ذلك القائد الكريزماطي ذو النفوذ الواسع، فكان التشرّد من نصيبه: فمن لبنان وصل إلى إيران عبر العراق، ومن ثم إلى برلين عاصمة ألمانيا النازية، مما كان له أسوأ الأثر عليه شخصياً، وعلى الحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام.^{٣٦}

أما بداية النهاية للكفاح من أجل الاستقلال، فقد شكله لجوء قيادة الحركة الوطنية إلى اتباع خط سياسي وراديكالي وانتهاج مبدأ الكفاح المسلح، وإن كان هذا الأخير قد حصل نتيجة لضغوط شعبية. من جانبها وكرد فعل مباشر على التطرف الفلسطيني الحاصل، عمدت حكومة الانتداب إلى استبعاد الحاج أمين لاحقاً من كل التطورات السياسية في فلسطين.^{٣٧}

فالمفتي أضحى فجأة العدو للدود للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط، ما دفع بريطانيا بالتعاون مع الحركة الصهيونية ولاحقاً بعد ١٩٤٨ مع دولة إسرائيل وأيضاً الأمير عبد الله بتنظيم حملة قذف وتشهير هدفها نزع الشرعية منه. كما حاولت أن تصيب شرعية الأهداف الوطنية الفلسطينية وحتى الفلسطينيين كشعب.^{٣٨} وقد كان تأثير هذه الحملة ساحقاً: فالحاج أمين تحول إلى ما يشبه "السياسي المنبوذ". كانت إستراتيجية القذف والتشهير التي انتهجتها بريطانيا العظمى، وإسرائيل وأخيراً الأمير عبد الله ناجحة إلى حد أن جزءاً من الحركة الوطنية نفسها بعد ١٩٤٨ تأثر بهذه الحملة. والأُنكى من ذلك، وحين نستعرض تاريخياً ما حصل، فإن الحاج أمين

لم يدن بسبب تطرفه أو الفشل الذي مني به كنتيجة لاتباعه هذا الخط المتطرف، وإنما بسبب سياسته التي انتقدها خصومه بأنها معتدلة، والمتمثلة في التعاون المحدود مع حكم الانتداب التي اتبعها حتى ١٩٣٦، وذلك، حسب تصور الحاج أمين، من أجل عزل الخصم الحقيقي للوطنية الفلسطينية ألا وهو الحركة الصهيونية. في المقابل، وعلى خلفية المقاومة البطولية لثورة الفلاحين (١٩٣٦ - ١٩٣٩)، تطورت أسطورة الكفاح المسلح. في الوقت نفسه، وبأثر رجعي تم إقحام تفسير جديد للتاريخ الفلسطيني. وعليه، كانت هناك مجموعة الأعيان التقليديين، وهي تلك التي حاربت بالكلمات ضد الانتداب والاستيطان الصهيوني، كما نذرت نفسها، ولكن دون جدوى، للسياسة والدبلوماسية، والأخرى تألفت من الفلاحين الثوريين في فلسطين، والذين قادوا الكفاح المسلح ضد الإمبريالية والصهيونية.^{٣٩} وهو ما يظهر حتى في أعمال فيليب خوري في معرض تحليله للحركة الوطنية السورية، وفي دراسة فيليب مطر عن المفتي والحركة الوطنية الفلسطينية. وعليه، فإن الوطنية التي كان يستند إليها الوجهاء لم تكن في صميمها ثورية، بل ذات طابع ترميمي إصلاحي، ما يعني أنها كانت معنية باسترداد نفوذهما أولاً، ثم العمل (على المدى البعيد) على تحقيق الاستقلال وإقامة دولة تحت سيطرتهم. هذا النوع من الوطنية لم يختلف عن أساليب العراك السياسي من حيث المساعي السياسية التي تتم بكل أناة وصبر، ولكن ليس كفاحاً ثورياً مسلحاً.^{٤٠}

ويبدو لي، هنا، أن استخدام مفاهيم على غرار ثوري، كفاح مسلح ... الخ، أثناء عملية تحليل الحركتين الوطنيتين السورية والفلسطينية في عهد الانتداب ينطوي على مفارقة تاريخية. فهذه المفاهيم تحولت فقط منذ سنوات الخمسينيات والستينيات لتصبح معايير معتمدة. وبلا شك، فإننا نمسك هنا بطرف خيط مركزي فيما يتعلق بفعالية الحركة الوطنية الفلسطينية قبل ١٩٤٨. ففي الستينيات قدم تفسير مبتذل يعزى هزيمة الحركة الوطنية في عهد الانتداب إلى انتمائها الطبقي (طبقة الوجهاء، وغالباً ما كان يستعمل اصطلاح الطبقة الإقطاعية) وإلى عدم انتهاجها الكفاح الثوري المسلح كنتيجة منطقية ضد حكم الانتداب والحركة الصهيونية.^{٤١}

فقد أدى قمع الثورة الكبرى هناك (١٩٢٥ - ١٩٢٧)، والهزيمة التي ترتبت عليها إلى قيام الحركة الوطنية السورية باستثناء الكفاح المسلح كطريق للتحرير. في حين أن نجاح الإضراب السوري العام سنة ١٩٣٦ قد برر، وبأثر رجعي، الإستراتيجية الجديدة التي انتهجها من وقف على رأس الحركة الوطنية السورية من وجهاء، كما أنه دلل على صحة هذا النهج. في المقابل، فإن هزيمة الثورة الفلسطينية المسلحة قد ترتب عليها بزوغ الكفاح المسلح كأسطورة. في حين أن فشل السبل والوسائل السياسية

والدبلوماسية حتى ١٩٣٧ قاد إلى رفض السياسة بشكل كلي. هذا التحريم للسياسة، مقروناً باعتبار الكفاح المسلح أمراً مطلقاً تحول بعد النكبة ليصبح عبئاً على التنظيمات الفلسطينية التي نشأت لاحقاً، ما أدى، فعلاً، إلى تشويه سياستها الوطنية إلى حد ما حتى يومنا هذا.

وفي هذا الخصوص، هناك العديد من التفسيرات التي تحاول أن تنسب فشل الحركة الوطنية الفلسطينية إلى النهج السياسي الذي اتبعه زعماءها. ففلورس، على سبيل المثال، يجد أن الحركة الوطنية لم تكافح تبعاً ضد حكومة الانتداب، بل تركت نفسها تقع فريسة للخداع من خلال حلول وسط (Compromises) وتعاون مع سلطة الانتداب البريطاني، وذلك لمنع الحركة الصهيونية، التي كانت تعتبر العدو الحقيقي، من تحقيق أهدافها.^{٤٢} الأمر نفسه يثبته مطر حين يرجع أسباب الفشل الذي مني به الحاج أمين كزعيم للحركة الوطنية إلى السياسة المعتدلة التي انتهجها حتى ١٩٣٦. فمطر يرى أن هذه المرحلة كانت تتطلب من الحركة الوطنية سلوكاً راديكالياً. في حين أن الراديكالية غير المرنة للمفتي أثناء وجوده في المنفى كانت في غير محلها. ففي تلك المرحلة كان بإمكان سياسة حكيمة ومرنة فقط أن تؤثر في مجرى الأحداث لصالح الفلسطينيين.^{٤٣}

قد يكون من السهل دائماً إظهار الحكمة السياسية بعد مرور زمن ما، إلا أن السؤال يبقى مفتوحاً عما إذا كان ممكناً في تلك الظروف الحاصلة انتهاج كفاح راديكالي ضد سلطة الانتداب البريطاني، وما هي النتائج التي كانت ستترتب على ذلك؟ ينطبق الأمر ذاته على التساؤل الافتراضي حول النتائج المحتملة لسياسة معتدلة ومرنة للحركة الوطنية عشية إلقاء زعمائها بعيداً عن فلسطين، وعزلهم كلياً عن السياسة هناك. في هذا السياق تستطيع أبحاث جديدة أكثر عمقاً أن تهدينا إلى الضالة المنشودة. أما المدخل لهذه الأبحاث الذي يكلل بالنجاح، فيبدو لي إنه يجب أن يكون مدخلاً مقارناً، بحيث، تجري مقارنة مفصلة وبعيدة المدى تاريخياً بين الحركات الوطنية في كل من سوريا، ولبنان، والعراق وفلسطين تحت حكم الانتداب البريطاني والفرنسي على سبيل المثال. كما أنه من المهم هنا إبراز تلك المحاور في عملية التطور التاريخي التي شكلت دعائم المستقبل، كما وعلى أساسها كانت تستثنى خيارات أخرى خاصة عندما كان يتم اتخاذ قرار يوصي بسلوك نهج سياسي معين. فقط حينئذ يمكن إظهار بدائل تاريخية حقيقية، ومن ثم تقديمها.

فتفسير ينطلق من خصوصية الوضع في تلك المرحلة من عهد الانتداب هو أكثر إقناعاً وعقلانية من تفسير يضع في الصدارة المشاكل التنظيمية في الحركة الوطنية أو الخيار السياسي أو الكفاح المسلح أو حتى الحاج أمين ذاته كشخص وقف على رأس الحركة الوطنية في أوقات قوتها أو ضعفها. وهو ما أنجزته، وبشكل نموذجي آن. م. ليش (Ann M. Lesch) في عملها حول الحركة الوطنية الفلسطينية الذي يحمل

عنواناً فرعياً مناسباً جداً، ألا وهو "إحباطات حركة وطنية" (The Frustration of a National Movement).

أسباب النكبة التي أبرزتها ليش، يمكن توزيعها على ثلاثة مستويات:

١. عدم التكافؤ في ميزان القوى بين الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الصهيونية.

٢. الأهداف الإستراتيجية لسلطة الانتداب الاستعماري البريطاني، التي تم تحقيقها على حساب الفلسطينيين.

٣. الموقف الدولي من الاستعمار والمؤيد للسيطرة الإمبريالية الأوروبية خارج أوروبا.^{٤٤}

هذا الأمر يتطابق مع التحليل الإجمالي الذي قدمه مطر للحركة الوطنية في عهد الانتداب:

إن العوامل الأساسية التي أحبطت الوطنية الفلسطينية لا ترتبط كثيراً بسياسات وأعمال زعيم فردي، بقدر ارتباطها بتوازن القوى. لقد كانت السياسة البريطانية تدعمها القوة العسكرية البريطانية والتأييد الدولي للانتداب البريطاني، بالإضافة إلى الاستيطان الصهيوني، مسؤولية بشكل رئيسي عن ضمان الوقت "لليشوف" (yishuv) حتى ينمو، وذلك من خلال الهجرة وشراء الأراضي وإقامة مؤسسات شبه حكومية وعسكرية. فالفلسطينيون لم يكونوا أبدا ندا للجيش البريطاني، ولا للقوات الصهيونية بعد العام ١٩٣٩. فقدرتهم في التأثير على مستقبل فلسطين كانت ثانوية مقارنة مع الفرقاء الثلاثة الآخرين الذين كان لهم مصلحة إستراتيجية وإقليمية في فلسطين: الإنجليز، والصهاينة، والهاشميين.^{٤٥}

وأخيراً فإن عنصر المأساة الذي لازم شخصية المفتي، تلك الشخصية التي حاول الكثيرون الإساءة إليها، ككل لا يلبث أن يتضح من خلال ملاحظة لموظف بريطاني رفيع المستوى في وزارة الخارجية: "المفتي ببساطة، هو ذلك الرجل الذي خانته الزمن. فلو لم يكن موجوداً على الساحة للعب شخص آخر دوره".

وهنا لا بد من مراجعة قصيرة للخصوصيات التاريخية لعملية التطور الفلسطيني في القرن العشرين. فنظرة على التحليلات التي قدمت حتى الآن عن تاريخ فلسطين والفلسطينيين ترينا أن ملحقاً مهماً يتعلق بالتطور التاريخي - السياسي الواقعي قد تمت إضافته إلى الأدبيات العلمية، ويتمثل في اقتطاع فلسطين من العالم العربي والسياسات العربية العام أيضاً. ومن غير ريب، فإن فرض الانتداب البريطاني على فلسطين قد خلق بذلك ظروفًا خاصة تتعلق بتطور هذا البلد لاحقاً. إلا أن الأمر نفسه ينطبق على

لبنان وسوريا اللتين وضعتا تحت الانتداب الفرنسي، بالإضافة إلى العراق الذي، مثله مثل فلسطين، أخضع للانتداب البريطاني. هذه المناطق التي فصلت عن بعضها البعض من خلال حدود مصطنعة، وذلك بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية، تجمعها، على الرغم من كل الفوارق، أمور مشتركة لا حصر لها وأهداف متوازية في التطور. وأخيراً وليس آخراً، فهي نتاج ماضٍ مشترك في ظل إمبراطورية واحدة، حيث التركيب الاجتماعية المتماثلة، وأسس اقتصادية متشابهة، وأيديولوجية وطنية منتشرة وهي القومية العربية، عوضاً عن نزعات تطويرية تأخذ، إلى حد كبير، الشكل نفسه.

إلا أن الذي يشغلنا هنا هو التعايش السلمي بين القومية العربية كأيديولوجية توسعية والترسيخ الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات المختلفة في كل من سوريا، والعراق، ولبنان وفلسطين، وذلك داخل الحدود التي رسمها الاستعمار الأوروبي؛ أي إثارة النمط الإقليمي على القومية العربية مع الاستمرار في الوقت نفسه، بالدعوة للأخيرة. هذا الأمر يتمشى مع مصالح ونفوذ الطلائع السياسية المختلفة في كل دولة على انفراد، وبخاصة أنها، أي الطلائع، تقف على رأس مجتمعات غير متجانسة إلى حد كبير. فتقسيم فلسطين وتاريخ الوطنية الفلسطينية حتى يومنا هذا يوضح هذا الأمر بطريقة معبرة جداً.

لا ينطبق ما تقدم على المثال الفلسطيني، وذلك لأن إقامة دولة فلسطينية لم يكن منظوراً، لا من قبل القوة الاستعمارية المسيطرة (كما هو الحال بالنسبة للبنان كمثال مقابل)، ولا من قبل الدول التي تشكلت واستقلت في المنطقة أو حكوماتها. والسبب الرئيس وراء ذلك يكمن من جهة في السياسة المتواصلة التي انتهجتها الحركة الصهيونية، إذ تمكنت في الختام من تحقيق هدفها في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ومن جهة أخرى في مطامع الأمير عبد الله لتحقيق ادعائه بوجود قيادة هاشمية للحركة الوطنية العربية، وبناء دولة عربية كبرى تبدأ خطواتها في فلسطين.

وهكذا أصبحت سنة ١٩٤٨ نقطة تحوّل حاسمة: فلسطين ومجتمعها العربي أجبروا على التكيف مع تطور غير عادي، أدى، بالنظر إلى السؤال المركزي أي فيما يتعلق بمسألة الدولة، إلى فصلها، أي فلسطين عن السياق العام لعالم الدول التي نشأت حديثاً في الشرق الأوسط.

ثانياً: تقسيم فلسطين

في أعقاب قرار بريطانيا العظمى إعادة وصايتها على فلسطين إلى الأمم المتحدة، صدر عن الجمعية العامة لهيئة الأمم بتاريخ ٢٩/١١/١٩٤٧ قرار يدعو إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين؛ إحداهما يهودية والأخرى عربية.^{٤٦} وبلا ريب، فقد كان هذا أكبر نجاح حققته الحركة الصهيونية حتى الآن، والذي توج بإعلان قيام دولة إسرائيل في أيار ١٩٤٨. وفي المقابل، فإن الدولة العربية التي ارتأت الأمم المتحدة قيامها لم تخرج إلى حيز الوجود. لأن تقسيماً ثانياً لفلسطين كان قد اتفق عليه في مباحثات سرية جرت بين الحركة الصهيونية والأمير الهاشمي عبد الله. هذا التقسيم الثاني الذي حدث لفلسطين، ساندته وشاركت في تنفيذه بريطانيا العظمى، كما باركته الأمم المتحدة من خلال الوسيط الدولي برنادوت وتقريره المؤرخ في أيلول ١٩٤٨، وبعد فترة وجيزة انضمت إلى ذلك الولايات المتحدة، تلك القوة العظمى الجديدة.^{٤٧}

وقد كانت بريطانيا العظمى قد استثنت في الأعوام ١٩٣٧-١٩٣٨ قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية من المشاركة في التطورات السياسية الحاصلة في فلسطين. وبعد ذلك بعقد، أي في الأعوام ١٩٤٧-١٩٤٨، قامت سلطة الانتداب السابقة بتقديم المساعدة لحليفها في شرق الأردن الأمير عبد الله، وذلك لتمكينه من الاستيلاء على ذلك الجزء من فلسطين، الذي كان مخصصاً للدولة الفلسطينية كما نص على ذلك قرار التقسيم، بهدف حرمان القيادة الفلسطينية من ذلك. ولم يلبث عبد الله أن قام في العام ١٩٥٠ بضمه إلى إمارته،^{٤٨} ليصبح جزءاً متكاملًا مما سمي فيما بعد المملكة الأردنية الهاشمية التي ابتلعت بذلك الجزء الأكبر من الأراضي الفلسطينية التي لم تحتلها إسرائيل.

فالرغبة التي تملك عبد الله لتوسيع رقعة نفوذه متجاوزاً حدود شرق الأردن، كان يضمنها التقدم نحو فلسطين في البداية التي كانت قد وضعت من قبل تحت الوصاية البريطانية. هذه الرغبة تعود جذورها إلى سنة ١٩٢١، حين حاول عبد الله إقناع وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل بأن يضع تحت سيطرته، إضافة إلى شرق الأردن، كامل التراب الفلسطيني، وهو ما رفضه تشرشل على الفور بسبب تقيده بوعده بلفور، ناهيك عن وجود مصالح بريطانية محددة في فلسطين.^{٤٩}

وعلى الرغم من ذلك، فإن عبد الله لم يكف منذ ذلك الحين عن محاولة الوصول إلى هدفه مستخدماً كافة الوسائل على اختلافها؛ سواء عن طريق سلطة الانتداب البريطاني والعلاقة الخاصة التي ربطته بها، أم عن طريق الحركة الصهيونية، حيث بقي على اتصال وثيق مع قادتها حتى ما قبل وفاته بوقت قصير. وأخيراً عن طريق بعض العائلات الفلسطينية العريقة (في المقام الأول عائلة النشاشيبي المقدسية التي اعتبرت المنافس الرئيسي لعائلة الحسيني على قيادة المجتمع الفلسطيني). هذه السياسة بين الحركة

الصهيونية وعبد الله، أي إلى جزء يهودي وآخر عربي يتم إلحاقه ضمن نفوذ عبد الله، انتهجها عبد الله منذ العام ١٩٤٦ على أبعد حد بمواظبة وحزم. فقد عمل علانية على شجب كل المقترحات الداعية إلى تقسيم فلسطين لكي يضمن مكانا لنفسه داخل الصف العربي الوطني. في حين أن الخطوات العملية التي مارسها كانت توضح مدى استهانتها بكل تلك التصريحات التي تم صكها من أجل خداع الجماهير، وهو ما ظهر واضحا في المحادثات التي جرت بين عبد الله والحركة الصهيونية، حين أصر عبد الله على أن يخلف إدارة الانتداب البريطاني في ذلك الجزء من فلسطين الذي أقر للعرب.

وقد تمكن عبد الله من الحصول على الدعم المطلوب من أجل تنفيذ الضم المخطط له للجزء العربي من فلسطين، ليس فقط من جانب بريطانيا العظمى. وإنما من جانب دولة إسرائيل المستقلة أيضاً.^{٥٠} فعلمياً لم يبق سوى إضفاء الشرعية على الضم الأردني للضفة الغربية، وهو الاسم الذي أصبح متعارفاً عليه بين سكان هذا الجزء من فلسطين. ومن أجل أن يحصل عبد الله على مبتغاه كان عليه أن يكون نشيطاً على مستويين: فلسطينياً كان لا بد له من العمل على تقليص دور وأهمية الهيئة العربية العليا إلى الحد الأدنى، وفي الوقت نفسه إقناع خصوم ومنافسي الهيئة بالإضافة إلى عامة الشعب أن شرق الأردن ستكون قادرة على تمثيل مصالحهم بطريقة أفضل وأكثر فاعلية.

أما عربياً؛ فكان عليه أن يتغلب على خصومه ومنافسيه المحليين في السيطرة على الشرق الأوسط، وبخاصة مصر التي كانت تدعي التحدث باسم الفلسطينيين ضد عبد الله. وهنا يحضرنا القول إن الجامعة العربية، التي سيطرت عليها مصر في ذلك الحين، تلك التي انتهجت سياسة معادية للإمارة الهاشمية، كانت السبب المباشر وراء "فقدان الهيئة العربية العليا، وبشكل تدريجي، لسيطرتها على عملية صنع القرارات السياسية والعسكرية في فلسطين".^{٥١} وأخيراً وليس آخراً فإن "أصدقاء" فلسطين أمثال مصر يتحملون العبء الأكبر في الكارثة التي حصلت في فلسطين.

ففي الفترة الواقعة ما بين ٢٤ - ٣٠ نيسان ١٩٤٨، تم في الجامعة العربية اتخاذ القرارات الخاصة بزحف الجيوش العربية على فلسطين^{٥٢} مشفوعة بالشعارات الكلامية التي تنادي بتحرير فلسطين، وبشكل خاص من قبل المصريين:

هذا ليس هو الوقت الذي تخلص فيه دول الجامعة العربية لطموحاتها الخاصة وأهدافها التوسعية ... فالجيوش العربية ستدخل إلى فلسطين بناء على قرار مشترك، وفي اللحظة التي تتحرر فيها فلسطين، فإن حق تقرير المصير يقع على عاتق سكانها.^{٥٣}

وعلى الساحة الفلسطينية استمر عبد الله، وبنجاح إلى حد ما، في ممارسة سياسته الدعائية، وبخاصة عبر الفيلق العربي الذي كان متواجداً هناك بقوة تقارب الـ ٢٠٠٠ مقاتل التي خلفت البريطانيين بعد انسحابهم على الأقل في منطقتي الخليل ورام الله.^{٥٤}

فمن خلال اتصالاته الشخصية مع الوجهاء ذوي الأهمية السياسية ولجوئه إلى استعراض العضلات، حاول عبد الله إعطاء الانطباع أنه الوحيد القادر عسكرياً على إنقاذ فلسطين من اليهود.

وممثلة شرق الأردن في القدس بالإضافة إلى الإدارة البريطانية والعلماء المأجورين تصرفوا معاً بقصد توسيع قاعدة نفوذ الملك عبد الله ليتسنى له من ثم السيطرة على الشارع الفلسطيني. والنتيجة كانت، أن الدعم لعبد الله تخطى حدود حلفائه التقليديين، أي آل النشاشيبي خصوم آل الحسيني والمعارضين للهيئة العربية العليا. فقد ساندته بشكل عام رؤساء بلديات ... أصحاب محلات صغيرة واتباع الطبقة الوسطى.^{٥٥}

والسبب في ذلك يعود قبل كل شيء إلى أن هذه الطبقات والمجموعات كان يهملها في المقام الأول المحافظة على الأمن والنظام. فقد رأوا أن القوة المطلوبة لذلك موجودة عند عبد الله، في الوقت الذي غاب فيه عن الساحة الحاج أمين وجزء كبير من القيادة القديمة في عهد الانتداب. إلا أن هذه المساندة بقيت في الغالب سلبية، ولم تتعد في جوهرها الاستعداد للتعاون المشترك مع عبد الله، وبخاصة بعد زحف الفيلق العربي بتاريخ ١٥ أيار ١٩٤٨.

ولما حصلت موجة اللاجئين الأولى في آذار - نيسان ١٩٤٨، حاول عبد الله تقديم نفسه كحاكم عربي يهملهم قبل كل شيء راحة هؤلاء اللاجئين. ومشهد الوفود الفلسطينية الكثيرة التي باتت تؤم عمان طلباً للمساعدة ضد الهجمات اليهودية يرينا إلى أي حد كان عبد الله ناجحاً في محاولته.^{٥٦}

إلا أن فقدان اللد والرملة في تموز ١٩٤٨، لم يلبث أن شكل ضربة شديدة لنهج عبد الله هذا؛ فقد عمت الضفة الغربية مظاهرات ضد الفيلق العربي وقائده كلوب باشا وحتى عبد الله شخصياً. وفي عمان خرجت تظاهرات للاجئين لم تتعد حدود التجمهرات العفوية، ولم تتبعها مقاومة سلبية ولا معارضة علنية لعبد الله.^{٥٧}

وخلافاً لهذه السياسة التي استهدفت كسب الرأي العام، فإن عبد الله كان مهتماً بتحقيق الدمج وفي النهاية الضم عملياً وسياسياً بسرعة ودون احتكاكات. فبعد دخول الفيلق العربي فلسطين في الخامس عشر من أيار، تم وضع جميع المناطق المحتلة (ما يسمى اليوم الضفة الغربية) تحت الإدارة الهاشمية. " فشرق الأردن أرادت العودة بسرعة إلى الروتين اليومي الطبيعي، بحيث يتحقق عملياً الدمج خطوة خطوة بين المناطق التي تم الاستيلاء عليها وشرق الأردن " ^{٥٨} وعلى هذا الأساس، فإن موضوع الضم يبقى مسألة وقت أو لحين اختيار الموعد الملائم. وهذا التكتيك بالذات شكل الأساس لمحاولات عبد الله - الناجحة - لإفشال مخططات الهيئة العربية العليا بزعامة المفتي لإقامة إدارة

خاصة بها على الطريق نحو إقامة حكومة مستقلة في فلسطين من خلال خلق مجموعة كاملة من الأمور الواقعة.^{٥٩}

وكبديل لخطة التقسيم التي اقترحها الوسيط الدولي جراف برنادوت بتاريخ ١٦ أيلول ١٩٤٨ ورفضها الطرف العربي، قررت الجامعة العربية إقامة إدارة مدنية في فلسطين تقوم هي على تمويلها وتشرف عليها الهيئة العربية العليا. ولم تلبث الجامعة العربية يوم ٢٠ أيلول أن حوّلت الإدارة المدنية إلى حكومة، وعلى إثرها، وبتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٤٨، أعلنت الهيئة العربية العليا عن تشكيل " حكومة عموم فلسطين "، مع اعتبار غزة عاصمتها المؤقتة. وبتاريخ ٣٠ أيلول انعقد المجلس الوطني الفلسطيني الأول (ضاماً ٧٥ مبعوثاً)، حيث انتخب الحاج أمين رئيساً وأحمد حلمي باشا رئيساً للوزراء. وفي اليوم التالي، ١ تشرين الأول ١٩٤٨ صدر عن المجلس بيان الاستقلال الفلسطيني التالي:

بناء على الحقوق التاريخية والطبيعية للشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال ... وبينما نكافح ضد الامبريالية الصهيونية، نعلن، نحن أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المجتمعين في غزة ... في اليوم الأول من تشرين الأول ١٩٤٨ الاستقلال الكامل لكل فلسطين التي يحدها من الشمال سوريا ولبنان، ومن الشرق شرق الأردن، ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب مصر، وقيام دولة مستقلة ديمقراطية ذات سيادة يتمتع فيها كل المواطنين بحقوقهم وحيرياتهم.

هذا التطور الذي حصل في غزة " أعاد إلى معظم العرب في البلاد الأمل وأيقظ عندهم المشاعر الوطنية. فحتى أولئك الفلسطينيين الذين عاشوا في المناطق التي كان يسيطر عليها عبد الله عبروا عن تمنياتهم بالنجاح ".^{٦٠}

إلا أن الحكومة الفلسطينية بقيادة الحاج أمين، وفي ظل تركيبة القوى المتواجدة محلياً، وإقليمياً ودولياً، بقيت، وإلى حد بعيد، دون فاعلية. ساهم عامل آخر في ذلك وهو الوضع الجغرافي: فغزة كانت تقع بعيداً عن المناطق التي يعيش فيها أغلب السكان، الذين كانوا يقبعون تحت سيطرة عبد الله. في حين أن مساندة الجامعة العربية أو مصر كانت منذ البداية غير كافية، ولم تلبث أن انحسرت. وعوضاً عن ذلك، فقد قاوم عبد الله وبعنف، مقررات غزة. ناهيك عن معارضته الحازمة لقرار الجامعة العربية بإقامة إدارة مدنية. وكرد منه على دعوة المجلس الوطني الفلسطيني للانعقاد في غزة في الأول من تشرين الأول، قام عبد الله، وفي اليوم نفسه، بافتتاح أول مؤتمر فلسطيني في عمان حضره عدة مئات من المشاركين، كلهم، كما أشيع، من أتباع الملك الأردني.^{٦١}

في حينه، أعلن مؤتمر عمان، أن الحكومة في غزة قد شكلت ضد رغبات ومصالح الشعب الفلسطيني، إذ أنه فقط بعد تحرير كامل التراب الفلسطيني يمكن التفكير في

مسألة الحكومة الفلسطينية. ومن خلال الدعم الذي وفره له المؤتمر الفلسطيني المضاد، والذي أشرف بنفسه على ترتيبه، دعا عبد الله إلى الإطاحة بحكومة غزة، وحجته في ذلك أن الوقت لم يكن ملائماً لتشكيلها، عوضاً عن أنها محصورة في نطاق ضيق من الناس، وبالتالي ليست مُمثله. وفي نهاية المؤتمر تدفقت وفود، مختارة أو مدفوعة من أعلى، تمثل أغلب القرى والمدن التي احتلها الفيلق العربي إلى عمان لمبايعة عبد الله لحل القضية الفلسطينية.

إلا أن عبد الله كان ينظر إلى أبعد من ذلك: فقد كان يطمح في أن يطالبه الفلسطينيون مباشرة بالقيام بضم فلسطين. ومن أجل هذا الغرض دعا لاجتماع المؤتمر الثاني في الفاتح من كانون الأول ١٩٤٨ في أريحا، الذي وقف على رأسه الشيخ محمد علي الجعبري من الخليل، في الوقت الذي قام فيه الجيش بتوفير المواصلات لأكثر من ١٠٠٠ مشارك. وقد صدرت عن المؤتمر المقررات التالية:

١. يشكر المؤتمر الدول العربية لما بذلته من جهد وتضحيات ويطلب منها جميعاً مواصلة القتال لإنقاذ فلسطين.
٢. يعتبر المؤتمر فلسطين وحدة كاملة لا تتجزأ، وكل حل يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلاً نهائياً.
٣. لا يمكن للبلاد العربية أن تقاوم الأخطار التي تجابهها وتهدد فلسطين إلا بالوحدة القومية الشاملة. ويجب البدء بتوحيد فلسطين مع شرقي الأردن مقدمة لوحدة عربية تامة.
٤. يبايع المؤتمر جلالة الملك عبد الله ملكاً على فلسطين كلها. ويحيي جيشه الباسل والجيوش العربية التي حاربت ولا تزال دفاعاً عن فلسطين.
٥. يقترح المؤتمر على جلالته الإشارة بوضع نظام لانتخاب ممثلين شرعيين عن عرب فلسطين يستشارون في أمورها.
٦. التشديد بضرورة الإسراع في إرجاع اللاجئين إلى بلادهم والتعويض عليهم.
٧. تبليغ هذه المقررات إلى منظمة الأمم والجامعة العربية والدول العربية وممثلي الدول الأخرى.^{٦٣}

وحين وصله وفد من أريحا يعرض عليه هذه المقررات، امتنع عبد الله عن قبولها. فقد كان مستعداً لقبول المبايعة المطروحة عليه دونما شروط؛ فلا يتم تذكيره بوحدة فلسطين، ولا يطلب منه الاستمرار في الكفاح لتحرير كامل التراب، وأن لا يتم الربط بين ضم الضفة الغربية والوحدة العربية المنشودة.

ومن هنا عكفت لجنة من أعضاء مؤتمر أريحا في ليلة الثاني من كانون الأول على صياغة مقررات جديدة تتناسب، وبشكل تفصيلي، مع ما دار في خلد عبد الله:

١. يحجب المؤتمر ثقته عن الهيئة العربية العليا.
٢. يطالب المؤتمر بانتخاب هيئة عربية عليا جديدة.
٣. لا يعترف المؤتمر بحكومة غزة كممثل شرعي لعرب فلسطين.
٤. يجب توحيد فلسطين وشرق الأردن تحت اسم المملكة العربية الهاشمية.
٥. يتم تتويج عبد الله ملكاً على المملكة المتحدة. أما يوم التتويج فسيقوم عبد الله بإعلانه بنفسه.
٦. سيتم انتداب ممثلين فلسطينيين إلى برلمان شرق الأردن.
٧. يفوض المؤتمر عبد الله بحل القضية الفلسطينية، وفق معرفته وبقينه، ويطلب منه اتخاذ الخطوات اللازمة فوراً وفقاً لهذا القرار.^{٦٤}

لقد تحول مؤتمر أريحا إلى مهزلة: فمقرراته التي سعت إلى تشريع ضم الجزء العربي من فلسطين، لم يصادق عليها عبد الله. أما المقررات التي شكلت الأساس لهذا الضم، فلم يقرها المؤتمر، وإنما أقرتها حفنة من المندوبين ممن عملوا على صياغتها، أو لنقل، وجب عليهم صياغتها.

ولكن، على الرغم من أن مؤتمر أريحا قوبل بمعارضة عامة في العالم العربي، وبسببه تعرض عبد الله للانتقاد الشديد، حتى وصل الأمر إلى حد الأخذ بعين الاعتبار فصل الأردن من الجامعة العربية، فقد حقق عبد الله من خلال هذه المقررات النصر الحاسم والنهائي على خصمه اللدود في فلسطين الحاج أمين. فقد وصل عبد الله إلى هدفه، على الأقل، فيما يتعلق بجزء من خطته التوسعية: فقد أمكن ضم تلك الأجزاء التي لم تستول عليها إسرائيل من فلسطين، وقد أضيف عليه، ولو ظاهرياً، شرعية من خلال مؤتمر فلسطين.

أما الأشياء الأخرى المتبقية، فقد كانت مسألة وقت وشكليات ليس إلا. فالحكومة الأردنية ومن ثم البرلمان الأردني صادقوا على مقررات أريحا. وما لبثت أن حلت بتاريخ ١٧ آذار ١٩٤٩ إدارة مدنية بدلاً من الإدارة العسكرية في الضفة الغربية. ثم تشكلت في أيار حكومة جديدة ضمت ثلاثة وزراء فلسطينيين. وأخيراً، وفي نيسان ١٩٥٠ كانت الأمور قد نضجت، ما مكن من تنفيذ الضم الرسمي دون أية مشاكل داخلية أو خارجية.

في المقابل سلب الحاج أمين حصنه الأخير، مفتي القدس، وذلك حين قام عبد الله بتعيين الشيخ حسام الدين جبار الله في العشرين من كانون الأول ١٩٤٨ مفتياً جديداً للقدس.^{٦٥}

وحتى في غزة، بقي الحاج أمين يفتقر إلى الحظ والنجاح. ففي منتصف تشرين الأول ١٩٤٨، أحضر المفتي إلى القاهرة، مطيعاً أو مكراً، حيث عاش هناك تحت المراقبة

إلى حين التوقيع على معاهدات الهدنة في رودس في شباط ١٩٤٩. لقد حرّم عليه الرجوع إلى غزة أو السفر إلى أية دولة عربية أخرى. وهكذا وضع آخر مسمار في نعش " حكومة عموم فلسطين " ^{٦٦}.

أما فلسطين فلم تعد موجودة كوحدة واحدة على الخريطة السياسية. وسياسياً أيضاً أضحى الفلسطينيون بلا قيادة. فبدلاً من فلسطين أصبح هناك دولتان جديدتان: إسرائيل، والمملكة الأردنية الهاشمية. وشكل الفلسطينيون مجتمعاً ممزقاً عمادة جمهرة اللاجئين المنتشرة في الدول العربية المجاورة لإسرائيل، التي بقيت تفتقر إلى قاعدة مؤسسية مشتركة، كما خلت الساحة من أية تنظيمات سياسية أو حتى تمثيل سياسي.

والسؤال الذي يتوجب طرحه للنقاش هنا هو ذلك الذي يتناول الخاصية التاريخية لنشوء وتطور الوطنية الفلسطينية والحركة التي مثلتها. ^{٦٧}

باعقادي أن التذبذب بين اتباع سياسة فلسطينية ذات إطار عربي وبين سياسة محصورة بمنطقة الانتداب البريطاني كان بلا شك نتيجة لواقع تاريخي قسري طبقت في فلسطين. هذا التذبذب شكل محوراً حاسماً في تاريخ فلسطين تحت الانتداب. وإذا كان من الممكن تفسير ذلك من خلال بسط سياسة بريطانيا في فلسطين، إلا أن ذلك يعكس السيطرة الأيديولوجية للقومية العربية طوال فترة الانتداب، ومن جهة أخرى تطور وطنية فلسطينية لا تزال في حكم التشكل. فالمقارنة بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية غير مجدية، لأن كلتا الأيديولوجيتين لم تكونا محددين أبداً، بل ومتداخلتان. فالصورة الأقرب إلى الأذهان إذاً، هي صورة الوطنية الفلسطينية المندمجة في إطار القومية العربية و/ أو صورة القاطن في فلسطين كعربي فلسطيني يعتبر نفسه جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية. وهذا الأمر يعتبر حاسماً وذات أهمية مركزية بالنسبة لما جرى بعد ١٩٤٨ من تطورات، إذ إنه يمكننا من الانطلاق من مجتمع فلسطيني يعتبر نفسه جزءاً من الأمة العربية، وليس من مجموعة من الأفراد الفلسطينيين الذين يعتبرون أنفسهم عرباً. فالمجتمع الفلسطيني كتقليد كان موجوداً في فلسطين على الرغم من ملامحه غير البارزة. ^{٦٨} وقد اكتسب هذا التقليد قوة الانتشار عبر الانتداب البريطاني وقوانينه الخاصة. أما درجة انسجام هذا المجتمع، ترابطه أو تمزقه الداخلي ... الخ، فتعبر عن مشاكل أخرى مختلفة جداً.

أما بالنسبة للقيادة السياسية الفلسطينية، فإن وضع فلسطين الخاص والمتربط على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط وفيها بالذات، قد أدى إلى تطوير إستراتيجيتين متضادتين: إما التركيز كلياً على سياسة فلسطينية محضة، وإما الارتباط بالقومية العربية. وهذا الأخير كان يعني محاولة حل القضية الفلسطينية من خلال دولة قومية للعرب. إلا أن ما حدث في فلسطين يوضح أن كلتا الإستراتيجيتين قد اتبعتا؛ تارة

بإحلال الواحدة محل الأخرى، وطوراً بشكل متوازن وأحياناً بشكل متداخل. فالتوجه القومي العربي والسياسة الوطنية الفلسطينية شكلاً ما يشبه الوحدة الجدلية: فنجاح أو فشل القيادة السياسية بزعامة الحاج أمين في نطاق سياستها العربية الشاملة، كان يجب أن يوظف لحساب قوتها وشرعيتها على مستوى السياسة الداخلية. في المقابل: فإن ضعف الاتجاهات المختلفة داخل طبقة الوجهاء الحاكمة في فلسطين دفع بزعماء كل اتجاه إلى محاولة الارتباط بعلاقات منفردة مع الحكومات العربية من أجل تحسين مواقعهم الداخلية بشكل مؤثر.

وهنا بالذات يكمن السبب وراء فشل الفلسطينيين. فبدلاً من تقديم مساعدة عربية لأولئك الذين يتعرض وجودهم السياسي للخطر، شعباً وقيادة، دفع الفلسطينيون ثمن تلك الصراعات العربية، التي بقيت حتى ذلك الحين غير محسومة، للقيام بالدور المسيطر داخل القومية العربية والمحيط العربي. ففي الوقت الذي كانت تدور فيه الصراعات على ظهور الفلسطينيين، كان هناك مستفيدان اثنان: إسرائيل والأردن.

أما بالنسبة للفلسطينيين، وبشكل خاص، للتنظيمات التي ظهرت بعد ١٩٤٨، فإن فشل "حكومة عموم فلسطين" قد أدى إلى إعادة صياغة مسألة الدولة بطريقة مختلفة تماماً. ففي حين أن الأمر حتى ١٩٤٨ كان يتعلق بالحصول على الاستقلال من بريطانيا العظمى، وفق نصوص الانتداب، في ظل دولة وطنية خاصة بهم، انقلب الوضع رأساً على عقب بعد ١٩٤٨، وأصبح الأمر يتعلق بتحرير فلسطين من كل من إسرائيل والأردن. فواقع الضم الأردني للأراضي الفلسطينية المعروفة اليوم باسم الضفة الغربية عززته القومية العربية كأيدولوجية. وقيام القومية العربية بتصوير القضية الفلسطينية على أنها المشكلة الأساسية للأمة العربية، دفع بالمطلب السياسي، الذي كان واضحاً جداً، للفلسطينيين نحو إقامة دولة خاصة بهم بعيداً، وأحل محله التحرير، وهو مطلب كان قد صيغ بطريقة مجردة جداً.

وتحت غطاء تحرير فلسطين الذي لم يأت بعد، احتل عبد الله الضفة الغربية وتسلمت الجامعة العربية الوصاية على الفلسطينيين، وأخيراً حملت سوريا الأسد والفلسطينيون الموالون له على م.ت.ف بزعامه ياسر عرفات بسبب إعلان الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة في العام ١٩٨٨. فالدول العربية استخدمت وتستخدم حتى يومنا هذا القومية العربية لاستغلال القضية الفلسطينية بهدف السيطرة على الفلسطينيين وتحريكهم حسب غاياتها، دونما أضرار تذكر. من جانبهم واجه الفلسطينيون قومية هذه الأنظمة بقومية ذات مفهوم ثوري تضع نصب عينها دولة عربية واحدة تشكل فلسطين قلبها النابض. وهكذا شحن الفلسطينيون المفهوم المجرد للتحرير بمضمون من غايات عربية طوباوية. ولكن، وبمجرد أن يحاول الجانب الفلسطيني صياغة أهداف سياسية واقعية، لا تلبث الدول العربية أن ترفع يدها مهددة، لأن مثل هذه الخطوة تفسر وكأنها تفكيك لمبادئ الوحدة العربية. فكل مطلب فلسطيني نحو دولة خاصة

بهم، كان يقذف على انه عمل إقليمي. في حين أن الدول العربية تختبئ كدول متفرقة وراء ستار القومية العربية. فبدعوى القومية العربية حرم الفلسطينيون من شرعية الاستقلال الذاتي كشعب، في الوقت الذي تمنح فيه الدول العربية الشرعية لوجودها، كما تستغل القومية العربية لمنح شرعية حتى للطموحات التوسعية.

لقد استغرقت الصراعات الأيديولوجية والسياسية سنوات طويلة حتى تمكن جزء من الحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة بعد ١٩٤٨ من فرض إرادتها من خلال هوية فلسطينية ذاتية، التي على أساسها، استطاعت أن تحيي، من جديد، مسألة الدولة الفلسطينية، على الرغم من معارضة دول في المشرق.

في هذه الأثناء كانت السياسة الفلسطينية، إن صح التعبير، تُملى من قبل تنظيمات وطنية عربية مهيمنة عليها، التحق بها، وانهمك فيها، عدد كبير من الفلسطينيين النشيطين سياسياً.

أما البيئة الاجتماعية - الاقتصادية، الأيديولوجية والسياسية التي نشأ فيها هذان التياران المتضادان، القومية العربية والوطنية الفلسطينية، اللذان مع ذلك جمعتهم نواة مشتركة، سنتعرض لها بخطوط عريضة في الفصلين القادمين.

ثالثاً: المجتمع الفلسطيني والترحيل العام ١٩٤٨

كانت إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين تعني أنه لا بد من طرح السؤال حول مستقبل السكان العرب المحليين، فخطة التقسيم الأولى التي اقترحتها نظام الانتداب البريطاني في العام ١٩٣٧، ما عرف بمشروع بيل (Peel Plan)، كانت ترى تهجير (ترانسفير) السكان العرب من المناطق الفلسطينية المقررة لليهود حلاً للمشكلة.^{٦٩} من جهته وجد بن غوريون في فكرة الترانسفير البريطاني فرصة تاريخية للتخلص نهائياً من مشكلة "العرب". "إننا نمنح فرصة لم نجرؤ على تخيلها حتى في أحلامنا الجامحة، فهذا أكثر من دولة، أو حكومة، أو سيادة - هذا ترسيخ وطني في وطن قومي حر".^{٧٠} ففي حين عبّر بوضوح في رسالة إلى ابنه عن أن فكرة الترانسفير لا يمكن تطبيقها إلا بالعنف،^{٧١} دعا في جلسات اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية إلى حل عن طريق المفاوضات. وعليه، فإن الخطوة الأولى لحل المشكلة العربية في الدولة اليهودية تكمن في "توقيع اتفاق مع الدول العربية، وذلك لتمكين عملية تهجير العرب من الدولة اليهودية إليها". أما قبوله بإقامة دولة يهودية على جزء من فلسطين، فقد بقي مبنياً على أساس الافتراض "أننا عندما نتحول إلى قوة كبيرة بعد إقامة الدولة، فإننا سوف نلغي تقسيم البلاد، ونتوسع في كل مكان من أرض إسرائيل". مرة أخرى يبني بن غوريون تصورَه على أساس أن هذا الحلم يمكن تحقيقه من خلال اتفاق يهودي-عربي.^{٧٢}

لقد فهمت الحكومات العربية، ومن قبلها الفلسطينيون العرب، النوايا اليهودية كما هي تقريباً. إلا أنه كان من الصعب، بل حتى من المستحيل إيجاد شريك لمفاوضات عربي يمكنه الموافقة على إسرائيل كبرى يرتبط قيامها بتهجير السكان المحليين. وحتى أمير شرق الأردن عبد الله، الذي كان مستعداً لتقديم أقصى التنازلات للحركة الصهيونية، لم يصل إلى هذه الدرجة من إنكار الذات.

فخلال الحرب العالمية الثانية، وحتى ١٩٤٨، حاولت الحركة الوطنية اليهودية تجنب أي نقاش علني يتعلق بتهجير السكان، وذلك حتى لا يتعرض مشروع الدولة اليهودية للخطر. فأمام (UNSCOP) (لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين)، أكد بن غوريون في تموز ١٩٤٧ وبصريح العبارة: "نحن لا ندعي أن عربياً واحداً عليه أن يغادر".^{٧٢} أما داخل "اليشوف" اليهودي، فقد كانت الأمور واضحة، إذ إنه لا يمكن قيام دولة يهودية في ظل تواجد عربي كثيف. والعكس صحيح. وقد عبر عن ذلك يوسف فايتس، مدير دائرة الأراضي في الوكالة اليهودية، إذ كتب في مذكراته بتاريخ ٢٠ كانون الأول ١٩٤٠ يقول:

يجب أن يكون واضحاً أنه لا يوجد في البلاد مكان للشعبين. الحل الوحيد هو أرض إسرائيل، على الأقل أرض إسرائيل الغربية (أي فلسطين) من غير عرب. وليس هناك مجال للتسويات.^{٧٤}

وعلى الرغم من الاعتراض الصريح الذي قدمته "مبام"، بالإضافة إلى آخرين ضد أية أفكار تتعلق بالترانسفير، فإن الأمر، على ما يبدو، كان مفهوماً ضمناً للجميع؛ في أن دولة يهودية مستقبلية تحتاج إلى أقل عدد ممكن من العرب. وعلى ما يبدو، فقد كان هذا هو الوجه المستتر للوطنية اليهودية التوسعية في فلسطين. أما مشروع دولة من شعبين الذي دعا إليه بالإضافة إلى آخرين مارتن بوبر، فقد بقي حلم أقلية مثقفة هامشية.^{٧٥}

وبعد صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة، أصبحت مشكلة السكان العرب قضية ملحة، إذ كان يعيش في منطقة الدولة اليهودية العام ١٩٤٧، ٥٢٠,٠٠٠ يهودي، بالإضافة إلى ٣٥٠,٠٠٠ عربي، أي ٤٠٪ غير يهود.^{٧٦} وفي بداية كانون الأول من العام نفسه عبر بن غوريون عن ذلك بوضوح شديد:

هذه الحقيقة يجب رؤيتها بكل وضوح وحدة. ففي ظل مثل هذه التركيبة "السكانية"، لا يوجد حتى ضمان كامل أن الحكومة ستشكل من قبل غالبية يهودية لن تكون هناك دولة يهودية قوية ومستقرة طالما أن الغالبية فيها نسبة ٦٠٪ فقط. قد أصبح من الضروري الآن تطوير "مفهوم جديد... نمط عقلي جديد" حتى "يلائم" مستقبلنا الجديد. يجب أن نفكر كدولة.^{٧٧}

وهذا الشيء بالذات حصل في ظل زعامة بن غوريون. فالسمة التي تميز الدول هي أن الأمور نادراً ما تبقى عند حدود الأفكار، فالدول تستخدم العنف لتحقيق هدف ما. وإذا ما انطلق هذا العنف نحو الخارج فقد يأخذ عادة شكل الحرب. وكانت بذلك الحرب اليهودية-العربية الأولى ١٩٤٨، التي تسببت بتهجير الفلسطينيين العرب.^{٧٨}

فعشية صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، كان يعيش على أرضها ١,٣٠٠,٠٠٠ عربي، منهم ١,١٠٠,٠٠٠ مسلم و ١٥٠,٠٠٠ مسيحي، وحوالي ٥٥٠,٠٠٠ يهودي. وقد عاش نحو ثلثي السكان في الريف موزعين على حوالي ٨٠٠ قرية، في حين عاش ٣٠-٣٥٪ في المدن والمراكز المدنية. ومن بين ٣٧٠,٠٠٠ قطنوا المدن كان هناك ٢٦٠,٠٠٠ مسلم و ١١٠,٠٠٠ مسيحي (أكثر من ٧٥٪ من المسيحيين الفلسطينيين عاشوا في المدن). أما البدو فقد تراوح عددهم بين ٧٠,٠٠٠-١٢٠,٠٠٠.^{٧٩}

وفي مطلع ١٩٤٩ عاش في الدول العربية المحيطة بإسرائيل، تلك الدولة حديثة العهد، ٧١١,٠٠٠ لاجئ فلسطيني؛ ٩٣٪ منهم مسلمون مقابل ٧٪ مسيحيون. هذه الأرقام تعكس النهج التمييزي الذي اتبعته القيادة اليهودية أو دولة إسرائيل اتجاه الطوائف العرقية - الدينية المختلفة في المجتمع الفلسطيني: فقد سمح مثلاً لجميع الدروز والشركس تقريباً ودون استثناء بالبقاء في منازلهم. أما المسيحيون، فقد كان يمكنهم مسبقاً توقع معاملة تنطوي على تسامح وتساهل عند شن الهجمات العسكرية وحملات التهجير، في حين أن المسلمين، وفي أغلب الأحيان، هجروا أو تجنبوا التهجير المحقق بهم عن طريق الهرب.^{٨٠}

وقد بدأت الهجرة الفلسطينية في كانون الأول ١٩٤٧ مع هرب الوجهاء وأولئك الذين يقفون على رأس الطبقة الوسطى المتعلمة ذات الوضع الجيد من المدن الساحلية يافا، وحيفا، وعكا، والرملة، وطبريا في الشمال ومناطق القدس الغربية بشكل مشابه لما حدث خلال ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، حين ترك حوالي ٤٠,٠٠٠ شخص البلاد مؤقتاً باحثين عن ملاذ لهم، لحين انتهاء "الاضطرابات" في المراكز المدنية للدول المجاورة مثل بيروت، ودمشق، وعمان، والقاهرة، بالإضافة إلى غزة، وبخاصة أن هذه الشريحة الاجتماعية قد توفرت لها إمكانيات الخروج بالإضافة إلى وجود أقارب وأصدقاء أو شركاء لها في هذه المدن.^{٨١} وهناك أراد المرء أن ينتظر انتهاء المعارك في هدوء وطمأنينة، ولكنه وفي الوقت نفسه، استمر في مزاولة أعماله من تجارية ومالية وحتى فتح فروع جديدة هنا وهناك.^{٨٢}

وقد كان لهروب هذه الطليعة الإدارية والثقافية الفلسطينية عواقبه الوخيمة على مجرى الأحداث في البلاد. ففي المدن أغلقت أبوابها على التوالي الحوانيت، ومكاتب المحاماة، والمدارس، والعيادات، في حين شلت تدريجياً المرافق الإدارية والمدنية. فبعد أن قام

البريطانيون بنفي القيادة السياسية الفلسطينية العام ١٩٣٧ وحرمانها من الرجوع طوال عهد الانتداب، بحيث كان العام ١٩٤٨ عضو واحد فقط من الهيئة العربية العليا متواجداً في القدس، خسر المجتمع الفلسطيني في الفترة الواقعة ما بين كانون الأول ١٩٤٧-آذار ١٩٤٨ طليعته الكاملة، ولم يبقَ هناك سوى سكان الريف الذين اعتادوا السير الأعمى خلف القيادة التي قطنت المدينة.^{٨٢}

بالإضافة إلى ذلك، فقد حصل "إخلاء شبه كامل للتجمعات العربية الريفية في السهل الساحلي" وذلك نتيجة الضغط العسكري لـ "الهاجاناه". فكل المناطق التي تم إخلاؤها في هذه المرحلة كانت تقع ضمن المنطقة التي كانت قد حددت للدولة اليهودية المستقبلية. فحتى آذار ١٩٤٨ ترك ما مجموعه ٧٥,٠٠٠ نسمة بيوتهم "مؤقتاً" كما اعتقدوا. أما هجرة الفلسطينيين الجماعية ٨٤ فقد حصلت في أعقاب انهيار المقاومة الفلسطينية المسلحة إثر الهزيمة المرة التي لحقت بها في القسطل (٢-٩ نيسان) واستشهاد عبد القادر الحسيني القائد العسكري الكريزмати للجهاد المقدسي، ما أدى إلى تضعف قدرة المجتمع الفلسطيني على الصمود والكفاح،^{٨٣} بحيث وصل عدد اللاجئين في الفترة الواقعة بين نيسان وحتى حزيران ١٩٤٨، ٢٠٠-٣٠٠ ألف لاجئ.

في الوقت نفسه، حققت الهجمات الكبيرة التي شنتها "الهاجاناه" في نيسان وأيار ١٩٤٨ تقدماً يهودياً ساحقاً.

فالهجمات اليهودية سببت، مباشرة أو غير مباشرة، معظم الهجرة العربية حتى حزيران ١٩٤٨ ... وقع جزء صغير ولكنه مهم مما حدث، كنتيجة مباشرة لأوامر الطرد اليهودية التي كانت تصدر بعد احتلال منطقة ما، ولأساليب الحرب النفسية اليهودية ... التي صممت لتخويف الناس من أجل دفعهم نحو الهرب.^{٨٤}

فأكثر من اثنتي عشرة قرية أخلتها الهاجاناه باستخدام العنف في هذه الفترة (٩ نيسان) حدثت مجزرة دير ياسين التي قامت بها عصابة الإيتسل التي كان لها أسوأ الأثر في نفوس الفلسطينيين في طول البلاد وعرضها.^{٨٥} هذه المجزرة بالإضافة إلى إخلاء السكان العرب لحيفا في الفترة ما بين ٢٣-٣٠ نيسان ١٩٤٨ (حوالي ٧٠ ألف شخص أي ما يعادل ١٠٪ من المجموع الكلي للاجئين) شكلتا نقطة البداية التي ما لبثت أن جعلت جماهير فلسطينية أخرى تنجرف مع التيار. في الوقت نفسه أدى الهجوم الكبير الذي شنته منظمة "الإيتسل" على يافا، أكبر المدن الفلسطينية (٧٠-٨٠ ألف نسمة قبل الحرب) إلى تهجير ٥٠-٦٠ ألف نسمة.^{٨٦}

وعلى ما يبدو، فإن القيادة الفلسطينية المتواجدة خارج فلسطين قد فوجئت بموجة الهرب هذه. فقط في أيار صدرت الدعوات الأولى للمواطنين بالبقاء، تحت كل الظروف، وحتى محاولة العودة، وهو، من غير ريب، ما عمل الجانب الاسرائيلي على إفشاله.^{٨٧}

أما موجة الهجرة الثالثة، فقد أعقبت انهيار وقف إطلاق النار الأول، وذلك في الفترة بين ٩-١٨ تموز ١٩٤٨. ففي هذا الصيف فقد ما مجموعه ١٠٠ ألف فلسطيني أماكن إقامتهم في منطقة الجليل (الغربي والأسفل)، بالإضافة إلى اللد والرملة. فخلال عملية داني (٩-١٢ تموز) التي قادها اسحق رابين (رئيس وزراء إسرائيل لاحقاً)، استولى الجيش الإسرائيلي على اللد والرملة، حيث تم طرد ٤٥ ألف مواطن بناءً على أوامر من بن غوريون رئيس الوزراء في تلك الحقبة.^{٩٠}

حدثت موجة الهرب والطرد الرابعة والأخيرة في سياق معارك الجيش الإسرائيلي ضد الجيش المصري في الجنوب والألوية العربية في الشمال، ونجم عنها ١٠٠ - ١٥٠ ألف لاجئ جديد. ففي الجنوب تم تهجير السكان من أشدود والمجدل (اليوم أشكلون) إلى غزة. وفي الشمال (في الجليل العلوي) تم طرد سكان القرى، وأغلبهم من المسلمين، إلى لبنان. ومرة أخرى، فقد أحدثت المذبحة التي حصلت في قرية الدوايمة (٢٩-٣١/١٠/١٩٤٨) فعل النذير.^{٩١}

لقد وعيت الشخصيات القيادية في الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ١٩٤٨، بلا استثناء تقريباً، سواء أولئك الذين انخرطوا في العمل القومي "حركة القوميين العرب"، أو الفلسطيني "فتح" تجربة الهجرة الفلسطينية وما حملته في طياتها من طرد وتهجير وهرب. وفي هذا الخصوص، فإن لبعضهم شهادات شخصية عن النكبة كتجربة: وكيفية هضمها وكيفية التفاعل معها.

خالد الحسن أحد الشخصيات القيادية في "فتح" منذ مطلع الستينيات، عضو اللجنة المركزية لـ "فتح"، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني. ولد في حيفا العام ١٩٢٨ لأب تعلم الفقه الإسلامي. بعد موت الأب العام ١٩٤١ اضطر، لكونه الابن الأكبر، لتحمل مسؤولية البيت فوجد وظيفة في قسم الأخبار في الجيش البريطاني.^{٩٢} فقد تسببت التقارير والإشاعات التي انتشرت بعيد مجزرة دير ياسين في التاسع من نيسان، بالإضافة إلى إخلاء قيادة حيفا الفلسطينية لها في الواحد والعشرين من نيسان، وذلك في خضم المعارك التي دارت من أجل السيطرة على المدينة، في تشرد أمه وأخوته الصغار وهروبهم باتجاه لبنان. هذا الهرب كان أيضاً من نصيب ١٥,٠٠٠ شخص رحلوا على عجل في الواحد والعشرين والثاني والعشرين من نيسان على ظهر سفن وقوارب صغيرة اتجهت بهم نحو عكا وشمالاً نحو لبنان. يسترجع خالد الحسن تلك الحوادث معلقاً:

ما لم تكن فلسطينياً، فإنه من العسير عليك أن تدرك كيف كان شعورنا بعد مجزرة دير ياسين. وبسبب ما حدث هناك، فقد أيقننا حقاً أن مصيرنا جميعاً سيكون القتل حال دخول القوات اليهودية مدننا وقرانا. أُمي تركت لي رسالة تقول فيها أنها قررت أنه من الأفضل صون حياة خمسة بدلاً من فقدان ستة.^{٩٣}

وعند بدء الجيش البريطاني بالانسحاب من حيفا، قرر خالد الحسن ترك بلده والتوجه إلى أفريقيا آملاً في بناء مستقبل له هناك، وذلك على ظهر سفينة كانت تستعد لإخلاء قوات بريطانية وموظفين مصريين يعملون في الجيش البريطاني إلى مصر.

عندما حان وقت الرحيل، تم نقلي إلى الشاطئ على متن عربة عسكرية بريطانية، وهناك كان علي انتظار قارب صغير. في هذه الأثناء، وصل بعض الجنود الإسرائيليين، لقد أرادوا اعتقالي، فحجز عنصران من الشرطة العسكرية البريطانية بيني وبينهم. عندئذ بدأ الإسرائيليون بالصراخ مطالبين البريطانيين بعدم التدخل قائلين: "هذه إسرائيل، نحن الآن، السلطة العسكرية هنا." وبينما كان الشجار مستمراً وصل القارب الصغير فقفزت إليه. وبهذه الطريقة تركت موطني. ولا يسعني إلا أن أقول لأولئك من الشرطة العسكرية البريطانية: شكراً لكما.^{٩٤}

في مصر، أودع خالد الحسن الحجر الصحي لعدم وجود شهادة تطعيم في حوزته، ولم يسمح له بمواصلة سفره. ولم تمض بضعة أسابيع على الحجر الصحي، حتى تم نقله إلى أحد المخيمات التي أقيمت مؤقتاً للاجئين في عمق صحراء سيناء، منضماً بذلك إلى ١٦,٠٠٠ لاجئ كانوا قد سبقوه إلى هناك. "لقد كان سجناءً مصرياً لفلسطينيين كانوا بمحض الصدفة لاجئين، وعليه أضحي اسمه مخيماً للاجئين".^{٩٥} سنة كاملة أمضاها الحسن محتجزاً في سيناء. إلا أنه وقبل نقل المخيم بوقت قصير إلى غزة تمكن من الهرب فوصل عبر مصر إلى الأردن. أما التجارب التي عاشها هناك، فقد تركت بصماتها المستقبلية عليه. "في القاهرة ولاحقاً في الأردن، اكتشفت أنه ما من مكان يستطيع الفلسطينيون فيه العمل بحرية من أجل قضيتهم".^{٩٦}

وأخيراً، التقى عائلته في لبنان، ومعاً تركوها إلى سوريا هرباً من الوضع البائس هناك. وقد عمل الحسن في سلك التدريس في سوريا، وذلك في الفترة بين ١٩٥٠-١٩٥١ إلى أن غادرها العام ١٩٥٢ قاصداً العمل في الكويت.

غسان كنفاني صحفي وكاتب فلسطيني كبير، وعضو في حركة القوميين العرب، لاحقاً رئيس تحرير مجلة الهدف لسان حال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والناطق الرسمي باسمها منذ ١٩٦٩ وحتى اغتياله من خلال تفجير سيارته العام ١٩٧٢ من قبل عناصر إسرائيلية في بيروت. وقد ولد غسان كنفاني في نيسان العام ١٩٣٦ في عكا، إذ كان والده يعمل محامياً.^{٩٧}

خلال الرحيل عن حيفا أنضم إلى سكان عكا الأصليين حوالي ١٢-١٥ ألف لاجئ لم تستطع المدينة استيعابهم، وكادت الفوضى أن تعم. في الوقت ذاته، وابتداءً من ٢٥ نيسان راح أغنياء المدينة يهيمون بمغادرتها قاصدين لبنان. في ٢٦ نيسان قامت وحدات من الإيتسل بمهاجمة مشارف المدينة. ووقع الهجوم اليهودي الثاني في

٢٨/٢٩ نيسان، وقامت به وحدات من الهاجاناه عملت بين ما قامت به على قطع التيار الكهربائي عن المدينة.

ومع الانسحاب البريطاني من المدينة في بداية أيار، بدأت المعنويات بالانخفاض شيئاً فشيئاً، في الوقت الذي بدأت فيه ومنذ الخامس من أيار حالات التيفوئيد الأولى تطفو على السطح. أمّا قيادة عكا، بشقيها السياسي والعسكري، فقد كانت قد رحلت عنها حتى قبل أن يقع هجوم الهاجاناة الأخير في ١٦/١٧ أيار لتسقط عكا في أعقابها، وهي تحتضن ٦-٥ آلاف شخص هم كل ما تبقى من أصل ٢٥٠٠٠ نسمة.^{٩٨}

فلنرَ إذًا، كيف خلّد غسان كنفاني هذه الهجرة أدبياً في قصته القصيرة التي كتبها في الكويت العام ١٩٥٨ وتحمل عنوان أرض البرتقال الحزين:

ففي ليلة الهجوم الكبير على عكا بدأت تتوضح الصورة أكثر فأكثر، ومضت تلك الليلة قاسية مرة بين وجوم الرجال، وبين أدعية النسوة ... لقد كنا أنا وأنت ومن في جيلنا، صغاراً على أن نفهم ماذا تعني الحكاية من أولها إلى آخرها ... ولكن في تلك الليلة بدأت الخيوط تتوضح وفي الصباح، ساعة انسحب اليهود متوعدين مزبدين ... كانت سيارة شحن كبيرة تقف في باب دارنا ... وكانت مجموعة بسيطة من أشياء النوم تقذف إليها من هنا وهناك بحركات سريعة محمومة ... وقبل أن أثبت نفسي في وضع ملائم، كانت السيارة قد تحركت ... وكانت عكا الحبيبة تختفي شيئاً فشيئاً في متعرجات الطرق الصاعدة إلى رأس الناقورة ...

كان الجو غائماً بعض الشيء، وإحساس بارد يفرض نفسه على جسدي ... وكنت أنا جالساً بصمت واضعاً ذقني بين ركبتي طاوياً فوقها ذراعي ... وحقول البرتقال تتوالى على الطريق ... وشعور بالخوف يتأكلنا جميعاً ... والسيارة تصعد لاهثة فوق التراب الندي ... وطلقات بعيدة كأنها تحية الوداع ...

وعندما بدأت رأس الناقورة تلوح من بعيد غائمة في الأفق الأزرق وقفت السيارة ... ونزلت النسوة من بين الأمتعة وتوجهن إلى فلاح كان يجلس القرفصاء واضعاً سلة برتقال أمامه مباشرة ... وحملن البرتقال ... ووصلنا صوت بكائهن ... وبدا لي، ساعتذاك، أن البرتقال شيء حبيب ... وأن هذه الحبات الكبيرة النظيفة هي شيء عزيز علينا ... ونزل أبوك من جانب السائق، ومدّ كفاه فحمل برتقالة منها ... أخذ ينظر إليها بصمت ... ثم انفجر يبكي كطفل بائس ...

وفي رأس الناقورة ... وقفت سيارتنا بجانب سيارات كثيرة ... وبدأ الرجال يسلمون أسلحتهم إلى رجال الشرطة الواقفين لهذا الغرض ... وعندما أتى دورنا، ورأيت البنادق والرشاشات ملقاة على الطاولة ... ورأيت إلى صف السيارات الكبيرة يدخل لبنان طاوياً معارج طرقاتها ممعناً في البعد عن أرض البرتقال ... أخذت أنا الآخر، أبكي بنشيج حاد ... وعندما وصلنا صيدا، في العصر، صرنا لاجئين ...^{٩٩}

صلاح خلف (أبو إياد) أحد مؤسسي "فتح"، عضو اللجنة المركزية والمسؤول عن جهاز المخابرات فيها. اغتالته مجموعة إرهابية تابعة لجماعة أبي نضال في تونس في شهر كانون الثاني العام ١٩٩١. ولد العام ١٩٣٣ لأب عمل في السجل العقاري في يافا حتى ١٩٤٠، وبعد ذلك استقل بمحل صغير للمواد الغذائية.^{١٠٠}

لقد عمت الفوضى العارمة مدينة يافا بعيد مهاجمتها من قبل وحدات الإيتسل في ٢٣ و ٢٤ أبريل، وتوجهت جموع الفلسطينيين إلى الميناء واستقلت ظهر السفن المتواجدة فيه، ومع نهاية نيسان، وربما قبل ذلك، كانت القيادة المحلية جميعها -تقريباً- قد تركت يافا. فالناس كانت لا تزال واقعة تحت تأثير الصدمة التي خلفتها الأخبار التي وصلت عن المجزرة التي ارتكبتها الإيتسل في دير ياسين. وما أن بدأت الهجانة هجومها الثاني على القرى الواقعة شرقي يافا، حتى انطلقت الهجرة الكبيرة منها. هذه المدينة التي كانت تعد أكبر المدن الفلسطينية، لم يبق فيها بعد الثالث عشر من أيار أكثر من ٤٠٠ شخص.^{١٠١} إحدى آخر العائلات التي تركت المدينة، كانت عائلة صلاح خلف:

سيظل يوم ١٣ أيار (مايو) محفوراً في ذاكرتي إلى الأبد. ففي هذا اليوم وقبل إعلان دولة إسرائيل بأربع وعشرين ساعة، فرت عائلتي من يافا لتلجأ إلى غزة. فقد كنا محاصرين: كانت القوات الصهيونية تسيطر على كافة الطرق المؤدية إلى الجنوب، ولم يكن لدينا من وسيلة أخرى للنجاة بأنفسنا إلا طريق البحر. كان أن أقلعنا، والدي وأشقائي الأربعة وعديدون آخرون من عائلتنا، في ما يشبه أن يكون مركباً تحت وابل من القذائف التي كانت تطلقها المدفعية اليهودية المتمركزة في التجمعات المجاورة ولا سيما تل أبيب

ولماذا غادرنا دورنا وأرزاقنا ورمينا بأنفسنا في مغامرة المنفى ... إن لم أكن -وأنا الذي يوقر السلطة الأبوية - لأطرح المسألة على نفسي في ذلك الحين حتى مجرد طرح. لاسيما وأنني كنت مقتنعا، شأن ذوي، بأنه ليس أمامنا سبيل آخر للإفلات من الموت. فمجزرة دير ياسين وقعت قبل ذلك بشهر، وزرعت الرعب في نفوس أبناء وطني

وإذا كانوا يجهلون ما ينتظرهم، فإن أهلي قرروا خلاف ذلك. فهم في نهاية الأمر، يلتجئون إلى غزة، المدينة التي ولد أبي فيها. ثم أنهم لاستئمانهم، خلفوا وراءهم أثاثهم وممتلكاتهم حاملين معهم الأمتعة الشخصية ذات الضرورة القصوى، ولكاني أنظر الآن إلى أبي وهو يمسك بيده مفاتيح مسكننا ويقول لنا مطمئناً إننا لن نلبث أن نعود إليه. ولكنه قدر لي ألا أرى بعد ذلك المنزل الذي ولدت فيه.^{١٠٢}

ولد خليل الوزير بتاريخ ١٠ تشرين الأول العام ١٩٣٥ في مدينة الرملة لأب كان يعمل تاجراً صغيراً. وقد أسس مع ياسر عرفات العام ١٩٥٧/١٩٥٨ تنظيم "فتح" في الكويت. كان مسؤولاً عن الجريدة السرية الأولى لـ "فتح" فلسطينياً، التي كانت قد صدرت في الأعوام ١٩٥٩-١٩٦٤. وفي الفترة ما بين ١٩٦٣-١٩٦٥ وقف على رأس

مكتب فلسطين في الجزائر إلى حين اغتياله في تونس ١٩٨٨ على يد وحدة كوماندو إسرائيلية. وكان من أكثر المقربين إلى عرفات. ويعدُّ الرجل الثاني في "فتح"، وعضو لجنتها المركزية، ونائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، ومسؤول القطاع الغربي، الضفة الغربية، وقطاع غزة.^{١٠٢}

في تموز ١٩٤٨ وصل عدد سكان اللد والرملة معاً ٥٠-٧٠ ألف شخص، منهم ١٥ ألف لاجئ قدموا من يافا ومحيطها. كانت الهجمات الأولى على المدينتين المتجاورتين قد بدأت في أيار من ذلك العام؛ ففي الخامس والعشرين منه حصل هجوم جوي على المدينتين أدى إلى تدمير بيت قتل فيه ثلاثة أشخاص، وجرح الكثيرون. وفي حين أن العائلات الغنية كانت قد هربت في الأشهر التي سبقت إلى شرق الأردن.

فعمليات القصف الأولى التي حصلت بتاريخ ١٠ تموز؛ عملية داني أحدثت الهلع المطلوب، وقادت إلى موجة الرحيل الأولى. وفي اليوم التالي هاجم لواء دبابات بقيادة موسى ديان اللد، انسحب على أثره الفيلق العربي الذي كان مرابطاً هناك بوحدة تتألف من ١٢٠-١٥٠ جندياً. بعد ذلك بيوم واصل الجيش الإسرائيلي تقدمه نحو الرملة بعدما أعلن وجهاء المدينة التسليم.

في غضون ذلك وقعت حادثة أدت إلى فتح الباب على مصراعيه أمام الهجرة الجماعية من الرملة، إذ أدى دخول بضع سيارات مصفحة تابعة للفيلق العربي إلى حصول تبادل قصير لإطلاق النار خلف مجزرة بلغت حصيلتها ٢٥٠ ضحية، وعشرات الجرحى.

وبناء على تعليمات بن غوريون، صدر الأمر، أخيراً، بطرد سكان اللد: "يجب طرد سكان اللد بسرعة. ويجب توجيههم نحو بيت نبالا. يفتاح -مركز قيادة اللواء- يجب أن تحدد الوسيلة، وتبلغ (عملية) داني إلى مركز القيادة ... طبق فوراً".^{١٠٤} الأمر كان موقعاً من رابين، وتلى ذلك أمر آخر بطرد الفلسطينيين المتبقين في الرملة.

خليل الوزير، ابن الثانية عشرة، طرد مع عائلته من الرملة:

أتذكر وكان الأمر قد حصل أمس ... في إحدى الليالي أحاطوا باللد والرملة، وقد كان بإمكانهم القيام بذلك بسهولة شديدة لأن الأردنيين انسحبوا دون قتال. كنا محاصرين ووحيدين ... عندما قررنا عدم الرحيل صب اليهود غضب مدافعهم على اللد والرملة. لا أستطيع أن أنسى ما حدث، فقد أصيب أعلى بيتنا فنزلنا إلى الطابق السفلي. بعد ذلك انفجرت قذيفة أخرى في الشارع، ودمر باب بيتنا أيضاً. القذائف كانت تتساقط على كل مكان في الرملة. رئيس البلدية أوعز إلى الناس باللجوء إلى الجوامع والكنائس للاحتباء بها ... في الطريق قتلت القذائف بعض جيراننا ... وعندما حضر اليهود صعدت إلى الطابق الخامس. نظرت من مصراع النافذة، ورأيت بأعيني الجنود اليهود يطلقون النار، ويقتلون بعض النساء

والأطفال ممن كانوا لا يزالون في الشارع. لا أستطيع أن أنسى. ثم راقبت الجنود اليهود عندما دخلوا بيوتنا رافسين كاسرين الأبواب، ومطلقين النار. أحياناً كانوا يسحبون أناساً إلى الشارع ويقتلونهم لقد كنا متأكدين أننا سنذبح ... بعد يومين، أمرنا اليهود بإخلاء بيوتنا، والتجمع عند نقطة معينة على الشارع ... هناك كان في حوزتنا بعض الحقائق. في إحداها كان هناك خبز وجبن وبيجامة جديدة، كنت فخوراً بها جداً. وعندما أخبرنا اليهود أننا لا نستطيع اصطحاب الحقائق إلى الباص قمنا بمحاولة لإخراج الخبز والجبن وبيجامتي الجديدة ... عندما وضعت يدي داخل الحقيبة كان هناك بعض الصباح الغاضب بالعبرية. في تلك اللحظة شدتني أُمِّي إلى صدرها وقد رأت أن جندياً يهودياً كان يصوب بندقيته نحوي. لقد انطلقت عدة طلقات. من الممكن أنني كنت قد أصبت ومن المحتمل قد قتلت لو لم تشاهد أُمِّي ما كان يحدث. فالرصاصة التي أخطأتني بالكاد دخلت ساق أحد جيراننا.^{١٠٥}

جورج حبش: مؤسس حركة القوميين العرب (العام ١٩٥٢ في بيروت) والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (أيضاً في بيروت، العام ١٩٦٧)، يعتبر بجانب عرفات القائد الثاني البارز في الحركة الوطنية الفلسطينية. ولد في اللد العام ١٩٢٦ لأب مسيحي أرثوذكسي كان يكسب قوته كتاجر للحبوب، وكان ميسور الحال إلى درجة استطاع معها تمويل دراسة ابنه لموضوع الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت.^{١٠٦}

خلال الحرب في فلسطين ترك حبش الشاب دراسته في بيروت حتى يكون إلى جانب أسرته في اللد. وفي حديث أجري معه لاحقاً يستذكر حبش النكبة:

ما حدث في فلسطين في ذلك الحين كان مرعباً، لا يحتمل، وبخاصة بالنسبة لشباب مثلي في مطلع العشرينيات تنقصه بعد التجربة. بالنسبة لي، فإن الشيء الطبيعي جداً في هذا العالم هو أن أكون في اللد، في فلسطين. وأخيراً، فإن اللد تبقى مسقط رأسي، وفلسطين هي موطني.

بعد ذلك اضطررتني الظروف إلى أن أعيش تجربة دخول الجيش الإسرائيلي المدينة. لقد أطلقوا النار على كل شيء يتحرك، هكذا ببساطة. وفي اليوم التالي أمروا سكان اللد بالرحيل عن مدينتهم. لقد أعطوا الأمر بذلك، أنا متأكد بشكل مطلق. وبالعنف طردونا خارجاً، قتلوا الناس حتى في الطرقات. شيء لا يصدق. لما عدت إلى بيروت، كنت مصمماً على الاستمرار في النضال من أجل مسألة كانت عادلة وواضحة تماماً.^{١٠٧}

ما الفائدة من إشفاء جسم مريض، إذا كان مثل هذا الشيء ممكن الحدوث. يجب تغيير العالم، عمل أي شيء، القتل إذا كان ضرورياً، وحتى أن يخاطر المرء في أن تصبح ذاته غير إنسانية.^{١٠٨}

شكلت المعارك التي حصلت في تشرين الأول ١٩٤٨ في جنوب فلسطين وشمالها نهاية الحرب في هذا البلد. ففي الشمال هُزمت الألوية العربية في الجليل الأعلى، ما أدى إلى تشرد وهروب ٥٠-٦٠ ألفاً من سكان قرى الجليل إلى لبنان.

يعدُّ أحمد اليماني (حريكاً أبو ماهر) أحد العسكريين الأوائل في حركة القوميين العرب في لبنان. شارك في تحرير الصحيفة السريّة "الثّار". أصبح لاحقاً عضواً قيادياً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وممثلاً لها في اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. منذ العام ١٩٨٣. مسقط رأسه قرية سحماتة في الجليل.^{١٠٩} في العام ١٩٤٨ كان في سن يسمح له بلعب دور نشيط ضد تأسيس دولة يهودية في فلسطين العام ١٩٤٨.

في كل قرية كان هناك مجلس محلي، ومنها جميعاً تشكلت لجنة مركزية. كنت نائب رئيس لجنة سحماتة وسكرتير اللجنة المركزية في الجليل. وقد بدأنا في محاولة تنظيم الشؤن المدنية، ثم اضطررنا الظروف إلى اللجوء إلى لبنان لتغطية احتياجاتنا؛ لأن عكا لم تعد بعد تحت تصرفنا. لقد احتل الصهاينة معظم فلسطين، في حين انسحب جيش الإنقاذ إلى عيطرون. واستمر نضالنا حتى تشرين الأول إلى حين هاجم الصهاينة الجليل، واحتلوه كله، وطرّدوا شعبنا إلى لبنان. إنني أحد الذين عارضوا الإخلاء؛ ولأنني كنت مؤمناً بذلك لم أغادر قريتي حتى بعد أن تركها الآخرون. لقد اقترحت عليهم اللجوء إلى الحقول بدلاً من البيوت خوفاً من القصف، ثم نعود ثانية لنواجه قدرنا سوياً، حتى لو كان ذلك يعني القتل. وعندما احتل الصهاينة قريتنا، كنت أحد الناس الذين اعتقلوا. أحد الأخطاء السياسية التي اقترفتها قيادتنا أنها لم تمنع الإخلاء. كان يجب علينا البقاء. كان بحوزتي بندقية ورشاش ستن. أخبرني والدي: "الصهاينة قادمون، أنت تدري ماذا يفعلون بالفتيات، خذ أختيك، واذهب إلى لبنان؛ فأجبت بأنني أفضل إطلاق النار على أختي، وعليكم جميعاً والاحتفاظ بالرصاص الأخيرة لنفسك. هذا سيكون أفضل من الرحيل. ثم بعد ذلك سقطت قريتنا، هم تركوا وأنا اعتقلت، ولكن قيادتنا كانت في الخارج، في القاهرة، ودمشق، وبيروت. وحين تكون القيادة بعيدة لا يمكنها أن تطلب من الناس البقاء".^{١١٠}

وقد أبعد أحمد اليماني إلى لبنان بعد خروجه من السجن الاسرائيلي^{١١١}.

ياسر عرفات، مؤسس حركة "فتح"، ومنذ العام ١٩٦٩ يرأس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ولد في القاهرة العام ١٩٢٩، وهناك صلة قرابة تربطه بالحاج أمين الحسيني، ليس فقط من جهة الأب، وإنما من جهة الأم أيضاً. مثله الأعلى كان عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس. ومباشرة بعد عودة المفتي من منفاه في ألمانيا إلى القاهرة في أيار ١٩٤٦ بدأ عرفات المشاركة في تهريب السلاح عبر سيناء إلى فلسطين. وفي نيسان ١٩٤٨ كان عرفات ضمن وحدة كوماندوز من الأخوان المسلمين انطلقت إلى فلسطين للنضال هناك من أجل حرّية أرضه. أما تجاربه في حرب ١٩٤٨، فيسردها في مقابلة معه.

كنت بعد شاباً يافعاً، ولكن بسبب العلاقات التي تمتعت بها أسرتي كنت قريباً من صانعي السياسة الفلسطينية بحيث سنحت لي الفرصة لأن أتعرف إلى السبب الحقيقي لمأساتنا. فالحقيقة أننا خدعنا من قبل الحكومات العربية. أنا متأسف لقول ذلك، والبريطانيين الذين عملوا جدياً لإنشاء دولة يهودية... لا أستطيع أن أنسى ذلك أبداً. وحين دخلت الجيوش العربية فلسطين كنت موجوداً في غزة. حينئذ حضر ضابط مصري إلى مجموعتي، وطالبنا بتسليم أسلحتنا. في البداية لم أصدق ما سمعت. سألتناه لماذا؟ فأجاب الضابط، بأنه ينفذ أمراً صادراً عن الجامعة العربية. اعترضنا دون جدوى. مقابل بندقيتي حصلت على سند من ذلك الضابط الذي أخبرني أنني أستطيع استرجاعها بعد انتهاء الحرب. في تلك اللحظة أيقنت أن هذه الحكومات قد خدعتنا. لقد أصابني خيانتهم في نفسي... لا أستطيع أن أنسى ذلك أبداً.^{١١٢}

العنوان الرئيسي للتجربة التي عاشها جميع هؤلاء الذين تم الاستشهاد بهم، وممن أصبحوا لاحقاً قادة للحركة الوطنية الفلسطينية، هو العنف اليهودي-الإسرائيلي وعلاقتهم به شخصياً ووجودياً. فمن جهة أدى هذا العنف إلى إقامة دولة إسرائيل، وأدى، من جهة أخرى إلى تهجير الفلسطينيين وطردهم من أرضهم، وكلاهما بعدان لظاهرة النكبة. لقد حدد شكل الصراع في المستقبل سلفاً، فبعد تجربة العنف المباشر التي تعرض لها الشباب الفلسطيني والتي انتهت بهزيمتهم، كان لا بد للصراع في المستقبل أن يتسم بالعنف.

أمّا دور الحكومات العربية في حرب ١٩٤٨، فقد كان تأثيره سلبياً بشكل عام، وبالنسبة لقادة "فتح" اللاحقين، فإن الرد على النهج الخياني للحكومات العربية تمثل في وطنية فلسطينية خالصة. أما مؤسسو حركة القوميين العرب، فقد طوّروا - وكرد على النكبة - قومية عربية ذات مفهوم ثوري تسعى للإطاحة بالأنظمة المسيطرة. فهزيمة القيادة الفلسطينية في عهد الانتداب على ضوء النكبة وعدم تواجد أحد من القياديين الفلسطينيين في الوطن، حيث الحاجة الماسة له، شكل السبب المباشر لتأسيس هؤلاء الشباب الفلسطينيين. وفي الأدب السياسي الذي يتعرض للنكبة، تحظى مشكلة القيادة في المجتمع الفلسطيني بمكان مركزي. جاباي (Gabby) مثلاً، يعتبر أن رحيل الطليعة الفلسطينية مسبقاً في الأعوام ١٩٤٧/١٩٤٨ كان سبباً حاسماً في انهيار التركيبة الكلية للمجتمع الفلسطيني؛ بكلمات أخرى جعل النكبة ممكنة الوقوع.^{١١٣}

قبل ذلك لاحظ الذين عاصروا الأحداث داخل فلسطين وخارجها افتقار الفلسطينيين إلى قيادة فلسطينية.

حتى أولئك الذين يتقبلون النقص في التحضير والتنظيم والتسلح، وقلة المعرفة بشؤون الحرب الحديثة عند العرب، صدمهم هذا الانهيار الكامل، والشامل والهرب المفزع. فبالكاد يمكنك أن تصدف بعد عربياً واحداً في موقع مسؤولية في فلسطين.^{١١٤}

وقد هاجمت الصحافة العربية، وبعبارات شديدة، هروب الطبقة العليا خلال المرحلة الأولى للهجرة قبل الخامس عشر من أيار ١٩٤٨: "إنهم يتركون بيوتهم وأماكن عملهم ليقيموا في أماكن أخرى. كثيرون منهم عاشوا في نعيم وترف. وما أن انطلقت الشرارة الأولى للاضطرابات حتى ابتعدوا، وذلك للتخلص من عبء الكفاح ...".^{١١٥}

ولما حاولت القيادة السياسية الفلسطينية بذل قصارى جهدها للحد من تدفق الهجرة التي شملت قطاعات سكانية مختلفة، بقي هذا الجهد، وبشكل منطقي، دون جدوى، فلا عجب كون الأمور تمت ملاحقتها من الخارج.^{١١٦}

لقد أفقدت تجربة النكبة القيادة السياسية القديمة (الحرس القديم) قدراً كبيراً من سلطتها على اللاجئين الفلسطينيين بشكل عام، وعلى الشباب بشكل خاص؛ فهذه القيادة أثبتت عجزها أثناء احتدام المعارك. وحتى فيما يتعلق بمجريات الأمور داخل فلسطين، فقد وقفت في أغلب الأحيان مكتوفة الأيدي كمن لا حول له ولا قوة.^{١١٧} فهي لم تقف في وجه المصالح الخاصة للأنظمة العربية، ولم تتمكن من تخفيف معاناة المشردين في الشتات - على الأقل مادياً - في تلك الأشهر والسنوات الأولى التي أعقبت النكبة.

أما المجتمع الفلسطيني في فترة ما بعد النكبة، فلم يبق منقسماً على نفسه فحسب - كما كان الأمر في عهد الانتداب - بل أضيف إلى ذلك التششت الجغرافي، والغياب الفعلي للقيادة. ومصير "حكومة عموم فلسطين"، بزعامة الحاج أمين كان خير دليل على ذلك. هذا الفراغ الذي حدث على مستوى القيادة اضطرت إلى ملئه طلائع سياسية جديدة. وكانت الأحياء في ذلك من نصيب طلاب، ومتقنين، ومهاجرين فلسطينيين.

رابعاً: الفلسطينيون في الشتات وتأسيس الجيل الجديد

لما حصلت الهجرة والتهجير في العام ١٩٤٨ اندفع الفلسطينيون في اتجاهات ثلاثة: نحو الشمال، إلى لبنان وسوريا، حيث استوعب كلا البلدين ١٧١,٠٠٠ (٢٤٪) لاجئ. وقد كانت حصة لبنان الصغير ما يقارب ١٠٠,٠٠٠ جاءت غالبيتهم من شمال فلسطين؛ قرى الجليل، والمدن الساحلية حيفا، وعكا، بالإضافة إلى الناصرة، وبيسان، وصفد وطبريا. نحو الشرق، إلى الضفة الغربية، وشرق الأردن حيث لجأ ٢٧٩,٠٠٠ (٣٩٪) ثم ٧١,٠٠٠ (١٠٪) تبعاً. وقد قدم هؤلاء، غالباً، من وسط فلسطين؛ أي من السهل الساحلي الواقع على امتداد المسافة بين حيفا ويافا، بالإضافة إلى مناطق اللد، والرملة، والقدس. نحو الجنوب، إلى قطاع غزة، حيث التجأ ١٨٦,٠٠٠ (٢٦٪) من مواطنهم الأصلي في جنوب فلسطين؛ أي مناطق غزة بالإضافة إلى يافا، والرملة.^{١١٨}

أمّا تلك الأجزاء من فلسطين، التي أقيمت عليها دولة إسرائيل، فلم يبق فيها سوى ١٥١,٠٠٠، في حين ازداد عدد سكان الضفة الغربية ووصل إلى ٧٤٢,٠٠٠ نسمة، وقطاع غزة وصل إلى ٢٧٤,٠٠٠. وفي العام ١٩٥٢ كان يعيش في شرق الأردن ١٨٥,٠٠٠ فلسطيني و٤٠٥,٠٠٠ أردنيين. أمّا في المملكة ككل (شرق الأردن والضفة الغربية) فكان هناك ٩٢٧,٠٠٠ فلسطيني و٤٠٥,٠٠٠ أردنيين. فالمملكة إذا كانت تسكنها أغلبية فلسطينية واضحة.^{١١٩}

وعلى الرغم من أن أكثرية الفلسطينيين قد عاشت بعد ١٩٤٨ في المملكة الهاشمية، وقطاع غزة الذي تم وضعه تحت الحكم العسكري المصري، فإن لبنان والكويت كانا البلدين اللذين تشكلت فيهما الحركتان السياسيتان اللتان تسيطران منذ ١٩٦٨ على م.ت.ف، ومنهما تتألف الحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة، وحركة القوميين العرب، و"فتح". فكلتاهما بدأت نشاطها الحشدي، والتنظيمي المدون في لبنان: فكانت هناك حركة القوميين العرب^{١٢٠} بزعامة د. جورج حبش والصحيفة السرية الناطقة باسمها الثار التي صدرت في الأعوام ١٩٥٢-١٩٥٨ في بيروت. ثم "فتح"،^{١٢١} حيث القيادة الجماعية مع ياسر عرفات، وخليل الوزير في المواقع البارزة، والصحيفة السرية فلسطيننا، التي اعتادت أن تطبع في بيروت في الأعوام ١٩٥٩-١٩٦٤.

هذا الشيء يدفعنا إلى التعرض لظاهرة، تبدو للوهلة الأولى متناقضة، وهو أن الوطنية الفلسطينية بعد النكبة تكونت على هامش المراكز السكانية الفلسطينية. ولذلك سنقوم بخطوة أولى بتحليل الوضع في لبنان، وذلك لاستيضاح الظروف التي تأثر بها الطلاب الفلسطينيون والعرب في الجامعة الأمريكية في بيروت، وفي ظلها تسيّسوا، وشكلوا حركة القوميين العرب. وفي أعقاب ذلك سنتتبع كيفية تكون وتطور الجالية الفلسطينية المهاجرة في الكويت التي شهدت ميلاد "فتح".

أ. الشتات الفلسطيني في لبنان

ما الذي ميّز تلك التركيبة الاجتماعية - الاقتصادية لذلك الجزء من المجتمع الفلسطيني الذي شكل بعد العام ١٩٤٨ ما يسمى بالشتات الفلسطيني في لبنان؟ يبدو للوهلة الأولى وكأن هذا الشتات قد انقسم إلى قسمين: سكان المخيمات من جهة، والحضر الذين استوطنوا المدن من جهة أخرى. وإذا ما أمعنا النظر، فإنه من الممكن التمييز بوضوح بين ثلاث شرائح اجتماعية تألف منها هذا الشتات؛^{١٢٢} فالقمة تتشكل من البرجوازية المالية، والتجارية، يضاف إلى ذلك بعض عائلات الوجهاء، أي طبقة ملاكي الأراضي في عهد الانتداب، التي انتقلت للعيش في لبنان في الأعوام ١٩٤٧-١٩٤٨ أو بعد ذلك. أما الوسط الممتد على مساحة عريضة، فيشمل الطبقة الوسطى التي تتمايز

في داخلها ليس فقط على الخط الذي يصل بين أعلى الطبقة وأسفلها، وإنما أيضاً في نشاطها التجاري، والخواص المترتبة عليه. وفي أسفل السلم نجد اللاجئين في المخيمات التابعة لوكالة الغوث (الأونروا): فلاحون فقدوا أرضهم، وفقراء المدينة. وحتى هؤلاء يتمايزون في تركيبتهم الاجتماعية-الاقتصادية بشكل قوي. إلا أن الفرق يظهر في الغالب بين سكان المخيمات من جهة، وسكان المدن من جهة أخرى، وهو فرق لا يمكن تجاهله. في حين يمكن ملاحظة تداخل معين انطلاقاً من الطبقة الوسطى إلى أعلى.

وحسب المعطيات التي يقدمها الاقتصادي يوسف صايغ، فقد ترك فلسطين العام ١٩٤٧/١٩٤٨، ١٨٠٠٠ غني فلسطيني، وهذا يشمل طبقة البرجوازية والوجهاء، اختار منهم ٨٠٠٠ بيروت، و٦٠٠٠ عمان، و٤٠٠٠ دمشق.^{١٢٣} وعليه، فقد أقام معظم الأغنياء في بيروت، أما كبار الأغنياء فقد فضلوا الإقامة في عمان. وبالمقارنة مع دمشق وعمان اجتذبت بيروت عدداً أكبر من المسيحيين اتباع هذه البرجوازية، وهو ما يعد نتيجة طبيعية للتركيبية اللبنانية، حيث الموقع المهيمن للموارنة في الاقتصاد والسياسة.

وقد كانت بعض قطاعات البورجوازية الفلسطينية، كما أسلفنا، قد غادرت البلاد قبل اندلاع الحرب. وأسست فروعاً لها في العواصم العربية المختلفة، وأصبحت هذه الفروع بعد الحرب مراكز العمل الرئيسي.

شكلت فلسطين، والأردن، وسوريا بالإضافة إلى العراق، بصورة أو بأخرى، منطقة اقتصادية مترابطة تقدم سوقاً، وقطاعاً للاستثمار لبرجوازية التجارة والمال التي تجمعت بشكل خاص في المدن الساحلية على غرار بيروت، يافا وحيفا. وحتى العام ١٩٤٨، فإن تقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ إنجليزية وفرنسية لم يغير مبدئياً من هذا الواقع شيئاً، فرجال الأعمال من حيفا ويافا تحركوا في بيروت أو دمشق أو عمان جنبا إلى جنب مع شركاء أو منافسين من هذه المدن، فبالإضافة إلى حاجتهم الاقتصادية لبعضهم بعضاً، تجدر الإشارة إلى العلاقات الأسرية المتعددة داخل القطاعات المختلفة لبرجوازية التجارة والمال العربية. كما انتشرت ظاهرة التصاهر بين الأغنياء في المراكز المدنية العربية.

وبعد الحرب العالمية الثانية، التي جلبت الاستقلال إلى كل مناطق الانتداب آنذاك ما عدا فلسطين، دخل نوع من الرخاء الاقتصادي كعامل جديد: إلى المنطقة، ساهم الجميع فيه، سواء في بيروت أو دمشق أو بغداد أو عمان. ومنه استفاد الجميع، وفي مقدمتهم القطاع الفلسطيني من البرجوازية الذي حظي حتى ببعض الامتيازات. فالنشاط الإنجليزي-الأمريكي المتصاعد في المنطقة جلب معه طلباً متزايداً على شركاء، مساعدين وموظفين يتحدثون الإنجليزية، وهو ما استطاع الفلسطينيون توفيره بشكل أفضل بالمقارنة مع اللبنانيين والسوريين على سبيل المثال، حيث تستخدم الفرنسية كلغة ثانية.

ويشير الاقتصادي نبيل بدران إلى نقطة مهمة في سياق الرخاء الظاهر للبرجوازية الفلسطينية في لبنان: "حررت النكبة هذه المجموعات من سلوك استهلاكي غير عقلاني، ودفعتها إلى استثمار كل المصادر المتاحة لديها من أجل انتعاش اقتصادي ... " ١٢٤.

كما ساعد تحرير الأموال المجمدة في بنوك فلسطين الكبيرة (البنك العثماني، بنك باركلينز) في إعطاء دفعة جديدة لعملية الانتعاش الاقتصادي التي كانت قد بدأت. فحتى العام ١٩٥٥ حوّل ما مجموعه ٢,٥ مليون جنيه فلسطيني إلى أصحابه، وزهبت بعض الأموال إلى الأردن، حيث يعيش مليون فلسطيني تقريباً (١,٥ مليون جنيه)، وإلى لبنان، حيث يعيش ٠,١ من الفلسطينيين، أي حوالي ١١٤,٠٠٠ نسمة (٦٠٠,٠٠٠ جنيه). ١٢٥.

وقد نشطت برجوازية التجارة والمال الفلسطينية في لبنان في حقل التجارة الدولية، التي بدأت بالتعاظم، وفي حقل البنوك، ليس فقط على المستوى المحلي، وإنما العالمي أيضاً. وفي أعمال البناء والتعهدات خدمت الشركات العالمية كوسيط في المنطقة. ١٢٦.

وقد كان الوجهاء الفلسطينيون، كنتيجة مباشرة للنكبة، قد فقدوا أساس قوتهم ليس فقط الاقتصادية، بل والسياسية أيضاً. فالأراضي التي امتلكوها أصبحت ضمن أملاك دولة إسرائيل، كما أن دورهم في الإدارة السياسية انتهى مع انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين. فقط قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية من عهد الانتداب وعلى رأسها الحاج أمين احتفظت ببعض ما تبقى من وظائف ذات نفوذ سياسي واجتماعي تمارسه في المنفى في مصر. وقد لجأ الحاج أمين إلى بيروت العام ١٩٥٩ بعد أن قام عبد الناصر بإبعاده عن مصر، ليبقى فيها حتى وفاته العام ١٩٧٢.

وفي لبنان عملت وكالة الغوث وكذلك الحكومة اللبنانية بشكل مقصود على دعم القيادة التقليدية للمجتمع الفلسطيني (وجهاء المدن بالإضافة إلى شيوخ القرى والمخاتير) على المستوى المحلي. كما عملت على تقويتها في موقعها، وذلك من خلال إشراكها في الشؤون. ولم يلبث المفتي بعد وصوله إلى لبنان أن أشرك في هذه السياسة. ربما بهدف التخفيف من حالة عدم الرضى التي تسود أوساط اللاجئين. ١٢٧.

وتبقى على درجة من الأهمية بالنسبة لنقاشنا حقيقة أن برجوازية التجارة والمال الفلسطينية لم تكن تملك خطأ سياسياً مستقلاً؛ ففي عهد الانتداب بقيت السياسة، إلى حد كبير، حكراً على طبقة الوجهاء. وما أن أتت النكبة حتى وضعت حداً سريعاً لذلك. في المقابل، وعلى النقيض من البرجوازية في سوريا والعراق أو مصر، حيث الدولة الوطنية المستقلة قائمة أو تمت إقامتها، فإن البرجوازية الفلسطينية، وفي غياب دولة فلسطينية، لم تحصل على فرصة للقيام بنشاط سياسي. ليس هذا فحسب، بل إن النكبة كانت قد دمرت كل وعي أو اهتمام سياسي عند البرجوازية لسنوات مقبلة.

والدليل على ذلك ما تقدمه لنا التقارير الإسرائيلية عن المفاوضات التي عقدت مع ممثلي هذه البرجوازية الفلسطينية في مؤتمر لوزان للاجئين للعام ١٩٤٩.

في لوزان، تحدثوا فقط عن الممتلكات، وجمع شمل العائلات؛ فالأحاديث دارت حول الحسابات البنكية. فقد تركوا، على سبيل المثال، مجوهرات زوجاتهم في خزانة في بنك باركليز، ويريدون استعادتها. لقد تركوا بيارات البرتقال، وقد حضر موسم قطف الثمار، ويريدون السماح لهم بالعودة لقطف ثمارها أو تعويضهم عن الممتلكات التي فقدت. لم يسألوا عن شيء... سوى الخزانات الحديدية وبيارات البرتقال. لم يتحدثوا عن مستقبل البلد أو حدوده، كما خلت الأحاديث من أي مضمون سياسي. هم أنفسهم لم يتقدموا بأية مقترحات من أجل تسوية سياسية. لقد جلسوا كالأغنام... كانوا خائعين. قالوا: "نحن لاجئون مسحقون، لقد انتهينا كشعب، فقدنا كل شيء، خانتنا الدول العربية، أعيدوا لنا ممتلكاتنا... كان لهم مطلب آخر: جمع شمل العائلات."^{١٢٨}

وقد مالت البرجوازية الفلسطينية، من ناحية أيديولوجية، إلى قومية عربية غير محددة، ولا يخلو الأمر من أسباب اقتصادية تقف خلف ذلك. فهذه الطبقة التي زاوت، أو أرادت أن تزاوّل نشاطها التجاري في الشرق الأوسط ككل، رأت في الحدود المصطنعة بين هذه الدول التي أقيمت حديثاً عقبة في سبيلها.^{١٢٩} وقد ترسخ هذا الاتجاه الأيديولوجي من خلال فهم معين للنكبة التي أصبحت بشكل عام فقط كنتيجة لتقسيم العالم العربي. وبناء على ذلك، فإن دولة عربية موحدة هي فقط القادرة على الرد على النكبة، وتحرير فلسطين.

أما الطبقات الفلسطينية المتوسطة، فقد تشكلت بالأساس من حوالي ٣٠ ألف شخص، لما تلبث وكالة الغوث أن قامت بشطبهم من سجلاتها خلال وقت قصير جداً. فبعضهم كان قد هاجر إلى الخليج للعمل هناك، وآخرون ارتفعت مداخيلهم إلى درجة كبيرة. في حين حصل آخرون على قروض من وكالة الغوث لإقامة شركات ومصانع تنتج، على سبيل المثال، مواد استهلاكية شائعة لترويجها في السوق الفلسطينية حديثة النشأة، حيث ازداد الطلب على هذه المواد نتيجة للحرب. إلا أن الأمر لم يخل من معامل صناعية، وبخاصة بسبب رخص الأيدي العاملة الفلسطينية المتوفرة، ما جعل من هذه الصناعات الجديدة صناعات قادرة على تحمل المنافسة. وقد قدّم لبنان، الذي لم يكن يملك أية صناعات، فرصاً كثيرة، ما ساعد هذه المجموعة المستثمرة، في حالات كثيرة، على الارتقاء إلى مستوى البرجوازية الصناعية.^{١٣٠}

وبلا ريب، فإن جزءاً ممن انتسب إلى عالية الطبقة المتوسطة قد عاش في لبنان بطريقة مشابهة لتلك التي يعيشها الوجهاء وأتباع البرجوازية. كما لم يحدث أن تم تسجيلهم في وقت ما في سجلات وكالة الغوث. وقد حصلت غالبية هذه المجموعة في موعد أقصاه مطلع الخمسينيات على الجنسية اللبنانية.^{١٣١}

وقد شكلت وكالة الغوث نفسها ميداناً واسعاً ومريحاً لنشاط الطبقات الوسطى.

ومع نشوء وكالة الغوث واحتياجها إلى بعض السلع، وتشجيعها للاستقلال الذاتي، وتمويلها للمشاريع الإنتاجية الموظفة لليد العاملة اللاجئة، استحوذت البرجوازية المتوسطة على الجزء الأكبر من العروض والمساعدات والقروض، وتطلبت أعمال الإغاثة والبناء والتعليم مواد مختلفة يفترض توفير قسم منها من أسواق الدول العربية المضيفة، ولذا تولى التجار والمتعهدون الفلسطينيون توفير قسم منها. وساهمت العلاقات الشخصية بين المسؤولين في دوائر الوكالة وبين رجال الأعمال (وشجعت وكالة الغوث الاستقلال الذاتي لبعض الفئات المملوكة لجزء من رأس المال)، بإنشاء مشاريع خاصة. ففي لبنان، مثلاً، جرى مساعدة حوالي ٣٨١ شخصاً حتى العام ١٩٥٢، فأُنشئ ٢٠٢ منهم مؤسسات ومحلات تجارية. وتنوعت المشاريع الأخرى من مزارع إلى معامل وأعمال حرفية ومدارس. وكانت البرجوازية المتوسطة الأقدر على الانطلاق لتوفر الإمكانيات المالية والخبرات اللازمة والضامنة لنجاح المشروع.^{١٣٢}

أما الأكاديميون وأصحاب الحرف المختلفة، فقد تمكنوا في أعقاب ما حدث العام ١٩٤٨ من الاستفادة من تلك الخبرات الإدارية التي اكتسبوها في عهد الانتداب البريطاني. فبالإضافة إلى الكفاءة المرتفعة التي تمتع بها هؤلاء، امتازوا أيضاً بالقدرة المستمرة على الحركة: فقد عملوا في مجال التعليم الجامعي في الجامعة الأميركية على سبيل المثال، أو ضمن المؤسسات الدولية، والشركات المتعددة الجنسيات. وقد كانت نسبة المسيحيين ممن انتسبوا لهذه المجموعة على مستوى لبنان كبيرة جداً، ثم تأتي بعد ذلك مباشرة طبقة الأيدي العاملة الماهرة في المجالات التقنية والإدارية والمهنية التي بدأت بالبروز نتيجة للتطورات المدنية التي حصلت في بيروت.^{١٣٣}

في المقابل، عانى كل من العمل اليدوي التقليدي والعمل التجاري المحدود داخل المدن من صعوبات جمة في البداية. كما استفاد بعضهم من مختلف المنح والقروض التي قدمتها وكالة الغوث لخوض تجربة المشاريع الاقتصادية المستقلة. وهنا تبرز أهمية الروابط الاجتماعية القديمة مع عالية الطبقة المتوسطة، وبخاصة أن هذه الشريحة قد شكلت زبونا محتملاً للسلطة المنتجة، ناهيك عن شركاء جاهزين لتطوير المشروع وتوسيعه في حال نجاحه.

وحيث لم ينجح التحول من القطاع التقليدي إلى الحداثة والتجديد، فقد تخلف عنه شبكة اقتصادية تقبع داخل "نظام اقتصادي" منغلقة لم تلبث أن ظهرت أولاً في المخيم، ثم امتدت إلى الحي الفلسطيني، كما كان الأمر في بيروت، إذ ازداد الطلب على المحلات الصغيرة التي تخصصت تقريباً في كل شيء، وبخاصة المواد الغذائية، بالإضافة إلى ورش العمل اليدوي المختلفة.

وقد ميزت الطبقات الوسطى على نطاق عريض، أكثرية اللاجئين، صفتان مهمتان: فمن جهة تمتعوا بقدرة عالية على الحركة والمرونة، بحيث وجدوا أو نشطوا حيثما كانت هناك حاجة أو توفرت الإمكانيات. من جهة أخرى شكل التعليم المدرسي والجامعي لأطفالهم حجر الزاوية في التخطيط للمستقبل.^{١٣٤}

فطلاب سنوات الأربعينيات والخمسينيات تبعوا، بلا استثناء تقريباً، البرجوازية، طبقة الوجهاء والطبقات الوسطى المدنية. فقد تخرجوا من أفضل المدارس الخاصة، سواء في فلسطين أو بعد النكبة في بيروت ليلتحقوا فيما بعد بإحدى جامعتي بيروت المختارتين: الجامعة الأمريكية أو جامعة سانت جوزيف (وكلتاهما جامعتان خاصتان مرتفعتا الأقساط بشكل كبير)، أو أنهم رحلوا إلى الغرب للدراسة هناك. وقد شملت هذه المجموعة الأكاديميين والاختصاصيين وأصحاب المهن الراقية التي تتطلب مواصفات محددة. ومن هنا تعرض هؤلاء، أكثر من غيرهم إلى ما يسمى بظاهرة "هجرة الأدمغة". وما العدد الكبير من الأساتذة الجامعيين الفلسطينيين إلا مؤشر متواضع على ذلك.

في المقابل، ضمن طفل من أسفل الطبقة الوسطى، على الأقل، التعليم الأساسي، وإن لم يكن في أفضل مدارس بيروت الخاصة وأغلاها، ليتم فيما بعد فتح باب التنافس بينهم على المنح العديدة التي تقدمها وكالة الغوث للدراسة في الجامعة الأمريكية أو في الخارج.

وفي الجامعة الأمريكية في بيروت التي تردد ذكرها باستمرار "تسييس" وتجمع ذاك الرعيل الذي أسس حركة القوميين العرب وقادها لاحقاً.

"ينبض قلب الغرب الفلسطينية" في مخيمات اللاجئين التابعة لوكالة الغوث^{١٣٥} التي بلغ عددها في لبنان حتى بداية الحرب الأهلية هناك في ربيع ١٩٧٥ ستة عشر مخيماً. كان يعيش فيها العام ١٩٥٠، ٣٠,٠٠٠ شخص لم يلبث أن انضم إليهم تباعاً وحتى ١٩٥٢، ٣٠٠٠ عائلة أخرى جديدة نتيجة لأسباب اقتصادية في الغالب. أما وكالة الغوث، فقد زودتهم من جانبها بالمسكن مجاناً، بالإضافة إلى وسائل التدفئة. وفي منتصف الخمسينيات كان مجموع القاطنين في هذه المخيمات ٤٥,٠٠٠ أي ما يقارب ٤٤٪ من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان الذين بلغ عددهم حسب إحصائيات وكالة الغوث ١٣٦,٠٠٠، ولم تلبث هذه النسبة أن استقرت في الستينيات على ٤٠٪ في مقابل ٦٠٪ من اللاجئين الذين عاشوا في مدن لبنان، وأحياناً في قراه أيضاً.^{١٣٧}

وقد كانت معاناة هؤلاء اللاجئين الذين قطنوا المخيمات التي انتشرت في لبنان وسوريا والأردن كبيرة، ومع ذلك لم تبلغ حد معاناة أولئك الذين استقروا في قطاع غزة، مقتلعين من وطنهم الذي شكل حتى ذلك الحين مورد رزقهم، وجدوا أنفسهم فجأة معدمي الحال في شتات لا آخر له.

"صحيح أن مساعدة وكالة الغوث قد حالت دون أن يتضوّر اللاجئين جوعاً. إلا أن هذه المساعدة أعطت أيضاً صورة مغلوطة تنم عن اعتماد تام على الإحسان الدولي؛ هذه الصورة تخفي حقيقة أن الفلاحين الفلسطينيين قد حُولوا إلى فائض من عمال لا أرض لهم.

كما شكلت هذه المساعدة إعانة غير ظاهرة تضاف إلى الأجور التي تدفع. ومنذ البداية كان من غير الممكن البقاء على قيد الحياة دونما عمل، كما أن استعداد الفلسطينيين لقبول أي عمل، وبأي أجر، قد زود العالم العربي بسوق محتملة لقوى عاملة مفرطة في النشاط " ١٣٨.

أما فيما يتعلق بالبنية الاجتماعية، فقد شهدت مخيمات لبنان تبايناً حاداً؛ فسكانها لم يكونوا أبداً مجموعة من الفلاحين ممن فقدوا أرضهم، وافتقروا إلى المعرفة، والقدرة، والعمل مستسلمين لقدرهم طائعين مختارين،^{١٣٩} بل كانوا خليطاً من عمال في الزراعة، مستأجرين، فلاحين صغار، متوسطين وكبار، بالإضافة إلى فقراء المدن.^{١٤٠}

ولم تعمل النكبة على إذابة هذه الفوارق الاجتماعية أو إزالتها، تلك الفوارق التي خلفها عهد الانتداب، بل على العكس من ذلك فقد عمقتها. وفي حين اقتصرت المفارقات الاجتماعية، في عهد الانتداب، على ملكية الأراضي كأساس لها، فقد حل محلها بعد العام ١٩٤٨ التعليم، وما يرتبط به من مدخل إلى الوظائف، ذات الدخل الجيد أو السيئ على حد سواء. فمن غير إكمال التعليم المدرسي كان محكوماً على الفلسطيني أن يتحول إلى عامل مياومة تتحكم به الفرص والمواسم. أما ذريته فستبقى رهينة هذا المحبس، مع انعدام الوسيلة للخروج من هذا المستنقع التحت بروليتاري أو المزدري. "مفتاح الجنة" شكلته شهادة الدراسة الثانوية أو الجامعية، إذ بفضلها أصبح المجال مفتوحاً أمام وظائف عالية الأجر، وبخاصة في دول الخليج.^{١٤١}

وإذا ما نظرنا إلى المخيمات نفسها، فإننا نلاحظ تفاوتاً بينها. وبشكل عام، فقد كان وضع القاطنين في المخيمات الثمانية الموجودة في بيروت وحولها، وحتى ١٩٨٢، أفضل في حد ذاته منه داخل المخيمات الواقعة على أطراف القطر اللبناني. ففي الوقت الذي توافرت فيه فرص العمل في بيروت بشكل جيد، انعدمت هذه في المناطق البعيدة عن المركز، وبخاصة في النواحي الريفية لتقتصر على فرص العمل الموسمي فقط. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه حتى داخل بيروت نفسها تجلت فروق عميقة بين المخيمات؛ فقد عد برج البراجنة مخيم البرجوازية الصغيرة، وبخاصة أن نواة هذا المخيم قد تشكلت في جوهرها من أناس كانوا قد سكنوا في السابق قرى عرفت بغناها أو بتمتعها بتقليد تعليمي معين، أي أنه وجد فيها خلال عهد الانتداب مدرسة واحدة على الأقل.^{١٤٢}

في حين ارتسمت صورة مخيم تل الزعتر وهو المخيم الذي تم تدميره العام ١٩٧٦ في الأذهان "كقاعدة للطبقة العاملة". وبدهي أن السبب ربما يعود في الدرجة الأولى إلى

موقعه الجغرافي، إذ امتاز بقربه المباشر من مركز بيروت الصناعي. وفي دراسته التي أعدها عن تل الزعتر، يخلص الباحث الاجتماعي هاني مندس إلى نتيجة مفادها أن ٧٪ من سكان المخيم قد تبعوا طبقة البروليتاريا، ٨٥٪ تحت البروليتاريا و ٣٪ ما يسمى "بالبروليتاريا الرثة". كما بلغ عدد العمال المهاجرين ما يقارب ٩٠٠ عامل نصفهم في ألمانيا (الاتحادية).^{١٤٣}

فمن خلال مثال التعليم أو النظرة إلى الكفاءة التعليمية يمكن، بوضوح، إظهار الفروق الاجتماعية ليس فقط داخل المخيم الواحد، وإنما أيضاً بين المخيمات المتعددة. وفيها ما تزال تؤثر الفجوة التعليمية التي اعتادت أن تظهر في عهد الانتداب ليس فقط داخل القرية نفسها، وإنما بين القرى المختلفة أيضاً. فالفروق بين عائلات تمتعت بتعليم مدرسي، وأخرى افتقرت إليه، بين أميين وأولئك الذين حازوا على الشهادة الابتدائية تعمقت بعد ١٩٤٨ خالقة حواجز طبقية بعيدة الغور. فعامل اليومية الذي لم يتمكن من الاستمرار في المدرسة، بسبب الحرب والتهجير الذي لازمها، ظهر في سنوات السبعينيات غير قادر على جمع المال الكافي لضمان استمرار أولاده في المدرسة. في المقابل، أدى وجود مدرستين ثانويتين خاصتين منذ إنشاء مخيم ظبية الخاص باللاجئين الفلسطينيين من ذوي الديانة المسيحية بالقرب من بيروت إلى تمكين أطفال المخيم من تلقي تعليم مدرسي جيد. وفي مطلع السبعينيات عملت نسبة كبيرة من شباب هذا المخيم في دول الخليج.^{١٤٤}

تطور العمل والعمالة في صفوف اللاجئين

يمكن تلخيص بعض الخطوط العامة لتطور العمل والعمالة في صفوف اللاجئين الفلسطينيين، كالتالي:

" تحول قوى نحو قطاع الخدمات ذات المداخل المتوسطة والمتدنية، فقد تطورت الطبقة العاملة الصناعية بشكل بسيط فقط، والتحرك بعيداً عن الزراعة...؛ جاذبية المهن الفكرية خاصة مهنة المعلم، سيل عارم من عمال مهرة وخبراء ممن يحملون شهادات جامعية يتدفق نحو الخليج. واستمرار الفقر في صفوف عائلات العمال غير المهرة " ^{١٤٥}

وحتى لا يبقى الأمر مبتوراً، علينا أن نسلط الضوء على الوضع الاجتماعي-السياسي في مخيمات اللاجئين، ومن ثم النظر إليه على ضوء أهميته بالنسبة للشئات الفلسطينية ككل في لبنان. " فقلب الغربة الفلسطينية "، كما أوردنا في البداية، كان ينبض في المخيمات، وفي المخيمات أيضاً كانت الذكرى حية أكثر منها في أي مكان آخر، بل إنه يمكننا القول إن فلسطين نفسها استمرت تعيش داخل هذه المخيمات. فالتركيبات الاجتماعية داخل القرية

الفلسطينية؛ حيث العائلة والحمولة في المركز بقيت، وإلى حد كبير، قائمة. كما أن الأمر لم يتغير بالنسبة للبنان الاجتماعي التقليدي، حيث يقف المختار أو الشيخ في القمة، وهو ما عملت وكالة الغوث، كما أسلفنا، على تعزيزه في فترة ما بعد النكبة.^{١٤٦}

وقد سهّل وجود المخيمات من جهة علمية السيطرة السياسية على اللاجئين، إلا أنها من جهة أخرى كانت خير أمين على التقاليد الفلسطينية الخاصة. وبذلك تحوّلت المخيمات ليس فقط إلى مراكز للاضطهاد وإنما إلى مراكز للوطنية الفلسطينية أيضاً.^{١٤٧} إلا أن هذا الجمود، وهذا الإصرار على التمسك بوضع ما قبل النكبة، الذي حمل في أحشائه بذور التطور المستقبلي، رافقته أيضاً عمليات تغيير اجتماعية واجتماعية-سياسية عميقة. وإذا ما قارنا ذلك بالدور المركزي الذي بدأت تلعبه المدرسة والتعليم بشكل متزايد، فقد تشكلت إلى جانب الزعامة التقليدية طليعة سياسية جديدة من المعلمين تتمتع بدور قيادي ظاهر، واعتراف متزايد، ناهيك عن تأثير غالباً ما كان يتعدى حدود القرية أو المخيم. ولأن المدرسة اعتبرت مفتاحاً لرفع مستوى الشعب، للتقدم للعلوم ولاسترجاع الوطن، تحوّل المعلمون، وبشكل حتمي، إلى "القادة والموجهين في مجتمع النازحين هذا؛ فقد حاولوا، وبوعي تام، وبالوسائل المحدودة المتاحة لديهم تربية "جيل جديد".^{١٤٨} فكثير من الكوادر اللاحقة للقوميين العرب انتسبت إلى هذه الطليعة التي سكنت المخيمات. وقد اشتهر من بينهما أحمد اليماني الذي سبق ذكره آنفاً، إذ خدم كأستاذ في مخيم برج البراجنة.^{١٤٩} وكلتاهما، القيادة التقليدية والطليعة السياسية الجديدة من المعلمين تلك التي شكلت جزءاً من الإنتليجنسيا الفلسطينية، عملتا في فترة الخمسينيات والستينيات جنباً إلى جنب؛ وأحياناً لعبت إحداهما دور المكمل للآخر، وفي أحيان كثيرة تعارضت المواقف.

أما بالنسبة للفلسطينيين الذين عاشوا في المدن اللبنانية فقد مثلت المخيمات أشبه ما يكون بالمرجع التقليدي لوطنية تختمر، وكمثال حي على النكبة أو كتذكير بعهد ما قبل النكبة الذي غالباً ما كان يمتزج بدرجة عالية من الشوق والتوق. إلا أن الفصل بين فلسطينيين داخل المخيم وخارجه بقي قائماً، وبشكل كلي تقريباً، حتى الأعوام ١٩٦٧-١٩٦٨. لقد كان هناك عالمان مختلفان لم تربط بينهما جسور إلا في الحالات النادرة جداً؛ ففي الحالات القليلة التي حاول فيها فلسطينيون من الخارج إقامة اتصالات مع فلسطينيين من الداخل كانت الشرطة تتدخل في الغالب. أما سياسة الحجب والفصل هذه، فقد طبقت، وبشكل منظم، ضد كل فلسطيني عرف بنشاطه السياسي. فقد عرف الفلسطينيون في المخيمات "الإنزال" كما عرفه كل النازحين تقريباً. ولكن ليس كإحساس داخلي فقط، أي على المستوى النفسي فقط، كما كان الحال بالنسبة للفلسطينيين من سكان المدن على وجه الخصوص، بل وبشكل مرئي يظهر للعيان أيضاً.

وهكذا يمكن رسم الصورة التالية للشتات الفلسطيني في لبنان: ثلاث طبقات اجتماعية تكاد تنفصل عن بعضها بعضاً بشكل كلي، كما أنها في داخلها لا تشكل وحدة متجانسة، بل إن المفارقة قوية جداً. وتكاد تكون نقاط التقاطع أو التلاقي بين هذه الطبقات شبه معدومة. أما الفروق التي سادت بين المدينة والقرية في عهد ما قبل النكبة فقد بقيت قائمة كما تعمقت الفروق الاجتماعية-الاقتصادية. ومن ناحية اجتماعية-سياسية انعكست الحياة في فلسطين قبل النكبة بشكل حي جداً في المخيمات، وهو ما حمل في طياته بذور الوطنية الفلسطينية اللاحقة التي بات عليها أن تنهض من جديد بعد الشرخ الذي أحدثته النكبة، فمن المفترض أن تكون الطليعة السياسية الجديدة من المعلمين الفلسطينيين التي ولدت داخل المخيم قد لعبت دوراً أساسياً في التأكيد على أهمية "الفلسطينية" في إطار حركة القوميين العرب في نهاية الخمسينيات.

أمّا على مستوى المدينة، فقد نزعت الطبقات الوسطى إلى قومية أو لنقل وطنية ذات السقف العربي. وبشكل عام، فقد تمتع الفرد الفلسطيني ممن سكن المدينة بمجال أكبر للحركة مقارنة مع نظيره في المخيم، ناهيك عن التأكيد الشديد على الفردية، ودور الفرد في مقابل الرابطة الأسرية. وعلى الرغم من ذلك، كانت هناك رابطة وثيقة نسبية أدت على سبيل المثال - إلى تشكل أحياء تسكنها غالبية فلسطينية. وعلى المستوى الاجتماعي أبدى أعضاء الطبقات الوسطى استعداداً أكبر للانفتاح نحو السكان اللبنانيين، أو توفرت لديهم الفرصة لنسج العلاقات بشكل عام، وهو ما افتقر إليه سكان المخيمات بشكل كلي تقريباً.^{١٥٠} كما كان الدمج الاقتصادي بالنسبة للطبقات الوسطى ناجحاً نسبياً.

هذا وقد كانت البرجوازية الفلسطينية، سواء من ناحية اقتصادية أم اجتماعية، قد اندمجت بشكل تام في المجتمع اللبناني، كما كان لها نصيبها من الازدهار الذي حصل في الخمسينيات والستينيات، مثلما الأمر بالنسبة لنظيرتها اللبنانية. وحتى هذه الطبقة بقيت محافظة على الخصوصيات الثقافية الفلسطينية مثل اللهجة، والفلكلور والمأكّل والمشرب. فالتاريخ الفلسطيني، وبخاصة المفصل المتعلق بالنزوح والتهجير بقي حياً، كما استمر هناك إحساس بالحرمان من الاستقلالية أو الدولة بشكل عام. فهذه الطبقة -وبسبب مصالحها الاقتصادية- نزعت أيضاً إلى القومية العربية. وعلى العموم فإن الأمر قد ترك للجيل الشاب من هذه البرجوازية، بالإضافة إلى الطبقات الوسطى، وبالطبع في المقام الأول طلاب الجامعة الأمريكية، ليعلنوا أحقيتهم في قيادة مجتمع ما بعد النكبة. كما أن القيادة التقليدية الموروثة من عهد الانتداب قد رفضها طلاب الأمريكية بوصفها حركة مهزومة لم تعد قادرة على تحمل أعباء العصر. فقد آن الأوان، وعلى عكس آبائهم كان هؤلاء الطلاب الشباب على استعداد لقبول التحدي.

ب. الشتات الفلسطيني في الكويت^{١٥١}

انقسمت العمالة الفلسطينية المهاجرة إلى الكويت - في العقد الذي تلى النكبة (١٩٤٨-١٩٥٨) - إلى مجموعتين تفترقان عن بعضهما بعضاً بشكل واضح: الأولى تشكلت من طليعة مهنية عالية الكفاءة، والثانية انحصرت في فلاحين غير ملاكين أصبحوا بفعل النكبة لاجئين ليعملوا لاحقاً كعمال غير مهرة.^{١٥٢} وفي رحم المجموعة الأولى نضجت "فتح" في نهاية الخمسينيات، ليس هذا فحسب، بل استمرت "فتح"، ومنذ ذلك الحين، في المحافظة على الحبل السري مع هذه المجموعة، مستفيدة من دعمها المادي والسياسي. وقد كانت طلائع المهاجرين قد وصلت إلى الكويت في الأعوام ١٩٤٨-١٩٤٩، فأغلبهم كانوا صغار السن في العشرينيات، ومن ذوي الكفاءة العالية ممن أنهوا لتوهم المدرسة أو الدراسة الجامعية، حيث بلغت نسبتهم ٧١,٥٪. كما أتى معظمهم من المنطقة الساحلية، وبشكل خاص من يافا، وحيفا، والد ورملة وغزة.^{١٥٣}

وقد جاء معظمهم من الطبقات المتوسطة السفلى، وميزهم جهد ورغبة صادقة في العمل. وفي عهد الانتداب، كانوا قد خدموا في وظائف إدارية والبوليس الفلسطيني، بالإضافة إلى الجيش والإذاعة البريطانيين.^{١٥٤}

ومثلها مثل المهاجرين الأوائل إلى الكويت، فقد قدمت المجموعة التي تشكلت منها "فتح" لاحقاً من الساحل الفلسطيني بمدنه وقراه.^{١٥٥} فمن بين ستة عشر قائداً فتحاً كان هناك خمسة من قرى الد ورملة، اثنان من حيفا ويافا، وثلاثة من غزة، وستة فقط من منطقة القدس والضفة الغربية. وقد كان معظمهم قد هاجر إلى الكويت في منتصف الخمسينيات بسبب صغر سنهم لحظة وقوع النكبة: فبعضهم لم يكن قد أتم التعليم المدرسي بعد، وبعضهم الآخر كان قد بدأ حديثاً دراسته الجامعية.

أما فيما يتعلق بعملية التكيف الاجتماعي (Socialization) خلال المدرسة وما بعدها، فإن الأحداث تتشابه بشكل ملفت للانتباه: فبعد الطرد والتهجير من ديارهم، نجد الفتیان مرة أخرى على مقاعد الدراسة في غزة ليبدأوا بعد اجتيازهم للمرحلة الثانوية دراستهم الجامعية في القاهرة، ولينخرطوا مع طلاب آخرين في نضال سياسي ذي توجه وطني. وما من شك أن وجودهم في القاهرة قد جعلهم وبشكل تلقائي عرضة لتأثيرات أيديولوجية-سياسية، ليس فقط من جانب الإخوان المسلمين، فقد وجدت على ساحة القاهرة الحركة الوطنية القديمة ممثلة بالحاج أمين أيضاً. وعلى ما يبدو فإن وطنية فلسطينية خالصة قد لعبت في إطار هذا التكيف الاجتماعي الدور المسيطر والمؤثر. وأخيراً ترك هؤلاء الطلاب القاهرة إلى الخليج بحثاً عن فرص عمل هناك.

أما الشيء الذي استفاد منه المهاجرون الفلسطينيون في الكويت، فهو الليبرالية النسبية التي امتازت بها فترة حكم الشيخ عبد الله السالم (١٩٥٠-١٩٦٥)،^{١٥٦} ما

جعل قيام تنظيم جديد مثل "فتح" ممكناً، وهو ما يؤكد أبو إياد، وبصريح العبارة في سيرته الذاتية: "فليس من قبيل الصدفة أن تكون "فتح" قد كبرت ونمت وترعرعت في الكويت ... بالنسبة إلى الفلسطينيين الذين يعيشون في بلدان عربية أخرى بمثابة أصحاب امتيازات. فعلى الرغم من أننا كنا نقوم بنشاطات سريعة واسعة (خلافًا للوائح والأحكام)،* فإننا لم نكن نلاحق أو نضطهد".^{١٥٧}

على ما يبدو أن السبب يعود إلى الدور البارز الذي لعبته هذه الطليعة المهاجرة في عملية بناء أجهزة الدولة في الكويت، وتطويرها، سواء على مستوى القطاع العام أم الخاص.^{١٥٨} يضاف إلى ذلك العلاقة الممتازة التي ربطت هذه الصفوة بالأسرة الحاكمة في الكويت.

وحتى في العام ١٩٨٧، يستذكر عرفات تلك السنوات معبراً عن شعوره بالعرفان: "ويسترجع عرفات تلك الذكريات الباقية سارداً كيف أنه في منتصف الستينيات أو أبكر كان قد استهل من هذه الأرض الطيبة رحلته الشاقة من أجل فلسطين. وكتعبير عن الإحساس بالجميل، أقامت "فتح" ... مهرجاناً تكريمياً لعدد من الشخصيات الكويتية التي ساندت "فتح" منذ انطلاقتها وحتى الآن، وعلى رأسهم رئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم ...".^{١٥٩}

وقد كانت الكويت قد تحولت في منتصف الخمسينيات إلى إمارة ذات اقتصاد قوامه رأس المال الفائض الذي على أساسه تم وضع الحجر الأساس للدولة الكويتية الحديثة.^{١٦٠} شكل الوافدون إلى الكويت حوالي ٥٣٪ من المجموع الكلي للسكان، ٧٧٪ من العاملين هناك، و ٨٩٪ من الطليعة المهنية والتقنية.^{١٦١} أما على مستوى العمالة المهاجرة ككل، فقد كان الفلسطينيون وبلا منافس، المجموعة الأكثر تأهيلاً؛ إذ احتلوا المراكز العليا في المجالين المهني والتقني، وحسب الإحصائيات الرسمية فقد عمل ربع الفلسطينيين الموجودين في الكويت (٢٥٪) في هذين المجالين، نصفهم في مجال التعليم.^{١٦٢}

ويبدو على درجة من الأهمية ذلك التركيز العالي للفلسطينيين في القطاع العام: ففي العام ١٩٦٥ عمل ٤٨٪ منهم في القطاع العام في مقابل ٤١٪ فقط في القطاع الخاص. وقد اكتظت الدوائر الحكومية بالفلسطينيين؛ إذ بلغت نسبتهم ٣١٪ من كل الوافدين ككل، و ٢٣٪ من العاملين. إلا أن الشيء المميز بالنسبة للفلسطينيين بشكل خاص هو احتلالهم للمراكز المرموقة التي هي في العادة من نصيب الكويتيين.^{١٦٣} وبالأدات في الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٥ كانت كثير من الوزارات أو الأقسام الحكومية تدار بشكل أو بآخر من قبل الفلسطينيين: فقد شغل فلسطيني منصب مدير التعليم من العام ١٩٥٠-١٩٦٢ ماداً يد المساعدة للكثير من أبناء بلده للعمل في سلك التربية والتعليم. الأمر ذاته ينطبق على وزارة الأشغال العامة، حيث عمل ياسر عرفات لبعض الوقت

بعد وصوله إلى الكويت. كما شغل فلسطيني منصب مدير دائرة الإقامة والجوازات، وآخر عمل على بناء قسم خاص بالشرطة وتطويره، إضافة إلى الكثيرين ممن عملوا في المخابرات العامة. وهنا يروق لنا ذكر التسمية الشعبية التي كانت تطلق على دائرة الكهرباء ألا وهي "يافة كولوني" أو مستعمرة يافا، ذلك لأن فلسطينياً من هذه المدينة الساحلية شغل منصب المفتش العام لهذه الدائرة، ويبدو أن "الأقربون أولى بالمعروف". خالد الحسن، أحد الأعضاء البارزين في حركة "فتح"، كان قد شغل منصباً رفيعاً في إدارة مدينة الكويت في الفترة الواقعة بين ١٩٥٣-١٩٦٩، وقد تم منحه الجنسية الكويتية العام ١٩٦٩ كتقدير له على الخدمات التي قدمها. فلسطيني آخر أسس إذاعة الكويت بعد أن كان قد خدم سابقاً في إذاعتي يافا وقبرص. وموقع المسؤولية في وزارة المالية كان أيضاً من نصيب فلسطيني. وفلسطيني آخر شق طريقه في صفوف الجيش الكويتي.

كما أن وزارة الصحة لم تخلُ من فلسطينيين على مستوى أطباء ممن حازوا على ثقة العائلة الحاكمة.^{١٦٤} وهي حقيقة يؤكدها خالد الحسن، أحد قادة "فتح" البارزين ومنذ العام ١٩٥٢ في الكويت: "لو أن حكام الكويت لم يمنحونا حرية التنظيم، فربما لم يكن هناك انبعاث فلسطيني".^{١٦٥} إلا أنه يبدو أن المرء مضطر هنا إلى قلب منطوق خالد الحسن رأساً على عقب: لو لم توجد في الكويت مثل هذه المجموعة الطلائعية في مثل هذه المناصب المهمة في الحكومة والإدارة، فإنه من المؤكد أن العائلة الحاكمة في الكويت لم تكن لتعامل الفلسطينيين بشكل يختلف عن باقي الوافدين إلى الكويت، كما أنها لم تكن لتضمن لهم أبداً حرية التنظيم والنشاط السياسي.

ويبقى الشيء الحاسم الذي لعب دوراً أساسياً في عملية تسييس أولئك الوافدين الفلسطينيين إلى الكويت في اتجاهات وطنية فلسطينية واضحة المعالم، إلى جانب من عملية التكيف السياسي التي مر بها الأعضاء المؤسسون في القاهرة، ظروف الحياة والعمل التي عاشوها في الكويت على الرغم من النفوذ الذي تمتعوا به. فقد ظلوا أجنب، أي غير كويتيين، ولم يستطيعوا أبداً تخطي الحاجز العرقي الذي كان يفصل بينهم وبين الكويتيين. والأمر نفسه ينطبق أيضاً على تلك القلة الوافدة التي منحت الجنسية الكويتية، فالأجنبي بقي أجنبياً حتى ولو حمل الجنسية الكويتية: مواطن من الدرجة الثانية.^{١٦٦} وهناك حظي الفلسطينيون بالاحترام والتقدير في الوقت الذي كان يحدث فيه الوافدون الجدد الذين استمروا بالتدفق على الكويت عن الاضطهاد، والبؤس، والإذلال التي كان يتعرض لها من سكن شرق المتوسط. ومن هنا كان لا بد أن تنشأ في ظلها الحركة الوطنية الفلسطينية الحديثة.

هوامش الفصل الأول

^١ حول الحركة الوطنية الفلسطينية في عهد الانتداب، في سياقها الاجتماعي الاقتصادي السياسي، انظر بوراث (Porath 1974 and 1977) في عرض شامل للسنوات ١٩١٨-١٩٣٩، لم يسبق له مثيل في دقته وتفصيله لكل المواد المتيسرة حتى الآن. انظر أيضاً ليش (Lesch, 1979)، شتاين (Stein, 1984)، بالإضافة إلى ميلر (Miller, 1985).

^٢ بهذا الخصوص، برز أخيراً، شلايم (Shlaim, 1988) في عرض ملم بسياق هذه المسألة. حول سياسة بريطانيا العظمى، بشكل شديد الإسهاب، انظر بابي (Pappe, 1988).

^٣ حول نهاية الانتداب لويس ستوكي (Louis Stookey, 1986). حول نشوء الأردن، ارتباطه ببريطانيا العظمى ودور عبد الله في القضية الفلسطينية، انظر ويلسون (Wilson, 1987).

^٤ بطاطو (١٩٧٨) بأثره الكبير عن العراق.

^٥ خوري (١٩٨٧) بعمله الرائع حول سوريا، والانتداب الفرنسي.

^٦ فلورس (Flores, 1980)، ص. ٢٠٢ وما يتبع.

^٧ مطّر (Mattar, 1988)، ص. ١٢٤.

^٨ في ما يتعلق بالأشياء التالية، انظر بوراث (١٩٧٣)، فلورس (١٩٨٠)، تماري (١٩٨٢).

^٩ كوفرشميدت (Kunferschmidt, 1983)، ص. ١٨٣.

^{١٠} خوري (١٩٨٣)، ص. ٥، ٣٥-٤٦.

^{١١} خوري (١٩٨٥)، ص. ٣٢٥.

^{١٢} بوراث (Porath, 1973)، ص. ١٠٩.

^{١٣} المصدر نفسه، ص. ٩٥.

^{١٤} شولش (Schölch, 1982 p. 23, 1986).

^{١٥} بوراث (Porath, 1973)، ص. ٩٣-٩٥. حول مكانة ودور شيوخ القرى، وبشكل شديد التفصيل، بير

(Baer, 1982)، ص. ١٠٩-١٤٥.

^{١٦} فلورس (Flores, 1980)، ص. ١٦٨.

^{١٧} بوراث (Porath, 1973)، ص. ١٠٠ وما يتبع، تماري (١٩٨٢)، ص. ١٨٩.

^{١٨} تماري (١٩٨٢)، ص. ١٩٢.

^{١٩} أنفق هنا مع تفسير تماري (١٩٨٢) ص. ١٩٢، الذي خلافاً لفلورس (Flores, 1980) ص. ١٧٠-١٧١، لا يقوم بذكر الانقسامات داخل المجتمع الفلسطيني فقط، بل يعمل على ترتيبها:

"The urban-rural dichotomy has little explanatory value in Palestinian factional politics since faction leaders were mainly urban-based 'representatives' of a hierarchical system of rural 'clients' and kinsmen reaching all the way to the small peasant debtor and landless labourer."

بهذا الخصوص، انظر أيضاً بوراث (Porath, 1974)، ص. ٢٢٧ وما يتبع، وليش (Lesch, 1979)، ص. ٦٠ وما يتبع.

^{٢٠} حول أهمية هذا التناقض، وبخاصة في ما يتعلق بانحسار نفوذ شيوخ القرى، انظر بوراث (١٩٧٣)، ص. ٩٤-١٠٠، حيث يتحدث عن تمرد بعض أعيان الريف ضد سيطرة المدينة، بالإضافة إلى ص. ١٢٠-١٢٤.

^{٢١} فلورس (Flores, 1980)، ص. ١٧٠، قارن ذلك مع بوراث (Porath, 1973)، ص. ١٢٨. فهو يذكر أن الانقسامات بين المسيحيين والمسلمين في سنوات الثلاثينيات قد عادت للازدياد من جديد (ص. ١٣١).

- ^{٢٢} حول ما يلي، انظر بوراث (Porath 1973, 1974, 1977)، ليش (Lesch, 1979)، فلورس (Flores, 1980) ومطر (Mattar, 1988).
- ^{٢٣} خوري (١٩٨٧)، ص ٦٢٠. يتعلق الاستشهاد بالحركة الوطنية السورية. إلا أنه يمكن اقتباسه مباشرة بسبب التشابه المدهش بين الحركتين.
- ^{٢٤} مطر (Mattar, 1988)، ص ١١٨.
- ^{٢٥} خوري (١٩٨٧)، ص ١٤.
- ^{٢٦} حول ذلك مؤخراً شلايم (Shlaim, 1988)، على سبيل المثال ص ٤٩٦ وما يتبع.
- ^{٢٧} بوراث، ص ٢٩٩.
- ^{٢٨} حول الإضراب السوري العام، خوري (١٩٨٧)، ص ٤٥٧-٥٦٤، بالإضافة إلى المفاوضات التي أعقبت ذلك في باريس ص ٤٦٤-٤٦٨.
- ^{٢٩} مطر (Mattar, 1988)، ص ٨٠.
- ^{٣٠} حول الثورات، انظر بوراث (Porath, 1977)، الفصول ٧-٩، ليش (Lesch, 1979)، ص ٢٢١-٢٢٧، بالإضافة إلى بودين (Bowden, 1975 and 1977)، حول تعريف الثورات انظر ايلبلج (Elpeleg, 1989).
- ^{٣١} مطر (Mattar, 1988)، ص ٨٢-٨٣.
- ^{٣٢} قارن بذلك الجدول عند ميشر (Mejcher, ١٩٨١)، ص ١٦٣، فلورس (١٩٨١)، ص ١٠٢-١٠٣، بوراث (١٩٧٤)، ص ٧٠-١٢٢.
- ^{٣٣} خوري (١٩٨٧)، ص ٤٦٢.
- ^{٣٤} تميزت العروض الكاملة للحركة الوطنية الفلسطينية في عهد الانتداب، والمتوفرة حتى الآن، بأن جميعها تنتهي بالعام ١٩٣٩. انظر بوراث (١٩٧٧) وليش (١٩٧٩).
- ^{٣٥} مطر (١٩٨٨)، ص ٨٥.
- ^{٣٦} انظر شولس (1982a)، ص ٦٤٦-٦٧٤. إن اختباراً للنشاطات المفتي في برلين على قاعدة الوثائق المهمة غير المتوفرة حتى اليوم، كما يؤكد مطر (١٩٨٨) ص ١٠٧:
- “Only a thorough and nonpartisan study, based on captured German documents, could elucidate the role of the Mufti in Germany”.
- ^{٣٧} مطر (١٩٨٨)، ص ٩٠-٩٨، نيفو (Nevo, 1984)، ص ٣-٩.
- ^{٣٨} بابي (١٩٨٨)، ص ٨٨ و ١٠٥، مطر (١٩٨٨)، ص ١٠٥-١٠٧، شلايم (١٩٨٨)، ص ٨٤، ١٠٧، ١٢٧، ١٣٠، ٢٢٠، ٢٧٦-٢٧٧، ٣٠٢، ٣٢٣، ٣٢٥، نيفو (١٩٨٤)، ص ٣-١٦، بالإضافة إلى الكتب التي ظهرت عن المفتي بيرلمان (Pearlman, 1947)، فيزنتال (Wiesenthal, 1947) وشيختمان (Schechtman, 1965).
- ^{٣٩} انظر علوش (١٩٧٤)، ياسين (١٩٧٥)، توما (١٩٧٣).
- ^{٤٠} خوري (١٩٨٧)، ص ٦٢٠، مطر (١٩٨٨)، ص ١١٦-١٢١، ١٢٣ وما يتبع.
- ^{٤١} انظر حاشية ٣٩، ولكن أيضاً الميل عند كيالي (١٩٧٣). انظر أيضاً هذه الدراسة في الفصل الرابع ٢، ص ١٨٢ والفصل الرابع ٣، ص ١٨٩ في ما يتعلق بالقوميين و"فتح".
- ^{٤٢} انظر فلورس (١٩٨٠)، ص ١٧٢.
- ^{٤٣} مطر (١٩٨٨)، ص ١١٥-١٢٥.
- ^{٤٤} ليش (١٩٧٩)، ص ٢٣٢ وما يتبع.
- ^{٤٥} مطر (١٩٨٨)، ص ١٢٤. الاستشهاد التالي المكان نفسه، ص ١٢٥.
- ^{٤٦} انظر من أجل ذلك شلايم (١٩٨٨)، بابي (١٩٨٨)، بوراث (١٩٨٤)، بلاسكوف (١٩٨١)، نيفو (١٩٧٨)، شبيب (١٩٨٢)، بشير (١٩٨٠)، عبيدي (١٩٦٥)، صايب (١٩٦٦)، عارف العارف (١٩٥٦ - ١٩٦٢)، خضوري (١٩٥١).

- ^{٤٧} هذا التفسير الجديد والمعدل، بشكل واضح، موثق ومقدم عند شلايم (١٩٨٨)، ص. ٨٩-١٥٩، بابي (١٩٨٨)، ص ٩-٤٨، ٢٠٧-٢١٣.
- ^{٤٨} بابي (١٩٨٨)، ص ٩-١٦، شلايم (١٩٨٨)، ص ١٠٠-١٠٤، ١٣٢-١٤٠.
- ^{٤٩} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥١، بوراث (١٩٨٦)، ص ٢٢-٢٣، ويلسون (١٩٨٧)، ص ٥١-٥٣.
- ^{٥٠} قاد عبد الله مفاوضات مع زعماء الحركة الصهيونية في السنوات ١٩٤٥، وحتى ١٩٤٨/١٩٤٧. وقد اتفق في لقاء حدث في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٧، مع جولدا مايرسون (لاحقاً مائير)، وإلياهو ساسون وعيزرا دانين على اقتسام فلسطين. فالوثائق التي يمكن الآن الوصول إليها في الأرشيف، والمتعلقة بذلك تثبت بشكل قاطع، "أن اتفاقاً واضحاً حول تقسيم فلسطين قد تم التوصل إليه بين الملك والسيدة مائير، وأنه كان مستعداً حتى لإثبات ذلك كتابة". نيفو، ص ٥٧، شلايم (١٩٨٨)، ص ١١٦، ٢٠٥-٢١٤.
- ^{٥١} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٥، انظر شلايم (١٩٨٨)، ص ١٢٢-١٣٢، ١٥٤-١٦٥.
- ^{٥٢} حول تفسير هذه المقررات وخلفيتها، انظر نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٥ وما يتبع، شلايم (١٩٨٨)، ص ١٧٢-١٧٩.
- ^{٥٣} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٥.
- ^{٥٤} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٦، شلايم (١٩٨٨)، ص ٣٠٠ وما يتبع.
- ^{٥٥} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٨.
- ^{٥٦} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٧، انظر عارف العارف (١٩٥٦-١٩٦٢)، ص. ٤٣٤-٤٣٥ (جزء ٢-٣)، جلب (Glubb) (١٩٥٧)، ص ٦٤، ٧٩، ١٠٠، ١٠٨، شلايم (١٩٨٨)، ص. ٢٩٩، الذي يستند إلى نيفو.
- ^{٥٧} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٨، جلب (١٩٥٧)، ص ١٦٣.
- ^{٥٨} نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٨.
- ^{٥٩} في ما يتعلق بالتالي، انظر نيفو (١٩٧٨)، ص ٥٩ وما يتبع، شبيب (١٩٨٢)، ص ٧٢-٧٩، شلايم (١٩٨٨)، ص ٢٩٦-٣٠٣، بابي (١٩٨٨)، ص ٧٤-١١٤. وحول السياسية الفلسطينية في ظل زعامة الحاج أمين، انظر نيفو (١٩٨٧).
- ^{٦٠} نيفو (١٩٨٧)، ص. ٣١، عارف العارف (١٩٥٦-١٩٦٢) (جزء ٢)، ص ٧٠٤-٧٠٦.
- ^{٦١} نيفو (١٩٧٨)، ص ٦٠.
- ^{٦٢} في ما يتعلق بالتالي، نيفو (١٩٧٨)، ص ٦٠-٦٢، شبيب (١٩٨٢)، ص. ٧٧-٨٠، شلايم (١٩٨٨)، ص. ٢٩٩، وبشكل مفصل بابي (١٩٨٨)، ص ٨٩-١٠٠.
- ^{٦٣} عارف العارف (١٩٥٦-١٩٦٢)، ص ٨٧٧ (جزء ٤-٥). انظر نيفو (١٩٧٨)، ص ٦٠-٦١. أما المصدر الذي اعتمد عليه نيفو وهو التل، فيظهر خلافاً بسيطاً بالمقارنة مع نصي، إلا أنها تبقى، من حيث المضمون، دون أهمية. انظر أيضاً بلاسكوف (١٩٨١)، ص. ١٣-١٤.
- ^{٦٤} اقتباس أورده نيفو (١٩٧٨)، ص ٦١.
- ^{٦٥} خضوري (١٩٥١)، ص. ١٦٩.
- ^{٦٦} شبيب (١٩٨٢)، ص ٧٩-٨١.
- ^{٦٧} حول الموضوع، عبر وسيط الأمم المتحدة جراف بيرنادوت العام ١٩٤٨ بالشكل التالي: "في الوقت الحاضر، لا يمتلك العرب الفلسطينيون إرادة ذاتية. فهم لم يطوروا، في يوم من الأيام، أية وطنية فلسطينية مميزة. ومن هنا، فإن المطالبة بدولة عربية منفصلة في فلسطين هي نسبياً ضعيفة. ويبدو، تحت الظروف الحالية، كما لو أن غالبية العرب الفلسطينيين ستكون راضية جداً إذا ما أصبحت جزءاً مندمجاً في شرق الأردن". بيرنادوت (Bernadotte, 1951)، ص ١١٣. وعلى النقيض تماماً من ذلك، على سبيل المثال، أعمال بوراث حول الحركة الوطنية في عهد الانتداب كما يبين العنوان، انظر بوراث (١٩٧٧ و ١٩٧٤).
- ^{٦٨} رودنسون (1975a)، انظر مصلح (١٩٨٨).

^{٦٩} انظر مطر (١٩٨٨)، ص. ٨-٨١، موريس (١٩٨٧)، ص ٢٥. تقرير لجنة بيل، انظر مور (Moore, 1947) (جزء ٣)، ص ١٥٠-١٨٣، حول التقسيم وبخاصة ص ١٦٧-١٨٠.

^{٧٠} مقتبس من موريس (١٩٨٧)، ص ٢٥ (تسجيل يوميات بن غوريون ١٢ تموز ١٩٣٧).

^{٧١} رسالة بن غوريون إلى ابنه عاموس بتاريخ ١٠/٥/١٩٣٧ في: موريس (١٩٨٧)، ص ٢٥.

^{٧٢} موريس (١٩٨٧)، ص ٢٤ (بروتوكول جلسة اللجنة المركزية للوكالة اليهودية، ٧ حزيران ١٩٣٨) انظر تيفيت (Teveth, 1985)، ص ١٨٨.

^{٧٣} موريس (١٩٨٧)، ص ٢٨.

^{٧٤} اقتباس أورده موريس (١٩٨٧)، ص ٢٧ (تسجيل يوميات فايتس (Weitz) ٣١ أيار ١٩٤٢).

^{٧٥} انظر هاتس (Hattis, 1970) حول ايحود (Ichud) ص ٢٥٨-٢٧١ وفشله ص ٣١٧.

^{٧٦} موريس (١٩٨٧)، ص ٢٨.

^{٧٧} اقتباس أورده موريس (١٩٨٧)، ص ٢٨ (بيان أمام مياي ٣ كانون الأول ١٩٤٧).

^{٧٨} حول الربط بين تشكل الدولة والحرب، انظر تيلي (Tilly, 1985)، ص ١٧٠:

“The trimmed-down argument stresses the interdependence of war-making and state-making and the analogy between both of these processes and what, when less successful and smaller in scale, we call organized crime. War makes states, I shall claim”.

وبشكل عام حول المركب المعقد الدولة-الحرب، انظر كريپندورف (Krippendorff, 1985)، ص ١٣٩-١٥٦. أما الربط بين الحرب ومسألة اللاجئين، فموجود في الاستعراض الموثق الذي يقدمه موريس لمسألة اللاجئين الفلسطينيين (١٩٨٧) الذي أبرز أثر جاباي (Gabbay, 1959) المهم هو ما كان سائداً حتى ذلك الحين. وفي حين أن موريس يبين بشكل واضح في مقدمة كتابه ماهية المشروع القومي-اليهودي في فلسطين، والنتائج التي ترتبت بشكل حتمي على تطبيقه، حصر نفسه في الفصل الأخير من كتابه، وبشكل ضيق، بمصادر المعلومات المتعلقة بالأحداث في الفترة ١٩٤٧-١٩٤٩، ما دفعه، بالتالي، إلى فقدان رؤية مشروع الدولة الصهيونية وتحقيقه في خطوطه العريضة. (انظر المراجعات النقدية التي اجتمعت لدى أبي لغد في مجلة الدراسات الفلسطينية ٧٠ (بالإنجليزية) (JPS, 1989)، ص ١١٩-١٢٧، مع الإشارة إلى صنبر (Sanbar, 1948). ويمكننا، بالكاد، أن نتوقع العثور على خطة كاملة، أو أمر واضح من جانب القيادة اليهودية بطرد الفلسطينيين في الوثائق. فمن جهة، كانت المسألة حساسة جداً. ومن جهة أخرى، كانت القيادة واعية تماماً لهذه الحقيقة.

وبلاريب، فإن موريس، ومن خلال المادة التي يقدمها، يبين بشكل دقيق جداً كيف سارت عملية التهجير والهروب. ويزداد وضوح هذا الشيء، وبخاصة عندما يلجأ موريس للاستشهاد بن غوريون، أو وصف سياسته التي صور موريس خصائصها كالتالي:

“He preferred that his generals ‘understand’ what he wanted done. He wished to avoid going down in history as the ‘great expeller’ and he did not want the Israeli government implicated in a morally questionable policy.” (p.292).

مراجع أخرى حول الهرب، صنبر (١٩٤٨)، بوصيلة (١٩٨١)، جلاتسر (Glazer) (١٩٨٠) (بنظرة ناقدة للأدبيات التي توفرت حتى ذلك الحين)، نزال (١٩٧٨)، بوبست (Bopst) (١٩٦٨).

^{٧٩} موريس (١٩٨٧)، ص ٨، انظر قصيفة (١٩٨٠)، ص ١٤-١٦.

^{٨٠} موريس (١٩٨٧)، ص ١٩٨ وما يتبع، ٢٩٨، انظر قصيفة (١٩٨٠) ص ١٨٠، الذي ينطلق من ٧١٤,٠٠٠ لاجئ، في حين أن أبا لغد (١٩٧١) يتعامل مع الرقم ٧٧٠,٠٠٠ حتى ٧٨٠,٠٠٠. ومن أجل نقاش الإحصائيات المعطاة المختلفة انظر موريس (١٩٨٧)، ص ٢٩٧ وما يتبع.

^{٨١} موريس (١٩٨٧)، ص ٢٩-٦٠، جلاتسر (١٩٨٠)، ص ١٠٤.

^{٨٢} جاباي (١٩٥٩)، ص ٦٦. انظر بهذا الخصوص أيضاً جلاتسر (Glazer, 1980)، ص ١٠٤، الذي قام بتقييم لكل المراجع المتوفرة حول الموضوع. أي بالإضافة إلى جاباي، على سبيل المثال، أفنيري (Avnery, 1971).

شيلدرز (Childers, 1971)، بولك/ستملر/عصفور (Polk/Stamler/Asfour, 1957):
 “Most of the sources agree that this was a movement of upper and middle-class Palestinians, whose motivation was to temporarily absent themselves from the growing chaos in Palestine.”

جلاتسر يشير إلى التمردات التي حصلت في الفترة الواقعة بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩، عندما لجأ الأغنياء (حوالي ٤٠,٠٠٠) خلالها للبحث عن ملاذ لهم في مصر ولبنان. انظر أيضا عبوشي (١٩٧٧)، ص ٤٣. وحسب رأيي، فإن النهج الذي سلكته البرجوازية اللبنانية منذ العام ١٩٧٥، يقدم الفرصة لعقد مقارنة مهمة.

^{٨٣} موريس (١٩٨٧)، ص ٢٨٧.

^{٨٤} المصدر نفسه، ص ٢٨٦، ١٢٨، ٥٣، ٣٠.

^{٨٥} في ما يتعلق بموت عبد القادر الحسيني، فإن موريس يتعرض للانتقاد من قبل أبو لغد (١٩٨٩)، ص ١٢٥:
 “He does not give sufficient weight to the devastating impact that the martyrdom of ‘Abd al-Qadir al-Husaini had on the Palestinian resistance, although Morris does note the strategic importance of al-Qastal”. (See Morris, 1987, p.64).

^{٨٦} المصدر نفسه، ص ٢٨٧ وما يتبع.

^{٨٧} المصدر نفسه، ص ١١٣ وما يتبع. انظر أيضا بيغن (Begin, 1983)، ص ١٦٢ وما يتبع.

^{٨٨} موريس (١٩٨٧)، ص ٧٣-٩٥ (حيفا)، ص ٩٥-١٠١ (يافا).

^{٨٩} المصدر نفسه، ص ٥٧-٦٨، ٦٠-٧٠، ١٣٢-١٩٦، ٢٩٠.

^{٩٠} المصدر نفسه، ص ١٩٧-٢١٦، ٢٩٢-٢٩٣.

^{٩١} المصدر نفسه، ص ٢١٧، ٢٣٦.

^{٩٢} هارت (Hart, 1984)، ص ١٤٠ وما يتبع.

^{٩٣} المصدر نفسه، ص ١٤١.

^{٩٤} المصدر نفسه، ص ١٤٢. انظر أيضا براند (Brand, 1988)، ص ٤٣-٤٦.

^{٩٥} هارت (١٩٨٤)، ص ١٤٣. انظر براند (١٩٨٨)، ص ٤٣ وما يتبع.

^{٩٦} هارت (١٩٨٤)، ص ١٤٣.

^{٩٧} حول كنفاني، انظر كنفاني (١٩٧٣)، فيلد (Wild, 1975).

^{٩٨} موريس، ص ٩٤، ١٠٣، ١٠٨، ١٠٧.

^{٩٩} مقتبس من كنفاني (١٩٨٣)، ص ٧ وما يتبع.

^{١٠٠} حول خلف، انظر أبو إياد مع اريك رولو (Rouleau, 1979).

^{١٠١} موريس (١٩٨٧)، ص ٩٥، ١٠١.

^{١٠٢} أبو إياد (١٩٨٠)، ص ٢١-٣٣.

^{١٠٣} هارت (١٩٨٤)، ص ٩١ ومعلومات ذاتية حول السيرة الحياتية لأبي جهاد.

^{١٠٤} موريس (١٩٨٧)، ص ٢٠٧.

^{١٠٥} هارت (١٩٨٤)، ص ٩١ وما يتبع.

^{١٠٦} مقابلة جورج حبش، بيروت، ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{١٠٧} المصدر نفسه.

^{١٠٨} فلاسي (Fallaci, 1970)، ص ٣٤، اقتباس أورده كبيسي (١٩٧١)، ص ٣٢.

^{١٠٩} مقابلة مع أحمد اليماني، بيروت، ٢٦ تموز ١٩٧٨، و ١٥ شباط ١٩٧٩.

^{١١٠} اقتباس أورده صايغ (١٩٧٩)، ص ٨٦.

- ^{١١١} أمثلة إضافية لقادة وطنيين فلسطينيين عاشوا النكبة: من قرى السهل الساحلي (منطقة اللد والرملة): عقير: قرب الرملة (هجوم الهاجناه بتاريخ ٦ أيار ١٩٤٨) ممدوح صبري صيدم (أبو صبري). القائد العسكري لـ "فتح" في الكرامة ١٩٦٨، توفي العام ١٩٧١.
- بينة: قرب الرملة (هاجم جيش الدفاع الإسرائيلي، بتاريخ ٤ حزيران ١٩٤٨، السكان حيث تم تهجيرهم)، محمد يوسف النجار أحد مؤسسي "فتح" عضو اللجنة التنفيذية لـ م. ت. ف، اغتيل مع زوجته في بيروت بتاريخ ١ نيسان ١٩٧٣ على أيدي وحدة إرهابية إسرائيلية.
- التينة: (هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي بتاريخ ٨ و ٩ تموز ١٩٤٨)، عبد الفتاح حمود (أبو صلاح)، تنظم مع "فتح" في العربية السعودية ثم أصبح قائداً فتحاويًا في الأردن بعد ١٩٦٧، توفي في حادث اصطدام العام ١٩٦٨.
- قولا: بالقرب من الرملة، (هجوم جيش الدفاع الإسرائيلي بتاريخ ١٠ تموز ١٩٥٨) نمر صالح (أبو صالح) قائد فتحاوي أصبح منشقاً العام ١٩٨٣ ثم ترك المنشقين لاحقاً.
- صفد: (سقطت بتاريخ ١٠-١١ أيار ١٩٤٨)، محمود عباس (أبو مازن) وهابيل عبد الحميد (أبو الهول)، الذي اغتيل في تونس بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٩١، والقائمة لم تنته.
- (المعلومات حول الهجمات و/أو التهجير مورييس (١٩٧٨)، خارطة رقم ٢ بالإضافة إلى قائمة بأسماء الأماكن (صفحة XIV-XVIII).
- ^{١١٢} اقتباس أورده هارت (١٩٨٤)، ص ٧٧ وما يتبع.
- ^{١١٣} جاباي (١٩٥٩)، ص ٩٣-٩٦، ١١١-١١٢. انظر أيضاً مورييس (١٩٨٧)، بسيم وبوصيلة (١٩٨١)، ص ١٣٣ وما يتبع.
- ^{١١٤} *Economist*, 15 May 1948: Debacle in Palestine، ص ٧٩، مقتبسة في جاباي (١٩٥٩)، ص ٩٧.
- ^{١١٥} جريدة الشعب، ٣٠ حزيران ١٩٤٨، استشهد أورده جاباي (١٩٥٩)، ص ٦٦.
- ^{١١٦} فلورس (١٩٨٠) ص ٢٠٢، ٢٠٣. كذلك غلازر (Glsxer, 1980)، ص ١١٤، وصايغ (١٩٧٩)، ص ٨٦.
- ^{١١٧} حسين فخري الخالدي هو عضو الهيئة العربية العليا الوحيد الذي كان موجوداً في القدس العام ١٩٤٨، ومن القيادة المضيفة للحركة الوطنية، لم يكن سوى عبد القادر الحسيني، ابن أخ (أو أخت) الحاج أمين، يمارس نشاطاً عسكرياً على رأس الجهاد المقدس.
- ^{١١٨} قصيفي (١٩٨٠)، ص ١٨، ٢٠.
- ^{١١٩} قصيفي (١٩٨٠)، ص ٢٠، ٢٤-٢٨. المعطيات بالنسبة للضفة الغربية وشرق الأردن تعود إلى الإحصاء الذي حصل العام ١٩٥٢. بالنسبة لقطاع غزة، فإن عدد اللاجئين مقتبس من جاباي (١٩٥٩)، ص ١٧٨، وعدد السكان المحليين من براند (Brand, 1988)، ص ٩.
- ^{١٢٠} حركة القوميين العرب، أو مختصرة "القوميون".
- ^{١٢١} "فتح" هي الأحرف الأولى لحركة تحرير فلسطين، ولكن بشكل معكوس. و "الفتح" هو أيضاً اسم السورة رقم ٤٨ في القرآن الكريم.
- ^{١٢٢} حول الفلسطينيين في لبنان، بشكل مفصل جداً، والأجود حتى الآن صايغ (١٩٧٩). انظر أيضاً بوبست (Bopst, 1968). بخصوص المعطيات الإحصائية قصيفي (١٩٨٠)، ص ٢٠ تبقى الأكثر توثيقاً، بالإضافة إلى بوبست للفترة حتى ١٩٦٥.
- ^{١٢٣} يوسف صايغ (١٩٥٢)، ص ٢٩، الاقتباس أورده بدران (١٩٨٠)، ص ٥٠.
- ^{١٢٤} بدران (١٩٨٠)، ص ٥٢.
- ^{١٢٥} بدران (١٩٨٠)، ص ٥٣، المعطيات الديموغرافية مردها إلى قصيفي (١٩٨٠)، ص ٢٠.
- ^{١٢٦} نذكر هنا بنك انترا في بيروت كأفضل مثال متوفر. انظر سميث (Smith, 1975)، ص ١٠٦، حيث أمثلة أخرى إضافية ومفصلة بشكل أكبر سميث (١٩٨٤)، ص ١٣٣ و ١٤١ وما يتبع.
- ^{١٢٧} د. صايغ (١٩٧٩)، ص ١١٠، ١٣٢.

^{١٢٨} شلايم (١٩٨٨)، ص ٤٩٣ وما يتبع.

^{١٢٩} بطاطو (١٩٧٩)، ص ٢٤٢.

^{١٣٠} بدران (١٩٨٠)، ص ٥٠ وما يتبع.

^{١٣١} في هذا الشأن خالدي (١٩٨٤)، ص ٢٥٥، فهو يتحدث عن ١٠٠,٠٠٠ فلسطيني يحملون الجنسية اللبنانية.

^{١٣٢} بدران (١٩٨٠)، ص ٢٨، معتمداً على إحصائيات وكالة الغوث من العام ١٩٥٢ عن اللاجئين في لبنان.

^{١٣٣} عيساوي (١٩٨٢)، ص ١٠١. كان تعداد سكان بيروت العام ١٩٣٠، ١٨٠,٠٠٠ شخص. وفي العام ١٩٧٥ بلغ عددهم ١,٥ مليون شخص. وبالمقارنة مع بيروت، ارتفع عدد سكان القدس في الفترة الزمنية نفسها من ٩٠,٠٠٠ إلى ٢٤٠,٠٠٠ شخص، ما يعني أن بيروت استطاعت زيادة عدد سكانها حوالي ١٠ أضعاف، في حين أن سكان القدس لم يزدادوا سوى ثلاثة أضعاف، على الرغم من الهجرة اليهودية.

^{١٣٤} تركي (١٩٧٤)، ص ٤١. وهنا تجب الإشارة إلى مشكلة نصف التعليم، أو الثقافة السطحية. وفي هذا الشأن، انظر صايغ (١٩٧٩)، ص ١١٨ وما يتبع، بالإضافة إلى السيرة الذاتية لشرابي (١٩٨٤)، ص ٤٣ وما يتبع، حيث نقرأ الملاحظات التالية حول دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت، أي جامعة الصفوة في الشرق الأوسط:

"I can't remember any of our Arab professors (with the possible exception of Charles Issawi) whose lectures aimed to help us understand things on our own and develop independent thinking... We learnt not to contradict them, but rather to bow to and accept whatever they said."

^{١٣٥} صايغ (١٩٧٩)، ص ١٠٠.

^{١٣٦} جاباي (١٩٥٩)، ص ١٧٠، ١٧٩ وما يتبع.

^{١٣٧} بوبست (Bopst, 1968)، ص ٥٢. أيضاً المعلومات الجديدة، كما الحال بالنسبة للمعطيات حول لبنان التي لم تزد عن كونها تقديرات تؤكد هذا التحول: ففي العام ١٩٨٣، عاش في لبنان حوالي ١٢٦,٠٠٠ من أصل ٢٣٩,٠٠٠ لاجئ مسجلين في المخيمات. يضاف إلى ذلك ١٦٠,٠٠٠ فلسطيني يحملون الجنسية اللبنانية أو جنسيات أخرى. "فغالبيت الفلسطينيين إذاً، عاشت خارج المخيمات، عادة في أحياء سكنية لبنانية بالقرب من المخيمات". خالدي (١٩٨٤)، ص ٢٥٦. المعطيات بالأرقام تستند إلى إحصائيات وكالة الغوث، بالإضافة إلى التقديرات الشخصية للخالدي.

^{١٣٨} صايغ (١٩٧٩)، ص ١١٣. انظر أيضاً أسعد (١٩٧٥).

^{١٣٩} هكذا، على سبيل المثال، رؤوف (١٩٧٤)، ص ٦٠. وبشكل خاص أيضاً عند فرنجية، يتضح خيط الجدل المشروط أيديولوجيا الذي تمسك به "اليساريون" في بداية السبعينيات، أولئك الذين تأثروا بشكل قوي جداً بأدبيات ماو تسي تونغ، وبذلك استوجب إبراز طبقة عاملة فلسطينية (بروليتاريات) حتى يمكن نظرياً إشعال ثورة. من جهة أخرى، يجب أو يمكن توضيح وتعليل سبب فشل "الثورة" الفلسطينية حتى الآن، بالذات لغياب طبقة عاملة داخل المخيمات. فبدلاً من محاولة القيام بتحليل الواقع الاجتماعي القائم، عُمد إلى إلباسه مفاهيم غريبة منتزعة من سياقات أخرى. وقد شذت عن ذلك الدراسة التي سبق الاستشهاد بها التي قام بها هاني مهندس (١٩٧٤). وحتى دراسات اتسمت إلى حد ما بتميزها، كما على سبيل المثال بوبست (Bopst, 1968)، ص ٧٦ وما يتبع، لم تصمد، حينئذ، أمام الكليشيه الشائع، والمتعلقة بالكتلة المتجانسة من فلاحين بلا أرض.

^{١٤٠} فلورس (١٩٨٠)، ص ١٤٣، ١٤٥. وعليه، فقد امتلك العام ١٩٣٠، ٦٦٪ من الفلاحين الفلسطينيين أملاكاً وعقارات خاصة بهم، ٣٠٪ كانوا عمالاً زراعيين أو مستأجرين، ٤٪ امتلكوا أشجاراً ولكن ليس أرضاً. فمن حوالي ٨٦,٠٠٠ فلاح كان هناك ٢٥,٠٠٠ عامل زراعي، ١٥,٠٠٠ مستأجر جزئي، ٤٦,٠٠٠ فلاح صغير ومتوسط ولكن مستقل، ٢٥٠ من ملاكي الأراضي الكبار الذين قدموا من المدينة.

^{١٤١} صايغ (١٩٧٩)، ص ١١٨.

^{١٤٢} أيوب (١٩٧٨)، ص ١٥٨، يقدم ترجيحه كجزء أساسي من برج البراجنة.

^{١٤٣} مهندس (١٩٧٤)، ص ٨٣ وما يتبع.

^{١٤٤} صايغ (١٩٧٩)، ص ١١٩ وما يتبع.

^{١٤٥} المصدر نفسه، ص ١٢٣.

^{١٤٦} بدران (١٩٨٠)، ص ٥٥، صايغ (١٩٧٩) ص ١٠٩. انظر أيضاً بلاسكوف (١٩٨١)، بسيم.

^{١٤٧} صايغ (١٩٧٩)، ص ١٠٩. استعملت صايغ مفهوم "الهوية الفلسطينية" (Palestinianism) كمرحلة سبقت المرحلة الوطنية الفلسطينية الحديثة.

^{١٤٨} صايغ (١٩٧٩)، ص ١١٨. وهنا يجب الإشارة أيضاً إلى مشكلة المستوى في نظام التربية التابع لوكالة الغوث، كما تفعل ذلك ج. أبو لغد (١٩٧٣)، ص ١٠٩: ١٩٦٥-١٩٦٦ كان من ٤٩٠٠ معلم في المستويات الابتدائية والمتوسطة:

"74% high school graduates", "18% little above preparatory cycle", "8% university graduates".

^{١٤٩} بالإضافة إلى ذلك، يجب ذكر أبو عدنان وغانم كنفاني. إلا أن هذه العينة تنطبق أيضاً على قادة "فتح" اللاحقين، على سبيل المثال أبو إياد، ومعين بسيسو.

^{١٥٠} معلومات إحصائية بهذا الخصوص عند بوبست (Bopst, 1968)، ص ١٢١. فمن ٩٩ لاجئاً مسجلاً في لبنان سئلوا، تكونت بالنسبة لسكان المخيم الصورة التالية: ٤٧ بلا، ٣ ضعيف، ٢ اتصال جيد مع لبنانيين. بالنسبة للفلسطينيين خارج المخيم: ٣١ بلا، ٧ ضعيف، ٩ اتصال جيد مع لبنانيين.

^{١٥١} الفلسطينيون في الكويت:

مطلع سنوات الخمسينيات	بضع مئات
١٩٥٧	١٣٥٠٠
١٩٦١	٣٥٤٠٠
١٩٦٥	٧٣٨٠٠
١٩٧٠	١٤٠٣٠٠
١٩٧٥	١٩٤٠٠٠
١٩٨٣	٣٥٠٠٠٠

جوروخوف (Gorokhoff, 1985)، ص ٤٠.

^{١٥٢} غبرا (١٩٨٧)، ص. ٢٣-٨٠ (فلاحون). إلى ذلك وما يلي، انظر دراساتي

"Labor Migration and New Political Movements" (1988).

^{١٥٣} شفيلدر (Schwelder, 1985)، ص ٦٥، عطا (١٩٨٦)، ص ٢١٦ وما يتبع.

^{١٥٤} بخصوص ما يلي غبرا (١٩٨٧)، ص ٣٣-٥٧، الذي يقدم لذلك مادة سيرية واسعة.

^{١٥٥} معلومات من مقابلات ومادة منشورة حول قادة "فتح"، انظر عطا (١٩٨٦)، ص ٢١٢-٢٢٨، بالإضافة إلى سيرة في الملحق، ص ٣٥١-٣٧٤.

^{١٥٦} حول الكويت ج.س. إسماعيل (١٩٨٢).

* أزيلت هذه العبارة من الترجمة العربية.

^{١٥٧} أبو إياد (١٩٨٠)، ص ٧٤.

^{١٥٨} غبرا (١٩٨٧)، ص. ٤١، حاشية ٨.

^{١٥٩} السياسة (الكويت)، ١٠ كانون الأول ١٩٨٧، ص ١٥، الاقتباس أوردته FBIS-NES-87-239, 14 Dec 1987. ص ٤.

^{١٦٠} إسماعيل (١٩٨٢)، ص ٩٣. انظر غبرا (١٩٨٧)، ص ٤٧.

^{١٦١} إسماعيل (١٩٨٢)، ص ١٠٥، ١٢٠، ١٢٣.

^{١٦٢} شفيدلر (١٩٨٥)، ص ٦٥، جوروخوف (١٩٨٥)، ص ٥٢.

^{١٦٣} جوروخوف (١٩٨٥) ص ٥٢ وما يتبع.

^{١٦٤} غبرا (١٩٨٧)، ص. ٣٥-٤٩.

^{١٦٥} هارت (١٩٨٤)، ص ١٢١.

^{١٦٦} حول الفصل العرقي في الكويت شفيدلر (١٩٨٥). انظر أيضا براند (١٩٨٥)، ص ٢٠٨ وإسماعيل (١٩٨٢)، ص ١١٨. أما امتعاض المهاجرين الفلسطينيين من ذلك، فقد ظهر بعد الغزو العراقي للكويت في آب ١٩٩٠ إلى حد ما في التعاون الذي حصل في البداية مع قوات الاحتلال. انظر غبرا (١٩٩١).

الفصل الثاني

حركة القوميين العرب

حركة القوميين العرب

أولاً: التأثيرات الأيديولوجية

أ. قسطنطين زريق وأثره على طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت

نشأت فكرة قيام تنظيم عربي- قومي جديد يضع نصب عينيه حل المسألة الفلسطينية، كونها المشكلة الرئيسية للأمة العربية، بين طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت في سياق نكبة ١٩٤٨. يستذكر جورج حبش، طالب الطب في الجامعة الأمريكية حتى ١٩٥١، والقطب الرئيسي بين مجموعة الطلاب هذه، ولاحقاً في حركة القوميين العرب هذا الوقت:

كان هناك العشرات من الأحزاب السياسية في العالم العربي: فقد كان هناك حزب البعث، كما كانت هناك الأحزاب الشيوعية العربية ... أمّا الشيء الذي حركنا فقد كان تحرير فلسطين. لقد أردنا القول: إنّ ذلك لم يكن ممكناً من خلال الأحزاب السياسية العربية الموجودة.^١

أمّا الجامعة الأمريكية، فقد بقيت حتى بداية الحرب الأهلية في لبنان في العام ١٩٧٥، على الأقل، جامعة الصفوة المختارة للشرق الأوسط بأسره.

ولأسباب مادية كان في مقدور العائلات الغنية فقط إرسال أبنائها للدراسة هناك.^٢ والاستثناء كانت تشكّله مجموعة صغيرة فقط من الطلاب المتفوقين الذين ينتسبون إلى أدنى الطبقة الوسطى، تمكن بعضهم الوصول، من خلال منح دراسية، إلى مقاعد الدراسة المنشودة في الجامعة الأمريكية.^٣ وفي المقام الأول اعتادت البرجوازية

الفلسطينية التي قطنت المدن الساحلية المزدهرة إرسال أبنائها إلى الجامعة الأمريكية. في حين فضّلت العائلات التقليدية الجامعات المصرية، وبشكل خاص الأزهر.

وقد كان عدد الطلاب المسيحيين في الجامعة الأمريكية يفوق نسبتهم بالمقارنة مع مجموع السكان في فلسطين، والشرق العربي على حد سواء. ويعود ذلك إلى أسباب كثيرة، منها نشوء الجامعة الأمريكية "كمدرسة تبشيرية"،^٥ بالإضافة إلى العدد الكبير نسبياً من المدارس الثانوية المسيحية، وحملة شهادة الدراسة الثانوية من المسيحيين في فلسطين ولبنان، عوضاً عن المستوى التعليمي العالي لهذه المدارس بشكل عام.

أمّا عدد الطلاب المسجلين في الجامعة، فقد بلغ في العام ١٩٤٧/١٩٤٨ حوالي ١٣٠٠، وفي العام ١٩٥٠/١٩٥١ ارتفع العدد إلى ما يقارب ١٤٠٠ طالب.^٦

ففي بيروت كانت قد تشكلت في القرن التاسع عشر الثقافة القومية العربية على الطريق نحو بلورة قومية عربية سياسية الطابع.^٦ أمّا الجامعة الأمريكية التي تأسست العام ١٨٦٦ تحت اسم "كلية سوريا البروتستنتية" فقد احتفظت لنفسها بموقع مركزي في عملية تربية أجيال كاملة من القوميين العرب. فطلاب هذه الكلية الذين بتأسيسهم العام ١٨٧٥ لرابطة سرية لم يقوموا "بأول عمل منظم في تاريخ الحركة القومية العربية" فحسب، بل صدر عنهم "أول بيان يتعلق بأهداف سياسية، واشتهر في تاريخ الحركة"،^٧ فمن خلال "عمل دؤوب متواصل لبعث الأدب العربي" خطى هؤلاء خطواتهم الأولى نحو وطنية ذات صبغة سياسية.^٨ في حين تعكس الوثيقة الوحيدة المأثورة لهذه الرابطة السرية التي تعود إلى العام ١٨٨٠ النهوض الثقافي لوطنية (قومية) عربية مبكرة،^٩ إلا أن الجديد في الأمر تمثل في المطالبة بدولة قومية عربية مستقلة. وقد مثل أعضاء الرابطة الذين تشكلوا في البداية من مسيحيين فقط، لم يلبث أن انضم إليهم مسلمون، من تلك الصفوة الواعية في البلاد.

ولسنا هنا بصدد متابعة تطور القومية العربية، والحركة التي تمثلها، إلا أنه من المهم في إطار الموضوع الذي نعالجه أن نستحضر أهداف "القومية العربية في عهد ما قبل الاستعمار، وكيف تمت صياغتها على أيدي المثقفين السوريين - اللبنانيين من ذوي التربية الغربية: "استقدام الحريات الليبرالية، وديمقراطية مدنية ذات نمط غربي في دولة قومية علمانية".^{١٠}

وقد شهدت مرحلة ما بين الحربين العالميتين فشل هذا الهدف؛ فبدلاً من دولة قومية عربية، حكم المشرق نظام انتداب عبّر عن شكل جديد وخاص للاستعمار الغربي، هو الذي أدى إلى تمزيق منطقة اتسمت حتى ذلك الحين بنوع من التجانس النسبي، فأصبحت الوحدة العربية شيئاً بعيد المنال،^{١١} وفي متناول اليد كانت هناك مجموعة من الدول العربية المتفرقة.

وفي الثلاثينيات من هذا القرن كانت قد تشكلت في الجامعة الأمريكية منظمة طلابية أطلقت على نفسها العروة الوثقى،^{١٢} وهو اسم حملته صحيفة كان قد أصدرها في باريس العام ١٨٨٤ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. وعلى ما يبدو، فإن الطلاب أرادوا بذلك الاستدلال باثنين من المجددين المسلمين الكبار متخذين منهما مثلاً أعلى في القومية، ومعاداة الاستعمار.^{١٣}

وقد هدفت العروة الوثقى، إلى تمكين أعضائها من العناية بلغتهم الأم في إطار جامعة تستخدم فيها لغة أجنبية هي الإنجليزية كلفة تدريس. وكنتيجة لاهتمام الطلاب بهذه "التركة" العربية ثقافة وأدباً، تحولت العروة الوثقى بشكل تدريجي إلى أشبه بناد وطني-قومي يمارس في إطاره وباسمه النشاط السياسي أيضاً.^{١٤}

وبهذا الخصوص لعب قسطنطين زريق، وهو "مسيحي أرثوذكسي من دمشق، أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت، وخبير بارز في تاريخ القرون الوسطى، (وكان) مرشداً لجيل كامل من القوميين"،^{١٥} دوراً مهماً في عملية التأسيس التي خضع لها طلاب الجامعة؛ "فمجموعة مقالاته حول الوعي القومي... وكتابه معنى النكبة اعتبرت شيئاً إجبارياً في لائحة القراءة في الحلقات الدراسية للقوميين العرب. إضافة إلى ذلك، فإن جورج حبش، بصفته نائباً لرئيس اللجنة التنفيذية للعروة الوثقى، اعتاد أن يستشير د. زريق حول عملية الجمعية".^{١٦}

وبكتابة معنى النكبة، الذي على الرغم من صغره، كان له تأثير بالغ، أراد زريق من خلاله وكما عبر بنفسه عن ذلك لاحقاً "صياغة فكرة وطنية يتمكن شباب هذا العالم العربي، الذي بدأ بالتحرك، من استخدامها كمحور لتفكيرهم".^{١٧} وقد كتب زريق معنى النكبة في خضم حرب فلسطين، حيث ظهرت الطبعة الأولى في آب ١٩٤٨، وفي تشرين الأول من العام نفسه تبعها طبعة أخرى جديدة.^{١٨}

ويركز زريق هنا على مسألتين كبيرتين: فمن خلال تحليل تاريخي التوجه، يحاول بلورة أسباب النكبة، ووضع اليد على العوامل التاريخية، والبنوية التي تقف خلفها. فما كان يهمه على الصعيد السياسي هو التغلب على الحاضر العربي ومستقبله، أو بكلام آخر إيجاد رد ملائم على النكبة. أمّا الفرصة لذلك فقد رآها زريق على خلفية تغييرات جذرية داخل المجتمع العربي، وكنتيجة له فقط. حينئذ، وبعد حصول مثل هذا التغيير الاجتماعي، الذي أطلق عليه زريق اسم انقلاب، وبعد دخول الأمة العربية إلى القرن العشرين يمكن، حسب زريق، التغلب على النكبة، وهذا يعني عملياً، التخلص من تبعاتها بإزالة دولة إسرائيل.

وهنا ليس بالإمكان القيام بتحليل مسهب للبنية التي تتألف منها أفكار زريق،^{١٩} وسيتم فقط التعرض للاستدلالات الرئيسية وإبرازها، وبخاصة أنها شكلت القاعدة الأساسية

لأيديولوجية، برنامجية وسياسية لطلاب الجامعة الأمريكية، أولئك الذين أحاطوا بجورج حبش، والذين أسسوا فيما بعد حركة القوميين العرب.

فالنكبة، حسب زريق، كان لها بعدان مختلفان، عربي عام يتمثل في الهزيمة العسكرية والسياسية والدبلوماسية للدول العربية في مواجهة إسرائيل. والآخر فلسطيني خاص يتمثل في تهجير أكثر من ٧٠٠ ألف فلسطيني وهرهم من ديارهم. وقد أدرك زريق النكبة على أنها الانهيار المادي، وفي الوقت نفسه الروحي - الأخلاقي للعرب جميعاً أمام الصهيونية. وهنا كان بالنسبة له العربي العام هو الأكثر أهمية، في حين أن البعد الفلسطيني لم يكن سوى تعبير واضح عن كارثة هي في أساسها عربية.

وبالنسبة له، فإن الرد الوحيد الممكن على النكبة يكمن في نقد ذاتي جذري، وليس في الولولة والوعيل، ولا في الإشفاق على النفس قطعاً، بل في مواجهة التحدي والمهام المطروحة، والتغلب على أسباب الانهيار العربي التي اعتبرها جزءاً من المهام اليومية.^{٢٠}

فزريق يعتبر أن انعدام النقد الذاتي يعني أن صراع البقاء الذي يخوضه العرب ضد إسرائيل الصهيونية محكوم عليه بالفشل مسبقاً. وكنوع من الاستعداد للنضال ضد إسرائيل، يقترح زريق على المستوى العسكري تنظيم أفضل، مقارنة مع الوضع العام ١٩٤٨، بالإضافة إلى تخطيط بعيد المدى. أما على المستوى السياسي، فيقترح إقامة الوحدة العربية، وما يعنيه ذلك من التغلب على التمزق العربي، والانقسام في دول مستقلة متفرقة.

ومن قبل، كانت هذه الخطوط العريضة قد عكست نهج زريق المميز: في الماضي، والحاضر، والمستقبل، حيث يلتقي التاريخ مع السياسة في نقطة ما. فالتعامل مع التاريخ يكتسب معنى من خلال مهام تجد حلاً لها في السياسة؛ في حين تصبح السياسة فقط ممكنة من خلال معرفة ما دار في الماضي، والتغلب عليه. فالنكبة شكلت وفي وقت واحد، نقطة تبلور وتحول، وبتدليلها يصنع العرب خطوتهم من الماضي في اتجاه المستقبل.

وفي مشروع شديد الدقة يقدم زريق خطة عملية للكفاح العربي ضد الدولة الصهيونية. فما يهمه في بداية الأمر هو المشكلة الذاتية للمعرفة، والتطبيق الناتج عن هذه المعرفة: فعلى العرب أن ينظروا إلى الصهيونية كما هي عليه، وأن يعملوا على فهمها. كما عليهم، والحديث لا يزال لزريق، أن يتحققوا من أن الصهيونية تمثل خطراً على الوجود العربي. فقط حينئذ يمكنهم القيام عملياً بالخطوة التالية والحاسمة: أي الشروع بالنضال ضد الخطر الوجودي هذا.

فهذا الكفاح، حسب زريق، لا يمكن تأديته بنجاح إلا على قاعدة حشد عربي عام على المستويات العسكرية والسياسية والاقتصادية. كما يشترط مسبقاً المشاركة الجماعية لكل الدول العربية:

قلت: إن هذا التوحيد المنشود في ميادين الحرب والسياسة والاقتصاد والدعاية وسواها مقيد بظروف الدول العربية ووضعها الحاضر، وإنه لا يمكن أن يرتفع فوق مستوى هذا الوضع. فهو الأثر والثمرة، والكيان العربي القائم هو الأصل والعامل. على أن الخطر قوي مداهم: لا يمكن معه انتظار الانقلاب الأساسي في الوضع العربي لتأمين تلك الوحدة الأصلية الضرورية لحفظ الكيان ودفع البلاء. ولذا، كان على ذوي السلطان وحملة التبعات في الدول العربية أن يضعوا الغرض العام قبل الأغراض الخاصة، وكان على الرأي العام في شتى أقطار العرب أن يلح في المطالبة بالتنسيق والتوحيد، وأن يضغط ما وسعه الضغط في هذا السبيل، وأن يثور على كل انقسام في الجبهة العربية، كي يذل ما أمكن العقبات القائمة في وجه التضامن العربي، ويحمي كيان العرب في هذه المعركة.^{٢١}

أمّا الدعوة لحشد عام، فقد حملت هذه المرة معنى خاصاً، وذلك من خلال التمايز في مفهوم "العرب"، الذي تم استخدامه حتى ذلك الحين بشكل إجمالي. فزريق يشرع بالتفريق بين الشعب، وسلطة الدولة؛ فهو لا يقصد فقط الذراع العسكري للدولة، أي الجيش الرسمي، وإنما أيضاً تلك الحكومات التي تمثل هذه السلطة. فهو ينطلق من حتمية قيام الحكومات بترك كل الطبقات والقطاعات التي تشارك في الكفاح، وإذا ما حاولت حكومة ما أن تعزل الجماهير عن كفاحها، فإن هذه ستتقلب عاجلاً أم آجلاً ضد مضطهديها. وبعد نصر محقق، وتحرر من الاضطهاد، ستشرع الجماهير، وبمفردها بالجهاد، الحرب المقدسة، للدفاع عن كامل التراب العربي.

ألا فليحذر أولئك الذين يتهمون الشعب ويعرضون عن النضال الشعبي. فهم بذلك يخسرون عنصراً أساسياً من عناصر الجهاد، بل يكتون روح النضال في صميمها. على أن هذه الروح، وإن أضعفت حيناً، فلا بد لها يوماً من أن تهب، وقد تثور على قامعيها أولاً، ثم تنطلق في جوانب الأمة جميعاً، لتجعل الجهاد لحفظ الكيان وحماية الوطن جهاداً شاملاً بالمعنى الصحيح.^{٢٢}

وحسب خطة زريق، فإن وحدة المجهود العربي، والحشد العام بإشراك الشعب العربي بأكمله في الكفاح ضد الصهيونية هي التي تقود إلى الهدف الذي يتمثل في إقامة دولة ديمقراطية في فلسطين بدلاً من إسرائيل الصهيونية. وتحتل دعوته نحو تغييرات أساسية وعميقة في العالم العربي مكاناً مركزياً في إستراتيجيته للنضال ضد إسرائيل، التي على أساسها، يتم حينئذ إقامة الوحدة العربية، التي بدورها، وعلى ضوء عظمة التهديد الصهيوني، تشكل شرطاً أساسياً يسبق الشروع بالكفاح العربي ضد الصهيونية. وهكذا، فإن طريق الوحدة بالنسبة لزريق يمر عبر كفاح من أجل تغييرات

داخلية في العالم العربي، عبر كفاح يظهر نهجاً واضحاً يدفع في معاداة الرجعية العربية. وهو ما يعني، وبالملموس، التخلص من "الإقطاعية - بله القبلية - والطائفية والجبرية والغيبية"،^{٢٣} على الصعيدين السياسي والاقتصادي، في التفكير والممارسة على المستويين الحكومي والخاص وعلى الصعيد الاجتماعي أو الاجتماعي-النفسي.

فزريق إذاً لا يسعى إلى الوحدة بذاتها، بل يطالب بدولة وطنية عربية ذات صبغة تقدمية ثورية. ويقصد بالتقدمي هنا التحديث، وتحديد التصنيع، عوضاً عن علمنة السياسة (الفصل بين الدين والدولة) وأن تقوم الدولة على أساس من الحضارة والعلم.

هنا يبرز بشكل واضح أن زريق كان قد وضع نصب عينيه النموذج الغربي الأوروبي للثورة الاجتماعية كمرحلة تطور لازمة حتى من أجل الحاضر العربي. وعلى هذا الأساس، شكلت التغييرات الضرورية في العالم العربي، وبالتالي الوحدة العربية كمحطة نهائية وكنيجة لهذه التغييرات، التي لا يمكنها، ولا يفترض فيها أن تأتي من خلال عملية تطور بطيئة، بل من خلال ثورة (يستخدم زريق كلمة انقلاب). فحتى يصبح العرب شيئاً نشطاً وذا أهلية سياسية، فإن عليهم اللحاق "بالغرب"، وبالتالي إسرائيل، التي تمثل في نهاية المطاف نموذجاً للدولة الغربية. "فالغرب" يظهر هنا بوصفه قريناً للحدث والتقدم؛ وبكلمات أخرى، فإن الغرب كان قد تخطى، وبجاح، الثورة الداخلية؛ تلك الثورة التي لا تزال تنتظر الأمة العربية، في حال أرادت هذه تأكيد نفسها في العصر الحاضر.

وهكذا يمنح زريق النكبة بعداً مغائراً كلياً. فهي لم تعد بعد رهينة الأحداث اليومية، بل لها موقعها على سلم التطور الشامل: فالنكبة ليست سوى نتيجة تخلف وعدم تطور عربي عام في مواجهة غرب مدني صناعي. فلا يمكن للعرب التغلب على التخلف وعدم التطور إلا من خلال تغييرات اجتماعية عامة ذات طابع ثوري على غرار التغييرات التي أحدثتها الثورة المدنية.

وحسب زريق، فإن نخبة عربية جديدة هي فقط المخولة بالتحضير لهذه الثورة، والقيام بها. إلا أن ذلك يشترط مسبقاً امتلاك هذه النخبة لصبغة تقدمية، وفي الوقت نفسه، وهو شيء غير مميز تماماً لصفوة مثقفة، تكتلها داخل تنظيم قوي، وذات عقيدة واضحة المعالم.

ولذا، فالشرط الأول لنجاح العمل التقدمي الانقلابي أن يكون قادته وأربابه تقدميين في أنفسهم، انقلابيين في صميمهم... ومن متمات وجود هذه الفئة المختارة أن تنتظم وتتحد في أحزاب ومنظمات محكمة تقوم على عقيدة صافية موحدة، وترتبط بولاء صحيح متين تخضع كافة نزاعاتها له، وتدين به عن رضى واختيار.^{٢٤}

إلا أن تشديد زريق على النخبة لا يلبث أن يأخذ، وبسرعة كبيرة، منحني شعبياً معيناً من أجل حشد الجماهير العربية للكفاح، جامعاً بذلك كل طبقات المجتمع العربي. هذه الفلسفة السياسية للتقدم تجبر زريق على استبعاد الرجعية العربية من صفوف الأمة العربية بأسرها، إذا وقفت هذه، كما يتضمن المصطلح، ضد التقدم الذي لا مناص منه، كما اعتبر.

وانطلاقاً من هذه الرؤية تتبلور عند زريق الصور الدقيقة التالية للعدو: الصهيونية ورببتها إسرائيل بالإضافة إلى الرجعية العربية. غير أن هاتين الصورتين ينتابهما نوع من الازدواجية؛ فالصهيونية، فالحركة الصهيونية وإسرائيل تشكل في الواقع عدوا للعرب. إلا أنها، بفضل الحداثة والأسبقية في التقدم في مقابل المجتمعات والدول العربية، أضحت تمثل وبشكل متناقض المثل الأعلى للأمة العربية. في حين أن الرجعية العربية شكلت كما شاهدنا العام ١٩٤٨ حصناً من حصون التخلف. من جهة أخرى، لم يكن أمام زريق مفر، وبخاصة إذا انطلقنا من الواقع السياسي للأنظمة العربية الرجعية، حيث تتركز السلطة بين يديها. إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن زريق لا يتطرق مطلقاً إلى سياسة النظام الهاشمي الرجعية على سبيل المثال، كسياسة تمثل مصالح الشريحة الحاكمة هناك ممثلة بالأمير عبد الله. فهنا تقف الأيديولوجية الوطنية (القومية) بمفهومها حول الأمة حجر عثرة أمام تحليل اجتماعي أكثر عمقا.

وبشكل أو بآخر، فإن زريق يظهر في كتابه معنى النخبة كمنظر للتحديث؛ يحل بالتفصيل التناقض القائم بين مجتمع "متخلف"، ويقصد بذلك بالمجتمع العربي، ومجتمع "حديث" تمثله في المنطقة دولة إسرائيل، كما يرى أن التغلب على ذلك ممكن فقط من خلال خلق صفوة عربية ثورية حديثة.

ومع ذلك، فإن زريق يبقى أسير عالم المثالية، وبخاصة أن انتقاده للواقع العربي، بالإضافة إلى تصوّره للتغييرات بقي بعيداً عن الواقع الاجتماعي أو الاجتماعي-الاقتصادي، ناهيك عن السياسي السلطوي.^{٢٥} فهو بالكاد يدخل عالم السياسة أو يقترب من عالم التحليل السياسي الواقعي. فعالمه بقي عالم أفلاطون، وجمهوريته التي تعطي المثقف على خلفية تفوقه الروحي - الأخلاقي دوراً مركزياً.

أما الواقع الاجتماعي-الاقتصادي لفئة المثقفين العرب، الإنتلجنسيا، وعلاقتها بالسلطة، فقد بقيت دون أن يتم تسليط الأضواء عليها، أو تم التعامل معها من خلال تصور مثالي.

ب. المنظمة الطلابية - العروة الوثقى

يمكن تتبع التأثير الذي مارسه قسطنطين زريق على الطلاب العرب الوطنيين في الجامعة الأمريكية في بيروت منذ العام ١٩٤٨، وبشكل واضح، وذلك من خلال استعراضنا لما حملته صفحات مجلة العروة التي اعتادت أن تصدر بشكل دوري - عن جمعية العروة الوثقى. ففي العروة لا نجد فقط ما يشير إلى تقبل وجهة نظر زريق في محاولته لتفسير النكبة، وإنما أيضاً إلى استيعاب هذا التفسير، وبلورته من قبل جورج حبش وزملائه. كما أبرزت المجلة تأثير مفكرين قوميين آخرين على نشيطي حركة القوميين العرب اللاحقين.

أما الأثر الأكثر عمقاً الذي خلفه زريق عند طلابه فقد حصل، وبلا جدال، من خلال دعوته الصفوة العربية المثقفة إلى بناء تنظيم سياسي جديد يقوم على أسس علمية، ويمتاز بالفاعلية والحركة؛ ففي كانون الثاني ١٩٥١، وفي تعقيب مباشر على الدعوة التي أطلقها زريق يُطالب في مقال غير موقع بإقامة مثل هذا التنظيم كأساس وكشرط مسبق للتغلب على نكبة ١٩٤٨، وبالتالي حل المشكلة الفلسطينية. فتتنظيم مثل هذا كفيل بالتخلص من الفوضى، والجهالة التي تعتبر الأسباب المباشرة للنكبة. فمثل هذا التنظيم الذي ينطلق من القاعدة (الشعب)، ويرتكز إلى أسس علمية يمكنه التغلب على وهن وأخطاء الأمة العربية التي كانت قد ظهرت بشكل واضح وعنيف العام ١٩٤٨.

فزريق إذاً يرى في الشباب القومي تلك الصفوة السياسية الجديدة التي في وسعها مسح هزيمة ١٩٤٨ عن جبين الأمة العربية. مستلهما هذا التصور، لا يلبث جورج حبش - وذلك في مقال افتتاحي في ربيع ١٩٤٩ على صفحات العروة أن يعمد إلى وصف تلك الصورة الكلاسيكية لقبطان السفينة الذي عليه، على الرغم من العواصف، قيادة سفينته إلى بر الأمان.

وهذا عدد جديد تطالعك به العروة أيها القارئ الكريم لتقول به لأولئك الذين ألقوا بمجازيفهم في اليم، وتركوا شرعهم للهاويات السفلى، إن في هذه الأمة شباباً لا تنى عزيمتهم، وفي إرادتهم ما يقهر الهول، وملء أرواحهم ما يتحدى الفناء.

فإذا ما حطمت العواصف مجاذيفهم، ومخرت شرعهم أبائهم من حطام منثور، أمسك كل ملاح بجناح ومضى بساعده يغالب الموج، وبعزيمته يتحدى الهاويات، يحدوه من هناك، من الشاطئ البعيد أهازيج أمة حية وربيعة بلاد.

فإما أن يدركوا الشاطئ بشرع يكون للأجيال الطالعة موكب بطولة ورمز جهاد، وإما أن يقضوا في سبيل حياة هذه الأمة وحفظ كيانها شهداء سعي وكفاح، وهذا لعمر كخير من مجالي المناقب والقيم من يأس يميئنا رغم أنوفنا وعلى شراب الهوان والخنوع ميتة العبيد الجبناء.^{٢٧}

وكما حصل مع زريق، لم يخل حديث حبش من نقد لاذع ضد القيادة السياسية في العالم العربي التي كشفت النكبة عن إفلاسها؛ بحيث اضطر الشباب القومي العربي إلى مقابلتها بالاحتقار.

وقد كانت مجموعة من زملاء حبش في الجامعة قد لفتت انتباهه، وذلك كرد على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى الأهمية القصوى للوجود على شكل تنظيم. فالغياب التام لأي شكل من أشكال التنظيم، بالإضافة إلى انعدام القيادة في الجانب الفلسطيني، رأى فيه حبش، وذلك أثناء وجوده في اللد في صيف ١٩٤٨، سبباً من الأسباب التي أدت إلى نجاح الجيش الإسرائيلي.

عندما عدت، ظهرت العروة كأفضل وسيلة للتعبير عن رد فعلنا على الأحداث في فلسطين. فقد أضحت الإطار الذي عبرنا من خلاله عن مواقفنا ومشاعرنا. وبدأنا بوضع خطة عمل للعروة تتكون من محاضرات ونقاشات عامة.^{٢٨}

وقد تمحور نشاط حبش وأصدقائه حول المسألة الفلسطينية: فأقيمت المحاضرات والندوات كما نظمت المظاهرات، ووزعت المناشير. بالإضافة إلى ذلك، شاركت العروة في عمليات إغاثة اجتماعية-إنسانية للاجئين الفلسطينيين الذين تدفقوا إلى لبنان.^{٢٩}

في العام ١٩٤٨، أصبح حبش نائباً لرئيس العروة الوثقى، وانتخب رئيساً في السنة التي تلتها. وأخيراً ظهر في العام ١٩٥٠/١٩٥١ كرئيس للجنة العمل.^{٣٠}

بالإضافة إلى المسألة التنظيمية، فإنه من المفترض أن دعوة زريق من أجل تغيير عميق داخل العالم والإنسان العربي قد لقيت استعداداً مسبقاً عند الطلاب الذين تجمعوا في العروة الوثقى؛ فمفهوم زريق للانقلاب كانقلاب ثوري كما لو كان تعويضاً عن انقلاب اجتماعي في العالم العربي تم استلهاً في شكله المباشر. أما صاحب هذا الانقلاب أو صانعه فهو، بلا شك، الشعب الذي به ومن خلاله سيتغير.

وعلى إثر دعوة زريق هذه قامت مجلة العروة بتطوير الصورة المثلى التالية للانقلاب العربي:^{٣١}

١. سيغير هذا الانقلاب كل شيء بشكل جذري.
٢. سيقوم في العالم العربي نظاماً جديداً يخلو من الاستغلال.
٣. سيقضي على الحدود والدول المتفرقة.
٤. ستختفي جيوش الاحتلال.
٥. ستختفي إسرائيل من الوجود.

٦. ستصبح السياسة العربية حرة دونما خضوع لسياسة دولة أجنبية، ودونما استغلال إمبريالي من قبل الغرب.
٧. سيخرج عن هذا الانقلاب الدولة القومية العربية من أجل مصلحة الأمة العربية فقط.

الشيء المفاجئ، وبالأخص على خلفية التوجه الناصري للقوميين العرب في الخمسينيات والستينيات، هو التقييم الذي صاغه حامد الجابوري أحد نشطاء العروة، وممن شاركوا لاحقاً في تأسيس حركة القوميين العرب، للانقلاب الوطني الذي قام به الضباط الأحرار في مصر بزعامة عبد الناصر في العام ١٩٥٢. فانطلاقاً من الصورة المثلى للانقلاب الذي كانت العروة قد طورته وعرضته على صفحاتها، فإن الانقلاب العسكري في مصر لم يأت بأي جديد: فلا الشعب استعاد حريته ولا نشاط البرلمان، ولا عادت الأحزاب لتحتل مكانها الرئيسي في حياة الدولة السياسية. كما يهاجم الجابوري، وبشكل جامع، السياسة الموالية للغرب التي ينتهجها مجلس قيادة الثورة المصري، محذراً من أن الغرب في سياسته نحو العالم العربي يرمي فقط إلى الوصول إلى هدفين: بناء نظام دفاعي مشترك موجه ضد الاتحاد السوفييتي، بالإضافة إلى السلام بين إسرائيل والدول العربية. فكلال الهدفين كانا بالنسبة للقوميين العرب الشباب في الجامعة الأمريكية غير قابلين للبحث، واحتلالاً بالتالي مكاناً مركزياً في الدعاية السياسية للقوميين العرب.

وهنا يظهر جلياً كيف أن حبش وزملاءه كانوا قد تأثروا بالتقاليد الغربية الديمقراطية، حيث لعب بروفيسور زريق دور العازف الأول. فالحريات المدنية، والديمقراطية البرلمانية، وحرية النشاط السياسي الحزبي داخل نظام الدولة، شكلت جميعها بالنسبة لهم الأهداف التي يجب تحقيقها من خلال الانقلاب المنشود.

فالنكبة، الأحداث في فلسطين وحولها في الأعوام ١٩٤٧/١٩٤٨، تمثل بالنسبة لزريق المكان التاريخي، حيث تم الكشف، وبشكل لا هوادة فيه، عن وهن الأمة العربية. في الوقت نفسه، فإن النكبة تضع العرب، وبشكل نهائي، أمام خيارين: إما إخضاع نفسها لتغييرات ثورية من أجل تثبيت مكانتها في العصر الحاضر، وإما الفناء. ولا تلبث العروة أن تستلهم هذه الرؤيا بشكلها المطروح. كما تعتمد، وبشكل متمم إلى الاستعانة "بعبارة فلسطين"^{٣٢} من أعمال موسى العلمي، وذلك من أجل الوصول إلى فهم مرض للنكبة.

إلا أن النتائج السياسية التي يستخلصها حبش ورفاقه في العروة، تظهر وكأن تأثير علي ناصر الدين ذلك القومي العربي الدرزي الأصل، والأستاذ في الجامعة الأمريكية كان هو المسيطر وليس ذاك الذي خلفه زريق.^{٣٣} فهذا الشيء يظهر، وبشكل خاص، جلياً من خلال الدعاية الوطنية ذات التوجه المعادي للغرب. فالعروة، على سبيل المثال، دعت إلى مقاطعة البضائع الأجنبية التي لم تكن تشمل الشركات التي تتعامل مع إسرائيل فقط، بل، وكنتيجة لسياسة الحماية الاقتصادية، الشركات الغربية بشكل

عام. كما انتقد الطلاب القوميون، بشكل لاذع، استيراد الكماليات. في حين تم الترحيب باستيراد السلاح، ومواد الإنتاج الصناعية، والزراعية، عوضاً عن المواد الأولية التي لا يمكن الاستغناء عنها. وعلى ما يبدو، فإن الأصل الاجتماعي والارتباط الطبقي، بالإضافة إلى انغراسهم وتجذرهم في برجوازية التجارة والمال التي نمت، وتعززت مواقعها بسرعة بعد العام ١٩٤٨ لتنشط في كافة أرجاء الشرق الأوسط من بيروت وحتى الخليج، قد تركت أثرها هنا. وهو ما يوضحه بشكل أو بآخر تطور القوميون العرب الذي حصل لاحقاً. "في سنوات الخمسينيات كسبت الحركة إلى جانبها من خلال دعوتها إلى الديمقراطية، وإلى حقوق تشريعية كثيراً من المتعاطفين في صفوف التجار والمتعهدين الذين قدّموا الدعم المادي للحركة".^{٣٤}

وعلى النقيض من زريق، ومفهومه الوطني الذي بقي إلى حد بعيد عقلاني الطابع يتقيد بالتنوير، ويبتعد عن كل أشكال الشوفانية، يظهر أحد مقالات علي ناصر الدين المنشودة في **العروة**^{٣٥} الذي يهاجم فيه كل أشكال الوطنية المبنية على العقلانية، مطالباً بوطنية تسيطر عليها العاطفة، وتفصل بشكل واضح عن الفكر والعلم والفلسفة. ويبلغ المقال الذروة عند مطالبة الشباب العربي: "يجب وضع حد للتفكير المجرد! نحن عرب لنقل "نعم" أو "لا". وبالإشارة إلى باسل كبيسي، فإنه من المفترض أن ناصر الدين كان هو "القائد الروحي للقوميين العرب في مطلع الخمسينيات".^{٣٦}

وإذا ما اعتمدنا النتائج التي خرجت عن الأبحاث التي أجريت حتى الآن، فإنه ليس من السهل تحديد، وبشكل واضح، من هو صاحب التأثير الحاسم على من أسسوا حركة القوميين العرب لاحقاً: زريق أم ناصر الدين؟ ومع ذلك فإن مطالعاتنا **للعروة** تسمح لنا بالاستنتاج أن حيش وزملاءه في الدراسة، ولحين تخرجهم، لم يكونوا أبداً قد حددوا لأنفسهم أيديولوجية بعد. فوطنيتهم أو قوميتهم استقت من كل المصادر التي كانت متوفرة في ذلك الحين: قسطنطين زريق، وموسى العلمي، وعلي ناصر الدين، وساطع الحصري، ونقولا زيادة، وكمال مروة، وميشيل عفلق، وذلك على سبيل ذكر المؤلفين الذين ظهرت أسماءهم على صفحات **العروة** لا الحصر.

وحسب رأيي، فإنه من المفترض عدم المبالغة في تقييم نشاط الشباب القومي العربي في العروة كما حصل في كتاب كزيحة. فالعروة لم تكن أول الأشكال التنظيمية، أو قطعاً الواجهة التنظيمية لحركة القوميين العرب. كما أنها ليست المدرسة الحزبية لحبش، والهندي، وكبيسي ودروزة... الخ. فأهمية العروة تكمن في كونها استطاعت توضيح عملية التطور التي سبقت تأسيس حركة القوميين العرب، كما عملت على صياغتها بطريقة مرنة. فمؤسسو الحركة لم ينطلقوا من أيديولوجية واضحة أو من برنامج جاهز ينتظر التنفيذ، بل وقفت العاطفة التي أثارتها النكبة وراء هذه النشاطات المحركة ذات الطابع السياسي الثوري التي كان هدفها الوحدة العربية وتحرير فلسطين، التي،

وكنتيجة للوحدة فقط، ستصبح قابلة للتحرير، من خلال تنظيم عربي وطني جديد، وتحت قيادة مثقفين شباب ذوي تربية غربية، وليس حزب البعث العربي القومي الذي كان موجوداً بالأصل. أمّا الأحداث السياسية والأفكار الأيديولوجية والبرامج السياسية، فقد تم الحكم عليها من خلال هذه الأهداف وليتم، فيما بعد، استلهاها دونما تعصب عقائدي، وبطريقة انتقائية.

ج. التنظيم السري: كتائب الفداء العربي

من المفترض أيضاً أن يكون النشاط السياسي للقوميين قد أنتج أول الخلافات، والصراعات العميقة بين الطلاب القوميين في الجامعة الأمريكية، وعلى رأسهم جورج حبش، ومرشدهم الأكاديمي قسطنطين زريق. فحبش نفسه يستذكر ومن غير التباس، الخلافات التي انبثقت في الرأي:

دخلنا في مجادلات جدية مع د. قسطنطين زريق الذي أطرى على حماسنا ومثاليتنا، إلا أنه طالبنا بالهدوء. كيف نهذاً بعد كل هذا الذي حدث؟ لماذا لا ندعو لنصب المشانق لأولئك الذين يتحملون مسؤولية التخلي عن فلسطين؟^{٣٧}

ففي حين أكد زريق في معنى النكبة على أهمية التغيير في السلطة التي تمارس في الدول العربية دون أن يتطرق بشكل واضح إلى الكيفية التي يجب أن يحصل بها هذا الشيء، أراد طلابه ومن خلال الاغتيالات السياسية خلق مكان لقيادة عربية-قومية جديدة.

ولنعد إلى حبش مرة أخرى:

تركز جدلنا بشكل قوي عما يجب عمله "بالخونة العرب"، أولئك الملوك والرؤساء، أكثر منه على إسرائيل. فهدفنا كان معاقبة أولئك الذين أضاعوا لنا فلسطين. لقد افترضنا أن التخلص منهم كاف ريثما تستأنف جماهير الأمة العربية الكفاح... فجميع القيادات السياسية في الدول العربية السبعة اعتبرت مذنبه، وليس هناك من حل لتنفيذ الحكم إلا باللجوء إلى العنف.^{٣٨}

تشكلت الأسلحة الأولى من بنادق صيد بسيطة تزود بها طلاب القوميون بمساعدة زملاء لبنانيين لهم. ولكن الأمر لم يصبح جدياً فيما يتعلق بخطط الاغتيالات، إلا بعد الاتصال مع مجموعة إرهابية سرية كانت قد تأسست في دمشق العام ١٩٤٩، تحت اسم كتائب الفداء العربي. ومن المشاركين في هذه الكتائب هاني الهندي (طالب في الجامعة الأمريكية) وجهاد ضاهي (طالب في جامعة دمشق، وصديق للهندي من أيام المدرسة)، في حين كانت القيادة من نصيب مجموعة من اللاجئيين السياسيين المصريين وعلى رأسهم حسين توفيق.^{٣٩}

أما الخطوة الأولى لكتائب الفداء العربي التي كانت قد عقدت العزم على تحرير فلسطين، فقد تمثلت في الثأر من المسؤولين عن الهزيمة في العام ١٩٤٨، واضعين، دون تمييز، سياسيين عرباً ودبلوماسيين بريطانيين وأمريكيين في سوريا، بالإضافة إلى الجاليتين اليهوديتين في سوريا ولبنان في سلة واحدة.^{٤١} ففي الخامس من آب ١٩٤٩، حدث اعتداء على الكنيس اليهودي في دمشق، حيث سقط ١٢ شخصاً وجرح ٢٧ آخرين. ثم تبعه اعتداء آخر بتاريخ ٦ تشرين الثاني على مراسل بريطاني، وعميل مخابرات سابق. كما تم إلقاء قنابل على سفارات الولايات المتحدة، وبريطانيا في كل من بيروت ودمشق، وعلى مدرسة يهودية في بيروت، ثم الحي اليهودي في دمشق، وأخيراً على مقر وكالة الغوث الموجود في دمشق أيضاً. أما محاولة الاغتيال الفاشلة للمقدم أديب الشيشكلي التي حدثت في العاصمة السورية في ١٢ تشرين الأول ١٩٥٠ فقد شكلت الذروة، ولكنها كانت في الوقت نفسه بداية النهاية السريعة للإرهاب الذي مارسه كتائب الفداء العربي حتى ذلك الحين. ففي أعقاب المحاولة الفاشلة مباشرة تم إلقاء القبض على ١١ عضواً من التنظيم؛ فحكم على حسين توفيق، -الرأس المدبر بالإعدام، وليتم تخفيضه لاحقاً إلى السجن المؤبد. في حين حكم على هاني الهندي بالسجن لبضعة أشهر، ثم لم يلبث أن أطلق سراحه في ربيع ١٩٥١.^{٤٢}

أما المادة المتوفرة عن كتائب الفداء، فإنها تتيح، حسب رأيي، الاستنتاج أن طلاب الجامعة الأمريكية ممن أسسوا حركة القوميين العرب، لاحقاً، قد لعبوا دوراً هامشياً في الكتائب خاصة، إذا ما استثنينا هاني الهندي وجهاد ضاهي اللذين لم يكونا أكثر من شريك صغير تاركين الدور الأساسي للأجئيين السياسيين الذين قدموا من مصر، حاملين معهم الخبرة المطلوبة. ومع ذلك فإنه يجب اعتبار الكتائب من الأشكال الأولية لحركة القوميين العرب. والتعامل معها على هذا الأساس: فتجربة طلاب الجامعة الأمريكية القوميين في صفوف كتائب الفداء تكتسب أهميتها من خلال التأثير الخصب لهؤلاء على الحركة السياسية الجديدة، التي كانت قد بدأت بالتشكل في السنوات التي تلت. وكما حدث عند استلهمهم أفكار زريق، فقد عادت المسألة التنظيمية لتحل دور الصدارة. فحقيقة أن الشرطة السورية استطاعت القبض على المجموعة كاملة، دفع حبش ورفاقه إلى التشديد أكثر فأكثر على أهمية السرية القصوى والنظام (الانضباط) الحازم.

إلا أن فشل كتائب الفداء العربي قد دفع طلاب الجامعة إلى الرجوع مرة أخرى إلى المفكرة السياسية التي امتلأت بأفكار زريق. فالتجربة أثبتت أنه لا يكفي التحريض والتنظيم داخل أسوار الجامعة، بحيث يقوم الطلاب لاحقاً، بالنيابة عن المجتمع ككل، بمحاولة تحقيق مطالب "الجماهير" السياسية بأيديهم وبشكل مستبد. هذه الرؤية عبّر عنها هاني الهندي بالنيابة عن كل الطلاب الذين شاركوا في كتائب الفداء: "لقد وصلت بنا السداجة إلى حد الاعتقاد أن بضع طلقات توجه إلى رأس الملك عبد الله، ورؤوس عملاء آخرين كافية لخلق وضع ثوري".^{٤٣}

وهكذا، تبلورت هناك صيغة رفض واضحة للأعمال الفردية الإرهابية. أمّا الدافع الذي وقف وراء ذلك فلم يكن بالضرورة تأنيب الضمير بقدر ما كان رؤية جديدة لهذه العمليات، التي في نهاية المطاف، لم تحقق الأهداف المرجوة منها. إلا أن نبذ مثل هذا الإرهاب لم يكن ليعني التخلي عن ممارسة العنف كوسيلة سياسية، بل على العكس تماماً. " واقع الأمر أن المجموعة كانت مستعدة لاستخدام أي سلاح يخدم تطوير روح المقاومة في شعبنا وتقويتها " ^{٤٣} إلا أن الوقت لم يكن ناضجاً لتحقيق مثل هذا العرض؛ ففي البداية يجب تحريك الفلسطينيين أو الجماهير العربية بشكل عام، وتنظيمها.

وهنا بالذات يكمن الدافع وراء ذهاب الطلاب إلى حيث يوجد اللاجئين الفلسطينيون في المخيمات، مشكلين قاعدة جماهيرية عريضة يمكنها خدمة الهدف السياسي الأول للطلاب القوميين، الذي كان واضحاً منذ البداية، ألا وهو الحيلولة دون قيام الحكومات العربية بعقد صلح مع إسرائيل. ^{٤٤}

فمرحلة كتائب الفداء، جنباً إلى جنب مع تجربة النادي الطلابي الذي حمل اسم العروة الوثقى، تطرح الأهمية السياسية للنشاط الطلابي على بساط البحث. فمن جهة، كان الثوار المحترفون أمثال جورج حبش، ووديع حداد ينتظرون بفارغ الصبر إتمام دراستهم من أجل التفرغ كلياً للسياسة.

ومن جهة أخرى، بقي قادة الحركة اللاحقين، حتى بعد احترافهم للعمل الثوري، متأثرين، وإلى حد ما، بالتكيف الاجتماعي (Socialisation) الذي تعرضوا له وهم على مقاعد الدراسة الجامعية. أمّا التنظيم ككل فقد شكلت غالبية، وسيطرت عليه مجموعة من الطلاب والتلاميذ.

الاستقامة في السلوك، الرمزية في المضمون، فسلوك " الطالب " يميل إلى الاختلاف عن سلوك البالغ، بمعنى أنه غالباً ما يكون ضرباً من المستحيل. هذا التشديد على الشكل قبل البرنامج، والالتزام قبل التسوية هي في الوقت ذاته تشكل نقطة الضعف والقوة في الحركات الطلابية. ^{٤٥}

ويبدو أن محاولة دونالد ايمرسون (Donald Emmerson) لإضفاء طابع عام على الحركات الطلابية مناسبة جداً لحركة القوميين، وبخاصة في سنوات الخمسينيات. فالعضوية في حركة القوميين في سنواتها الأولى لم تكن فقط تشريفاً، بل عبئاً حياتياً شبه تام يثقل كاهل الفرد؛ فالمشاركة في نشاطات الحركة كان يعني الانغماس الكامل للعضو فيها. وفي نهاية الخمسينيات فقط، بدأت تغييرات معينة تشق طريقها؛ فأصبح هناك مثلاً ميل للبحث عن كوادرات في صفوف العمال والفلاحين والجيش أكثر منه في صفوف الطلاب والتلاميذ.

هذا الشيء حمل في طياته بذور الجمع، بشكل مزدوج، بين حقيقة وجود تنظيم نخبوي قوي وأيديولوجية شعبية تحاول إخفاء هذه الحقيقة عبر الدعوة المستمرة للجماهير والرجوع إليها. أمّا كيف تعاملت حركة القوميين مع هذه المسألة، فهذا ما سيبيّنه التحليل الذي سنقدمه للحركة القومية الشابة في سنوات الخمسينيات.

يبقى عنصر أخير من عناصر تجربة السنوات الأولى في العروة الوثقى، ومرحلة كتائب الفداء ذات الأمد القصير، يجب الإشارة إليه ألا وهو "البراغماتية" التي تمتع بها القوميون لاحقاً. فالنشاط الطلابي الذي يحدده الهدف الأساسي، وهو تحرير فلسطين الذي يمر عبر تحقيق الوحدة العربية لم تكن محددة لا أيديولوجياً، ولا برنامجياً. فإذا ما اعتمد أسلوب، ولم يلبث أن فشل، يتم اختيار تكتيك، وإستراتيجية جديدة.^{٤٦} فالمهم هنا هو الحفاظ على الهدف الأسمى، بغض النظر عن الطريقة. وهو ما زرع بذور التناقض الكبير حين تم الجمع لاحقاً بين العقائدية (Dogmatism) (فيما يتعلق بفلسطين كهدف) والمرونة (بالنظر إلى الطريق الذي يؤدي إلى ذلك).

ثانياً: تأسيس حركة القوميين العرب

تم تأسيس حركة القوميين العرب، في البداية تحت اسم الشباب القومي العربي في العام ١٩٥٢ تقريباً، وذلك حين أنهى طلاب العروة الوثقى دراستهم.^{٤٧}

قبل انتهاء دراستنا وصلنا إلى قناعة مفادها أن علينا الاستمرار في كفاحنا... ليس تحت اسم العروة، ولا تحت اسم جمعية مقاومة الصلح مع إسرائيل. ففكرة تأسيس تنظيم فلسطيني-عربي سياسي بدأت تتبلور أكثر فأكثر... فعندما تركنا الجامعة الأمريكية وذهبنا إلى الأردن أو إلى الكويت كما في حال الخطيب، اتفقنا عشية سفرنا من بيروت أن على كل واحد منا أن يقيم فرعاً لهذا الحزب القومي العربي السياسي. لقد قررنا أن نلتقي في فترات من ٣-٦ أشهر للاطلاع على مجريات الأمور.^{٤٨}

وبانتقال جورج حبش، ووديع حداد للعمل كأطباء في عمان، تحوّلت عمان لتصبح المقر الرئيسي للحركة الشابة. وفي الكويت أقام أحمد الخطيب فرعاً، في حين قدم حامد الجابوري من العراق الدعم السياسي.^{٤٩} أمّا في لبنان، فقد لعب هاني الهندي في مطلع الخمسينيات دوراً قيادياً، جنباً إلى جنب مع أولئك الذين قدموا من الجنوب اللبناني، أمثال محسن إبراهيم، ومحمد الزيات، بالإضافة إلى بعض المعلمين الفلسطينيين من مخيمات اللاجئين في صيدا وبيروت.

وقد كان جورج حبش، ومجموعة أخرى من نشيطي العروة، قد بدأوا أيام الدراسة باختراق أسوار الجامعة والذهاب إلى الشعب؛ أي إلى الفلسطينيين القابعين في مخيمات اللاجئين في لبنان.

لقد بدأنا بالذهاب إلى المخيمات، لإلقاء المحاضرات، لتحريك الجماهير ضد خطط وكالة الغوث (توطين اللاجئين) وضد الأنظمة الرجعية. وعندما حدث الاتصال مع رفاق مثل أبو ماهر، تحدثنا معهم بشكل مركز جداً، وذلك لكسبهم كأعضاء في تنظيمنا".^{٥٠}

من هو أبو ماهر؟ هو أحمد اليماني الشهير بأبي ماهر. كان ممارساً للنشاط السياسي حتى في عهد الانتداب البريطاني؛ انتسب في العام ١٩٤٤ إلى جمعية العمال العربية الفلسطينية التي كانت قد أسست العام ١٩٢٥ ليكافح في إطارها ضد القيادة السياسية الفلسطينية ذات الطابع الهرمي التي تزعمها الحاج أمين في ذلك الوقت. وفي العام ١٩٤٨ حاول، انطلاقاً من قريته في شمال الجليل، التصدي لوقف سيل المهاجرين دونما جدوى. وحينما تم طرده من الدولة العبرية حديثة العهد، أسس بالتعاون مع فلسطينيين آخرين، ممن أصبحوا لاجئين مثله، في شمال لبنان منظمة سرّية هي المنظمة العسكرية لتحرير فلسطين. بعد ذلك وفي العام ١٩٤٩ بالذات، تحرك أبو ماهر في اتجاه نابلس، التي شكلت في ذلك الوقت المركز الفلسطيني للقومية العربية، وذلك في محاولة لترسيخ فكرته هناك أيضاً. إلا أن الشرطة الأردنية تمكنت من إلقاء القبض عليه، واحتجازه رهن الاعتقال لمدة ستة أشهر ليعود بعد إطلاق سراحه إلى لبنان عبر سوريا. وفي لبنان عاش في البداية في مخيم عين الحلوة، حيث عمل مدرساً في إحدى مدارس وكالة الغوث لتجميعه الصدقة بزميل شاركة الرأي نفسه، ألا وهو عبد الكريم حمد (أبو عدنان) الذي لم يلبث أن انضم إليه. وفي وقت لاحق انتقل كلاهما إلى بيروت ليزاولا السياسة انطلاقاً من مخيم البراجنة، حيث عاشا هناك حتى ١٩٨٢ في ظروف حياتية بسيطة.

حصلت الاتصالات بين سكان المخيمات، وطلاب الجامعة الأمريكية في الفترة ما بين ١٩٤٩-١٩٥١، وذلك عن طريق المعونات الاجتماعية والإنسانية التي يادر طلاب الجامعة الأمريكية إلى تقديمها. ففي البداية تم جمع الملابس، ثم بعد ذلك بوقت قصير المال، من أجل إقامة المكتبات في المخيمات. في الوقت نفسه، فإن أفكار حبش والطلاب المحيطين به كانت معروفة من قبل لدى أبي ماهر وأبي عدنان، وذلك من خلال العروة التي كانت مطبوعاتها ونشاطاتها عرضة للاطلاع عليها من قبل فئة المثقفين في المخيمات. كما كانت تصلهم منشورات الشباب القومي العربي، وهو الاسم الذي استخدم في الفترة التي سبقت قيام حركة القوميين العرب. أما اللقاء الأول بين أبي ماهر وجورج حبش فقد تم في عين الحلوة، ومن خلال العلاقات التي تعمقت أكثر فأكثر في الفترة ما بين ١٩٤٩-١٩٥١، حيث تم العام ١٩٥٢ استيعاب أبي ماهر كعضو في الحركة، التي كانت قد أنشئت لتوها، من غير أن يلعب دوراً مستقلاً أو مؤثراً داخل التنظيم. فالهرم التنظيمي للقوميين كان واضح المعالم: فخرجو الجامعة الأمريكية وطلابها سيطروا على المراكز القيادية، كما أن عملية التثقيف السياسي لفئة المثقفين داخل المخيمات، تلك الفئة التي كان عليها القيام بذلك بين المعلمين والطلاب والتلاميذ في المخيمات، كانت من مسؤوليتهم.

وعلى ما يبدو، فإن قيادة حركة القوميين في سنواتها الأولى، أي منذ تأسيسها العام ١٩٥٢، وحتى مؤتمرها الأول العام ١٩٥٦، تألفت من أحد عشر شخصاً،^{٥١} ستة منهم كانوا قد أتموا دراستهم في الجامعة الأمريكية في السنوات ١٩٥١-١٩٥٢، وهم د. جورج حبش ود. وديع حداد ود. أحمد الخطيب (أطباء)، هاني الهندي (سياسة) بالإضافة إلى حامد الجابوري، وصالح شبل. أما الآخرون، فأربعة منهم كانوا طلاباً في الجامعة الأمريكية ولم يتخرجوا بعد. وهم: دروزة، ومهايني، وبيضون، وفضل. فقط محسن إبراهيم القادم من جنوب لبنان كان الوحيد داخل المجموعة القيادية. الذي لم يدرس أبداً في الجامعة الأمريكية، بل اكتفى بدورة لتدريب المعلمين وبدأ بعدها العمل كمعلم.

أما فيما يتعلق بالجذور الاجتماعية، فقد كان ستة منهم أبناء تجار كبار يتبعون تلك الطبقة البرجوازية التي اقتصت بالمال والتجارة، وازدهرت على الشواطئ الفلسطينية واللبنانية. كما انتسب خمسة آخرون إلى عائلات الموظفين رفيعي المستوى أو أصحاب مراكز دينية أو ممن مارسوا المهن الحرة.

وبعد تأسيس الحركة عمل حبش وحداد، لوقت قصير، كأطباء قبل احتراف العمل السياسي الثوري. وجمع أحمد الخطيب في الكويت بين الطب، كوظيفة، والنشاط السياسي المعارض. وتفرغ هاني الهندي وحامد الجابوري بعد انتهاء دراستهما للسياسة وبشكل كلي. وعمل صالح شبل تاجراً. أما محسن إبراهيم فقد سار على خطى حبش وحداد.

وحتى مطلع الستينيات، فقد كان الموقع القيادي لهذه المجموعة المؤسسة من طلاب الجامعة الأمريكية وخريجها غير خاضع للنقاش. فتلك الكوادر الأكثر أهمية للحركة، التي بدأت شيئاً فشيئاً تزداد كما ومكاناً، كان يتم تنظيمها كالعادة في حرم الجامعة. وعلى ضوء تركيبة قيادة الحركة في تلك الحقبة، فإنه بالإمكان النظر إليها كتتنظيم طلابي أو بالمعنى الأوسع كحزب للمثقفين غير منغلق أمام التحديث أو مضاهاة الغرب.^{٥٢}

فمن قبل، وفي سنوات تأسيسها الأولى، حاولت قيادة الحركة بوعي ونشاط، ممارسة الدعاية السياسية ضمن صفوف الشرائح الاجتماعية الأخرى، بهدف اكتساب أعضاء جدد. في البداية كان هناك لبنان والأردن، وفي أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات انضمت كل من سوريا والعراق. ففي عمان انتسب كل من حبش وحداد إلى النادي الوطني، "المنتدى العربي"، ومن خلاله تمكنوا من إقامة اتصالات سياسية جديدة، وضمّ أعضاء جدد إلى صفوف تنظيمهم حديث العهد.

ويستذكر جورج حبش تلك الأيام:

فتحت اسم المنتدى شرعنا بنشاطين مهمين: أحدهما محاربة الأمية، مدارس لتعليم الشباب. وأتذكر أن د. حداد وأنا قد اعتدنا أن نذهب إلى الشوارع ونسأل الناس عما إذا كانوا يستطيعون القراءة. فإن لم يكن بإمكانهم دعوناهم للمجيء إلى مدرستنا، بحيث يمكنهم القراءة خلال ثلاثة أشهر. هذا الشيء ساعدنا. بعض رفاقنا أمكن حقاً تنظيمهم في هذه المدارس. النشاط الثاني هو تقديم العلاج للناس بالمجان.^{٥٣}

وإذا ما نظرنا إلى تركيبة الحركة بعيداً عن المجموعة القيادية المحدودة، فإننا لا نستطيع تجاهل عدم التجانس الاجتماعي الموجود بين الأعضاء: أفراد من عائلات غنية تبعت برجوازية المال والتجارة المنتشرة في بيروت ودمشق وعمان، ومتقفون من محيط الجامعة الأمريكية، معلمون وطلاب وتلاميذ من عائلات ذات موقع اجتماعي جيد، ولكن أيضاً من مخيمات اللاجئين. بعد ذلك بسنوات انضم إليهم بعض العمال. ومن هنا يبقى الموقع المسيطر للتلاميذ والطلاب والمعلمين وكنيجة لعددهم وتأثيرهم غير القابل للتجاهل.

أما الدور المميز للفلسطينيين في إطار حركة القوميين العرب فقد كان بارزاً منذ البداية، وذلك في نطاق مجموعة المؤسسين والقادة التاريخيين للحركة. فمن بين الأعضاء المؤسسين الستة ذوي الأسماء المعروفة كان هناك ثلاثة فلسطينيين (حبش، وحداد، وشبل)، يضاف إليهم سوري (الهندي)، وعراقي (الجابوري)، والخطيب (كويتي).

وضمن الكوادر المتوسطة، وبخاصة في صفوف الأعضاء العاديين، شكل الفلسطينيون الغالبية. انطبق هذا الأمر بشكل خاص على لبنان والأردن، حيث وقفت المخيمات في المقدمة، إلا أن القرى والمراكز التجارية الفلسطينية المتاخمة للحدود مع إسرائيل شكلت معاقل قوية للقوميين أيضاً. كما اعتمد أحمد الخطيب في الكويت في سنوات الخمسينيات على العمالة الفلسطينية بشكل خاص، وذلك "من تجار وأصحاب رؤوس أموال ومتعهدين، الذين ساعدوا الحركة مادياً".^{٥٤}

وفي سوريا شكل الفلسطينيون الذين كانوا في غالبيتهم من قطاع الطبقة المتوسطة حوالي ثلثي الكادر. أما في العراق، وعلى النقيض من ذلك، حيث العدد المحدود من الفلسطينيين، فقد اضطرت الحركة للانتظار حتى بداية الستينيات وربما منتصفها لتتمكن من تحقيق قدر من الأهمية. فالكادر هناك تألف من طلاب فقط، معلمين وأساتذة جامعات دون غيرهم. في حين ألف التلاميذ القسم الأعظم من الأعضاء، بالإضافة إلى عدد محدود من العمال.

وفي سوريا كان الحال كما في العراق، فقد عانت الحركة على الدوام من انحسار تأثيرها أمام حزب البعث المسيطر ناهيك عن الأحزاب الشيوعية. فمعاقل القوميين الحقيقية بقيت، بلا شك، في الأردن، وبخاصة الضفة الغربية، ولبنان حيث يعيش

عدد كبير من الفلسطينيين، بالإضافة إلى أن " تأكيد الحركة على القضية الفلسطينية في الخمسينيات أكسبها قطاعات واسعة من الفلسطينيين، وبخاصة بين الطلاب والعمال"، أي بين سكان المخيمات.^{٥٥}

ومع ذلك فقد وقف البناء التنظيمي للحركة في هذه المرحلة الأولية على سلم الأولويات: "كنا نعلم... أن حركتنا لا تزال تقبع في بداياتها الأولى، وأن علينا بعد تحديدها سياسياً وأيديولوجياً. وقد قمنا بعمل بعض الدراسات في هذا الخصوص وناقشناها في لقاءاتنا".^{٥٦} وإلى هذه اللقاءات حضر مؤسسو الفروع المختلفة، كل من مكان إقامته: الخطيب من الكويت، والهندي من بيروت... الخ. وفي كانون الأول ١٩٥٦ تم عقد المؤتمر الأول للحركة في بيروت بحضور ممثلين عن الفروع في لبنان، والعراق، والكويت، والأردن.^{٥٧}

ومما لا شك فيه أن الفرع الأردني للحركة قد تطور بسرعة ملحوظة تحت قيادة حبش وحداد. فمن قبل وفي كانون الثاني ١٩٥٤، استطاع القوميون، وبشكل رسمي كامل، إصدار صحيفة خاصة بهم ألا وهي الرأي التي اعتادت أن تصدر أسبوعياً في عمان. ومن خلال هذه الصحيفة ذات التوجه القومي العربي، حاول القوميون نشر دعوتهم المتعلقة بتحقيق الوحدة العربية. إلا أن ذلك لم يدم سوى بضعة أشهر؛ فقد تم إيقافها عن الصدور في آب ١٩٥٤ الذي اضطر معه حبش إلى ترك عمان، والذهاب إلى دمشق، حيث كان قد قصدها هاني الهندي بعد انتهاء دراسته من جامعة سان جوزيف في بيروت. وخلال بضعة أشهر نجح الاثنان بإعادة إصدار الرأي في ٣/١/١٩٥٥، لتصدر في دمشق على شكل صحيفة أسبوعية تحمل اسم الرأي صوت الشباب القومي العربي، سياسية أدبية واقتصادية. وكناشر، أو صاحب الامتياز، ظهر في البداية اسم محمد ناجي دلالي. وفي أيار ١٩٥٦ أضيف اسم هاني الهندي، وبعد ذلك بفترة قصيرة ظهر اسم الهندي فقط.

وقد رأت الجريدة في نفسها منبراً لكل العرب ناشطة في دعوتها إلى إقامة الوحدة العربية، وتحرير العالم العربي من الاستعمار والإمبريالية.^{٥٨} ولكنها توقفت أخيراً عن الصدور بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٥٨، بعد بضعة أشهر من إعلان الوحدة بين مصر وسوريا كجمهورية عربية متحدة.

وقد شهدت هذه المرحلة الأولى لحركة القوميين ندرة الجدول، والنقاشات الأيديولوجية - السياسية. ومع ذلك ظهرت في هذه الفترة عدة أعمال رئيسية: فالحكم دروزة كتب العمل النظري الرئيسي للحركة ألا وهو: مع القومية العربية، حيث ظهرت الطبعة الأولى في القاهرة العام ١٩٥٧. وفي العام ١٩٥٨ أصدر محسن إبراهيم بالاشتراك مع هاني الهندي كتاباً حول إسرائيل: إسرائيل، فكرة، حركة، دولة. وأخيراً وفي العام ١٩٦١ تم طبع العمل الثاني للحكم دروزة: الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية.^{٥٩}

إلا أن القضايا الأيديولوجية والسياسية النظرية لم تكن لتشكل في ذلك الحين مركز الثقل في نشاط حركة القوميين العرب، بل تركّز جل اهتمامهم على إقامة تنظيم منضبط وفعال.

تنظيم منضبط جداً، جداً. هذا مهم، وبخاصة بعد تجربة ١٩٤٨، وقاتل الصهاينة من جهة، وتشكيلاتنا القتالية البدائية من جهة أخرى. ومن هنا وجب علينا التشديد على مسألة التنظيم والانضباط. فالانضباط الجيد كان النقطة الأولى. كنا نقول للرفاق، إذا كنتم على موعد في السابعة، وجب عليكم الوجود هناك في السابعة. فإذا حضرتم متأخرين خمس دقائق عن السابعة فأنتم لستم مخلصين لقضيتكم. في نهاية الشهر يجب عليكم دفع اشتراكاتكم؛ فإذا صدر الأمر بأن عليكم ترك المدرسة، فعليكم الإنعاز ...^{٦٠}

كذلك كان الأمر فيما يتعلق بالتربية الأيديولوجية للأعضاء، فالمسائل التنظيمية شكلت، وبشكل واضح، مركز الثقل. وللتدليل على ذلك دعونا نستخدم عناوين بعض النشرات الداخلية: خطوة تمهيدية للتنظيم؛ الاقتراب؛ خطوة تمهيدية للتنظيم؛ الخلية؛ عبر قيادة إحدى الخلايا؛ مظاهر الحياة التنظيمية الصحيحة؛ مفاهيم تنظيمية؛ رسالة إلى أعضاء الخلية؛ العضو في المجتمع.^{٦١}

لقد اقتصرَت أيديولوجية القوميين في ذلك الوقت على جملة جوهرية مفادها أن القضية الفلسطينية متصلة بالوحدة العربية بشكل غير قابل للفصل. وعلى غرار زريق، أدركت الحركة الشابة أيضاً أن تحرير فلسطين مرهون بإقامة الوحدة العربية. وخلافاً للبعث، فإن القوميين كشكل آخر للقومية العربية وضعوا القضية الفلسطينية في صلب أيديولوجيتهم.

وما يعنينا في هذه الدراسة هو الوقوف على حركة القوميين العرب فقط في ضوء أهميتها في تطوير الحركة الوطنية الفلسطينية.

القضية الفلسطينية كانت بالنسبة لنا دائماً مركزية، فالحركة نفسها قامت نتيجة لما جرى العام ١٩٤٨. فأحد شعاراتها الأكثر أهمية له علاقة بالقضية الفلسطينية: ثأر. بالإضافة إلى ذلك، كان جزء كبير من قادة الصف الأول فلسطينيين. وأخيراً كان الفرع الفلسطيني في الأردن في بداية الخمسينيات أحد أكثر الفروع نشاطاً.^{٦٢}

ثالثاً: القضية الفلسطينية في الفترة ١٩٥٢ - ١٩٥٨

إنّ ما يميز القوميين العرب أن أعمالهم التحريضية والدعائية لم تحصل بشكل مباشر إلاّ ما ندر؛ ففي الغالب كانت تتم عبر واجهات تنظيمية على غرار النوادي الثقافية أو الرياضية أو حتى المنظمات الكشفية وما شابه ذلك. وحتى المطبوعات غير المشروعة، فقد اعتادت أن تصدر بأسماء جهات تنظيمية، حقيقية أو مبتدعة. وقد قدمت هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل المثال الأول على ذلك، فتحت هذا الاسم ظهرت الصحيفة السرية الأولى للقوميين العرب في بيروت بشكل غير مشروع ولكنه منتظم. وقد صدر العدد الأول من الثأر، الذي تألف، كما الأعداد الأخرى، من ثماني صفحات مطوية، يوم الخميس الموافق ١١/٢٠/١٩٥٢^{٦٢}. أما طاقم التحرير فقد تألف في ذلك الحين من هاني الهندي، الذي كان طالب حقوق في جامعة سانت جوزيف، وطلاب آخرين من الجامعة الأمريكية، بالإضافة إلى أعضاء قياديين لبنانيين على غرار محسن إبراهيم، وآخرين فلسطينيين ممن قدموا من مخيمات اللاجئين. أما الصفحة التي كانت تهتم بشؤون المهجرين الفلسطينيين فقد كانت تحمل عنوان "مع النازحين"، وكانت من نصيب أحمد اليماني (أبو ماهر) المدرس في مخيم عين الحلوة بالقرب من صيدا في ذلك الوقت.

هدفت الصحيفة إلى نشر أيديولوجية القوميين العرب التي بدأت بالتشكل شيئاً فشيئاً، بالإضافة إلى كسب أعضاء جدد. وفي هذا الصدد يتذكر تيسير قبة، أحد الأعضاء القياديين لاحقاً، أن الثأر كانت تصل إلى الضفة الغربية بانتظام، وعلى سبيل المثال مدينته قليلية أيضاً، حيث اعتاد طلاب المدارس الثانوية إخفاءها بين كراساتهم. وقد تم تنظيم الكثيرين من قراء الثأر المتحمسين ليصبحوا، بعد تخطي أوقات اختبار طويلة عوضاً عن الخضوع لعملية تثقيف مركزة، أعضاء نشيطين داخل الحركة.

أ. أيديولوجية حركة القوميين العرب

ومن منطلق أن النكبة كانت وبالأعلى العروبة جمعاء فقد لخص القوميون أيديولوجيتهم في هذه المرحلة في ثلاثة شعارات سهلة التداول: وحدة، تحرر، ثأر.^{٦٤} أما الهدف السياسي الأسمى للحركة القومية العربية الجديدة فقد كان يتمثل في جمع كل الدول العربية في دولة عربية واحدة. وعلى هذا الأساس فقط، كما يحتاج القوميون العرب الشباب في أعقاب زريق، يمكن لفلسطين أن تتحرر وأن تتأر الأمة العربية للنكبة من "اليهود"، بالإضافة إلى الاستعمار الغربي. وهو ما يعني في لغة العمل السياسي الملموس إعاقة أية معاهدة صلح بين الدول العربية وإسرائيل، وبالتالي الاعتراف بالدولة التي ظهرت إلى حيز الوجود العام ١٩٤٨. فمن وجهة نظر القوميين العرب لم يكن السلام ليعني الصلح مع "اليهود" فقط، وإنما يفهم ضمناً أنه التخلي عن عودة المهجرين،

واللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم. هذا الموقف عبر عنه الاسم المرن الذي حملته الواجهة التنظيمية الأولى للقوميين ألا وهي "هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل".

وعلى اتصال وثيق مع الرافض المتشدد لإسرائيل كانت تقف معارضة، لا تقل راديكالية عنها، ضد السياسة الأمريكية والأوروبية الغربية في مرحلة ما بعد الحرب في المنطقة. ففي سياق الحرب الباردة كان من المفترض وضع المنطقة تحت السيطرة الأمريكية ضمن مفهوم الاحتواء الاستراتيجي ضد ما اعتبر سياسة عدوانية وتوسعية للشيوعية السوفيتية. أما عناصر هذه الإستراتيجية فتكمن في عقد صلح، وبأسرع ما يمكن، بين الدول العربية وإسرائيل بدلاً من معاهدة وقف إطلاق النار التي تم التوصل إليها في رودوس العام ١٩٤٩، إضافة إلى إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين ودمجهم في هذه الدول بالذات. سياسياً، كان يأمل أن يتحقق هذا الهدف من خلال انضمام أكبر عدد من دول المنطقة إلى حلف بغداد. وفي هذا السياق، يجب الإشارة إلى الخطط الأمريكية المختلفة حول الاستغلال السلمي المشترك لمياه نهر الأردن من قبل سوريا، والأردن، وإسرائيل. كما كان هناك عدد لا يحصى من مشاريع توطين اللاجئين التي قدمتها وكالة الغوث الدولية التي كانت قد تأسست العام ١٩٥٠، ناهيك عن المساعدة المادية والفنية من قبل الغرب.

فالصلح مع إسرائيل فسره القوميون العرب كاعتراف بذلك الأمر الواقع الذي كان قد نشأ في أعقاب النكبة، وقيام إسرائيل كدولة في المنطقة، ما يعني تصفية القضية الفلسطينية. فبالنسبة للعرب ككل، من البعثيين وحتى القوميين العرب أنفسهم، شكل ذلك نوعاً من الجرم، أي لا يخضع للاجتهااد (Anathem)؛ فالموضوع لم يكن يتعلق بمصير الفلسطينيين وحدهم، بل بمصير الأمة العربية ككل التي كانت مهددة بالتوسع الإسرائيلي.

سوف نتصدى لهذا الصلح بكل قوانا. فالأساطيل والطائرات لن ترهينا، المساعدة الفنية والدولارات لن تغرينا. لن نقبل بحلول تمس مستقبل الأمة العربية. فالشعب العربي يرفض أن يمد يده إلى قتلة دير ياسين. لن يكون هناك سلام مع اليهود (كذا) طالما تطلع الشعب العربي إلى الحرية، القوة والنفوذ.^{٦٥}

هذا الخطاب كان موجهاً إلى الفلسطينيين الذين هم، حسب رأي القوميين العرب، أول من عليهم أن يفهموا أن النكبة ليست مشكلة فلسطينية خاصة، بل عربية عامة، إن لم تكن مشكلة المشاكل بالنسبة للأمة العربية. ومن هنا شكل الفلسطينيون المجموعة الأولى التي هدفت الثأر إلى مخاطبتها في البداية في لبنان، وبعد ذلك بوقت قصير في الأردن، وبخاصة في الضفة الغربية. فرؤية القوميين للنكبة تنطلق من أن السبب فيما حصل هو عدم قدرة الدول العربية المشاركة في الحرب على توجيه ضربة قوية مضادة للجيش اليهودي الإسرائيلي.^{٦٦} فوجود دول عربية عديدة حال دون التنسيق بين الهجمات العربية. بالإضافة إلى ذلك، فإن عدم مراعاة الحكومات لمصالح الشعب العربي، واهتمامها فقط بمصالحها الأنانية الضيقة أسهم بشكل كبير في وقوع النكبة.

خلال الحرب كانت أمنية الشعب العربي أن تتوحد كل الجهود، وأن يتم دخول الحرب بخطة معدة بشكل دقيق، وبرنامج مشترك. إلا أن الحكومات العربية لم تول هذه الأمنية أي اهتمام. وبدلاً من ذلك تصرفت من أجل مصالحها الخاصة، وانطلاقاً من طموحات أنانية صرفة... فأمنية الشعب العربي كانت تحريك كل شيء من أجل الحرب، وخوض نضال حياة أو موت. في المقابل، استعدت الحكومات بشكل غير كاف. لقد نظروا إلى المسألة من خلال زاوية مصالحهم الخاصة، متصلة بإيمانهم "بحسن نية" المستعمرين تجاههم...^{٦٧}

وهنا يقوم القوميون العرب من جانبهم، وبأثر رجعي، بعملية إسقاط لبرنامج زريق المقتبس من معنى النكبة على "الشعب العربي" خلال فترة حرب ١٩٤٨.

فإقامة دولة إسرائيل في فلسطين كان يعني بالنسبة للقوميين العرب الاغتصاب غير الشرعي لجزء من أراضي الأمة العربية. وضد هذا الاغتصاب الذي قام في نظر القوميين العرب على العنف ومساعدة الاستعمار الغربي لم يكن هناك من رد مناسب سوى العنف المضاد أو "الثأر".

من الذي بدأ العدوان؟ نحن العرب أصحاب فلسطين أم اليهود الدخلاء؟^{٦٨}

فالجواب الذي يوحيه هذا التساؤل يتضمن الرد على التهم الموجهة ضد العرب بشكل عام والقوميين العرب بشكل خاص بأنهم فاشيون وأعداء للسامية:

لماذا لا تقف الإنسانية في صف الشعب المغدور؟

لماذا لم تقم إسرائيل في بلاد غنية مثل الولايات المتحدة، أو استراليا، أو الاتحاد السوفيتي أو أي بلاد أخرى؟ لماذا في فلسطين بالذات تحل المشكلة اليهودية وعلى حساب الأمة العربية وليس على حساب أمم أخرى؟ ليس ذنبنا أن اليهود يعيشون في الشتات في كل أرجاء العالم، وليست مسؤوليتنا أن نحل مشاكلهم....

نحن أعداء اليهود ونقول ذلك علناً وبشرف. نحن نعترف فقط بحقوق الأمة العربية على هذا التراب. وعلى الرغم من كل شيء نحن إنسانيون، وبالذات لأننا قوميون. في المقابل، فإن من ينكر حق الشعب العربي في أرضه ليس إنساناً.^{٦٩}

فالثأر أبرزه القوميون كمطلب قوي، وكان بالنسبة لهم رمزاً للقوة. فالقوة هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها تحقيق الدولة العربية الموحدة، وهذا ما أظهرته، وبشكل واضح، التجربة التاريخية. "لقد أبرزت النكبة بشكل قاطع أننا نعيش اليوم في واقع منفسخ مريض... وطابع هذا الواقع هو الضعف... الضعف في كل شيء وفي كل مكان، يبرز في كل مظهر من مظاهر هذا الواقع، ويترك آثاره واضحة في كل ناحية من نواحي الحياة".^{٧٠}

فالدعوة إلى الثأر، والحديث لا يزال للقوميين، يُذكر العرب، وبشكل مستمر، بقضيتهم الرئيسية، ألا وهي غزو فلسطين، واغتصابها، وبواقع وجود دولة يهودية على أرضها في قلب الأمة العربية. وأخيراً، فإن الثأر يشكل عنصراً مهماً في التقاليد العربية القديمة، التي يجب المحافظة عليها في الوقت الحاضر أيضاً.^{٧١} وبذلك أصبح الثأر مطلباً مركزياً للقوميين، والبديل لسياسة الأنظمة العربية اتجاه إسرائيل، والقوى الغربية. "بالقوة فقط يمكن إنقاذ فلسطين وبالنضال فقط يمكن للاجئين العرب أن يعودوا".

أما العدو الذي حرّض القوميون على الثأر منه، كان على الشعب العربي عامة والفلسطينيين خاصة قيادة معركة التآمر ضده، فلم يكن يتألف من كتلة متراسة، بل تألف من خصوم ثلاثة تفصل بينهم فروق واضحة. إسرائيل التي جسدت في ذاتها العدو واعتاد أن يذكر اسمها بين أقواس، "الاستعمار" وتقوده بريطانيا العظمى، والولايات المتحدة وموجودة في المنطقة من خلال الأونروا. الحكومات العربية جميعها (على الأقل حتى ١٩٥٥/١٩٥٦).

فالسياسة الإسرائيلية فهمت على أنها محاولة لإجبار الحكومات العربية بالقوة على عقد صلح مع إسرائيل. أما الوسيلة المستخدمة لتحقيق ذلك فقد رآها القوميون في الهجمات الإسرائيلية المكثفة على القرى الفلسطينية القريبة من الحدود. وفي الوقت نفسه، فإن هذه الهجمات قد بينت السياسة التوسعية الإسرائيلية التي تهدد العالم العربي بأكمله.^{٧٢}

كذلك كان الأمر فيما يتعلق بالسياسة الاستعمارية للقوى الغربية الكبرى التي فهمت على أنها محاولة لإرغام الحكومات العربية، وذلك من خلال الضغط المكثف عليها، على اتباع الخط السياسي الخارجي المنشود. فقد فهموا المصالح الاستعمارية على أساس أنها تنبع من اعتبارات إستراتيجية، وتتمثل في المحاولات الأمريكية المتكررة لإرغام كافة الدول العربية على الدخول في حلف بغداد العسكري. أما الأونروا فقد هوجمت بلا هوادة باعتبارها صيغة محلية للاستعمار في المنطقة.

وأخيراً تم اعتبار الأنظمة العربية بأكملها غير قادرة على مقاومة الضغط الاستعماري والصهيوني. وفي مقدمة هذه الدول تقف الأردن التي تقع تحت السيطرة الإنجليزية التي وصمت على هذا الأساس بأنها دمية بيد الاستعمار. أما السبب في الضعف المستمر للأنظمة العربية، فقد عزاه القوميون إلى عدم قدرة هذه الحكومات على اتباع سياسة ترتكز إلى "الشعب" أو انتهاج "سياسة الشعب". وبشكل مناقض للسياسة الحكومية استخدم القوميون لذلك بشكل مستمر وبطريقة شعبية أصيلة عبارة "الشعب". "الشعب العربي وحده هو القادر على الأخذ بالثأر، هو القوة الوحيدة التي تستطيع الأخذ بالثأر، واستعادة فلسطين".^{٧٣} في الوقت نفسه، لم يدخر القوميون جهداً في التركيز على أن الشعب العربي، وعلى النقيض من حكوماته، يرفض الصلح بشكل حازم، ويطالب بالثأر.^{٧٤}

ب. مشاريع التوطين والتعبئة الجماهيرية ضد وكالة الغوث

ذهب القوميون إلى تفسير مشاريع إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين على أنها الخطوة الأولى على الطريق نحو السلام: "إعادة التوطين تعني في الواقع نهاية القضية العربية في فلسطين. وبذلك تتم إزالة العائق الذي يقف في طريق الصلح مع الدولة اليهودية".^{٧٥}

فالتوطين كان موضوع الساعة الذي سيطر على حياة اللاجئين في لبنان والأردن في سنواتهم الأولى في الشتات. وعليه، بنى القوميون دعايتهم لتصبح بذلك ذات أهمية بالنسبة لحياة الفلسطينيين اليومية في المخيمات؛ فكل المحاولات التي هدفت إلى ترحيل اللاجئين من مناطق الحدود مع فلسطين المحتلة من أجل تشتيتهم في الدول العربية المختلفة، وبالتالي تجزئتهم، وصفت ووصمت من قبل الثأر على أنها أضعاف حقيقي للمسألة الفلسطينية. ومن هنا كانت الصفحة الخاصة التي سبق ذكرها والتي اعتادت أن تصدر بانتظام تحت عنوان "مع النازحين" وتحت إشراف أحمد اليماني (أبو ماهر).

فالمشاكل اليومية مع الأونروا شكلت الدافع للدعاية القومية في هذا الجانب، وهي ظاهرة تتكرر عبر كل المقالات. فمن بين صور الأعداء التي اتخذها القوميون لأنفسهم في سنوات الخمسينيات احتلت الأونروا مكاناً خاصاً، وذلك منذ أن كانت أهداف كل الخصوم الذين سبق ذكرهم (إسرائيل، الاستعمار، الأنظمة العربية) تلتقي فيها، ومن خلالها مباشرة تتحقق. فالثأر عمدت وباستمرار إلى تصوير الأونروا وبشكل دامغ على أنها صنعة الاستعمار. فالسياسة التي انتهجتها كانت مبدئياً موالية لإسرائيل، وبالتالي ضد مصالح العرب. فما كانت تستهدفه في النهاية، وحوله تمحورت كل نشاطاتها، حسب رأي القوميين، هو تصفية مشكلة اللاجئين، وبالتالي إزالة العقبات على الطريق نحو السلام بين اليهود والعرب، على الرغم من أن ذلك سيكون فقط على حساب العرب.^{٧٦}

وفي ٣١ أيار ١٩٥٦، وعلى الصفحة الخاصة بشؤون اللاجئين نشرت رسالة مفتوحة من أهالي مخيم النبطية تتضمن رفضاً لمشاريع الأونروا الهادفة إلى توطين اللاجئين. كما يناشدون فيها قومية الأنظمة العربية مطالبين بتعبئتهم من أجل القضية الفلسطينية، الشغل الشاغل للأمة العربية.

وبشكل مواز لسياسة التوطين بادرت الأونروا إلى ابتداء برامج هدفت إلى خلق فرص للعمل بحيث يتم، وبشكل نهائي، دمج اللاجئين في البلاد المضيفة. فقد كتبت الثأر بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٥٥ عن محاولة من هذا القبيل كانت قد جرت في شمال لبنان، وأسفرت عن ردود فعل حادة تمثلت في إضراب استغرق عدة أسابيع. وبشكل عام، كان يتم تسجيل كل ردود فعل اللاجئين على سياسة الأونروا بشكل مفصل جداً، وذلك

على الصفحة الخاصة بهم. فعلى سبيل المثال، تم بتاريخ ١٢/٩/١٩٥٤ نشر أخبار عن مظاهرات وإضرابات حدثت في مخيمات اللاجئين في لبنان بمناسبة ذكرى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، وتحت عنوان "الثأر أو الموت"، وكانت موجهة ضد اليهود والاستعمار، والحكومات العربية التي خانَت الشعب العربي.

وحسب أقوال الثأر، فقد قام سكان مخيم عين الحلوة خلال الاحتفال بالأول من أيار ١٩٥٥ بمنع موظفي الأونروا من دخول المخيم. وبعد ذلك بأيام قليلة وبالذات في الخامس عشر من أيار، ذكرى تأسيس دولة إسرائيل، أو يوم النكبة، حصلت مظاهرات ومهرجانات أخرى في المخيم نفسه؛ فقد تحدثت الثأر عن أن الأونروا حاولت وقف هذه الأعمال من خلال القيام بأشياء عديدة، منها، مثلاً، تسجيل أسماء المتظاهرين لاستخدامها لاحقاً كورقة ضغط ضدهم. في المقابل، وفي شباط ١٩٥٦، تم الاحتفال من غير مشاكل بذكرى معركة القسطل ١٩٤٨، وبطل الحركة الوطنية الفلسطينية في عهد ما قبل النكبة عبد القادر الحسيني. أما الشعارات التي أطلقت في هذه المناسبة فظهرت كما لو أنها كانت مقتبسة من أيديولوجية القوميين في تلك الفترة:

هناك حل واحد فقط: الثأر!

الوحدة هي طريق حياتنا.

ضد الصلح، ضد التوطين، ضد حلف بغداد.

تحيا وحدة النضال العربي.

نطالب بتركنا نحارب كجنود.^{٧٧}

وقد انتقد المتظاهرون في مخيم قدورة، القريب من رام الله في الضفة الغربية، السياسة التموينية للأونروا، أو بالضبط فشلها. وبشكل عام فقد اعتبرت الثأر وهنا كانت الصحيفة تنطق بلسان أغلبية اللاجئين، الأونروا مسؤولة عن الأوضاع الاجتماعية السيئة في المخيمات. فتحولت صفحاتها إلى لائحة اتهام بسبب نقص المواد الغذائية، والرعاية الطبية غير الكافية، والأوضاع الصحية السيئة، عوضاً عن الظروف المدرسية الرديئة جداً، وعدم توفر فرص التعليم.^{٧٨} كما هاجمت الثأر الأونروا بلهجة حادة، وذلك بسبب محاولتها منع النشاطات السياسية في المخيمات. فحتى تأسيس المجموعات الكشفية كان ممنوعاً، كذلك المسرحيات التي لم يكن يسمح بعرضها. وعلى الرغم من هذا الاضطهاد السياسي أمكن في أيار ١٩٥٦ عقد المؤتمر الأول للتلاميذ والطلاب من المخيمات الفلسطينية في لبنان في بيروت، حيث شارك فيه ممثلون عن كافة المخيمات. وتحت شعار: "الثأر هو الحل الوحيد للمسألة الفلسطينية"^{٧٩} غطت الثأر هذا المؤتمر بشكل كامل. أما المقررات التي صدرت عن المؤتمر، فقد نشرت على الصفحة التي عنيت بشؤون اللاجئين. وهي تقدم فكرة غنية عن المواضيع السياسية المهمة التي كانت محور النقاش في ذلك الوقت، مما استلزم إعادة تقديمها كاملة:

- (١) الإصرار على عروبة فلسطين، وعدم التخلي عن أي جزء منها.
- (٢) وجود اليهود في فلسطين اعتداء صارخ على سيادة الأمة العربية، وخطر يهدد الشعب العربي بالفناء.
- (٣) الاستعمار على اختلاف اتجاهاته حلف لليهود وجميع مشاريعه وحلوله إنما تهدف لتثبيت كيانهم في أرضنا المحتلة.
- (٤) مشاريع الإسكان والتهجير والتعويض والتطوير الاقتصادي مقدمة لتسوية العرب في فلسطين، لذلك فنحن نقاومها [ولذلك نـ]رفض البحث فيها إطلاقاً.
- (٥) الصلح مع اليهود خيانة قومية ... كل من يفكر فيه أو يدعو إليه، ولا حل للقضية في فلسطين إلا بالثأر، طريق العودة الوحيد.
- (٦) معركة الثأر هي معركة الشعب العربي في جميع أجزاء الوطن، والسبيل الوحيد لكسب انطلاق الشعب العربي في طريق الوحدة والتحرير.
- (٧) النازحون العرب طليعة الأمة العربية في معركة الثأر، ولذلك نطالب بإعدادهم الآن لخوض هذه المعركة، بتجنيدهم وتدريبهم وإقامة تكتلات عسكرية لهم على الحدود.
- (٨) وكالة الغوث مؤسسة استعمارية تعينت لتسوية قضية النازحين وتجميد قضية فلسطين، فتحمي مهامها بالإغاثة والتطبيب والتعليم فقط.
- (٩) مطالبة الحكومات المحلية بالسماح للنازحين بفتح النوادي الثقافية وإنشاء الفرق الكشفية والرياضية ومختلف أوجه النشاط الاجتماعي.
- (١٠) تكوين اتحاد دائم للطلبة النازحين في لبنان يشرف على شؤونهم ويرفع مستواهم.

وعلى الصفحة الخاصة باللاجئين في الثأر، لعب القوميون دور الناطق بلسان اللاجئين في كل من لبنان والأردن. فبالإضافة إلى مشاكل الحياة اليومية المتصلة بالقدرة على البقاء والصمود في الغربية، تحوّلت المسائل الأساسية المتعلقة بالاستقرار النهائي والاندماج في مجتمعات الدول العربية المحيطة بإسرائيل إلى مواضيع للبحث؛ فقد كان المحرر المسؤول عن هذه الصفحة حاذقاً وعرف كيف يعبر عن هموم مواطنيه الكبيرة والصغيرة، غيظهم واستيائهم، تطلعاتهم وأحلامهم وليقوم بصياغتها بلغة الأيديولوجية القومية. إلا أن منع اليأس والاستسلام للقدر وقف على رأس سلم الأولويات؛ وبدلاً من ذلك دعا الشباب إلى كفكفة دموعهم، والتمرد على القدر الذي أرادهم لاجئين، وبالتالي خاسرين، على الرغم من أن الحق يقف إلى جانبهم.

لكن كيف أمكن أو كيف وجب من وجهة نظر الثأر تطبيق ذلك عملياً؟ لم يبقَ شيء لم يتم ذكره: مظاهرات ومهرجانات، رسائل احتجاج إلى الحكومات العربية، بل كل جهد

تنظيمي ممكن وعلى كافة المستويات وحتى الاستعداد للجولة المقبلة ضد إسرائيل. إلا أن اللاجئ كان قد تظاهر منذ اليوم الأول في المنفى تقريباً، سواء مع القوميين أم دونهم. في المقابل، ومن وجهة نظر تنظيمية، يعني ذلك أن الحركة الشابة حققت، بلا ريب قفزة نوعية في الحياة السياسية للفلسطينيين وهو ما سنتعرض له لاحقاً بالتفصيل. أما موطن الداء فقد بقي إعداد الشعب العربي وعلى رأسهم الفلسطينيون من أجل حرب التحرير. وبهذا الخصوص لا نصادف في الثأر سوى أداء مقولب، وعبثاً دعوات متكررة ومطالبات الحكومات العربية بتسليح اللاجئين، وتدريبهم عسكرياً. "فالمنظمة العسكرية لتحرير فلسطين التي أسسها أحمد اليماني (أبو ماهر) بقيت واقعة عارضة بلا نتائج، في حين أثبت إرهاب "كتائب الفداء العربي" على أنها طريق مسدود. ويستذكر أحد كوادر الحركة قائلاً: "في العامين ١٩٥٢/١٩٥٣ حاولنا البدء بالكفاح المسلح، إلا أننا في ذلك الوقت فشلنا".^{٨٠}

واقع الأمر أن الفلسطينيين وكل تنظيمااتهم السياسية التي أرادت أن تنشط لم يكونوا معنيين كثيراً بإعداد اللاجئين لحرب مع إسرائيل. وفي سنوات الخمسينيات لم تهدأ خطوط وقف إطلاق النار بين الأردن وإسرائيل في الوقت الذي اتبعت فيه الحكومة الإسرائيلية "سياسة انتقام" عنيفة ضد كل محاولة لاختراق الحدود. ومنذ المهمة الأولى "للوحدة ١٠١" بقيادة أريئيل شارون في صيف ١٩٥٣ تمت المطالبة بادئ ذي بدء بتوفير دفاع كاف للحماية من الهجمات الإسرائيلية الموجهة ضد أهداف فلسطينية مدنية (وبخاصة في الضفة الغربية).

ج. "العمليات الانتقامية" الإسرائيلية ضد القرى الحدودية والتحريض ضد الأردن

بعد النكبة حاولت أعداد غير محددة من الفلسطينيين مراراً وتكراراً العودة إلى قراها التي أصبحت تقع خلف الحدود التي رسمت حديثاً من أجل أن يكونوا مرة أخرى في "ذلك البيت" الذي تركوه أو أجبروا على تركه، لإحضار بعض الأشياء الثمينة التي خلفوها، أو لجني المحصول، وحتى فلاحه الأرض التي تركت بوراً. بالإضافة إلى ذلك، نُفذت عمليات ثأر منظمة، وأعمال تخريب ضد خطوط الهاتف الإسرائيلية، وخطوط المواصلات وسكة الحديد. كما حدثت أعمال ثأر مباشرة وشخصية من قبل المزارعين الذين طردوا من قراهم ضد أولئك المهاجرين اليهود الذين أصبحوا الآن يفلحون الأرض بدلاً منهم. ولم يخل الأمر من بعض الأعمال ذات الغرض الإجرامي فقط.^{٨١}

وعلى الرغم من أنه كان هناك في بعض الأحيان تفهم من الجانب الإسرائيلي، وبالذات من قبل موسى ديان^{٨٢} لمثل رد الفعل الفلسطيني هذا على النكبة، ردت السلطات الإسرائيلية "على كل أشكال خرق الحدود... بسياسة "اليد القاسية" (بن غوريون)

المتجاهلة مع سبق الإصرار للأسباب الاجتماعية، وذلك عن طريق العقاب الجماعي لسكان الحدود العرب من خلال "الأعمال الانتقامية" الدموية كرد على أعمال العنف باعتبارهم يتحملون مسؤولية ذلك".^{٨٣} وحتى ١٩٥٦ فقط، ونتيجة لحوادث الحدود، كان هناك مئات من القتلى من الجانبين. أما الغرض من هذه "السياسة الانتقامية" الإسرائيلية فقد تمثل في "دفع الدول العربية إلى محاصرة الفلسطينيين".^{٨٤}

لكن كيف كان رد فعل القوميين على هذه السياسة الإسرائيلية؟ وكيف كانوا ينظرون إلى الموقف الأردني؟

في حزيران ١٩٥٣، وحتى قبل العملية الأولى للوحدة ١٠١، تلك الوحدة الإسرائيلية التي أنشئت خصيصاً لتوجيه "الضربات الانتقامية" نقرأ في الثأر مقالاً عن الأردن حاول القوميون خلاله تشخيص "مرض" الإمارة الأردنية وحتى تقديم "العلاج" الصحيح من وجهة نظرهم.

الاعتداءات اليهودية المتكررة ضد القرى العربية على الحدود مع فلسطين المحتلة أصبحت حقيقة يومية. فخلال ٥ أشهر قام اليهود بـ ٢٥٠ عملاً عسكرياً ضد هذه القرى. والشئ الأخطر هنا هو أن نعتاد على هذه الاعتداءات المستمرة... إن من واجب الشباب العربي تحميل الحكومات مسؤولياتها؛ فهذه القرى لا تنفعها لا الكلمات، ولا الجلسات، ولا القرارات، إنها بحاجة إلى السلاح، والتدريب، والذخيرة... لكن لا شيء يحدث من قبل الحكام. كل ما تقوله هذه الطبقة هو كذب، كذب، وذلك لخداع الشعب.

ما هو العلاج الصحيح على ضوء هذه الاعتداءات اليهودية؟ لا يوجد علاج إذا كان المرض غير معروف. أما المرض في هذه الحالة فهو الأردن بوضعه. فطالما بقيت الأردن "كدولة" قائمة، بقيت الاعتداءات اليهودية موجودة، والتي سوف تتعاظم بسبب طمع اليهود في الأردن. ولأن الأردن ضعيف وغير مستقر، فإن هذا بالأخص مدعاة لليهود إلى العدوان والتوسع.

فالعلاج الصحيح إذاً هو إنقاذ الأردن من الإنجليز. لكن هذا لا يمكن أن يحدث قط، طالما لم تربط الأردن نفسها بسوريا أو العراق. حينئذ فقط ستصبح الأردن غير معتمدة على المساعدة البريطانية. فالإيرادات المادية لسوريا والعراق تستطيع تحويل هذه الدولة الموحدة إلى دولة قوية".^{٨٥}

وفي البداية هوجم النظام الأردني بشدة لأنه لا يقوم بتسليح الشعب وتدريبه حتى يستطيع الدفاع عن نفسه ضد إسرائيل. لكن لماذا يتصرف النظام الأردني هكذا؟ ولماذا لا يقوم "بواجبه الوطني"؟ وهنا يترك القوميون مصالح النفوذ في الإمارة الهاشمية دون تحليل، بل يلجأون إلى تفسير مسألة وقوف الأردن موقف المتفرج من خلال خدعة أو مخرج تتفق والظروف السياسية الواقعية، وذلك كضرورة لغطائهم القومي: ليس

النظام الأردني، بل الاستعمار البريطاني، ليست المصالح السياسية والنهج السياسي للملك حسين، بل فقط حقيقة أن الأردن بلد ضعيف، وبالتالي خاضع للاستعمار، استخدمت كتعليل لذلك. فمرض الأردن يتم تشخيصه بذلك على أنه الاعتماد المالي والسياسي والعسكري على بريطانيا العظمى. وهذا يتجلى في حقيقة أن الجيش الأردني يخضع لقيادة ضابط بريطاني. ومن هنا، فإن العلاج يكمن في دمج الأردن مع العراق وسوريا في دولة واحدة كخطوة أولى نحو الوحدة العربية، والدولة القومية العربية القوية. إلا أننا نصطدم هنا مرة أخرى بالمفارقة التي ظهرت عند زريق بين المطالبة بانقلاب، وقومية تجمع في إطارها أنظمة بغض النظر عن خواصها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فالهجمات المبررة ضد النظام الأردني، بحيث وصل الأمر إلى حد وضعه في مرتبة واحدة مع العدو ذاته، نجدها لذلك في الثأر جنباً إلى جنب مع مناشدته بالعودة إلى قوميته.

وحتى حين انتشر خبر التوصل إلى اتفاقيات بين الأردن وإسرائيل بهدف منع تسلل الفدائيين إلى داخل إسرائيل، كان القوميون لا يزالون بعد عاجزين عن رؤية التناقض الذي أوصلوا قوميتهم إليه، بل إننا نقرأ في الثأر في أيلول ١٩٥٣:

إن تحاول هذه الزمرة الحاكمة أن تجعل من فلسطين العربية أرضاً ممنوعة على العرب. كل هذا توقعناه لأن الحكومات العربية وقعت اتفاقاً مع إسرائيل وهي المسؤولة المباشرة عن قيام دولة إسرائيل والهزيمة العربية. ولذلك نحن لا نطالب هذه الزمرة بمهاجمة اليهود، ولكننا نطالبهم بالكف عن الدفاع عن اليهود. نحن لا نطالب الحكومات العربية بدعم المتسللين ولكننا نطالبهم بعدم قتلهم أو زجهم في السجون... فالشعب العربي لن يُضيع أبداً إيمانه بحقوقه في فلسطين، سوف يثأر من الطبقة الحاكمة، تماماً كما سيثأر من اليهود.^{٨٦}

ومن المستغرب أن القوميين لا يحاولون، ولا في أي مكان، التعرض للسؤال المتعلق بموضوع الحدود الذي قد يوجي بإمكانية وجود توافق في المصالح بين الأردن وإسرائيل تتم بشكل واضح جداً على حساب الفلسطينيين، وتستثنى بالإضافة إلى ذلك إمكانية قيام دولة فلسطينية حتى ولو كفكرة. وهنا التصق القوميون أكثر من اللزوم بفكرة الأمة العربية ككل، بدلاً من التعرف والاستدلال على المصالح الخاصة للفلسطينيين والتعبير عنها بوضوح. وعلى ما يبدو، فإن القوميين لم يعوا حتى ذلك التناقض بين شتائمهم ضد ذلك النظام الذي لا يعمل على تسليح الجماهير، ولا إعدادها عسكرياً من أجل حرب الثأر مع إسرائيل، وتلك الدعوات الموجهة إلى النظام نفسه، في الوقت نفسه تقريباً، ليقوم أخيراً بواجباته الوطنية، وأن يسلك طريق الوحدة. من جهة أخرى، بدأت تتضح معالم توجه جديد وعلى أساسه بدأ القوميون، وبشكل لا لبس فيه، التعبير عن رغبتهم في حدوث انقلاب في الأردن. إلا أن هذا التطور يجب أن لا يخدعنا، وبخاصة إذا ما أخذنا بالحسبان أن القوميين في ذلك الوقت لم يكونوا أكثر

من تنظيم هامشي على الرغم من مثالية أهدافه ومطالبه، إلا أنه لم يكن أبداً في وضع، أو مقبل على وضع، يتيح له تنفيذ هذه المطالب في مواجهة نفوذ مستقر نسبياً للإمارة الهاشمية. هذا عوضاً عن القوة الكبيرة لدولة إسرائيل التي من المفترض أنها أثارت إعجاب القوميين بشكل كبير. وقد عاد هذا الشيء ليبرز مجدداً وبشكل شديد الوضوح إثر الهجوم الذي نفذته وحدة الكوماندو الإسرائيلية الشهيرة بالوحدة ١٠١ بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩٥٣ ضد قرية قبية في الضفة الغربية.

ففي هجوم للفدائيين الفلسطينيين (في العبرية دار الحديث حول متسللين) ضد القرية الإسرائيلية "يهود" الواقعة بالقرب من الحدود الأردنية قُتل ثلاثة من سكان القرية (امرأة مع طفلها). وفي وجود بن غوريون الذي كان قد ترك منصبه كرئيس للوزراء ووزير للدفاع، قرر وزير الدفاع الجديد بنحاس لافون، وقائد الأركان مردخاي ماركليف، بالإضافة إلى رئيس شعبة العمليات موسى ديان القيام "بعملية انتقامية" تكون الأكبر من نوعها حتى الآن. وحسب بارزوهار، فقد تم اختيار قرية قبية لتكون هدف الهجوم، لأنها كانت بمثابة "مأوى ومقل للمتسللين". أما دان دينر (Dan Diner) فيعتقد: "ليس ذلك، لأنه يُخمن أن الفاعلين متواجدون هناك، بل لأن ذلك يتناسب مع طبيعة تطبيق المحافظة على الحدود من خلال العنف كممارسة، أي "علاج" أي اختراق للحدود بهجوم على المكان الذي يقع على نفس المستوى الطبوغرافي على الجانب الآخر من الحدود.^{٨٧}

فقد افترض أنه ومن خلال العملية ستتم معاقبة القرية بشكل مؤثر: عشرات البيوت كان يجب أن تنسف، ١٠-١٢ فرداً من سكان القرية سيدفعون حياتهم جزاءً على ذلك. فحتى على الجانب الإسرائيلي تمحور الحديث حول الثأر: "منذ البداية أعدت العملية للانتقام للمرأة الميتة وطفلها، كذلك كتحذير للأردن مفاده أن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي طويلاً".^{٨٨}

وفي ليلة الرابع عشر من تشرين الأول ١٩٥٣، تم تنفيذ العملية بقيادة أريئيل شارون من الوحدة ١٠١ بالتنسيق مع سلاح المظليين، حيث شارك فيها حوالي ١٠٠ جندي. في العملية تم نسف خمسة وأربعين بيتاً. وفي النهاية روى شارون، أنه، وحسب الخطة، كان هناك ١٠-١٢ قتيلاً. واقع الأمر أن ٧٠ فلسطينياً قتلوا بطريقة تقشعر لها الأبدان.

فرجال المظلات لم يفتشوا البيوت التي كانت قد عينت ليتم نسفها. فقد اقتحموها، ووضعوا المتفجرات ثم انسحبوا... وفيما هم ينسفون البيت تلو الآخر، لم يفتن المظليون قط أنهم كانوا عن غير قصد يرتكبون مجزرة. عشرات النساء، والأطفال والشيوخ جثموا في القبو، في الطبقات العليا، وتحت الأسرة. لم يحرکوا ساكناً، ولم يدرك أحد وجودهم. التفجيرات استمرت لمدة ٣ ساعات. بعد تدمير حوالي ٤٥ بيتاً، انسحبت الوحدة إلى الأراضي الإسرائيلية... وفي اليوم التالي... وجدت سبعون جثة بين الأنقاض، من بينها عشرات النساء والأطفال.^{٨٩}

وشك ي. هـ. هوتشيزن (E.H.Hutchison) موظف الهدنة (UNTSO) في تقريره الخاص من قبية في تصوير بارز وهار لمذبحة حصلت دونما إصرار مسبق: "الأجسام التي اخترقها الرصاص والمقاة قرب أبواب البيوت التي نسفت، أشارت إلى أن السكان أجبروا على البقاء في الداخل حتى تم نسف بيوتهم فوق رؤوسهم.^{٩٠} أمّا التعليل الإسرائيلي الرسمي لما حصل في قبية فاعتبر أن ما حدث كان عملاً انتقامياً قام به سكان المستوطنات الحدودية بمبادرتهم الخاصة.^{٩١}

وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه، ظهر مقال في الثأر حمل رد فعل القوميين على ما حدث في قبية، التي رأى فيها القوميون مؤامرة ثلاثية الأطراف: اليهود، والاستعمار، والنظام الأردني: "هذا الهجوم اليهودي كان مخططاً له مسبقاً مع علم الدول الغربية الثلاث، وبعض الدوائر في الأردن. فليس من الممكن أن تحصل معركة لمدة ٦ ساعات بكافة أنواع الأسلحة دون أن يتدخل الجيش النظامي لذلك البلد."^{٩٢}

فماذا كان إذاً الهدف من الهجوم، حسب رأي القوميين؟ "كان تخويف الشعب العربي في الأردن، بل حتى تدمير الروح النضالية للعرب أجمعين". وبلا ريب، فإن الثأر كانت تقصد أن إسرائيل لم تنجح في ذلك، فالهجوم فعل عكس ما كان يرجى منه: "فالشعب يكره اليهود وحلفاءهم اليوم أكثر من أي وقت مضى ... هذا كله سيدفع بكفاحنا إلى الأمام."^{٩٣}

وقد أحدثت مذبحة قبية ردود فعل صاخبة في كل أنحاء العالم. إذ بعث وينستون تشرشل برسالة احتجاج شخصية إلى بن غوريون. وقد أرسلت الحكومة الأردنية رسائل احتجاج إلى الحكومات الأمريكية، والبريطانية والفرنسية في حين اقتصر رد الفعل على هذه الأعمال العدوانية الإسرائيلية على تطبيق سياسة الدفاع المحض. وفي نهاية تشرين الأول/أكتوبر، قدمت لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص كان قد أوكل إليها تفصي الأسباب التي حدثت بالفيلق العربي إلى عدم التدخل في قبية تقريراً إلى الحكومة أوصت فيه بضرورة محاكمة الضباط المسؤولين.

أمّا رد الفعل الشعبي على ما حدث في قبية فقد تفرغ في مظاهرات كبيرة حصلت في عمان في ١٦ تشرين الأول/أكتوبر، طالب المشاركون خلالها بالثأر لقبية. وفي ٢١ تشرين الأول/أكتوبر، تم تنفيذ إضراب مدته ٣ ساعات كان قد دعا إليه القادة السياسيون. كما حدثت مظاهرات متفرقة في أنحاء مختلفة من البلاد. وفي عمان هاجم الفلسطينيون الممثلات الغربية بالحجارة.^{٩٤}

ومن غير ريب، فإن حادثة قبية قد أظهرت شيئاً لا يعوزه الوضوح؛ فالثأر كررت الحديث عن الانتقام كما طالب المتظاهرون بالانتقام. إلا أن الانتقام لم يمارس سوى من قبل الطرف الآخر، وذلك من خلال الوحدة ١٠١ التي كانت بإمرة شارون الذي أصبح لاحقاً وزيراً للدفاع.

د. المسائل التنظيمية

شكل البناء التنظيمي للحركة مركز الثقل في نشاطهم السياسي في سنوات الخمسينيات. أما البرامج المتعلقة بذلك فقد احتوت الثأر عليها.^{٩٥} وعلى أساس هذه البرامج، فإن جيل ما بعد النكبة يشكل رأس الحربة في نضال الشعب العربي من أجل الوحدة والتحرير، والثأر. أما المهمة الملقة على عاتق هذا الجيل، فتمثلت في تنظيم الشعب العربي وإعداده ليكون بمثابة "داعية للثأر" في حرب الثأر، ومن ثم، وكتتويج لذلك، قيادته في حرب الثأر هذه إلى النصر. وفي الثأر نتقابل مع الصورة المثالية للطليلة الشابة هذه، التي تبدو مناقضة تماماً لصورة أولئك السياسيين التقليديين الذين تم إظهارهم بشكل سلبي تام: قوميون يمتلكون استعداداً للتضحية وذوو وعي بارز، ومعرفة تامة بكافة المشاكل القومية، والتنظيم المحكم، واستمرارية في تأدية المهام والاعتماد دائماً على ثقة الشعب. فهل وجد هناك شبيهه واقعي لهذه الصورة المثالية؟ بالتأكيد إن هذا ما حاول القوميون إيجاده.

أما المشاكل التي كان على الطليعة، أي القوميين، التصدي لها، فكانت أسبابها تكمن، أخيراً وليس آخراً، في ذاك الوضع المزري للشعب العربي. فهذا الشعب، حسب رأي القوميين، كان قد أضعفه ومزقه وجزأه الاضطهاد والاستغلال الاستعماري الذي استمر قروناً. فتخلف في تطوره وتقدمه، ناهيك عن اضطرابه إلى حمل عبء أعداد كبيرة من الأميين. وهنا لا يلبث زريق أن يعود إلى الظهور: ما كانت الأمة العربية في أمس الحاجة إليه هو الدخول إلى القرن العشرين، وإلى التحديث. وهو ما يظهر أكثر إلحاحاً من تفسير القوميين بأن فقر الشعب العربي، وعوزه كان السبب وراء هزيمة هذا الشعب أمام الحكومات العربية العام ١٩٤٨، بحيث، ويستمر القوميون في الجدل، أصبح من جهة، مهمة الطليعة الشابة تحرير الشعب من شقائه، ومن جهة أخرى، وجب على الشعب ذاته أن يوصل هذه الطليعة إلى السلطة حتى تصبح مؤهلة ولتتمكن من ثم من قيادة الشعب إلى النهاية المظفرة على طريق الحرية، والتحرير والثأر. فالقوميون لم يدركوا أنهم قد وقعوا بذلك ضحية الدوران في حلقة مفرغة نموذجية الطابع؛ فبدلاً من العمل بهذه الروح كتنظيم يموج بين الجماهير، أزاغوا عن المشكلة الحقيقية غير القابلة للحل ليصبوا، بدلاً من ذلك، كل طاقاتهم في عملية التنظيم الداخلي للحركة.

فالتنظيم كان موجوداً في سنوات الخمسينيات، ففي لبنان كان هناك محسن إبراهيم، وفي الأردن حبش وحداد حيث كان هذان الفرعان الأكثر قوة بين الفروع. وفي الكويت كان أحمد الخطيب، ومنذ ١٩٥٤ في سوريا كان هاني الهندي، وفي مصر كان الحكم دروزة، ولاحقاً محمد كيشلي، ومنذ العام ١٩٥٥ في العراق كان حامد الجابوري، وصالح شبل وبعد ذلك بسنة باسل الكبيسي.^{٩٦} وقد سيطرت حركة القوميين على النشاط السياسي لطلاب الجامعة الأمريكية في الخمسينيات. كما أن الحركة كانت ممثلة بشكل قوي في المخيمات، في الوقت الذي ارتفع فيه عدد النسخ التي توزعها الثأر من ٥٠٠٠ نسخة في البداية إلى ١٥٠٠٠ نسخة.^{٩٧}

وفي المؤتمر القومي الأول للحركة العام ١٩٥٦، تمت إعادة تنظيم الحركة على أساس هرمي ذي صيغة معقدة ومدمرة. ففي القمة وقف المؤتمر القومي الذي يقوم بانتخاب اللجنة التنفيذية التي تتفرع إلى لجنة الإدارة، ولجنة الفكر. كما تواجد في كل قطر عربي على حدة مؤتمر إقليمي تقوم اللجنة التنفيذية بتعيين قيادته الإقليمية (فيما عدا الرئيس الذي يتم اختياره من قبل القيادة الإقليمية). وقد انتشرت في المدن والأرياف والشعب (جمع شعبة) والروابط (جمع رابطة) والخلايا (جمع خلية) كأصغر عنصر في التنظيم. في حين كان على المرشحين الخضوع للاختيار المحدود زمنياً، وذلك من خلال الحلقات التثقيفية.^{٩٨}

أما انضباط أعضاء الحركة وعملهم السري الناجح، وبخاصة في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني فهو جدير بالذكر، وبخاصة أن المخابرات الأردنية لم تنجح البتة في اختراق التنظيم أو زرع عملاء لها فيه. ولذلك اقتصرت المعلومات على المناشير والمطبوعات التي يوزعها القوميون التي كانت عرضة للوقوع بين الحين والآخر في أيدي المخابرات. إلا أن هذا النجاح، قابله فشل ذريع على صعيد آخر، فالحركة، وحتى العام ١٩٥٨، بقيت عاجزة تماماً عن تحريك "الجماهير" أو الشعب ككل من أجل أهدافها. فالقوميون ظلوا في جوهرهم تنظيمًا نخبويًا يتشكل في غالبية من تلاميذ وطلاب ومعلمين.

ولا شك أن الدور المسيطر الذي لعبه التلاميذ والطلاب داخل الحركة (والذي لا يزال قائماً حتى الآن في التنظيمات التي انبثقت عن الحركة)، يطرح السؤال حول موقف القوميين من السلطة السياسية. وكما يلاحظ هنتنغتون (Huntington)، فإن الطلاب لم يلعبوا، ولا في أي مكان في العالم، "دوراً بناءً" في بناء المؤسسات السياسية. "ففي صميمهم يقف الطلاب ضد النظام القائم. وهم بشكل عام غير مؤهلين لتشريع سلطة أو إقامة مبادئ الشرعية. هناك حالات متعددة من مظاهرات ... طلابية، وأعمال عنف، وثورات ولكن ليس هناك حكومات طلابية".^{٩٩}

وعلى ضوء تصورهم لأنفسهم، كصفوة عربية قومية وكطليعة في الكفاح من أجل الوحدة العربية بغض النظر عن نجاحهم أو فشلهم فقد طالبوا بالسلطة السياسية لهم. وتبقى العبرة التي استقاها القوميون من فشلهم فيما يتعلق بالمشاركة في السلطة أو حتى تسلمها بداية في الأردن، على درجة كبيرة من الأهمية.

وفي ١٩٥٨، بعد الوحدة بين سوريا ومصر، وبعد أن بدأ ناصر بالحديث عن القومية العربية، وتحرير فلسطين، شعرنا أنه كان يدعو للهدف نفسه الذي كنا ندعو له. والأكثر من ذلك، إنه كان في السلطة، وكان باستطاعته العمل من أجل تحقيق هذه الأهداف.^{١٠٠}

وقد اندفع القوميون، سواء كطلاب نشطاء أو كسياسيين محترفين، وقد وقعوا في هوس الإمكانيات التي توفرها السلطة السياسية الموجودة بين يدي عبد الناصر، إلى أحضانه، ولم يتخلصوا من ذلك إلا في أعقاب الكارثة الثانية التي وقعت العام ١٩٦٧.

رابعاً: القوميون وعبد الناصر (١٩٥٥ - ١٩٦٣)

أ. من معارضين إلى أنصار

لا يمكن أبداً النظر إلى القوميين على اعتبار أنهم من مؤيدي اللحظة الأولى لعبد الناصر. فقد تعرض حامد الجابوري على صفحات العروة للانقلاب الذي قام به الضباط الأحرار العام ١٩٥٢ بالانتقاد الشديد وحتى التشكيك.^{١٠١} ومن غير ريب، فإن السياسة الخارجية التي انتهجها جمال عبد الناصر حتى ١٩٥٥، وبالذات اتجاه بريطانيا العظمى، كانت قد أدت إلى ترسيخ تلك الصورة السلبية التي كان القوميون قد كَوْنوها عن عبد الناصر.^{١٠٢} ففي ربيع العام ١٩٥٤ هاجمت الرأي عبد الناصر بسبب موقفه المعارض من وحدة سورية أردنية عراقية. وفي آب من العام نفسه وصمت مفاوضات عبد الناصر مع بريطانيا العظمى حول إخلاء منطقة القناة كسياسة موالية للغرب، ولم ينجُ عبد الناصر ذاته من تهمة التآمر مع الاستعمار. وأخيراً وفي أيار ١٩٥٥ عبرت صحيفة الحركة صدى المدينة التي كانت تصدر في الكويت عن تشككها في الطابع الديمقراطي للنظام المصري.^{١٠٣}

ومع التوقيع على معاهدة التزود بالسلحاح المصريّة-السوفييتية (صفقة الأسلحة التشيكية) في خريف العام ١٩٥٥، أو في ١٩/٢٧/١٩٥٥ على وجه التحديد، بدا وكأن شيئاً لم يكن. فالرأي تحدث فجأة عن نقطة تحوّل في التاريخ العربي. في حين أفاضت النّار في توضيح المعاهدة ومباركتها.^{١٠٤} فالصحيفة رأت في ذلك تحدياً قومياً حقيقياً للاستعمار، ورأت أن المعاهدة فتحت، بشكل عام، آفاقاً جديدة في نضال الأمة العربية نحو الوحدة، والتحرير والثّار. أو لعلها شكلت حجر الزاوية في الدعم المطلوب، ومنذ فترة غير قصيرة، لمعركة التحرر العربية في دول المغرب العربي. وهكذا يصبح العرب أخيراً في وضع يسمح لهم بتحدي كل المحاولات الغربية لإجبارهم، بالقوة، على عقد السلام مع إسرائيل، سواء من خلال خطة جونسون (Johnson) أو خطة دالاس (Dallas) أو محاولات التوطين التي لا حصر لها. ومن الآن فصاعداً، هكذا ينتهي المقال، يجب على كل القوميين، والشعب العربي بكامله دعم النظام المصري بزعامة عبد الناصر والسياسة القومية التي ينتهجها.

أنفأ وقبل حصول صفقة السلاح التاريخية، قدم القوميون في بداية العام ١٩٥٥، وللمرة الأولى، تقييماً إيجابياً لعبد الناصر وسياسته. ويعود السبب في ذلك إلى سماح عبد الناصر للفدائيين بمواصلة نشاطهم ضد إسرائيل (١٩٥٥-١٩٥٦)، وذلك كرد فعل على الهجوم الإسرائيلي العنيف ضد غزة في شباط ١٩٥٥.^{١٠٥} فدعم العمليات الفدائية ضد إسرائيل جعل من عبد الناصر وحكومته في نظر القوميون مرة أخرى "رجال الثورة".^{١٠٦} إلا أن القوميون يدفعهم الحماس نحو عبد الناصر، قد أغفلوا، حتى تلك العملية الإسرائيلية الأنفة الذكر، أن إجراءات قاسية كانت تتخذ ضد الفلسطينيين في قطاع غزة لإبقائهم تحت السيطرة، وللحيلولة دون وقع حوادث حدودية مع إسرائيل، وهو ما بلغ أوجه في كانون الثاني ١٩٥٥ عندما صدر الأمر بفتح النار على كل فلسطيني يحاول اجتياح الحدود بشكل غير قانوني (تسلل). بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك إجراءات مصرية مكتملة تكمن في السجن الاحترازي للمشبوهين في سجون خاصة، عوضاً عن توطين المشبوهين، ومن يتصلون معهم بعيداً عن خطوط وقف إطلاق النار.^{١٠٧} ولأن غزة هي التي شكلت المنعطف في سياسة عبد الناصر، وبداية اهتمامه الشديد بالقضية الفلسطينية، فإن نظرة القوميون الجديدة للرئيس عبد الناصر تبدو مبررة.

وقد شكل مؤتمر بانندونج المنعقد في نيسان ١٩٥٥ المحطة الأخيرة في عملية النقد التي مورست على سياسة عبد الناصر الدولية المتعلقة بفلسطين. ويعود السبب في ذلك إلى القرار الذي كان قد خرج عن هذا المؤتمر الآسيوي الإفريقي المناهض للاستعمار الذي يدعو إلى حل للقضية الفلسطينية على أساس قرارات الأمم المتحدة، ما يعني ضمناً تقسيم فلسطين على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ والصادر بتاريخ ٢٩/١١/١٩٤٧، وهو ما اعتبر في ذلك الوقت من القوميون أو حتى الفلسطينيين ككل نوعاً من الجرم.^{١٠٨}

إلا أن سير الأحداث في مصر خلال العام ١٩٥٦ جعل أخيراً من الذين كانوا يوماً ما من المنتقدين لعبد الناصر أشدّ مؤيديه، وتحول القوميون إلى تنظيم ناصري في الشرق العربي فحسب. ومن غير ريب فإن المعاهدة العسكرية المصرية مع كل من العربية السعودية، واليمن في نيسان، وبدء المحادثات مع سوريا حول اتحاد محتمل، وسحب القوات الإنجليزية من مصر في حزيران، وتأميم شركة قناة السويس في تموز، وأخيراً فشل العدوان الثلاثي (إسرائيل، فرنسا، بريطانيا) على مصر في تشرين الأول / أكتوبر، كل هذه شكلت الأساس لهذه العلاقة الجديدة.^{١٠٩}

وقد لعب دوراً مهماً في هذه العملية وجود مجموعة من الأعضاء القيايين للحركة في مصر منذ بداية ١٩٥٥. وطوال السنة التي سبقت تظاهر طلاب الجامعة الأمريكية بقيادة "العروة الوثقى" ضد قرب التوقيع على معاهدة حلف بغداد. ولما بلغت نشاطات

الطلاب ذروتها في كانون الثاني ١٩٥٥، ردت إدارة الجامعة بفصل ١٧ زعيماً طلابياً. كما منعت "العروة الوثقى" وتم حلها. وقد تدخل الرئيس عبد الناصر شخصياً لتمكين زعماء الطلاب هؤلاء من الاستمرار في دراستهم في القاهرة. وبالفعل كان هؤلاء هم الذين قدموا لتلك العلاقة الحميمة التي نشأت بين القوميين، والنظام المصري، وأخيراً الاتصال مع عبد الناصر شخصياً.^{١١٠}

وفي حزيران ١٩٥٦ صوراً للقوميين أن الوحدة العربية أصبحت قاب قوسين أو أدنى: "نتمنى أن يكون الاتحاد بين سوريا ومصر بمثابة الخطوة الأولى التي يتبعها بعد حين ... الوحدة مع الأردن، ولبنان، والعراق، والجزيرة العربية، والمغرب العربي".^{١١١}

وقد احتفلت الثأر بتأميم قناة السويس في تموز بطبع تقارير عديدة عن مظاهرات، ومهرجانات ومؤتمرات على اعتبار أن ما حدث كان الذروة على الطريق نحو نشر القومية العربية. فالثأر رأت في تأميم قناة السويس تأكيداً للنظرية التي حملتها الحركة منذ نشوئها، والتي تنطلق من أن وحدة النضال العربي هي وحدها الكفيلة بالانتصار على الاستعمار. لكن الصحيفة أغفلت هنا أن مصر-عبد الناصر، فقط هي التي بدأت الكفاح ضد الاستعمار. في حين اعتبرت الثأر التأميم "معركة القناة" جزءاً من الكفاح العربي القومي.^{١١٢}

أما القرارات التي خرجت عن مؤتمر اللاجئيين الذي انعقد في آب ١٩٥٦، فإنها تعكس الانطباع العميق الذي خلقتة سياسة السويس التي انتهجها عبد الناصر. فاللاجئون الفلسطينيون في لبنان رأوا أنفسهم منذ السويس في "حرب مقدسة"، وكأن الجهاد المقدس وبطله عبد القادر الحسيني قد بعث من جديد. وبالإحاح كبير لم يسبق له مثيل دعوا الأنظمة العربية كافة إلى تدريب اللاجئيين عسكرياً وإشراكهم في نضالات الشعب العربي.^{١١٣} وقد بلغت القومية الناصرية ذروتها في الوحدة المصرية-السورية وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة في شباط ١٩٥٨.

ومنذ العام ١٩٥٥/١٩٥٦ وحتى ١٩٥٨، اعتاشت نشرات القوميين من حماس قومي لا حدود له، ومن انتظار شبه يومي، إن لم يكن ساعة بساعة، لوحدة ولبداية حرب التحرير ضد إسرائيل. وبشكل مواز لذلك حصلت في دول المشرق العربي حركة جماهيرية قومية منظمة ومستقلة عن التنظيمات السياسية الموجودة؛ فالمظاهرات توالى، والمنطقة كلها أصبحت تغلي. حتى في الأردن بدأ الجمود والانحسار وبدأت الروح تدب في الحياة السياسية من جديد. ففي آذار ١٩٥٦ كان الملك حسين قد عزل الجنرال الإنجليزي كلوب باشا القائد الأعلى للقوات المسلحة، كما تم استبدال الضباط الإنجليز في الجيش بأخرين أردنيين. وفي خريف ١٩٥٦ تشكلت في الأردن حكومة وطنية برئاسة فلسطيني هو سليمان النابلسي. وقد عملت هذه الحكومة في آذار ١٩٥٧ على إلغاء المعاهدة البريطانية - الأردنية من العام ١٩٤٨، وحسب تفسير الثأر

فإن التطورات في الأردن كانت نتيجة لعمل شعبي منظم مارس ضغوطاً على النظام، ما دفع بالحكومة السابقة إلى الاستقالة، بالإضافة إلى قيام الملك بعزل كلوب باشا، ما مهد الطريق أمام الثورة في الأردن.^{١١٤}

وفي ظل هذه الظروف اعتقد القوميون أن ساعة الخلاص على طريق الوحدة والتحرير والتأثر قد أصبحت وشيكة. فقد تم النظر إلى "اتفاقية التضامن العربي" التي وقعت في كانون الثاني ١٩٥٧ بين مصر، والعربية السعودية والأردن حول المساعدة المتبادلة كقاعدة لتحرير العالم العربي.

وإذا ما وصلنا ذلك مع التنسيق الذي حصل بين القيادات العسكرية (مصر وسوريا والعربية السعودية أو الأردن واليمن) بالإضافة إلى الوحدة الاقتصادية بين سوريا والأردن، يكون بذلك قد نشأ الوضع الثوري الذي تم انتظاره طويلاً. والوحدة، بالنسبة للقوميين، أصبحت قاب قوسين أو أدنى. ففي ١٠/٦/١٩٥٧ تحدثت الرأي عن "جبهة التحرير العربي" المكونة من مصر وسوريا والأردن، التي ستحقق الوحدة والنصر في مواجهة الاستعمار. وحتى الانقلاب الأبيض في الأردن الذي قام به الملك من خلال إقالته لحكومة النابلسي في نيسان ١٩٥٧ لم يستطع خفض تلك الحرارة القومية المتأججة. كذلك الأمر بالنسبة لتلك الإجراءات الاضطهادية التي رافقت إقالة النابلسي وحكومته وأجبرت المعارضة كافة ومن ضمنها حركة القوميين، إلى النزول تحت الأرض، فهي الأخرى، على ما يبدو، لم تستطع أن تغير من الأمر شيئاً. في حين تعكس المقررات التي خرجت عن مؤتمر نابلس، الذي كانت قد دعت إليه القوى الوطنية والمعارضة يومين فقط قبل إقالة النابلسي، تعكس، وبشكل ملح جداً، الوضع في الأردن، والعالم العربي كما عاشه القوميون وغيرهم العام ١٩٥٧.

البيان التاريخي لمؤتمر نابلس، بيان إلى شعبنا العظيم:

وأخيراً وقفت الأردن ضد سياسة الأحلاف، وضد مؤامرة حلف بغداد، وعزلت المضطهد والعميل الاستعماري كلوب.

فالبرلمان المصطنع تم حله، وانتخب الشعب نواباً وطنيين شرفاء ما لبثوا أن شكلوا حكومة وطنية. هذه الحكومة وقعت على حلف التضامن العربي، والوحدة الاقتصادية مع سوريا، والوحدة الثقافية بين سوريا، ومصر والأردن، وإلغاء المعاهدة الأردنية-البريطانية، بالإضافة إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي. هذه الخطوات هددت المصالح الإمبريالية، لأنها تحول دون سياسة الاستعباد والاستغلال. لذلك قام الغرب بعدوانه العسكري ضد مصر وحاك المؤامرات ضد سوريا. ولكن المعتدين رُدوا على أعقابهم، وتم إفشال المؤامرات. إن فشل العدوان الثلاثي على مصر أجبر الولايات المتحدة، رأس الإمبريالية العالمية، لأن تكشف عن نواياها الحقيقية التي هي عدوانية. فالولايات المتحدة

تهدد العالم العربي بشكل مباشر وغير مباشر من خلال مبدأ أيزنهاور. هذا المبدأ يبين نية الولايات المتحدة، الحلول محل بريطانيا العظمى وفرنسا في استعمار الشرق الأوسط واستغلاله.

هذه الأزمة في الأردن، وفي كل العالم العربي هي تعبير عن المعركة الكبيرة بين اتجاهين: الاتجاه العربي التحرري، والاتجاه الاستعماري للقيادة في الولايات المتحدة. فهدف الولايات المتحدة هو فصل الأردن عن الدول العربية المتحررة...

وفي سياق هذه الأزمة، أطلقت إشاعات وأكاذيب حول مؤامرة في المملكة، وذلك لتتم التغطية على المؤامرة الحقيقية ضد حريتنا وضد القومية العربية، وذلك لتبرير ضرب العناصر الوطنية في الجيش بالإضافة إلى عزلها. وأيضاً ضرب كل القوى والعناصر الوطنية بهدف تنفيذ المؤامرة الأمريكية.

وانطلاقاً من واجبنا في المحافظة على استقلالنا الذي قدمنا من أجله تضحيات عظيمة، ودفاعاً عن بلدنا ضد المؤامرات الاستعمارية، وللمحافظة على الجبهة العربية، تم في ١٩٥٧/٤/٢٢ عقد مؤتمر في نابلس تمثلت فيه كل القوى والعناصر الوطنية من مختلف الاتجاهات في بلدنا.

وقد تمت صياغة المقررات التالية التي باسمها ننادي كل المواطنين العرب الشرفاء داخل الأردن وخارجه أن يدركوا أهمية وحدة الجبهة العربية، وأن يذهبوا معنا حتى النهاية، حتى النصر ضد المتآمرين الإمبرياليين.

١- نرفض مبدأ أيزنهاور ونناضل ضد المؤامرات الاستعمارية التي تحاول دفع الأردن بعيداً عن سياسته الحرة العربية - القومية.

٢- نطالب بإقامة اتحاد فيدرالي بين مصر وسوريا والأردن كضمان لسياسة عربية حرة.

٣- نؤيد سياسة الحياد الإيجابي، ونناضل ضد كل المؤامرات الاستعمارية التي تريد عزل الأردن عنها.

٤- نطلب من كل سلطة في الأردن أن تحترم الدستور والحريات المدنية العامة.

٥- يجب المحافظة على وحدة الجيش مع الشعب.

٦- يجب تنظيف الحكومة من كل العملاء المتآمرين.

٧- نشجب كل المحاولات التي تهدف إلى تمزيق الجيش، وتحويله إلى أداة في يد أعداء الشعب. إننا ندعو الحكومة إلى إعادة النظر في كل الإجراءات، بالإضافة إلى اعتقال الضباط الوطنيين، بحيث يتم إعادتهم فوراً إلى رتبهم السابقة.

٨- يدعو المؤتمر الشعب إلى القيام بالإضراب العام والتظاهر يوم الأربعاء القادم.

٩- يشكل المؤتمر لجنة تنفيذية يكون مقرها نابلس.^{١١٥}

وقد كان د. جورج حبش قد أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية المشكلة حديثاً التي لم تعمر سوى يومين. فقد عاد الملك إلى سابق عهده لياشر العمل مرة أخرى بنظامه السلطوي - القمعي. ومن بين القوميين تم اعتقال د. حداد وأبو علي مصطفى، في حين تمكن د. حبش، وفي الوقت المناسب، من الاختفاء ليغادر الأردن عقب ذلك مباشرة. ومنذ ذلك الحين أصبحت دمشق مقراً للقيادة القومية لحركة القوميين العرب إلى أن تم نقلها العام ١٩٦١ إلى بيروت.

وقد تراجعت أهمية الأردن بالنسبة للحركة شيئاً فشيئاً في أعقاب تأسيس الجمهورية العربية المتحدة. صحيح أن القوميين قد شاركوا في عدة محاولات انقلابية في الأردن، سواء انطلاقاً من سوريا، أو من خلال علاقات بقيت قائمة مع ضباط في الجيش الأردني، إلا أن هذه المحاولات جميعها ودون استثناء قد منيت بالفشل.^{١١٦} ومنذ ذلك الحين لم يكن بإمكان القوميين الاستمرار في نشاطهم سوى عن طريق واجهات تنظيمية خاصة بين التلاميذ في الضفة الغربية. بالإضافة إلى ذلك بقيت هناك اتصالات وثيقة مع أجزاء من البرجوازية الفلسطينية في عمان قائمة منذ أيام العمل في إطار المنتدى العربي إلى حين عودة القيادة نفسها بعد العام ١٩٦٧، ولكن في إطار "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" لتتخذ من عمان مقراً رئيسياً لها.

ب. القوميون في "هوس الوحدة" وعود على بدء إلى القضية الفلسطينية

لقد رأى القوميون الفترة التي انقضت بعد اندماج مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة فقط في ضوء الوحدة العربية. فقد سيطر على تفكيرهم وسياستهم هدف واحد؛ ألا وهو توحيد كل الدول العربية مع الجمهورية العربية المتحدة، فالعراق كان يشكل الأولوية، ومن هنا فقد كان يجب إعادته إلى المعسكر القومي - العربي، وبخاصة بعد إسقاط الحكم الملكي الموالي للإنجليز فيه العام ١٩٥٨. لذلك، تم إرسال مجموعة من أفضل كوادر الحركة من بينهم هاني الهندي، ونايف حواتمة، وسلام أحمد، من أجل تقديم الدعم للقيادة الموجودة هناك بزعامة الجابوري والكيسي في نضالها من أجل وحدة فورية.

إلا أن كل المحاولات التي سادت في هذا الاتجاه قد باءت بالفشل. فالجمهورية العربية المتحدة التي أضحت الرائد في مجال الوحدة انفسخ عقدها العام ١٩٦١. كذلك كان مصير كل المحاولات التي حصلت بعد صعود البعث إلى السلطة في كل من العراق وسوريا العام ١٩٦٣، وكانت غايتها توحيد هاتين الدولتين مع مصر.^{١١٧}

وبعد الانفصال السوري عن مصر العام ١٩٦١ اضطرت حركة القوميين الموالية لمصر إلى نقل مقرها الرئيسي من دمشق إلى بيروت. وما يعنينا هنا هو التطورات السياسية الأيديولوجية العامة للحركة في العاصمة اللبنانية.

وتقدريماً يجب لفت الانتباه إلى عنصر تناقض في التطور التاريخي للقوميين خلال هذه السنوات. فالاهتمام الذي أبداه عبد الناصر بالقضية الفلسطينية العام ١٩٥٥ كان بمثابة البساط الأحمر الذي عبر القوميون فوقه الطريق نحو الناصرية. وقد شكلت الوحدة المصرية السورية العام ١٩٥٨ وما يتصل معها من توجهات وحدوية عربية عامة، بالنسبة للقوميين، " الطريق الأفضل للعمل من أجل تحرير فلسطين " ^{١١٨}. إلا أنه من المفترض، وبشكل متناقض، أن النشاط الذاتي للقوميين " كرأس حربة للثورة الناصرية خارج مصر " ^{١١٩} قد أبعدهم عن القضية الفلسطينية بصورة لم يشهد لها مثيل من قبل (أو حتى من بعد!). وكما هو الحال عندما تختفي الغابة خلف الأشجار، ففي فترة الناصرية اختفت فلسطين خلف الوحدة العربية، بحيث لم يعد القوميون يلحظون منها شيئاً، مع أن هذه الوحدة عليها أن تقوم فقط من أجل فلسطين.

ومع ذلك، فإن التطورات المتعلقة بالمسألة الفلسطينية والمرتبطة بعبد الناصر والناصرية كانت هي نفسها التي أعادت القوميين إلى رشدهم. فوجود أعضاء شباب من الحركة، غالبية من الطلاب في القاهرة في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، منح الحركة فرصة للتعرف على الأفكار الاشتراكية. فالأفكار التي صدرها تيتو، الزعيم اليوغسلافي، والمتعلقة باشتراكية ديمقراطية تعاونية تم التقاطها في مصر. ^{١٢٠} وقد كان الحكم دروزة قد تأثر أصلاً بها، وذلك عندما رسم في " مع القومية العربية " الصورة المستقبلية " للمجتمع الديمقراطي الاشتراكي المتحد ". وسيتذكر ذلك جورج حبش معلقاً بأن عبد الناصر " كان هو الذي أدخل روح الاشتراكية العلمية في القومية العربية " ^{١٢١}.

ومن المفترض أن الانفصال السوري والطريقة التي حاولوا من خلالها في مصر لتعليل ذلك وتوضيحه قد أدت إلى ازدياد في راديكالية ذاك اللون الناصري من الاشتراكية. فللمرة الأولى يتم الحديث عن صراع الطبقات، كما حل " مجتمع الطبقات "، على الأقل في البدايات، محل " الأمة ". وفي هذا الخصوص طور عبد الناصر بعض الأفكار، تماماً كما حصل مع القوميين خلال سنوات الخمسينيات في الأردن مثلاً:

لقد تصورنا أنه مهما كان من خلاف بيننا وبين العناصر الرجعية - وهي من ركائز الاستعمار - لا تتورع عن الارتكاز عليه بدورها لتسلب النضال الشعبي ثمراته الاجتماعية ... ذلك أننا في الوقت الذي أعلننا فيه إيماننا بإمكانية إزالة المتناقضات الطبقيّة سلمياً داخل إطار من الوحدة الوطنية كانت الرجعية تمشي في طريق آخر معاكس. ^{١٢٢}

وقد كان لعملية استخلاص العبر هذه مكانتها في وثيقة العمل الوطني الصادرة في أيار ١٩٦٢، وإن النضال الطبيعي الحتمي بين الطبقات لا يمكن إنكاره أو نفيه. ^{١٢٣} وعلى مستوى الحركة أصبح محمد كشلي، الذي عاد في بداية الستينيات إلى بيروت بعد

انتهاء دراسته في مصر، ومحسن إبراهيم الذي عمل منذ العام ١٩٥٩ محرراً لمجلة القوميين الجديدة الحرة، بالإضافة إلى نايف حواتمة الذي لم يكن قد برز كثيراً بعد، من أشد دعاة الاشتراكية العربية، ناهيك عن استلهاهما من قبل الحركة. أما المعارضة التي واجهوها من قبل القيادة، فقد كانت محدودة، كما أن الجدل في سنوات الستينيات داخل صفوف الحركة لم يصل إلى مستوى الصراعات الأيديولوجية العميقة إلا ما ندر، بل إن المسائل الأيديولوجية، على ما يبدو، كانت تستغل كذريعة للتعبير عن صراعات من نوع آخر. ويبدو لي على هذا الأساس، أن الصراع الحقيقي الذي تطور بين مجموعة الحرية وعلى رأسها محسن إبراهيم، والمجموعة المؤسسة بقيادة د. حبش، الذي تفاقم مع الوقت، هو في المقام الأول خلاف بين جيلين، تفصل بينهما هوة اجتماعية كبيرة، على القيادة، والنفوذ في الحركة. وإذا ما استعرضنا، وبأثر رجعي، ذلك التقييم الذي يقدمه حواتمة وحبش كل على انفراد، للنصف الأول من سنوات الستينيات "عملية الصراع في صفوف حركة القوميين العرب، وذلك بين القوى المحافظة اليمينية، والقوى التقدمية الجديدة".^{١٢٤} وحسب حبش "فإن المضمون الاجتماعي للصراعات في الحركة لم يكن العام ١٩٦١ قد تبلور بعد. لقد كان نضالاً قومياً معادياً للاستعمار. إلا أن حركتنا عقدت مؤتمراً مهماً العام ١٩٦٢ تم خلاله استلهاهم شعار الاشتراكية، فانفراط عقد الوحدة بين مصر وسوريا أدى بحركتنا إلى التطرف. بعد العام ١٩٦٢، تم إدخال مفهوم النضال الطبقي تدريجياً في الحركة، صحيح صحبته مقاومات وتأخير، إلا أنه أخيراً فرض نفسه".^{١٢٥}

وقد أتت المعارضة هنا من الأعضاء الأوائل للحركة من محيط الجامعة الأمريكية، أي من أتباع برجوازية المال والتجارة الفلسطينية، الذين بعد انتهاء دراستهم قد نشطوا في حقل المال والتجارة في كل من بيروت وعمان. وعلى ما يبدو أن مقاومتهم لم تكن موجهة، بالأساس ضد استلهاهم فكرة اشتراكية (الاستثناء شكله برنامج التأميم)، بقدر ما كان موجهاً ضد النضال الطبقي في أضيق حالاته، والذي دعت إليه مجموعة الحرية، وكان موجهاً ضدهم شخصياً وضد تأثيرهم، ونفوذهم داخل الحركة.

وقد لعب حبش دور الوسيط في هذا الصراع. فما كان يهمه في الأساس هو المحافظة على تنظيمه، أي حركة القوميين. فالجيل القديم، تربطه به صلات شخصية قوية (علاقات عائلية ودراسية مشتركة وصداقات شخصية ... الخ)، والشباب الصاعد، وبخاصة في أعقاب الدور المهم الذي أصبحت تقوم به الحرية كملتقى للنقاش الفكري، بالإضافة إلى اتصالاتهم الوثيقة بعيد الناصر، ما يعني أن ليس باستطاعة الحركة الاستغناء عنهم. فكان حبش مستعداً لتقديم أقصى التنازلات أمام مجموعة الحرية، ما استوجب على الفلسطينيين "البرجوازيين" أن يتركوا في النهاية الحركة الفوج تلو الفوج. وهو ما تولد عنه متاعب مادية للحركة، وبخاصة أن أعضاءها الغنيين كانوا، إلى حد كبير، هم المسؤولون عن تمويل الحركة. ولم يحل هذه المشكلة سوى مصر التي

بدأت بدعم القوميين مادياً. وبذلك ينزلق القوميون من جديد في اعتمادهم المتزايد على عبد الناصر وسياسته العربية.

وخلال المؤتمر القومي الذي انعقد العام ١٩٦٢ وسبق أن تعرض له حبش آنفاً، تم تبديل الشعار القديم للقوميين وحدة، تحرر، ثأر، بشعار جديد " وحدة، حرية، اشتراكية، استرداد فلسطين " ^{١٢٦} وفي أعقاب هذا المؤتمر، الذي خرج منه الاشتراكيون الشباب أو التقدميون معززين، حاول هؤلاء بعد النصر الأيديولوجي الذي حققوه وضع الحركة من ناحية تنظيمية تحت سيطرتهم. وفي غياب حبش والهندي عن بيروت، الذي يعني أن الأغلبية في اللجنة الإدارية تصبح من نصيب التقدميين في هذه الحالة! قام هؤلاء وبشكل مستبد بتغيير تركيبة القيادة القومية للحركة. فحصلت اللجان القطرية على وزن أكبر ووضع أفضل فيما يتعلق باتخاذ القرارات؛ كما تم حل اللجان العليا للإدارة والفكر واستبدلت بمكتب سياسي. وقد تأمل التقدميون من ذلك تأثيراً ونفوذاً أكبر داخل التنظيم ككل.

ويؤكد سلوك " التقدميين " هذا بعينه، التفسير الذي سبق الحديث عنه، وهو أن الصراع لم يكن، أو على الأقل في الدرجة الثانية، حرباً فكرية (أيديولوجية)، بل إن الأمر كان يتعلق في المقام الأول بمسائل النفوذ، بمسألة من يقود التنظيم ويحدد اتجاهه. ولكننا لسنا هنا بصدد التعرض بالتفصيل لهذا الصراع، ^{١٢٧} بل إن ما يهمنا هنا في هذا السياق هو رد فعل القيادة التاريخية الممثلة بحبش وحداد والهندي وأبو ماهر وأبو عدنان الذين أصبحوا في غضون ذلك في المرتبة نفسها.

وكرد على محاولة محسن إبراهيم، وجماعة الحرية السيطرة على الحركة، ولمنع أن تحل الحركة نفسها بنفسها، كما كرر ذلك محسن إبراهيم مراراً انطلاقاً من ناصرية مفرطة، اهتدى الآباء المؤسسون للحركة مرة أخرى إلى البدايات السياسية، ووقفوا عند السبب الذي من أجله خلقت الحركة في سبيل القضية الفلسطينية.

ففي العام ١٩٦٣، عقد أول مؤتمر إقليمي فلسطيني في بيروت، وتم تشكيل أول قيادة إقليمية فلسطينية في تاريخ الحركة، وهو ما تم التأكيد عليه بشكل رسمي في المؤتمر القومي للحركة الذي انعقد العام ١٩٦٤. وحتى ذلك الحين كان الفلسطينيون دائماً ضمن فرع الحركة المحلي في البلد الذي يعيشون فيه. وقد أمسك بهذه القيادة الفلسطينية الإقليمية، وبقوة، المؤسسون والقادة التاريخيون للحركة. في مقابل ذلك، ترك هؤلاء، وإلى درجة كبيرة، صحيفة الحركة الحرية " للتقدميين " الشباب. كانت تتم، وبشكل كبير، معالجة مواضيع فلسطينية في الملحق الأسبوعي للصحيفة البيروتية الناصرية المحرر. أما مسؤولية هذا الملحق الأسبوعي فلسطيني، فلم يكن سوى من نصيب غسان كنفاني الذي كان مقرباً جداً من حبش. ^{١٢٨} وبالتأكيد، فإن

الدافع وراء تأسيس جناح فلسطين داخل الحركة، بشكل رسمي، وإلى العودة من جديد إلى المسألة الفلسطينية، بشكل ضمني، لا يمكن إرجاعه فقط، أو في المقام الأول، إلى خلافات تنظيمية داخلية أو صراعات على النفوذ داخل الحركة، فمن قبل وفي نهاية الخمسينيات حيث كان قد مرَّ عقدٌ على النكبة؛ ففي الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تعزز وجودها كدولة، كان الفلسطينيون لا يزالون يقبعون في مخيمات اللاجئين ينتظرون عودتهم إلى ديارهم. في ظل هذه الظروف عادت القضية الفلسطينية إلى مركز الصدارة بالنسبة للفلسطينيين، وبالذات في ظل تطور الناصرية إلى أيديولوجية توسعية في الشرق العربي. وكنتيجة منطقية للشعار السياسي "الوحدة العربية هي الطريق إلى تحرير فلسطين"، رأت غالبية الفلسطينيين بعد الوحدة السورية المصرية كخطوة أولى نحو الدولة القومية العربية، أن تحرير فلسطين أصبح وشيكاً. فبعد أن حارب عبد الناصر في مصر ضد الاستعمار البريطاني، أراد الفلسطينيون أيضاً المساهمة في حرب التحرير الوشيكة ضد إسرائيل.

ففي كل المراكز السكانية الفلسطينية المنتشرة حول إسرائيل، بدأت الجماعات الفدائية الفلسطينية بالانتشار بسرعة: كلهم أرادوا تحرير فلسطين بالبندقية. ومن خلال الفرع اللبناني للحركة وجدت "روح العصر" هذه طريقها إلى التنظيم. ومن المفترض أن تكون الفئة المثقفة في المخيمات، والمثقفة حول أبو ماهر وأبو عدنان قد مهدت لذلك. فقد استغل هؤلاء العلاقات التاريخية التي ربطتهم بحبش منذ أيام الجامعة الأمريكية والعروة الوثقى لإقناعه عند عودته إلى بيروت العام ١٩٦١ بعد غياب استمر ٨ سنوات بما تتطلبه المرحلة، ولم يكن ذلك بالأمر الصعب. إلا أنه من المفترض أن لا يعني ذلك بأن هناك خطين قد تبلورا داخل الحركة منذ بداية الستينيات؛ أحدهما ناصري ويمثله محسن إبراهيم، والآخر فلسطيني ويمثله جورج حبش، بل الحرية أو القيادة التاريخية للحركة، ذات توجه ناصري، إن لم تكن تخضع للسياسة الناصرية في المنطقة. وفي هذا السياق هناك وجه للموضوع لا يمكن تجاهله؛ بالنسبة لحركة القوميين، كما هو الحال بالنسبة للغالبية العظمى ليس من الفلسطينيين فحسب، وإنما من العرب أيضاً، لم يكن في ذلك الوقت بالإمكان فصل القومية العربية عن القضية الفلسطينية. فكل تفسير لا يراعي ذلك بالقدر الكافي، يجانب الحقيقة (الواقع) التاريخية التي كانت قائمة في المنطقة في ذلك الوقت.

هوامش الفصل الثاني

- ^١ كولي (Cooley, 1973)، ص ١٣٤، استشهاد أورده مترجماً هب (Hoepp, 1985)، ص ١١.
- ^٢ بلغت كلفة مقعد لدراسة الطب، العام ١٩٥١، ٥٠٠ ليرة لبنانية، في حين أن معدل الدخل الشهري لرجل أعمال يعيش في لبنان قد بلغ في السنة نفسها ٨٣٠ ليرة لبنانية. في المقابل، بلغ ما يحصل عليه الموظف شهرياً ٤١٥ ليرة لبنانية فقط، أي أن مقعد دراسة كان يكلف أكثر من دخل شهر. أما بالنسبة للعائلات التي تعيش في الأردن، فإن مقعد دراسة في الجامعة الأمريكية كان باهظاً جداً. فرجل الأعمال هناك اعتاد أن يكسب شهرياً ما يعادل ٣٥٠ ليرة لبنانية، والموظف ٥٨ ليرة لبنانية فقط، أي أن دخله السنوي كان أعلى بقليل من مصاريف مقعد دراسة واحد. (المعلومات جميعها مصدرها د. صايغ (١٩٧٩)، ص. ١١٥، بالإضافة إلى استعلامات مكتب التسجيل، ومراقبي الحسابات في الجامعة الأمريكية ببيروت). ويتذكر هشام شرابي (١٩٨٤)، ص ٤٣، الذي درس هناك في الفترة نفسها مع حبش، "عندما درست في الجامعة الأمريكية، كان الطلاب جميعهم إما من عالية الطبقة الوسطى، أو على الأقل، الطبقة الوسطى".
- ^٣ على سبيل المثال، أحمد الخطيب من الكويت، أحد مؤسسي حركة القوميين العرب لاحقاً، وسلام أحمد من العراق، أحد الأعضاء القياديين لاحقاً. درس كلاهما بمنحة مقدمة من حكومته في الجامعة الأمريكية. كما اعتادت وكالة الغوث أن توزع سنوياً منحة على الطلاب الفلسطينيين المتفوقين، لتمكينهم من الدراسة في الخارج أو في الجامعة الأمريكية. انظر بوبست (Bopst, 1968)، وبدران (١٩٨٠) ص ٧٠-٧٤. بدران يتحدث عن ١٥٥ منحة قدمتها وكالة الغوث العام ١٩٦٠/١٩٦١ لطلاب فلسطينيين في الأردن. ومقارنة مع ذلك، درس ما مجموعه ٥٨١ طالباً من الأردن في لبنان.
- ^٤ حول قصة الجامعة الأمريكية في بيروت، انظر دوج (Dodge, 1958)، بالإضافة إلى طيباوي (١٩٦٧). حول دور الجامعة الأمريكية، انظر الملاحظات المنيرة للصحافي اللبناني إدوارد صعب (١٩٦٧)، ص ٢٠، "في وسط عبث المدينة، الذي يهدد بانتقال العدوى، لا يعدم المرء أن يجد هنا وهناك جزراً تفوح منها رائحة الجدية، ومن بينها الجامعة الأمريكية وعلى وجه التخصيص الويست هول المشهورة، حيث النقاشات التي تشهد تلاطم كل المذاهب والعقائد السياسية والفلسفية للشرق الأوسط والأدنى. فمنذ حين، تتصادم هناك كل القوميات، كل الأجناس، وكل اللغات، وكل الأديان، وكل الآراء مع بعضها بعضاً. هذه الجامعة، من ناحية سياسية، اسمياً فقط أمريكية، وكانت أحد المراتع الكبرى للقومية العربية". الاستشهاد أورده مترجماً هب (١٩٨٥)، ص ٦. وكذلك يتحدث طيباوي (١٩٧١)، ص ٩٠ عن الجامعة الأمريكية في بيروت، "بشكل خاص، من هذه الكلية انطلق الجيل الأول من الليبراليين العرب، قوميين ذوي تربية غربية".
- ^٥ معلومات شفهية من مكتب التسجيل، الجامعة الأمريكية، بيروت.
- ^٦ حول القومية العربية، تجدر الإشارة إلى الآثار القيمة لأنطونيوس (١٩٣٩-١٩٦٥) وهوراني (١٩٨٣)، أولاً (١٩٦٢)، بالإضافة إلى الدراسات الجديدة التي قام بها طيباوي (١٩٧١)، الذي يقدم أفضل ثبوت لا ينقطع من المراجع، خوري (١٩٨٣) وديوري (Duri, 1987). انظر أيضاً مقالات حوراني (١٩٨١)، ص ١٧٩، ١٩٣، بالإضافة إلى خوري (١٩٨١ و ١٩٨٢).
- ^٧ أنطونيوس (١٩٦٥)، ص. ٩٠.
- ^٨ طيباوي (١٩٧١)، ص ٩٢. حول الانتقال من القومية الثقافية إلى السياسية، انظر أيضاً روح (Hroch, 1968).
- ^٩ أنطونيوس (١٩٦٥)، ص ٧٥ وما يتبع. بشكل عام حول المجتمعات السياسية العربية حتى ١٩١٤ هارتمان (Hartmann, 1914)، ص ٤٣٩ وما يتبع، وبشكل خاص حول نشوء القومية العربية والروابط الأخرى لجمعية بيروت السرية شتيتات (Steppat, 1969)، ص ٦٣١ وما يتبع.
- ^{١٠} طيباوي (١٩٧١)، ص ١٠٤.
- ^{١١} حول أهمية القومية العربية والمسألة المتعلقة بواقع عالم عربي بمفهوم الوطن العربي، والأسس التي تقوم عليها أمة عربية. ردونسون (١٩٧٢)، ص. ٤٥٣، وحول العروبة ص. ٥٨٧ وما يتبع.

^{١٢} كبيسي (١٩٧١)، ص ٤٩.

^{١٣} حول الأفغاني وعبدو بشكل محدود ومختصر حوراني (١٩٨٣)، ص ١٠٩، انظر أيضاً بيتر (Buettner, 1969). وكمؤثر آخر يورد حبش (١٩٨٨)، ص ١٠٩:

“... *al-Urwa al-wuthqa*’ (modeled on the secret pan-Arab association of the early twentieth century, formed against the Young Turks)...”.

^{١٤} مقابلة مع جورج حبش بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٧٩:

“Al-Urwa was a cultural society at AUB, but it was clear at that time, that we could take up various types of activities under its name”.

^{١٥} حوراني (١٩٨٣)، ص ٣٠٩. زريق نفسه كان طالباً في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث أنهى دراسته العام ١٩٢٨. وبعد نيل إجازة الدكتوراه من برنستون (Princeton) العام ١٩٣٠، عاد إلى بيروت لتدريس التاريخ هناك. وبعد فترة قصيرة من النشاط الدبلوماسي ١٩٤٥-١٩٤٧ (في السفارة السورية في الولايات المتحدة بالإضافة إلى الأمم المتحدة)، أصبح نائباً للرئيس في الجامعة الأمريكية. ثم بعد مضي فترة ثلاث سنوات كرئيس لجامعة دمشق، عاد إلى الجامعة الأمريكية ليعمل كرئيس لها في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٤-١٩٥٦. انظر ويندر (Winder, 1956) ص VII، وشتييات (١٩٨٨)، ص ١٣.

^{١٦} كبيسي (١٩٧١)، ص ٥٨. انظر حبش (١٩٨٨)، ص ١٠٦.

“... I found myself among about forty students who met with Dr. Qusti Zurayk, who had a very clear view of how such a counter-plan should look. This history-professor we greatly admired for his lectures on Arab nationalism and the Zionist danger”..

^{١٧} زريق (١٩٧٨)، ص ١٢٢، أورده مترجماً هب (١٩٨٥)، ص ٢٦.

^{١٨} شتييات (١٩٨٨)، ص ١٣.

^{١٩} هذه الفجوة في البحث يجب عدم إغفالها. فبعد الدراسات التي أجراها طيبي (١٩٧١) وكليفاند (Cleveland, 1971) حول ساطع الحصري، استوجب أيضاً منح التقدير لأعمال زريق من خلال القيام بأبحاث مماثلة. انظر رسالة الماجستير غير المنشورة في الجامعة الأمريكية، بيروت من سكودر (Scudder, 1971)، ص ١٥٣، طيبي (١٩٧٠)، ص ١٦٠، ت.ي. إسماعيل (١٩٧٦)، ص ٣، بالإضافة إلى المراجعة الناقدة حوراني (١٩٤٩). وحتى بعد ظهور الكتاب التذكاري لزريق، نشابة (١٩٨٨) بقيت هذه الفجوة، وقد برزت بشكل أوضح، قائمة على الرغم من المساهمات المهمة والمحفزة التي قدمها رودنسون، ص ٣، شتييات، ص ١٢، دجاني، ص ١ (في الجزء المنشور باللغة العربية) بالإضافة إلى ثبت المراجع الملحق بالآثر.

^{٢٠} انظر رودنسون (١٩٨٨)، ص ٩، "لذلك على المرء أن يجل زريق بشكل خاص كونه تمتع بالشجاعة التي مكنته من التعرض في معنى النكبة للسؤال الأساسي المتعلق بالنواقص الداخلية للمجتمع العربي".

^{٢١} زريق (١٩٤٨)، ص ٣١، انظر أيضاً ص ٢٨. استشهد هنا وفي ما يلي من النسخة الإنجليزية (١٩٥٦) ص ٢٤.

^{٢٢} زريق (١٩٥٦، النسخة الإنجليزية)، ص ٢٧.

^{٢٣} المصدر نفسه، ص ٣٨.

^{٢٤} المصدر نفسه، ص ٤٣ وما يتبع.

^{٢٥} حول النقد الموجه إلى زريق انظر طيبي (١٩٧٠)، ص ١٦٠، إسماعيل (١٩٧٦)، ص ٣، بالإضافة إلى رودنسون (١٩٨٨)، ص ٦، انظر أيضاً شتييات (١٩٨٨) ص ١٦، مع ذكر الانتقادات التي مارسها ناجي علوش، نديم البيطار، وبسام طيبي.

^{٢٦} العروة ١٦، ٢ (كانون الثاني ١٩٥١)، ص ٢٢.

^{٢٧} العروة ١٤، ٣ (ربيع ١٩٤٩)، ص ٤. في ترجمة حرة.

^{٢٨} حبش (١٩٨٨)، ص ١٠٩.

- ^{٢٩} مقابلة مع جورج حبش بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٧٩، مع أبو ماهر ٢٨ تموز ١٩٧٨، وأبو عدنان ٢٥ آب ١٩٧٨.
- ^{٣٠} **العروة ١٨**، ١ (تشرين الثاني ١٩٥٢)، ص ٥٩-٦١، العروة ١٤، ٢-٤ (شباط، نيسان وحزيران ١٩٤٩)، انظر أيضاً كزيجا (١٩٧٥)، ص ١٩.
- ^{٣١} **العروة ١٨**، ٤ (آذار ١٩٥٣)، ص ١٦-١٩، في مقال لحامد الجابوري حول انقلاب الضباط الأحرار في مصر.
- ^{٣٢} العلمي (١٩٤٩)، ص ٣٧٣-٤٠٥. في هذا الشأن مؤخراً حوراني (١٩٨٨)، ص ٣٨-٤١.
- ^{٣٣} كبيسي (١٩٧١)، ص ٥٩-٦٢. كتاب علي ناصر الدين الذي أثر على القوميين اللاحقين، بشكل قوي جداً، كان: **النار ومحو العار**. من خلال هذا الكتاب استلهم القوميون في مفرداتهم مفهوم النار.
- ^{٣٤} كبيسي (١٩٧١)، ص ١٢٠. حول الحمائية (مذهب الحماية) **العروة ١٧**، ٢ (شباط ١٩٥٢)، ص ٢٦، ٢٩.
- ^{٣٥} **العروة ١٨**، ٢ (كانون الأول ١٩٥٢)، ١٤-١٩. حول تقدير زريق خلافاً لناصر الدين انظر رودنسون (١٩٨٨)، ص ٩، وشتيبات (١٩٨٨)، ص ١٨.
- ^{٣٦} كبيسي (١٩٧١)، ص ٦٠.
- ^{٣٧} حبش (١٩٨٨)، ص ١١٠.
- ^{٣٨} حبش (١٩٨٨)، ص ١١٠.
- ^{٣٩} هب (١٩٨٥)، ص ٢ وما يتبع. انظر أيضاً كبيسي (١٩٧١)، ص ٣٠.
- ^{٤٠} كبيسي (١٩٧١)، ص ٣١. حول دور المكائد السياسية العربية، ونقاط التقاطع مع كتائب الفداء، انظر سيل (Seale) (١٩٦٥)، ص ٩٨. إلا أن أساس المصادر جميعها والمتعلق بهذا الموضوع يبقى ضعيفاً جداً ليتألف فقط من المقابلات، بالإضافة إلى المعلومات التي ظهرت خلال المحاكمة بعد الاعتداء على الشيشكلي. انظر المقال الصحافي والمروني بشكل فاضح لبنى موريس (Benny Morris) في *Jerusalem Post* بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٨٨. ص ١.
- ^{٤١} كبيسي (١٩٧١)، ص ٥٣. انظر أيضاً هب (١٩٨٥)، ص ٥، وبني موريس (الحاشية السابقة).
- ^{٤٢} مقابلة كبيسي مع هاني الهندي، الاستشهاد أورده كبيسي (١٩٧١)، ص ٣٧.
- ^{٤٣} الهندي في: كبيسي (١٩٧١)، ص ٣٧.
- ^{٤٤} من عرضي، يبدو واضحاً أن الخط التقليدي للقوميين، الذي يقودنا إلى المخيمات الفلسطينية، قد جاء في المرتبة الثانية بعد تقليد طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت. انظر في المقابل الصورة التي ترسمها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العام ١٩٧٨ لنفسها، حيث التمجيد والتجميل التاريخي، وذلك من خلال الناطق باسمها، في ذلك الوقت، بسام أبو شريف (في مقابلة معه في ٢ حزيران ١٩٧٨):
- “The ANM as it started, organizationally and politically, was in fact the result of a ‘marriage’ between two main things: the mass-movement in the camps among the newly emigrated Palestinians of Palestinians who were pushed out of Palestine, and ideas that were developed by a group of educated people who realized after ١٩٤٨, that the Arab awakening should revolve around a pivotal point, the liberation of Palestine, who also reached the conclusion that in order to liberate Palestine changes in the Arab World should take place, unity, and then we can defeat the Zionist structure in Palestine”.
- ^{٤٥} ايمرسون (١٩٦٨)، ص ٤٥.
- ^{٤٦} هب (١٩٨٥)، ص ٦، يشير إلى "سرعة تعلم المجموعة المحيطة بحبش"، "استعدادها في مبادلة مع القوى السياسية الأخرى القريبة منها لإعادة النظر في مواقف وأساليب وحتى تعديلها بسرعة".
- ^{٤٧} الأدب المتعلق بالقوميين ليس واسعاً كثيراً، فأمامنا دراستان لعضوين سابقين في حركة القوميين العرب: الأولى لكبيسي (١٩٧١)، العضو القيادي في حركة القوميين العرب، ولاحقاً الجبهة الشعبية (اغتيال في باريس العام ١٩٧٢ على أيدي وحدة إرهاب إسرائيلية، انظر ستيفن (Steven) (١٩٨٠)، ص ٢٧٠. بالإضافة إلى كزيجا (١٩٧٥)، الذي كان أيضاً عضواً في حركة القوميين العرب، إلا أنه كان أقرب إلى الاتجاه الذي قاد لاحقا

إلى تشكيل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وقد ترك كزيجة السياسة في سنوات الستينيات ليُدْرَس، منذ ذلك الحين، في إحدى الجامعات العربية. فمظاهر العطف والتشيعات الحزبية التي كانت قائمة تنعكس في التفسير، وفي اختيار المواضيع المطروحة في هذين العملين. تضاف إلى ذلك الدراسات الإسرائيلية التي قام بها كوهين (Cohen, 1980)، الذي تيسر له الإطلاع على وثائق للمخابرات الأردنية كانت غير معروفة حتى ذلك الحين. وميشال (Mishal, 1978)، الذي، وإن كان يركز على مسألة الهوية السياسية للفلسطينيين في الضفة الغربية، إلا أنه يتعرض في هذا الإطار للأحزاب والحركات التي كانت موجودة هناك أيضاً. فهو محفز جداً بالنظر إلى مجموعة المسائل المتعلقة بالقومية العربية في مقابل الوطنية الفلسطينية. وعلى درجة من الأهمية وذات دلالة كبيرة، تبقى أعمال كوستنر (Kostiner, 1981 and 1984) حول التطور في جنوب اليمن، ودور القوميين فيه. ويجدر أخيراً ذكر سليمان (١٩٦٧)، ص ١٥٥-١٧٢، حول لبنان والنشاطات التي مارسها القوميون هناك.

ويتوفر باللغة الألمانية مقالان قصيران لـ هب (1978, 1982a)، يوفران مدخلاً محكماً ونظرة شاملة حول تطور القوميين. وفي العام ١٩٨٥، قدم هب، في دراسته الخاصة بالحصول على شهادة الأستاذية، العرض الشامل الأول لحركة القوميين العرب، بالإضافة إلى نشاطهم في الدول العربية في الحقبة الزمنية ١٩٤٨-١٩٧٥. كما قيّم أيضاً السيرة الذاتية لحبش (فؤاد مطر، لندن، ١٩٨٤، بالعربية) التي لم تيسر لدي.

واستند في هذا الفصل إلى المنشورات السرية لحركة القوميين، وإلى الصحف الرسمية للحركة، والوثائق بالإضافة إلى المقابلات المتعددة مع أعضاء قياديين في الحركة، والتنظيمات التي تفرعت عنها. أما الأوراق الداخلية التي قام كل من كبيسي وكزيجة بتقييمها، فلم يتيسر لي الاطلاع عليها. كذلك الأمر بالنسبة لمجموعة الوثائق الداخلية لحركة القوميين التي يستدل بها كزيجة في دراسته التي من المفترض أنها كانت موجودة في جامعة بيروت العربية. فقد اختفت في خضم الفوضى التي سادت أثناء الحرب في لبنان.

^{٤٨} مقابلة مع حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٤٩} افتتح جيش عيادة خاصة في عمان، في حين وجد حداد مكاناً في مستشفى مسيحي. (العروة ١٨، ١، تشرين الثاني ١٩٥٢، ص ٥٩) انظر كزيجة (١٩٧٥)، ص ٣، بالإضافة إلى المقابلات مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨، وأبي عدنان، ٢٥ آب و ٢ أيلول ١٩٧٨.

^{٥٠} مقابلة مع حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٥١} حول ذلك وما يلي بطاطو (١٩٧٨)، ص ٢٩. ١. كما يقدم أيضاً تصنيفاً للانتماء الديني يفترض، على أساسه، أن الأسطورة التي تتحدث عن مسيحية أو سيطرة العنصر المسيحي على حركة القوميين أو لاحقاً الجبهتين الشعبية والديمقراطية، قد ذهبت إلى غير رجعة. فمن بين أحد عشر عضواً قيادياً، كان هناك اثنان مسيحيان فقط والباقي من المسلمين. انظر في ذلك أيضاً نسخ العروة في السنوات ١٩٥٢ و ١٩٥٣، بالإضافة إلى كبيسي (١٩٧١)، ومقابلة مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨.

^{٥٢} وهنا نجد أنفسنا مضطرين لعقد مقارنة مع حركة نارودينكي الروسية التي قامت هي الأخرى بتجنيد قياداتها من فئة المثقفين "الإنتلجنسيا"، كما أنها سبقت حركة القوميين العرب في محاولتها للوصول إلى الشارع بعقود. فميزات الإنتلجنسيا الروسية في نهاية القرن التاسع عشر تنطبق، إلى حد كبير، على الطلاب القوميين في الجامعة الأمريكية: "الشيء الذي ميز الإنتلجنسيا، كان وقوفها في معارضة متطرفة ضد القيصرية. إن كونها قوة ثورية مضادة في مواجهة ما كان، وامتلك اعتباراً رسمياً. وهنا من الممكن أن تلتقي عواطف رومانسية اجتماعية وشعبية التبجيل الذي يسمو فوق كل نقد للشعب الذي وُعد بالخدمة، مع يقين ذاتي نخبوي عالي الدرجة". جير (Geyer, 1985)، ص ٢٠٨.

^{٥٣} مقابلة مع حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٥٤} كبيسي (١٩٧١)، ص ١٢٠.

^{٥٥} المصدر نفسه، ص ١١٧.

^{٥٦} مقابلة مع حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٥٧} يعتقد حبش أنه في هذا المؤتمر، تم اعتماد اسم حركة القوميين العرب بدلاً من الاسم الذي ظل مستخدماً حتى ذلك الحين "الشباب القومي العربي":

"The first name we worked under was حركة الشباب القومي العربي. I think we worked under this name in 1953/1954. The first time that all cadres from all our branches met was in 1956. We call this the first conference... Maybe it was at that time that we began to use officially the name".

مقابلة مع حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩، ويبدو ذلك معقولاً على ضوء مقارنة كل المعلومات المتيسرة في هذا الخصوص.

^{٥٨} الرأي (دمشق)، ٣ كانون الثاني ١٩٥٥، الافتتاحية ص ١.

^{٥٩} انظر في ذلك المراجعة النقدية لفلورس (Flores, 1980a)، ص ٥٧-٨٤، وبخاصة ص ٦٥-٦٦.

^{٦٠} مقابلة مع حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٦١} انظر كيبسي (١٩٧١)، ص ١٥٦.

^{٦٢} مقابلة مع حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٦٣} حتى تشرين الأول ١٩٥٤، اعتادت الثار أن تصدر كل أسبوعين، ومن تشرين الثاني ١٩٥٤ وحتى توقفها عن الصدور في أيار ١٩٥٨، مع بداية الحرب الأهلية في لبنان، أسبوعياً.

^{٦٤} في السنة الأولى لظهور الثار يتم الحديث بلا انقطاع عنها، ثم تظهر العام ١٩٥٤ الوحدة مقرونة بالثار على شكل شعار (٣ حزيران ١٩٥٤). وفي (العام ١٩٥٥)، وللمرة الأولى، يستخدم الشعار كاملاً (٢٧ كانون الثاني ١٩٥٥). وفي العام ١٩٥٦ (١٢ كانون الثاني ١٩٥٦)، على شكل وحدة، ثار، تحرير. ومنذ هذا التاريخ، يظهر الشعار بشكل منتظم في نهاية المقال الافتتاحي. أما في ما يتعلق بالجدل المتضمن فهو موجود منذ البداية في الثار.

^{٦٥} الثار، ١٨ كانون الأول ١٩٥٢، عدد خاص، ص ٤. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٦٦} المصدر نفسه، ١٥ أيار ١٩٥٣.

^{٦٧} المصدر نفسه، ١٨ حزيران ١٩٥٣. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٦٨} المصدر نفسه، ٤ كانون الأول ١٩٥٢.

^{٦٩} المصدر نفسه، ٤ كانون الأول ١٩٥٢. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي). حول تهمة الفاشية، انظر إبراهيم (١٩٧٠)، ص ١١. انظر أيضاً دينر (Diner, 1980)، ص ١١٨-١٣٦. أما السؤال عما إذا كانت الصورة التي تمتلكها تنظيمات المقاومة الفلسطينية عن العدو تتضمن عناصر ذات ملامح فاشية، فتتم الإجابة عنه، حسب رأيي، بعد أن يسبقه توضيح للمفاهيم. فنحن بصدد مشكلة تتعلق بمفاهيم نشأت في سياق تاريخي-أوروبي محدد، واتخذت لها معنى تاريخياً-مضمونياً يتناسب مع ذلك السياق، يتم إسقاطها على وضع مختلف كلياً من ناحية تاريخية-بنائية (historical-structural). إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن زريق قد ميز في حينه (١٩٤٨) بين اليهود والحركة أو الأيديولوجية الصهيونية. في المقابل، رفض القوميون، وبشكل صريح، هذا التمييز كونه خاطئاً. فالعدو بالنسبة لهم لم يتمثل فقط في صورة الصهيونية أو إسرائيل الصهيونية فحسب، وإنما في اليهود بشكل عام. من جهة أخرى، وجدت هذه الظاهرة ملحاً لها في تعريف السكان اليهود في إسرائيل لأنفسهم كيهود، كصهاينة أو كإسرائيليين من غير أن تكون هناك (مفارقات في المفهوم). كذلك تم على المستوى الأيديولوجي استيعاب كل اليهود خارج إسرائيل دونما تمييز.

وحول العداء للسامية، بالإضافة إلى طبيعة الصراع في فلسطين، والأشكال التي اتخذها، انظر شلايفر (Schleifer, 1972)، ص ١٣٤، ولاحقاً دينر (Diner, 1982)، الذي، حسب تقديري، كان الأكثر وضوحاً في إبرازه للعنصر الأساسي والمتمثل في الاختلاف الكلي بين وضعية الصراع في أوروبا أو ألمانيا الفاشية، ووضعيته في فلسطين. وبشكل مشابه لذلك، يحاجج رودنسون إثارة بلا انقطاع.

^{٧٠} الثار، ٧ حزيران/يونيو (١٩٥٦)، ص ٦.

^{٧١} انظر في هذا الشأن مجموعة أعداد **النَّار** بتاريخ ٧، ١٤، ٢٨ حزيران و٥ تموز ١٩٥٦ تحت عنوان "معنى النَّار"، في إشارة واضحة إلى معنى النكبة الذي استخدمه زريق.

^{٧٢} على سبيل المثال **النَّار**، ٩ نيسان ١٩٥٣، وبشكل عام ٤ حزيران ١٩٥٣، ١٠، ٢٤ آذار ١٩٥٥، بالإضافة إلى ١٢ نيسان ١٩٥٦ حول غزة، ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٥ حول الحولة، ١٥ شباط ١٩٥٥ حول سوريا. انظر دينر (Diner, 1980)، ص ١١٨، بلاسكوف (Plascov, 1981)، ص ٧٣.

حول حقيقة سياسة التوسع الإسرائيلية، انظر تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت، أرئيل شارون، في كانون الأول ١٩٨١ في تل أبيب حول المصالح الإستراتيجية لإسرائيل التي تمتد، حسب شارون، من الباكستان حتى أواسط إفريقيا. انظر مقابلة أوريانا فلاسيس (Oriana Fallaci) مع شارون، *Times* (لندن)، ٣٠ آب ١٩٨٢، ص ٥. انظر أيضاً الجدل المعاصر ١٩٨٩ حول تعاون إسرائيل مع جنوب إفريقيا في تطوير صواريخ عابرة ذات رؤوس نووية في: *NBC* ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٩، في *Washington Post* من ٢٦ تشرين الأول ١٩٨٩، بالإضافة إلى *Jerusalem Post* ابتداءً من ٢٧ تشرين الأول ١٩٨٩.

^{٧٣} **النَّار**، ١٥ أيار ١٩٥٣. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٧٤} **النَّار**، ٣، ٢١ كانون الأول ١٩٥٣، ٢٠ أيار، ١٥ تموز، ٩، ٢٣ أيلول، ٧ تشرين الأول ١٩٥٤ ... الخ.

^{٧٥} **النَّار**، ١٦ تموز ١٩٥٣. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٧٦} كعرض شامل لذلك، جاباي (Gabbay, 1959)، بشكل خاص للصفة الغربية بلاسكوف (Plascov, 1981)، للبنان ر. صايغ (١٩٧٩).

^{٧٧} **النَّار**، ١٦ شباط ١٩٥٦. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٧٨} انظر **النَّار**، ٧ نيسان، ٢٣ حزيران، ٣٠ حزيران، ٢١ تموز، ١٥ أيلول ١٩٥٥، ٣٠ آب، ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٦ وحول لبنان بشكل عام انظر ر. صايغ (١٩٧٩).

^{٧٩} **النَّار**، ١٠ أيار ١٩٥٦.

^{٨٠} مقابلة مع حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٨١} هوتشيزون (Hutchison, 1956)، دينر (Diner, 1980)، بلاسكوف (١٩٨١)، بالإضافة إلى آخر كتابات موريس (١٩٩٠)، أحد المؤرخين الإسرائيليين الجدد.

^{٨٢} "لم يكن سوى ديان بعينه، الذي عبر كقائد للأركان -وبمنتهى الوضوح- عن منطق الإبراز هذا، ومن ثم أيضاً عن السبب الذي يقف خلف الحوادث الحدودية: دعونا اليوم نكف عن لعن القتل؟ ماذا نعرف عن كراهيتهم الشديدة لنا؟ لقد كتب عليهم العيش منذ ثماني سنوات في مخيمات للاجئين في قطاع غزة. في الوقت الذي كنا فيه نقوم -وربما تحت أنظارهم- بجعل تلك الأرض التي سكنوها وأجدادهم أرضاً لنا. لماذا لا نقوم اليوم بتقديم كشف (بذلك). نحن مجتمع استيطاني، لا يمكنه زرع شجرة ولا بناء بيت من غير خوزة أو بندقية. هذا التفهم الذي عبر عنه ديان نحو المنطق الذي أبرزه، ما كان له ليدفع باتجاه تخلي الإسرائيليين عن عملية سلب الأرض، وما يترتب على ذلك، بل أضحي يصب في وعي صليبي هلاكي الطابع، يستهلك "سياسة انتقام" تقوم على الاستخدام اللامحدود للعنف، وليغدو ذلك الضمانة الوحيدة للحدود وبالتالي للدولة". (Diner, 1980)، ص ١٢١ وما بعدها.

^{٨٣} دنير (١٩٨٠)، ص ١٢٥.

^{٨٤} دنير (١٩٨٠)، ص ١٢٥.

^{٨٥} **النَّار**، ٤ حزيران ١٩٥٣. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٨٦} **النَّار**، ١٠ أيلول ١٩٥٣. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٨٧} دنير (١٩٨٠)، ص ١٧٩.

^{٨٨} بار-زوهار (Bar-Zohar, 1978)، ص ٢٠٤.

^{٨٩} بار-زوهار (١٩٧٨)، ص ٢٠٤. انظر أيضاً عرض شارون في سيرته الذاتية (١٩٨٩)، ص ٨٣-٩١.

^{٩٠} هوتشيزون (Hutchison, 1956)، ص ١٥٧.

^{٩١} بار-زوهار (١٩٧٨)، ص ٢٠٥.

^{٩٢} **الثأر**، ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٣ (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي)، مقارنة مع العملية الإرهابية الإسرائيلية التي حدثت بعد ذلك بعشرين عاماً، وذهب ضحيتها ثلاثة من قادة م. ت. ف، فخلال الهجوم الذي استمر ثلاث ساعات، بقي الجيش اللبناني مكتوف الأيدي. حول ذلك بيطران (Petran, 1987)، ص ١٤٤. انظر أيضاً التقرير والسجل العربي (بيروت)، Arab Report and Record، ١١ نيسان ١٩٧٣.

^{٩٣} **الثأر**، ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٣. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{٩٤} بار-زوهار (١٩٧٨)، ص ٢٠٥. م. ي. جي. (MEJ) ٨، ١ (١٩٥٤)، ص ٨٤-٨٥. انظر أيضاً بلاسكوف (١٩٨١)، ص ١٠٤، ١٠٠، ٩٤. العام ١٩٥٥، تم التوصل إلى اتفاق بين الحكومتين الأردنية والإسرائيلية للعمل معاً على إبقاء منطقة الحدود هادئة. ومن أجل هذا الغرض أنشئت خطوط اتصال مباشرة بين الضباط المسؤولين على الجانبين. انظر م. ي. جي. ٩، ٣ (١٩٥٥)، ص ٣١٩.

^{٩٥} بشكل شديد الوضوح في **الثأر**، ١٥ أيار ١٩٥٥.

^{٩٦} من المفترض أنه كان قد وجد في سوريا العام ١٩٥٩ أقل من ٥٠ عضواً. في المقابل، كان هنا في دمشق وحدها العام ١٩٦٣، جسيماً يزعم، ٨٠٠ عامل منظم. في حين كان عدد أعضاء الحركة في العراق حتى ١٩٥٩ حوالي الثلاثين عضواً بالإضافة إلى مائتي مناصر. ومن المفترض أن الحركة في العراق أصبحت أكثر قوة فقط في العام ١٩٦٣. معطيات مستقاة من مقابلات مع حواتمة، ١٤ تموز ١٩٧٩، وأبي فارس، ٢٤ آب ١٩٧٨. انظر كزيجا (١٩٧٥)، ص ٤١، قيسي (١٩٧١)، ص ١١٦، بطاطو (١٩٧٨)، ص ١٠٣٠.

^{٩٧} كزيجة (١٩٧٥)، ص ٣١، مقابلات مع أبي عدنان ٢٥ آب ١٩٧٨، وأبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨.

^{٩٨} هب (١٩٨٥)، ص ٢١-٢٣، بالإضافة إلى كيسي (١٩٧١)، ص ٨٩.

^{٩٩} هنتنجتون (Huntington, 1986)، ص ٢٣٩، انظر ايمرسون (Emmerson, 1968).

^{١٠٠} مقابلة مع حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩. الإبراز من المؤلف.

^{١٠١} انظر العروة، ١٨، ٤ (آذار ١٩٥٣)، ص ١٦-١٩.

^{١٠٢} حول السياسة الخارجية لعبد الناصر، انظر كمبيل (Campbell, 1960)، لف (Love, 1969)، سفران (Safran, 1978)، جاكسون (Jackson, 1983). أما نقد القوميين فيظهر في **الثأر**، ٢٢ آب و٧ تشرين الأول ١٩٥٤، ٢٧ كانون الثاني و٣ شباط ١٩٥٥.

^{١٠٣} كزيجة (١٩٧٥)، ص ٥٧. **الثأر**، ١٢ آب ١٩٥٤، كزيجة (١٩٧٥) ص ٩٥.

^{١٠٤} **الثأر**، ٦ تشرين الأول و٣ تشرين الثاني ١٩٥٥. الرأي، تشرين الأول ١٩٥٥، استشهاد أورده كزيجة (١٩٧٥)، ص ٩٥.

^{١٠٥} **الثأر**، ١٠ آذار، ١٦ حزيران، ٢٣ حزيران و٨ أيلول ١٩٥٥. حول قضية فدائيي غزة، انظر يعاري (١٩٧٥) ودينر (١٩٨١)، ص ١٣٢-١٣٦. ويستنتج يعاري اعتماداً على ملفات الشرطة المصرية أن عبد الناصر كان قد أغلق الحدود مع إسرائيل، قدر المستطاع. إلا أن الهجوم الإسرائيلي على غزة في شباط ١٩٥٥ قد دفع بعبد الناصر إلى تحريك هجمات فدائية مضادة، فقط تحت السيطرة المصرية. وحتى مصطفى حافظ الذي أطلق عليه الفلسطينيون لقب "بطل الفدائيين" (مقابلة مع كادر فتحاري متوسط رفض الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨) لم يكن في الحقيقة مهتماً سوى بضمان أمن الحدود، والسيطرة على الفدائيين الفلسطينيين. حول المعارك في غزة م. ي. جي. ٩، ٣ (صيف ١٩٥٥)، ص ٣٠٩، ٣١٧ وما يتبع.

^{١٠٦} **الرأي**، ٨ آب ١٩٥٥.

^{١٠٧} يعاري (Ya'ari, 1975) (١٩٧٥)، ص ١٦، دينر (١٩٨٠)، ص ١٣٣.

^{١٠٨} الثَّار، ١٢ أيار ١٩٥٥.

^{١٠٩} هُب (١٩٨٥)، ص ٣٩. حول العدوان الثلاثي لف (Love, 1970)، ص. ٤٨١، بيرنز (Burns, 1962)، ص ١٧٧-١٨٥.

^{١١٠} الرَّأي، ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٥. انظر أيضاً الكاريكاتير الذي ظهر في عدد ٣١ كانون الثاني ١٩٥٥، حيث نَمِيز صورة لحلقة دراسية معقودة في الجامعة الأمريكية-بيروت: "موضوع الدرس: تحالفات. التحالفات هي ضرورة وطنية. من يرفضها، يطرد من الجامعة". انظر أيضاً كبيسي (١٩٧١)، ص ٧٦، وم.ي. جي ٩،٢ (ربيع ١٩٥٥)، ص ١٧١.

^{١١١} مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص. ٣٩.

^{١١٢} الثَّار، ١٦ آب، ٢٣ آب و١٣ أيلول ١٩٥٦.

^{١١٣} الثَّار، ١٣ أيلول ١٩٥٦.

^{١١٤} الثَّار، ٨ آذار ١٩٥٦. حول عزل كلوب (Glubb)، انظر أيضاً وجهة نظره الخاصة في كلوب (١٩٥٧) و(١٩٨٤).

^{١١٥} الرَّأي، ٢٩ نيسان ١٩٥٧، ص ١٥ تحت عنوان قرارات المؤتمر. (تمت ترجمة هذا الاقتباس عن الترجمة الألمانية، وذلك لعدم توفر النص العربي).

^{١١٦} كبيسي (١٩٧١) ص ٨٢، ٩٦. هناك مؤشرات عدة إلى أن حركة القوميين العرب استغلت بأشكال مختلفة كأداة لِبسط النفوذ السياسي الناصري في المنطقة.

^{١١٧} هيب (١٩٨٥)، ص ٦٠-٦٧، وبشكل عام حول هذه المرحلة كير (Kerr, 1971)، ط ٣.

^{١١٨} مقتبس حسب كولي (١٩٧٣)، ص ١٣٦.

^{١١٩} صعب (١٩٦٧)، ص ٢١.

^{١٢٠} هيب (١٩٨٥)، ص ٧٢، مصلح (١٩٧٦)، ص ١٣٨.

^{١٢١} هيب (١٩٨٥)، ص. ٧٣، (٢٤-٣٠) ٤٢٩ Jeune Afrique آذار ١٩٦٩، ص ٥٠-٥٣، هنا ص ٥٢.

^{١٢٢} عبد الناصر، جمال (١٩٦٥)، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، المجلد الثالث، القاهرة. ص ٥٦٦. شكر خاص للزميل المرحوم (Hoepp) للفت انتباهي لهذا الكتاب.

^{١٢٣} مقتبس حسب (١٩٨٥)، ص ٧٤.

^{١٢٤} مقتبس حسب (١٩٨٥)، ص ٧٦.

^{١٢٥} مقتبس حسب (١٩٨٥)، ص ٧٦.

^{١٢٦} مصلح (١٩٧٦)، ص ١٣٨.

^{١٢٧} انظر في هذا الشأن (١٩٨٥)، بالإضافة إلى كزيجة (١٩٧٥).

^{١٢٨} مقابلات مع حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩، أبو ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨، أبو عدنان ٢٥ آب ١٩٧٨، تيسير قبعة ٢٨ آب ١٩٧٨. انظر كزيجة (١٩٧٥)، ص ٨٣.

الفصل الثالث

حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"

حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح "

أولاً: نشوء حركة " فتح "

في نهاية الخمسينيات، وعلى الأغلب العام ١٩٥٨ بالذات،^١ شكلت مجموعة من الفلسطينيين، ممن قدموا للعمل في الكويت، حركة سياسية نذرت نفسها بالأساس لتحرير فلسطين، وحملت اسم حركة تحرير فلسطين أو " فتح "، وهي الأحرف الأولى للعبارة السابقة، ولكن بشكل معكوس. وقد بقي هذا التنظيم، الذي تمكن خلال سنوات قليلة من أن يصنع تاريخاً، فيما يتعلق بالقصة الحقيقية^٢ لنشوئه إلى حد ما، غامضاً.

وحتى الآن ليست هناك وثائق متيسرة تغطي الفترة التي سبقت العام ١٩٦٢ أو العام ١٩٦٥. الذكريات الشخصية لأبي إياد بالإضافة إلى ياسر عرفات وأبي جهاد فقط هي التي تلقي بعض الضوء على " فتح " في سنواتها الأولى.^٣ أمّا الاستثناء الوحيد فقد شكلته جريدة " فتح " الأولى فلسطيننا التي اعتادت أن تصدر في بيروت في الفترة ما بين ١٩٥٩-١٩٦٤. هذه الجريدة وعلى الرغم من كونها غير شرعية، فإنها كانت تحمل اسم الناشر والطابع وحقوق الطبع. ومن هنا استوجب، وبشكل مكمل لهذه المصادر المكتوبة، الاستعانة بمقابلات مع معاصرين ممن شاركوا منذ البداية،^٤ وذلك حتى يمكن، ولو بشكل أولي، رسم صورة لـ " فتح " في مراحلها الأولى.

وعلى الأغلب، فإن الأعضاء المؤسسين لـ " فتح " تألفوا من ياسر عرفات، وخليل الوزير، وسليم الزعنون، ويوسف عميرة، وعبد الله الدنان، وعادل عبد الكريم.^٥ وقد قام هؤلاء من طرفهم، وبسرعة، بترتيب اتصالات مع العمالة الفلسطينية في قطر، حيث تشكلت هناك خلية التفت حول محمد يوسف النجار، بالإضافة إلى عبد الفتاح إسماعيل، وكمال

عدوان ومحمود عباس. وفي السعودية حيث عمل خليل الوزير وقتاً قصيراً قبل مغادرته إلى الكويت، شكل كل من عبد الفتاح حمود (أبو صلاح) وأبو هشام خلية^٦. كما جرت، وفي وقت مبكر جداً اتصالات مع طلاب فلسطينيين في أوروبا الغربية. وقد تأسست الخلية الطلابية الأولى لـ "فتح" في ألمانيا، حيث كان هاني الحسن، وهائل عبد الحميد (أبو الهول) يدرسون الهندسة. بالإضافة إلى ذلك، تشكلت خلايا طلابية أخرى في النمسا وأسبانيا. وفي الكويت انطلق هذا التنظيم اليافع وبخطوات سريعة إلى الأمام: ففي العام ١٩٥٩ انتسب كل من صلاح خلف، وعلي الحسن، ورفيق النتشة إلى الحركة. بينما تبعهم في مطلع الستينيات خالد الحسن (أبو السعيد)، ومحمود مسودة (أبو عبدة)، ود. فتحي عرفات الشقيق الأصغر لياسر عرفات.^٧ وأخيراً، وإثر انفصال سوريا عن مصر، احتضنت "فتح" الشباب الفلسطيني الذي بدأ يترك البعث تبعاً يحركه شعور بخيبة الأمل.^٨

وقد شكلت الوطنية الفلسطينية المحددة القاسم المشترك الذي تجمع حوله أعضاء "فتح"، مخالفين بذلك التيار القومي الذي كان مسيطراً في ذلك الوقت. وقد امتلكت الاستمرارية التي بقيت قائمة بشكل لا يمكن تجاهله، على الرغم من كل التغييرات، والتجديدات وحتى التمزقات، بين الحركة الوطنية الفلسطينية في مرحلة ما قبل النكبة و"فتح" والمجموع المؤسسة الملتفة حول ياسر عرفات، أهمية قصوى في هذا الشأن، إذ برز على المستوى التنظيمي والأيدولوجي.

فعلى المستوى التنظيمي حصل التجمع الأول لطلاب فلسطين، جيل النكبة في إطار اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة (رابطة الطلاب الفلسطينيين) الذي كان قد أسسه عبد القادر الحسيني بطل الحركة الوطنية القديمة. وقد انتخب ياسر عرفات العام ١٩٥٢ رئيساً للاتحاد، وبقي محتفظاً بهذا المنصب حتى العام ١٩٥٦. ومن المفترض أن العلاقات الوثيقة بين اتحاد الطلاب والهيئة العربية العليا بزعامه الحاج أمين، الذي تربطه صلة قرابة بعيدة بعرفات، كما لعب بالتأكيد دور المرشد بالنسبة للاتحاد ورئيسه ومندوب حكومة عموم فلسطين في الجامعة العربية أحمد حلمي باشا، قد لعبت هنا دوراً مهماً، وبخاصة أن الاتحاد الطلابي، والهيئة العليا كانا قد شكلا الأطر المؤسساتية الوحيدة التي استطاع الفلسطينيون في القاهرة بعد العام ١٩٤٨ من خلالها ممارسة نشاطهم، والظهور بشكل منظم.^٩

ولم يتم فقط المحافظة على هذا التقليد التنظيمي، بل تم العمل على تعزيزه من خلال قوة الدفع الأيدولوجي التي اكتسبها. ففي هذه السنوات كانت الغالبية الساحقة من الطلاب الفلسطينيين قريبة أيدولوجياً من الإخوان المسلمين أو كانوا أنفسهم إخواناً. أما الاتصالات الأولى للإخوان في مصر مع فلسطين، فقد تمت عبر الحاج أمين في العام ١٩٣٥، إذ تم الاعتراف به ودعمه، وبشكل مطلق، باعتباره القيادة الشرعية

الفلسطينية العليا. ومن المفترض أن الحاج أمين، وبعد تأسيس أول فرع للأخوان في القدس في العام ١٩٤٥/١٩٤٦، قد "رشح لمنصب المرشد المحلي للأخوان في فلسطين. بالإضافة إلى ذلك تم تنصيبه ممثلاً رسمياً لحسن البنا، ومسؤولاً شخصياً عن نشاط الجماعة في فلسطين".^{١٠}

وينطلق الأخوان المسلمون في دعمهم لفلسطين من عقيدتهم الإسلامية. وفي هذا السياق من الأهمية الدينية الخاصة للأماكن الإسلامية المقدسة في القدس وفلسطين. في حين لعبت القومية العربية، والعداء للإمبريالية بالإضافة إلى الدفاع عن المصالح الوطنية المصرية ضد الاستعمار الإنجليزي والتوسع "اليهودي" وهو ما يتفق، إلى حد ما، مع محاولات الحاج أمين للنضال ضد الحركة الصهيونية، والانتداب الإنجليزي. كما استلهم الأخوان أيضاً، وبشكل كامل، الأهداف السياسية للحاج أمين، والحركة الوطنية في ما قبل ١٩٤٨: وقف الهجرة إلى فلسطين، فلسطين يجب أن تبقى عربية؛ عودة الحاج أمين، وكل المبشرين إلى فلسطين؛ الاستقلال لفلسطين عربية مسلمة.^{١١}

ومن الملفت للانتباه وجود تشابه بين سياسة الحاج أمين في فلسطين، وتلك التي اتبعتها الأخوان في مصر. فكلاهما لم يحاول حصر الجدل في النطاق الإسلامي، بل شملت دعواتهم مسيحيي مصر الأقباط من أجل دعم فلسطين في نضالها ضد "الباطل اليهودي"، و"الاضطهاد الإنجليزي"، و"يد الإمبريالية المجرمة، الوحشية".^{١٢} في حين لعب الصيت الذي تمتع به الأخوان، كمدافعين عن المصالح العربية والمسلمة في فلسطين دوراً في جذب عدد لا بأس به من السياسيين الفلسطينيين للانتساب كأعضاء في فرع الأخوان حديث النشأة العام ١٩٤٥. ومن المفترض أن مشاركة الأخوان في حرب ١٩٤٨، والدعاية الواسعة التي انتشرت حول هذا الموضوع، قد كان لهما دور المحفز في دفع الشباب الفلسطيني للعودة إلى الكفاح من أجل تحرير فلسطين عبر هذا التنظيم بالذات، وبخاصة أن الأحزاب والتنظيمات السياسية الأخرى لم تطرح أية بدائل مكتفية بالسلبية التامة. وبجانب القدس، فقد نشط الأخوان أيضاً في قطاع غزة، وذلك من خلال دعوتهم إلى الجهاد،^{١٣} الذي كان يفسر العام ١٩٤٨ على أنه الكفاح من أجل تحرير فلسطين، وهو ما تماثل معه كل الفلسطينيين دون مفارقة، سواء في بيروت، حيث بدأت القومية العربية تشكل نقطة انطلاق لهذا الكفاح، أم في قطاع غزة، حيث سيطر نوع من القومية طابعه ديني، وتوجهه فلسطيني.

إلا أن هذا الدنو من الأخوان، وحده، لا يوضح تماماً كيفية تجمع عمال فلسطينيين شباب العام ١٩٥٨ في الكويت، وانبثاق حركة سياسية جديدة عن ذلك. ومن غير ريب أنه لولا التقليد الأيديولوجي لوطنية فلسطينية مستقلة، تستند إلى أرض فلسطين وسكانها، بالإضافة إلى التجربة التاريخية لهذا الشعب وقيادته العام ١٩٤٨ لما كان لهذه النشأة التنظيمية الجيدة أن ترى النور. وفي الصدارة، وقفت هنا وجهة النظر الخاصة

للوطنيين الفلسطينيين فيما يتعلق بالنكبة. فعلى النقيض من قسطنطين زريق وتلاميذه القوميين، فسر هؤلاء النكبة من خلال الصراع بين الأنظمة العربية من جهة، والشعب الفلسطيني وقيادته من جهة أخرى. وعليه، فإن الأنظمة العربية كانت قد قامت بمنع الفلسطينيين، وبشكل مباشر، من الدفاع عن ديارهم ضد الهجمة الصهيونية، والكفاح من أجل استعادة أراض سبق احتلالها.^{١٤} ومن هنا، فإن الوضع الراهن لا يمكن تغييره إلا من خلال تنظيم كل الفلسطينيين في حركة فلسطينية مستقلة، وهو ما افترض من "فتح" القيام به.

لقد كان المبادرون للتأسيس إما أخواناً سابقين أو ممن تعاطف معهم، وذلك على غرار عرفات وأبو جهاد وأبو صلاح وأبو يوسف وأبو إياد وكمال عدوان ورفيق النتشة وعلي وهاني الحسن... الخ. فبعضهم كان قد تلقى علومه في القاهرة ونشط هناك في صفوف اتحاد طلاب فلسطين. في حين حارب آخرون مع الإخوان في غزة، وذلك في أعقاب الهجوم الإسرائيلي عليها العام ١٩٥٥، ثم في العام ١٩٥٦، وذلك أثناء العدوان الثلاثي وبعده، عندما رزح قطاع غزة أشهراً عديدة تحت الاحتلال الإسرائيلي.^{١٥}

أما المجموعة الثانية، فقد تألفت من وطنيين فلسطينيين مستقلين غلب عليهم الطابع الديني القومي (محمود عباس، وهائل عبد الحميد، ومن المحتمل أيضاً أن يكون بينهم سليم الزعنون، ونمر صالح... الخ).

في حين تشكلت المجموعة الثالثة من أعضاء في حزب التحرير الأصولي (خالد الحسن، ومحمود مسودة (أبو عبدة)، ود. فتحي عرفات... الخ). حزب التحرير هذا كان قد تأسس العام ١٩٥٢ في القدس على يدي الشيخ تقي الدين النبهاني، أحد التلاميذ السابقين للحاج أمين، وعضو الإخوان المسلمين حتى ذلك الحين. وقد طالب الحزب بتحرير العالم الإسلامي من الإمبريالية الغربية التي تقوم باضطهاده، وسرقة خيراته. إلا أنه ركز في نشاطه السياسي بشكل خاص على فلسطين والقدس، حيث الأماكن الإسلامية المقدسة، كما أن أغلب أعضائه المؤسسين كانوا من الفلسطينيين.^{١٦}

وقد تألفت المجموعة الرابعة والأخيرة من شباب فلسطين، الذي بقي حتى العام ١٩٦١ تقريباً محتفظاً ببعثيته في حزب البعث. ولم يسلك هؤلاء طريق القوميين، بل انطلقوا من أن البعث كحزب عربي قومي وجد أصلاً للنضال من أجل الوحدة العربية التي ستكون ثمرتها تحرير فلسطين.

وخلافاً للقوميين، فقد أدخل البعث، وفي وقت مبكر جداً، أفكاراً اشتراكية في عقيدته القومية. إلا أن ضعف فرص البعث في محاولاته للوصول إلى السلطة ليتسنى له العمل من أجل الوحدة العربية، بالإضافة إلى الدور البارز الذي بدأ يلعبه عبد الناصر، وليس أحد قادة البعث، كرمز للقومية العربية قد أعطى الفرصة لعملية التخلص من الأوهام،

ولتنتهي في أغلب الحالات بالانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة، دافعة بالكثير من الشباب البعثي الفلسطيني إلى تعليق عضويته إثرها، باحثاً عن فرص للعمل السياسي في مكان آخر.^{١٧}

ويبقى هناك سؤال بحاجة إلى توضيح: لماذا، وفي نهاية الخمسينيات بالذات، توقف عدد كبير من المهاجرين الفلسطينيين ممن عملوا في الكويت، وأماكن أخرى في الخليج عن الاستمرار في نشاطاتهم السياسية التي كانت قائمة حتى ذلك الحين، وذلك من أجل إنشاء، أو الانسحاب إلى حركة وطنية فلسطينية محددة؟

في العام ١٩٥٨ صادف مرور عقد من الزمن على إنشاء إسرائيل كدولة وطنية يهودية على أرض فلسطين. وفي هذه الأثناء كانت الدولة الفتية قد رسخت نفسها، كما نجحت، وإلى حد كبير، في مجابهتها للتحديات الجسام فيما يتعلق باستيعاب مئات الآلاف من القادمين الجدد، بالإضافة إلى إثباتها، وفي مناسبات عدة، تفوقها العسكري في المنطقة. وفي المقابل أيضاً، كان قد مر عقد على إقامة مخيمات الأورنوا للاجئين والمشردين الفلسطينيين، مستوعبة مئات الآلاف منهم في حالة انتظار، ومنذ ذلك الحين، للعودة إلى ديارهم وإلى عهد ما قبل النكبة. فالوطنيون العرب من مختلف الأصول والمصادر والحكومات العربية من كافة التوجهات عملت على طمأننتهم وباستمرار، بأن "الجولة" المقبلة في النضال ضد إسرائيل والصهيونية تقف على الأبواب، وليحسم هذه المرة لصالح العرب، بحيث ينبغي على الكيان الصهيوني أن يخلي مكانه لنقوم على أنقاضه دولة فلسطينية تقع في قلب الأمة العربية.

ومرة أخرى كانت إسرائيل هي المبادرة. فالاستعدادات لتحويل مجرى مياه نهر الأردن من خلال قناة تصل بحيرة طبرية بصحراء النقب من أجل استصلاح النقب لتمكين آلاف القادمين الجدد من العيش هناك أصبحت معروفة. وقد بوشر العمل في هذا المشروع الضخم بعد ذلك بوقت قصير وتم إنجازه في منتصف الستينيات. ورأى كثير من الفلسطينيين في ذلك ما يشبه الإنذار الأخير الذي يتطلب من جانبهم رداً فورياً. من جهتها، ردت الجهات العربية الرسمية بنقاشات ومخططات، ومؤتمرات جديدة ولكن شيئاً، باللموس، لم يحدث.^{١٨} وفي مقابل ذلك بدأت في لبنان وسوريا، وحيثما يوجد فلسطينيون، تنظيمات جديدة بالظهور، الواحدة تلو الأخرى تطرح جميعها تحرير الأرض من الاحتلال اليهودي-الصهيوني من قبل الفلسطينيين أنفسهم. فحرب التحرير الجزائرية شكلت بالنسبة لهم خير مثال. وفي هذا السياق تماماً يجب النظر إلى تأسيس "فتح".

وعلى النقيض من لبنان، وسوريا أو الأردن، فقد وقع الكويت على هامش المنطقة التي كانت واقعة تحت التأثير القومي-العربي الذي شكلت الناصرية مركز ثقله منذ العام ١٩٥٥/١٩٥٦.

ولم يكن ممكناً لفلسطينيي الكويت أن تفوتهم هذه الإشارة، فقد كان عليهم أن يدركوا، وبشكل نهائي، أن "ما حك جلدك مثل ظفرك"؛ فمنهم فقط يمكن أن تأتي المبادرة لشن هجوم ضد الدولة العبرية، وعليهم أن ينشطوا كفلسطينيين باسمهم وليس كأعضاء في أحزاب إسلامية كانت أم عربية-قومية.

وهذه بالذات كانت التجربة التاريخية للحاج أمين، وبشكل خاص في النكبة، التي ورثها إلى اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة وفي مقدمتهم ياسر عرفات. وقد تأكدت هذه التجربة مرة أخرى في أعقاب الخلاف الذي حدث بين عبد الناصر والحاج أمين في العام ١٩٥٨ حول أحقية القيادة في فلسطين، وبلغ ذروته في القطيعة النهائية التي حصلت بينهما العام ١٩٥٩. وقد كان عرفات وأبو جهاد أول من استلهم العبر اللازمة من ذلك، وذلك حين دعا في الكويت إلى إنشاء حركة تحرير فلسطينية مستقلة على غرار جبهة التحرير الجزائرية، وهو ما لقي آذاناً صاغية بين العمالة المهاجرة هناك. ثم كانت هناك التجربة العملية للحواجز العرقية غير القابلة للجسر بين الكويتيين والفلسطينيين التي قادت الآخرين في اتجاه وطنية فلسطينية جديدة.

ثانياً: التطور الأيديولوجي والتنظيمي حتى العام ١٩٦٣

في تشرين الأول العام ١٩٥٩ كان قد ظهر في بيروت العدد الأول من فلسطيننا، لسان حال "فتح" الأول الذي، ومن حيث الشكل، لم يكن يبدو، وللوهلة الأولى، كذلك. وقد حملت الصحيفة اسم فلسطيننا-نداء الحياة، في حين ظهر اسم الطرابلسي توفيق حوري كصاحب الامتياز. أما عنوان الجريدة المطبوع فقد كان يخفي خلفه صندوق بريد التنظيم الأصولي اللبناني عباد الرحمن الذي كان توفيق حوري أحد مسؤوليه. وقد بقي هذا التنظيم الذي اقترب أيديولوجياً من الإخوان المسلمين دون علاقة تنظيمية مشتركة، نشيطاً في بيروت على الأقل حتى العام ١٩٧٩،^{١٩} ومنذ صدورهما في تشرين الأول ١٩٥٩ وحتى توقفها عن الصدور في تشرين الثاني ١٩٦٤ اعتادت فلسطيننا أن تتضمن، وفي كل الأعداد تقريباً، مقالاً افتتاحياً بعنوان "رأينا"، ومختوماً بتوقيع "فتح"، وهو ما ميز فلسطيننا شكلاً كصحيفة لـ "فتح".

وفي صيف ١٩٥٩ أو بداية خريفه، انتدبت الحركة الفتية عرفات، وأبو جهاد إلى بيروت، وذلك في سياق البحث عن ناشر يقوم بإصدار الصحيفة الجديدة للحركة. ومن ناحية زمنية، فقد تناسب وجودهم في بيروت مع وصول الحاج أمين إليها، الذي كان قد ترك مصر في أعقاب خلافات حادة مع عبد الناصر، ليجعل من بيروت منفاه الجديد. ومن غير ريب أن عرفات وأبو جهاد قد حظيا بقضاء ساعات طويلة مع قائد الحركة الوطنية الفلسطينية القديمة بحجة اطلاعه على الصدى الذي خلفته

أفكارهم السياسية في صفوف العمالة الفلسطينية المهاجرة في الخليج. وعلى الأغلب، فإن الاتصال مع توفيق حوري قد تم ترتيبه من قبل الحاج أمين، وذلك لتمكين تلاميذه ومؤيديه السابقين من نشر أيديولوجيتهم، التي تتفق في نقاطها المركزية مع أيديولوجيته، وبرنامجهم السياسي بين الفلسطينيين في كل مكان، من غير أن يظهروا على الفور كمؤيدين للمفتي، أو كتنظيم جديد تمت إقامته.

وقد شارك في الكتابة في فلسطينا عرفات، وأبو جهاد، وهاني الحسن، وعبد الله دنون، بالإضافة إلى آخرين.^{٢٠} وقد اعتادت الجريدة أن تظهر في طبعة صغيرة، وأن توزع بشكل خاص بين العمالة المهاجرة في الخليج والطلاب والعمال الفلسطينيين في أوروبا. وخلافاً لـ **الثار**، فإن **فلسطينا** بقيت عملياً غير معروفة في مخيمات اللاجئين في لبنان.^{٢١} وبشكل عام، فإن توزيع **فلسطينا** قد اقتصر تقريباً على الأعضاء فقط الذين قاموا من جانبهم بتقديمها إلى مرشحين محتملين للعضوية، وذلك لإطلاعهم على أيديولوجية "فتح" وبرنامجها.

لقد كان هدف "فتح" يتمثل في تحويل المشردين واللاجئين الفلسطينيين مرة أخرى إلى شعب ذي قيادة سياسية حرة ومستقلة خاصة به. هذا الشعب يجب أن يعطى مجدداً كيانه وكرامته اللذين سلبا منه في سنة النكبة العام ١٩٤٨،^{٢٢} وبالنسبة لـ **فلسطينا**، فإن التدخل العربي في فلسطين كان في البداية على شكل كتائب المتطوعين العرب (جيش الإنقاذ) بقيادة فوزي القاوقجي، وبعد الإعلان عن قيام دولة إسرائيل من خلال زحف الجيوش العربية، هو الذي جعل النكبة في حكم الممكن.

لقد بدأت النكبة فعلاً يوم أن عزل الشعب العربي الفلسطيني عن معركته بفضل التضافر الاستعماري الصهيوني العميل، وتسنى بذلك للقوى الصهيونية المستعمرة عن طريق نفوذها غير المباشر على الفئات العربية الحاكمة آنذاك، ضرب الحركة الوطنية الفلسطينية وإبعادها عن معركتها، وعن ساحة نضالها، منتزعة بذلك النصر المؤقت، وذلك بإقامة المركز الدولي الصهيوني في أرضنا الحبيبة.

وقد بدأ العزل فعلاً على يد جيش الإنقاذ الموهوم بالتآزر مع القوى البريطانية المستعمرة لفلسطين قبل الخامس عشر من أيار، إذ لم يأت هذا اليوم إلا والقوى الوطنية الفلسطينية مشلولة مجردة من السلاح ومن كافة مقومات المعركة في داخل فلسطين، مع قيام حملة قذرة في الصحف العميلة التي استطاعت مسح الوجه العربي الفلسطيني النضالي المشرق!

وجاء الدور الثاني من المسرحية الاستعمارية لينفذ على يد الجيوش العربية التي كانت تخضع لقيادات خائنة، فقامت بتسليم أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين لليهود، وخرج المتآمرون على الأمة العربية بعدها بهدنة دائمة أو مؤقتة، كما يحلو لهم أن يسموها!

وفي رودس، تم اقتسام الغنيمة، فأخذ الأردن قسماً من فلسطين، وانتزع منه الاسم، وأطلق عليه اسم الضفة الغربية ودمج بالضفة الشرقية، وحاول الفاروق المساومة على قطاع غزة، أما اللاجئون الفلسطينيون فإن محاولات عديدة فشلت لتوطينهم وتعويضهم، أو بشكل أصح بيعهم كالسئمة في أسواق الحكام العبيد! واستمر العزل على شعبنا لمنع من العمل بحرية، وعلى طريقته الخاصة لتحرير وطنه! وتفرد المسؤولون العرب في معالجة قضيتنا حسب أهوائهم وارتباطاتهم وانتهازيتهم ففشلوا ...^{٢٣}

فسياسة الدول العربية التي هي في نهاية الأمر إحدى نتائج الضغط الاستعماري، حرمت الفلسطينيين حتى يومنا هذا من النضال لتحرير وطنهم الأم. وهنا بدأت "فتح" بالمطلب المتعلق بإعادة إحياء الهوية الفلسطينية أو الكيان الفلسطيني.

نحن حينما نطالب بكياننا فنحن بالفعل نطالب بحريتنا للعمل بحرية من أجل استرداد وطننا، فنحن لم نعط الوصاية لأحد علينا، ولا نريد أن يفرض أحد ما وصايته علينا ... إننا لا نقبل عن الكيان بديلاً ليكون منطلقاً لنا للصورة من أجل العودة إلى فلسطين عربية مطهرة من اليهود المجرمين والاستعمار خالقهم.^{٢٤}

ومن خلال فلسطيننا، حاولت "فتح" أن تحشد بشكل خاص الشباب الفلسطيني، شباب النكبة، حتى يتمكن هؤلاء من تحويل الفلسطينيين مرة أخرى إلى شعب له كيانه الخاص، يقوم في النهاية بالنضال لتحرير وطنه الأم تحت قيادتها؛ فـ "فتح" كانت ترى في نفسها التنظيم الذي يجمع شباب النكبة الذين ما زالوا يتواجدون بعد في الشتات، بعيدين كثيراً عن "ساحة المعركة" المستقبلية. بعض هؤلاء الشباب كان قد سبق غيره في الاندماج في "فتح"، والانتظام من خلالها ليبدأ فيما بعد بمطالبة الشباب الفلسطيني ككل، وأينما وجد، بالانضمام إليهم، وذلك من أجل خلق الأساس لوحدة الشعب الفلسطيني.

قد طال أمد النكبة وانتشر أبنائها يملأون الدروب بقلوب دامية وعيون حزينة ... يبحثون عن المصير ... عن المستقبل. تجدهم في كل بقعة ترتادها وهم لا يزالون مقيمين على العهد ... فالحياة في الخيمة أصبحت موتاً حقيراً ... فالموت في سبيل الحياة ... في سبيل فلسطين الحبيبة لألذ وأمتع وأشرف لنا من لقمة الزقوم ... لقمة العيش مع هدر الكرامة ... نحن أبناء النكبة ... لن نقبل أطول بهذه الحياة الكريهة القذرة ... هذه الحياة التي هدرت كياننا الأدبي والمعنوي والسياسي وحتى كرامتنا الإنسانية.^{٢٥}

والشرط المسبق لذلك هو ترك شباب النكبة لكل الحركات والأحزاب الذين نشطوا من خلالها حتى ذلك الحين، دينية كانت أم قومية، ليكرسوا أنفسهم مع "فتح" وبها للقضية الفلسطينية فقط.

يا أبناء شعبنا العظيم: لقد سايروا كل التكتلات، وحاربتم في سبيل الكثيرين!! فماذا كانت النتيجة؟! وهل أعيد لكم شبر من أرض الوطن؟! وهل رفعت كافة الشعارات الإيذاء عنكم؟! إنكم إن شئتم أم أبيتم مشردون بلا كرامة، بلا حرية، بلا كيان فردي أو جماعي ...^{٢٦}

فتنظيم شباب النكبة، كما تخيلت "فتح" نفسها، مثلته في مفهومها طليعة الشعب الفلسطيني وصفوته. ومن هنا وجب عليها تسلم زمام قيادته.

إن مسؤوليات ضخمة تقع على عاتق شبابنا المثقف ... عليهم أن يوحّدوا جهودهم وأن يحشدوا إمكانياتهم الأدبية والمادية ليدفعوا فلسطين، وبالتالي الشعب العربي لخوض المعركة الثأرية المقدسة.^{٢٧}

يا شعب فلسطين: هذا الطريق واضح أمامكم ... لقد مسحوا جنسيتكم وأزالوا اسم فلسطين عن وطنكم والأوصياء لم يحترمواكم، والفئات الحاكمة تخشى [ال]مواجهة ... ثوروا على أوضاعكم، فأنتم لا يمثلكم إلا أبناء النكبة الأحرار الذين عاشوا النكبة وأقسموا على محو آثارها...^{٢٨}

ولأن "فتح" أرادت توحيد الشباب الفلسطيني بغض النظر عن اتجاهاته السياسية، وهو ما استطاعت تاريخياً تحقيقه وبجاح، فقد احتل مطلبها المناهض بالوحدة الوطنية مكاناً مركزياً.^{٢٩}

أما الحشد الأيديولوجي للشباب الفلسطيني، فقد نفذته "فتح" من خلال أيديولوجية وطنية عامة، افترض فيها أن تصبح قاسماً مشتركاً بين الجميع بغض النظر عن الخلفية السياسية. فالوحدة الوطنية كانت المطلب الذي اعتاد أن يظهر دائماً. فليس هناك مكان لصراعات سياسية داخلية، إذ أن الجميع يلتقون حول هدف واحد، ألا وهو تحرير فلسطين، الذي بدوره غطى على كل نقاط الخلاف الأخرى.

يا أبناء فلسطين:

لا طريق لكم في سبيل عودتكم أحراراً إلا طريق الثورة المقدسة التي ستشعلونها بوحدةكم الوطنية وتصميمكم على النضال ... فأنتم يا أبناء النكبة لم تعودوا تطبقون التشرد ونظرات الاشمئزاز والمعاملة غير الكريمة التي تلقونها في البلاد التي تعيشون فيها ... وأنتم يا أبناء النكبة لن تصبروا طويلاً على الضيم والضعف وحياة الهوان التي تعيشونها في معسكرات الشقاء والعذاب.

فهبوا يا أبناء النكبة ووحّدوا صفوفكم فلا خير في شعب تفرقت كلمته، وتبنوا فكرة بعث كيانكم الحر الثوري، ولن يطول موعد انطلاقه رصاصه الحرة والتحرير والعودة.^{٣٠}

وبذلك عبّرت "فتح" ضمناً عن التصور القائل في أن النكبة قد كانت السبب وراء تلاشي كل الفروق الاجتماعية أو الاجتماعية-الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني، بحيث أضحى الجميع، على حد سواء، "يجلسون في القارب نفسه"، وهي فكرة عملت "فتح" لاحقاً على تطويرها جملة وتفصيلاً. كما عكس هذا الشيء إدراكاً عاماً حظي بقبول كافة الطبقات والشرائح الفلسطينية، كما تبين ذلك أيضاً السيرة الذاتية للكاتب الفلسطيني فواز تركي التي كانت قد ظهرت العام ١٩٧٢:

في تلك الأيام [سنوات الخمسينيات] كان الفلسطيني حين يلتقي بفلسطيني آخر، يتوق لكي يلمس فيه موجات وتذبذبات الألفة، ليقسم معه الألم الذي خطف الأبصار، ليستشعر القوى الحسية الخفية التي فصلت (نا) عن (هم). كان كل منا يتلمس الطريق إلى الآخر، كما لو كنا نريد أن نتساوى في حمل العبء ولممة الضياع. فالشكليات التي فرقت مجتمعنا في فلسطين، وميزت بين مثقف ونصف متعلم، بين مهني وحرفي، وبين الطبقة المتوسطة والعلية، وبين الغني والفقير، والتقي والمحدد، المسيحي والمسلم سقطت دون أن يحس بها أحد.^{٣١}

وانطلاقاً من العدد الأول لـ **فلسطيننا**، الذي صدر في تشرين الأول ١٩٥٩، تكرر استخدام عبارات مثل الكفاح المسلح، حرب الثأر، الثورة، كمرادفات تحمل المعنى نفسه.^{٣٢} وتصف الطريق نفسه؛ الطريق الوحيد إلى تحرير فلسطين والعودة إلى الديار. أما قراء **فلسطيننا**، فقد دعته "فتح" إلى:

تحرير وطننا الحبيب ... ونحن أبناء فلسطين لا نؤمن إلا بالثورة لتحقيق هذا الهدف العظيم. إن أبناء فلسطين مدعون لحمل السلاح وإعلان الثورة لاجتثاث الاغتصاب اليهودي ... وهذه طليعة الجزائر خير قدوة لنا...!!^{٣٣}

ومع انعقاد مؤتمر "فتح" الأول في الكويت العام ١٩٦٢، كانت عملية دمج الفلسطينيين من مختلف الأصول والمصادر داخل الحركة قد تمت. فمنذ ذلك الحين أصبحت "فتح" تتألف ممن كانوا يوماً ما أخواناً مسلمين، من أعضاء سابقين في حزب التحرير، وحزب البعث، بالإضافة إلى الوطنيين المستقلين. وقد خرج عن المؤتمر، الذي حدده خالد الحسن بأنه التأسيس الحقيقي لـ "فتح"، البرنامج الأساسي لـ "فتح" أو هيكل البناء الثوري.

ولعقد من الزمن شكلت هذه الوثيقة الإنجيل السياسي والتنظيمي للحركة ... وبسبب دوره التاريخي يتمتع الهيكل حتى اليوم بتأثير رمزي في محيط "الكبار"، المؤسسين والأعضاء الأوائل في الحركة الذين انتسبوا إليها قبل ١٩٦٥، وعلى الأبعد قبل ١٩٦٧/٣٤، ١٩٦٨

أخي يارفيق النضال

..... من أجل فلسطيننا الغالية

..... من أجل الثورة لتحرير أرضنا السليبية

..... حتى يشرق فجر الكرامة الذي تاه في ليل النكبة الطويل.^{٣٥}

هكذا، وبهذه المقدمة شبه الأدبية عمدت "فتح" إلى مخاطبة ذلك العضو الجديد، الذي كان عليه الآن وبعد دراسة البرنامج الأساسي للحركة أن يندمج في "فتح" "كليا وبشكل لا رجعة فيه".

بعد أن أخذت مكانك في صفوف المجندين لمعركة الثأر والتحرير ..
بعد أن تدرك جيداً ..

وأن تتأكد لديك حقيقة لا ينبغي أن تغيب لحظة عنك وهي:

إن قوة الحركة وامتدادها يعتمد ... على فاعليتك أنت ..

وعلى مدى تقديرك للمسؤولية التاريخية التي تحملها الطليعة الثورية من أبناء شعبك.^{٣٦}

فـ "فتح"، والكلام لم ينته، تقوم بمهمة وطنية وتتحمل مسؤولية تاريخية فالعدو الذي تقاتل الحركة ضده "قوي... والمعركة ضارية ليست قصيرة... وإن العزم... والصبر والسرية والكتمان والالتزام بأهداف الثورة ومبادئها يحفظ خطواتنا من الزلزل والتعثر، ويقصر الطريق إلى النصر". وقد انتهت الديباجة بشعار: "فيألى الأمام... إلى الثورة... وعاشت فلسطين عربية حرة...".^{٣٧}

أما الجزء الرئيسي من البرنامج، فقد عني بوصف النكبة وما ترتب عليها بالنسبة للفلسطينيين، الذين أصبحوا منذ ذلك الحين مشغولين عبر أرجاء العالم العربي، دونما قيادة تجمعهم. كما أن الرأي العام العالمي لم يدرك أبداً واقع المأساة الفلسطينية. ولا يمكن للضمير العالمي أن يصحو إلا من خلال جيل جديد من الثوار الفلسطينيين. في المقابل، فإن إسرائيل عدوة الشعب الفلسطيني، "وعدونا يزداد مع مرور الأيام قوة وتمكناً. والزمن في جانبه... فهو يبني في أرضنا المحتلة ويعمر ويشيد القلاع والحصون ويملؤها بالعتاد والسلاح ويحشد الجند والمحاربين، ويأتي بالملايين من يهود العالم استعداداً لمعركة يهيئ لها نفسها، وجولة قادمة يتربص الفرصة ليحقق فيها أمنياته الكبرى في التوسع والامتداد...".^{٣٨}

وعلى ضوء وجود عالم عربي مقسم كحقيقة واقعة، عالم لا يخوض كفاحاً ضد إسرائيل، أو أن صمت الفلسطينيين لم يجبره على ذلك، أُلقيت إلى "فتح" مهمة التحضير لحرب حاسمة ضد إسرائيل من خلال "خطة عامة لعمل ثوري".

لكن كيف صيغت هذه الخطة؟ لقد حددت "فتح" تعاقباً واضحاً لمراحل مختلفة من العمل الثوري يجب في سياقها تحريك الشعب الفلسطيني بأكمله: "سياسياً، ومعنوياً، واقتصادياً، وعسكرياً... الخ، في ذات فلسطين، كما في الشتات. أما المراحل المتفرقة فكانت: "تركيز"، "تعبئة"، "ثورة" بالإضافة إلى "مرحلة النصر"^{٣٩}.

ففي مرحلة التركيز يجب أن يتشكل التركيب التنظيمي العام للحركة، تصنعه شبكة من التنظيمات المحلية تغطي أماكن وجود الفلسطينيين، وفي مرتبة أعلى تجد نفسها اللجان الإقليمية (المحلية)، في حين تتربع اللجنة المركزية العليا في قمة الهرم.

وتتم في هذه المرحلة المحافظة على السرية المطلقة للعمل السياسي، فكل النشاطات يقتضي القيام بها بشكل سري فقط. فيما عدا هذا يتم العمل على بناء الجهاز السياسي للحركة. فالمسألة الفلسطينية يجب أن تحلل من الأوجه كافة، بالإضافة إلى تطور دولة إسرائيل و"تطورات وأوضاع وحياة الغزاة المجرمين في أرضنا المحتلة"،^{٤٠} والحركة الصهيونية، والتنظيمات اليهودية، والعلاقات المتبادلة بينهما.

يجب إقامة أرشيفات سياسية تتضمن تحليلات وثائقية، تغطي دول العالم، والمنظمات العالمية، والحركات النقابية... الخ. أمّا بالنسبة لـ "فتح" بالذات، فقد استوجب القيام "بتحضير دراسات سياسية، وبرامج ثقافية ثورية، وذلك لدفع وتعميق الحشد، وعملية الوعي الثوري لأعضاء الحركة وإيمانهم في أهمية وحتمية الثورة". وأخيراً تم التأكيد على ضرورة لجوء "فتح" إلى وسائل الإعلام، والعمل على كسبها من أجل الدعوة لأهداف الحركة. وبعد التنظيم والسياسة تم عرض عملية الترسيع (الثوري) بشكل مفصل؛ وهو ما يشتمل على بناء الجهاز العسكري، بالإضافة إلى تحليل للعدو من الزوايا الاستراتيجية. فالجهاز العسكري الذي من المفترض أن يعمل في الداخل، وفي الشتات يتكون، حسب ما ورد في الهيكل، من القوى الثورية الضاربة، ومن قوى مساعدة واحتياطية، بالإضافة إلى وحدات حماية الثورة. كل هذه القوى بحاجة إلى التنظيم والتدريب والتزود بالتكتيك المناسب لها. يجب الحصول على السلاح والعتاد ووضعه تحت التصرف، كما يجب جمع الأموال اللازمة لذلك. وبعد ذلك يتبع بناء العيادات الطبية والمستشفيات الخاصة والعامة. وأخيراً اعتبرت "فتح"، من قبل وفي ذلك الحين، جهاز الأمن شيئاً ضرورياً.^{٤١}

وفي المرحلة الثانية، مرحلة التعبئة، يجب تثبيت النجاحات التي تم تحقيقها، مضاعفة كل شيء، تقويته وتكثيفه. فالهدف كان تحقيق الكفاءة الإدارية والفنية والتكتيكية. كما يجب أن تبدأ إذاعة ثورية خاصة بالحركة بالبحث. وعلى ما يبدو، فإن الشيء الحاسم هنا حدد الخطوة التي تتمثل في قيام طليعة الشباب الفلسطيني بالنزول إلى الشارع. فكان ينبغي الاتصال بكافة قطاعات الشعب وتنظيمها. فكل تبعته وظيفته الخاصة به،

وما عليه إلا القيام بها: عمال وفلاحون، طلاب، تلاميذ المدارس الثانوية والشباب بشكل عام، خريجون ومتقنون، نقابات، ومجموعات مهنية ثابتة، وجمعيات، ولجان، وغرف تجارية... الخ. "فخلالاً ثورية منتشرة بين كل القطاعات هذه يجب أن تعمل بحيث تدعم هذه الثورة في المجالات كافة، وبشكل فعال" ^{٤٢} ولا يقل عن ذلك أهمية إنشاء "صندوق الثورة" على أساس الموارد الفلسطينية الذاتية. أما الهدف فكان ضمان "تمويل الثورة في مراحلها الأولى معتمداً على إمكانيات شعبنا" ^{٤٣}.

وأخيراً يستوجب في هذه المرحلة التحضير لمجلس وطني فلسطيني من خلال المجلس الثوري، واللجنة المركزية العليا. وفي هذا المجلس يتم تمثيل كل الفلسطينيين بغض النظر عن مكان إقامتهم. أما ترشيح الأعضاء، فيجب أن يحدث بشكل سري، أي دون الحاجة إلى إقامة انتخابات.

وفي المرحلة الثالثة، مرحلة الثورة يفترض البدء بالكفاح المسلح. ويجب الاستعداد بشرياً ومادياً لذلك... يجب تحضير المال، والسلاح والقواعد العسكرية، ونقاط الانسحاب وكافة الوسائل اللوجستية الأخرى. تقوم وحدات الاستكشاف والاستطلاع بمسح المناطق المحتلة لاستطلاع المنشآت الاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية، وأخرى حيوية حتى تستطيع لاحقاً تدميرها. وأخيراً يجب دراسة التكتيكات التي يستخدمها الخصم ضمن إستراتيجية مضادة لحرب العصابات، وذلك للعمل على تحييدها بالسرعة اللازمة. ويجب تحويل الفلسطينيين إلى ثوار يكرسون أنفسهم لخدمة قضية شعبهم؛ تحرير فلسطين وعودتها إلى عداد دول الأمة العربية. كما أن المفوضين السياسيين مهمون من أجل قيادة الثورة، وبشكل مأمون حتى تحقيق النصر. فحرب التحرير ذاتها، أي الثورة، يجب أن تكون بقيادة الشعب الفلسطيني. فـ"فتح" كانت مقتنعة من أن معركة فلسطين هي معركة الأمة العربية كاملة. فإذا حانت الساعة، ساعة انطلاق الثورة، "ستنطلق جحافل الثوار لأهدافها المعينة لتقدم الضربات المذهلة تفاجئ بها العالم بأسره، وتجسد فيها أمنية شعبنا وأمتنا في العمل للثأر من الغزاة وتحرير أرضنا المغتصبة" ^{٤٤}.

أما وسائل الإعلام، فيجب عليها أن تعرّف الرأي العام العربي والعالمي بوجود الثورة. في حين يقوم راديو الحركة بإذاعة بيان الثورة الأول باسم الشعب العربي الفلسطيني. كما تتسلم وكالات الأنباء بياناً يوضح أهداف الحركة. ومنذ ذلك الحين يظهر المندوبون بشكل علني باسم "فتح".

وفي نهاية هذه المرحلة الثورية وقف الكيان الفلسطيني:

تؤمن الحركة بأن الحرية تؤخذ ولا تعطى، ومن ثم فإن الكيان المنشود سيكون ذلك الذي ينبثق عن الثورة، فبعد أن تمتد الثورة تعلن حركتنا قيام الكيان العربي الفلسطيني، وتعلن قيادة ثورية تمثل هذا الكيان الذي يتولى زمام المعركة. ^{٤٥}

فالقارئ لا يزال مأخوذاً من هذا البرنامج الشامل، الذي انطلقت "فتح" لتحقيقه العام ١٩٦٢. لكن كيف كان لهذا البرنامج أن يفهم؟ عبر أجزاء واسعة يبدو، كما لو أن هذا ليس برنامجاً لتنظيم سياسي، بل إن هناك خطة قد وضعت لإقامة البنية التحتية لدولة فلسطين. فالعمالة الفلسطينية المهاجرة إلى الكويت، وبلا ريب يقف هنا خالد الحسن في المقام الأول، تجمعت لديهم ومن خلال عملهم في لجان التخطيط المختلفة التي ساهمت في إرساء قواعد الدولة الحديثة في هذه الإمارة الخليجية، خبرة طويلة. وهو ما يحتم التفكير في أن هؤلاء المهاجرين أرادوا استغلال وجودهم في "فتح" لتطبيق خبراتهم، وذلك من خلال وضع مسودة للمعالم الأساسية للدولة الفلسطينية المستقبلية. فالمجالات الكلاسيكية لحكومة وطنية حديثة هي أيضاً، وإلى حد ما، بارزة المعالم: السياسة الداخلية والخارجية، والاقتصاد، والمالية، والعسكرية. بالإضافة إلى ذلك تصاف التربية، والثقافة، والدعاية والصحة. كما ارتأى وجود برلمان، حتى في هذه المرحلة التي اقتصر على النشاط السري فقط، وذلك دونما حاجة لإجراء انتخابات.

وفي هذا البرنامج يتم، وبلا انقطاع، التشديد على حقيقة مفادها أن "فتح"، ومن خلال النشاط الحشدي الذي مارسه، قد توجهت إلى الشعب الفلسطيني بأسره وليس إلى شريحة أو فئة اجتماعية معينة. في الوقت نفسه يتم الحديث وبشكل لا يقبل التأويل عن أن قيادة الشعب الفلسطيني هي من اختصاص مؤسسي "فتح"، طليعة الشعب الفلسطيني وحدهم.

المهم هنا، وعلى خلفية البرنامج الذي تم التعرض له بالتفصيل، أن "فتح" لا يمكن النظر إليها، ولا بأي حال من الأحوال، كتتنظيم شبه عسكري.^٦ وعلى النقيض من ذلك، فقد أخضعت العسكرية لحيز محدد واضح المعالم، لا أكثر ولا أقل. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن أحداً من قادة "فتح" أو مؤسسيها لم يكن يوماً ما عسكرياً، أو تحوّل في خضم حرب التحرير إلى عسكري محترف: فكلهم كانوا بشكل أو بآخر سياسيون. وعلى هذا الأساس، سيطرت السياسة، والمناظرة السياسية على الهيكل.

وبذلك أصبح الهيكل برنامج يهدف إلى التعبئة السياسية للفلسطينيين كشعب يريد استعادة أرضه المحتلة من خلال حرب تحرير وطنية، ليقم عليها دولة وطنية مستقلة؛ ويعزز هذا التفسير توجه "فتح" نحو الجزائر وجبهة التحرير الجزائرية:

... لقد ألهمتنا الثورات التي كانت تحدث في العالم. فالثورة في الجزائر كانت تشغل أماناً مثل شعلة أمل قوية. لما بدأ الجزائريون ثورتهم العام ١٩٥٤، كانوا فقط بضع مئات من العرب في مقابل ٢٠ ألف جندي فرنسي ومستوطنين جيدي التسليح، وذوي خبرة قتالية عالية. فالثورة في الجزائر شكلت بالنسبة لنا البرهان على أن الشعب يستطيع خلال القتال تنظيم نفسه، وبناء قوته العسكرية.^٧

وقد كان عرفات، وخلال سنوات دراسته في القاهرة، قد عقد اتصالات مع مجموعة من قادة جبهة التحرير الجزائرية ممن وجدوا في المنفى في القاهرة، وحظوا بدعم عبد

الناصر، حيث تمت المحافظة على هذه العلاقة في السنوات التي تلت. فعندما احتفلت جبهة التحرير الجزائرية باستقلال الجزائر عن فرنسا دعي عرفات العام ١٩٦٢ إلى الجزائر للمشاركة في الاحتفال.

وبعد ذلك بوقت قصير، تم في الجزائر افتتاح مكتب فلسطين. وعلى ما يبدو، فإن المكتب تمت إدارته في البداية من قبل جمال عرفات (أبو رؤوف)، الأخ الكبير لياسر عرفات، وأحد مساعدي حلمي باشا مندوب فلسطين في الجامعة العربية. وبذلك يكون الاتصال قد حصل أولاً بطريقة رسمية محضة بين الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين على المستوى العربي حتى ذلك الحين، والحكومة الجزائرية. وفي أعقاب موت حلمي باشا فقط استطاعت "فتح" السيطرة على المكتب. ففي العام ١٩٦٣ تسلم أبو جهاد جنباً إلى جنب مع زوجته انتصار إدارة المكتب.^{٤٨}

وبذلك تكون "فتح" قد بدأت مرحلة جديدة في تطورها السياسي؛ فمكتب فلسطين أنهى "عزلة" فتح"، ومكن قادتها من الاتصال بالعالم الثالث، وقادة ثوريين بمن فيهم الصينيون الذين أصبحوا من زوار الجزائر الدائمين فيما بعد". وانطلاقاً من الجزائر تمكنت "فتح" من عقد اتصالات متعددة كانت على درجة كبيرة من الأهمية فيما يتعلق بالتطور الأيديولوجي-السياسي للحركة، كما كان لها دور مهم في تحول "فتح" العام ١٩٦٧/١٩٦٨ من تنظيم سري غير معروف، مثله في ذلك مثل تنظيمات أخرى متعددة إلى تنظيم يجمع في أحشائه الحركة الوطنية الفلسطينية بأكملها تقريباً.

وفي الجزائر التقى أبو جهاد مع تشي جيفارا، كما اكتشفت كتابات فانون (Fanon) كأدب ثوري أساسي، وبالذات لأعضاء "فتح". وبصحبة وفد جزائري سافر أبو جهاد وعرفات إلى الصين حيث استقبلهم ماو تسي تونغ. ومن هناك توجه أبو جهاد إلى كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية أيضاً.

ويظهر كما لو أن الشيء المهم في هذه الفترة لم يكن في الدرجة الأولى الاتصالات الدولية المتعددة التي تم عقدها، بل التأثيرات طويلة الأمد التي أصبحت فعالة داخل "فتح" كنتيجة من الفترة التي قضاها أبو جهاد على رأس مكتب فلسطين (١٩٦٣ وحتى نهاية ١٩٦٤).

وهذا ينطبق على "تدويل" المسألة الفلسطينية، التي كان يتم النظر إليها آنذاك كشئ مميز ومعزول جداً، بحيث تم وضعها في السياق التاريخي العام، وعهد حركات التحرر الوطنية والكفاح ضد الاستعمار من أجل الاستقلال.

أما التأثير الحشدي لتحوّل "فتح" هذا إلى حركة تحرر وطني تقود نضالاً تحريراً ضد الإمبريالية، فقد أثبت في الوضع الذي نشأ في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ أنه لا يقدر بثمن.

ثالثاً: فتح والقوميون العام ١٩٦٣: مراجعة أولية

لقد عمدت كلتا الحركتين في سنوات نشاطها السياسي الأولى إلى التركيز على بناء التنظيم، وهو ما يعكس نفسه ليس من خلال أدبياتهما الداخلية فقط، وإنما في ممارستهما اليومية أيضاً. فكلاهما اعتبر نفسه تنظيماً نخبويًا، وكلاهما كان يؤمن بأحقيته في قيادة الشعب الفلسطيني، كما عمل كلاهما سراً.

ففي حين توجهت "فتح"، مع ما تعتبره أحقيتها في القيادة، إلى المجتمع الفلسطيني بكافة طبقاته وشرائحه ومجموعاته الاجتماعية، اجتازت حركة القوميين عملية تطور ساعدت، باطراد، على تضيق قاعدتها الاجتماعية؛ ففي سنوات وجودهم الأولى رأى القوميون في أنفسهم حركة عربية-قومية. وعلى الرغم من أن قيادة الحركة كانت تتألف من نخبة هي طليعة الشباب العربي، فإنها تمثل الأمة العربية ككل يستثنى من ذلك فقط الأنظمة الرجعية التي لا أمل في صلاحها. وحتى هذا لم تتم المحافظة عليه حتى النهاية. فمع بدء توارد الأفكار الاشتراكية عبر مصر الناصرية، أخذت حركة القوميين تتبلور أكثر فأكثر كحركة عمال وفلاحين، بالإضافة إلى مثقفين تقدميين، أو برجوازية صغيرة تقدمية. أمّا البرجوازية فقد تم استبعادها في مرحلة أقصاها العام ١٩٦١ من المعسكر القومي التقدمي، أي بعد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة.

في حين أن "فتح" كانت ولا تزال تفهم نفسها، وحتى اليوم، كتنظيم وطني يمثل كل الفلسطينيين، كان القوميون في الستينيات قد رأوا في حركتهم قوة تقدمية-اشتراكية أو الطليعة داخل الأمة العربية. وفي الوقت الذي أرادت فيه "فتح" أن تخلق من الفلسطينيين شعباً، كان هدف القوميين تثوير الأمة العربية.

فالدعوة السياسية التي أطلقها القوميون من أجل وحدة عربية ذات العلامة (تقدمي-اشتراكي) ظهر وكأن تحقيقها ممكن، وعلى أفضل وجه، من خلال تحالف مع عبد الناصر. ومع ذلك، فإن كل محاولات القوميين للعمل من أجل وحدة تجمع العراق وسوريا مع مصر بقيت حتى العام ١٩٦٣، وإلى حد بعيد، دون نجاح يذكر. فقط في الجنوب العربي (اليمن الجنوبي) حصل هناك بعض التقدم. إلا أن الخوض في التفاصيل سيخرجنا عن نطاق هذا البحث. في الوقت نفسه، وبشكل مواز لذلك، بدأت المسألة الفلسطينية، وهي السبب الحقيقي لوجود القوميين، ومنذ ١٩٥٨/١٩٥٩ تنافس، وبشكل قوي، التطلعات الوحدية للحركة. ويعود الفضل في ذلك، وبشكل خاص، إلى كادر الحركة الفلسطيني في لبنان. والمحصلة كانت إنشاء جناح فلسطين العام ١٩٦٣. إلا أن هذا لم يحرر الحركة من الهيمنة الأيديولوجية الناصرية، كما بقيت السياسة الفلسطينية خاضعة محلياً ودولياً لنفوذ عبد الناصر. هذه كانت غلطة قاسية. لقد فقدنا ٦-٨ سنوات بإهمالنا حرب العصابات لصالح الاعتماد على خرافة القوات المسلحة

التقليدية لمصر، وعدم استعدادنا بشكل صحيح لحرب العصابات.^{٤٩} هكذا حكم جورج حبش، فيما بعد، على الفترة التي سيطرت فيها الناصرية في تاريخ حركة القوميين.

في المقابل، وقفت "فتح" تطرح الاستقلالية الفلسطينية ضد التوجه الأيديولوجي الذي سيطر في ذلك الحين. فـ "فتح" لم تكن ترى في الوحدة العربية الطريق لتحرير فلسطين، وإنما نقيض ذلك؛ أي تحرير فلسطين هو الممهد للوحدة. ومن هنا اقتضت نجاحات "فتح" في بداية الستينيات على أطراف المنطقة التي تأثرت بالأيديولوجية الناصرية. في المشرق بين العمالة الفلسطينية المهاجرة إلى الخليج، وفي المغرب بين الطلاب، والعمال الفلسطينيين في أوروبا.

أما السؤال الذي يطرح نفسه بخصوص مستقبل "فتح" فهو: كيف استطاعت هذه الحركة الجديدة، على الرغم من كل نقاط الانطلاق السلبية هذه، من حشد جماهير الشعب الفلسطيني في الأردن ولبنان من أجل أهدافها؟ وخلافاً لـ "فتح"، كان القوميون قد رسخوا أنفسهم في مخيمات اللاجئين في لبنان وسوريا وبشكل جزئي في الأردن، كما كان للحركة قاعدة صلبة بين الطلاب والتلاميذ في لبنان وبدرجة أقل في الأردن، ولكن وبشكل خاص في الجامعات المصرية. إلا أن مستقبل الحركة، كما كان التصور في العام ١٩٦٣، ارتبط بعبد الناصر.

وبلا ريب، فقد كان قد بدر حتى في ذلك الحين أن حركة تحرير وطنية، كما فهمت "فتح" نفسها على الأبعد منذ العام ١٩٦٣، في تلك الحقبة التاريخية التي تميزت بثورات الجزائر وكوبا وفيتنام، ستستأثر بفرص أكبر للنجاح من حركة قومية، بغض النظر عن قوة التأثيرات الاشتراكية في تلك المرحلة.

هوامش الفصل الثالث

^١ تدل كافة المعلومات المتوفرة حول تأسيس حركة "فتح" على أن العام ١٩٥٨ هي السنة التي حصل فيها التأسيس. ويبدو هذا التوقيت معقولاً، وبخاصة بسبب البدء بإصدار **فلسطيننا** في تشرين الأول ١٩٥٩، كما أن وصول عرفات وأبو جهاد إلى الكويت، لم يحدث قبل العام ١٩٥٧/١٩٥٨.

^٢ توضيح مقنع للقصص التي لا حصر لها، التي راجت حول نشوء "فتح" مع معطيات زمنية تتفاوت بين ١٩٥٥ و١٩٦٢ قدمه أبو حاتم في مقابلة معه أجريت بتاريخ ٥ حزيران ١٩٧٨.

"كنتيجة للتجارب المختلفة، بالإضافة إلى التشرذم الجغرافي للفلسطينيين، فقد حظي مبدأ الكفاح المسلح على تجاوب معه عند الكثير من الفلسطينيين. ففي الأماكن المختلفة التي أقاموا فيها، تشكلت هناك مجموعات صغيرة تحمل الأفكار نفسها، ولكن دونما اتصال مباشر بينها. ولأن الفلسطينيين امتازوا بقدرة كبيرة على الحركة، مرتحلين من بلد إلى آخر، فقد حصل وأن التقى أناس من المجموعات المختلفة، ما ترتب عليه نوع من الاتصالات. ومن هذه الاتصالات نشأت "فتح". وهكذا، يمكننا القول إن كل من حمل هذه الأفكار أو ما شابهها (حول الكفاح المسلح- المؤلف) حتى قبل نشوء "فتح" عملياً، قد حدد زمن التأسيس منطلقاً من الفترة التي تشكلت فيها المجموعة الخاصة به. وهكذا تتفاوت قصة نشوء "فتح" حسب ذلك الشخص الذي يرويها."

^٣ يمكن الاطلاع على البرنامج الأساسي لـ "فتح"، وذلك منذ العام ١٩٨٦، مترجماً إلى الفرنسية في رسالة الدكتوراه التي قدمها في باريس ص. عطا. السيرة الذاتية لأبي إياد الفلا رولو (Rouleau, 1979). في حين أن كتاب هارت (Hart, 1984) حول عرفات يشتمل، في الوقت نفسه، على السيرة الذاتية لكل من عرفات وأبي جهاد. إضافة إلى ذلك، يمكن الاستعانة بمقابلات قديمة مع عرفات وأبي جهاد حول التطور التاريخي لـ "فتح": مقابلة مع عرفات، أجراها محمود درويش (في حينه، رئيس تحرير مجلة **شؤون فلسطينية**)، وأحمد عبد الرحمن (المحرر المسؤول لـ **فلسطين الثورة**، صحيفة "فتح" الرسمية) في **شؤون فلسطينية** عدد ٧٦ (١٩٧٩)، ص ١١-٢٩. مقابلة أبي جهاد في **اللواء اللبناني** بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٧٩، ص ٩ و١٢.

^٤ تمكنت من الاطلاع على جانب كبير من الأعداد التي ظهرت من **فلسطيننا** في مركز الأبحاث الخاص بـ م. ت. ف. في بيروت (قبل ١٩٨٢). في غضون ذلك، انتقل مقر المركز إلى قبرص. كما أن هناك أعداداً قليلة متواجدة في معهد ترومان التابع للجامعة العبرية في القدس. حول المقابلات التي قمت، شخصياً، بإجرائها ليس فقط مع أعضاء في "فتح"، بل مع مسؤولين في تنظيمات فلسطينية أخرى الذين سألتهم هم أيضاً من ضمن جملة الأسئلة التي طرحتها عليهم عن معلومات، بالإضافة إلى انطباعاتهم عن "فتح"، انظر قائمة المقابلات في الجزء المتعلق بالبيولوجرافيا. ومن الأدب السياسي المتوفر حول "فتح"، أثبتت الأعمال التالية أهميتها بالنسبة للفصل الحالي: نزيه أبو نضال (١٩٨٤)، هارت (١٩٨٤)، كوبان (Cobban, 1984)، شلايفر (Schleifer, 1972)، خورشيد (١٩٧١)، ويعاري (Ya'ari, 1970). في حين أن العمل الذي قدمه كوبان كان مهماً، وذلك، بشكل خاص، بسبب المادة الواسعة التي احتوتها المقابلة التي حدثت مع خالد الحسن. وأخيراً وليس آخراً، يجدر ذكر الأطروحة التي وضعها المؤلف مشكوراً قبل نشرها، عطا (١٩٨٦). ص. عطا هو الاسم المستعار لـ صالح عبد الجواد.

^٥ في نهاية ١٩٦٤، ترك يوسف عميرة حركة "فتح" نتيجة لبدء الحركة بالكفاح المسلح، في حين أن عبد الكريم والدعنون قد تركا الحركة في نهاية ١٩٦٦، على خلفية قضية عرابي.

^٦ مقابلة مع عضو في "فتح"، رفض الكشف عن هويته، (التحق بالحركة قبل ١٩٦٧ في العربية السعودية، كادر متوسط) بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٧٩. انظر المقابلة مع عرفات في **شؤون فلسطينية** (١٩٧٩)، ص. ١٨. أبو هشام أصبح -لاحقاً- الممثل الرسمي لـ "فتح" في العربية السعودية.

^٧ نزيه أبو نضال (١٩٨٤)، ص ١٧، مقابلة مع عضو في "فتح"، رفض الكشف عن هويته، بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٧٩. العضو نفسه كان قبل التحاقه بـ "فتح" عضواً في حزب التحرير. أبو عبيدة، تم بعد معركة الكرامة فصله من "فتح" ذلك أنه حاول منافسة عرفات كقائد عسكري. انظر عطا (١٩٨٦)، ص ١٩٥.

^٨ مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨، الذي كان هو الآخر عضواً في حزب البعث، فقد أراد الالتحاق بـ "فتح" العام ١٩٦٥، إلا أن ذلك لم يحصل قبل العام ١٩٦٧ وليطرد منها العام ١٩٧٨. وفي أعقاب ذلك،

١٧١ حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"

شكل، في العام نفسه، تنظيماً جديداً هو حركة التحرير الشعبية العربية. انظر المقابلة التي جرت مع أبي حاتم في الخامس من حزيران ١٩٧٨، بالإضافة إلى نزيه أبو نضال (١٩٨٤)، ص ١٨.

^٩ مقابلة عرفات في شؤون فلسطينية، مقابلة - أبو جهاد في اللواء، هارت (١٩٨٤)، ص ٨٧-٩١ و ٧٧، مقابلات مع صخر، ٢٨ أيلول ١٩٧٨ وأبو حاتم ٥ حزيران ١٩٧٨.

لقد كان مستبعداً في الشتات الفلسطيني في القاهرة (حوالي ٧٠٠٠ شخص، حسب معطيات أوردها براند (Brand, 1988)، ص ١٧ و ٤٥). إن عرفات لم يكن يتمتع في تلك الفترة بصلات مع الحاج أمين. فوحدها تركيبة العائلة العربية، في ظل العلاقات الوطيدة نسبياً التي تجمع بين أفرادها، تجعل من غير الممكن أن لا يكون الحاج أمين قد تنبه، خلال الخمسينات، إلى وجود شاب واعد تربطه صلات بعيدة بالعائلة نفسها، وأن لا يكون قد اهتم به بشكل هادف، وهو ما يؤكد عرفات في أحاديثه مع الن هارت (Alan Hart, 1984)، ص ٧٧: "كنت لا أزال، بعد، شاباً صغيراً جداً. ومع ذلك -وبسبب العلاقات التي تتمتع بها أسرتي، كنت قريباً جداً من صانعي القرار الفلسطيني...".

وبهذا الخصوص، يورد هارت أن اتحاد الطلاب، في القاهرة، لم يخلُ من معارضين رافضين لعرفات، بسبب صلة القرابة التي جمعه بالحاج أمين، ص ٨٨.

^{١٠} ماير (١٩٨٢)، ص ١٠٣، الذي يستند هنا إلى تقرير صادر عن القنصلية الأمريكية في العامين ١٩٤٦ و ١٩٤٧.

^{١١} جرشوني (Gershoni, 1986)، ص ٣٨٨.

^{١٢} جرشوني (١٩٨٦)، ص ٣٧٠، ٣٨٤، ماير (١٩٨٢)، ص ١٠٧، وبشكل عام حول الأخوان، انظر حسيني (١٩٥٦)، وميتشل (١٩٦٩).

^{١٣} ماير (١٩٨٢)، ص ١٠٣، انظر أيضاً أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٤٢، وهارت (١٩٨٤)، ص ٨٤-٨٦، ١٠٠-١٠٥.

^{١٤} انظر بيان الهيئة العربية العليا الصادر في أيلول ١٩٥٩ (في: أوريينت (Orient)، باريس، ١٦: ٤، ٤ (١٩٦٠)، ص ١٩٧) بالإضافة إلى وثيقة الحاج أمين في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٩ الموجهة إلى الجامعة العربية في: أوريينت، باريس، ١٦: ٤، ٤ (١٩٦٠)، ص ٢٠٠-٢٠٩. انظر أيضاً فلسطيننا ٣٢ (آب ١٩٦٣)، ص ٤ و ٣١ بالإضافة إلى فلسطيننا ٣٦ (نيسان ١٩٦٤) ص ٨.

^{١٥} هارت (١٩٨٤)، ص ٩٨. انظر عطا (١٩٨٦)، ص ١٠٤: "خلال هذه التجربة النضالية القصيرة في جبهة المقاومة الشعبية، نشأت نواة حركة "فتح". في اعتقادي، أنه علينا ألا نذهب إلى هذا الحد في تحليلنا لهذه التجربة.

^{١٦} حول حزب التحرير، انظر كوهين (١٩٨٢)، ص ٢٠٩-٢٢٩، مقابلة مع كادر فتحاوي، رفض الكشف عن هويته، ١٨ كانون الثاني ١٩٧٩، مقابلة مع صخر، ٢٨ أيلول ١٩٧٨.

^{١٧} مقابلات مع أبي حاتم، ٥ تموز ١٩٧٨، ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨، ونزيه أبو نضال ٢٨ آب ١٩٧٨. حول حزب البعث، انظر ديفلين (Devlin, 1976)، مار (Mahr, 1971) (١٩٧١)، أبو جابر (١٩٦٦).

^{١٨} وثائق الشرق الأوسط (MER) (١٩٦٠)، ص ٢٠٤-٢٠٩. وفي أحد الخطابات الانتخابية، قال ديان (ص ٢٠٧):

"إذا كان العرب غير مستعدين للتعاون في حل مسألة مياه الأردن، فسوف نتصرف كما فعلنا في خليج العقبة، ونستولي على الماء بالقوة".

^{١٩} مقابلة مع توفيق حوري، ٢ شباط ١٩٧٩، التي لم تكن، في حد ذاتها، مقابلة خاصة، وأن حوري قد رفض -وبشكل مطلق- التحدث عن فلسطيننا. وهنا نستعيد، بشكل مقارب، امتناعه عن إجراء المقابلة: كل فرد يملك قصته الذاتية حول هذا الموضوع. فإذا ما قام الآن بالتحدث، فسيعرى الجميع بسبب أكاذيبهم. إلا أنه لا ينوي التدخل في هذه المسألة المعقدة كلها. ومع ذلك، أوضح حوري أن "فتح" أو فلسطيننا لم يكن لهما أية علاقة مع عباد الرحمن، سوى استخدامهم لصندوق بريدهم. انظر حسيني (١٩٥٦)، ص ١٦٧، وسليمان (١٩٦٧)، ص ١٧٨-١٨١.

^{٢٠} عطا (١٩٨٦)، ص ٣٠٧. انظر أيضاً المقابلة مع عضو في "فتح"، رفض الكشف عن هويته، في ٨ تموز ١٩٧٨. (التحق هذا العضو بـ "فتح" كطالب العام ١٩٦٦، وكان نشيطاً ككادر متوسط إلى حين تركه للحركة في نهاية السبعينيات).

^{٢١} المقابلات التي أجريتها، كان بعضها مع فلسطينيين غير نشيطين سياسياً من داخل المخيمات، الذين عرفوا -بلا استثناء- الثأر وليس فلسطيناً.

^{٢٢} فلسطيننا ١١ (تشرين الثاني ١٩٦٠)، ص ٣.

^{٢٣} فلسطيننا ٣٢ (آب ١٩٦٣)، ص ٤، ص ٣١. انظر أيضاً التفسير المطابق لذلك في بيان الهيئة العربية العليا، الصادر في أيلول ١٩٥٩ (أورينت ١٤: ٤، ٤ (١٩٦٠)، ص ١٩٧).

^{٢٤} فلسطيننا ١٣ (كانون الثاني ١٩٦١)، ص ٥، وهنا يشتمل على هجوم غير مباشر ضد الأردن، وذلك عندما تقرأ: "نحن لم نمنح أحدا الوصاية علينا..."

^{٢٥} فلسطيننا ٢ (تشرين الثاني ١٩٥٩)، ص ١٠: "الكيان الأدبي والمعنوي والسياسي".

^{٢٦} فلسطيننا ١٥ (آذار ١٩٦١)، ص ٥.

^{٢٧} فلسطيننا ٩ (تموز ١٩٦٠). انظر أيضاً فلسطيننا ١ (تشرين الأول ١٩٥٩).

^{٢٨} فلسطيننا ١٨ (تموز ١٩٦١).

^{٢٩} فلسطيننا ٣ (كانون الأول ١٩٥٩)، انظر أيضاً فلسطيننا ٢ (تشرين الثاني ١٩٥٩)، ص ٤، فلسطيننا ٥ (شباط ١٩٦٠) فلسطيننا ١٣ (كانون الثاني ١٩٦١)، ص ٥، فلسطيننا ١٥ (آذار ١٩٦١)، ص ٥ التي تدعو جميعها إلى وحدة الصف أو الوحدة الوطنية الفلسطينية.

^{٣٠} فلسطيننا ١٦ (نيسان ١٩٦١).

^{٣١} تركي (Turk, 1974)، ص ٥٢.

^{٣٢} فلسطيننا ١ (تشرين الأول ١٩٥٩)، يتم الحديث عن "معركة التحرير المقدسة"، وفي ٩ (تموز ١٩٦٠) "الثورة المقدسة" و "معركة الثأر المقدسة". وبشكل عام، يتم كثيراً استخدام "ثورة". في ١٨ (تموز ١٩٦١) يتم استخدام "معركة الحرية". وبدأ في العام ١٩٦٣ استخدام مفاهيم "حرب التحرير"، "ثورة التحرير"، "الكفاح المسلح لتحرير فلسطين" أو "الثورة المسلحة"، وبشكل موازٍ لذلك شعار "الكفاح العربي لتحرير فلسطين".

^{٣٣} فلسطيننا، ٩ (تموز ١٩٦٠).

^{٣٤} عطا (١٩٨٦) ص ٣١٤. يشير صخر في المقابلة إلى الهيكل. مقابلة ٢٨ أيلول ١٩٧٨.

^{٣٥} "فتح"، هيكل البناء الثوري، في دروس وتجارب ثورية. (بدون مكان أو سنة نشر). ص ٨٩.

^{٣٦} المصدر نفسه، ص ٩٠.

^{٣٧} المصدر نفسه، ص ٩١.

^{٣٨} المصدر نفسه، ص ٩٨-٩٩.

^{٣٩} المصدر نفسه، ص ١٠٦.

^{٤٠} "فتح"، هيكل البناء الثوري، في دروس وتجارب ثورية. (بدون مكان أو سنة نشر). ص ١٠٨.

^{٤١} المصدر نفسه، ص ١٠٩.

^{٤٢} المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١.

^{٤٣} المصدر نفسه، ص ١١١.

^{٤٤} المصدر نفسه، ص ١١٣.

^{٤٥} المصدر نفسه، ص ١١٣.

١٧٣ حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"

^{٤٦} انظر في هذا الشأن الأدب المتوفر حول "الإرهاب" الذي تقوم "فتح" على تحليله من هذه الزاوية فقط، ما قادها، وبشكل حتمي، إلى الوقوع في الخطأ. وكمثال وحيد تتم الإشارة إلى شيلر (Schiller, 1981). انظر في ذلك أيضاً المراجعة النقدية التي قام بها شيفلر (Scheffle, 1984)، ص ١١٣.

^{٤٧} أبو جهاد في: هارت (١٩٨٤)، ص ١٢٣.

^{٤٨} مقابلة مع عرفات في شؤون فلسطينية ٧٦ (١٩٧٩)، مقابلة مع أبي جهاد في اللواء، ٤ كانون الثاني ١٩٧٩، مقابلة مع عضو في "فتح"، رفض الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨، تشاجنولود (Chagnollaud, 1977)، ص ١٢٣، يعاري (١٩٧٠)، ص ٣٧، هارت (١٩٨٤)، ص ١٣٣.

لقد تضمن تسلم هذا المكتب من قبل "فتح" عنصراً من الشرعية للفلسطينيين ولـ "فتح" كممثل لهم: "لقد فتحنا الصفحة الأولى في تاريخ نضالنا من أجل الاعتراف بنا كشعب حرم من حقوقه (أبو جهاد، استشهد ورد في: هارت (١٩٨٤)، ص ١٥٦).

^{٤٩} كولي (Cooley, 1973)، ص ١٣٧.

الفصل الرابع

الجدل السياسي - الأيدلوجي بين حركة القوميين
العرب وحركة "فتح" حول تحرير فلسطين

الجدل السياسي - الأيدلوجي بين حركة القوميين العرب وحركة "فتح" حول تحرير فلسطين

ميز السياسة الفلسطينية منذ العام ١٩٦٣ على الأقرب تنافس بين حركتين فلسطينيتين، أو لنقل إحداهما فلسطينية خالصة والأخرى غلب عليها الطابع الفلسطيني، ألا وهما "فتح"، وحركة القوميين العرب بجناحها الفلسطيني. كلتا الحركتين ادعت لنفسها حق الأسبقية في قيادة المجتمع الفلسطيني المتقطع الأوصال، وذلك من خلال برامج سياسة وعسكرية-إستراتيجية متناقضة. فمن خلال الشعار السياسي: "الوحدة العربية هي الطريق لتحرير فلسطين" جسدت حركة القوميين العرب موقفها من أنه فقط دولة عربية موحدة وقوية بزعامة الرئيس المصري جمال عبد الناصر قادرة على تحرير فلسطين. في المقابل كان هناك "تحرير فلسطين هو الطريق نحو الوحدة العربية"، وهو الشعار الذي رفعتة حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، مصرّة بذلك على أولوية المطالب السياسية الفلسطينية أمام الأهداف القومية العربية.

وسنحاول في هذا الفصل التعرض بالتفصيل للصراع الحاصل على قيادة الفلسطينيين سياسياً بين الحركتين، ومن ثم تحليلها حيث تقف في الصدارة مجموعتان من المسائل شكلتا محور السياسة الفلسطينية والعربية في الفترة ما بين ١٩٥٨-١٩٦٨، أو بشكل خاص في الفترة ما بين ١٩٦٣-١٩٦٨. فمن جهة، كان يدور السؤال حول الكيان الفلسطيني الذي يشمل مجموعة من المعاني ابتداءً بهوية وجود، ومروراً بكيونة أو كينونة وطنية، وانتهاءً بمفهوم الدولة. ومن هنا، فإن إمكانية، ومن ثم كيفية، إعداد الفلسطينيين كمجتمع يحمل طابعاً استقلالياً، بالإضافة إلى تمثيلهم على المستويين الإقليمي والدولي، بشكل مستقل أيضاً، وذلك من أجل المطالبة على المدى البعيد "كشعب" أو "كأمة" بإقامة دولة ذاتية، كان موضع نقاش سياسي. من جهة ثانية، وليس بعيداً عما سبق ذكره، فقد كان هناك السؤال حول الإستراتيجية

العسكرية الأفضل لتحرير فلسطين؛ وهذا ما كان في سنوات الخمسينيات والستينيات يعني دائماً تدمير إسرائيل كدولة، وبدلاً منها إقامة دولة على أرض فلسطين التاريخية أي من البحر إلى النهر.

وهنا افترض أنه بتقديم أجوبة عن هذه الأسئلة، فإن الأساس يكون قد وضع للتطور المستقبلي للحركة الوطنية الفلسطينية التي قادت على المدى البعيد إلى الإعلان عن دولة فلسطينية في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة من قبل المجلس الوطني الفلسطيني في العام ١٩٨٨. وهكذا، فإن تفسيراً جديداً للتاريخ الفلسطيني المعاصر قد أصبح ممكناً: فليس تاريخاً أو حدثاً معيناً هو الذي مهد لحقبة جديدة من التطلعات الوطنية الفلسطينية، بل مجمل التطور التاريخي في العقد الذي سبق العام ١٩٦٨، الذي حمل ختم حركة وطنية جديدة تقودها "فتح"، ويقف على رأسها ياسر عرفات. فالخلافات حول الكيان الفلسطيني، وحول إمكانية مشاركة الفلسطينيين في حرب تحرير ضد إسرائيل على شكل حرب عصابات، عربياً كان يدور النقاش حول مسألة الكفاح المسلح، تعدت نطاق سياسة الصراع على السلطة في المنطقة العربية لتشمل بذلك الطليعة السياسية الفلسطينية المشتتة. وكلا الصعيدين، العربي الإقليمي والفلسطيني الداخلي، يرتبطان بعلاقة جدلية وثيقة. في حين أننا هنا سنتعرض بالتحليل للسياسة العربية على خلفية علاقتها بالسياسة الفلسطينية في تلك الحقبة، وإلى أي درجة تمكننا من فهمها.

أما السياسة الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨، أي بعد النكبة، فقد ميزتها ثلاثة محاور رئيسية:

١. الحركة الوطنية الفلسطينية القديمة من عهد الانتداب بزعامة مفتي القدس السابق الحاج أمين الحسيني التي عبر عنها بشكل مؤسساتي الهيئة العربية العليا. والثانية المشكلة في العام ١٩٤٦، حيث وقف الحاج أمين على رأسها، وفي "حكومة عموم فلسطين" التي تشكلت العام ١٩٤٨ التي مثلها في الجامعة العربية أحمد حلمي باشا.
٢. القوميون الشباب من مدرسة قسطنطين زريق، وكانوا منذ العام ١٩٥٨ على الأبعد قد تبعوا زعيم القومية العربية في ذلك الوقت الرئيس المصري جمال عبد الناصر.
٣. مؤسسو "فتح" وقادتها، التي أسست العام ١٩٥٨ تقريباً كحركة لتحرير فلسطين. أما الصبغة الخاصة التي ميزتها فقد كانت علاقاتها الوثيقة بالحركة الوطنية الفلسطينية التقليدية التي مثلها الحاج أمين، بالإضافة إلى الوطنية الجديدة التي نشأت في أوساط الجالية الفلسطينية العاملة في الخليج العربي.

أولاً: الكيان الفلسطيني

أ. الحاج أمين و "الحرب العربية الباردة" ^٢

بادئ ذي بدء، وقبل التعرض للجدل حول الكيان الفلسطيني ^٣ الذي مهد له عبد الناصر بشكل رسمي في آذار ١٩٥٩، سنتناول بالتحليل التطورات التاريخية في فلسطين وحولها في السنوات ١٩٤٥-١٩٥٠، وذلك كقاعدة لما جرى لاحقاً. فوضع فلسطين من زاوية القانون الدولي، كان في هذه الفترة مثار جدل عربي داخلي، وذلك في سياق تأسيس الجامعة. ففي ملحق لميثاق الجامعة صادر في ٢٣ آذار ١٩٤٥ نقراً:

فوجودها واستقلالها [فلسطين] الدولي من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه، كما أنه لا شك في استقلال البلاد العربية الأخرى، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة. ^٤

ومن ضمن الحقوق التي تمتع بها مجلس الجامعة حق انتخاب أو تعيين ممثل فلسطين في المجلس: "إن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية متفقة فيما بينهما، أنه وبسبب الأوضاع الاستثنائية في فلسطين، وحتى يتمكن هذا البلد من ممارسة استقلاليتها بشكل فعال، فإن مجلس الجامعة يجب أن يكون مسؤولاً عن اختيار ممثل لفلسطين ليشترك في نشاط الجامعة". ^٥ وقد كان أحمد حلمي باشا "أول ممثل لفلسطين، إذ مثل في البداية حكومة عموم فلسطين التي حصلت على شرعيتها من خلال اعتراف كافة الدول العربية بها ما عدا الأردن. ولكن لما توقفت هذه الحكومة عن الوجود فعلياً في أيلول ١٩٥٢ كنتيجة لوقف جميع نشاطاتها، عين مجلس الجامعة أحمد حلمي باشا كممثل لفلسطين"، ^٦ حيث بقي في منصبه هذا حتى موته في حزيران ١٩٦٣.

إلا أنه، وبهذا التعيين، فإن الصراع على مستقبل فلسطين كدولة لم يحسم، بل تحول إلى ظاهرة متكررة في تاريخ الشرق العربي في سنوات الخمسينيات والستينيات.

فالصراع على السيادة في ذلك الجزء من فلسطين الذي لم تحتله إسرائيل بين الملك عبد الله والحاج أمين، الذي كان عيد الله قد حسمه لصالحه عندما قام العام ١٩٥٠ بضم الضفة الغربية إلى مملكته فارضاً هيمنته السياسية عليها، كما سبق أن تم التعرض له بالتفصيل في الفصل الأول، إلا أن الحاج أمين رئيس "حكومة عموم فلسطين" المتعثرة والعبارة، ورئيس الهيئة العربية العليا التي قامت الجامعة العربية بإعادة تشكيلها في ١٢ حزيران ١٩٤٦، لم تعترف بهذه الهزيمة، ولكن لم يكن في اليد حيلة، فبقي في المنفى في القاهرة، مثله في ذلك مثل أحمد حلمي باشا. فالوحدة المرتقبة بين مصر وسوريا فسرها الحاج أمين وكأنها الحظ أو الفرصة التي طالما انتظرها ليعود إلى حلبة السياسة الكبيرة. ^٧

وقبل ذلك، وفي العشرين من تشرين الثاني ١٩٥٧، طالب الحاج أمين في برقية بعث بها إلى حكومتي القاهرة ودمشق باعتبار فلسطين "جزءاً لا يتجزأ من سوريا"، ويجب إلحاقها بالوحدة السورية-المصرية.^٨ كما ضمّن المطلب نفسه في برقية إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٤ شباط ١٩٥٨، وذلك في أعقاب إعلان الوحدة بوقت قصير. وفي آذار كما في أيار من العام نفسه، أرسلت إلى عبد الناصر، وبتحرير من الحاج أمين عرائض تحمل آلاف التوقيعات، وتقض على الجوهر نفسه. في حين اختنقت الصحافة بالعرائض والبيانات التي تدفع في الاتجاه نفسه، وتتحدث عن فلسطين كونها تشكل "الجسر الوحيد الذي يربط بين مصر وسوريا"، و"كحلقة بين هذين البلدين العربيين المتجاورين".^٩ كما أن إلحاق فلسطين في دولة الوحدة العربية الجديدة، هكذا كان يذكر، يحقق تطلعات الأمة العربية.

ومن هنا، فقد كان على المجلس الوطني الفلسطيني الذي تشكل في غزة العام ١٩٤٨ إعلان الوحدة. وحسب رأي المفتي وأنصاره، فإن هذا البرلمان "يعتبر في الوضع الحالي أفضل ممثل للشعب الفلسطيني"،^{١٠} في حين أن هدف الحاج أمين من وراء هذه المبادرة كان واضحاً: لقد كان همه استرجاع نفوذه السياسي الذي فقده العام ١٩٤٨، كخطوة أولى نحو استرجاع أحقيته في القيادة السياسية للشعب الفلسطيني التي نازعته عليها بريطانيا العظمى العام ١٩٣٧، وحكومتا الأردن ومصر العام ١٩٤٨.

هذه المناورة السياسية التي قام بها المفتي وضعت عبد الناصر أمام معضلة صعبة، فتلبية مطالب الحاج أمين كانت تعني القيام بخطوات عملية نحو تحرير فلسطين مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج على المستويين الإقليمي والدولي، كما أن رفضها، وبخاصة في تلك اللحظات، لحظات النصر الكبير، كان سيعني زيف ادعاءات عبد الناصر وسياسته الوحودية، وفقدانه لمصداقيته. إلا أن عبد الناصر استطاع، ومن خلال مناورة مضادة صاغها بشكل أنيق، التملص من الوضع الحرج الذي وضعه فيه الحاج أمين. فبالإشارة سلباً وبشكل تحذيري إلى سياسة الضم التي اتبعتها عبد الله في سنوات ١٩٤٨-١٩٥٠، أصر عبد الناصر على موقفه في أن الفلسطينيين أنفسهم، وذلك بعد تحرير فلسطين، هم أصحاب القرار فيما يتعلق بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. فالجمهورية العربية المتحدة ترفض الاستعانة بشرعية مزيفة على غرار المجلس الوطني في غزة الذي تشكل بناء على رغبة فاروق العام ١٩٤٨، أو مؤتمر أريحا الذي عقد بناء على رغبة عبد الله.

وبهذه الطريقة تمكن عبد الناصر من سحب البساط من تحت أقدام الحاج أمين والهيئة العربية العليا، وذلك عندما لم يعترف بأحقيتها في وحدانية تمثيل الشعب الفلسطيني. ومع ذلك لم يتم فقط المحافظة على فكرة الهوية الفلسطينية المميزة (كيان) التي كان عليها أن تجد لنفسها قالباً سياسياً، بل تم تعزيزها من جديد ضمن سياسة اتبعتها

الحكومة المصرية في السنوات التي تلت. ومن هنا جاء مطلب عبد الناصر في آذار ١٩٥٩ نحو إعادة تنظيم الفلسطينيين.

قبل ذلك وبتاريخ ٢٥ شباط ١٩٥٨، أصدر الرئيس المصري مرسوماً يقضي بإنشاء مجلس تنفيذي في غزة يضم عشرة أعضاء، وآخر تشريعي يضم ثلاثين عضواً. أما ما كان يهدف إليه عبد الناصر من وراء ذلك فهو استبدال المجلس الوطني القديم بهذين المجلسين، بالإضافة إلى تجريده من كل شرعية.

وفي الثالث من نيسان ١٩٥٨، أقر المجلس التنفيذي في غزة في أول جلسة عقدها، وبالإجماع، انضمام فلسطين إلى الجمهورية العربية المتحدة. أما كيفية تحقيق ذلك، كما يراه عبد الناصر، فسيقره ذوو المسؤولية في الوقت المناسب وبالشكل الملائم لذلك.^{١١} وهكذا، ومن حيث المحتوى، فإن القطيعة قد حدثت بين عبد الناصر من جهة، والهيئة العربية العليا بزعامة الحاج أمين من جهة أخرى. أما شكلاً وحتى النهاية، فقد تم ذلك في غضون السنوات التي تلت.

وبعد ذلك بأقل من عام، أي في آذار ١٩٥٩، قدم عبد الناصر إلى مجلس الجامعة العربية في القاهرة ورقة عمل لتنظيم الكيان الفلسطيني يتم على أساسها في المستقبل تمثيل الشعب على الصعيدين المحلي والدولي، وذلك من خلال ممثلين يختارهم بنفسه.^{١٢} وفي غزة، وبشكل مواز للحملة التي قام بها عبد الناصر داخل الجامعة العربية، أي على الصعيد العربي، تم الإعلان عن "ميثاق الشعب الفلسطيني".^{١٣}

نحن أبناء فلسطين، نعلن عن هذا الميثاق الذي نتعهد بالوفاء له.

بند ١. تشكل فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي، وتحريرها واجب مقدس يقع على عاتق كل الشعوب العربية، كما أن انضمامها إلى ج.ع.م. بعد تحريرها هو شيء طبيعي لا مفر منه.

بند ٢. إسرائيل هي دولة عدوانية مجرمة أقامت الإمبريالية على بقايا فلسطين العربية، وبالتالي فإن واجبنا هو إزالة كل القواعد التي أقامت الإمبريالية.

بند ٣. القومية العربية والوحدة الكاملة لكل العرب هي روح المعركة التي نخوضها وهدفها.

بند ٤. إقامة مجتمع ديمقراطي واشتراكي عادل تحترم فيه الحرية، وحقوق الإنسان.

بند ٥. يجب أن يسود السلام، والازدهار الأرض العربية.

بند ٦. إن إقامة اتحاد وطني هو عمل إيجابي لا بد منه، وذلك لمنع الفقرة.

وفي أيار ١٩٥٩ قامت الحكومة المصرية بتشكيل لجنة بهدف التحضير لمؤتمر عام للفلسطينيين العرب لم يستثن منه الحاج أمين الذي حاول من جديد التأكيد على مواقفه بأن الهيئة العربية العليا هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وبالتالي فإنها الوحيدة المخولة " بإعادة تنشيط المسألة الفلسطينية "،^{١٤} وهو ما أنكره عليه الشباب الفلسطيني الناصري القادم من غزة وسوريا، واضعاً في المقابل تصوره بضرورة الدعوة إلى مؤتمر فلسطيني لإقامة مجلس تنفيذي أو حتى حكومة مؤقتة. وقد أنهت اللجنة أعمالها في نهاية حزيران، حيث لم يحصل أي تقارب بين الحاج أمين وعبد الناصر. ولم يمض شهران على ذلك حتى غادر الحاج أمين القاهرة قاصداً بيروت، وليقوم من هناك بالرد على حملات القذف التي تعرض لها شخص الحاج أمين والهيئة العربية العليا في الصحف المصرية، وذلك من خلال سيل من التصريحات الصحافية والمذكرات الرسمية:

مهما كانت دوافع أولئك الذين قادوا الحملات الغادرة ضد المفتي والهيئة العربية العليا من أجل فلسطين، وبغض النظر عن يقف وراء هذه الهجمات، فإن هذه الهجمات تبقى غير عادلة وتفتقر إلى أساس؛ فهدفها زرع الفرقة، وإثارة النزاع...
لصرف أنظار الفلسطينيين عن قضيتهم، وعن المؤامرات التي تحاك ضدهم بهدف طمسهم وتصفيتهم....

إن أصحاب هذه الحملات الخسيسة قد قاموا فقط بتكرار حملات التشهير والقذف ذاتها التي كان يكررها أعداؤنا، اليهود والإمبرياليون، كيفما راق لهم خلال السنوات الثلاثين السابقة... كل هذا حتى يتم تحطيم المفتي، والهيئة العربية العليا في فلسطين. وهكذا يحاولون تصفية القضية الفلسطينية وخدمة مصالح الإمبريالية والصهيونية.^{١٥}

وفي مقابل مشاريع عبد الناصر، طرح الحاج أمين مطلبه بخصوص دولة فلسطينية مستقلة ذات حكومة وجيش، مستغلاً في ذلك اعتراف الجامعة العربية في أيلول ١٩٥٨ بالحكومة الجزائرية المؤقتة كسابقة في هذا المجال.

أما الجدل الدائر بين المفتي وعبد الناصر فقد تفاقم ليتحول بسرعة إلى صراع محلي على السلطة بين الدول العربية المعنية وفي المقام الأول العراق بزعامة عبد الكريم قاسم، ومصر بزعامة عبد الناصر. إلا أن ذلك لم يخرج عن طابع المعارك الكلامية. وبشكل عام، فإن الأمر كان يتعلق بالدفاع عن التفسير الخاص لكل منهما للقومية العربية، وبخاصة المفاهيم المختلفة حول أفضل إستراتيجية سياسية عسكرية لتحرير فلسطين.

ففي كانون الأول ١٩٥٩، اقترح عبد الكريم قاسم إقامة " جمهورية فلسطينية " في الضفة الغربية وقطاع غزة. وعلاوة على ذلك اتهم عبد الكريم قاسم الأردن ومصر بأنهما لم تختلفا عن إسرائيل في اغتصابهما لفلسطين. كما دعا جميع الدول العربية

إلى وضع المال والسلاح والجنود تحت تصرف الجمهورية الفلسطينية " التي ستحرر كامل فلسطين من أيدي إسرائيل " ^{١٦}.

لم يعد العرب الفلسطينيون بحاجة للعيش في ظل رعاية أجنبية فترة أطول من ذلك. فهم قادرون الآن واليوم على إدارة حكومة خاصة بهم. فلسطين كانت، في الحقيقة، ضحية عدوان ثلاثي. فبعد اغتصاب أجزاء من أراضيها من قبل الصهاينة، قامت المملكة الأردنية الهاشمية بضم القسم الأكبر مما تبقى، والباقي قامت مصر بالاستيلاء عليه. إن هذا الضم لا يمكن تبريره بعد الآن، وعرب فلسطين يستطيعون، وبحق، المطالبة مستقبلاً بإدارة شؤونهم بأنفسهم. إن حكومة العراق ستقف بكامل قوتها وراء حكومة فلسطين الجيدة مثلما تفعل ذلك مع الحكومة الجزائرية المؤقتة. ^{١٧}

ومع اقتراب شهر كانون الأول من نهايته، أصبح التحريض الذي يمارسه قاسم أكثر إلحاحاً:

إن يوم النصر يقف على الأبواب. إنني أكاد أرى كيف يبتهج أخواني الفلسطينيون فرحاً بحريتهم واستقلالهم، وإنني أتعهد بالمشاركة في كفاح أبناء فلسطين، وأعدهم بالمساعدة، ليس مادياً فقط، وإنما بالرجال والسلاح أيضاً. كل شعب عليه، قبل كل شيء، تحرير أرضه بنفسه ... ^{١٨}

في الوقت نفسه، ذكرت صحيفة لورينت البيروتية أن الحاج أمين أصبح يقع في هذه الأثناء تحت حماية عبد الكريم قاسم، وأن الأخير ينظر إليه كمرشح للوقوف على رأس الحكومة الفلسطينية الجديدة. ^{١٩} فقاسم نفسه كان قد سبق واستشهد في بلاغاته عن الكيان بمذكرة كانت الهيئة العربية العليا قد حرّرتها في تشرين الثاني، وتطالب فيها " بإعادة إحياء فلسطين كدولة "، بالإضافة إلى إقامة جيش فلسطيني، وفرض التجنيد الإلزامي على كل الفلسطينيين بين ١٨ - ٥٠ عاماً. ^{٢٠}

في هذه الأثناء كان الجدل حول الكيان الفلسطيني قد احتل مكاناً مركزياً في " الحرب الباردة " العربية، وليحافظ على ذلك على مدى السنوات المقبلة. ففي جلسة الجامعة العربية المنعقدة في القاهرة في شباط ١٩٦٠، شكل الكيان الفلسطيني أحد المواضيع الرئيسية. وفي النهاية صدر قرار عمل على تأجيل الموضوع كله وإلى أجل غير مسمى. أما الخطوات العملية لذلك، فكانت من جهة تشكيل لجنة مؤلفة من خمسة خبراء، ومن جهة أخرى تم الاتفاق، على الأقل حسب النص الحرفي، على المبادئ الأساسية لسياسة عربية جماعية في المستقبل فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. وبناء على ذلك، فإن الفلسطينيين كانوا الأصحاب الشرعيين لفلسطين، ومن هنا كان لهم حق تقرير مصيرهم. كما تم تعريف كفاحهم كنضال تحرير وطني ضد الصهيونية. أمّا مشكلة اللاجئين، فقد تمت رؤيتها على أساس أنها تشكل جانباً من القضية الفلسطينية. فالحل الوحيد يتمثل

في إعادتهم إلى وطنهم مصحوباً بضمان عيشهم في حرية وأمن وسلامة.^{٢١} وعملياً، فإنّ الجدل حول الكيان لم ينته إلا العام ١٩٦٤ مع تأسيس م.ت.ف.

ولأنّ الادعاءات المتناقضة للأنظمة العربية المختلفة قد شكلت في محصلتها صفراً، فإنّ تشكيلة الصراع العربية هذه قد حافظت على نوع من الوضع الراهن فيما يتعلق بالدول الموجودة وأراضيها. في الوقت نفسه كان على عبد الناصر، ولادعائه أحقية القيادة داخل العالم العربي، أن يقدم نفسه كزعيم وطني، وكرجل دولة قادر على حل القضية الفلسطينية المشكّلة الأساسية للأمة العربية. وقد تمكن عبد الناصر من الاحتفاظ بموقعه هذا على الصعيدين الفلسطيني والعربي حتى ١٩٦٧. وقد شكل الجدل حول الكيان الذي استعر منذ ١٩٥٩ ثم إقامة م.ت.ف العام ١٩٦٤ الأساس الشرعي لذلك. فبعد موت أحمد حلمي باشا ممثل فلسطين في الجامعة العربية نجح عبد الناصر في دفع مرشح مرغوب من قبله لشغل هذا المنصب، ألا وهو أحمد الشقيري،^{٢٢} وليتم بذلك محو الذكريات الأخيرة المتبقية من "حكومة عموم فلسطين" الحاج أمين.

أمّا المبادرة المضادة لعبد الكريم قاسم كرد على مقترحات عبد الناصر في الجامعة العربية، ومطالبته بإقامة دولة فلسطينية، وإنشاء جيش فلسطيني فيمكن رؤيته فقط في سياق الصراع العربي على النفوذ فيما بين الأقطار العربية. وحتى علاقة عبد الكريم قاسم مع المفتي التي كانت على الأقل محددة زمنياً فمن الممكن رؤيتها في السياق نفسه أيضاً.

في حين أن الأردن لم يكن يهيمه موقعه في حلبة الصراع العربية، بقدر ما كان يهيمه المحافظة على أراضي الدولة التي كسبها العام ١٩٤٨/١٩٥٠. فالملك حسين كان مضطراً إلى الدفاع عن شرعية السيادة الأردنية على الفلسطينيين التي، في السياق الداخلي، كانت مبنية على افتراض أن الضفة الغربية الفلسطينية ستبقى تحت الوصاية الأردنية إلى حين التحرير الكامل لفلسطين. وفي حال حصول ذلك، فإنّ الشعب العربي الفلسطيني حرّ في تقرير مستقبله بعد ذلك. وقد ضمن هذا الافتراض وحدة أراضي المملكة الأردنية حتى أمام ادعاءات محتملة من قبل الحاج أمين، ولاحقاً "فتح".

وقد دفع مشروع تحويل مياه نهر الأردن إلى صحراء النقب من قبل إسرائيل، وقرب انتهاء العمل به، كل الأنظمة العربية على السواء إلى أن تنشط من جديد فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. ولذلك أرسل عبد الناصر في ٢٦ كانون الأول ١٩٦٣ دعوات إلى كل الزعماء العرب لحضور مؤتمر القمة العربي الأول في الفترة الواقعة بين ١٣-١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ في القاهرة. ومن بين الأشياء التي تم إقرارها هناك، "أن يستمر أحمد الشقيري، مندوب فلسطين في الجامعة العربية، في اتصالاته مع الدول الأعضاء من أجل إعداد أسس معقولة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وذلك حتى يتمكن من لعب الدور المرسوم له في تحرير وطنه، ولتحمل مسؤولية تقرير مستقبله".^{٢٣}

وكنتيجة لجهود الشقيري هذه، انعقد في أيار ١٩٦٤ المجلس الوطني الفلسطيني الأول في القدس، حيث تقرر من جهة فلسطينية تأسيس م.ت.ف،^{٢٤} في حين حيّاً مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد في الإسكندرية في أيلول ١٩٦٤ إنشاء م.ت.ف "كمساهمة في إعادة إحياء الكيان الفلسطيني، وكطليعة للكفاح العربي المشترك من أجل تحرير فلسطين".^{٢٥} كما صادق المؤتمر، ودعم قرار م.ت.ف في تأسيس إقامة جيش التحرير الفلسطيني. وكنتيجة لهذه التطورات، فقد أنكر على الحاج أمين دوره كقائد للحركة الوطنية الفلسطينية التاريخية، وكمدافع عن المطالب الوطنية الفلسطينية للمرة الثالثة. إلا أن هذه المرة كانت تعني تصفيته من السياسة العربية بشكل نهائي. فقد جردت الهيئة العربية العليا من الشرعية العربية التي تم إسنادها إلى م.ت.ف بزعامة أحمد الشقيري، وهو ما يعتبر أحد نتاجات سياسة الصراع على النفوذ في المنطقة التي قادها عبد الناصر.

ب. القوميون والكيان الفلسطيني

للمرة الأولى، وبمناسبة ذكرى النكبة في الخامس عشر من أيار ١٩٦١، تعرض القوميون في صحيفة الحرية لسان حالهم، التي كانت تصدر في بيروت أسبوعياً، وبشكل علني مباشر للجدل المستعر منذ عدة أشهر حول مسألة الكيان، منطلقين من موقف يميل إلى التشكك. وقد قابل القوميون الخطط الداعية إلى إعادة إحياء الكيان الفلسطيني بالنقد الشديد.^{٢٦} فإقامة دولة عربية جديدة كان يعني، من وجهة نظرهم، إيجاد حل إقليمي وليس قومي للقضية الفلسطينية. فإقامة دولة فلسطينية كان سيعني إجازة النكبة، كما سيشكل القاعدة للاعتراف بإسرائيل. بالإضافة إلى ذلك، فإن "إقامة دولة عربية فلسطينية سيعني تقسيم الدولة الأردنية. إلا أن كل من يؤمن بالوحدة لا يسمح لنفسه بالتفكير في التقسيم".^{٢٧} وأخيراً، فإن تحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني لا تستطيع دولة واحدة بمفردها القيام به.

ذلك أن الكيان كمفهوم كان قد عبر عنه كل من الحاج أمين ممثل الحركة الوطنية الفلسطينية القديمة الذي هاجمه القوميون كرجعي، والرئيس العراقي عبد الكريم قاسم الذي حاربه القوميون كخصم لدود لعبد الناصر، كل هذا أدى إلى تقوية القوميين في معارضتهم.^{٢٨}

من جهة أخرى، كان على القوميين هضم حقيقة مفادها أن مثلهم الأعلى عبد الناصر، أي قائد القومية العربية بنفسه، كان هو المبادر إلى إطلاق الجدل حول الكيان في العام ١٩٥٩. وللخروج من هذا المأزق، تحوّل أيديولوجيو القوميين إلى ما يشبه بهلواني الأفكار ليس إلا. وعلى الرغم من كل الارتياح، فقد ظن هؤلاء أنهم اكتشفوا مضمونا ثورياً لفكرة الكيان، "تنظيم شعب فلسطين"، "اكتشاف علمي وخطير".^{٢٩}

أما انتقادهم فيبدأ بتوجيه التساؤل حول ماهية التطبيق العملي لهذه الفكرة الثورية. فمن جهة، كان هناك السؤال عمن سيتحمل المسؤولية، ومن جهة أخرى، استوجب، في نظر القوميين، قيام الحكومات العربية باتباع سياسة تقضي في النهاية إلى تحرير فلسطين.

في حين اعتبر القوميون الجامعة العربية غير مهيأة لحل مسألة الكيان، ففي ذلك الوقت كان واضحاً وبشكل جلي أن مثل هذا الموضوع سيضيع في أروقة الجامعة العربية من خلال حلقات النقاش التي لا تنتهي، مثلما ضاع غيره واندثر. فالتنظيم الضروري الذي لا يحتمل التأجيل لكافة قطاعات الشعب الفلسطيني، وذلك كشرط أساسي لحرب التحرير، لا يتحقق بإنشاء جيش وفرض الخدمة الإجبارية من أجل المحافظة على الهوية الفلسطينية وفلسطينية الفلسطيني. كل هذه وحدها لا تكفي لاسترداد فلسطين. وبدلاً من ذلك، فقد حان الوقت لأن توقف الحكومات العربية أخيراً سياستها المعادية بشكل ظاهر جزئياً للفلسطينيين، ومن ثم البدء بحرب تحرير يقودها الشعب الفلسطيني.

فإدراك الفلسطينيين لأنفسهم كطليعة للأمة العربية في النضال لتحرير فلسطين، لم يكن أبداً جديداً عند القوميين، أو أنه نشأ في أعقاب الجدل حول الكيان أو حتى أنه إبداع أيديولوجي - سياسي من صنع "فتح" كما يظهر غالباً. بل نحن أمام استمرارية ذات تاريخ طويل ليس على المستوى الأيديولوجي - العقائدي فحسب، وإنما يشمل ذلك العمل السياسي أيضاً. فالذي تغير أو لائم نفسه مع الظروف الجديدة هو أسلوب العمل فقط.

وفي الوقت الذي وجد فيه الجدل حول الكيان طريقه بشكل متأخر نسبياً إلى أدبيات القوميين، إلا أنه أحدث تغييرات تنظيمية سريعة جداً داخل الحركة. وحتى في العام ١٩٥٩ شكلت المجموعة حول جورج حبش بالاشتراك مع المعلمين الفلسطينيين من المخيمات في لبنان لجنة فلسطين.^{٢٠}

كما أدارت هذه اللجنة في الحقبة الزمنية ١٩٥٩-١٩٦٣ سلسلة نقاشات مكثفة تمحورت حول حل المسألة الفلسطينية. في حين أن دراسات شتى أعدت خصيصاً لتشكيل ركيزة للنقاش من ضمنها تقرير سياسي صدر عن القيادة يحمل عنوان "خططنا من أجل فلسطين".^{٢١}

بعد الوحدة السورية-المصرية، بدأ القوميون العرب النقاش حول الدور الخاص في النضال من أجل الوحدة الكاملة. ففي إطار الوحدة السورية-المصرية، هكذا اعتقد المرء، أصبح بإمكان الفلسطينيين القيام بأعمال معينة لتحرير فلسطين. ومن هنا تخلوا وبالتفصيل الدور الفلسطيني المميز. فالقوميون تصوروا أن على الفلسطينيين أن ينشطوا من أجل تحرير فلسطين، وذلك على خلفية الدعم الذي ستقدمه الجمهورية العربية المتحدة.

وبهذا استثنى القوميون تصورات أخرى للدور الفلسطيني كانت قد سادت في ذلك الوقت؛ مثل تصرف فلسطيني منفرد دون ما تنسيق مع الجمهورية العربية المتحدة أو حتى دعمها، أو أن الجمهورية العربية المتحدة، وبشكل منفرد أو حتى الجامعة العربية، يمكنها تحرير فلسطين.^{٣٢}

وفي أعقاب هذه النقاشات تم، وبشكل تدريجي، إخراج نشاطات القوميين المتعلقة بالقضية الفلسطينية من حيز النشاط العام للحركة، وتركيزه في لجنة فلسطين. هذا الجنوح تجلّى في تأسيس الجناح الفلسطيني للحركة، الذي سبق التعرض له، ومؤتمر فلسطين الأول داخل الحركة العام ١٩٦٣.

في هذه المسألة لم نكن نملك المبادرة فالقوميون جاءوا متأخرين. صحيح أننا بدأنا بالتركيز على المسألة الفلسطينية، إلا أننا وعندما شكلنا أجنحة في كل البلدان العربية، ربطنا المسألة الفلسطينية بالتيار التحرري والوحدوي العربي الذي بدأ يزداد قوة. وبعد الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة، ساد في أوساط الجماهير الفلسطينية شعور مفاده أن الوحدة السورية المصرية لم تفعل شيئاً من أجل تحرير فلسطين. عوضاً عن ذلك كان هناك المثال الجزائري. وأخيراً نشأت بين الفلسطينيين في كل مكان تيارات تحررية. جناح فلسطين وقيادة فلسطينية.^{٣٣}

فمنذ تشرين الأول ١٩٦٤ وحتى بداية تموز ١٩٦٧ اعتاد أن يظهر في بيروت ملحق أسبوعي للصحيفة الناصرية اليومية المحرر، وذلك تحت عنوان فلسطين. هذا الملحق كان يصدره غسان كنفاني أحد المقربين من حبش في حركة القوميين. "وتحت إشرافه تحول هذا الملحق ليصبح الصوت غير الرسمي لكل الفلسطينيين. لقد كان ملتقاهم الوحيد".^{٣٤}

وقد كان القوميون قد استمروا في الأعوام ١٩٦٢-١٩٦٤ في جدلهم، الذي سيطر عليه بشكل كبير الرفض لكل التطورات المتعلقة بمسألة الكيان الفلسطيني، وهو ما اعتاد أن يصبغ الأعياد الوطنية التي كانت القضية الفلسطينية تتصدره عاماً بعد عام. فقد تعرضوا بالهجوم، وفي وقت واحد، للحكومات العربية الرجعية، للهيئة العربية العليا، وعلى رأسها الحاج أمين وأنصاره، وأخيراً لأحمد الشقيري، واتصالاته مع الجماعات السياسية الفلسطينية المختلفة. وعلى الرغم من كل النشاط الذي ساد الساحة السياسية، فإن خطوة واحدة إلى الأمام لم تحدث. فقد بقي كل شيء في مكانه على غرار بندول الساعة التي لا تدق، إرادة الشعب فقط يمكنها تغيير ذلك.^{٣٥}

وفي تصريح رسمي صدر عن حركة القوميين بمناسبة ذكرى النكبة في الخامس عشر من أيار ١٩٦٢، تمت المقارنة بين التطور العسكري والاقتصادي لإسرائيل، الذي تم عرضه بطريقة مؤثرة، والجمود أو حتى التأخر في الجانب العربي: فمن جهة، كانت

هناك كلمات فارغة في الجامعة العربية، ومن جهة أخرى كان الانفصال السوري، وبالتالي تقوية الرجعية. أما الخاتمة فقد شكلت حكماً ماحقاً:

إن الانفصال قد قلب الموقف في المنطقة في صالح الاستعمار والرجعية. وأتاح للقوى الرجعية إمكانية المبادرة والعودة بقضية فلسطين إلى جو المتاجرة والمضاربة السياسية الرخيصة، وما يتردد اليوم في الدوائر الرجعية من كلام عن "مخططات فلسطينية" مزعومة ما هو إلا مناورة أخطر ما فيها أنها ترمي إلى عزل القوى العربية الثورية عن مسرح القضية الفلسطينية.^{٣٦}

وقد استمر الأمر حتى خريف ١٩٦٣ حين صاغ غسان كنفاني موقفاً خاصاً بالقوميين فيما يتعلق بالجدل الدائر. "فالمسألة ليست مسألة الكيان"، بل يتعلق الأمر هنا "بمشكلة تنظيمية، بالسؤال كيف نخلق تنظيماً فلسطينياً قوياً، سرياً أو علنياً جداً باسم جبهة أو حزب أو ائتلاف أو ناد أو حتى باسم الشيطان. ما يهمنا في النهاية هو قيام تنظيم ثوري يضع حداً، مرةً وإلى الأبد، لكل المخططات والخطوات والمشاريع والوصايا الحكومية التي تهدف إلى استمرار تجزئة الشعب الفلسطيني".^{٣٧}

وفي كانون الثاني ١٩٦٤ كان قد عقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة الذي فوض أحمد الشقيري بالإعداد "لتنظيم الشعب الفلسطيني". وفي أعقاب المؤتمر مباشرة حدث داخل الحركة تحول إيجابي أولي فيما يتعلق بمسألة الكيان، عاكساً بذلك المزاج الناصري. فكتب محسن إبراهيم في الحرية عن "ضوء جديد على المسألة الفلسطينية". في الوقت نفسه، قارن بين قمة القاهرة والمؤتمرات العربية الإقليمية التي عقدت في الأربعينيات، مُقرّاً بحدوث نقلة، وبخاصة أن القوى الثورية العربية الآن مشاركة، وفي المقام الأول مصر، وتستطيع ممارسة النفوذ.^{٣٨}

أما البيان الرسمي حول الكيان الفلسطيني فقد صدر عن الحركة في السابع من آذار ١٩٦٤، موقعاً باسم الشباب العربي الفلسطيني. وقد ثمن البيان قرار مؤتمر القمة بإنشاء كيان بشكل إيجابي، شريطة أن يصبح هذا الكيان كيانا ثورياً. وتم تحديد شروط الكيان بما يلي:

١. انتخابات حرة حتى يتم تمثيل كافة قطاعات الشعب في الكيان. فمن خلال انتخابات حرة يتم في الوقت نفسه ضمان عدم تمثيل أولئك غير المقبولين من قبل الشعب.
٢. استقلالية الكيان ومساواته بغيره داخل الجامعة العربية وعلى الصعيد الدولي.
٣. يجب تمثيل "قوى الشعب العاملة والثورية" داخل الكيان، والسماح لها بلعب دور مهم هناك.

٤. حرية الفلسطينيين في العالم العربي (حرية التنقل، وحرية الكلمة، وحرية التصرف).^{٣٩}

فهذا الكيان الثوري كان عليه أن يتحول إلى الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وأن يكون مسؤولاً عن إدارة شؤونه اليومية.

وما هي إلا أيام قليلة، وفي الخامس عشر من آذار ١٩٦٤ بالذات، حتى خطت الحركة خطوة أخرى إلى الأمام لتلتقط، وللمرة الأولى، المبادرة فيما يتعلق بالكيان. "وقررت الحركة عقد لقاء لمناقشة كل المسائل المتعلقة بالكيان، ويشترك فيه ممثلو التنظيمات الثورية، والقوى العاملة، والمثقف الفلسطينية".^{٤٠}

ومن حيث المحتوى، فإن نقطة الانطلاق كانت كالتالي:

إنهم يعتقدون أن تحرير فلسطين معركة المصير العربي. ويجب على الفلسطينيين العرب لعب دور ريادي في هذا المعركة. ويجب على الشعب الفلسطيني تنظيم نفسه حتى يتمكن من القيام بواجبه تبعاً لطبيعة الصراع القادم.

وعن ذلك انبثقت لائحة تحمل الحد الأدنى من المطالب اللازمة لبناء الكيان:

١. إن الكيان الفلسطيني هو تنظيم ثوري للشعب الفلسطيني هدفه تحرير فلسطين.

٢. الكيان الفلسطيني ... هو الجسم الوحيد المخوّل بتمثيل الشعب الفلسطيني، والتحدث باسمه.

٣. الكيان الفلسطيني يتمتع بالاستقلال المادي والمعنوي.

٤. الكيان الفلسطيني يجب أن يكون ثمرة انتخابات حرة تعبّر عن الإرادة الثورية الحقيقية للشعب.

وعلى خلفية هذا البيان أراد القوميون تحريك "كل المجموعات، والتنظيمات، والنقابات وأفراد الشعب الفلسطيني" حتى يتم معهم تشكيل الكيان الفلسطيني.

أما التناقضات التي وجدت من حيث الشكل والمحتوى بين برنامج الحركة، وبرنامج الشقيري، فقد حملت في ثناياها الأساس لصراع حاد، عبّر عنه غسان كنفاني للمرة الأولى وبشكل مفصل في بداية أيار ١٩٦٤.

ليس لدينا أي اعتراض على لجنة التحضير التي اختارها السيد الشقيري، ولكننا نريد أن نذكر الشقيري أنه لم يف بوعده للقوى الثورية في لبنان. لقد تجاهل تنظيمات فلسطينية كانت تناضل قبل أن يبدأ أحد بالحديث عن الكيان بوقت طويل. نحن لسنا ضد الكيان، ولا ضد العمل معه أو من أجله. كما أننا لا نريد

إقامة تنظيم ثوري يخلو من التناقضات. إلا أنه يجب علينا جميعاً أن نقف ضد منطق التسوية في تركيبة م.ت.ف، وضد الإفراط في المنطق المعادي للثورية عند الشقيري.^{٤١}

فبالإضافة إلى النقد الموجه لسياسة الشقيري المائلة نحو التسوية، وبالتالي، حسب رأي القوميين المعادية للثورية، فإنه وفي خضم هذا الجدل الذي أثاره كنفاني، لا يمكن تجاهل المصالح التنظيمية الخاصة للقوميين: فالقوميون أرادوا عدم إخلاء موقعهم المركزي الذي احتفظوا به في حلبة السياسة الفلسطينية حتى يشغله أحمد الشقيري. فمن وجهة نظرهم التاريخية، فإن للقوميين دوراً حاسماً، ومسيطرًا في السياسة الفلسطينية منذ سنوات الخمسينيات.

وبمناسبة مرور ١٦ عاماً على النكبة، عاد غسان كنفاني للحديث من جديد عن الكيان كشيء هدفه الرئيسي "إعداد الشعب الفلسطيني من أجل معركة العودة الكبيرة". ذلك أن قمة عربية كانت هي التي مهدت الطريق لمشروع الكيان، يوضح ويبرر في رأيه الدعم المادي والمعنوي المطلوب لكل الدول العربية. إلا أنه، ومن ناحية موضوعية، حسب رأي كنفاني، يوجد هناك شرطان لنجاح الكيان. أولهما: أن على الكيان أن يقف إلى جانب العمل المسلح الذي اعتبره كنفاني تجديداً ثورياً للتنظيمات الفدائية التي ظهرت في كل مكان في مطلع الستينيات، وأن يعمل على تطويره. وثانيهما: أن يعمل على تثوير نفسه، وذلك ممكن فقط من خلال الاعتماد على الجماهير الفلسطينية في مخيمات اللاجئين فقط. وحسب كنفاني فإن،

قدرة العناصر الثورية ... هي الضمان، وهي مصدر التفاؤل الوحيد ... فإذا استطاعت هذه العناصر أن تحقق كمية من الدفع تؤدي إلى إرساء جذور جماهيرية في أطر تنظيمية جادة يكون الكيان قد حقق، ليس ضمان ثورته فقط، ولكن قدرته على الارتفاع إلى المستوى الذي تتطلبه معركة العودة ... [وعدم إمكانية استغلاله من قبل دول عربية رجعية معينة لإجهاض النضال الفلسطيني وتطويقه].^{٤٢}

أما الجلسة الأولى للمجلس الوطني الفلسطيني في القدس، فقد شكلت خيبة أمل كبيرة للقوميين. فمطالبهم المتعلقة بالكيان لم يتحقق منها شيء؛ فلم يتم إنشاء "تنظيم عسكري فعال"، كما لم يتم إقامة منظمة تحرير ذات إعداد جيد، ومرتبطة بقاعدة جماهيرية. أما "التنظيمات الثورية التي أخذت على عاتقها في السنوات الست عشره السابقة مسؤولية إعداد الفلسطينيين وتربيتهم"، فقد بقيت خارج م.ت.ف. فمنظمة التحرير كما تم تأسيسها في القدس كانت، حسب رأي القوميين "منظمة تفتقر إلى ارتباط جماهيري"، وبالتالي فإنها لم تلب، مثلها في ذلك مثل المجلس الوطني المنعقد في القدس، الحد الأدنى من مطالب الجماهير الفلسطينية التي تعتبر نفسها ممثلة له.

لقد أرادت هذه الجماهير من الكيان والمؤتمر والمنظمة أن تحقق تنظيمًا عسكريًا فلسطينيًا واقعيًا، وأن ترتفع إلى مستوى القدرة على تنظيم الفلسطينيين تنظيمًا متماسكًا، وأن تتمتع المنظمة بقيادة جماعية، وبقدرة ثورية جادة تعتمد على مقررات واضحة، وأن تحقق لنفسها استقلالية تتيح لها العمل الفعلي والوجود المستقل القادر على تحرير نفسه من ضغط الدول والتجمعات الرجعية ...

كل تنظيم مكافح لا بد له من الاعتماد على الجماهير ... فإذا لم يفعل ذلك، فإنه لن يحقق أكثر من "حكومة عموم فلسطين" التي على الرغم من كل المحاولات، والخطط والشعارات، لم تحقق في يوم ما منزلة محترمة.^{٤٢}

وهكذا، فإن مؤتمر القدس في نظر القوميين قد فشل على غرار برلمان غزة و "حكومة عموم فلسطين" للعام ١٩٤٨.

هذه الخلاصة لاجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني الأول تشيع لها أيضاً الاتحاد العام لطلاب فلسطين الذي شكل العام ١٩٥٩. وبتوجيه من رئيسه السابق تيسير قبعة، أحد نشيطي الحركة الكبار، كان الاتحاد تحت سيطرة القوميين الكاملة. ولم يحجم الاتحاد عن توجيه انتقاداته إلى الشقيري، وإلى الملك حسين وجهاز مخابراته. فقد اشتكى من المحاولات الناجمة جزئياً للحكومة الأردنية في عدم منحها تأشيرة دخول لأعضاء المجلس الوطني غير المرغوب فيهم، وبخاصة غسان كنفاني وأحمد اليماني (أبو ماهر). كما اشتكى الاتحاد العام بشكل خاص من الوجود المريب للمخابرات الأردنية خلال جلسات المجلس. وبذلك، فإن مؤتمر القدس قد تقلص في نظر الطلاب القوميين إلى مسرحية ساخرة، إلى "مهرجان لتتويج زعيم جديد تحت حراسة مباحث الأردن باسم عرب فلسطين".^{٤٣}

وقد بقي الأمر على حاله إلى حين انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية الذي أدى إلى تحول في سياسة القوميين اتجاه م.ت.ف. فهناك تم في الرابع عشر من تشرين الثاني ١٩٦٤ ترسيخ مقررات مؤتمر القدس المتعلقة بإنشاء م.ت.ف، وبالتالي الاعتراف بم.ت.ف على الصعيد العربي-الإقليمي ككيان فلسطيني جديد.^{٤٤} هذه الشرعية العربية من خلال عبد الناصر خلقت وضعاً جديداً في السياسة الفلسطينية، بحيث لم يبق أمام القوميين سوى تغيير سياستهم اتجاه م.ت.ف ورئيسها أحمد الشقيري. وقد عجل في ذلك القرار الذي اتخذ في الإسكندرية بإنشاء جيش فلسطيني. وبذلك أصبح بإمكان القوميين الجدل، وبحق إلى حد ما، أنه الآن فقط تم تحقيق أحد مطالبهم المركزية التي كانت على بساط البحث في مطلع الصيف. وعلى هذا الأساس، بدأ القوميون برؤية بعض الجوانب الإيجابية للكيان. فمنذ نهاية ١٩٦٤ أخذ القوميون بالنظر إلى م.ت.ف والاعتراف بها كمنبر للعمل السياسي اليومي الهادف إلى تثبيت الشخصية الفلسطينية. وبهذا أصبح في نظرهم للكيان دور مركزي، وبخاصة في العمل الجماهيري.

أما تأثير عبد الناصر على القوميين، فيجب هنا عدم التقليل منه. فبشكل غير مباشر يتم التأكيد على ذلك، وذلك عندما تشدد الحرية على أن الأنظمة الثورية والتقدمية العربية والمقصود بشكل خاص عبد الناصر تدعم الكيان. ومن خلال متحدث رسمي، يتم الإعلان عن أن القوميين سوف يناضلون من أجل أن تقف كل القوى الثورية الفلسطينية إلى جانب الكيان، وذلك هو تثوير الكيان الذي يتم فقط من داخله.^{٤٦} وهكذا شكلت م.ت.ف الإطار الذي من خلاله ستتم قيادة الكفاح الفلسطيني الثوري. ومن المفترض أن ذلك قد حدد سياسة القوميين الفلسطينية حتى ١٩٦٧.

ج. "فتح" و "الكيان الفلسطيني الثوري الحر"

الكيان مطلب أساسي من مطالبنا نحن عرب فلسطين المشردين ... والكيان هو حقنا الشرعي لنا، فكافة شعوب الأرض تسعى للحرية، ولم نعد نستطيع الانتظار طويلاً حتى تمنح الحرية! فالحرية لا يمنحها أحد، بل تؤخذ ببذل المهج والدماء.

إن هناك أقساماً عربية من فلسطين وعلى هذه الأقسام ينبغي أن نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي يعمل بالتعاون مع الدول العربية لإنقاذ فلسطين من اليهود المجرمين ... إن هذا الحكم الذي نطمح بالحصول عليه يتمثل بكيان نابع من ضمير شعبنا ونكتبه ... وهذا الكيان كفيل برد الاعتبار والكرامة لمن فقدوها^{٤٧}

وخلافاً للقوميين، فقد شكل الكيان عنصراً مركزياً في أيديولوجية "فتح" الوطنية التي بدأت بالتبلور منذ ١٩٥٩-١٩٦٠. ومن المفترض أن يرتكز هذا الكيان على قاعدة أرضية، على ما يبدو، الضفة الغربية وقطاع غزة. وهناك، هكذا يستشف من النص، يجب أن تقوم دولة فلسطينية مستقلة. وبذلك تبنت "فتح" موقف عبد الكريم قاسم المعلن عنه منذ ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٩ الذي يعود في جوهره إلى مذكرة الحاج أمين الموجهة بتاريخ ٩ تشرين الثاني إلى الجامعة العربية ووزراء الخارجية العرب.^{٤٨}

بالنسبة لـ "فتح"، فقد كان على الكيان تحقيق أهدافه على صعيدين:

- يجب عليه، وبدعم من الدول العربية، قيادة الكفاح لتحرير تلك الأجزاء من فلسطين التي أقيمت عليها العام ١٩٤٨ دولة إسرائيل.
- عليه أن يخلق من المهاجرين واللاجئين شعباً ذا قيادة سياسية حرة ومستقلة، بحيث يعيد من خلال ذلك إلى هذا الشعب هويته وكرامته التي فقدتهما نتيجة للنكبة. وتتضح أهمية مطلب "فتح" هذا، سواء من ناحية أيديولوجية عامة، أم سياسية عملية، وذلك من خلال إعادة صياغة العلاقة بين النكبة والكيان من قبل الحركة الوطنية الشابة التي تم التعرض لها بالتفصيل في الفصل السابق.

وبإعادة إنشاء الكيان فقط، حسب ما تراه "فتح"، يمكن إزاحة الظلم التاريخي الذي وقع العام ١٩٤٨، الذي لا يتحمل مسؤوليته العدو اللدود إسرائيلي فحسب، وإنما، وإن لم يكن في المستوى نفسه، الدول العربية أيضاً.^٩

هذا الكيان يمكنه فقط أن يُنشأ في سياق الدول العربية الموجودة بشكل فعلي. ومن هنا، كان على الحشد الأيديولوجي والنشاط السياسي لحركة "فتح" الشابة أن يسيرا في اتجاهين اثنين:

أولاً- يجب العمل على إقناع الدول العربية بضرورة الاعتراف بكيان فلسطيني تتم إقامته؛ بمعنى آخر يجب الحصول على موافقتهم على هذا المطلب، ليس فقط من ناحية مبدئية، وإنما فيما يتعلق بالتصورات الخاصة بـ "فتح" حول الكيان أيضاً.

إننا نصر على فرض وجودنا في المنطقة العربية؛ لأن هذا الوجود بداية حتمية للعمل الثوري، وإن أي محارب لهذا الوجود نعهده واقفاً - لا محالة - بجانب اليهود والاستعمار ... إن الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره لا يستطيع أن يثور على اليهود ما دام ليس له كيان ... وحكامه يحاربون كيانه ويكبتون ثورته!! وهذا ما حدث بالضبط منذ بداية النكبة. إنا نحذر أولئك الذي يحاربوننا ... فهم ليسوا أكثر من سياط في أيدي اليهود وخالقيهم.^{١٠}

وبالتحديد توجهت "فتح" إلى الجمهورية العربية المتحدة والعراق اللتين شكلتا، بشكل رئيسي، محور الصراع حول الكيان. فالجمهورية العربية المتحدة والعراق تشكلان

قلعتين للحرية والعروبة ... وهما إن خلصت النيات! قادرتان على بعث الكيان الحر الثوري هذا وتأييده في تحرير الوطن ... ومعركة فلسطين هذه ستكون عربية شاملة تتخذ الوجه الفلسطيني الإقليمي!... ستاراً لها في سبيل تصفية الاستعماريين اليهود من وطننا.^{١١}

إلا أن الصراع على أرض الواقع كان مختلفاً جداً، وهو ما أصبح ملحاً في أعقاب النكبة: بين ادعاء الهاشميين في أحقيتهم بالحكم على سوريا الكبرى، وبشكل خاص في فلسطين، وبين تطلعات الاستقلال لأولئك الذين يمثلون الوطنية الفلسطينية المستقلة. ففي العام ١٩٤٨ كانت المواجهة بين الملك عبد الله والحاج أمين الحسيني، وفي الأعوام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ برزت "فتح" كعنصر جديد على الساحة يدعي أحقية تمثيل الوطنية الفلسطينية.

أما النصوص التي سبق الاستشهاد بها بادئ الأمر من فلسطيننا، فتخفي في ثناياها بذور شقاق بين الادعاءات الأردنية والفلسطينية في الضفة الغربية التي من المفترض أنها قد سويت فقط في اللحظة التي قام فيها الملك حسين في صيف ١٩٨٨ بفك الارتباط مع الضفة الغربية.

ومن الجدير بالاهتمام أن "فتح" في هذه السنين الأولى لجريدة فلسطيننا، قد قامت بصياغة الادعاءات الفلسطينية بشكل واضح، في حين أنها تجنبت، في الوقت نفسه، وعلى ما يبدو مع سبق الإصرار، الإشارة إلى الأردن أو حتى مهاجمتها. كما تزداد دهشتنا أكثر فأكثر حين نعلم أن القوى التقليدية (الحاج أمين) مروراً بالقومية العربية للبعث، وحتى حزب التحرير الإسلامي، كلها مجتمعة وفي المستوى نفسه، كانت تقتات من عداؤ متجذر للهاشميين. وربما تعلق الأمر هنا بإحدى الأمثلة الأولى للسياسة ذات الطابع العملي والدبلوماسي الحذر التي انتهجتها "فتح" لاحقاً مع الدول العربية.

ثانياً - على الفلسطينيين - وهنا كان المقصود بصريح العبارة، وفي المقام الأول فلسطينيي المخيمات - استلهم أيديولوجية "فتح" ومطالبها السياسية، ومن ثم هضمها لتصبح فيما بعد أيديولوجيتهم، ما سيمنح الحركة الجديدة، داخلياً وخارجياً، الشرعية المطلوبة.

أما الشعار السياسي - الأيديولوجي الذي كان مطلوباً لذلك، فمن المفترض أنه كان متضمناً في المطلب نحو "كيانا ثورياً قيادياً فاعلاً ... كيانا غير تابع وغير خاضع وغير موجه".^{٥٢} ويفترض بذلك أن يجد الفلسطينيون طريقهم مرة أخرى نحو الهوية الذاتية كشعب حر مستقل له وطن يحتاج إلى تحريره. في حين يجب العمل على دفع الدول العربية نحو الاعتراف بهذه الهوية الوطنية وما ينبثق عنها من مطالب سياسية.

وقد شكلت جبهة التحرير الجزائرية وحرب التحرير والاستقلال التي تقودها مثلاً أعلى لـ "فتح"، ليس فقط بسبب التقارب الأيديولوجي - السياسي للحركتين، بل كنتيجة للعلاقات الشخصية التي نشأت في القاهرة في سنوات الخمسينيات بين الوطنيين الفلسطينيين الشباب، وبين قادة الجبهة في المنفى أيضاً؛ فـ "فتح"، مثلها مثل الحاج أمين، عملت على إبراز المتوازيات فيما يتعلق بنقطة الانطلاق ومطالب كل من الجزائريين والفلسطينيين: قيادة مستقلة لحرب التحرير، معترف بها ومدعومة من الدول العربية بهدف إقامة دولة مستقلة بقيادة حكومة وطنية خاصة بها.^{٥٣}

كما شكل "الكيان الفلسطيني الثوري الحر" نواة الأيديولوجية المحركة لـ "فتح"، هذا الكيان الذي فهمته الحركة الوطنية الجديدة وكأنه يجسد، إلى حد ما، المطلب نحو الدولة الفلسطينية المستقلة. وللحقيقة، فإن هذا المطلب بالذات، الذي كان في حال الجزائر مسلماً به من كل الدول العربية، كان في حال فلسطين موضع جدل شديد. فمنذ عهد الانتداب، ولكن وبشكل خاص بعد النكبة، كانت فلسطين قد تحولت لتصبح رمزاً للقومية العربية؛ فدولة فلسطينية تعني النقيض لأحلام الوحدة العربية. وقد سبق وأن صاغ القوميون العرب ذلك بشكل واضح، وذلك بالمقارنة بين إقليمي وقومي، كما مثل هذا ضمناً الموقف الأيديولوجي لكل القادة السياسيين العرب في ذلك الوقت،

سواء الملك حسين أم حتى الرئيس عبد الناصر، كما مثلت في الوقت نفسه القاعدة الشرعية لأحقية كل منهما على انفراد في السلطة والصراع عليها في المنطقة. في حين أن الادعاءات الفلسطينية الوطنية كان يتم التضحية بها باستمرار على مذهب القومية العربية. هذا الضغط الأيدلوجي الذي كاد يجعل من أية مقاومة عملاً مستحيلًا، انحنى أمامه الحاج أمين سريعا، على الرغم من الدعم المحدود زمنياً الذي وفره له الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم. ففي شباط ١٩٦٠، نفى الحاج أمين "أن يكون قد طالب بإقامة حكومة فلسطينية في الضفة الغربية، منكرًا أية نية لفصل الضفة الغربية عن الشرقية... فالهيئة لم تطالب قط بإنشاء حكومة فلسطينية... فوجود حكومة عموم فلسطين منذ ١٩٤٨ لم يزل أبداً من الحكومة الأردنية، كما أن هذه الحكومة، بالإضافة إلى الهيئة العربية العليا لفلسطين، لم تحاول في يوم ما بأي شكل من الأشكال استفزاز الحكومة الأردنية".^{٥٤}

في حين أن "فتح" في تحريضها السياسي لم تكن مقيدة، كما كان حال الحاج أمين، بضرورة مراعاة الاعتبارات الدبلوماسية متابعة عبر سنة ١٩٦٠ بأكملها هدف إقامة الدولة الفلسطينية الوطنية.^{٥٥} ولكن، وعلى الأبعد في الأعوام ١٩٦٣-١٩٦٤، لم تعد "فتح" للتعرض مرة ثانية في عناوينها الرئيسية في فلسطيننا إلى السؤال المركزي الذي شغل فترة ١٩٦٠-١٩٦١ بأكملها حول "الكيان الفلسطيني الحر".

النقص في الوثائق المتوفرة حول النقاشات الداخلية للأيدلوجية والبرنامج في "فتح" لا يسمح بإعطاء جواب واضح وقاطع عن هذا التساؤل. وعلى الرغم من ذلك، ربما أمكن تقديم التفسير التالي بناء على استنتاجات معقولة. على الأبعد العام ١٩٦٣ بعد موت أحمد حلمي باشا، وتعيين الشقيري في أعقاب ذلك ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية، كان قد برز في الأفق حل لمسألة الكيان، وذلك بالمفهوم الناصري له. فالكيان كما طالبت به "فتح" على صفحات فلسطيننا منذ ١٩٥٩ لم يكن أكثر من مسألة وقت. وفي العام ١٩٦٤، اتخذ شكل م.ت.ف. وبلا ريب، فإن م.ت.ف. كانت صنيعة سياسة القوة المحلية الناصرية. فبالنسبة لـ "فتح" كحركة سياسية جديدة ادعت لنفسها أحقية قيادة المجتمع الفلسطيني، بالإضافة إلى تجسيد حركة وطنية فلسطينية جديدة، فإن مجرد الدعوة لإقامة كيان، بغض النظر عن المحتوى الذي يتضمنه هذا المفهوم لم تكن كافية لتحريك الجماهير، وبشكل خاص عندما اضطرت "فتح" العام ١٩٦٣-١٩٦٤ إلى مواجهة ادعاء عبد الناصر في قيادة العالم العربي، وعلى صعيد السياسة الفلسطينية أيضاً. فبعد مؤتمر القمة العربي الأول وبعد تأسيس م.ت.ف، لم يكن باستطاعة "فتح" البروز من جديد إلا من خلال موقف يتسم بالمعارضة الصريحة لعبد الناصر، ومن ثم، وعلى أساس ذلك، محاولة كسب الفلسطينيين أينما وجدوا وبشكل قاطع إلى جانب وطنية "فتح" الفلسطينية. فبدلاً من الكيان كنواة

لأيديولوجية "فتح" المحركة، حلت في العام ١٩٦٣، وبشكل أقوى في العام ١٩٦٤، الدعوة إلى الكفاح المسلح.

فالتبديل من الكيان إلى "الكفاح المسلح" رافقه الابتعاد عن المواقف السياسية للحاج أمين وبشكل عام نوع من التنصل من قبل الحركة الوطنية الشابة من القائد التاريخي للحركة الوطنية في عهد الانتداب. أما خلفية ذلك، فربما كمنّت في التوسيع الذي عرفته القاعدة السياسية لـ "فتح". فخلال مؤتمر "فتح" الأول الذي انعقد العام ١٩٦٢، تم إنهاء عملية دمج أعضاء حزب التحرير السابقين مثل خالد الحسن، أو نشيطي البعث السابقين مثل فاروق القدومي. فالعلاقة الشخصية الوثيقة لعرفات بالحاج أمين، وذلك على خلفية الدور الذي لعبه هذا في عملية التكيف السياسي لمؤسسي "فتح" بدت لهذه المجموعة الجديدة في "فتح" ليس فقط غير مهمة، وإنما اعتبرت كعبء على تنظيمهم الذي ما زال في حاجة إلى التوسع. فالحاج أمين كان بالنسبة لهم شخصية أنكرها الزمن وممثلاً لمواقف سياسية لم يعفَ عليها الزمن فحسب، وإنما كانت في أغلب الأحيان خاسرة. فهي، وبشكل عام، الشخصية القيادية التي كانت موضع خلاف في التاريخ والسياسة الفلسطينية المعاصرين.^{٥٦}

فالقضية التي حصلت بين عبد الناصر والحاج أمين، بالإضافة إلى الصراع الذي احتدم في الستينيات بين الحاج أمين ومنظمة التحرير حديثة العهد، كان وحده كافياً لدفع القيادة الجماعية الجديدة لـ "فتح" بعد ١٩٦٢ بعيداً عن الحاج أمين، إذ أن الصراع مع عبد الناصر كان عبئاً كافياً. أضف إلى ذلك أن ارتباطاً سياسياً بالخاسر الدائم في التاريخ الفلسطيني كان يعني شل قدرة "فتح" الشابة عن الحركة بشكل تام. إلى هذه الأفكار الاستراتيجية اجتمعت تأثيرات سياسية وأخرى معاصرة جديدة، كان لمكتب فلسطين في الجزائر الذي وقف على رأسه أبو جهاد أثر كبير في إطلاقها. وعلى إثر ذلك، بدأت "فتح" تفهم نفسها في المقام الأول كإحدى حركات التحرر الوطني الكثيرة التي انطلقت في الستينيات ضد القلاع الأخيرة للاستعمار الأنجلو-أوروبي. فالنماذج التاريخية الخاصة بالفلسطينيين أصبح يشكلها، وبشكل متزايد، قادة أيديولوجيون-عسكريون من العالم الثالث على غرار تشي جيفارا، وجنرال جياب أو ماو تسي تونغ. في حين حلت أسباب علمانية محل التأثيرات الدينية التي كانت حتى ذلك الحين مهيمنة، دافعة إياها إلى الخلف دون أن تقضي عليها في يوم ما بشكل نهائي.^{٥٧}

ولأسباب تكتيكية-براغماتية مصحوبة بتطورات تنظيمية داخلية تم احتجاز المطلب نحو دولة فلسطينية وطنية الذي وقف طيلة الوقت في الصدارة، لمرحلة كاملة (حتى ١٩٦٨ أو ١٩٧٤). وبدلاً من ذلك كانت هناك محاولة حشد الفلسطينيين من أجل جمعهم كشعب من خلال شعار أيديولوجي مركز جديد هو شعار الكفاح المسلح.

إلا أن هذا لم يكن ليعني أن المطلب نحو كيان قد اختفى كلياً من أيديولوجية "فتح" وقاموسها السياسي. فالكيان الفلسطيني بجملة معانية بقي جزءاً من برنامج "فتح" وأيديولوجيتها، إلا أنه تراجع بشكل قوي جداً إلى الخلف. وفي فلسطيننا نفسها استمر "الكيان" في الظهور كسابق عهده، إلا أنه، وبلا ريب، قد فقد مكانه المركزي. وفي العام ١٩٦٤، حيث تأسس م.ت.ف، نشرت آراء سريعة حول الكيان. ولكن بعد أن تم في كانون الثاني ١٩٦٤ الإعلان من قبل مؤتمر القمة العربي الأول عن إنشاء كيان فلسطيني، نشرت فلسطيننا في نيسان ١٩٦٤ مجموعة من المواقف حول هذا الحدث القادم عكست رأي القوميين، وحزب البعث، بالإضافة إلى مجموعتين لم تكونا معروفتين حتى ذلك الحين "أبناء فلسطين في الكويت" و "العرب الفلسطينيون في سوريا".

أما أبناء فلسطين في الكويت والعرب الفلسطينيون في سوريا فمن غير ريب أن "فتح" كانت تقف خلفهما. أما موقف "فتح" من الكيان في العام ١٩٦٤، فيمكن إبرازه على خلفية برنامجها السياسي الذي نقدمه فيما يلي بشكل مختصر:

- ١- أن يكون الكيان الفلسطيني تنظيمًا ثوريًا يشمل أبناء فلسطين جميعاً، معتمداً الأسلوب الثوري في العمل.
- ٢- إجراء انتخابات حرة ينبثق عنها مجلس وطني يمثل أبناء فلسطين ويكون السلطة العليا.
- ٣- أن يكون الكيان منطلقاً للثورة لا بديلاً عنها.
- ٤- الكيان الفلسطيني لا يتدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية.
- ٥- تكون القدس مقراً لقيادة التنظيم.
- ٦- افتتاح مكاتب فرعية في الأقطار العربية وإعطاء حرية التنقل للفلسطينيين.
- ٧- يراعي التنظيم إقامة الوحدة الوطنية وتجميد النشاطات الحزبية.
- ٨- إنشاء جيش فلسطيني بقيادة فلسطينية، والعمل على تدريب الفدائيين فوراً وتطبيق التدريب العسكري الإجباري على الفلسطينيين، وإلحاق الفلسطينيين في الكليات العسكرية العربية، وتعميم فكرة نظام الفتوة والمقاومة الشعبية والدفاع المدني في الأراضي الفلسطينية.
- ٩- ضرورة الإسراع بدخول القوات العربية الموحدة إلى الضفة الغربية.
- ١٠- إشراك المرأة الفلسطينية.^{٥٨}

وقد كانت فلسطيننا نفسها تتفق في الرأي مع المجموعات التي سبق ذكرها، وفي كل النقاط تقريباً. فالصدارة احتلها مرة أخرى المطلب نحو الكيان الثوري الذي يجب أن يشكل القاعدة الثورية المسلحة. كما اعتبرت مهمة إطلاق هذه الثورة من صلاحيات تنظيم عسكري.

وقد شذت "فتح" عن القاعدة في موقفها المتعلق بإجراء انتخابات حرة. وعلى الرغم من أن فلسطيناً قد حيت ذلك مبدئياً، ظهر للسان حال "فتح" في ذلك الوقت الخطر الذي تحمله الانتخابات في ثناياها على السياسة الفلسطينية المستقلة، وصورت التدخل العربي في الشؤون الفلسطينية الداخلية كخطر حقيقي. فمن خلال انتخابات مزيفة، يمكن للدول العربية دفع بعض الساسة الفلسطينيين إلى مراكز قيادية، بحيث يمكن إجبار الفلسطينيين، وتحت غطاء الشرعية، على القبول بنهج سياسي معين. بالإضافة إلى ذلك، فقد حذرت فلسطيناً من صراع داخلي بين الفلسطينيين حول الانتخابات التي من الممكن أن تشكل خطراً على الوحدة الوطنية الفلسطينية التي لا تزال تمر في مرحلة دقيقة. وأخيراً اعتبرت فلسطيناً أن القوى "الثورية الحقيقية" لا تزال في وضع، وبخاصة من ناحية مادية، لا يسمح لها بحملة انتخابية ناجحة. فبدلاً من حملة سياسية، دعت فلسطيناً لذلك إلى الثورة المسلحة التي تتجنب كل المخاطر التي تم عرضها، وتقوم بجلب ممثلي الشعب الحقيقيين إلى السلطة.

وفي الختام تم التعرض مرة أخرى لمسألة السياسة الفلسطينية المستقلة، ولكن هذه المرة من زاوية أخرى: فقد اعتادت فلسطيناً منذ ست سنوات على الدعوة إلى عدم تدخل الفلسطينيين في الصراعات الداخلية العربية. وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة والشديدة التي تعرضت لها فلسطيناً، فإن هذا المطلب نحو عدم التدخل تم تكراره بشكل حاسم.

لقد كان عدم التدخل بالنسبة لـ "فتح" يعني شيئين اثنين: من جهة، كان على الفلسطينيين عدم التدخل في سياسة الدول العربية، لا بشكل شخصي ولا من خلال تنظيمات، وهو ما تضمن، بالإضافة إلى أشياء أخرى، الانسحاب من كل التنظيمات القومية العربية، وإلى التخلي عن أية سياسة ثورية عربية، كما دعا إليها وطبقها على سبيل المثال القوميون. من جهة أخرى، استوجب على الدول العربية عدم التدخل في السياسة الفلسطينية، وهو بالنسبة لـ "فتح"، وبلا شك، المطلب الأهم والحاسم. هذا المبدأ السياسي الذي ظهر في أيديولوجية "فتح" بلا انقطاع كشعار متداول، يمكن إرجاعه ليس فقط إلى التجربة التاريخية للحركة الوطنية الفلسطينية حتى ١٩٤٨، وإنما أيضاً إلى الوضع الخاص الذي عاشه العمال الفلسطينيون المهاجرون إلى الكويت منذ ١٩٤٨. فهو يعكس هدف "فتح" الأسمى الذي تابعه التنظيم وبإصرار منذ بداياته الأولى وحتى يومنا هذا: وضع فلسطين وشعبها في نفس مرتبة الدول العربية الموجودة وشعوبها، وهو ما يمكن تحقيقه فقط من خلال إقامة دولة وطنية فلسطينية مستقلة.

وانطلاقاً من ذلك، فقد واجهت "فتح" إحدى خطب أحمد الشقيري الموجهة إلى الشعب الفلسطيني في كانون الثاني ١٩٦٤ بالشعارات السياسية التالية:

تحرير فلسطين مسؤولية الشعب الفلسطيني كله بقيادة طليعته الثورية الفدائية الموحدة التي تؤمن بالكفاح المسلح طريقاً وحيداً للتحرير... وكل كيان لا يعبر عن الاستقلال وعدم الخضوع أو التبعية يعطي مفهوم الانتهازية الفاشلة.^{٥٩}

وبهذه الطريقة شككت حركة "فتح" الشابة بالدور القيادي للشقيري داخل المجتمع الفلسطيني، متهمة إياه، بالإضافة إلى ذلك، بالتبعية لمصر.

ومع ذلك، فقد شاركت مجموعة من الفلسطينيين من الكويت وقطر والمنتمين إلى قيادة "فتح" في جلسات المجلس الوطني الفلسطيني الأول في أيار ١٩٦٤ في القدس، وذلك لإسماع مطالبهم. وقد كان منهم خالد الحسن، وخليل الوزير، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان.^{٦٠} إلا أنهم بقوا، شأنهم شأن القوميين، إلى حد كبير بلا نجاح. ولكن حين اختار القوميون بعد مؤتمر الإسكندرية في خريف ١٩٦٤ النضال من أجل سياسة فلسطينية ثورية في إطار م.ت.ف، اختارت "فتح" طريق المواجهة المفتوحة مع الشقيري أو م.ت.ف ذات التبعية الناصرية التي خرج منها الوطنيون الفلسطينيون الشباب في العام ١٩٦٧-١٩٦٨ منتصرين. أما الطريق نحو هذا النجاح، فقد مهد له انصراف "فتح" إلى الكفاح المسلح.

ثانياً: استراتيجيات التحرير: من الحرب الخاطفة إلى عقيدة الكفاح المسلح

أ. عبد الناصر والحرب الخاطفة

بعد الهزيمة الساحقة التي منيت بها الدول العربية في حرب ١٩٤٨، واتفق الهدنة الذي تمّ التوقيع عليه في رودس العام ١٩٤٩، حامت كل النقاشات السياسية في المنطقة العربية حول مسألة "الجولة القادمة" في الحرب ضد إسرائيل. ومن خلال تدمير الدولة الصهيونية حديثة النشأة، فإنه من المفترض أن يتم استعراض القوة الحقيقية للعالم العربي. إلا أن ذلك سرعان ما تحول إلى شعار محرك (Topos)، وذلك لاستخدامه كصك غفران على صعيد السياسات الداخلية، وفي عملية الصراع على النفوذ بين هذه الدول، بدلاً من أن تكون إسرائيل هي المقصودة. وبكلمات أخرى، فمع مراعاة أن السياسة العربية في سنوات الخمسينيات والستينيات قد كانت في أيديولوجيتها ودعايتها راديكالية إلى أبعد حد، إلا أنها في قراراتها المحسوسة كانت براغماتية جداً؛ فالتحليل الذي يقدمه روني جاباي (Rony R. Gabbays) ينطبق بشكل واضح على سنوات الخمسينيات:

على الرغم من أن القادة السياسيين كانوا يعترفون في مجالسهم الخاصة، بأن الدولة اليهودية حقيقة لا يمكن تجاهلها، على الأقل بسبب ضعفهم الذاتي والتناحر

الذي لا يريد أن ينتهي بينهم، فإنهم تصرفوا أمام الناس كما لو كانت الدول العظمى قد خانتهم، وأنهم تحت الضغط قد قبلوا باتفاقية الهدنة [رودس ١٩٤٩] ... وإلا... كان بإمكانهم الوصول إلى الهدف وإقامة دولة عربية مستقلة في فلسطين. وبهذه الطريقة يتم أيضاً خداع الناس بأن الدول العربية لم تهزم على الجبهة العسكرية، وإنما على السياسية... لذلك فإنهم... مستعدون وفي كل الأوقات لخوض "الجولة الثانية" وتدميرها [إسرائيل]. ففي كل الدول العربية كتبت المقالات ونشرت التصريحات التي تحت على تدمير الدولة اليهودية. في حين تزايد عدد الأصوات المطالبة "بالجولة الثانية". فالقادة العرب السياسيون الذين صعدوا إلى السلطة أو أرادوا الوصول إليها، عملوا على تعبئة الجماهير، بحيث تحولت المعارضة والكراهية لإسرائيل، وبشكل عام، إلى شعار سياسي بسيط ورخيص جداً.^{٦١}

أما من سنوات الستينيات فنقرأ ما كتبه مالكولم كيرس (Malcolm Kerrs) حول الحرب الباردة بين عبد الناصر ومناقصيه في المنطقة في الستينيات:

حسب أسطورة قديمة رائجة في الغرب، فإنه من المفترض أن توحد المسألة الفلسطينية العرب حتى ولو كانوا غير متفقين في كل المسائل الأخرى. ويبدو لي أنه أقرب إلى الصواب أن العرب في حال كانوا مستعدين لعمل مشترك، فإنهم يوقعون على اتفاق بالتخلي عن كل عمل من أجل فلسطين. إلا أنه وحين تحصل المنازعات، فإن المسألة الفلسطينية تقفز فوراً إلى مركز الصدارة في الجدل. فالخوف من أن تقوم حكومة أو أخرى بالأخذ على عاتقها إشعال صراع مع إسرائيل، يثير عند كل الدول العربية الأخرى الخوف على أمنها، أو على الأقل القلق على سمعتها السياسية.^{٦٢}

أما الأمثلة على هذه التركيبة المتناقضة للسياسة العربية والمفارقة الحاصلة بين الأيديولوجية والواقع اليومي فلا حصر لها. وللتوضيح، يجب هنا الإشارة سريعاً إلى مسألة التسلل عبر الحدود إلى داخل إسرائيل، وعمليات الفدائيين الحقيقية أو المزعومة ضد الدولة الوطنية اليهودية الحديثة النشأة، فقد تلاقت هنا المصالح الدعائية للسياسة الداخلية والخارجية للأنظمة العربية مع تلك الخاصة بحكومة إسرائيل. وفي النصف الثاني من سنوات السبعينيات فقط تم كشف النقاب عن حيثيات هذه المسألة؛ فالحكومات العربية، مصر كما هو الحال بالنسبة للأردن، حاولت قمع كل محاولات المهاجرين واللاجئين الفلسطينيين للتسلل نحو إسرائيل، أو حتى للقيام بأعمال فدائية هناك، مستخدمة كل الوسائل التي تحت تصرفها في محاولة للقضاء عليها. وقد كانت الحكومة الإسرائيلية من جانبها على علم كامل بهذه السياسة.^{٦٣}

أما الاستثناء الوحيد الذي شذ عن القاعدة، فقد شكلته حرب الفدائيين المصرية انطلاقاً من غزة ضد إسرائيل التي لم تدم طويلاً، هذه الحرب التي أرغم عبد الناصر على خوضها مباشرة في أعقاب الهجوم الإسرائيلي الوحشي على غزة في ٢٨ شباط ١٩٥٥.^{٦٤}

في حين بدا وكأن تشكيلاً جديداً قد أخذ بالتبلور، وذلك عندما استطاع عبد الناصر تحويل الهزيمة العسكرية التي مني بها في أعقاب العدوان الثلاثي العام ١٩٥٦ (إسرائيل، إنجلترا، فرنسا) إلى نصر سياسي خارجي. وقد تمكن هذا الرجل حتى ١٩٧٦ وربما حتى وفاته العام ١٩٧٠ من السيطرة، وإلى حد كبير، على الجدل الذي كان دائراً حول إستراتيجية "الجولة القادمة" مع إسرائيل التي كان الرأي العام العربي ينتظر حدوثها في كل لحظة. إلا أنه انطلق من أن " حرباً صاعقة " ضد إسرائيل التي شكلت محور إستراتيجيته العسكرية، غير قابلة للتطبيق طالما بقيت مصر جنباً إلى جنب مع دول عربية أخرى عاجزة عن تحقيق تفوق عسكري على إسرائيل براً وبحراً وجواً. وهنا احتفظ عبد الناصر لنفسه بحق تقرير الزمان والمكان، معللاً ذلك بأنه هكذا فقط يمكن ضمان نصر أكيد.

عندما أدخل حرباً، فإنني أريد أن أكون واثقاً من تحقيق هدف واحد، ليس أكثر ولا أقل: نصر كامل. كل واحد بإمكانه أن يشن حرباً، إلا أن المنتصر فقط بإمكانه إنهاء الحرب وفق شروطه. أنا أعلم أن الأمة العربية لا تريد هذه المرة مغامرة بل نصراً. و فقط سأسمح بالدخول في حرب عندما أكون في وضع يسمح لي بحسمها على الرغم من كل الدعم المتوفر للعدو في الدفع نحو حرب شاملة.^{٦٥}

في هذه الأثناء أصبح معروفاً بما لا يترك مجالاً للشك، أن عبد الناصر لم يكن يسعى في يوم ما إلى حرب ضد إسرائيل، وذلك لقناعته التامة بضعف الجانب العربي.^{٦٦} إلا أن الأعمال هنا ليست بالنيات، فالذي كان يُلتفت إليه في الحقيقة، وفي خضم النزاعات السياسية، والصراع على النفوذ ليس نوايا عبد الناصر، بل الإعلام السياسي الذي انتهجه. فعليه اعتمد أنصاره كالقوميين مثلاً، كما فعل ذلك منتقدوه وخصومه كـ "فتح" مثلاً. وحتى إسرائيل كانت قد بنت إستراتيجيتها في استعدادها، وتبريرها لحرب ١٩٦٧ على أساس الدعاية القومية لعبد الناصر، وكانت في ذلك دون شك، ناجحة جداً.

ب. القوميون العرب والكفاح المسلح

إن رد الفعل الفلسطيني على النكبة لم يكن ممكناً إلا في صيغة عنف مضاد، وذلك نتيجة لما حدث، ما استثنى التفكير في أساليب أخرى.^{٦٧} وقد تميز رد فعل طلاب الجامعة الأمريكية، الذين عملوا لاحقاً على تأسيس حركة القوميين العرب، على النكبة العشوائية، وذلك من خلال مشاركتهم في عمليات الإرهاب السياسي لكثائب الفداء العربي. إلا أن الأسلوب سرعان ما أثبت فشله، وهو ما عمل القوميون في سنوات نشاطهم الأولى على استبداله بمفهوم "الثأر". وأخيراً وبدلاً من الثأر حلت في سنوات الستينيات صيغة "استعادة فلسطين". وهكذا، فقد انطلقت حركة القوميين منذ تأسيسها من أن فلسطين لا يمكن استرجاعها إلا بالعنف المسلح. وعلى خطى قسطنطين زريق،

ونتيجة للتجارب الشخصية في العام ١٩٤٨، أيقن القوميون العرب أن نزاعاً مسلحاً مع إسرائيل لا يمكن كسبه إلا في حال حدوثه على شكل معركة مشتركة يتم الإعداد لها بشكل جيد، وتشارك فيها كل الدول العربية متحدة في دولة قومية واحدة؛ فالتفوق العسكري الذي أظهرته إسرائيل العام ١٩٤٨ لم يترك، في نظرهم، فرصة لاستنتاج آخر، مهما كان نوعه.

وقد منح القوميون دور الطليعة للفلسطينيين. كما كررت الثأر في السنوات ١٩٥٢-١٩٥٨، المرة تلو الأخرى، مطالباتها للحكومات العربية بترك الفلسطينيين "يقيمون خيمهم مباشرة على الحدود مع إسرائيل" وتسليحهم حتى يكونوا الرعيل الأول في القتال من أجل وطنهم الأم.^{٦٨} وطبقاً لذلك، تطور التطبيق العملي للقوميين وبشكل خاص في لبنان؛ فقد شكلوا تنظيمات كشفية قاموا بتدريب أعضائها تدريباً شبه عسكري. كما نظمت السفارة المصرية في بيروت العام ١٩٥٦ رحلة لمجموعة من القوميين الشباب إلى مصر لتمكينهم من تلقي التدريب العسكري هناك. وفي العام ١٩٥٨، تم، ولأول مرة منذ فشل كتاب الفداء العربي، تشكيل مجموعة مسلحة داخل القوميين: حركة القوميين العرب، الجناح العسكري. تم تدريب كامل قيادة الحركة عسكرياً في سوريا. وقد أصبحت هذه الفرصة متاحة ونتيجة لعلاقات القوميين الممتازة بعبد الحميد السراج، وزير داخلية "الإقليم الشمالي" (سوريا). وحتى ١٩٦٢ كان حوالي ٥٠٠ عضو في الحركة من لبنان قد تلقوا تدريباً عسكرياً أساسياً.^{٦٩}

ومن غير ريب، فإن السياسة الوحوية العربية التي انتهجها عبد الناصر قد ساهمت وبشكل حاسم، في عودة القوميين إلى القضية الفلسطينية، وبدئهم بالاستعدادات العسكرية لمعركة التحرير التي تنتظر، وكأنها تقف بالباب. من جهة أخرى، أدى ارتباط الحركة بعبد الناصر، التي في سياقها بقيت الحركة حتى ١٩٦٧ خاضعة، وإلى حد بعيد، إلى سياسة الصراع على النفوذ في المنطقة العربية التي كان الرئيس المصري أحد أقطابها الرئيسيين. ولأن القوميين، وعلى الأبعد حتى العام ١٩٥٨، قد بدأوا بالنظر إلى عبد الناصر على أنه رجل الدولة الذي سيحقق الوحدة، وسيحرر الدولة القومية العربية الجديدة، ومن ثم يستعيد فلسطين، فقد تركوا له حرية التصرف بشكل غير محدود في كل المسائل الإستراتيجية والتكتيكية المهمة، الشيء الذي ظهر واضحاً في الإستراتيجية العسكرية.

أمّا انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فقد أحدث جرحاً عميقاً زاد في تعميقه فشل محادثات الوحدة التي جرت في القاهرة العام ١٩٦٣ بين عبد الناصر والحكومات البعثية الجديدة في كل من سوريا والعراق. ومن هنا بدت الوحدة العربية وكأنها شيء يستحيل تحقيقه، ما حدا بالقوميين إلى الارتداد مباشرة إلى المسألة الفلسطينية التي شكلت أصلاً السبب لوجودهم كتنظيم. وفي حين أن "فتح" في الكويت كانت تتجاوب مع

التطورات العشوائية البدائية الحاصلة في صفوف الفلسطينيين القاطنين في الدول التي تحيط بإسرائيل، وذلك كتنظيم فلسطيني مستقل يميل بشكل كبير نحو التطوع والعملية، تشبث القوميون بإصرار وعزم لم يخل من عناد أعمى بخطهم القومي-العربي.

هذا الشيء ما لبث وأن خضعت له كل القرارات السياسية والعسكرية التي هدفت إلى تحرير فلسطين. وعلى الرغم من ذلك، فإن القوميين كانوا قد بدأوا في الفترة ما بين ١٩٦١-١٩٦٧، "مكره أخاك لا بطل"، بالابتعاد تدريجياً عن القومية العربية نحو وطنية فلسطينية جديدة، إلا أنها، وخلافاً لـ "فتح"، كانت أقرب ما يكون إلى توجه يساري اشتراكي ثوري، وفي ذلك ساهمت عوامل كثيرة.

ففي لبنان بشكل خاص، تغلبت التيارات الفلسطينية الوطنية داخل التنظيم هناك، إذ سيطر الفلسطينيون عددياً بشكل واضح. وقد مثل هذا التيار الجديد، وعلى أحسن وجه أبو ماهر وأبو عدنان، وكلاهما معلمان من برج البراجنة؛ فالفلسطينيون في مخيمات اللاجئين لم تعد تخدمهم، بعد انتظار العودة والتحرير عشر سنوات، والوعود الكاذبة، والإشارة إلى أن التحضيرات "للجولة المقبلة" لم تكتمل بعد، تلك التي أطلقها السياسيون العرب وحتى عبد الناصر نفسه، بل على النقيض من ذلك، فقد ملوا الوعود الزائفة وأصبحوا ينتظرون الأعمال.

وبالإضافة إلى ضغط الشارع هذا، اجتمعت هناك تأثيرات أيديولوجية قادمة من الخارج التي في سياقها بدأ فلسطينيون حتى من ذوي التوجه القومي العربي بالبحث عن نماذج لهم في نضالهم الوطني. تماماً على غرار جبهة التحرير الجزائرية في الجزائر، وكاسترو وتشيتشي جيفارا في كوبا، وماو تسي تونغ في الصين، وهوشي منه والجنرال جياب في فيتنام، أرادوا هم أيضاً تحرير أرضهم المحتلة التي أقيمت عليها دولة إسرائيل من خلال حرب عصابات، حرب شعبية ثورية. فأمثلة الكفاح المسلح التي قدمها التاريخ الفلسطيني المعهود كحركة الشيخ عز الدين القسام، ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، والجهد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني العام ١٩٤٨، وأخيراً فدائيو غزة ١٩٥٥-١٩٥٦، كانت المساهمات الفلسطينية الأولى التي تم تأويلها بحيث تتلاءم مع حرب التحرير الوطنية التي تقودها شعوب العالم الثالث المضطهدة ضد الإمبريالية، فعبئت بمحتوى جديد، ورفع من شأنها.

فمن كل حذب وصوب ارتفعت الأصوات التي تطالب الفلسطينيين، وكطليعة للأمة العربية، بالجوء إلى السلاح، والانصراف إلى الكفاح ضد إسرائيل. فلم يستطع حتى القوميون أنفسهم غض الطرف عن عملية الترسيع البينة للدولة الفتية إسرائيل، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، التي بدا وكأنها في طريقها إلى الانتهاء بنجاح. وكما هو الحال بالنسبة لـ "فتح"، فقد شكل العمل في نظام التزود بالمياه الإسرائيلي، وقرب

تحويل مياه الأردن سبباً يستوجب ردّاً سريعاً.^{٧٠} وأخيراً يجب الإشارة هنا إلى فترة التنافس والصراع على السلطة والقيادة التي تم تجاهلها إلى حد كبير في التحليلات التي قدمت حتى الآن حول تطور الحركة الوطنية الفلسطينية.^{٧١} فالتأثير المحفز الذي خلقه الجدل حول الكيان أولاً، ثم في أعقاب ذلك مباشرة حول الإستراتيجية، ليس فقط بين حكومات الدول العربية المتعددة، وإنما أيضاً بين التنظيمات الفلسطينية المختلفة، تم في الغالب التقليل من أهميته. وكما سبق، فإن الجدل حول الكيان قد حسمه عبد الناصر لصالحه، وذلك من خلال إنشاء م.ت.ف. وقد أذعن القوميون لهذا التطور المحتم بخطى متباعدة. في المقابل، ومنذ ذلك الحين، عقلت "فتح" كل آمالها على الكفاح المسلح. أما الديناميكية التي نشأت عن ذلك، فلم يستطع القوميون من جانبهم التخلص منها، كما سنرى لاحقاً من خلال النقاش الذي دار بين "فتح" والقوميين على صفحات فلسطين، الملحق الأسبوعي للمحرر. إلا أن القوميين ظلوا أسيري معضلة الحسم بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، وذلك طوال الفترة التي سبقت ١٩٦٧، وهو ما يمكن رؤيته بشكل واضح جداً في موقفهم من الجدل حول الإستراتيجية العسكرية.

وعلى الرغم من أن الاتحاد العام لطلاب فلسطين الذي سيطر عليه في ذلك الحين قوميون عرب شباب كان قد تقدم بطلب للبدء بالكفاح المسلح، فإن ذلك قوبل بالرفض من قبل التنظيم الأم في العام ١٩٦٣ نفسه.^{٧٢} وفي تشرين الثاني من العام نفسه تعرض كنفاني في مقال له تحت عنوان "من سيسترجع فلسطين؟" لهذا الموضوع الساخن صائغاً مرة أخرى الموقف القومي العربي الكلاسيكي. فرأى الفاتر المتصل من إمكانيات حرب العصابات التي كانت في ذلك الحين قد أطلقت العنان لخيال الكثيرين، جدير هنا بالملاحظة.

فقط قوة عسكرية، وقوة عسكرية قوية، وملتحدة، وذات اكتفاء ذاتي باستطاعتها أن تضغط على إسرائيل على كل الجهات هي الحل. فدائيون شجعان، ومجموعات فلسطينية شجاعة شيء ضروري للنضال من أجل استعادة فلسطين. لكن مثل هذه النشاطات لا يمكنها تحرير فلسطين، فنحن نعيش اليوم في عصر الصواريخ. فالفلسطيني يمكنه أن يكون فدائياً رائعاً، ومقاتلاً بطولياً، إلا أن هذا وحده، مهما كان الاعتراف بهذه الحقيقة مؤلماً، لا يكفي.

فلسطين منذ فترة ساحة قتال عربية واحدة، سواء رغبت في ذلك أم لا، وسواء أرادت الدول العربية هذا أم لا. وعليه، فإذا أردنا نحن الفلسطينيين نصراً وليس انتحاراً، فيجب علينا أن نستغل كل شيء من أجل إجبار الدول العربية على تحمل مسؤوليتها كل على جبهته. فقط حينئذ نستطيع أن نذهب كطليعة إلى الحرب.^{٧٣}

إلا أنه وتحت ضغط الديناميكية الذاتية التي ولدها ظهور المجموعات الفلسطينية المسلحة، اضطر القوميون إلى إعادة النظر في موقفهم من أهمية الكفاح المسلح، وبالتالي البدء

في جدل ونقاش داخلي مكثف. وهنا يلخص أبو ماهر الخيارات المطروحة من وجهة نظر مركبة.

كان هناك أربع طرق، بالضبط أربع إمكانيات إستراتيجية لتحرير فلسطين:

- ١ - من خلال فلسطينيين يعملون وحدهم وبشكل مستقل.
 - ٢ - من خلال الجامعة العربية.
 - ٣ - من خلال الجمهورية العربية المتحدة.
 - ٤ - من خلال فلسطينيين بدعم من الجمهورية العربية المتحدة.
- وقد اخترنا في الحركة الإمكانية الرابعة.^{٧٤}

وقد تم إقرار الخيار الرابع من قبل القوميين فقط بعد انتهاء محادثات سرية مع عبد الناصر، تلقوا خلالها موافقته على البدء بالكفاح المسلح. ومن المفترض أن تنسيقاً وطيداً بين الكفاح الفلسطيني والقومي بقيادة مصر مع إعطاء دور محدود جداً لعمليات فدائية كان قد ميز الإستراتيجية التي اتبعت حتى ١٩٦٧. فالشعار المطروح "فوق الصفر، تحت التوريط"^{٧٥} وضح بشكل مرّن جداً الشيء الذي كان يسعى إليه عبد الناصر من وراء هذه الإستراتيجية: إنه من غير المسموح له بتأثّر أن ينجرّ إلى حرب ضد إسرائيل؛ فالخط الأحمر لعمليات الفدائيين هو عدم التسبب في اندلاع حرب. وبذلك كانت يد القوميين مقيّدة إلى حد كبير، فقد أجبروا على الالتزام بإستراتيجية الاستعداد، وهذا يعني القيام بشكل أساسي بعمليات استطلاع، في حين أن عمليات فدائية حقيقية لم يكن مسموحاً بها.

أمّا كيف تصرفت قيادة الحركة على ضوء تحفظات عبد الناصر، فقد صورها بالكلمات بسام أبو شريف.

لقد أردنا في ذلك الحين تجنب كل خلاف مع عبد الناصر، فقد كان لا يزال غير مقتنع تماماً بضرورة حرب شعبيّة ضد إسرائيل. صحيح أنه كان موافقاً على عمليات كوماندو، إلا أنه كان كلياً ضد حرب حقيقية...

لذلك، فإن النهج التكتيكي الذي اتبع كان يقضي بتجنب أيّة مصادمات مع العدو. لقد أسميناها سنة الاستعدادات؛ عملنا فيها على تهريب السلاح، والذخيرة إلى داخل فلسطين، وإقامة مخازن للسلاح... الخ.^{٧٦}

وبغض النظر من أن مجال المناورة كان محصوراً نتيجة لعدم تأييد عبد الناصر لحرب عصابات مفتوحة، فقد عانى القوميون، ومعهم شباب الثأر^{٧٧} من نقص مزمن في المال والسلاح. بالإضافة إلى ذلك، فإن فرص التدريب العسكري في سوريا، وذلك بالقرب من التجمعات السكنية الفلسطينية التي شكلت في حد ذاتها قاعدة للتجنيد، قد تلاشت بعد الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة. في حين أن إنشاء م.ت.ف،

وبخاصة القرار القاضي ببناء جيش التحرير الفلسطيني، قدم للقوميين فرصة لم يكن باستطاعتهم إضاعتها فالتقطوها بكلتا اليدين. يقول جورج حبش:

م.ت.ف أنشأت جيش التحرير الفلسطيني تحت إمرة المدني الذي أراد بناء بضع خلايا، لنقل، لأغراض استخبارية ومعلومات عن إسرائيل ... الخ. وبالصدفة، اتصل في هذا الخصوص بأحد رجالنا الذي لم يكن معروفاً بعضويته في حركة القوميين العرب، مقترحاً عليه عملية بناء بضع خلايا. فالمدني لم يكن يملك قطعاً تصوراً واضحاً: لقد أراد أن يستطلع الأمر. العضو أخبرنا عن ذلك. تركناه يستمر. فقد كان تصورنا أن المال عامل مهم في ذلك، وإن لم يكن الأهم. هكذا كانا يلعبان دوراً، فقد كان من الصعب جداً في ذلك الحين الحصول عليهما. كذلك فإن الغطاء السياسي من قبل م.ت.ف كان مهماً. والنتيجة كانت أننا قررنا انتهاء هذه الفرصة فوراً، فرصة للتدريب العسكري ومدخل إلى المال والسلاح والغطاء السياسي ... الخ. بالطبع إنه لا المدني، ولا حتى الشقيري أرادا في ذلك الحين إقامة تنظيم فلسطيني، إلا أنهما أجبرا أخيراً على ذلك لسببين:

١. عندما قتل ثلاثة من أعضائنا في عملية فدائية وأسر رابع، واجهتهم مشكلة عملية تتعلق بوجود إصدار بيان حول ذلك ... لذلك اقترحنا على المدني الإعلان عن وجود تنظيم فلسطيني يدعى أبطال العودة. وهذا بدأ نضاله ضد إسرائيل ويرثي الآن أول مجموعة من شهدائه.

٢. وعندما بدأت "فتح" عملياتها الفدائية، وبدأ الشعب الفلسطيني بالتساؤل عما تقوم به م.ت.ف، في ظل هذا المال والسلاح الذي تحت تصرفها. ولهذا السبب كان على الشقيري في نهاية الأمر أن يعلن عن وجود أبطال العودة وعملياتها.

وعلى الرغم من أن "أبطال العودة" لم تجمعهم أبداً صلات علنية بم.ت.ف، فإن الشقيري استخدمهم في اتصالاته مع الفلسطينيين. وبذلك توفرت له فرصة للقول نحن أيضاً نشيطون، وأن أبطال العودة ليسوا مستقلين عن م.ت.ف.^{٧٨}

وقد تم وللمرة الأولى الحديث عن هذه "المجموعة الفدائية الجديدة" في خريف ١٩٦٦، وذلك عندما سقط منها ثلاثة في إحدى العمليات، وأسر رابع.^{٧٩}

ومع ذلك نصطدم مراراً وتكراراً بالمطلب المناهض لبناء "تنظيم عسكري فعال" تابع لـ م.ت.ف. وفي نظرهم، فإن ذلك قد تحقق بشكل جزئي بعد قرار إنشاء جيش التحرير الفلسطيني بقيادة الجنرال المدني. وعلى الرغم من ذلك بقيت م.ت.ف بعيدة كل البعد عن "التجديد الثوري للتنظيمات الفدائية"؛ أي استلهاً الكفاح المسلح كقاعدة لنشاطها. ومن هنا كان هدف القوميين العرب توحيد كل القوى الثورية داخل م.ت.ف. وفي إطارها تحت قيادتهم وتأسيس "التنظيم الثوري الفلسطيني الواحد".^{٨٠} وفي هذا السياق، تكرر توجيه النقد إلى الشقيري بأنه لا يعمل على خلق الظروف اللازمة لتنشيط التنظيمات الثورية داخل م.ت.ف.

إلا أن الرؤية المتعلقة بضرورة توحيد جهود المجموعات الفلسطينية المختلفة في محاولتها لتحرير وطنها، وبخاصة على ضوء القوة المتعاظمة لإسرائيل، لم تكن من نصيب القوميين وحدهم. فـ "فتح" أيضاً، وبالذات ياسر عرفات، اقتفت أثر هذه الإستراتيجية، ولم تزل تفعل ذلك في محاولات جديدة. وعلى ما يبدو، فإن لقاءً كان قد عقد بين ياسر عرفات من "فتح" وأبو ماهر من القوميين في شباط ١٩٦٥، حيث سعى عرفات إلى تعاون مشترك مع الشباب العربي الفلسطيني (تحت هذا الاسم اشتهر القوميون في لبنان). وكخطوة أولى نحو تعاون مستقبلي وثيق اتفق الطرفان على القيام بعملية داخل إسرائيل يشارك فيها كلا التنظيمين بأربعة مقاتلين. إلا أن "فتح"، التي لم تكن تملك قاعدة تنظيمية في لبنان، هكذا اعتقد المرء داخل الحركة، لم تظهر في المكان الذي اتفق عليه. وبذلك تلاشى العمل المشترك، وتلاشت قبله العملية المشار إليها كما أنه لم تحصل لاحقاً أية محاولات جديدة من جهة عرفات لإقامة اتصالات مع القوميين.^{٨١}

وقد بادر القوميون في العام ١٩٦٦ إلى القيام بمحاولات جديدة من أجل وحدة المعسكر "الثوري" نتجت بلقاء عقد في كانون الثاني ١٩٦٦ في بيروت، وضم خمسة تنظيمات فلسطينية، بالإضافة إلى م.ت.ف: التنظيم الفلسطيني في حركة القوميين العرب، والتنظيم الفلسطيني في حزب البعث، بالإضافة إلى ثلاثة تنظيمات اتحدت مع بعضها البعض قبل عقد اللقاء، من بينها إحدى جبهات التحرير الفلسطينية الكثيرة. وخلال ذلك اقترح القوميون إستراتيجية مشتركة تتألف من أربعة مبادئ رئيسية:

- ١- تبني الدعوة للحرب الوقائية التي تقطع على إسرائيل فرصة امتلاك سلاح ذري مع التحضير لحرب تحرير شاملة.
- ٢- انصهار المنظمات الفلسطينية لتشكيل مع منظمة التحرير الحركة القائدة للمعركة.
- ٣- تطوير وتدعيم العمل الفدائي وجيش التحرير الفلسطيني ليكونا ذراع القوة العربية الضاربة.
- ٤- إطلاق طاقات الشعب الفلسطيني في الأردن، وتحويل الجبهة الأردنية إلى جبهة عربية موحدة.
- ٥- توعية الجماهير الفلسطينية بكافة أبعاد وأخطار المعركة مع إسرائيل.^{٨٢}

وللمرة الأولى منذ سنوات الخمسينيات يعود القوميون في العام ١٩٦٦ للتدخل في السياسة الأردنية. أمّا السبب الذي وقف وراء ذلك، فكان الصراع المتفاقم بين قيادة م.ت.ف وعلى رأسها الشقيري، وعاهل الأردن الملك حسين،^{٨٣} وبخاصة أن الأمر لم يكن يتعلق فقط بمرباطة وحدات من جيش التحرير الفلسطيني في الأردن، وإنما وبشكل أكبر، بالمسألة المبدئية المتعلقة بالسيادة القانونية على الأراضي الفلسطينية الواقعة غرب النهر. فهذه الحرب الجديدة التي يشنها الأردن ضد م.ت.ف حسب رواية القوميين،

أدت بالأخيرة إلى رفض أي تعاون سياسي مع النظام الهاشمي كشيء محكوم عليه بالفشل مسبقاً. وبدلاً من ذلك دعا القوميون مباشرة (populist) "الشعب المضطهد" إلى انتزاع حقه بنفسه... فالشعب الفلسطيني يملك القوة التي تمكنه من النصر في هذه المعركة. وفي حال رفض مطالب الشعب من قبل الحكومة الأردنية، فإن على هذه الاستقالة أن تفسح المجال للحركة التاريخية لتأخذ مكانها.^٨ ومن هنا يظهر وكأن القوميين في جدلهم المستمر منذ الخمسينيات، لم يتبدلوا في شيء. فالتناقض القائم أصلاً بين الدعوة الوطنية الموجهة للنظام، وبين النداء الموجه إلى الشعب بالنضال ضده، بقي موجوداً وبشكله الأصلي.

أما العامل الوحيد الذي استجد في الحملات الجديدة على الإمارة الهاشمية فهو م.ت.ف، التي، حسب مفهوم القوميين، كان عليها أن تنشط، وفي وقت واحد، في مجالات ثلاثة:

- ترك أروقة مؤتمرات القمة، وبدلاً من ذلك محاولة تحقيق مصالحها من خلال الاعتماد على قوة الشعب.
- الانطلاق من قلب الأردن في صراع ضد النظام.
- الاعتماد في هذا الصراع بشكل خاص على السكان الأردنيين.

فقط حينئذ يمكن لـ م.ت.ف قيادة الشعب الفلسطيني انطلاقاً من عمان إلى الحدود، ومن ثم إلى المناطق المحتلة. عندها فقط تبدأ حرب التحرير الفلسطينية الحقيقية من عمان، وليس فقط من المناطق المتاخمة للحدود.

وفي بداية تموز ١٩٦٦، وفي سلسلة من المقالات تحت عنوان "الجدار الأردني أمام فلسطين"، تعرض غسان كنفاني بشكل مباشر للصراع المتجدد على السلطة في الأردن، رابطاً إياه بما كان قد جرى في حقبة الخمسينيات. فالدولة الأردنية، حسب رأي كنفاني، كانت العائق الأكثر أهمية على الطريق لتحرير فلسطين. فالأردن دولة مصنعة خلقتها الإمبريالية البريطانية للدفاع عن مصالح الغرب، وهي دولة اعتادت على الدوام التعاون مع إسرائيل، وبموافقة إسرائيلية قامت بضم المناطق الفلسطينية إليها. وكخطوة حاسمة نحو الأمام على طريق حرب التحرير ارتأى كنفاني قيام "هانوي عربية... وهناك يجب على الشعب الفلسطيني تسلم السلطة، وذلك لتحويل الأردن إلى دولة مواجهة حقيقية.

كل فرد وطني وكل حزب سياسي وكل تنظيم وكل جهاز مهما بلغ حجمه وكل مجموعة فدائية، كلها يجب عليها أن تنضوي تحت راية التحرير، الذي هدفه الأول عمان. كل شهيد سياسي نفقده على الحدود مع إسرائيل قبل إنهاء الفصل الأردني، هو إهدار لدم غالٍ سيحاسبنا التاريخ عليه. وحتى يكون الأمر أكثر

وضوحاً، فإن كل فدائي يقطع الآن الحدود نحو إسرائيل لا يسير على طريق الشهادة الحقيقية، فالأردن، ولا شيء يسبقه، يشكل الآن المعركة من أجل فلسطين. وكل محاولة لتجنب الاصطدام بهذه الحقيقة هي خطوة أخرى نحو هزيمة في المسألة الفلسطينية لن يغفرها التاريخ لنا.^{٨٥}

خلاصة الأمر أن الكفاح المسلح لتحرير فلسطين قد احتل، وبلا شك، مكاناً مركزياً في الإستراتيجية السياسية للقوميين. فمنذ تأسيسها نظرت إليه الحركة ليس كشيء لا بد منه فحسب، وإنما بوصفه شيئاً شرعياً أيضاً. وبشكل عام وكحقيقة يجب إبرازها، فإن الجدل الذي دار حول الكفاح المسلح في مطلع الستينيات لم يكن يقصد به وبشكل قاطع المفاضلة بين الحل السياسي والكفاح المسلح. فالكفاح المسلح كان يُنظر إليه دائماً وبإجماع كل التنظيمات، سواء حركة القوميين أو "فتح" أو الحاج أمين والهيئة أو الشقيري وم.ت.ف، وحتى الدول العربية، كوسيلة شرعية لإحقاق الحقوق الفلسطينية ضد الوضع الراهن غير المشروع الذي خلقته إسرائيل. وبعبارة أخرى، فإن النقاش كان يدور فقط حول دور الكفاح المسلح ووظيفته، ومكانته في إستراتيجية تحرير فلسطين.

وبالنسبة للقوميين، فإن الكفاح المسلح لا يمكن البدء به إلا في إطار إستراتيجية عربية شاملة، وهو أصبح يعني في الفترة التي تلت ١٩٥٨ أن قيادة عبد الناصر شرط لازم لنجاح الكفاح المسلح.

فم.ت.ف شكّلت الإطار الشرعي، والمناسب للتحضير للكفاح المسلح وتطبيقه. وعليه، يجب تقوية المجموعات الفدائية مثلها مثل جيش التحرير الفلسطيني. وعلى هذا الأساس وجب تحقيق وحدة كل القوى الثورية في م.ت.ف. فالمرحلة انطلاقة من العام ١٩٦٥ خدمت الاستعداد لحرب العصابات، التي دون موافقة عبد الناصر، لا يمكن البدء بها. وبعبارة أخرى، فقد كان على القوميين، وتحت كل الظروف، تجنب جر عبد الناصر إلى حرب لم تكتمل استعداداته لها بعد.

ج. "فتح" والكفاح المسلح

إنّ العنف الثوري هو الطريق الوحيد المؤدي إلى تحرير الوطن، ولا بد من أن يمارس، في المرحلة الأولى على الأقل، من قبل الجماهير الفلسطينية نفسها بقيادة مستقلة عن الأحزاب والدول، غير أن دعم العالم العربي الفعال، هو أمر لا غنى عنه لنجاح المشروع، على أن يحتفظ الشعب الفلسطيني بسلطة التقرير وبدور الطليعة.^{٨٦}

هكذا صاغ أبو إياد العام ١٩٧٩ من الذاكرة "البرنامج الأساسي" لـ "فتح". وفي ما يلي أود أن أعرض الكيفية التي طورت بها "فتح" أيديولوجية مبنية حول الكفاح

المسلح لتحرير فلسطين التي استطاعت معها الوصول إلى قدر من الحشد الفلسطيني العربي وأخيراً، العالمي مكنها في العام ١٩٦٩ من استلام دفة القيادة في م.ت.ف، وفي العام ١٩٧٤ من الاعتراف بها، محلياً ودولياً، في هذا الموقع.

فالكفاح المسلح حددته "فتح" في نهاية الأمر، وبحزم قاطع مستندة إلى حرب التحرير الجزائرية، كونه الطريق الوحيد لتحرير فلسطين. وقد اكتسب شرعيته على ثلاثة مستويات، وفي سياق ثلاثة أسباب مختلفة. فقد تم تصوير الكفاح المسلح لتحرير فلسطين على أنه السمة المتواصلة، والمميزة للتاريخ الفلسطيني في القرن العشرين، فالعبر أو الدروس التي استخلصتها "فتح" من هذا التاريخ تميل في جوهرها إلى اعتبار أن السياسة والسياسيين لم يكن في مقدورهم في يوم ما حل المسألة الفلسطينية أبداً، ولن يكون ذلك بإمكانهم في المستقبل: "لقد فقد شعبنا ثقته في السياسة والسياسيين". وعلى النقيض من ذلك، فقد قدمت "فتح" ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩، التي يحتفل بها "كالثورة الشعبية الكبرى في فلسطين"، وكذروة في التاريخ الفلسطيني.^{٨٧}

حددت "فتح" المقاتل والثوري على أنه مثال للفلسطيني الحقيقي وللشعب الفلسطيني بشكل عام. فمن خلال الكفاح المسلح والعنف الثوري فقط سيحرر هذا الشعب نفسه من شقائه. حينئذ وبهذه الطريقة سيجد الشعب طريقه إلى نفسه.^{٨٨}

على الأبعد منذ العام ١٩٣٦ تم وضع الكفاح المسلح في السياق التاريخي العالمي السائد في ذلك الحين، بحيث أصبح يفهم كثورة تحريرية شعبية ضد الإمبريالية والاستعمار. فالمثل الأعلى الأول للثوريين الفلسطينيين شكله، كما وضحا آثفاً، الجزائر التي تم التطرق إليها للمرة الأولى في تموز ١٩٦٠ بشكل نموذجي في أدبيات "فتح". إلا أن الجزائر، وبعد الزيارة الأولى لوفد من "فتح" إلى الصين في بداية ١٩٦٤، دفعت بشكل ملحوظ إلى الخلف ليحل محلها الصين وفيتنام وكوبا.^{٨٩}

وخلافاً للقوميين الذين رأوا في الكفاح المسلح عنصراً مكماً أو مدمجاً في إستراتيجية عسكرية عربية شاملة ضد إسرائيل، قدمته "فتح" على أساس كونه البديل الوحيد الممكن لإستراتيجية الحرب العربية الصاعقة. على غرار ما دار في خلد عبد الناصر.

أمّا الذي كان يهم "فتح" في المقام الأول وبشكل مستقل عن المفاهيم الإستراتيجية العسكرية بمعناها الضيق فهو إظهار شعار عبد الناصر والقوميين: "الوحدة العربية طريق فلسطين" ليس هو الذي سيقود إلى النجاح، بل وحدها إستراتيجية "فتح" الجديدة المضادة "تحرير فلسطين الطريق للوحدة" فقط هي الكفيلة بذلك.^{٩٠}

وقبل ذلك، فإن على الكفاح المسلح، "الثورة المسلحة كحل وحيد لتحرير الوطن الأم"،^{٩١} تحقيق الوحدة الفلسطينية أولاً. فوحدة الحركة الفلسطينية الثورية المسلحة صورتها "فتح" على أنها هدفها الرائد. ففي سلسلة من المقالات ظهرت في فلسطيننا في الأعوام ١٩٦٣-١٩٦٤ تحت عنوان "كيف تنفجر الثورة المسلحة"، وأعيد توزيعها من جديد بعد ١٩٦٧ على شكل كراسة، فإن تصورات "فتح" حول هذا الموضوع تظهر هنا متطورة بشكل أكثر تماسكاً وأكثر إسهاباً.^{٩٢}

فـ "فتح" تخيلت تطورها من تنظيم ثوري صغير في البداية إلى حركة جماهيرية تنطق باسم الشعب الفلسطيني بأكمله من خلال مخطط يبدو ميكانيكي الطابع. في البداية كانت هناك كوادرات ثورية شكلت في مرحلة ثانية تنظيمًا ثورياً مهمته هو الآخر بناء كيان فلسطيني من الجماهير الفلسطينية "دونما فرق على الرغم من وجود مراكز ثقل فيما يتعلق بفئات الشعب المختلفة". أما ذروة هذا التطور فيشكله "الانفجار الثوري" الذي تقوم من خلاله، في الوقت نفسه، الوحدة العربية.

هذا الانفجار تخيلته وفسرته "فتح" في أشكال مختلفة؛ فمرة يتم مقارنة حرب التحرير التي ستوحد الأمة بتفاعل كيماوي تحت درجات عالية جداً. وفي مكان آخر تحذر "فتح" كوادرها بصريح العبارة من مخاطر الانفجار الثوري:

إن الانضباط الجماهيري، هو أهم الأعمال التي لا بد أن تقوم بها الثورة في مرحلة الانفجار الثوري، وهذا يعني بالضرورة انتشار الطلائع الثورية في جميع المؤسسات والقطاعات الشعبية قبل الانفجار الثوري لضمان الانضباط الجماهيري، وعلى الطلائع الثورية أن تحول دون استلام الجماهير لزام المبادرة مهما كانت الأسباب أو الصعاب لئلا تتحول الثورة إلى عمل غوغائي.^{٩٣}

فمن جهة انطلقت "فتح" من أن الثورة الفلسطينية هي التي ستأتي بالوحدة العربية. ومن جهة أخرى كان الوطنيون الفلسطينيون الشباب واعين بضرورة دعم الأمة العربية بثورتهم. لذلك طالبوها جميعها، حكومات وشعوباً، بتشجيع الكفاح المسلح للفلسطينيين من خلال جبهة دعم عربية. أما الجيوش العربية فكان عليها "حماية الحدود العربية وإحاطة قاعدة العدوان الاستعماري لمنعها من نقل الحرب إلى الأراضي العربية المجاورة، وهذه أمانة تاريخية يتحملها كل جندي وكل ضابط عربي".^{٩٤} في حين انطلق النداء إلى الجماهير بدعم الثورة الفلسطينية وعند الضرورة حتى ضد حكومتهم. "نحن أبناء الثورة الفلسطينية، نؤمن بأن الحكام العرب لن يحاولوا التصدي لشعبنا في انطلاقه الثوري، ونحمل الشعب العربي مسؤوليته الكبرى في دعم وتأييد الثورة الفلسطينية المسلحة".^{٩٥}

ويصف خالد الحسن أحد المسؤولين القيايين في "فتح" مستعيداً شريط الأحداث، هذه "الإستراتيجية" التي اتبعت في سنوات ما قبل ١٩٦٧، بالكلمات التالية:

"سننشط، والإسرائيليون يجب أن يردوا علينا. والآن إما أن تدعمنا الحكومات العربية ضد الإسرائيليين وإما تحاربنا. فإذا حاربتنا، فإن الجماهير ستدعمنا. وإذا قامت الجماهير بدعمنا فإن الحكومات إما أن تقوم بدعمنا أيضاً، وإما يجب عليها مواجهتنا بالإضافة إلى مواجهة جماهيرها".

فالإستراتيجية بأكملها كانت تتشكل إذاً من "فعل ورد فعل، فعل ورد فعل... لقد أردنا أن نخلق مناخاً وظرفاً لروح نضالية في الأمة العربية، حتى تكتسب هذه الأمة إرادة الكفاح، إلا أننا مع الأسف فشلنا في هذه المحاولات".^{٩٦} وفي هذه التعبيرات بالذات يظهر بشكل واضح جداً الطابع المغامراتي الحقيقي لنشاط "فتح".

ومن المستغرب، أن "فتح"، شأنها في ذلك شأن القوميين العرب من كل الأطياف، كانت على ما يبدو قد انطلقت من أن الدول العربية كانت متفوقة عسكرياً على إسرائيل. وهنا سقطت "فتح"، شأنها في ذلك شأن القوميين، ضحية الدعاية الناصرية. فانتقادات "فتح"، وما انبثق عنها من إستراتيجية مضادة، أو بشكل دقيق استفزازية، كانت موجهة ضد الرغبة الضعيفة لعبد الناصر وكافة الحكومات العربية للبدء في النضال ضد إسرائيل. "والحكام العرب عجزوا عن خوض معركة فاصلة مع اليهود... هذا ما أثبتته تجاربنا خلال تاريخ النكبة المنصرم".^{٩٧} "إن معركة العرب مع الصهيونية آتية لا ريب... لا يحق لأي حاكم عربي أن يدعي أنه غير مستعد للمعركة...".^{٩٨}

إلا أن هذا الجدل يبقى في كنهه متناقضاً. فهل كان على الدول العربية القيام فقط بالدفاع عن حدودها، وبذلك تدعم الثورة الفلسطينية، أم أنه كان على هذه الثورة العمل على استفزازهم من أجل الدخول في حرب حقيقية ضد إسرائيل، إن كانوا عسكرياً قادرين على القيام حسب "فتح" بها، أم أن ذلك هو واجبهم التاريخي؟

في المقابل، وفي نهاية العام ١٩٦٤؛ أي قبل أن تبدأ "فتح" أولى محاولاتها للقيام بعمليات مسلحة في إسرائيل بوقت قصير، كتبت فلسطيننا:

لن يستطيع أحد ممارسة عزل الشعب الفلسطيني عن معركته، ولن يستطيع أحد الوقوف في وجه الشعب الفلسطيني الصامد المناضل المؤمن بالثورة المسلحة حلاً وحيداً لتحرير وطنه.

ولم يعد هذا الشعب يؤمن إلا بنفسه وأمته، وحتماً فسينطلق هذا الشعب في خط الثورة الذي سيقبّل موازين القوى رأساً على عقب!!!

ومن هنا كان الواجب يتحتم على الشعب الفلسطيني بضرورة التحرك لإنقاذ القضية العربية وإنقاذ أمته!!

يا شعبنا البطل ... تقدم الصفوف وآمن بذاتك وتحمل أمانة أمّتك العربية ... فأنت أنت بإمكاناتك الهزيلة ... بجسدك العاري ... ببندقيتك القديمة ... بسكينك غير الحاد مطالب بالعمل الكبير الكبير ... مطالب بتفجير الثورة المسلحة ...^{٩٩}

إن الخلط والتناقض الذي ميز التصورات العسكرية لـ "فتح" يضطرننا إلى القبول بالفكرة القائلة إن "فتح" عموماً لم تكن تملك إستراتيجية عسكرية لتحرير فلسطين، ولم تطوّر مثل هذا الشيء على مدى السنوات السابقة، بل أغلب الظن أن مسلمة الكفاح المسلح شكلت نموذجاً معممًا لعب دوراً مركزياً في أدبيات "فتح"؛ فمنه تألفت نواة أيديولوجيتها السياسية، عوضاً عن تمتعه بتأثير حشدي عال جداً. وهو ما يؤكده التفسير الذي قدمه أبو إياد لاحقاً حول السياسة التي انتهجتها "فتح" في الستينيات.

"كانت أهدافنا متواضعة: رفع معنويات الجماهير العربية ومناوشة العدو وإبقاؤه في حالة تيقظ ... ولم نفكر في أي لحظة من اللحظات أن عملنا سيضع أمان الدولة اليهودية في خطر، وإنما هي وسائل الإعلام العربية، وأحياناً الأجنبية، هي التي ضخمت محمل ومدى عمليتنا، تضخيماً خارج القياس، مثيرة بهذا، ذلك الوهم الخطير القائل بأنه سيكون بوسعنا تحرير فلسطين".^{١٠٠}

فالذي كان يعني "فتح" منذ قيامها هو إعادة تنشيط الفلسطينيين وحشدهم بوصفهم شعباً، وهو ما أظهره وبشكل قاطع الجدل حول الكيان. رفع راية التنظيم الثوري الفلسطيني الوحيد، أي راية "فتح"، استوجب على الفلسطينيين أخيراً أخذ مكانهم المركزي في عملية الصراع على مستقبلهم. إلا أنه وفي البداية لم يكن واضحاً تماماً الصورة التي يجب أو من الممكن أن يتخذها هذا المستقبل. "أن لكم يا شباب النكبة أن تقودوا شعبكم لتكونوا طليعة الشعب العربي في الكفاح من أجل استرداد أرضنا المباركة".^{١٠١} لإعادة الدور الريادي للفلسطينيين، واستعادة المكان الذي يليق بهم داخل الأمة العربية، كل هذا شكل بالنسبة لـ "فتح" الثورة تحدياً.

إن قيام الحركة الثورية هو تجاوز واع لأوضاع الشعب العربي الفلسطيني ولقياداته التقليدية ولأحواله الجمودية ولتنظيماته السياسية الانتهازية أو النفعية الخاصة أو الموجهة من خارج الحدود الفلسطينية، كما أنه رفض لهذا الواقع الجزأ. إن قيام الحركة الثورية الفلسطينية في هذا المستوى ثورة اجتماعية وتبديل في العلاقات الاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني.^{١٠٢}

وهنا عانت "فتح" في سنوات نشاطاتها الأولى، وحتى بداية السبعينيات تقريباً، من تخطيط حول الأهداف السياسية العملية التي تريد تحقيقها، وبأية وسائل. فقط وفي نقطة واحدة، كان هناك وضوح وإجماع عام داخل الحركة. على الفلسطينيين التحرك فوراً وتحت قيادة "فتح". ولكن حتى يمكن التحرك، يجب أن يكون قد تم حشد الشعب الفلسطيني بكامله، وأن يكون بإمكانه الاعتماد على أمة عربية حشدت بالقدر نفسه، وهنا يظهر واضحاً أن مؤسسي "فتح" لم يكونوا عسكريين، بل نشطاء سياسيون.

لا يوجد في "فتح" عسكريون محترفون أو قادة عسكريون. فكل مقاتلي "فتح"، بغض النظر عن رتبهم، كانوا أصلاً طلاباً ومهندسين وعلماء أو عمالاً وطنيين. فعندنا لا يوجد عسكريون تقليديون. هذه الحقيقة اعتبرها بعض الناس عجزاً وأرادوا محاسبتنا عليها. فخلافاتنا الأولى مع الرفاق في جيش التحرير الفلسطيني، على سبيل المثال، تمحورت بالذات حول هذه النقطة. فسؤالهم الذي كان يتكرر باستمرار: أين ضباطكم ملازمون، ونقباء، ورواد؟ فكان جوابنا بأننا نخوض حرب تحرير، وأن رجالنا وقادتنا يتعلمون خوض الحرب من خلال ممارسة الحرب نفسها.^{١٠٢}

فالكفاح المسلح شكل بالنسبة لـ "فتح" الرمز الذي سعت من خلاله إلى تحقيق أهدافها السياسية، بغض النظر عن الطريقة المبهمة التي صيغت فيها. فقد كان يعينها في المقام الأول اعتراف الشعب الفلسطيني بها على أنها قيادته. ويرتبط بذلك محاولة إعطاء الشعب الفلسطيني مكانه الذي يستحقه بوصفه شعباً له الحقوق نفسها، وحتى وإن لم يكن بعد هناك دولة خاصة به، في نظام الدول السائد في المنطقة العربية. فالتواصل التاريخي بين "فتح" والقيادة التقليدية بزعامة الحاج أمين - وهذا كان أيضاً سياسياً وليس عسكرياً. ليس هذا فحسب، ولكن أيضاً مهمتها الجديدة كلياً في تحريك الجماهير لا تبرز في أي مكان آخر في هذه الصورة، كما هو الحال هنا.

د. ناجي علوش ونقد مفهوم "فتح" للكفاح المسلح

في كتابه الذي صدر في العام ١٩٦٤ بعنوان *المسيرة إلى فلسطين* يقوم ناجي علوش، الإعلامي والسياسي القادم من بيرزيت بتحليل للبرنامج السياسي والعسكري الذي عرضته "فتح" على صفحات *فلسطيننا*. فالبدل الذي طرحته "فتح" لإستراتيجية الحرب العربية الصاعقة، أو ما سمي بحرب عصابات فلسطينية أو الحرب الفدائية، يضعه علوش في صميم الجدل الذي خاضه مع *فلسطيننا*. وحسب رأيه، فقد انطلقت "فتح" في تقديرها للوضع الذي على أساسه اختيرت حرب العصابات كإستراتيجية بديلة، من فرضيات وشروط خاطئة، وهو ما يسعى علوش إلى إبرازه من خلال أمثلة أربعة.

- وكما في حال حرب صاعقة تشنها الدول العربية ضد إسرائيل، فإن الأمم المتحدة ستتدخل لحماية الدولة اليهودية في حال هجوم فدائي فلسطيني أيضاً.
- لن تتلقى إسرائيل هجوماً فدائياً دونما مقاومة، تماماً كما هو الحال بالنسبة لحرب صاعقة عربية. "ثم لماذا نفترض أن الجيش الإسرائيلي يقف مكتوف اليدين إزاء هجمات الفدائيين؟ إنه سيبيد قرى ومدناً عربية. وقد يتخذ خطوة حاسمة فيحتل الضفة الغربية مثلاً. أليس هذا ممكناً ما دام الوضع في الضفة

الغربية غير مأمون عسكرياً؟^{١٠٤}.

- بدا لعلوش أن جدل "فتح" حول قدرتها على بناء وحدات فدائية تنطلق من الدول العربية في عمليات ضد إسرائيل غير قابل للتنفيذ. وعلى النقيض من ذلك، فهو يتوقع إستراتيجية ملاحقة قاسية جداً من قبل كل الحكومات العربية "الرجعية" ضد "فتح"، وضد كل مجموعة فدائية فلسطينية.
- أما استقلالية التنظيمات الفلسطينية، وعدم تدخل الفلسطينيين في الشؤون الداخلية للدول العربية، بالإضافة إلى التزام الحياد في الصراعات العربية، فيشهر بها علوش على أنها دعم صامت للأنظمة العربية أو "الرجعية" العربية حسب تعبيره. وحسب الصورة المتأصلة لديه والشبيهة، ولا عجب، بتلك التي من صنع القوميين، فإن النكبة العام ١٩٤٨ سببتها السياسة الرجعية العربية، لأن كل نظام دافع عن مصالحه الخاصة بشكل أناني بدلاً من التصدي للعدو المشترك: الصهيونية والاستعمار، والصفوف مرصوصة. وخلافاً لـ "فتح"، فإن علوش لم ينظر إلى النكبة على أنها النتيجة لفشل السياسة القومية العربية. وبناء عليه، فهو يرفض أيضاً الاستنتاج الذي توصلت إليه "فتح" كنتيجة لما سبق، وبخاصة عندما تبرز "فتح"، بمطلبها نحو كيان فلسطيني مستقل بشكل مكشوف (الطابع الإقليمي للكيان). وعلى النقيض من ذلك، فإن سياسة الكيانات المستقلة، التي مثلتها الجامعة العربية (جامعة الكيانات)، حسب رأي علوش، هي التي كانت السبب وراء النكبة.

ومن هنا، فإن علوش لا يفاجئنا في حكمه السلبي الرافض لمنطق فلسطيننا، وبالتالي لوجهة نظر "فتح". "ومن الطبيعي أن نرى في "طريق الثورة" هذا الذي اختارته فلسطيننا طريقاً غير مأمون لأنه مبني على الارتجال والانفعال والعفوية. إنه طريق يعود بالقضية إلى سنة ١٩٤٨". في المقابل، هكذا يرى علوش، كان هناك طريق واحد إلى تحرير فلسطين، ألا وهو القومية العربية الثورية. "بتحقيق جبهة عربية موحدة وتعبئة الجماهير العربية تعبئة ثورية، وهذا ممكن التحقيق بسرعة، نكون على أبواب معركة فلسطين المنتصرة. وعلى أبناء فلسطين ألا ينتظروا الفرج، بل عليهم أن يساهموا مساهمة فعالة في صنع هذه الجبهة، ليكونوا جزءاً من الجماهير في المعركة الحاسمة".

ولكن، وإذا ما حددنا الصورة، فإننا نلاحظ أن تحليل علوش يستند تقريباً إلى عدد واحد فقط من فلسطيننا؛ ألا وهو عدد ٢٣ الصادر في آذار ١٩٦٢. في حين أن الكتاب نفسه المسيرة إلى فلسطين، قد تم تأليفه العام ١٩٦٣، أي تحت تأثير تسلم حزب البعث للسلطة في كل من العراق وسوريا عندما أصبحت الوحدة العربية محط الأنظار في كل مكان. إلا أنه يبدو لي أن الأهم من ذلك هو إغفال علوش لعنصر مهم جداً في

أيديولوجية "فتح"، ألا وهو قومية عربية موجودة بشكل ما. كما أنه لم يفتن، وذلك في سياق رد الفعل على الكلمة المثيرة في ذلك الوقت "كيان"، التي، من وجهة نظره، كانت تريد إحلال الإقليمية محل القومية، إلى استعداد "فتح" لدمج هذا الكيان في الأمة العربية. وعلى الرغم من أنه يرفع من شأن هذا الأساس القومي العربي، معتبراً إياه شيئاً مثالياً، فإن ذلك لم ينعكس نفسه في تحليلاته: "كنت متأكداً من أنهم سيسحقون إذا ما حاولوا النضال من سوريا ولبنان أو الأردن من أجل تحرير فلسطين، وقد قلت لهم ذلك". وعلى أرضية هذا الموقف اعتبرته "فتح" في بداية الستينيات مجنوناً. "لم يصدقوا أن الرجعية العربية ستقاتل ضدهم أو حتى تدمرهم".^{١٠٥}

وفي مقام آخر من كتابه يتعرض ناجي علوش للجزائر، وبخاصة أنها شكلت، وفي السنوات ١٩٦٠-١٩٦٢ بالذات، المثال الأهم بالنسبة لـ "فتح"، ليس فقط فيما يتعلق بإستراتيجية الدولة الواحدة كحل ينطبق على فلسطين مع ما يتضمنه ذلك من كيان مستقل، وإنما أيضاً في اختيارها (أي "فتح") لأسلوب حرب العصابات بدلاً من حرب عربية تقليدية. إلا أن علوش، وعلى النقيض تماماً من "فتح"، يصل إلى استنتاج مفاده أن المثال الجزائري غير قابل للتطبيق في فلسطين.

ففيما يتعلق بجغرافية وطبوغرافية البلدين (حيث رأى في فلسطين على النقيض من الجزائر ظروفًا غير ملائمة نسبياً لحرب العصابات) بالإضافة إلى العلاقات الديموغرافية (في الجزائر هناك أغلبية جزائرية، في المقابل هناك أقلية فلسطينية مضطهدة في إسرائيل، عوضاً عن أشلاء المجتمع الفلسطيني المضطهدة والمستعمرة في الضفة الغربية وقطاع غزة)، فإن الظروف الموضوعية قد اختلفت بشكل جذري. "على الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية أن ينتفضوا ضد سيطرة الحكومات العربية أولاً، ثم يمكنهم تنظيم أنفسهم من أجل الحرب".^{١٠٦}

في الجزائر يتم خوض الكفاح من أجل استقلال مستعمرة. في المقابل أراد الفلسطينيون تدمير دولة معترف بها دولياً، ومدعومة من قبل الدول الرأسمالية الأكثر أهمية، التي قبلت باستقلال الجزائر، إلا أنها ليست على استعداد "للقبول بتصفية إسرائيل". فيما يتعلق بالسيادة، واحترام الحدود المعترف بها دولياً، ليست هناك مشاكل تعترض الجزائر، في حين أن الفلسطينيين، وبسبب هذا الموضوع بالذات مضطرون، بالضرورة إلى الاصطدام بالنظام الأردني، والدخول في صراع معه.

فيما يتعلق بمسألة القوة فإنه، وباستخدام محدود نسبياً لوسائل من الخارج يمكن تحقيق نجاح في الجزائر. في المقابل، فإن الفلسطينيين يواجهون في إسرائيل ٣٠٠ ألف جندي مجهزين تجهيزاً عالياً. "إن الشعب الفلسطيني، مجزأ ومضطهد، ولا يستطيع حشد القوة الكافية لتدمير الدولة الصهيونية التي يتم الدفاع عنها من قبل ٣٠٠ ألف جندي مسلحين ومدربين بشكل جيد".

بالإضافة إلى ذلك، "فإنه لا يوجد هناك حكومة عربية واحدة تتسامح أمام تنظيم الفلسطينيين لأنفسهم على أراضيها، إلا في حال شكلوا جزءاً من قواتها المسلحة، وخضعوا لسياستها".

أمّا الشيء المغربي في تحليل علوش، فهو الكيفيّة التي يتعرّض فيها لكل حجة من حجج "فتح" معنّاه فيها حتى النهاية وبشكل لا يقبل المهادنة. إلا أنه أغفل في ذلك التناقضية المتأصلة في أيديولوجية "فتح" ككل. هذه التناقضية بالذات هي التي شكلت النجاح الحقيقي لـ "فتح". فبشعارها الذي ينادي بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، انتظمت "فتح" في النادي القومي العربي القائم أصلاً من خلال الدول المتعددة الموجودة وحكوماتها التي بلا ريب، لم تكن تملك نوعيّة ثوريّة. "على الحركة الثورية الفلسطينية أن تراعي ضرورات الأمن العربي في جميع الأقطار العربية، كما عليها أن تراعي ضرورة استقرار الأوضاع العربية في الداخل حتى تتجنب الإرهاب الثوري على الأمة العربية".^{١٠٧}

في الوقت نفسه، فإن مطلب "فتح" المتجسد في كيان فلسطيني يشكل على الأقل، تشكيكاً ضمنياً في الوضع الراهن للدول والأراضي التي تقوم عليها في المنطقة. وإذا أمعنا في ذلك، فإن هذا المطلب يقود وبشكل حتمي إلى مسألة السيادة والأرض التي يمكن أن تطبق عليها. ويبقى على قدر قليل من الأهمية إذا ما كانت "فتح" قد قصدت التعبير عن ذلك هنا كما حدث حتى ١٩٦٠-١٩٦١، أو تم استثناءه، بإدراك أو دونه، كما هو حادث منذ العام ١٩٦٣.

فأيديولوجية "فتح" وبرنامجهما، وبشكل واضح، ميل متأصل في اتجاه دولة فلسطينية، وتسوية مع الأردن، بغض النظر عن شكل هذه التسوية، وهو ما تغلب، من زاوية تاريخية-سياسية بالتدريج. وفي هذا السياق، فإن حرب العصابات، وهو ما غاب عن ذهن علوش ولاحقاً، لم يكن لها تلك الوظيفة العسكرية-الإستراتيجية التي تم العمل تحت غطاءها؛ فهي من ناحية عسكرية لم تكن غير فعالة فقط، بل من غير معنى أيضاً. لقد كانت الأسطورة المحرّكة التي مكنت أيديولوجية "فتح" من الغلبة: وطنية فلسطينية لا تحمل في طياتها أية أهداف ثورية، أو حتى اجتماعية-ثورية تتطلع نحو حكم وطني يمارسه فلسطينيون على فلسطينيين يقطنون أرضاً فلسطينية.

كان مؤسسو "فتح"، يقدرّون تماماً تفوق إسرائيل العسكري، ومدى وسائلها وقوة حلفائها، إلا أنهم حددوا لأنفسهم برغم ذلك، كهدف أساسي، تسعير الكفاح المسلح. ليس لأننا كنا نتعلل بوهم الاستطاعة على التغلب على الدولة الصهيونية برغم كل شيء، بل لأنه لم تكن لدينا وسيلة أخرى لفرض القضية الفلسطينية على انتباه الرأي العام العالمي، ثم وبخاصة، لتجميع جماهير شعبنا داخل الحركة الشعبية التي نسعى لإنشائها.

كنا نأخذ بعين الاعتبار - من هذه الناحية - عاملين اثنين:

عقلية الفلسطينيين وتوزعهم على مختلف الأحزاب السياسية العربية. ونحن لم نكن نستطيع منافسة هذه الأحزاب على الصعيد الأيديولوجي...

كان الكفاح المسلح وحده قادراً على التسامي على التباينات الأيديولوجية، وأن يصبح بالتالي حافظاً أو وسيطاً للوحدة.^{١٠٨}

وتبقى هنا ملاحظة ظريفة جديدة بالإضافة، ألا وهي أن سيرة حياة ناجي علوش اللاحقة تتعارض وبشكل مباشر، مع تحليلاته في السنوات ١٩٦٣-١٩٦٤. ففي العام ١٩٦٥، ومباشرة بعد العملية الفدائية الأولى التي قامت بها "فتح" بنجاح داخل إسرائيل، أراد علوش الالتحاق بالحركة، وهو ما قوبل، ولا عجب، بالرفض إذ لم يكن سهلاً أن تنسى "فتح" ذلك الذي كان قبل فترة قصيرة من أشرس نقادها. ولم يتم منحه عضوية الحركة إلا في العام ١٩٦٧،^{١٠٩} ولم تكن "فتح" قد تبنت قطعاً العام ١٩٦٥ أو ١٩٦٧ أيديولوجية جديدة، أو حتى إستراتيجية عسكرية أفضل. وعلى النقيض من ذلك، فقد كان علوش هو نفسه الذي اختار العام ١٩٦٣-١٩٦٤ و ١٩٦٥-١٩٦٧ جوانب مختلفة من أيديولوجية "فتح" الشاملة ليستضيء بها. عوضاً عن ذلك، فالذي كان يهيم العام ١٩٦٥ بالأساس، ليس أيديولوجية "فتح" بل ممارستها السياسية.

هـ. "فتح" والقوميون: إشكالية الكفاح المسلح

بعد أن قامت "فتح" بعملياتها الفدائية الأولى في كانون الثاني ١٩٦٥ تحت اسم العاصفة، بدأ القوميون على صفحات فلسطين (الملحق الأسبوعي للمحرر) بالتعرض بشكل تفصيلي وجاد لأهداف هذا التنظيم الفدائي.^{١١٠} وقد وصل القوميون إلى نتيجة مفادها أن العمليات الفدائية لا تشكل "الأداة الثورية المؤدية إلى تحرير فلسطين".^{١١١}

فأعمال العاصفة لم تشكل بالنسبة للقوميين الثورة الشعبية المسلحة، فقد كانت أقرب إلى عمليات كوماندو كتلك التي يقوم بها جيش نظامي، ولها أهداف تكتيكية محددة. ويعود السبب وراء هذا التقييم إلى الصورة التي انطبعت في أذهان القوميين عن إسرائيل. فالدولة اليهودية مثلت في نظر القوميين العرب عدواً تشبثاً صعب المراس يعتمد على إستراتيجية هجومية لنقل المعركة مباشرة إلى ما وراء خطوط الهدنة. في حين أن الضربات الانتقامية الإسرائيلية المتوقعة قد تقود بسهولة إلى حرب محلية. ومن هنا، فإن تنسيق الفدائيين مع عبد الناصر الذي أخذ على عاتقه عبء "الخطة العربية العامة" هو شيء حتمي. إضافة إلى ذلك، كان لا بد من تحريك الجماهير العربية بشكل عام. وتصل فلسطين إلى نتيجة مفادها أن العاصفة قد تسرعت بالعمل الفدائي، كما أن المنظمة (العاصفة) وحتى ذلك الحين لم يكن بمقدورها تقديم برنامج

واضح، ومقنع حول كيفية تطوير أعمالها الفدائية الحالية إلى ثورة مسلحة. وعلى ما يبدو أيضاً، فإن العاصفة لم تكن تدرك فعلاً المخاطر التي يتضمنها كفاحها، وإلا لما كانت قد شرعت في العمل الفدائي قبل حسم مسألة الوحدة الفلسطينية، والتنسيق مع الحكومات العربية الثورية، وهذا يعني مصر في المقام الأول. وتعتبر فلسطين النقطة الأخيرة نقطة مركزية، وبخاصة أن مصر بالذات هي التي عليها أن تتحمل في النهاية القسط الأكبر من أعباء الحرب التي ستقرر مصير فلسطين. وأخيراً أخذ على العاصفة نفخها في حجم العمليات الفدائية والمبالغة في نتائجها. ومن هنا، فقد كانت اللحظة بالنسبة للقوميين تتطلب مزيداً من الحوار، وليس أن تسير العاصفة وحدها قدماً بهجمات فدائية جديدة.

وبعد مضي عام على ذلك فقط، شرع القوميون من جديد في جدل، هذه المرة مباشرة مع "فتح"، وليس مع التنظيم الذي كانت تقف خلفه (العاصفة). في هذه الأثناء توفرت تحليلات وبرامج سياسية مفصلة للتنظيم الجديد "فتح"، وهو ما مكن الجولة الجديدة من الجدل والتركيز بشكل أكبر على المشاكل الأساسية.^{١١٢}

أما الجديد في الأمر، فيتمثل في معرفة القوميين المفاجئة لنوايا "فتح"، وأن ما كان يعينها، على ما يبدو، في المقام الأول هو الأهمية السياسية لعملياتها العسكرية التي تهدف إلى حشد الشعب وتوعيته وتنظيمه ودفعه في الاتجاه المنشود. وبالتالي، فإن المقصود من وراء العمل الفدائي لم يكن دولة إسرائيل، بل الجماهير الفلسطينية والعربية. وهنا بالذات كان القوميون قد أدركوا طبيعة الكفاح المسلح الذي بدأته "فتح" في الماضي وفي المستقبل، ماذا كان وكيف سيبقى دائماً: أسطورة محرقة لوطيتهم الفلسطينية.

إلا أنه، وبدلاً من الماضي في هذه الأفكار، ومن ثم القيام بما يترتب على ذلك، وجه القوميون الجدل في اتجاه آخر، متفادين بذلك تفجير جدل حاد كامن. فعلى أساس الإدراك الذي سبق ذكره خرج القوميون بنتيجة مفادها أن عمليات العاصفة لن تكون الثورة المسلحة التي ستحرر فلسطين. فهذه شكلت الاستعدادات للمعركة المقبلة، ليس إلا. في حين أن هذه الاستعدادات كانت أيضاً جزءاً من إستراتيجية القوميين التي تم الاتفاق عليها مع عبد الناصر. وعلى أساس هذا التداني الحقيقي الموجود نسبياً من "فتح"، دعا القوميون العرب إلى الوحدة الفلسطينية.

إلا أنهم، وفي الوقت نفسه، عادوا فأبرزوا مرة أخرى نقاط الاختلاف الأساسية فيما بينهم؛ فـ"فتح" اعتبرت عملياتها الفدائية، وعلى الرغم من كل شيء، بداية لحرب التحرير، أو حتى حرب التحرير نفسها. فمفهوم "فتح" لهذا الكفاح المسلح يبالغ في النتائج الكامنة المترتبة عليه. بالإضافة إلى ذلك، فإنها؛ أي "فتح"، تتجنب التنسيق مع مصر، القوة العربية الرئيسية في المنطقة، وهو ما كانت تمليه ظروف الساعة بالنسبة للقوميين.

وبشكل عام، فقد شكل أعداد الفلسطينيين، وما يتبع ذلك من تحريض جماهيري، وتنظيم بالإضافة إلى أشياء أخرى مشكلة سياسية. في المقابل، فإن العمليات الفدائية تتبع المجال العسكري، ولا تربطها بالسياسة أية علاقة. وهنا بالذات استقر وجه الخلاف الأساسي والفاصل بين "فتح" والقوميين. فـ "فتح" راهنت على قوة التفجير والفعالية الكبيرة للعمليات العسكرية، وبشكل خاص في السياسة. وإلى أي حد كانوا في ذلك متفوقين على القوميين، فإن مسألة الوحدة الفلسطينية تبقى هي الحكم. ففي حين رأى القوميون هذه الوحدة نتيجة نقاشات سياسية، وعمليات تطور طويلة الأمد، دعت "فتح" إلى بناء الوحدة الوطنية من خلال الكفاح المسلح. فالرصاصه الأولى التي تنطلق في حرب التحرير كان عليها توحيد كل القوى.

في المقابل، رفض القوميون الشروع في حرب فدائية قبل تحقيق الوحدة الفلسطينية الداخلية معتبرين ذلك مغامرة. والنتيجة كانت شعارين متضادين للحشد. فالقوميون دعوا إلى "وحدة القوى الثورية الفلسطينية"؛ في حين أن شعار الساعة بالنسبة لـ "فتح" كان "الكفاح المسلح".^{١١٣}

كما كان هناك رأيان متضادان حول دور الجماهير الفلسطينية والعربية في معركة تحرير فلسطين. فـ "فتح" رفضت حرباً تقليدية لأسباب منها استثناء الجماهير. وبدلاً من ذلك، دعا الوطنيون الفلسطينيون إلى حرب شعبية ضد إسرائيل تكون فيها مهمة الجيوش العربية حماية حدود الدول العربية ضد الهجمات الإسرائيلية. فإسرائيل لا يمكن هزيمتها في حرب صاعقة، بل في حرب شعبية طويلة الأمد. في الوقت نفسه، فإن هذا الشكل من الحروب فقط، ومن خلال حشد كل القوى الجماهيرية هو الرد الأفضل على تدخل استعماري محتمل.

أما فلسطين فقد أقدمت على التشكيك في إمكانية خوض حرب شعبية في فلسطين على غرار فيتنام أو الجزائر. كما أن "فتح" لم توضح من الذي سيخوض مثل هذه الحرب الشعبية أو يتحمل أعباءها، ولا من سيقدم الحماية للذي سيخوض هذه الحرب. وأخيراً كان يجب على العمليات الفدائية الانطلاق من الدول العربية المجاورة لإسرائيل. وعلى المرء أن لا ينسى أن إسرائيل هي عبارة عن معسكر جيش كبير.

فقد بقيت، أي فلسطين، ثابتة على رأيها أمام كل حجج "فتح" في أن الجيوش العربية، وليس الفدائيون، وحدها القادرة على إلحاق الهزيمة بإسرائيل. في حين يتمثل دور الفدائيين في القيام بمهام خاصة بهدف دعم الجيوش العربية. أما دور الجماهير فيمكن في التصدي للتدخل الاستعماري المرتقب. فهي فقط القادرة في حال حصول تدخل غربي على القيام بتفجير سياسي في المنطقة. واستناداً إلى إستراتيجية زريق في معنى النكبة، فقد رأى القوميون دوراً مهماً للجماهير في حرب تقليدية مع إسرائيل.

إلا أن الطرفين اتفقا على ضرورة إعداد الجماهير، سواء من أجل حرب شعبية أو أخرى صاعقة. ففي حين اختصر القوميون ذلك في نطاق السياسة فقط، راهنت "فتح" منذ ١٩٦٤، بوعي أو من غير وعي (هذا ليس على بساط البحث الآن)، على التأثير المحفز الذي تتركه أعمال عسكرية محددة في عملية حشد الجماهير وتنظيمها. هذه الاستراتيجية السياسية لـ "فتح" شكلت بالنسبة للقوميين في منتصف الستينيات نوعاً من التحريم. وقد يعود ذلك ربما، إلى التشابه مع طرق كتائب الفداء العربي، وما تبع ذلك من إرهاب سياسي مختار، وهو أسلوب اعتبر القوميون أنفسهم قد تجاوزوه ومنذ زمن.

وبالنسبة للقوميين، فقد تم العام ١٩٦٦ إبراز أهمية المسؤولية، التي أدت، وبشكل حتمي، إلى شلها في قدرتها على العمل السياسي. فالمسؤولية بالنسبة لهم كانت تعني تقييماً واقعياً للإمكانات والحدود الذاتية، كما عنت أيضاً الارتباط بإستراتيجية عبد الناصر الشاملة، والقبول بموقعه القيادي، وبخاصة في المجال العسكري. وهو ما كان يتضمن التقليل من قيمة النتائج الممكنة للعمليات الفدائية أو نجاحها.

في المقابل، فقد قامرت "فتح" بكل ما لديها مراهنه على الورقة الفدائية، والكفاح المسلح. ولكنها بذلك حققت النصر على القوميين الذين نشطوا قبلها بفترة أطول، وانغرسوا بشكل أفضل بين السكان، حيث استطاعت العام ١٩٦٨ تسلم قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة.

و. فتح تطلق الرصاصة الأولى

إلى شعبنا العظيم، إلى أمتنا العربية المناضلة، إلى الأحرار في كل مكان، من شعبنا الصامد على الحدود ومن ضمائر أمتنا المجاهدة، انبثقت طلائعنا الثورية المؤمنة بالثورة المسلحة طريقاً للعودة والحرية لتثبت للاستعماريين وأذبالهم وللصهيونية العالمية ومموليها، أن الشعب الفلسطيني ما زال في الميدان، وأنه لم يموت ولن يموت.

لقد نسى هؤلاء قدرات هذا الشعب وثوراته المتلاحقة، وأنه مصمم على الكفاح المسلح مهما كانت العقبات حتى يذيب كل المؤامرات التي تحاك ضده. لقد خطط الصهاينة لإقامة طويلة في بلادنا عن طريق مشاريع التحويل والإعمال لزرع أرضنا الطيبة بمزيد من قوى العدوان فيفرضون على أمتنا العربية سياستهم اللئيمة سياسة الأمر الواقع، ومن وحي هذه الأخطار، ولأن الزمن يسير في خط معاكس كان لا بد لطلائعنا الثورية أن تتحرك بسرعة، لتشل مرافق العدو ومنشئاته، معتمدة على قوتها الذاتية وإمكانات شعبنا العربي الفلسطيني.

ونحن نعلن للعالم ارتباطنا بتربة هذا الوطن وخيره، ولا يحركنا إلا إيماننا بأن هذا هو الطريق السليم لإخراج قضيتنا من العزلة التي عاشت فيها طيلة السنوات

الماضية. ولكن هذا لا يمنعنا من أن نصارع الدنيا أننا مرتبطون بأمتنا العربية مصيرياً ونضالياً التي ستترد كفاحناً مادياً ومعنوياً.

فإلى جماهير شعبنا الفلسطيني، وإلى أمتنا العربية الواحدة، وإلى أحرار العالم كله، نتجه بهذا النداء لتأييد طلائع العاصفة في كفاحها الثوري البطولي. وإننا نعاهد شعبنا أن نظل على العهد، ولن نلقي السلاح الفلسطيني حتى تتحرر فلسطين، وتعود إلى مكانها الطبيعي في قلب الأمة العربية.

عاشت أمتنا العربية.

وعاشت فلسطينا حرة عربية.^{١١٤}

بهذا البيان الصحافي الذي وُزِعَ في بيروت في كانون الثاني ١٩٦٥ وتحت الاسم المستعار العاصفة، أعلنت "فتح" للرأي العام العربي والفلسطيني عن البدء بالكفاح المسلح^{١١٥} الذي من المفترض أن يشكل انطلاقة الثورة الفلسطينية كما تم تصويره في جريدة فلسطيننا، ومن خلال البرامج الأساسية لـ "حزبنا" و "هيكل البناء الثوري".^{١١٦} إلا أن كل العمليات الأولى التي حصلت عشية رأس السنة لم تكلل بالنجاح. بعد ذلك بعدة أيام فقط، وبالتحديد في الثامن من كانون الثاني نجحت عملية فدائية ضد منشآت مصلحة المياه الوطنية الإسرائيلية بالقرب من عيلبون في الجليل التي كان قد انتهى العمل فيها حديثاً. وبوقوع محمود حجازي كأول فدائي فلسطيني في الأسر، لم يعد الإعلام الإسرائيلي قادراً على تجاهل العاصفة، ذلك التنظيم الفلسطيني الجديد، وغير المعروف إلى حد ما.^{١١٧} أما الهجمات الفدائية الأخرى التي تبعت، فقد حدثت غالبيتها ضد محطات الضخ والقنوات والأنابيب التي تنقل مياه نهر الأردن إلى صحراء النقب، وذلك في الجنوب انطلاقاً من غزة، وفي الشمال الشرقي انطلاقاً من الأردن.

فالضجة التي أثارتها "فتح" من خلال البيانات العسكرية التي وزعتها على الصحف البيروتية ترينا أي عصب مركزي للقومية العربية قد تمت بذلك إصابته. فمنذ ١٩٥٩ ومرة أخرى العام ١٩٦٣-١٩٦٤، أعلنت الدول العربية بزعامة عبد الناصر عن عزمها منع تحويل مياه نهر الأردن من قبل إسرائيل وبقوة السلاح إذا دعت الضرورة لذلك. وفي العام ١٩٦٤ تم تأسيس م.ت.ف، وبعدها بوقت قصير جيش التحرير الفلسطيني؛ فقد تم إنشاء "قيادة عسكرية دفاعية مشتركة". كما تم تطوير خطط لاستفادة عربية من مياه روافد الأردن. وما عدا ذلك فلم يتحرك ساكن. في المقابل، سددت "فتح" ضربتها إذ قامت ببضع عمليات تكللت بالنجاح. ولذلك تم حشد كافة المرافق الدعائية الناصرية ضد العاصفة - "فتح". وفي نهاية صيف ١٩٦٥ كان قد أُتخذ قرار بعدم السماح لأية صحيفة بنشر بيانات "فتح" مستقبلاً. فالمطلوب كان إخراص "فتح".

لكن لماذا اختارت "فتح" كانون الثاني ١٩٦٥ بالذات البدء بالكفاح المسلح؟ من المؤكد أن نجاح إسرائيل بالبدء في عملية ضخ مياه نهر الأردن إلى النقب كان السبب الذي

دفع "فتح" إلى التصرف. وبشكل منطقي حددت العمليات الأولى منشآت المياه هذه كهدف لها.^{١١٨}

ولا يقل عن ذلك أهمية قيام م.ت.ف وإنشاء جيش التحرير الفلسطيني، وهو ما تم التأكيد عليه في مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية، الذي ترتب عليه نشوء حالة من التنافس شكلت خطراً على وجود "فتح". وحسب أبو إياد، فإن "قيادة فتح... قد سبرت غور الهدف وفطنت إلى الخطر الذي يمكن أن تمثله منظمة خلقتها، وتسيطر عليها الحكومات العربيّة بالنسبة لحركة التحرير الفلسطينية".^{١١٩} ويتذكر خالد الحسن:

عندما تم إنشاء م.ت.ف، أراد حتى أولئك الفلسطينيون القلائل الذين انضموا إلينا، وبشكل خاص العسكريون منهم، الانسحاب ثانية. وحجتهم في ذلك: لقد أصبح لنا الآن جيش تحرير فلسطيني، فيجب أن ننضم إليه. إن م.ت.ف معترف بها من كل الدول العربيّة، فلماذا إذا لا نعمل على دعمها؟ لماذا نحن في حاجة إلى منظمة أخرى جديدة؟^{١٢٠}

وعلى صعيد لقاءات "فتح" الداخليّة دار نزاع حول أي الخيارات بقيت بعد مفتوحة، وذلك على ضوء الوضع المستجد. عرفات وأبو جهاد سعوا إلى البدء فوراً بعمليات مسلحة ضد إسرائيل. فقد اعتقدوا أنه، وبهذا الأسلوب فقط، يمكنهم الصمود أمام م.ت.ف، أو حتى التغلب عليها في الصراع على القيادة السياسية للفلسطينيين. "أعطوني ٥٠٠٠ دينار وأنا أصنع ثورة!"،^{١٢١} هذا ما طالب به عرفات قيادة "فتح" في الكويت.

وعلى الرغم من معارضة شديدة وقف على رأسها خالد الحسن، حصل عرفات على المبلغ المطلوب لينطلق على الفور إلى بيروت عبر دمشق كي يفجر "الثورة". ذلك أن إنشاء م.ت.ف كان السبب الحاسم وراء البدء بالكفاح المسلح، وبالذات في كانون الثاني ١٩٦٥، وهو ما يبرزه خالد الحسن. "ربما استطاع المرء القول، وهذه هي الحقيقة، إننا أجبرنا على اتباع خط، كنا لا نريد اتباعه، لأن م.ت.ف كانت قد أنشئت. وبسبب وجودها ولأنها لم تكن "الأصلية" كما اعتبرها كثير من الفلسطينيين، قررنا، أن الإمكانية الوحيدة للمحافظة على فكرة كفاحنا حيّة، هو البدء بالكفاح نفسه".^{١٢٢}

وهكذا انطلقت في كانون الثاني العمليات الفدائية الأولى لـ "فتح"، ذلك أن اسم العاصفة قد استخدم للتمويه، فقط كان هذا تنازلاً للمعارضة في الكويت، بحيث لا تتعرض حياة تنظيم "فتح" السري بأكمله للخطر في حال فشل الكفاح المسلح. وكما هو راسخ في أيديولوجيتها، فإن الكفاح المسلح هو الذي سيعيد الكيان الفلسطيني (الكيان هنا بمعنى الهوية الشخصية، وبمعنى كيان وطني واضح المعالم) الذي دمر في النكبة العام ١٩٤٨. وقد صاغ ذلك ياسر عرفات باختصار شديد جداً. "لقد قلت منذ البداية إننا نحن الفلسطينيين غير قادرين على استرجاع هويتنا، وتعزيزها إلا بالنضال".^{١٢٣}

الشيء نفسه يبرز، وبشكل واضح جداً، في عنوان لسان حال "فتح" الأول فلسطيننا نداء الحياة.

أمّا إلى أي حد كانت "فتح" ناجحة في ذلك، فهذا ما يؤكدّه شاب فلسطيني انتسب إلى "فتح" العام ١٩٦٦ بسبب عملياتها الفدائية ضد إسرائيل.

لقد بعثت الحياة من جديد في الهوية الوطنية الفلسطينية. وأنا مدرك لقيمة هذه الحقيقة. فعندما كنت تلميذاً تعرضت للشتيم من قبل أحد الضباط الأردنيين بالكلمات التالية: أنت حشرة ولست إنساناً، أنت اللاجئ الفلسطيني! أمّا اليوم فإنني أستطيع القول وبفخر إنه يوجد شعب فلسطيني، وهذا على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لي. فشعبنا تم تدميره بالقوة، كما تم إجباره حتى على نسيان اسمه. وهنا ظهرت "فتح" بمطلبها العمل على استرجاع الهوية الفلسطينية.^{١٢٤}

وفي الوقت نفسه كان على الكفاح المسلح أن يخلق الوحدة الفلسطينية، وهو ما اعتبرته "فتح" شرطاً مسبقاً من أجل حرب تحرير ناجحة.

وقد حاول قادة "فتح" تحقيق ذلك في الفترة ما بين ١٩٦٥-١٩٦٨ بشكل عملي سياسي وتنظيمي أيضاً. فالمحاولة التي جرت في شباط ١٩٦٥ للقيام بعمليات مشتركة مع القوميين، فشلت في مرحلة التحضير. إلا أن محاولات الاتصال والتعاون التي قام بها عرفات في الفترة نفسها مع جبهة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد جبريل^{١٢٥} كانت في حد ذاتها واعدة، ووصلت العام ١٩٦٦ حد الاندماج تقريباً.

ثم كانت هناك حادثة عرابي الغامضة التي وضعت حداً سريعاً وقبل أوانه لمشروع الوحدة هذا. فخلال لقاء تم بين يوسف عرابي، أحد الضباط الفلسطينيين في الجيش السوري الذي قام عرفات نفسه بتنظيمه كعضو في "فتح"، ومحمد حشمة، ضابط فلسطيني آخر كان قد خدم في مطلع الستينيات في اللواء الفلسطيني الذي وقف على رأسه الزعيم العراقي السابق عبد الكريم قاسم، حصل ولأسباب بقيت مجهولة حتى اليوم، تبادل لإطلاق النار أدى إلى مقتل كليهما. كبش الفداء كان عبد المجيد زقوت، الحارس الشخصي لحشمة، ابن الستة عشر عاماً في ذلك الوقت، الذي افترض أنه القاتل، وعليه فما يزال يقبع حتى اليوم في أحد السجون السوريّة. وبالإضافة إلى زقوت، فقد تم اعتقال قيادة "فتح" المتواجدة في الشام بأكملها: أبو جهاد وأبو علي أياد وأبو صبري وبالطبع ياسر عرفات أيضاً. وفقط في أعقاب تدخل وفد من "فتح" حضر من الكويت على عجل برئاسة فاروق قدومي، عضو سابق في حزب البعث، بالإضافة إلى أحمد سويداني قائد الأركان السوري، وأهم حلقات الوصل بين عرفات والنظام السوري، تم إطلاق سراح الوطنيين الفلسطينيين.^{١٢٦}

ومن غير المستبعد ضلوع المخابرات السورية في الموضوع، ليس فقط فيما يتعلق "بالاستعداد للوحدة" الذي أبداه أحمد جبريل، بل في الجريمة المزدوجة في حادثة عرابي. فقد حاول النظام السوري وفي المقام الأول وزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد إخضاع "فتح" لسيطرته، إلا أن ذلك باء بالفشل. وقد عكس ذلك نفسه على المدى البعيد على العلاقات بين عرفات والأسد.

وتجدر الإشارة هنا مرة أخرى إلى ديناميكية الصراع على القيادة داخل المجتمع الفلسطيني الممزقة والمرتبطة بشكل وثيق بالمحاولات المبذولة من أجل الوحدة الفلسطينية. فأحقية القيادة في المجتمع الفلسطيني وبشكل شرعي، هي من نصيب ذلك الذي يستطيع وإلى أبعد حد، تحقيق وحدة المجموعات السياسية الفلسطينية المتنافسة.

ومن هذا المنطلق، نفذت "فتح" عملياتها الفدائية ضد إسرائيل. ذلك أن "فتح" كانت أول التنظيمات الفلسطينية التي بدأت الكفاح المسلح في كانون الثاني ١٩٦٥، وأنها قامت بالترويج علناً لكل هجوم، أو محاولة هجوم. كل هذا حقيقة استخدمت كوسيلة لإظهار تفوق "فتح" على م.ت.ف، والقوميين، وبشكل عام كل المجموعات الفدائية الصغيرة، والصغيرة جداً التي بدأت تنتشر بكثرة وبسرعة أيضاً.

فـ "فتح" أرادت أن تبرز أمام الأنظمة العربية والرأي العام العربي والمجتمع الفلسطيني على أنها الحركة السياسية الرائدة والوحيدة القادرة على قيادة النضال التحرري الفلسطيني. وهنا تظهر بشكل واضح أهمية التوظيف السياسي للكفاح المسلح الذي استثمرته "فتح" الذي أشار إليه القوميون من خلال الجدل الذي دار على صفحات فلسطين، حيث العلاقة المباشرة بين المد والجزر في الهجمات الفدائية ضد أهداف إسرائيلية وأحداث فلسطينية أو عربية مهمة. فعلى سبيل المثال، كثفت "فتح" -العاصفة عملياتها قبل مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء في أيلول ١٩٦٥ بشكل أكبر مما كان عليه الأمر في أيار من العام نفسه، وعشية انعقاد الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني.^{١٢٧} وقد رافقت العمليات الفدائية حملة سياسية منظمة. فمنذ العام ١٩٦٥ كان يتم إرسال بيان موقع باسم "فتح" -العاصفة إلى كل مؤتمر، فلسطينياً كان أم عربياً. في حين تعرض مؤتمر القمة العربي المنعقد في الدار البيضاء إلى هجوم عنيف ليس بسبب سياسة المقاطعة العربية المركزة ضد بيانات العاصفة الصحافية فحسب، وإنما أيضاً بسبب الملاحقة المنظمة للفدائيين الفلسطينيين، ليس فقط في الأردن، وإنما في مصر ولبنان أيضاً. وحتى حرب حزيران ١٩٦٧، كان قد تم اعتقال ٢٥٠ فدائياً من التابعين لحركة "فتح" وإلقاؤهم في السجون العربية.^{١٢٨}

وبشكل مواز للتطورات التي كنا بصدد الحديث عنها، فإن صراعاً داخلياً مريراً كان يدور داخل الحركة الوطنية الفلسطينية الشابة، هذا على الرغم من كل التأكيدات الأيديولوجية على خضوع "فتح" لقيادة جماعية. أما قطبا الصراع فكانا خالد

الحسن في الكويت، ويسر عرفات في سوريا ولبنان. فالجدل حول الشروع بالكفاح المسلح انطلاقاً من العام ١٩٦٥ كان قد وضع كلا المرشحين وللمرة الأولى، في مواجهة مباشرة. فعرفات نجح في ذلك الوقت في تنفيذ خياره فيما يتعلق بالحرب الفدائية، ما جعل الصراع أكثر تعقيداً، إن لم يكن أكثر مرارة.

وقد بلغ هذا الصراع ذروته في أيار ١٩٦٦،^{١٢٩} عندما استطاع خالد الحسن أن يجمع غالبية قيادة "فتح" في الكويت خلفه. فقد أراد وبمساعدة "الكويتيين" وضع حد لاستقلالية عرفات المتزايدة: قرارات تتخذ بشكل استبدادي، وزيارات لم يتم الاتفاق عليها مسبقاً، وتبذير أموال "فتح" أو التصرف بها بشكل غير مسموح به، وكان يجب فصله من الحركة بلا تردد.^{١٣٠} أمّا خلفية هذا الصراع فقد شكلها، كما حصل من قبل العام ١٩٦٤-١٩٦٥، الكفاح المسلح. فعرفات "كرجل الميدان" كان يريد دائماً الاحتفاظ لنفسه بقدر أكبر من الحرية في اتخاذ القرارات، فبسبب النقص في المقاتلين كان عرفات مجبراً على استخدام مجموعات فلسطينية من سوريا، أو لبنان، أو الأردن في عمليات مسلحة في مقابل المال. في المقابل، كان خالد الحسن، والقيادة في الكويت يصرون على أنهم أصحاب اتخاذ القرارات العليا. كما أرادوا، ولأسباب أيديولوجية تنظيمية، المحافظة على "طهارة" "فتح"، ولهذا طالبوا بالوقف الفوري للهجمات الفدائية "المأجورة". وحجتهم في ذلك أنه إذا لم يكن مفر من حرب فدائية، فإن القيام بها يقع على عاتق مقاتلي "فتح" فقط. وطالما أن هذا الشيء لم يتشكل بعد، بطريقة مرضية، فإنه من الأفضل، أو هكذا بدا الأمر "للكويتيين"، التخلي عن الكفاح المسلح، وبخاصة على ضوء القمع المتزايد للفدائيين من قبل الدول العربية. وعلى هذا الأساس، رأى خالد الحسن أن التنسيق بين الفلسطينيين والدول العربية قد أصبح أمراً لازماً. وبذلك تشكلت في صميم "فتح" مدرسة لا تختلف عن القوميين في نهجها: قرار الكفاح المسلح فقط مشروط بالتنسيق مع الحكومات العربية.

إلا أن حادثة عرابي شكلت نقطة الفصل التي أوجبت تعليق المواجهة بين خالد الحسن ويسر عرفات. فمن خلال اعتقاله في دمشق استطاع أن يبرز كأقرب ما يكون إلى نموذج المقاتل المثالي في "فتح" الذي يقف من أجل الاستقلال المطلق للنضال الفلسطيني من أجل الحرية. أما تقدمه نحو القمة في "فتح" فلم يعد يعيقه شيء. ما كان ينقص هو فرصة تاريخية تقدم له كل الأوراق على طبق من فضه، وهو ما حدث في حزيران ١٩٦٧، أو على الأبعد في آذار ١٩٦٨ عندما وقع الهجوم الإسرائيلي على الكرامة.

من غير ريب، فإن قرار النظام السوري بدعم "فتح" قد شكل العامل الأساسي^{١٣١} الذي جعل من الكفاح المسلح شيئاً ممكناً، وإلى درجة معينة ناجحاً، وليس أيديولوجية "فتح" ولا الشخصية القيادية المهيمنة لياسر عرفات، أو حتى التفوق التنظيمي للحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة. فالصراع العربي-العربي بين نظام البعث في دمشق ومصر الناصرية خلق وضعاً تم استغلاله بشكل تام من قبل عرفات وأبو جهاد

لتحقيق مصالح فلسطينية. ففي حين اعتبر عبد الناصر الأب الروحي لـ م.ت.ف، قدم البعثيون في سوريا أنفسهم كمؤيدين لحرب شعبية فلسطينية عربية يقودها فدائيون فلسطينيون، على سبيل المثال "فتح". بالإضافة إلى ذلك، فقد نجح أبو جهاد في كسب الحكومة الجزائرية الجديدة بزعامة العقيد بومدين من أجل دعم حرب التحرير التي تقودها "فتح". ومنذ ذلك الحين كان يتم هناك تدريب أعضاء "فتح" عسكرياً، وتزويدهم بالسلاح.^{١٢٢}

وحتى العام ١٩٦٧ تمكنت "فتح" من القيام بأكثر من ١٠٠ عملية عسكرية ضد إسرائيل، وبنجاح متبدل. إلا أن الوطنيين الفلسطينيين الذين انطلقوا من الكويت ظلوا في شعبيتهم وفي محاولاتهم بناء قاعدة عريضة لهم في مخيمات اللاجئين في لبنان وسوريا والأردن وغزة، بعيداً يلهثون وراء القوميين. فعلى الرغم من كل الحماس الذي حظيت به الأعمال الفدائية، بقي الفلسطينيون في غالبيتهم أوفياء للقومية العربية بزعامة عبد الناصر. فعليه عقدوا الأمل في تحرير وطنهم. إلا أن الهزيمة النكراء التي مني بها عبد الناصر في حزيران ١٩٦٧ كانت قد شكلت الرصاصة القاتلة للقومية العربية، وبداية التوسع الأيديولوجي في الوطنية الفلسطينية.

فحرب حزيران قلبت المعادلة السياسية في المنطقة رأساً على عقب،^{١٢٣} إذ منيت الحكومات العربية وعلى رأسها عبد الناصر بهزيمة مذلة. فادعأهم الكلامي على مدار السنوات حول إلحاق الهزيمة بإسرائيل في "الجولة المقبلة" كان يقابل من قبل الدولة العبرية نفسها بالهزء منه. فهذه مارست منذ ذلك الحين سيطرة حقيقية على فلسطين التاريخية التي كانت تقع تحت الانتداب، ولم يكن هناك ما يعيق زحفها، لتصبح قوة كبرى على المستوى الإقليمي.

وبلا ريب، فإن الصدمة كانت كبيرة، وبشكل خاص بالنسبة لأتباع عبد الناصر بين الفلسطينيين؛ أي القوميين. فقد انهار عالم بكامله في ذلك الحين. في المقابل، استطاعت "فتح" بشكل أفضل وقبل ذلك بسرعة أكبر استيعاب النكسة. صحيح أنه كانت هناك حاجة لبعض التصحيحات في برنامج "فتح" بعد حزيران ١٩٦٧، على سبيل المثال التأثيرات المتبادلة بين الهجمات الفدائية، والفعل المتوقع من قبل الجيوش العربية. ولكن، ولأن "فتح" لم تكن أبداً منطقية أو منغلقة على نفسها، فإن التخلي عن بعض المواقف التي سبق تمثيلها لم يكن بالصعوبات التي لا يمكن تجاوزها.

فالسؤال الذي كان على "فتح" أن تطرحه على نفسها في صيف ١٩٦٧ كان يتعلق برد فعل محتمل وفعال من جانب الفلسطينيين. مرة أخرى، كان عرفات هو الذي يمتلك جواباً جاهزاً: الوصفة السحرية كانت من جديد الكفاح المسلح انطلاقاً من المناطق المحتلة، وذلك من أجل ديناميكية معينة تعمل على دفع وطنية "فتح" الفلسطينية إلى مركز الصدارة على المسرح السياسي. وكنشيط لم يعهد الكل أو الملل، انتقل عرفات

في تموز من ذلك العام إلى المناطق المحتلة حديثاً، وذلك للاطلاع على الوضع هناك. ولم يلبث بعد عودته إلى دمشق أن حرض قيادة "فتح" على العودة من جديد، وفوراً للعمليات المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي. في هذه الأثناء لم يعد هناك غريم يؤخذ على محمل الجد داخل "فتح" بإمكانية طرح البدائل في حضور شخصية عرفات المسيطرة. وقد اتخذ في ٢٨ آب قراراً بالشروع من جديد بالكفاح المسلح. وهكذا كانت الانطلاقة الثانية للثورة الفلسطينية بقيادة "فتح".^{١٣٤} كما أنه من المفيد الإشارة هنا إلى أن ذلك تناسب مع انعقاد مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم.

أما الأسابيع التالية فقد قضاها عرفات في الضفة الغربية والقدس، وذلك للمباشرة في الاستعدادات للثورة ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي. وخلافاً لكل التوقعات كانت النتيجة الفشل التام: فقد تم اعتقال المئات من مقاتلي "فتح"، في حين أن ثورة الجماهير الفلسطينية المنشودة لم تخرج إلى حيز الوجود. أما عرفات نفسه فقد أفلت بأعجوبة من المخابرات الإسرائيلية.

يعود السبب وراء فشل عرفات، على ما يبدو، إلى تطورين مرتبطين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً. فقد كان البيت الهاشمي، الذي قام بضم القدس الشرقية والضفة الغربية إلى مملكته العام ١٩٥٠، قد وضع سكان هذه المناطق تحت حكم قمعي جداً. فكل حركة وطنية فلسطينية مستقلة، وكل تنظيم سياسي موجّه ضد الحكومة في عمان، بغض النظر عن كونه قومياً أو إسلامياً، أو حتى شيوعياً، كان يتم اضطهاده بلا هوادة. فعملاء المخابرات الأردنية انتشروا في كل مكان. وهؤلاء كان عليهم حتى منع السكان من سماع "صوت العرب"، الذي اعتاد أن ينتقد بشدة حكومة الملك حسين.^{١٣٥}

ولما اجتاحت الجيش الإسرائيلي القدس الشرقية والضفة الغربية غنم كل الملفات السرية الأردنية، التي على أساسها تم اعتقال المعارضة الفلسطينية بالعشرات. بالإضافة إلى ذلك تسلمت المخابرات الإسرائيلية شبكة كثيفة من عملاء المخابرات الأردنية، التي تابعت نشاطها دون توقف. أما السكان، وقد وقعوا تحت تأثير الصدمة التي خلفتها الحرب وأهوالها، فقد وقفوا من جانبهم شبه مشلولين. فعشرون عاماً دونما فرصة لممارسة نشاط سياسي حر تظهر، إذا ما نظرنا إلى الوراء، أن ثورة جماهيرية في العام ١٩٦٧ كانت غير واردة نهائياً؛ فالحكم الأردني للفلسطينيين وفي أعقاب مباشرة الحكم العسكري الإسرائيلي لم يترك مجالاً لذلك قط. وأخيراً فقد كان من الصعب أن يلجأ كثير من الفلسطينيين إلى السلاح بضعة أسابيع بعد المواجهة المباشرة مع السطوة المتفوقة للجيش الإسرائيلي.

عوضاً عن ذلك، فإن عرفات ونشيطي حركته كانوا بالنسبة للفلسطينيين من نابلس حتى الخليل حقاً غرباء. وليس هناك شك أن عرفات شخصياً قد تمكن من تحريك بقايا البنية التحتية من أنصار عائلة الحسيني وراء "فتح"، إلا أن كل معارضيتهم، وهؤلاء شكلوا بشكل واضح الغالبية، وقفوا ضده وبالتالي ضد "فتح".

وبصرف النظر عن النكسة غير المتوقعة، فقد تابَعوا هجماتهم ضد الاحتلال الإسرائيلي من الضفة الأخرى لنهر الأردن. وقد كانت سخرية القدر خير معين لهم. فالنجاح العسكري الكبير الذي حققته إسرائيل العام ١٩٦٧ الذي اجتاحت في أعقابها، ودونما عقبات تقريباً، الضفة الغربية بالإضافة إلى الخنق في المهد وبسرعة لكل بداية قد تنشأ عنها حركة ثورية، جعل من العسكريين والسياسيين الإسرائيليين أناساً واثقين بالنصر، ولكن وربما أكثر من اللزوم. فقد أرادوا وبعد انتصارهم في الضفة الغربية، القضاء على مجمل الحركة الفدائية الفلسطينية التي تركزت منذ نهاية ١٩٦٧ في واد الأردن. وقد تحدد موعد الهجوم في ٢١ آذار ١٩٦٨،^{١٣٦} حيث عبر الجيش الإسرائيلي نهر الأردن من نقاط مختلفة على جبهة يزيد عرضها على ٥٠ كم بحوالي ١٥,٠٠٠ جندي تدعمهم الدبابات والطائرات المروحية، ووحدات المظليين.

أمّا الفدائيون من جانبهم، فقد كانوا قد اتخذوا من البلدة الأردنية الصغيرة الكرامة مقراً رئيسياً لهم. هذه البلدة التي كانت قد تحولت في أعقاب حرب حزيران إلى مخيم حقيقي للاجئين. وهناك كان من المقرر أن تحصل المعركة التاريخية الفاصلة.

وحسب قوانين حرب العصابات كان على الفلسطينيين بعد المعلومات الأولية عن الغزو الوشيك الانسحاب من الكرامة، لأنه وفي المراحل الأولى لأية حرب عصابات، يجب مهما كلف الثمن، تجنب المواجهة المباشرة مع العدو. هذا الشيء طبقه العسكري الفلسطيني البارز أحمد جبريل، إذ وجه أوامره إلى كل فدائيي الجبهة الشعبية الواقعين تحت إمرته بالانسحاب، واتخاذ مواقع جديدة محصنة في الجبال الواقعة شرقي نهر الأردن.^{١٣٧}

إلا أن عرفات، كما سبق وبيننا، لم يكن عسكرياً. ومن هنا، فإن قراراته لم تتبع المنطق العسكري. لقد كان سياسياً يتمتع بحس عميق نحو الفرص التاريخية التي سرعان ما كان يقتنصها كلما لاحت. وهنا كان على الكرامة أن تقدم الفرصة الذهبية لتحقيق كل الأهداف التي حارب من أجلها مع "فتح" منذ ١٩٥٨: إعادة صبغة الشعب إلى الفلسطينيين من جديد، وقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة من قبل "فتح"، وإعادة تعريف ما يسمى بالصراع الإسرائيلي-العربي كصراع يحمل في ثناياه حرب مصير إسرائيلية-فلسطينية. وفي مساء العشرين من آذار ألقى عرفات أمام ما يقل عن ٣٠٠ مقاتل من التابعين لـ "فتح" في الكرامة كلمة صدر بها "تحديه للتاريخ".^{١٣٨}

إن أنظار الأمة العربية ترنو إلينا. يجب أن نتحمل مسؤوليتنا كرجال بشجاعة وكرامة. ويجب أن نعيد الروح إلى مفهوم الصمود في هذه الأمة. يجب أن نحطم أسطورة الجيش الذي لا يقهر مرة وإلى الأبد.^{١٣٩}

إننا نريد أن ننقع العالم أن هنالك في الأمة العربية من لا ينسحب ويهرب. لنمت تحت جنازير الدبابات ونغير اتجاه التاريخ في المنطقة.^{١٤٠}

"فتح" كان قرارها التصدي للهجوم الإسرائيلي المنتظر؛ فالفدائيون كان عليهم وتحت كل الظروف عدم الانسحاب أمام العدو المتقدم. أمّا المعركة نفسها فقد بدأت في ساعات الصباح المبكر في ٢١ آذار، واستمرت حتى ساعات المساء. ليس فقط المقاومة البطولية التي أبدتها الفدائيون، وإنما أيضاً وفي المقدمة، تدخل الجيش الأردني الذي صب نيران مدفعيته على القوات الإسرائيلية المهاجمة كان مسؤولاً عن سير المعركة. وفي النهاية انسحب الجيش الإسرائيلي مخلفاً وراءه خسائر كبيرة: ٢٨ قتيلًا، و ٧٠ جريحًا، بضع دبابات معطوبة تركت على أرض المعركة.

وفي الجانب الفلسطيني كان هناك أكثر من ١٠٠ قتيل، كما تكبد الأردنيون أكثر من ١٠٠ بين قتيل وجريح. وبذلك فقدت "فتح" نصف كادرها، سواء من خلال الموت أم الإصابة أو الوقوع في الأسر.^{١٤١}

وعلى الرغم من ذلك، تحوّلت الكرامة لتصبح النجاح الأكثر أهمية والأكثر عمقاً في تاريخ "فتح" والحركة الوطنية الفلسطينية. فقد تم تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وأصبح الفدائي بطلاً لكل الفلسطينيين، بل لكل العرب. وبعد الكرامة بوقت قصير، أعلن الملك حسين: "في يوم ما نكون كلنا فدائيون".^{١٤٢} ورؤية أبو إياد لذلك:

واحتفى العالم العربي كله بمعركة الكرامة واعتبرها نصراً باهراً. وحيكت الأساطير حول ماثرتها هذه... واستبد الحماس بالجماهير الفلسطينية التي امتلأت فخراً بانتصار الكرامة، بعد عقود الإهانة والمذلة، ورأت فيه بداية تحررها. وبدأ الآلاف وعشرات الآلاف من الشباب والشيوخ يسعون إلى الانتساب لـ "فتح". كان الطلبة الثانويون والجامعيون يتركون دراستهم ليلتحقوا بصوفنا.^{١٤٣}

ويتذكر أبو جهاد بشكل واضح جداً مشهداً حصل في أعقاب معركة الكرامة مباشرة:

كنا بعد يوم واحد من معركة الكرامة نجلس تحت أشجار مدينة السلطة، حيث تقف في مواجهتنا طواير ممتدة من القادمين للتطوع والالتحاق بالثورة. نبدأ التسجيل في السابعة صباحاً ولا ننتهي [إلا] في الثامنة مساءً.^{١٤٤}

وبذلك بلغت "فتح" نقطة التحول التاريخية التي بدأت عندها بالولوج من تنظيم طلائعي صغير يعمل تحت الأرض إلى حركة جماهيرية أصبحت تشكل منذ ذلك الحين الجزء الأكبر من الحركة الوطنية الفلسطينية. إلا أن النجاح الذي حققته معركة الكرامة على مستوى الحشد الجماهيري، لم يلبث أن تحول إلى رهان يثقل وبشكل قوي تطور "فتح" لاحقاً. فشرعية "فتح" بنيت، على الأبعد منذ الكرامة، على الترويج والتطبيق العملي للكفاح المسلح. وقد بقيت هذه الشرعية لسنوات خلت تعتمد بشكل مباشر على تمسك "فتح" بالكفاح المسلح؛ كونه يشكل الطريق الوحيد لتحرير فلسطين. فمعضلة

هذه الإستراتيجية كانت قد ظهرت من قبل وفي العام ١٩٦٧ بالذات، وذلك عندما منيت محاولات عرفات في تنظيم تمرد جماهيري في المناطق المحتلة في بداياته الأولى بالفشل، ما استوجب التساؤل حول فرص نجاح الكفاح المسلح كإستراتيجية في ظل الظروف المميزة للمناطق المحتلة، وهو بالذات ما حال دونه "النصر" الذي تحقق في الكرامة. ففي نظر الغالبية الساحقة من الفلسطينيين كانت الكرامة الدليل القاطع على صحة الحرب الفدائية دون غيرها. في حين أن الهزيمة التي لحقت قبل ذلك بالمقاومة في الأراضي المحتلة لم يتم التعرض لها بعين ناقدة.

كما شكلت الكرامة أيضاً نقطة التحول الحاسم بالنسبة لكل المجموعات السياسية الأخرى على الساحة الفلسطينية. فالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين،^{١٤٥} التي خرجت إلى حيز الوجود في كانون الأول ١٩٦٧ كتنظيم خلف حركة القوميين العرب، رأت أياماً معدودة بعد المعركة، وذلك على لسان الناطق باسمها غسان كنفاني، بأن الوقت قد حان لقيام الوحدة داخل حركة التحرير الفلسطينية.

أيها الفلسطينيون اتحدوا؛ فنحن لا نملك سوى منفانا لنفقدته... فعلى أرض الكرامة، وعلى أنقاض الدمار سال دم مقاتلينا في فيض من الشهادة. فالمعركة حددت للفدائيين طريقهم واضعة الأساس لنضالهم المشترك. فالكرامة ستدخل تاريخ النضال الطويل من أجل فلسطين كنقطة تحول، وستشكل المقاومة الساعد الأيمن لوحدة فدائينا المقدسة...

إن من حق فدائينا القتال تحت علم واحد، وحق شعبنا الذي بذل من دمه ثمناً للحرية أن يسير معاً في طريق واحد.^{١٤٦}

إلا أنه وحتى الكرامة لم تستطع خلق الوحدة الفلسطينية. فالتقاليد التاريخية لـ "فتح" وللقوميين كانت ذات أصول جذرية مختلفة حالت دون حدوث مثل هذا التطور. فالعوامل الشخصية والتنظيمية، وما نتج عنها من آلية عمل تختلف باختلاف النهج الذي اختاره كلا التنظيمين، وأثبتت أنها أقوى من ردود الفعل العاطفية، مهما كانت هذه حقيقية وعميقة.

هوامش الفصل الرابع

^١ على سبيل المثال، نشوء "فتح" العام ١٩٥٨، أو البدء بالكفاح المسلح من قبل "فتح" العام ١٩٦٥، أو أخيراً، معركة الكرامة العام ١٩٦٨، التي حولت "فتح" إلى حركة جماهيرية وطنية.

^٢ تمت استعادة مفهوم "الحرب العربية الباردة" من العمل الكلاسيكي الذي قام به مالكولم كيرز (Malcolm Kerr's)، الذي يعود إلى العام ١٩٦٥: الحرب العربية الباردة. جمال عبد الناصر وخصومه ١٩٥٨-١٩٧٠ (الطبعة الثالثة ١٩٧١).

The Arab Cold War. Gamal Abd al-Nasir and his rivals 1958-1970 (3. ed. 1971).

^٣ حول الكيان، انظر سخنيني (١٩٧٥) والشعبيي (١٩٧٩-١٩٨٠).

^٤ جامعة الدول العربية (بدون سنة نشر): مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع بعض الهيئات الدولية. القاهرة: دار النشر للجامعات. ص ١٥.

^٥ المصدر نفسه. انظر في هذا الشأن العرض المفصل الذي يقدمه حسونة (١٩٧٥)، ص ٢٦٤-٢٦٩.

^٦ حسونة (١٩٧٥)، ص ٢٦٦ وما بعدها، انظر أيضاً خليل II (١٩٦٢)، ص ١٧١.

^٧ العرض التالي يستند، بشكل وثيق، إلى كولبي (Colombe, 1964). وهو العمل الوحيد المعروف لديّ، الذي يبرز الدور المركزي للمفتي، وبخاصة في ما يتعلق بمسألة الكيان، ويقوم على تحليله بشكل صريح، وفي السياق التاريخي المناسب.

انظر، في المقابل، شيمش (Shemesh, 1984)، ص ١٠٥-١٤١، حيث يحاجج في ظل تحديد أيديولوجي قوي الذي يهدف، على ما يبدو، إلى الإثبات أن المسألة الفلسطينية بكاملها كانت دربا من مؤامرة فقط، دبرتها الدول العربية. وفي المقام الأول مصر بقيادة عبد الناصر. انظر بشكل خاص ص ١٠٨ و ١٢٠.

^٨ كولبي (١٩٦٤)، ص ٦١.

^٩ كولبي (١٩٦٤)، ص ٦١.

^{١٠} كولبي (١٩٦٤)، ص ٦٢. بيان الهيئة العربية العليا الذي تم نشره في الصحافة السورية في ١٨-٢٠ بالإضافة إلى ٢١ حزيران ١٩٥٨.

^{١١} كولبي (١٩٦٤)، ص ٦٣. انظر شيمش (١٩٨٤)، ص ١١٠. "تكون المجلس التشريعي من ١٠ مصريين و ٢٠ فلسطينياً".

^{١٢} الأهرام، ٦ نيسان ١٩٥٩، مقتبس حسب MER I (١٩٦٠)، ص ١٣٢. وفي المصدر نفسه يوجد على الصفحات ١٣٢-١٣٨ جدول زمني مفصل يتابع التنافس بين عبد الناصر، وعبد الكريم قاسم حول الكيان.

^{١٣} مقتبس حسب كولبي (١٩٦٤)، ص ٦٤، وكمصدر يورد النشرة رقم ٧٠٤ الصادرة في ٢٠ آذار ١٩٥٩ عن مكتب الصحافة والنشر العربي في باريس.

^{١٤} أورينت (Orient) (باريس) ١٦،٤ (١٩٦٠)، ص. ٢٠٠-٢٠٩، انظر أيضاً كولبي (١٩٦٤)، ص ٦٤.

^{١٥} أورينت (باريس) ١٦،٤ (١٩٦٠)، ص. ١٩٩.

^{١٦} الزمان الصادرة في ٨ حزيران و ٢٣ كانون الأول ١٩٥٩ MER I (١٩٦٠)، ص ١٣٣.

^{١٧} راديو بغداد، كلمة عبد الكريم قاسم أمام مؤتمر طبي، مقتبس حسب العالم العربي (World Arab) (بيروت)، ١٦ كانون الأول ١٩٥٩، ص. ٣.

^{١٨} مقتبس حسب العالم العربي، ٢٢ كانون الأول ١٩٥٩، ص ١ و ٢.

^{١٩} مقتبس حسب العالم العربي، ٢٢ كانون الأول ١٩٥٩، ص. ٢.

^{٢٠} تحدثت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) عن ذلك بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٦٠.

^{٢١} الحياة، ١ آذار ١٩٦٠، مقتبس حسب MER I (١٩٦٠)، ص ١٣٤. أما اللجنة الخماسية المنشودة فلم ترَ النور.

^{٢٢} حتى نهاية ١٩٦٢، كان أحمد الشقيري مندوب العربية السعودية في هيئة الأمم المتحدة. في آب ١٩٦٣، ونتيجة لخلافات مع النظام السعودي تم عزله من منصبه كولمبي (١٩٦٤)، ص ٨١، انظر شيمش (١٩٨٤)، ص ١٢١ وما يتبع.

^{٢٣} شقيري (١٩٧١)، ص ٥، مقتبس حسب شعبي (١٩٨٠)، ص ٨١.

^{٢٤} شعبي (١٩٨٠)، ص ٥٣. حول تأسيس م. ت. ف. شيمش (١٩٨٤)، جريش (Gresh, 1984)، كوبان (Cobban, 1984) سخيني (١٩٧٥)، بالإضافة إلى شقيري كمصدر بيوغرافي (١٩٧١). انظر أيضاً d'Études Palestiniennes 14 (Revue, 1984)، وكريه (Carré, 1977)، ص ١٣٥ مع وثائق مهمة.

^{٢٥} شعبي (١٩٨٠)، ص ٥٣.

^{٢٦} الحرية، ١٥ أيار ١٩٦١، ص ٥.

^{٢٧} مقتبس حسب كوهين (Cohen, 1982)، ص ١٣٧.

^{٢٨} نقد موجه إلى الحاج أمين في الحرية، ١٨ كانون الأول ١٩٦٢، حول خصومة القوميين مع عبد الكريم قاسم، انظر هب (١٩٨٥)، ص ٦٠-٦٣.

^{٢٩} الحرية، ١٥ أيار ١٩٦١، ص ٥.

^{٣٠} "اعتقد أننا قد شكلنا العام ١٩٥٩ تقريباً لجنة فلسطين. ومن خلال هذه اللجنة بدأنا التعامل مجدداً - وبشكل مباشر- مع القضية الفلسطينية". مقابلة مع جورج حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩. انظر أيضاً المقابلة التي أجريت مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨.

وتبقى مساعدة المصادر حول هذا التطور كله سيئة جداً. فقد اضطرت إلى الاستعانة بالمقابلات دون غيرها، بحيث لا يمكن التوضيح بشكل قاطع، عما إذا كان قد تم، في ما بعد، القيام بعملية تجميل لهذه القصص. إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن الاستعراض التاريخي الذي يقدمه أبو ماهر يمكنه دخول أي اختبار، وحيثما كان ذلك ممكناً. كما أن المعطيات التي يوفرها موثوقة للغاية.

^{٣١} إثبات لذلك عند كبيسي (١٩٧١)، ص ١٥٥. فالأمر يتعلق بـ "تعميم حول مخططنا لقضية فلسطين".

^{٣٢} مقابلة مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨.

^{٣٣} مقابلة مع جورج حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٣٤} حجار (١٩٧٤)، ص ١٠٩.

^{٣٥} الحرية، ١٨ كانون الأول ١٩٦٢ و ١٥ أيار ١٩٦٢.

^{٣٦} بيان حركة القوميين العرب في لبنان في ذكرى ١٥ أيار ١٩٤٨، في: الحرية، ١٥ أيار ١٩٦٢، ص ٣. انظر كوهين (١٩٨٢)، ص ١٣٧، الذي يتحدث عن منشورات عديدة حول مسألة الكيان في الضفة الغربية.

^{٣٧} المحرر، ١٧ تشرين الأول ١٩٦٣، مقتبس حسب حجار (١٩٧٤) ص ٦٦.

^{٣٨} الحرية، ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٤، ص ٨. انظر أيضاً كنفاني، في: المحرر، ٧ أيلول ١٩٦٤.

^{٣٩} الحرية، ٩ آذار ١٩٦٤، ص ٥. البيان صادر باسم الشباب العربي الفلسطيني وهو الاسم العلني المتداول للجنح الفلسطيني السري من حركة القوميين العرب.

^{٤٠} المحرر، ١٣ آذار ١٩٦٤، مقتبس حسب الترجمة الإنجليزية في خالدي-إيبش (Ibish, 1964)، ص ٨٠ وما بعدها. الاستشهادات التالية، جاءت أيضاً من المصدر نفسه.

^{٤١} المحرر، ٦ أيار ١٩٦٤، مقتبس حسب حجار (١٩٧٤)، ص ٦٨.

^{٤٢} الحرية، ١٨ أيار ١٩٦٤، ص ٥. انظر أيضاً البيان الرسمي الصادر بتاريخ ١٥ أيار ١٩٦٤ عن الشباب العربي الفلسطيني: "نريد الكيان الفلسطيني كياناً ثورياً فعالاً". ثم ينتهي البيان بالشعارات: "عاشت فلسطين عربية، وعشنا للثأر المنتظر، وإننا لعائدون".

^{٤٣} الحرية، ١٥ حزيران ١٩٦٤، ص ٧ و ١٣. ترجمت الفقرة الثانية من الاقتباس عن النص الإنجليزي في: Arab Documents 1964, p. 245-246.

- ^{٤٤} الحرية، ٢٩ حزيران ١٩٦٤، ص ٤-٥. انظر كوهين (١٩٨٢)، ص ١٤٢. حول الاتحاد العام لطلاب فلسطين، انظر براند (Brand, 1988)، ص ٦٤-٨٤.
- ^{٤٥} حول مؤتمرات القمة العربية بالنظر إلى القضية الفلسطينية شيمش (١٩٤٨)، شعبي (١٩٨٠)، بالإضافة إلى كير (Kerr, 1971) ص ٩٦-١٠٧.
- ^{٤٦} الحرية، ٩ تشرين الثاني ١٩٦٤، ص ٧.
- ^{٤٧} فلسطيننا ١١ (تشرين الثاني ١٩٦٠)، ص ٣. انظر في هذا الشأن أيضاً الهيكل، مقتبس حسب عطا (١٩٨٦)، ص ١٧٩ و ٣٢٦.
- ^{٤٨} مطبوع في ترجمة فرنسية في: أورينت (Orient) (باريس) ١٦، ٤ (١٩٦٠)، ص ٢٠٠-٢٠٩.
- ^{٤٩} فلسطيننا ٣٦ (نيسان ١٩٦٤)، ص ٢٨. فلسطيننا ١٨ (تموز ١٩٦١).
- ^{٥٠} فلسطيننا ٩ (تموز ١٩٦٠).
- ^{٥١} فلسطيننا ١٦ (نيسان ١٩٦١).
- ^{٥٢} فلسطيننا ١٣ (كانون الثاني ١٩٦١)، ص ٥. انظر أيضاً ١٤ (شباط ١٩٦١)، ١٥ (آذار ١٩٦١)، ص ٥، ١٦ (نيسان ١٩٦١)، ١٧ (أيار ١٩٦١)، ص ٥، ١٨ (تموز ١٩٦١).
- ^{٥٣} للمرة الأولى عند "فتح" في فلسطيننا ٩ (تموز ١٩٧٠). حول المفتي انظر كولبي (١٩٦٤)، ص ٦٦. انظر أيضاً وثيقة الهيئة العربية العليا الموجهة بتاريخ ٢٠ آب ١٩٦٠ إلى وزراء الخارجية العرب في: أورينت (باريس) ١٦، ٤، ٤ (١٩٦٠)، ص ٢١٧.
- ^{٥٤} ملاحظات (Mise au Point) من الهيئة العربية العليا، ٢ شباط ١٩٦٠، في أورينت (باريس)، ١٦، ٤، ٤ (١٩٦٠)، ص ٢١٣.
- ^{٥٥} طالبت "فتح" - للمرة الأولى - بدولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة في فلسطيننا ٩ (تموز ١٩٦٠).
- ^{٥٦} كمثال على تقدير الحاج أمين من قبل قادة "فتح"، نجد ذلك مدوناً عند أبي إياد (١٩٧٩)، ص ٥٥-٥٨، ١٩٧.
- ^{٥٧} حول منزلة الدين في الوطنية الفلسطينية جونسون (Johnson, 1982).
- ^{٥٨} فلسطيننا ٣٦ (نيسان ١٩٦٤)، ص ٤ - ٥.
- ^{٥٩} فلسطيننا ٣٤ (كانون الثاني ١٩٦٤)، ص ٢٢-٢٣.
- ^{٦٠} أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٦٩، هارت (١٩٨٤) ص ١٦٣، كوبان (Cobban, 1984)، ص ٣٠. عطا (١٩٨٦)، ص ١٢٤، يورد أيضاً عرفات، ورفيق النتشة، وقدري ومحمد غنيم.
- ^{٦١} جاباي (١٩٥٩)، ص ١٤٦، ٤٢٥، انظر أيضاً ص ٢٩٨.
- ^{٦٢} كير (١٩٧١)، ط ٣، ص ١١٤.
- ^{٦٣} انظر في هذا الشأن بلاسكوف (١٩٨١)، ص ٧٣-٩١، ر. صايغ (١٩٧٩)، ص ٨٧-٩٢، دينر (Diner, 1980)، ص ١٠٦. شهادات حية مدونة عند بيرنز (Burns, 1962) وهوتشزون (Hutchison, 1956).
- ^{٦٤} يعاري (Ya'ari, 1975)، دينر (١٩٨٠)، ص ١٣١-١٣٦ التي تلقي الأضواء على الجانب الإسرائيلي، بالإضافة إلى بلاسكوف (١٩٨١)، ص ٨٧-٩١، الذي يحلل سياسة السيطرة والاضطهاد الأردنية في مواجهة الفلسطينيين.
- ^{٦٥} مقتبس حسب هركابي (Harkabi, 1968)، ص ٤.
- ^{٦٦} انظر كير (١٩٧١) ط ٣، ص ١٢٥-١٢٨، أوفندال (Ovendale, 1984)، ص ١٦٧ وما يتبع.
- ^{٦٧} انظر بهذا الشأن دينر (١٩٨٠)، وبشكل خاص حول شكل العنف الصراع ص ١٠٦-١٣٦.
- ^{٦٨} الثار، ٣١ أيار ١٩٥٦، انظر أيضاً ١٦ شباط ١٩٥٦ في إطار تقرير عن حفل أقيم في صيدا في ذكرى عبد القادر الحسيني ومعركة القسطل.

^{٦٩} مقابلة مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨، وأبي عدنان، ٢٥ آب ١٩٧٨. بسام أبو شريف تحدث في هذا السياق عن فيلق فدائيين بقيادة أكرم صفد. انظر هيب (١٩٨٥)، ص ٤٨ و ٥٧.

^{٧٠} وهنا يتعلق الأمر، في نهاية المطاف، بمسألة السيطرة على مصادر المياه. فمن سيطر عليها، سيطر أيضاً على مستقبل المنطقة. انظر ديفيس (Davis, 1980)، كهله (Kahhale, 1981)، كولي (Cooley, 1984) وبيد هزور (Pedhazur, 1989a). أما اللفتة إلى هذه المشكلة المركزية في الشرق الأوسط، وهي التي تم تجاهلها طويلاً، فقد قدمها مشكوراً إسرائيل شاحك (Israel Shahak). انظر فيما يلي حاشية رقم ١١٨.

^{٧١} على سبيل المثال جريش (Gresh, 1984)، كوبان (١٩٨٤)، فرنجي (١٩٨٢)، أو أبو إياد (١٩٧٩).

^{٧٢} مقابلة مع تيسير قبة، ٢٨ آب ١٩٧٨.

^{٧٣} المحرر، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٣، مقتبس حسب: حجار (Hajjar, 1974)، ص ٦٧.

^{٧٤} مقابلة مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨.

^{٧٥} "فوق الصفر، تحت التوريط": هذا الشعار استخدم في المقابلات التي أجريت مع بسام أبو شريف، وأبو عدنان، وتيسير قبة.

^{٧٦} مقابلة مع بسام أبو شريف، ٢ حزيران ١٩٧٨.

^{٧٧} بشكل دقيق، يجب الانطلاق من مجموعة مسلحة داخل الجناح الفلسطيني للقوميين، التي كانت قد نذرت نفسها منذ ١٩٦٤، للتخصيص لحرب عصابات ضد إسرائيل. وفي ذلك، لعب جورج حبش، ووديع حداد، وأبو ماهر، وأبو عدنان دوراً قيادياً. وقد عمل هؤلاء بسرية مطلقة. فقط، وكنتيجة لموت أحد الأعضاء، تسربت أخبار عن نشاطهم، أو حتى وجودهم، بشكل عام، إلى الملأ، وهذا منذ ١٩٦٦ فقط. في المقابل، فإن خالد أبو عيشة، وهو القاتل الأول الذي فقدته حركة القوميين في تشرين الثاني ١٩٦٤، خلال إحدى عمليات الاستطلاع داخل إسرائيل، لم يتم ذكره بشكل علني في أي مكان. انظر في هذا الشأن المقابلات مع أبي عدنان ٢٥ آب ١٩٧٨، وأبي ماهر ٢٦ تموز ١٩٧٨ وجورج حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩.

^{٧٨} مقابلة مع جورج حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩. أيضاً أبو ماهر، وأبو عدنان. انظر في هذا الشأن أيضاً مندوب م. ت. ف السابق في بيروت، شفيق الحوت، مقابلة في ٣ أيار ١٩٧٨:

"في ذلك الحين، أرادت حركة القوميين العرب التنافس في ساحة الكفاح المسلح. لقد كانوا، مادياً، في وضع غير مرض، لذلك حاولوا أن يستفيدوا قدر المستطاع من إمكانيات م. ت. ف، وأنا أعلم أنّ الجنرال مدني قد اعتاد مقابلتهم. لقد كان يبحث عن الشهرة؛ فقد امتلك المال وبعض الضباط القادرين على التدريب، وكان بحاجة إلى بعض الناس. لذلك كان القوميون، إلى حد ما، متورطين في هذا الشيء. ولكن ليس كمجموعة، بل كأفراد. ولكن، حتى كأفراد، كان ولاؤهم للحركة. " كما يؤكد الحوت أيضاً أن حركة القوميين، وفي ظل زعامة عبد الناصر قد تلقت تدريباً عسكرياً في مصر "

^{٧٩} الحرية، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٦، ص ١٠ و ١٢. كانون الأول ١٩٦٦، ص ٣. القتلى الثلاثة كانوا توفيق عساف، ومحمد اليماني، شقيق أبو ماهر اليماني، وسعيد العبد سعيد. في حين وقع سكران سكران في الأسر. أي أنه لا يمكننا الانطلاق من مجموعتين فدائيتين داخل حركة القوميين، كما دار الحديث عن ذلك في الأدبيات السياسية منذ كفاندت (Quandt, 1973).

^{٨٠} فلسطين، ١١ آذار ١٩٦٥.

^{٨١} انظر في المقابل العرض المختلف كلياً الذي يقدمه جريش (١٩٨٣)، ص ٤٤، وذلك على خلفية مقابلة واحدة مع أبي عدنان. وهنا يتضح أن النقد الموجه إلى مصادر التاريخ الشفوي عليها أن تستخدم - بالدقة نفسها- حين يتم التعامل مع المصادر المكتوبة. إن عرضي يركز إلى مضمون أقوال أبي ماهر وأبي عدنان نفسها التي قدمها الاثنان، وبشكل مستقل عن بعضهما البعض، خلال مقابلة شفوية مستفيضة مع كل منهما. وقد أخبر أبو عدنان، من قبلي، بأنني كنت قد أجريت قبل ذلك مقابلة مع أبي ماهر. وللتوضيح، يجدر بنا أن نشير إلى أن أبا ماهر بقي العام ١٩٦٩ في الجبهة الشعبية، في حين التحق أبو عدنان بالديمقراطية.

^{٨٢} الحرية، ٢١ شباط ١٩٦٩، ص ١٠.

^{٨٣} دن (Dann, 1989)، ص ١٤٦-١٦٤.

^{٨٤} كنفاني، في: الحرية، ٤ تموز ١٩٦٦، ص ٤.

^{٨٥} مقتبس حسب: حجار (١٩٧٤)، ص ٧٢.

^{٨٦} أبو إياد (١٩٨٠)، ص ٦٩.

^{٨٧} **فلسطيننا** ٣٨ (آب ١٩٦٤)، ص ٢٤-٢٧. انظر هركابي (١٩٧٠)، ص ١٣. (وهو أقرب ما يكون إلى الاستهجان): "لقد تمت إعادة كتابة التاريخ، في فلسطين، ليظهر كمقاومة شعبية متواصلة وثورات بطولية ... فبراير الراديو الفلسطينية تزرخ بالمرسحيات، وأوصاف المقاومة الشجاعة ضد اليهود في فلسطين. فكمان صغيرة أو هجمات على المستوطنين اليهود يتم رفعها إلى (منزلة - المترجم) الأعمال البطولية لحرب العصابات. وهكذا، فإن البطولة التي ينظر إليها في المستقبل يتم تعزيزها بإلهام مستقى من الماضي. وإذا ما كان الماضي الحقيقي ليس بقادر على أن يكون مصدرًا لمثل هذا الإلهام، فإن شيئًا من التهذيب يكون قد أنجز". انظر في المقابل قانون (Fanon, 1974)، وعليه يستند طيبي (١٩٧٠)، ص ٥٢.

إلا أن الأمر لا يتعلق هنا كثيرا بالعودة إلى الثقافة الأصلية، وتأسيس الهوية الذاتية على هذا الأساس، بل بخلق هوية من التاريخ الذاتي - وبشكل محدد - التاريخ السياسي الذي يتم تفسيره على أساس كونه تاريخًا للمقاومة.

^{٨٨} انظر قانون (١٩٧٤) ودور العنف الذي يمكنه أولاً تحرير الناس المستعمرين. وحول فلسطين، بشكل خاص، كاريه (١٩٧٢) بدراسة عن أيديولوجية المقاومة الفلسطينية التي تبلور أسطورة النهوض من الموت كونها تشكل نواتها المركزية: ليس من البرامج السياسية المختلفة فقط. مهما كان اتجاهها، بل هناك مباشرة حيث القصائد والأشعار الفلسطينية، على سبيل المثال محمود درويش. انظر أيضا هركابي (Harkabi, 1970)، ص ١٤ وما يتبع.

^{٨٩} انظر، في هذا الشأن، المقال في **فلسطيننا** ٣٦ (نيسان ١٩٦٤)، ص ١٦-١٨، حول العلاقات الصينية- الفلسطينية، بالإضافة إلى برقية تضامن من الصين، وكلمة تضامن لـ ماو تسي تونغ. **فلسطيننا** ٣٩ (أيلول ١٩٦٤)، ص ٢٢، تكتب حول مثال كوبا. وفي سلسلة دراسات وتجارب ثورية ظهرت كتيبات عن الصين، وفيتنام وكوبا.

^{٩٠} دروس وتجارب ثورية: كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة، ص ١٦١، كذلك في بيان للعاصفة موجه إلى الصحفيين العرب، مطبوع، مرة أخرى، في دراسات، ص ٥٨-٦٨، هنا ص ٦٤، حيث يقف كلا الشعارين، القومي العربي، والوطني - الفلسطيني الجديد من أعمال "فتح" وجهًا لوجه.

^{٩١} على سبيل المثال، **فلسطيننا** ٣٦ (نيسان ١٩٦٤) و ٤٠ (تشرين الثاني ١٩٦٤).

^{٩٢} في **فلسطيننا** (٣٢) (آب ١٩٦٣)، ص ٦، ٣٠، **فلسطيننا** ٣٤ (تشرين الأول ١٩٦٣)، ص ٤-٧، **فلسطيننا** ٣٥، **فلسطيننا** ٣٦ (نيسان ١٩٦٤) ص ٣٠ و **فلسطيننا** ٣٧. اقتبس هنا حسب المنشور رقم ٢ من سلسلة دراسات وتجارب ثورية: كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة؟

^{٩٣} دروس وتجارب ثورية: كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة؟ ص ١٥٢.

^{٩٤} **فلسطيننا** ٣٦ (نيسان ١٩٦٤).

^{٩٥} **فلسطيننا** ٣٦ (نيسان ١٩٦٤).

^{٩٦} مقتبس حسب: كوبان (١٩٨٤)، ص ٣٣.

^{٩٧} **فلسطيننا** ١٧ (أيار ١٩٦١)، ملخص.

^{٩٨} **فلسطيننا** ٣٨ (آب ١٩٦٤).

^{٩٩} **فلسطيننا** ٤٠ (تشرين الثاني ١٩٦٤).

^{١٠٠} أبو إياد (١٩٨٠)، ص ١٠٠.

^{١٠١} **فلسطيننا** ١ (تشرين الأول ١٩٥٩).

^{١٠٢} دروس وتجارب ثورية: كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة، ص ١٦١.

^{١٠٣} أبو إياد، في: الطليعة (حزيران ١٩٦٩)، ص ٦٦ انظر أيضا عطا (١٩٨٦)، ص ٢٥٨:

"Fatah... n'est jamais parvenu, et cela durant vingt ans de lutte, à développer une stratégie ou une théorie militaire quelconque propre aux conditions palestiniennes à partir de la pratique de l'expérience."

- ^{١٠٤} علوش (١٩٦٤)، ص ١٨٢، أيضاً الاقتباسات التالية.
- ^{١٠٥} مقابلة مع علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨.
- ^{١٠٦} علوش (١٩٦٤)، ص ٢٠٩-٢١١، أيضاً الاقتباسات التي تتلو.
- ^{١٠٧} دروس وتجارب ثورية: كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة، ص ١٦٤-١٦٥.
- ^{١٠٨} أبو إياد (١٩٨٠)، ص ٦٨-٦٩.
- ^{١٠٩} مقابلة مع علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨.
- ^{١١٠} لقد كانت العاصفة قد أقامت بيروت بكاملها وأقعدتها من خلال عملياتها الفدائية المثيرة التي وقعت داخل إسرائيل في كانون الثاني ١٩٦٥. في ذلك الحين، لم يكن معروفاً، للامة، أن العاصفة يقف وراءها تنظيم "فتح". أما ردود الفعل الأولى في بيروت على بيان العاصفة الصحافي حول العملية الفدائية داخل إسرائيل، فقد كانت، في غالبيتها، سلبية، وبخاصة في الصحافة الناصرية. ففيها تم اتهام الفدائيين عملاء لـ سننتو (Central Treaty Organization CENTO). (منظمة المعاهدة المركزية). انظر الأنوار، ٣ كانون الثاني ١٩٦٥، مقتبس حسب العالم العربي (بيروت)، ١٨، كانون الثاني ١٩٦٥، ص ٢.
- ^{١١١} فلسطين، ١١ شباط ١٩٦٥، ص ٥.
- ^{١١٢} انظر فلسطين، ٧ نيسان ١٩٦٦، ص ٥-٧: "فلسطين ترد على مقال فتح". وقد شكل مقال "فتح" في العدد السابق من فلسطين: "فتح تبدأ النقاش"، أساس رد فلسطين عليها.
- ^{١١٣} فلسطين، ٧ نيسان ١٩٦٦، ص ٥-٧.
- ^{١١٤} مقتبس حسب: الوثائق الفلسطينية العربية ١٩٦٥ (معهد الدراسات الفلسطينية IPS) بيروت، ص ١، وما يتبع. انظر أيضاً "القيادة العامة لقوات العاصفة. العاصفة وثمانون يوماً"، آذار ١٩٦٥، بالإضافة إلى منشورات "فتح"، عاصفة، التي ظهرت بين الأعوام ١٩٦٥ و١٩٦٧، حيث نشر في هذه الكراسة "البلاغ العسكري رقم، ١"، ص ٢، وكذلك "بيان سياسي عام"، ص ٢٠-٢١، وهما مختلفان عن النص الوارد في الوثائق الفلسطينية العربية.
- ^{١١٥} حول ذلك بشكل مفصل، أبو إياد (١٩٧٩) ص ٧٠-٧٩، بالإضافة إلى هارت (١٩٨٤)، ص ١٧٤-١٨٨.
- ^{١١٦} حركتنا، في دراسات ثورية ١، ص ٧-٢٤. حول الهيكل، انظر عطا (١٩٨٦).
- ^{١١٧} انظر "العاصفة وثمانون يوماً"، (آذار ١٩٦٥)، ص ٢: "أول نوفمبر فلسطيني" نقلاً عن الصحيفة الجزائرية المجاهد، ٢٨ كانون الثاني ١٩٦٥، وفيها يتم نعت "فتح" بـ "الثورة الفلسطينية التي انطلقت في اليوم الثامن من جانفي [كانون الثاني] ١٩٦٥". وهنا يمكننا - دون أدنى ريب- الاستنتاج أن عملية "فتح" الأولى قد تم القيام بها بنجاح فقط يوم الثامن من كانون الثاني. وبعد ذلك، وبأثر رجعي، تم اعتبار الأول من كانون الثاني، حسب التأويل التاريخي لـ "فتح"، وهو الشيء الذي قبلت به، شيئاً فشيئاً، باقي التنظيمات: انظر نشرة الجبهة الديمقراطية DFLP-Bulletin (كانون الثاني ١٩٨٥)، ص ١،
- "... Celebrate the 20th anniversary of the start of the contemporary Palestinian armed revolution".
- انظر أيضاً Keesing's Contemporary Archives تموز ١٦-٢٣، ١٩٦٦، ص ٢١٥١٥ وبعدها. وبناء عليه، فمن المفترض أن الهجوم الأول الذي شنته "فتح-العاصفة" في ليلة الرابع من كانون الثاني كان ناجحاً. إلا أن العملية المخطط لها -المتعلقة بتفجير منشآت سلطة المياه والري الإسرائيلية- لم تنجح. انظر أيضاً BBC Summary of World Broadcasts IV (في الثالث عشر من كانون الثاني ١٩٦٥، تتحدث Arab News and Comments UAR) عن منظمة فلسطينية، العاصفة، قامت -حسب أقوالها- بقتل ثلاثة إسرائيليين (ME/1759/A/7). وفي السادس عشر من كانون الثاني ١٩٦٥، تتحدث Jerusalem Post عن محاولات قام بها متسللون سوريون في الأسبوع الماضي لمهاجمة منشآت سلطة المياه الإسرائيلية الوطنية (ME/1761/1). في الثامن عشر من كانون الثاني كانت هناك أنباء في صوت العرب من القاهرة وإذاعة بغداد عن عمليات فدائيين. ففي برنامج "حقائق تتحدث" (نزيه الحكيم) دار الحديث بشكل خاص عن العاصفة (ME/1762/A/8). كذلك بث راديو بغداد بتاريخ ١٨ كانون الثاني البيان رقم ٢ الصادر عن العاصفة. ففي ليلة الثامن من كانون الثاني،

وقع محمود حجازي كأول فدائي في الأسر. وقبل ذلك ببضعة أيام، كان أحمد موسى أول فدائي يسقط على يدي الجنود الأردنيين، وذلك أثناء عودته من داخل إسرائيل. (Hart) (١٩٨٤، ص ١٨٢. وفي الرابع والعشرين من كانون الثاني، بث راديو دمشق البيان الرابع الصادر عن العاصفة (ME/1786/A/2)، انظر أيضاً (Hart) (١٩٨٤)، ص ١٨٢ وما بعدها.

^{١١٨} انظر (١٩٧١) ط ٣، ص ٩٨-١٠٠. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن "فتح" قد بدأت بإصدار فلسطيننا، كصحيفة سرية، في العام ١٩٥٩. وذلك في أعقاب الإعلان عن المشاريع الإسرائيلية المتعلقة بتحويل مياه نهر الأردن. وعلى ما يبدو، فإن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مسألة المياه والكفاح الفلسطيني كحركة تحرر، إذ أن هذا الشيء يظهر من جديد العام ١٩٦٥، ولماذا لا يكون الأمر كذلك مع الانتفاضة؟

^{١١٩} أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٦٨.

^{١٢٠} مقتبس حسب كوبان (١٩٨٤)، ص ٣٠.

^{١٢١} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٨. أما قصة كيس النقود "الصرة" فقد أكدها أيضاً فضل شرورو من جبهة تحرير فلسطين، ذلك الشيء الذي لعب دوراً في دفع الجبهة إلى التعاون مع "فتح". مقابلة مع شرورو بتاريخ ١٧ آب ١٩٧٨. انظر (Hart, 1984)، ص ١٧٣ وبعدها. وأبو إياد (١٩٧٩)، ص ٧١-٧٩.

^{١٢٢} مقتبس حسب هارت (١٩٨٤)، ص ١٧١.

^{١٢٣} مقتبس حسب هارت (١٩٨٤)، ص ٢٥١.

^{١٢٤} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٨. انظر في هذا الشأن أيضاً ذلك التعبير الذي استخدمته فلسطيننا ١٩٥٩-١٩٦١ "كيان ثوري، حر، لا خاضع ولا تابع، لا تسيطر عليه أو تحركه أية قوة." هذا الشيء يظهر أيضاً، بلا انقطاع، في الشعر الفلسطيني، مثلما تبين ذلك عند راشد حسين في قصيدته "بدون جواز سفر".

^{١٢٥} تم تشكيل جبهة تحرير فلسطين في مطلع الستينيات من قبل فلسطينيين مقيمين في سوريا تحت قيادة أحمد جبرين. وفي العام ١٩٦٧، شكلت مع حركة القوميين العرب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لكنها لم تلبث أن انفصلت عنها لتخرج منها تحت اسم الجبهة الشعبية-القيادة العامة. ثم حصل انشقاق داخل الجبهة ذاتها بقيادة طلعت يعقوب وأبو العباس. وبالمناصفة، فإن اسم الأمين العام للجبهة الشعبية-القيادة العامة هو أحمد جبرين وليس جبريل، كما اعتاد على تسميته خطأ في كافة الأدبيات السياسية تقريباً.

^{١٢٦} مقابلة مع فضل شرورو بتاريخ ١٧ آب ١٩٧٨، بالإضافة إلى عضو في "فتح"، رفض الإفصاح عن هويته، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٨. انظر أيضاً عطا (١٩٨٦)، ص ١٣٦-١٣٩، هارت (١٩٨٤)، ص ٢٠٢-٢١٣، نزيه أبو نضال (١٩٨٤)، ص ٤٢ وما يتبع، وأبو إياد (١٩٧٩)، ص ٧٤ وما يتبع.

^{١٢٧} عطا (١٩٨٦)، ص ٢٥٣. وبناء عليه، فإن النضال المسلح لحركة "فتح" لم يكن سوى مطية تم تطويعها لخدمة أهداف سياسية قصيرة المدى، دون أن تكون جزءاً من استراتيجية طويلة الأمد تم الإعداد لها. انظر ص ١٣٤ الرسم البياني الذي يجعل العلاقة تظهر بشكل بارز.

^{١٢٨} كوبان (١٩٨٤)، ص ٣٤. انظر أيضاً الوثائق الفلسطينية العربية للسنتين ١٩٦٥ و١٩٦٦ (مركز الدراسات الفلسطينية - بيروت). المعطيات الإحصائية مقتبس حسب أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٧٤.

^{١٢٩} هارت (Hart, 1984)، ص ١٧٧-٢١٥. ونزيه أبو نضال (١٩٨٤)، ص ٤٢ وما يتبع، الذي يعتبر العمل الأول من نوعه من حيث الشرح المفصل للمعارك الداخلية في "فتح"، وبخاصة من حيث المعلومات التي لم يسبق أن احتوت على مثلها الأدبيات السياسية. ومع أن الدراسة التي قدمها أبو نضال ترتبط بالانشقاق الذي حدث داخل "فتح" العام ١٩٨٣، فإنه لا ينبغي النظر إليها كعمل يحرم حوله الجدل. فطيلة السنوات الماضية، لم يتوقف أبو نضال عن توجيه انتقاده إلى الحركة. ففي الثامن والعشرين من آب ١٩٧٨ -ومن خلال مقابلة معه- حصلت على حفة من المعلومات بهذا الخصوص. انظر أيضاً عطا (١٩٨٦)، ص ١٣٦-١٣٩، والمقابلات مع أعضاء في "فتح"، فضلو عدم الكشف عن هويتهم، وذلك بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٧٨، و١٨ كانون الثاني ١٩٧٩. كذلك المقابلة مع فضل شرورو بتاريخ ١٧ آب ١٩٧٨.

^{١٣٠} وثيقة الطرد التي يستشهد بها نزيه أبو نضال (١٩٨٤)، ص ٤٢-٤٤، تعود إلى نيسان ١٩٦٦ ومردّها محمد ياسر عرفات القدوة، وجريرو رؤوف، ود أبو عمار. حول الاسم عرفات، انظر أيضاً يعاري (١٩٧٠)، ص ١٢، هارت (١٩٨٤)، ص ٦٧، و رولو (Rouleau, 1984)، ص ٢١٢.

^{١٣١} قال حافظ الأسد في مقابلة مع باتريك سيل (Patrick Seale) (١٩٨٨)، ص ١٢٤: "It was in Syria that the lungs of the resistance were filled with oxygen".

^{١٣٢} أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٧٠، (Hart, 1984)، ص ١٣٣ وبعدها، ١٥٥-١٥٨، ١٧٠ و ٢١٧ وبعدها. (Cobban, 1984)، ص ٣١ وبعدها. وجسب عطا (١٩٨٦)، ص ١٣٦، فإن عدد الفدائيين الذين تلقوا تدريبهم هناك، كان، في حد ذاته، أقل مما كان متفقاً عليه.

^{١٣٣} حول مسألة الفتح التاريخي الذي أحدثته حرب حزيران، انظر لوكاس/بته (Lukacs/Battah, 1988) وبشكل خاص براون (Brown)، صفحة ١٣٣ وبعدها. طيبي (Tibi)، ص ١٤٧ وبعدها، كوراني (Korany) ص ١٦٤ وبعدها.

^{١٣٤} مقابلة مع صخر، ٢٨ أيلول ١٩٧٨، انظر أيضاً هارت (١٩٨٦)، ص ٢٤٣ وما بعدها، عطا (١٩٨٦)، ص ١٤٧، يعاري (١٩٧٠).

^{١٣٥} حول وضع الفلسطينيين في الأردن ميشال (Mishal, 1978)، كوهين (١٩٨٢)، بلاسكوف (١٩٨١). ^{١٣٦} حول الكرامة: أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٩٠-٩٢، كوبان (١٩٨٤) ص ٤١ وما بعدها، هارت (١٩٨٤) ص ٢٥٤-٢٦٣، وبشكل خاص عطا (١٩٨٦)، ص ١٥١-١٦٧، مع حالة دراسية ناقدة للكرامة. في المقابل، انظر هيرست (Hirst, 1978)، ص ٢٨٣-٢٨٦. مقابلة مع صخر بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٧٨، ومع عضو في "فتح"، رفض الكشف عن هويته، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٨.

^{١٣٧} مقابلة مع شوروو بتاريخ ١٧ آب ١٩٧٨، ومع قبعة بتاريخ ٢٨ آب ١٩٧٨. ^{١٣٨} عطا (١٩٨٦)، ص ١٥٧: (défi historique). ^{١٣٩} هارت (١٩٨٤) ص ٢٦٠.

^{١٤٠} مقتبس حسب: هاني الحسن (1972a)، ص ٥٦. ^{١٤١} هيرست (١٩٧٨) ص ٢٨٣-٢٨٦، الذي يرتكز إلى رسالة ماجستير لـ فواز الشرقاوي (١٩٧٤)، جامعة القاهرة لم يتيسر لي الاطلاع عليها. أبو جهاد (١٩٧٨)، ص ٢٦. عطا (١٩٨٦)، ص ١٦١ وما بعدها، هارت (١٩٨٤) ص ٢٦٢، كوبان (١٩٨٤) ص ٤٢، هركابي (١٩٧٠) ص ٢٨.

^{١٤٢} مؤتمر صحافي للملك حسين بتاريخ ٢٣ آذار ١٩٦٨، مقتبس حسب: كولي (١٩٧٣) ص ١٠١. انظر أيضاً أبو إياد (١٩٧٩)، ص ٩٥. انظر أيضاً المقابلة مع عضو في "فتح"، رفض الكشف عن هويته، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٨. "Karama was a suicidal decision, but it brought Fatah the crucial success... Karama is the actual date for the beginning of the resistance... Historically, the break occurred in 1967, after the war, but then the people were still paralyzed. Then Fatah made the battle of Karama. This was above all a political action, while, militarily speaking, it resulted in high losses."

^{١٤٣} أبو إياد (١٩٨٠)، ص ١٠٥-١٠٦. ^{١٤٤} شؤون فلسطينية ٧٧ (١٩٧٩)، ص ٦٩.

^{١٤٥} وثيقة التأسيس مطبوعة في: الحرية، ١١ كانون الأول ١٩٦٧، ص ٣. توجد ترجمة إنجليزية في: International Documents on Palestine (1967), (IPS Beirut), p726.

^{١٤٦} الأنوار، ٣١ آذار ١٩٦٨، مقتبس حسب حجار (١٩٧٤)، ص ١٢٩. انظر أيضاً تفسير الكرامة والتطور المترتب على ذلك عند شفيق الحوت (١٩٨٢)، ص ٢٧٥:

"... A radical turning point in the structure and destiny of the PLO, when Palestinian legitimacy and revolutionary spirit were fused together, whereby all the organizations and political forces of the resistance participated in the new National Council, and a new leadership was elected, led by Yasir Arafat, the Commander-in-Chief of the Forces of the Palestinian Revolution".

الفصل الخامس

**منظمة التحرير الفلسطينية تحشد طاقات
المجتمع الفلسطيني: من الشتات إلى المناطق المحتلة**

منظمة التحرير الفلسطينية تحشد طاقات المجتمع الفلسطيني: من الشتات إلى المناطق المحتلة

إن عرضاً وتحليلاً زمنياً ومفصلاً للوطنية الفلسطينية في العقدين الممتدين من ١٩٦٨-١٩٨٨ يحتاج إلى كتاب جديد. وخلافاً لمرحلة ١٩٤٨-١٩٦٨، فإن هناك العديد من الأبحاث التي تدور حول هذه الفترة. ومن هنا، فإن هدف الفصل الأخير هو التعرض لهذه السنوات التي طالما تمت معالجتها سابقاً، وذلك بأسئلة جديدة تقوم على النتائج التي تم الوصول إليها في الفصل السابق. ففي الأدبيات السياسية المتعلقة بالوطنية الفلسطينية التي تمثلها م.ت.ف، يمكن، وبشكل إجمالي، الفصل بين اتجاهين: الأول يعتبر م.ت.ف مثلاً حياً لتنظيم إرهابي، في حين أن الثاني يتعرض لها كحركة وطنية ذات هدف ذي أهمية تاريخية، ألا وهو بناء الدولة^١. كلتا المدرستين ليستا قادرتين على الإلمام بكل من أهمية الكفاح المسلح، وفي الوقت نفسه أيضاً التكوين الواقعي التاريخي للهدف السياسي المتمثل في إقامة دولة فلسطينية طبقاً لأيديولوجية م.ت.ف وبرنامجهما. إلا أن نتيجة التحليل المقدم هنا للحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩٤٨-١٩٦٨، يقوم على أن كلا العنصرين: الكفاح المسلح، وإنشاء الكيان الفلسطيني وما يترتب على ذلك من إقامة دولة فلسطينية، يشكلان نواة الوطنية الفلسطينية المعاصرة. فبغير الكفاح المسلح كأيديولوجية محرّكة خلف الوطنية التي دعت إليها "فتح"، لم تكن هناك فرصة لوطنية فلسطينية للتبلور في أعقاب العام ١٩٦٨، كشرط ضروري للمطالبة بقيام دولة. كما أنه ودون التناقض بين تحرير، وقيام دولة، أو الكفاح المسلح/ الثورة، السياسة/الدبلوماسية، فإنه من المؤكد أن التاريخ الفلسطيني بعد ١٩٦٨ كان سيسير في اتجاه آخر. إن الإطار الزمني الذي اخترناه هنا حدده صيغة التساؤل المطروحة؛ فالعام ١٩٦٨، وهو العام الذي شهد معركة الكرامة لتشكل في الوقت نفسه ذروة الكفاح المسلح.

وفي العام ١٩٨٨، وبعد مرور أقل من سنة على الانتفاضة في المناطق التي تحتلها إسرائيل، أعلن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة، التي انعقدت في الفترة ما بين ١٢-١٥ تشرين الثاني/نوفمبر في الجزائر، وبأغلبية ساحقة عن قيام دولة مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة عاصمتها القدس الشرقية.

أولاً: المقاومة الفلسطينية في الشتات (١٩٦٨-١٩٧٤)، أسطورة الكفاح المسلح الحركة وتبلور إستراتيجية سياسية

شكلت الهزيمة الفاجعة التي منيت بها الدول العربية وعلى رأسها جمال عبد الناصر ١٩٦٧، الفرصة التاريخية لـ "فتح" لإطلاق شعاراتها السياسية الوطنية. ففي نهاية ١٩٦٧ أعلن أحمد الشقيري عن استقالته كرئيس لـ م.ت.ف، وبدلاً منه حل المحامي يحيى حمودة. إلا أن الفترة التي قضاها هذا الأخير في هذا المنصب التي زادت قليلاً على السنة، كانت على ما يبدو فترة انتقالية إلى حين انتهت التنظيمات الفلسطينية التي حملت راية الكفاح المسلح (في المقام الأول "فتح") من انقلابها داخل م.ت.ف. ففي المجلس الوطني الفلسطيني الخامس الذي انعقد في القاهرة في شباط ١٩٦٩، تم أخيراً انتخاب ياسر عرفات رئيساً جديداً لـ م.ت.ف.^٢ وقد تميزت عملية تغيير السلطة داخل م.ت.ف براديكاليته، وهو ما يؤكده حقيقة احتفاظ عرفات بهذا المنصب حتى وفاته عام ٢٠٠٤ فقد شكل المجلس الوطني الرابع المنعقد في القاهرة في تموز ١٩٦٨ نقطة تحول مهمة فيما يتعلق بإعادة صياغة م.ت.ف، فمن بين ١٠٠ مقعد تؤلف البرلمان الفلسطيني في الشتات، حصلت حركة "فتح" على ٣٨ مقعداً، و ١٠ جبهة شعبية، و ٢٠ خص بها جيش التحرير الفلسطيني وقوى التحرير الشعبية. في حين حصل المستقلون، وغالبيتهم يقفون إلى جانب "فتح"، على ٣٢ مقعداً.^٣ وبذلك انتقلت م.ت.ف لتصبح بين يدي المقاومة المسلحة، ولتتحول من صنعة لسياسة السلطة الناصرية، إلى الوسيلة الأهم للوطنية الفلسطينية المستقلة. وفي داخل م.ت.ف، التي تحولت بسرعة لتصبح رمزاً للحركة الوطنية الجديدة، احتلت "فتح" موقعاً مهيماً أخيراً وليس آخراً كنتيجة للدور القيادي الذي انتزعه بعد معركة الكرامة.

أما الميثاق الوطني الفلسطيني الجديد، الذي حل العام ١٩٦٨ محل ميثاق الشقيري من العام ١٩٦٤، فإنه يعكس التأثير الموجه لـ "فتح"؛ فشعارات "فتح" من سنوات العمل السري في فلسطيننا "الكيان الثوري الحر، لا خاضع ولا تابع، غير موجه ولا مسيطر عليه من أي سلطة" تعود للظهور من جديد تحت بند رقم ٢٨: "الشعب العربي الفلسطيني يتمسك بأصالة واستقلالية ثورته الوطنية، ويرفض أي شكل من التدخل أو الوصاية أو التبعية". أما سيطرة الكفاح المسلح فتشكل مضمون البند التاسع:

"الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين... وأخيراً، وفي البند ٢١، تم وبشكل ملزم، تدوين حرب التحرير كونها حرباً لتحرير كامل التراب الفلسطيني: "الشعب العربي الفلسطيني الذي حقق نفسه من خلال الثورة الفلسطينية المسلحة، يرفض كل الحلول التي تشكل بديلاً للتحرير الكامل لفلسطين...".^٤

إلا أنه وفي أعقاب تحوّل "فتح" من تنظيم سري صغير نسبياً حتى ذلك الحين إلى تنظيم جماهيري، فإن مشاكل سياسية وسياسية-أيديولوجية خطيرة جداً قد انبثقت عن ذلك. ففي مطلع الستينيات، كان مؤسسو "فتح" في الكويت، ودول الخليج العربي الأخرى قد صاغوا مبدأ عدم التدخل: عدم تدخل "فتح" في الشؤون الداخلية للدول العربية المضيفة. كذلك عدم تدخل هذه الدول في سياسة (نشاط) "فتح".^٥ ولكن كيف يمكن لتنظيم تعداده بضعة آلاف من الأشخاص، ويرفد شهرياً بأعداد كبيرة، أن يطبق سياسة عدم التدخل في الشؤون الأردنية؟

أن وجود "فتح" والمقاومة بشكل عام، أو حتى وجود المقاومة بحد ذاته، شكل سابقة للتدخل في الشؤون الداخلية للمملكة الهاشمية؛ فسياسة الضربات الانتقامية الإسرائيلية ضد الأردن على خلفية الهجمات الفدائية الفلسطينية لم تلبث أن أظهرت ذلك بسرعة فائقة، ولكن وبشكل بارز أيضاً. وكنتيجة مباشرة لذلك، عاد العام ١٩٦٨ للظهور على السطح ذلك الصراع القديم بين أحقية النفوذ الهاشمي في فلسطين، وبين وطنية فلسطينية مستقلة، التي كان عبد الله في نزاعه غير العادل مع الحاج أمين قد حسمها لصالحه العام ١٩٤٨. أمّا الشكل الجديد للصراع فكان طرفاه الملك حسين من جهة، والمقاومة الفلسطينية بقيادة "فتح" من جهة أخرى. فالأمر كان يتعلق هنا، وبشكل غير علني حتى ١٩٧٣، بمسألة السيادة على المناطق الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل العام ١٩٦٧، التي كانت الأردن قد قامت باحتلالها العام ١٩٤٨، وضمها إليها العام ١٩٥٠. فوجود "فتح" والمقاومة جميعها في الأردن، هذا الشكل وحده، وبشكل مستقل، أدى إلى قيام "دولة داخل دولة"، بكل ما في الكلمة من معنى، على الرغم من تمسك "فتح" بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأردن، وذلك خلافاً للجبهتين الشعبية والديمقراطية حديثتي التشكل اللتين عملتا معاً في اتجاه قلب الوضع في الأردن، بحيث أصبح موضوع السلطة بالنسبة للملك ملحاً جداً. فالذريعة لاستخدام العنف من قبل الملك حسين ضد المقاومة الفلسطينية العام ١٩٧٠ وتدميرها بشكل نهائي العام ١٩٧١ وإخراجها من الأردن، قدمها "اليسار" الفلسطيني الذي ألفتته الجبهتان الشعبية والديمقراطية في ذلك الوقت.

أ. اليسار الفلسطيني، الثورة والكفاح المسلح

كما سبق وقدمنا، فقد أصابت هزيمة ١٩٦٧، التي اعتبرت في العالم العربي هزيمة لعبد الناصر والقومية العربية،^٦ القوميين كأشد مؤيدي عبد الناصر بشكل أعمق مقارنة مع "فتح" مثلاً. فالصراع مع "فتح" حول الأحقية في قيادة المجتمع الفلسطيني والمهمة الملحة والمتمثلة في صياغة سياسة مستقلة عن عبد الناصر، قادهم إلى وضع هدفين نصب أعينهم: إقامة الوحدة الفلسطينية على قاعدة "النضال الشعبي المسلح في العالم العربي ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية"، وتحويل حركة القوميين ذات الأصول البرجوازية الصغيرة إلى تنظيم يرتكز إلى الاشتراكية العلمية.^٧

وعلى الرغم من أن الوحدة والنضال المسلح هما شعاران نادتا بهما "فتح" أيضاً، فإن اندماجاً ما لم يحدث بين القوميين الفلسطينيين ووطنيين "فتح". وكما يبدو، فإن العقبة الأساسية تكمن أصلاً في ادعاء كلتا الحركتين في القيادة، وفي المصالح الذاتية التنظيمية لكل منهما، وليس في الاختلاف على الصعيد البرنامجي-الأيديولوجي. في حين دارت نقاشات عديدة بين "فتح" والقوميين، ليس فقط في دمشق، وإنما في المناطق المحتلة أيضاً. وحسب رؤية القوميين، فقد كان هناك إجماع واضح على أن الشروع من جديد بالكفاح المسلح بعد هزيمة حزيران يحتاج إلى تحضير دقيق.^٨ إلا أن "فتح" كانت قد قامت في ٢٨ آب ١٩٦٧ بأولى العمليات ضد الاحتلال. وخروج "فتح" هذا عن الصف حدا بالقوميين إلى محاولة توحيد المجموعات الفلسطينية من تلقاء أنفسهم.

وفي كانون الأول ١٩٦٧، تم إنشاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وحسب وثيقة التأسيس، فإن ثلاثة تنظيمات قد اندمجت معاً: شباب الثار، وأبطال العودة، وجبهة تحرير فلسطين بزعامة أحمد جبريل.^٩ وفي الحقيقة، وكما سبق ذكره، فإن شباب الثار، وأبطال العودة ليستا سوى مجموعتين تابعتين للقوميين، ما يعني أن الدمج قد اقتصر فعلاً على القوميين الفلسطينيين بزعامة جورج حبش، وجبهة تحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل. إلا أن هذه الوحدة غير المتوازنة لم يكن باستطاعتها، ولا كان مكتوباً لها أن تصمد طويلاً: فلم يأت أيلول ١٩٦٨ حتى كان أحمد جبريل قد انشق مع مقاتليه كجبهة شعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة هذه المرة.^{١٠}

في هذه الأثناء، كانت "فتح" من جانبها تحاول جمع أكبر عدد ممكن من المجموعات تحت سقف واحد. وفي كانون الثاني ١٩٦٨ تم أخيراً إنشاء المكتب الدائم في القاهرة الذي وقفت خلفه مجموعة كاملة من تنظيمات فلسطينية صغيرة، بالإضافة إلى شخصيات متعددة، كانت كلها قد اندمجت في "فتح".^{١١}

وهكذا تم وضع الأساس للتركيبة السياسية الفلسطينية في العقود المقبلة: فبدلاً من الاستقطاب قوميون- "فتح"، حل التنافس على القيادة بين "فتح" من جهة، والجبهة

الشعبية لتحرير فلسطين من جهة أخرى. وعلى النقيض عما كان الأمر عليه قبل حرب حزيران، فقد كانت الجبهة الشعبية هذه المرة ممثلاً للأقلية، كما كان عليها العمل من موقع ضعف. فعلى الرغم من التجذر التاريخي للقوميين في الأردن، فشل مقاتلوهم العام ١٩٦٧ في المناطق المحتلة، تماماً كما كان الحال بالنسبة لـ "فتح" ١٢. أما بعد معركة الكرامة، فقد اندفعت الجماهير الفلسطينية في اتجاه "فتح" وليس الجبهة الشعبية ١٣.

وكرد فعل على هذا التطور المخيب للآمال والخطر بالنسبة لها، بدأت الجبهة الشعبية بتقديم نفسها كبديل ثوري لـ "فتح" ولقيادتها البرجوازية الصغيرة. فبدلاً من "الوحدة الوطنية الفلسطينية" التي تنتهجها "فتح"، طالبت الجبهة الشعبية "بوحدة القوى الثورية المقاتلة"، وتنظيم جبهة تحرير وطنية عريضة ١٤. ففي مطلب "فتح" المتعلق بكيان فلسطيني يكمن بوضوح هدف الدولة. وقد قادت الجبهة الشعبية صراعاً مريراً ضد هذا التصور الذي تبنته "فتح" الذي يفهم ضمناً كتخل عن تحرير فلسطين بكاملها. في الوقت نفسه، اعتبرت السياسة والدبلوماسية وبشكل يستثني التمايز "رجساً من عمل الشيطان"، رافعين، وبشكل مطلق، ويتفوق على "فتح" في راديكاليته، راية حرب التحرير كونه الطريق الوحيد نحو ثورة حقيقية تتحرر فلسطين من خلالها.

وقد تم ربط ذلك بأول الانتقادات الموجهة إلى م.ت.ف الجديدة التي سيطرت عليها "فتح": "فالتركيبية الحالية لـ م.ت.ف" حسب رأي الجبهة الشعبية هي "ضعيفة". في المقابل، ارتأت م.ت.ف تكون فيها كل المجموعات متوحدّة وتمتلك الحقوق نفسها، كما أن هذه المجموعات تستطيع في الوقت نفسه المحافظة على استقلاليتها التنظيمية، وبخاصة اتباع الإستراتيجية التي يختارها كل تنظيم لنفسه. ذلك أن هذه المطالب قد جاءت بمثابة تربيع للدائرة، كل هذا قد غاب عن أذهان الجبهة، التي كانت، وإلى حد كبير، قد وقعت أسيرة هذا الجدل في صراع القوة الذي خاضته وتخوضه مع "فتح" التي تسيطر بشكل واضح على م.ت.ف منذ مطلع ١٩٦٩. وأمام عجزها في مجاراة هذا التطور، قامت الجبهة بمقاطعة دورتي المجلس الوطني الفلسطيني الخامسة والسادسة ١٥.

"فطريقها للإنقاذ الوطني" كان يحدده استخدام "سلاح الأفكار الثورية، أفكار الطبقات الثورية في المجتمع" (على سبيل المثال العمال والفلاحون). فقد تمت الدعوة إلى وعي وطني سياسي عميق بين الجماهير، بالإضافة إلى رفض "برامج الهزيمة"، على سبيل المثال قرار مجلس الأمن ٢٤٢. وكبديل لبرنامج "فتح" "الكفاح المسلح" أو "الثورة الفلسطينية"، استقدمت الجبهة الشعبية "حرب تحرير شعبية" ذات أمد بعيد، وهو ما سيصبح ممكناً على أساس "تعبئة الشعب وتنظيمه في مليشيات شعبية". فالجبهة الشعبية كانت مقتنعة بضرورة صراع فلسطيني داخلي يترتب عليه نشوء قيادة جديدة تركز إلى "أيدولوجية ثورية علمية" أي "أيدولوجية البروليتاريا" ١٦.

وفي مقابل وطنية "فتح" الفلسطينية، طرحت الجبهة الشعبية ثورية فلسطينية، وجبهة تحرير وطنية مقاتلة تكون أيديولوجيتها الاشتراكية العلمية، وتتمتع بوحي طبقي واضح؛ ما يعني أنها حاولت استبدال الكفاح المسلح، كشعار محرك اعتمدته "فتح"، والوحدة الوطنية الفلسطينية من خلال أسطورتها الخاصة بالثورة، وجبهة التحرير الوطنية "المقاتلة". فمركز الثقل هنا شكله التطبيق العملي للكفاح المسلح الذي عبر عنه في البرامج المصاغة من قبل الجبهة بلفظ "قتالي أو نضالي". وفي الوقت نفسه، لم يكن أمام الجبهة من مخرج سوى العودة، وباستمرار إلى الطريق الذي سلكته "فتح"، وذلك عندما كانت، على الرغم من كل التطورات السياسية وحتى العسكرية، تعود للتمسك وبشكل عقائدي "بأولوية الكفاح المسلح".

إلا أن جدلهم ضد وطنية "فتح" ذات الأصول البرجوازية الصغيرة لم يستند أبداً إلى تحليل عملي لـ "فتح"، كحركة سياسية ذات قاعدة اجتماعية ونشأة تاريخية متميزة في المهجر. فلا الجبهة الشعبية، ولا منذ العام ١٩٦٩ الجبهة الديمقراطية أيضاً، قدما في يوم ما تحليلاً طبقياً مقنعاً ينطلق من المجتمع الفلسطيني المحسوس بكل أجزائه وتبعياته. بل شكل الجدل السياسي اليومي، مرتبطاً بتشنج عقائدي حول بعض "البقرات المقدسات"، جل التحليلات التي قدمها اليسار الفلسطيني من جبهة شعبية أو ديمقراطية. وحتى اليوم لا يزال المرء يجد في كتابات هذين التنظيمين شيئاً أقرب إلى الشعار الذي يدعو إلى العلمية منه إلى التحليل العلمي لتشكيلات اجتماعية أو ظروف سياسية عملية وما يترتب عليها من برامج سياسية.^{١٧}

فبالإضافة إلى المعارك مع "فتح"، حدثت هناك صراعات داخلية مريرة استخدم فيها السلاح العام ١٩٦٨-١٩٦٩، وأدت في النهاية إلى تشكيل الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين (لاحقاً الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين) في شباط ١٩٦٩ بقيادة نايف حواتمة.^{١٨} فالخلافات بين حبش وحواتمة تعود إلى صراع قديم حصل داخل الحركة في مطلع الستينيات على خلفية بدء الحركة باستيعاب أفكار اشتراكية، وذلك بين محسن إبراهيم وجماعة الحرية التي انضم إليها نايف حواتمة لاحقاً من جهة، ومؤسسي الحركة وعلى رأسهم جورج حبش من جهة ثانية. ففي حين بقيت الحركة قائمة حتى ١٩٦٧ بفضل هذا التوتر الأيديولوجي، حدث الانشقاق العام ١٩٦٨-١٩٦٩. ومن المحتمل أن محسن إبراهيم لم يكن ذلك الخصم الذي في استطاعته تحدي شخصية قيادية، وفوق ذلك كاريزماتية كجورج حبش، ثم الخروج منتصراً. إلا أنه وبظهور نايف حواتمة كمنافس جديد على القيادة، فإن وحدة الجبهة الشعبية، التي كانت قد تشكلت حديثاً، قد وقفت أمام خطر ماحق؛ فلم يكن هناك مناص من مواجهة مباشرة، وبخاصة أن التسوية لم تعد ممكنة على ضوء وقوف شخصيتين قياديتين مسيطرتين وجهاً لوجه.

ومنذ ذلك الحين قدم كل تنظيم برنامجاً مشتركاً خاصاً به لتحرير فلسطين، وتثوير للعامل العربي ككل. أما الاختلافات الأيديولوجية بين كلا الممثلين الحديثين اليسار الفلسطيني، فقد كانت وما تزال تستعصي على العين المجردة رؤيتها. فانفصال حواتمة ومؤيديه عن الأغلبية التي يتزعمها حبش، لم تكن في الدرجة الأولى خلافات أيديولوجية-برامجية مبدئية، بقدر ما كانت، وقبل كل شيء، صراعاً شخصياً-سياسياً على النفوذ بين القومي-الثوري الشاب نايف حواتمة ود. جورج حبش كممثل لجيل المؤسسين.^{١٩} وإلا فكيف يمكن تحليل حقيقة مفادها أن برنامج آب الذي خرج عن الجبهة الشعبية العام ١٩٦٨ تحت رعاية نايف حواتمة (في ذلك الوقت كان حبش رهن الاعتقال في دمشق)، قد تم استيعابه بشكل كلي من حيث المحتوى من قبل الجبهة الشعبية في مطلع ١٩٦٩ عندما عاد حبش للسيطرة من جديد (بعد أن تمكن من الإفلات من المعتقل في سوريا)، وفي الوقت نفسه تم اعتماده كبرنامج أساسي للجبهة الديمقراطية حديثة العهد.^{٢٠}

ففي الصراع مع الجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة منذ بداية ١٩٦٩، شددت الجبهة الشعبية على مسألة التطبيق في مقابل وزر النظرية التي يروج لها "المثقفون" ممن يحيطون بحواتمة، وذلك بشكل جدلي. ويقول حبش في هذا الصدد: "يقولون: اخلقوا أولاً التنظيم، قوموا بتربية الشعب، ومن ثم قاتلوا. وفي المقابل نحن نقول: اخلقوا تنظيم العاملين، وذلك أثناء قيادتهم في نضالهم".^{٢١}

لقد طالب كلا التنظيمين بسقوط الإمارة الهاشمية، موصلين بذلك الإستراتيجية التي عبر عنها غسان كنفاني في فلسطين (الملحق الأسبوعي للمحرر البيروتية) العام ١٩٦٦، عوضاً عن تلك السياسة التي انتهجها القوميون في الخمسينيات. إلا أن طرحهم لهذا المطلب العام ١٩٦٩ جاء في سياق تحليل جديد؛ إذ دار الحديث حول خلق هانوي عربية كما أعلن جورج حبش: "سنتبّع الطريق الصيني".^{٢٢} وحتى بعد القضاء على المقاومة في الأردن، بقي إسقاط الملك حسين أحد الأهداف الرئيسية للجبهتين الشعبية والديمقراطية. فقد اعتبر النضال ضد النظام الأردني "المعركة المركزية للمقاومة".^{٢٣} في حين تحدث غسان كنفاني كناطق باسم الجبهة الشعبية في مقابلة مع *New Left Review*: "سقوط الأنظمة العربية الرجعية هو جزء من إستراتيجيتنا، جزء من تحرير فلسطين. إن سقوط النظام الأردني يجب أن يكون جزءاً متماً لبرنامج جبهة تحرير فلسطينية. يجب أن نفعل ذلك ولكن ليس بالضرورة غداً".^{٢٤}

كيف لهذا الانقلاب أن يحدث؟ لقد كانت الجبهة الديمقراطية قد أطلقت شعار "كل السلطة للمقاومة". أما في أماكن نفوذها فقد تصرفت كما لو كانت الثورة قد نجحت من قبل: فقد احتفل مرة، ضمن نشاطات أخرى، بعيد ميلاد لينين من على مئذنة جامع في إحدى القرى، ناهيك عن أعمال طائشة شبيهة، وهو ما عاد التنظيم واعتبره بعد بضع سنوات، ومن خلال ممارسة النقد الذاتي على أنه من "أمراض اليسار الطفولية".^{٢٥}

في حين تحدثت الجبهة الشعبية عن "حرب طويلة الأمد، تبدأ بحرب عصابات، ثم لا تلبث أن تتطور إلى حرب شعبية مصممة على النصر". وهنا كان حاسماً أن يتم وضع القضية الفلسطينية والعربية في سياق جدلي واحد؛ أي المطالبة "بدمج الثورة الفلسطينية والعربية"^{٢٦}. وفي هذا السياق تم عرض هانوي العرب المنشودة "كإستراتيجية الطبقة العاملة"، التي هي وحدها المهيأة للنجاح، على النقيض تماماً من إستراتيجية البرجوازية الصغيرة، كتلك الخاصة بالأنظمة العربية مثلاً، والقائمة على مبادئ الحرب التقليدية.

وقد اعتاد فدائيو ومقاتلو كلتا المجموعتين استفزاز السلطة الأردنية، كلما سنحت الفرصة، وذلك لإحداث مواجهة مباشرة مع النظام. وعلى ما يبدو، فإن اليساريين قد انطلقوا من أنهم قد أصبحوا في وضع يسمح لهم بحسم هذه المعركة لحسابهم. أما السؤال نحو الاعتبارات الخارجية كخطر تدخل محتمل لدول أخرى في حال حصول صراع على السلطة في الأردن، فيبدو أنه لم يطرح نهائياً.

وبالإضافة إلى الوضع المتفاقم، قررت الجبهة الشعبية العام ١٩٦٨ القيام بأعمال دراماتيكية كخطف الطائرات، وإلقاء القنابل والاعتقالات، وذلك لجذب الانتباه إلى المسألة الفلسطينية محلياً ودولياً. ففي ٢٣ تموز ١٩٦٨ اختطف مقاتلو الجبهة طائرة ال عال EL AL نحو الجزائر، وذلك لإطلاق سراح ستة عشر معتقلاً فلسطينياً محتجزين في السجون الإسرائيلية. وفي الأعوام ١٩٦٩-١٩٧٠ لجأت الجبهة الشعبية وبشكل مستمر إلى مثل هذه الأعمال ذات التأثير الإعلامي، وربما أيضاً كمحاولة لخطف الأنظار عن "فتح" التي تعاضمت قوتها.^{٢٧} فحبش كان مدرِكاً لشعبية هذه الاختطافات في أرجاء المشرق العربي كافة، كما أن كنفاني كان قد حجز لها موقِعاً مهماً في التحضير للثورة، وذلك كمفتاح "للحرب الشعبىّة طويلة الأمد" المنشودة: "لو كنّا قد لجأنا إلى خطف الطائرات في المرحلة النهائية لكنت أول من وقف ضدها. إلا أنه في مرحلة التحضير للثورة، فإنّ للعمليات العسكرية تأثيرها السيكولوجي".^{٢٨} كما أنه من المهم ملاحظة كيف أن الجبهة الشعبية تدافع هنا عن سياسة كانت قد هاجمتها في الأعوام ١٩٦٥-١٩٦٦ (في عهد القوميين)، وفي خضمّ الجدل مع "فتح" بعنف، معتبرة إياها غير شرعية، أو أنها تنصلت منها بشكل حاسم وقاطع بعد حل كتائب الفداء العربي. ومن هنا، فليس من الغريب إذاً، أن تقرر الجبهة الشعبية في مؤتمرها الثالث العام ١٩٧٢ وقف خطف الطائرات بتعليل مماثل كلياً لانتقادها لإرهاب كتائب الفداء: "إن العنف الثوري لا يسمح ... أن يكون بديلاً لحركة الجماهير...، فالعنف الثوري ... يجب أن يكون تنويجاً لحركة الجماهير وليس بديلاً عنها".^{٢٩}

ومنذ البداية، مارست الجبهة الديمقراطية انتقاداً شديداً لعمليات خطف الطائرات، رافضة إياها "لأسباب إنسانية"، وذلك لأنها موجهة ضد "أشخاص ليس لهم علاقة بالصراع بين الفلسطينيين والصهاينة". فهي شكل من أشكال "الإرهاب الفردي"، وبالتالي فهي مرفوضة بشكل حاسم وفاصل. في المقابل، بررت العمليات المسلحة داخل إسرائيل كرد على الإرهاب الإسرائيلي ضد المدنيين العرب، ولكن بشرط أن يتم ربطها بالمقاومة الجماهيرية في المناطق المحتلة.^{٢٠}

وكنتيجة لاستفزازات اليسار، على الأرجح تلك غير المسؤولة منها، وكرد فعل مباشر على ذروة الاختطافات التي قامت بها الجبهة الشعبية في أيلول ١٩٧٠، وذلك عندما تم اختطاف ثلاثة طائرات إلى "مطار الثورة" في الزرقاء، بدأ الملك حسين حربه ضد المقاومة في الأردن في "أيلول الأسود"، وبدأ أن أبحر هذا الشهر إلى ذاكرة النسيان الفلسطينية، أنهى الملك حسين في حزيران ١٩٧١ حربه بمذابح حصلت لآخر الوحدات الفدائية في شمال البلاد، في جرش وعجلون. وهكذا انتهت "الفترة الأردنية" للمقاومة مرة وإلى الأبد.^{٢١}

اعتبرت الجبهة الديمقراطية محاولة "فلسطنة" الحركة الوطنية الأردنية مسؤولة عن الهزيمة. فهذه "الإقليمية ذات الأفق الضيق"، بالإضافة إلى عدم قدرة اليسار في المقاومة على تطوير "برنامج وطني وطبقي يحكم العلاقات مع الجماهير الأردنية"، كان قد حكم مسبقاً على الأهداف الثورية بالفشل.^{٢٢}

كما ركزت الجبهة الشعبية في تحليلها للسنوات ١٩٦٨-١٩٧١ الذي لم يخلُ من نقد ذاتي، على علاقتها بالشعب الأردني. فهناك من ناحية مبدئية، كما يذكر التوضيح المبرمج والصادر حديثاً، "علاقة إستراتيجية" بين "الثورة الوطنية الديمقراطية في الوطن العربي الأم" والمقاومة الفلسطينية، فالأمر يتعلق عملياً بنضال واحد.^{٢٣} فإلى أي حد بقيت أيديولوجية القومية العربية مؤثرة عند اليساريين الجدد، يبينه هذا الرأي، فكلا التنظيمين اللذين انبثقا عن حركة القوميين العرب، الجبهة الديمقراطية وبالمستوى نفسه تقريباً الجبهة الشعبية بقي متمسكاً بمبدأ القومية القديم القاضي بتثوير كل الدول العربية. فالجبهة الشعبية عبّرت عن ذلك من خلال دعوة عملية نحو هانوي عربية. أمّا الديمقراطية فقد طالبت نظرياً بأن على الثورة "أن تدفع بحل للتناقضات الداخلية [مع الرجعية العربية] قدماً، وذلك حتى تتمكن من الاستمرار في نضالها ضد النقيض الأساسي [الإمبريالية والصهيونية] من على أرض ... صلبة".^{٢٤} إلا أن كلا الطرفين لم يتعرضا لحقيقة موازين القوى في الأردن أو في المنطقة بشكل عام.

أمّا قرار الجبهة الشعبية، وكرد على أيلول الأسود، بتحويل نفسها إلى حزب، فقد حدد بشكل فاصل تطورها التنظيمي المستقبلي. وفي الوقت نفسه، وبقرارها القيام ببناء "حزب ثوري"، فإن الجبهة الشعبية تكون قد اختارت تبني "النظرية الماركسية-

الليبنية " كأساس نظري. ومن المفترض أن يتم بذلك " حشد جماهير الثورة الفلسطينية للكفاح من أجل تحرير الوطن الأم " تحت قيادة طليعة الطبقة العاملة الفلسطينية^{٣٥}.

أما الجبهة الديمقراطية، فقد هاجمت وبشدة هذا البرنامج الجديد للجبهة الشعبية متمسكة وبثبات، بالادعاء الصادر عنها كونها التنظيم الماركسي الليبني للمقاومة الفلسطينية. صحيح، حسب حواتمة، أن الجبهة الشعبية وبشكل خاص حبش، كانا قد استلهما أفكاراً ماركسية، إلا أنهما، كما في السابق، تعاملتا بشكل "سياسي غير ماركسي". صحيح أن الولع بعفوية الجماهير لا يزال على أشده، إلا أنه يتم في الوقت نفسه البحث عن حلفاء بين "التجار والرأسماليين في عمان"^{٣٦}. وبالوصل مع تقليد حافظ القوميون عليه، شددت كل من الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية على دور التنظيم والعمل السري المنسجم... الخ، وهو ما ثبتت أهميته، وبخاصة عند بداية الانتفاضة ١٩٨٧/١٩٨٨، وذلك عندما أصبح استمرار التظاهرات الجماهيرية مرهوناً بتدخل بنية تنظيمية نشيطة.

وقد بقي اليسار الفلسطيني الجديد يفتقد، ومنذ الكرامة، إلى حل لمسألة حيوية بالنسبة له. فعلى الرغم من الدعوات الجماهيرية المستمرة من قبل الجبهة الشعبية والديمقراطية، فإن الجماهير الفلسطينية في الأردن (ولاحقاً في لبنان) التحقت بـ "فتح". وحتى المحاولة التي بذلتها الجبهة الشعبية بشكل خاص للتفوق على "فتح" حتى في عقر دارها الفلسطينية، الكفاح المسلح، لم تغير في ذلك من شيء، وبخاصة أن "فتح" كانت التنظيم الوحيد، وبقيت كذلك في المستقبل، الذي بإمكانه أن يطلق على ما يملك اسم قوة عسكرية حقيقية. وعلى الأرجح، فإن الأهمية العسكرية للجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية في المقابل قد اقتصرت على البلاغة.

وهنا تكمن جذور تناقض ظاهري في السياسة الفلسطينية: فالتنظيمات التي بقيت عسكرياً غير مهمة، التي لم يكن بإمكانها منافسة "فتح" في هذا المجال، حاولت تعويض ذلك من خلال محاولة استغلال الكفاح المسلح، على الأقل لفظياً، ضد "فتح".

ب. اليسار الجديد في "فتح"

كنتيجة للرفد الجماهيري الذي تمتعت به "فتح" منذ ١٩٦٨، نشأ داخل الحركة، التي كانت حتى ذلك الحين وطنية برجوازية صغيرة وسياسياً أقرب إلى اليمين، جناح يساري. وقد تألف هذا الجناح من بعثيين سابقين، شيوعيين بالإضافة إلى يساريين مستقلين أصبحوا يناضلون الآن من داخل "فتح" ومعها من أجل أهدافهم السياسية، وبشكل خاص الاشتراكية منها. كما طورت مجموعة من المثقفين الشباب، غالبيتهم من الطلاب الأعضاء في "فتح" في السنوات ١٩٦٨-١٩٧٠ أفضليات يسارية، وليصبحوا فيما بعد جزءاً من اليسار الفلسطيني داخل "فتح".

منذ فترة فلسطيننا (١٩٥٩-١٩٦٤) اعتاد المرء في "فتح" أن يقرأ الكتابات (الأدبيات) المهمة لثوريي العالم الثالث على غرار ماو تسي تونغ، وتشى جيفارا، وفانون، بالإضافة إلى مقتطفات محددة من أعمال لينين. ومن الجدير بالاهتمام أن أعضاء مؤسسين في "فتح" مثل خليل الوزير وهاني الحسن، الذين اعتبروا لاحقاً من يمين "فتح"، هم الذين كانوا قد أدخلوا هذه الأدبيات إلى الحركة. كما أن أدبيات ماو تسي تونغ ذات المجلدات الأربعة المعروفة قد تركت أثراً باقياً عند المثقفين الشباب في "فتح". وليس صدفة أن يتأثر القوميون بذلك أيضاً، ومن بينهم د. جورج حبش.

واقع الأمر أن استقبال النظريات اليسارية بقي سطحياً جداً؛ فالمعرفة المقتبسة في سياقات مختلفة كان يتم إسقاطها بطريقة ميكانيكية جداً على الوضع الفلسطيني. فليس غريباً إذاً أن تعجز المقاومة الفلسطينية وحتى هذا اليوم عن إخراج منظر للثورة الفلسطينية. عوضاً عن ذلك، فإن أدبيات اليسار الفلسطيني تخلو، وبشكل كامل، من أفكار أصلية أو تحليلات ذات أهمية شمولية.

وخلال الفترة الذهبية للمقاومة في الأردن كانت هناك دائرتان، وجد بهما عملياً كل يسار "فتح": الإعلام والعلاقات الخارجية. ومن المفترض أن الأمر بقي على حاله في لبنان خلال الفترة الممتدة من الخروج من الأردن وحتى الخروج من لبنان. وقد تبع هذا اليسار بعثيون سابقون مثل أبو اللطف، وناجي علوش، وأبو حاتم، وأبو نضال (الذي أصبح لاحقاً إرهابياً مشهوراً)، والقريبون من الشيوعيين أمثال ماجد أبو شرار وأحمد عبد الرحمن، بالإضافة إلى الشاعر خالد أبو خالد، وأبو داود (انشق لاحقاً عن "فتح") ومنير شفيق. ومن المفترض أن نزيه أبو نضال وأبو فارس انضموا لاحقاً في لبنان إلى هذا الركب. وبناءً على معلومات مصدرها ناجي علوش الذي عمل في مركز الإعلام التابع لـ "فتح" في عمان من نيسان ١٩٦٩ حتى تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٠، كما تبوأ، بالإضافة إلى ذلك، مركزاً مرموقاً في الميليشيات الشعبية، فقد كان الهدف الأسمى لتلك المجموعة الصغيرة من اليساريين، بناء تنظيم. "لقد حاولنا تأسيس تنظيم حقيقي. فعندما وصلنا عمان، كان هناك مجموعات، كانت تفهم نفسها بلا استثناء على أنها "فتح"، ولكن ليس تنظيم "فتح". وطبقاً لذلك ظهرت المطبوعات الأولى لعلوش في أدبيات مركز الإعلام حول التنظيم على غرار "القواعد العشر المهمة للتنظيم" أو "العضوية والتنظيم"، كما تم البدء بإعداد اللقاءات الأسبوعية، وإقامة المؤتمرات والمهرجانات الجماهيرية، وتنظيم نقاشات سياسية.^{٢٧}

أما مركز الثقل الثاني لنشاط اليسار، فقد تمثل في محاولة تطوير الوعي السياسي للجماهير من قبل أعضاء "فتح" الجدد. لقد حاولنا تربية الناس على أن يفكروا كوطنيين وكديمقراطيين، ليس فقط على مستوى: "نحن فلسطينيون ونريد النضال".^{٢٨} وقد تم تحقيق معظم النجاحات في صفوف الطلاب والمثقفين الشباب فقط. إذ أن الوقت في

الأردن كان قصيراً من أجل تربية سياسية على مستوى جماهيري، فوعي سياسي وفوق ذلك ذو محتوى يساري لم يكن باستطاعته التشكل حتى في مراحله الأولى. ومن غير ريب، فإن المثالية والتساقق الأخلاقي عند اليساريين قد حقق بعض النجاحات عند كثير من الفلسطينيين.

لقد عشنا مع الناس البسطاء في المخيمات، الرجعيون عاشوا بين البرجوازيين. لذلك وقف الناس في المخيمات وراءنا. فقد فهموا سؤالنا: " لماذا لا يأتون إليكم في المخيم، القادة البرجوازيون، حتى عرفات نفسه؟ " حتى لمجرد الزيارة لا ترونهم في المخيم، في حين أننا نعيش ونعمل بين ظهرانيكم.^{٢٩}

كما حاولوا خلق بنية تحتية للإمداد الصحي، مهتمين كذلك بالتزود بالماء بشكل أفضل ومنظم. فاستحدث مبداء عمل الورش. أما المرأة فقد تم تحريكها، ودمجها في النشاطات اليسارية. وفي هذا المقام لا بد من الإشارة إلى النشاط الذي قام به الفلسطينيون بعد ذلك بعشرين عاماً تقريباً، أي قبل الانتفاضة وخلالها. وبلا ريب، فإن إمكانياتهم قد بقيت في تلك الفترة محدودة جداً: " لم يكن بإمكاننا تحقيق الكثير، فقد كانت القيادة هي التي تملك المال. لم نكن نملك شيئاً. وكل من تعامل معنا، كانت القيادة قادرة على أن تعرض عليه عشرة أضعاف المبلغ ".^{٣٠}

وفي أعقاب هزيمة أيلول الأسود مباشرة، وفيما كان ناجي علوش ورفاقه يبادرون إلى بناء خط دفاع ضد الهجوم التالي المرتقب للملك حسين، قررت قيادة " فتح " بتاريخ ١٥ تشرين الأول / أكتوبر إعفاء ناجي علوش، وأبو داود من نشاطهم. وفي العشرين من الشهر نفسه، كان عليهم مغادرة الأردن. وقد ترك علوش ميدان العمل السياسي التنظيمي ليعود مرة أخرى للعمل كصحافي وحتى ١٩٧٥. وخلال الحرب اللبنانية عاد لبعض الوقت إلى ممارسة النشاط السياسي والعسكري في " فتح " إلى أن شكل العام ١٩٧٨ تنظيمًا خاصاً به هو التنظيم العربي الثوري.^{٣١}

فجانب مكاتب " فتح " الخاصة بالإعلام والعلاقات الخارجية، شكلت الشق الخاصة بناجي علوش ومنير شفيق مركزاً للتكيف الاجتماعي اليساري في عمان؛ فهناك اعتاد الشباب والشابات الفلسطينيات على اللقاء على مدار أمسيات متلاحقة وربما طوال الليل في نقاشات حادة يتخللها سماع أغنيات أحمد فؤاد نجم ذات النصوص المنتقدة يؤديها الشيخ إمام مصحوباً بعوده.^{٣٢}

أما مسرح العمل اليساري الأكثر أهمية، فقد بقي العمل التنظيمي. وهنا وبلا ريب، يماثل التطور الذي حصل في " فتح " تلك التطورات التي كانت تحدث في الوقت نفسه داخل الجبهتين الشعبية والديمقراطية. وعلى الرغم من ذلك، وبشكل يدعو للدهشة، لم تتطور هناك علاقات وثيقة بين الجبهة الشعبية التي أصبحت يسارية، أو حتى الجبهة

الديمقراطية ذات التوجه اليساري الراديكالي، ويساري "فتح"، بل بقي كل منهم مخلصاً لتنظيمه. وبالتالي، فإنه لا يمكن الحديث بشكل عام عن يساريين فلسطينيين موزعين على "فتح" والجبهة الشعبية أو الديمقراطية لا في الفترة الأردنية، ولا في أي مرحلة لاحقة. كما بقي اليساريون متأثرين بالتقاليد التاريخية السياسية المميزة لـ "فتح" من جهة، والقوميين من جهة أخرى، بحيث بقي الفصل على طول الخطوط الحدودية القديمة بين كلا التنظيمين الفلسطينيين المتنافسين قائماً.^{٤٣}

إلا أنه وفي بعض نقاط الوصل القليلة في التطور التاريخي للمقاومة، حصل هناك تضامن تعدى الحدود التنظيمية، وذلك على غرار الذي حصل في مطلع العام ١٩٦٩ عندما تدخلت وحدات عسكرية بقيادة أبو داود للحيلولة دون قيام مسلحي الجبهة الشعبية بتصفية المنشقين من الجبهة الديمقراطية لاحقاً.^{٤٤} وبعد ذلك بما يزيد قليلاً على العام، وقف أبو داود وناجي علوش، حسب روايتهم، ضد الأوامر الصادرة عن قيادة "فتح" بتصفية كل من الجبهة الشعبية والديمقراطية مسلحين بالحجة المؤثرة "كل من يقتل فدائي فلسطيني، سيقتل من قبلنا". وإذا ما أسلمنا مرة أخرى إلى روايات علوش، فإن قيادة "فتح" كانت قد حاولت الحول دون وقوع المشاكل والصراعات المهيأة مع النظام الأردني، وذلك من خلال "تنظيف" الصفوف الفلسطينية. "لقد حاول الرجعيون في "فتح" تحويل المعركة القادمة إلى صراع داخلي. ففي حين كنا نريد النضال ضد النظام الأردني، حاولت قيادة "فتح" خلق مشاكل داخلية فلسطينية".^{٤٥}

في المقابل، هناك رواية قيادة "فتح" التي تقول إن مبدأ الحركة كان دائماً وأبداً منع وقوع صراعات فلسطينية داخلية، ليس فقد عندما بدأت الاشتباكات العام ١٩٦٩ بين الجبهة الشعبية والمنشقين عنها (الجبهة الديمقراطية لاحقاً)، وإنما أيضاً العام ١٩٧٠ وقبل أن يعمد الملك حسين إلى تدمير المقاومة في أيلول الأسود. فعرفت هو الذي كان قد دحض باستمرار وبشكل ماثب كل الدعوات التي انطلقت بشكل خاص من جهة خالد الحسن ومؤيديه إلى التخلص من "اليساريين الراديكاليين المزعجين"، أولئك الذين انبتقوا عن القوميين العرب.^{٤٦} أما من هو الأكثر مصداقية؟ فهذا يصعب الإقرار به في ظل المصادر الحالية المتوفرة.

وعلى الرغم من ذلك فقد طغى نوع من انعدام الثقة والرفض والنقد الذي اتسم غالباً باللداعة، على العلاقة بين اليساريين الفلسطينيين من الجبهة الشعبية والديمقراطية من جهة، و"فتح" من جهة أخرى. ففي حين حظيت الجبهة الديمقراطية بنجاح كبير في الدوائر الطلابية واليسارية في غرب أوروبا (فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا الاتحادية)، وذلك من خلال "إعلامها الذي تمتع بمرونة جدلية"، وقف منها ناجي علوش ومن خلال انتقاداته الجارحة موقف الند للند.^{٤٧} فنقده القاسي لهذا التنظيم الجديد الذي حرص على تقديم نفسه، وبخاصة نحو الخارج وبشكل مقنع، كونه التنظيم الماركسي الوحيد على الساحة السياسية الفلسطينية، يجب لذلك إعادة تقديمه بالكامل.

هناك اتجاه يعتبر أن الطبقة العاملة هي القوة الصريحة والشجاعة فقط. ومع ذلك فهو ليس الممثل الأصلي للطبقة العاملة، ولا صاحب أيديولوجيتها العلمية، بل يحاول خلق علم من عناد طفولي، ومن شعارات (focos) صبيانية نضالاً... فقد جعل من الطبقة خرافة، أسطورة، حُرماً، ومن الطبقة العاملة كوميديا تراجيدية ومن نظريتها سيركاً يقوم فيه المهرجون بالإزعاج.

أما التعريف الذاتي الذي حاول ناجي علوش أن يميز وطنية "فتح" من خلاله، فلا يعدو كونه محاولة غير موفقة لتفضيل الذات: "نحن لسنا يساراً ولا يميناً، نحن نقف فوق اليسار واليمين. وعلى الرغم من ذلك نحن التقدميون الجدد".^{٤٨} وهنا تنتفض قومية علوش بشكل غير معكوس ولا منقوص.

وقد اتخذ النقد الذي وجهه اليسار في "فتح" إلى قيادتهم في الأردن طابعاً علنياً بعد الهزيمة الماحقة التي لحقت بالمقاومة في الأردن، التي عمد بعضهم إلى مقارنتها بالهزيمة العربية في حزيران ١٩٦٧،^{٤٩} عوضاً عن اضطرار المقاومة إلى إخلاء الساحة الأردنية. فقد كان يجب، حسب رأيهم، العمل على إسقاط الملك حسين، وإقامة حكومة وطنية.^{٥٠} هذه الصراعات الداخلية المتفاقمة لم تلبث أن ظهرت على السطح خلال مؤتمر "فتح" الثالث العام ١٩٧١. إلا أن الصحافيين الأجانب الذين شاركوا والذين كانوا على قناعة من أن نهاية القيادة التاريخية لـ "فتح" باتت على الأبواب، وأن جيلاً شاباً راديكالياً سيحل مكانها على رأس الحركة الوطنية الفلسطينية قد أساءوا الظن، ليس في اليساريين فقط، ولكن بشكل خاص في القيادة التقليدية لـ "فتح". لقد قيموا الأمر بشكل خاطئ كلياً.^{٥١}

ففي البداية دعت القيادة المجلس الثوري للانعقاد، ووجهاً لوجه وضع محمد يوسف النجار المتمردين اليساريين أمام الأمر الواقع: باستطاعتكم إنشاء قيادة جديدة لـ "فتح". إلا أن ذلك سيعني، والحالة هذه، أن صنبور المال المتدفق من الخليج سيغلق بالإضافة إلى ذلك، فلن تحصلوا بعد اليوم على دعم من قبل الدول العربية. القيادة التاريخية بزعامة عرفات فقط بإمكانها ضمان رأس المال المطلوب من أجل حرب التحرير. "لقد فهم المتمردون هذا الدرس، ولم ينسوه حتى اليوم".^{٥٢}

وفي أعقاب ذلك انعقد المؤتمر لتستغل القيادة من أجل استعراض قوتها العسكرية، إذ لم يبق أمامها في مقابل اليساريين أية خيارات مفتوحة بعد. فالقلائل المتعنتون تمت مواجهتهم بتهديدات مباشرة. في حين تم دمج البقية من غير مشاكل تذكر. فبعضهم تم ترقيته على السلم الهرمي لـ "فتح"، ليتم في الوقت نفسه وبأسلوب بارد، إبعاده عن النشاط السياسي، وذلك من خلال تجميدهم في بيوتهم، مع الاستمرار في دفع المرتبات، في انتظار نداء القيادة بنقلهم إلى وظائف جديدة. وعلى ما يبدو، فإن علوش كان من القلائل الذين امتلكوا قوة الشكيمة، وذلك بتحديد قرارات قيادة "فتح"، بل

وصل الأمر به حد الاستفزاز عندما أعلن: "بإمكانكم من الآن فصاعداً اعتباري خارج نطاق نظام أجوركم". ومن غير ريب أن علوش، وكصحافي معروف كان بإمكانه العمل، والحصول على دخل في بيروت دون مشاكل.^{٥٣}

في المقابل، استطاعت القيادة وبذكاء منقطع النظير تحييد أبو صالح، أحد العسكريين القلائل في اليسار، وربطها به لسنوات إلى الأمام؛ فأصبح عضواً في اللجنة المركزية وأمرًا للوحدات المسلحة في "فتح". وفي العامين ١٩٧٣-١٩٧٤ دفعته القيادة للمشاركة بكل العمليات البوليسية، والنشاطات المسلحة ضد أصحاب مشروع الدولة الفلسطينية الذين كانوا في غالبيتهم من اليساريين. فتحت إمرة أبو صالح تم اعتقال أناس مثل ناجي علوش وأبو حاتم ومي صائغ وآخرين.^{٥٤} وهكذا تحوّل ذلك الناقد المتطرف للفترة الأردنية إلى "دمية بين يدي أبي عمار" ولفترة طويلة.^{٥٥}

إلا أن النقص في القدرة العسكرية والمالية-الاقتصادية التي تزرع بها يسار "فتح"، لا يمكنه وحده تفسير ضعف هذا اليسار وأخيراً هامشيته. فحتى ذلك النقد المتطرف في راديكاليته، لم يلبث أن تحوّل بين أيديهم إلى سلاح ثلّم نتيجة لغرقهم في الأمور التنظيمية، ونسيانهم للسياسة أثناء مهاجمتهم لقيادة "فتح".

المشكلة هي أن غالبية اليساريين في "فتح" يعللون كل هزائم المقاومة كنتيجة لعدم وجود تنظيم قوي. فهم يتفاعلون دائماً بشكل مقولب: يجب أن نبني التنظيم من جديد وأن نقويه. وهنا يغيب عن ذهنهم باستمرار تحليل الأوجه السياسية والأيدولوجية لذلك التطور؛ فالتنظيم يشكل بالنسبة لهم هدفاً. فهم يناضلون ضد اليمينيين لأن هؤلاء في أعينهم يعيقون قيام تنظيم قوي. فالتنظيم القوي يعني عند يساري "فتح" بالذات تنظيمًا مطابقاً للوائح الداخلية لـ "فتح".^{٥٦}

وعلى خلفية هذا الضعف العام لليساريين، فإنه ليس من المستغرب أن يصبح مرضاً داخلياً، لينبثق عنه بعد فترة وجيزة نزاعات داخلية، وغالباً، متوقعة.

وقد نشأت بعد العام ١٩٧٣ ثلاثة اتجاهات متعارضة:

- اتجاه ماوي، يتزعمه منير شفيق. وقد عمل هذا الاتجاه على نشر نظرية العوالم الثلاثة الصينية، في حين انطلق من تضامن عربي شامل ضد الصهيونية والإمبريالية، ليبقى في النهاية أسير قومية عربية مباشرة، وإن كان يتم دائماً إظهاره وكأنه نوع من الماوية.
- اتجاه سوفيتي ويمثله ماجد أبو شرار وأحمد عبد الرحمن. ويؤيد هذا الاتجاه حل القضية الفلسطينية على مراحل، كما يعترف صراحة بقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ وإقامة دولة فلسطينية بجانب إسرائيل. وقد هاجم هذا الاتجاه الحكومات العربية "الرجعية"، إلا أنه دعا إلى التعاون مع البرجوازية "الوطنية" والأنظمة الواقعة تحت سيطرتها.

- اتجاه ثالث وقد مثله في ذلك الوقت أبو حاتم وأبو فارس وناجي علوش، وينطلق من أن البرجوازية العربية ليست بالوطنية، كما يتم عرضها في الأدبيات السوفيتية، بل إنها مندمجة كلياً في النظام الإمبريالي. لذلك فإن حرب أكتوبر، وبشكل منطقي، لم تكن حرب تحرير، بل حرب إمبريالية لا يمكنها دفع القضية الفلسطينية قدماً نحو حل.^{٥٧}

وفي النهاية، وعلى الأبعد في النصف الثاني من السبعينيات، ساد الخط السوفيتي، ليس داخل يسار "فتح" فحسب، بل شمل اليسار الفلسطيني ككل، الجبهة الشعبية وبشكل أكثر بروزاً الجبهة الديمقراطية التي كانت قد استلهمت هذا الخط العام ١٩٧٣.^{٥٨} وقد ترك ناجي علوش "فتح" ليقوم تنظيمًا خاصاً به تربطه بـ "فتح" معارضته المريرة لها. في حين تحوّل منير شفيق وبسرعة، إلى الثورة الإسلامية حتى لا تخرج "السمة من الماء". أما نزيه أبو نضال فقد حافظ كمفكر يساري على أخلاقيات المهنة في المجال الصحافي النقدي.

وما تبقى من يسار "فتح" دمره متمردوها العام ١٩٨٣، فقد استغل السوريون وبحركة، الجدل الأخلاقي والسذاجة السياسية للمتمردين الذين قدموا من بعض أجزاء اليسار، من أجل تحطيم سلطة ياسر عرفات خدمة لأهدافهم. وبذلك فقد المتمردون بقيادة أبو صالح وأبو داود مصداقيتهم في المجتمع الفلسطيني مرة وإلى الأبد. فليس اليساريون، بل عرفات "اليمني" هو الذي دافع عن استقلالية الوطنية الفلسطينية.^{٥٩}

ج. اليسار الفلسطيني: مراجعة أولية

عانى اليسار الفلسطيني بأكمله من "فتح" وحتى الجبهة الديمقراطية من خليط كامل من العيوب والنواقص. ففي استيعابه للماركسية، أو بالأحرى لأفكار ومفاهيم يسارية ثورية، لم يذهب اليسار الفلسطيني إلى أبعد من حد الاقتباس الانتقائي، وفوق ذلك الميكانيكي، وبشكل خاص للماوية. ولما أزاحت "صفات" الماركسية السوفييتية بعد العام ١٩٧٣ الماوية جانباً، بقي الوضع على ما كان عليه في السابق دونما تغيير نوعي محتمل. فبدلاً من إدراك مثالي للثورة وبشكل طوعي كامل، حل اقتباس يميل إلى الانتهازية مع مبدأ الحل على مراحل الذي تعثر في نهاية الأمر عندما تم دعم قيادة "فتح" في دعوتها إلى حل على أساس دولتين. فلم يحدث أن كانت هناك مساهمة نظرية ذاتية لليساريين الفلسطينيين حول الثورة في الشرق العربي. كما أن أحداً لم يقيم حتى بتحليل مادي للمجتمع، وهو شيء لا بد منه من أجل أي عمل سياسي ذي مغزى، سواء في المجتمع الفلسطيني الممزق، أو في المجتمعات الخاصة "بالدول المضيفة" مثل الأردن ولاحقاً لبنان.

فالتقديس الأعمى للتنظيم بقي إحدى المشاكل المركزية لليساريين كافة على حد سواء. فقد فشل ممثلوهم داخل "فتح"، وإلى حد كبير، في محاولتهم أن يجعلوا من "فتح" تنظيمًا ثوريًا ذا قيادة مركزية؛ هذه المحاولة التي افتقرت منذ البداية إلى أي معنى أو حس. وعلى ما يبدو، فإن غالبية اليساريين لم تصل بعد إلى وضع تدرك معه أن "فتح"، وبغض النظر عن المواد المنصوص عليها في اللائحة الداخلية لها، كانت تنظيمًا فريداً (sui generis): فقد تألفت من مزيج من الأنظمة؛ أنظمة فرعية وتنظيمات فرعية ومكاتب بشكل يفتقر إلى أية علاقة هرمية. وحتى بالنسبة للمطلع، فقد اعتبرت "فتح" متاهة طلسمية المعالم، وليس هناك من مسيطر على هذا الصرح الضخم ومن يعمل فيه سوى أولئك الذين أسسوا "فتح" وبالأخص ياسر عرفات كشخصية بارزة بينهم.^{٦٠} فكل شيء ارتبط مصيره بهذه القيادة التي كانت تتصرف بالمال والسلاح وتتمتع بشبكة من الاتصالات والعلاقات السياسية الدبلوماسية ما مكنها، وإلى حد كبير من ممارسة سلطة لا حدود لها. في المقابل نجحت كلتا الجبهتين الشعبية والديمقراطية، مستفيدتين من التجربة الطويلة للقوميين في العمل السري، في بناء تنظيمين قويين ومعدّين إعداداً جيداً، وهو ما شكل جزئياً مصدراً للقوة والتأثير خلال الانتفاضة.

فنقد سياسي مبرمج ومبدئي لقيادة "فتح" / م.ت.ف لم يمارس في يوم من الأيام لا من قبل يساريي فتح، ولا من قبل الجبهتين الشعبية والديمقراطية. وما أسهل أن يسارع اليساريون من مختلف الأصول والأطياف إلى استخدام الراديكالية اللفظية، دونما أدنى محاولة لطرح بدائل سياسية معقولة لمسار عرفات.^{٦١} ففي مقابل المبادرات السياسية للقيادة كان يتم، ودون ترو، إعلاء شأن أسطورة الكفاح المسلح. أمّا في حال تعرض المقاومة للخطر، فقد كانت وعلى الدوام، وحدات "فتح" أو قوات م.ت.ف تحت إمرة ياسر عرفات أو خليل الوزير القادرة على تقديم الضمان لبقاء الحركة الوطنية الفلسطينية، واستمرارها السياسي. فأسطورة الكفاح المسلح ذات التأثير الحشدي التي بلورتها "فتح"، وحققت بها كبرى النجاحات في الستينيات تحوّلت بين يدي اليسار لتصبح ولعاً بالعنف. وهو ما جعل اليسار، لحاجتهم للعمل والنضال السياسي، يصابون بالعمى. إلا أنهم بذلك استبعدوا أنفسهم طائعين إلى خارج اللعبة، تاركين المسرح، وبلا مقاومة تقريباً لقيادة "فتح" / م.ت.ف.^{٦٢}

وأخيراً، وهو ما يبدو حرجاً جداً، فقد بقي كل اليساريين عرضة للأيديولوجيات العربية القومية التي بقيت حتى هذا اليوم "تعبث في العقول" من ناجي علوش حتى جورج حبش، ومن أبي فارس حتى نايف حواتمة.^{٦٣}

وهكذا وبشكل جوهري، فقد فشل اليسار في الحركة الوطنية الفلسطينية، في م.ت.ف، في حين يسيطر اليمين بقيادة عرفات، وبلا منازع، على مفاتيح السلطة. وعليه، فهل كانت التجربة اليسارية الممتدة من العام ١٩٦٨ / ١٩٦٩ وحتى ١٩٨٢ في الشتات وقتاً وجهداً ضائعين وأخيراً بلا نتيجة؟

في اعتقادي لا. لكن اليسار الفلسطيني على الرغم من نواقصه، قد أحدث بعض الأمور وحركها، أو ربما غيرها. فعلى الرغم من أن اتصالات دولية كانت قد جرت في أثناء السنوات التي وقف فيها أبو جهاد على رأس مكتب فلسطين في الجزائر، فإن الجهد الأساسي قام به اليساريون في "فتح" والجبهة الديمقراطية بالإضافة إلى الجبهة الشعبية أيضاً، فهم الذين قاموا بتوجيه أنظار الحركة الوطنية إلى أبعد من بؤرتها الفلسطينية. فمن خلال اتصالاتهم الدولية المتعددة، ليس فقط على مستوى أوروبا الغربية وإنما أيضاً، وبالذات منذ السبعينيات، في شرق أوروبا وحتى شرق آسيا، عرف العالم بمصير الفلسطينيين. فالفلسطينيون أنفسهم أصبحوا قادرين على مقارنة قصصهم بقصص شعوب وأمم أخرى. كما عرضوا أنفسهم لأفكار جديدة تخطت الأفق الضيق للوطنية؛ سواء العربية أم الفلسطينية منها. كل هذا كان له تأثيرات كبيرة ومتعددة النواحي في الشتات الفلسطيني؛ فبعض قطاعات المجتمع الفلسطيني ساورها العام ١٩٦٨/١٩٦٩ شعور منظم بالعبث الذي لم يستطع حتى أيلول الأسود القضاء عليه. فمستحجرات (جمادات) اجتماعية كانت قد عمرت قروناً تم تحطيمها هنا وهناك. فالمرّة تلو المرة استطاعت مجموعات صغيرة، أفراداً معدودين، رجالاً ونساءً، الظفر بقدر صغير على الأقل، من الحرية الشخصية. فالتجارب الاجتماعية السياسية الأكثر أهمية حدثت أولاً في الأردن في الأعوام ١٩٦٨ - ١٩٧٠ ثم تم لاحقاً مواصلتها في لبنان في السبعينيات بالذات: مجموعات نسوية ورياض أطفال تقدمية ونشاط سياسي على مستوى القاعدة ولجان طبية... الخ. إلا أن هذا لم يشمل المجتمع ككل، وإن كان مثل هذا الشيء قد أصبح نموذجاً واقعاً لا يزال أثره الإنضاجي في المجتمع مستمراً.

فالقضية الفلسطينية لم تحل بعد، إلا أن مجموعة من الفلسطينيين عرفت، واختبرت أن التحرر الوطني وحده لا يمكنه الإتيان بالحرية التي يناضلون من أجلها. فقد أدرك المرء، وبشكل واضح جداً قيمة التحرر الاجتماعي والشخصي. ففكرة تحرر اجتماعي شامل لم تتم مع الحرب في لبنان والمشتعلة منذ العام ١٩٧٥، بل وجدت في بعض أوجهها، وبشكل غير مباشر، طريقها إلى المناطق المحتلة، حيث تابعت الانتفاضة بشكل متفرق تلك الأشياء التي وصلت في لبنان إلى طريق مسدود أو كان يجب وقفها. فمحاولة تحرر كهذه، لم يتم التخلي عنها، إذ أن بيروت الرمز بقيت حية. كما تعرضت القيادة الفلسطينية أيضاً وبشكل غير إرادي للتأثير اليساري. فالديمقراطية الفلسطينية الداخلية تعود بالأساس إلى المحاولات المتكررة التي كان يقوم بها اليسار داخل "فتح" ومن طرف الجبهتين الشعبية والديمقراطية بالتشكيك ومهاجمة السلطة الشاملة لقيادة م.ت.ف. وعلى ما يبدو، فإن الانتفاضة هنا كانت من بين الأشياء الأخرى التي تمكنت من قطف ثمار هذه الصراعات على الديمقراطية التي استمرت طويلاً.^{٦٤}

د. الخيال والواقع في سياسة منظمة التحرير الفلسطينية

منذ بداياتها الأولى لم تكن "فتح" تنظيمًا عسكرياً أو شبه عسكري، بل سياسي استخدم الكفاح المسلح باعتباره "استمراراً للسياسة بأساليب أخرى". وهذا ما انعكسه الهجمات السياسية والسياسية-الدبلوماسية التي قامت بها "فتح" منذ سنوات الستينيات التي ستمت الإشارة إلى بعضها هنا: المفاوضات التي أجرتها قيادة "فتح" في الكويت مع أحمد الشقيري في ذكرى تأسيس الجامعة العربية وإقامة علاقات شخصية وسياسية ممتازة ليس في الكويت فحسب، وإنما في دول الخليج الأخرى أيضاً (قطر، والعربية السعودية)، وذلك في النصف الأول من الستينيات، والالتماسات الكثيرة التي قدمتها "فتح" إلى مؤتمرات القمة العربية منذ ١٩٦٥، وإقامة علاقات سياسية-دبلوماسية وثيقة في البداية مع الجزائر ثم مع سوريا. وأخيراً كانت هناك المحاولات التي بذلها عرفات شخصياً في زمن الجدل الكبير مع عبد الناصر بهدف إقامة اتصالات عبر السفارة المصرية في بيروت.

وفي أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة، اتبعت "فتح" إستراتيجية مزدوجة بكل ما في الكلمة من معنى؛ فقد حاولت التركيز على تحريك الفلسطينيين في الضفة الغربية عبر تنظيم ثورة شعبية ضد الاحتلال، بحيث يتم تحويل السكان من خاضعين للملك حسين إلى فلسطينيين ذوي وعي وطني. إلا أنه وبعد فشل هذه المهمة، تمكن من خلال معركة الكرامة، واعتماداً على المساعدة (غير المقصودة) التي قدمها الجيش الإسرائيلي أن يحقق أول نجاح غير مباشر، من تحريك عملية شملت الأردن أولاً والشتات بشكل عام. كما أنها لم تنسَ المناطق المحتلة أيضاً التي من المفترض أنها في السبعينيات حققت النجاح المطلوب إلى أن يصبح الفلسطينيون شعباً تحت قيادة "فتح" / م.ت.ف.

في غضون ذلك قام مؤسسو "فتح" الآخرون بهجمة دبلوماسية مركزة بهدف الحصول على دعم الحكومات العربية الواسع للنضال التحرري الذي تقوده "فتح". وإلى أي حد كانوا ناجحين في ذلك، تظهره حقيقة أنهم استطاعوا كسب ود كل من فيصل ملك العربية السعودية، وعبد الناصر من أجل تعاون سياسي مع "فتح". ولم يختلف الأمر كثيراً في حال دول الخليج وعلى رأسها العربية السعودية من أجل الدعم المادي الكبير الضروري جداً لنشاطاتهم. كما امتد المجال الدبلوماسي لـ "فتح" وفي وقت مبكر جداً إلى خارج حدود المنطقة العربية. ففي العام ١٩٦٤ حصلت الزيارة الأولى لوفد من "فتح" إلى الصين العام ١٩٦٨، وقام ياسر عرفات بزيارة الاتحاد السوفييتي للمرة الأولى. وعبر الطلاب والعمال الفلسطينيون في أوروبا الغربية وقامت اتصالات مع الأحزاب السياسية هناك. وعلى ما يبدو، فإنه وفي إطار مثل هذه الاتصالات بين "فتح" والحزب الاشتراكي الفرنسي في بداية العام ١٩٦٩، قد تمت، وللمرة الأولى، صياغة برنامج سياسي عملي تم عرضه على الرأي العام بما يحتويه

وبشكل بارز جداً على الدولة الفلسطينية كهدف: " نريد في الحدود التاريخية لفلسطين إقامة دولة ديمقراطية، دولة بلا هيمنة، يتمتع فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون دون تفريق بحقوق مدنية كاملة " ^{٦٥}

فمن قبل، وعلى وجه التحديد قبل عام من ذلك، وفي أول البيانات الصحافية لـ "فتح"، دار الحديث عن فلسطين " محررة ديمقراطية مسالمة " (من خلال "فتح") تعلن بدء عهد جديد " يعيش فيه اليهود الفلسطينيون من جديد في تآلف بجانب ومع السكان الأصليين، الفلسطينيين العرب " ^{٦٦}

وفي العاشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٨، أعلن أبو إياد في مؤتمر صحافي عقد خصيصاً لهذه الغاية، "إن هدفنا الاستراتيجي هو العمل من أجل إقامة دولة ديمقراطية تضم كل أراضي فلسطين التاريخية، ويعيش فيها العرب واليهود كسكان متساوين وفي وفاق وانسجام " ^{٦٧} وبذلك عطف "فتح" على إعلان الدولة الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨ الذي يتطرق أيضاً إلى دولة ديمقراطية، هذه الدولة الديمقراطية وكهدف رسمي تتعرض لها وبشكل مسهب صحيفة الحركة الناطقة بالانجليزية "فتح":

لقد حددت الثورة الفلسطينية بشكل رسمي إقامة فلسطين علمانية ديمقراطية كهدف نهائي لحرب تحريرها. في فلسطين هذه سيتمكن المسيحيون واليهود والمسلمون من العيش والعمل وأداء واجباتهم الدينية دون تمييز. ومن غير ريب، فإن إقامة مجتمع تقدمي مفتوح أمام كل الفلسطينيين هو الحل الوحيد الإنساني والدائم لهذه المشكلة ... فحرب تحرير شعبية، التي ستدمر العنصرية والإمبريالية، ستخلق ظروفاً جديدة على أساسها ستصبح فلسطين جديدة ممكنة. وفي هذه العملية تنفتح أمام يهود فلسطين وبشكل قوي خيارات جديدة. فبدلاً من خيار "إسرائيل قلعة" أو "أن يُقذف بها إلى البحر" تقدم الثورة البديل: "إما إسرائيل عرقية مقصورة غير مستقرة" وإما "فلسطين مفتوحة، آمنة، متسامحة في وجه الجميع " ^{٦٨}

وقد صوت مؤتمر "فتح" الثالث للعام ١٩٧١ من أجل "دولة ديمقراطية علمانية (غير قائمة على أساس التجمعات الدينية) يعيش فيها يهود ومسيحيون ومسلمون معا في سلام متمتعين بالحقوق نفسها " ^{٦٩}.

ولم يرق أحد من الإسرائيليين أو الفلسطينيين أو حتى العرب بتقبل برنامج "فتح" المتعلق بدولة ديمقراطية في فلسطين كمحاولة لتقديم اقتراح تقدمي الصيغة لحل، بل على الأرجح إن الدعاية الإسرائيلية قد رأت فيه الهدف الفلسطيني القديم المزعوم الداعي إلى القضاء على كل اليهود في إسرائيل/فلسطين، وقد ارتدى حلة جديدة. هذا التفسير السلبي المتميز استغلته إسرائيل وبنجاح في الدعاية الموجهة نحو العالم الغربي. أما

الاتحاد السوفيتي، فقد أيد ومنذ البداية عملية تقسيم فلسطين إلى دولتين، مؤكداً هذا الخط السياسي حتى بعد ١٩٦٧ أيضاً. ومن هنا، فإن برنامج الدولة الديمقراطية لم يكن مقبولا بالنسبة له. من جهة أخرى، فهم الأردن مشروع الدولة الفلسطينية على أنه فقدان لنصف المملكة، وعودة إلى إمارة شرق الأردن. وحتى بين الفلسطينيين أنفسهم كان برنامج الدولة الديمقراطية موضع خلاف كبير بسبب وجود اعتراف ضمني بالوجود اليهودي في فلسطين، واستعداد واضح جداً بالعيش معهم على قدم المساواة في هذه الدولة. ولم يؤيد هذا البرنامج في تلك الفترة سوى فصيلين هما الجبهة الديمقراطية بزعامة حواتمة و"فتح"، أيده من غير تحفظ.^{٧٠} إلا أن صيرورة الأحداث ما لبثت أن أضافت اللثام عن برنامج الدولة الديمقراطية كسراب عليه أن يخفي من بين الخيارات السياسية المطروحة.

لكن ما هي التطورات، أو بالأحرى كيف كان الوضع الحقيقي على الأرض الذي اضطرت معه "فتح" والجبهة الديمقراطية وأخيراً المقاومة ككل إلى البحث عن طرح سياسي جديد يتمثل في إقامة السلطة الوطنية على كل المناطق التي يتم تحريرها من برائن الاحتلال الاسرائيلي، وهو ما اعتبر في حينه شكلاً أولياً لقبول فلسطيني بمشروع التقسيم للعام ١٩٤٧، وكخطوة أولى في اتجاه القبول بحل للصراع على أساس دولتين تقومان جنباً إلى جنب.

لقد شكل القبول بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ من قبل مصر والأردن (لاحقاً سوريا العام ١٩٧٢) الذي ينطوي على الاعتراف بالوضع الراهن في المنطقة، وبالتالي بإسرائيل كوجود وكحقيقة، صفعاً في وجه المقاومة الفلسطينية. وحتى مشاهد التعاطف اللفظي التي أبدتها السياسيون، ورؤساء الحكومات العربية اتجاه الفدائيين لم تغير من الواقع في شيء، فقد أصبح معروفاً للقاصي والداني أن الدول العربية المحيطة بإسرائيل لم تكن مستعدة للذهاب إلى أبعد من إزالة آثار عدوان ١٩٦٧؛ أي تحرير الأراضي الخاصة بها من قبل الاحتلال الإسرائيلي.

إلا أنه وعلى ما يبدو، فإن النجاح السيكولوجي الذي حققته المقاومة الفلسطينية خلال معركة الكرامة وبعدها قد ترك آثاراً إيجابية عند الأنظمة العربية أيضاً، ففي آذار ١٩٦٩ بدأت مصر حرب مواقع ضد إسرائيل عرفت بحرب الاستنزاف الإسرائيلية المصرية انبثقت عنها لاحقاً مبادرة روجرز، تلك التي أدت في آب ١٩٧٠ في نهاية المطاف إلى وقف لإطلاق النار بين مصر وإسرائيل. ومنذ ذلك الحين أصبح واضحاً لكل من له عينان يرى بهما، أن مصر ستصنع يوماً ما سلاماً مع الدولة الوطنية اليهودية في المنطقة. وليس مصادفة أن قيادة "فتح" وعلى رأسها عرفات بما تمتع به من حدس وقدرة على اقتناص الفرص السياسية، كانوا واعين تماماً لذلك. ففي بياناتها الرسمية لم تترك "الثورة الفلسطينية" مجالاً للشك في أن همها هو تحرير كامل التراب

الفلسطيني، أي ليس فقط المناطق التي احتلتها إسرائيل العام ١٩٦٧، وإنما أيضاً تلك التي أقيمت عليها دولة إسرائيل العام ١٩٤٨. فقد كان على الكفاح المسلح في شكل حرب تحرير شعبية أن يمهد الطريق إلى ذلك:

"فتح" ... مصممة على الاستمرار في هذا النضال ضد الاحتلال الأجنبي لفلسطين ... "فتح" ... تعلن باسم الشعب العربي الفلسطيني أنها تعبّر عن مطالب هذا الشعب، ومن بينها تحرير كامل فلسطين من الاحتلال والعدوان الأجنبي، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة ديمقراطية، وذات سيادة يتمتع فيها كل المواطنین الشرعيين والمشروعين بالحقوق نفسها بصرف النظر عن الدين أو اللغة.^{٧١}

وخلافاً للدول العربية، لم تقبل "فتح" بقرار ٢٤٢. وحسب رأيها، فإن "السلام في فلسطين (سيصبح) ممكناً فقط على أساس موافقة الشعب الفلسطيني بعد رجوعه إلى وطنه".

فهل كان من الممكن إذاً التوفيق بين هذا الهدف والمعادلة الحقيقية للقوى في المنطقة؟ لقد تنامت القوة العسكرية الإسرائيلية في أعقاب حزيران ١٩٦٧ عاماً بعد عام وبشكل ثابت، بحيث لم تستطع حتى المقاومة الفلسطينية بعملياتها الفدائية أن تغير من ذلك شيئاً. في حين أن الدول العربية ومن خلال اعترافها بقرار ٢٤٢، قد قبلت بوجود إسرائيل. وبذلك تكون "فتح" قد فقدت شرطاً استراتيجياً وجوهرياً لفلسفة الصراع، ألا وهو ضرورة قيام جبهة عربية مساندة. علاوة على ذلك، فإنه بعد الاندفاع قصير الأمد الذي حصل في أعقاب الكرامة، فإن نموذجاً لصراع جوهري ومسيطر بين الأنظمة العربية باتجاهاتها كافة من جهة، والحركة الوطنية الفلسطينية من جهة أخرى؛ ففي لبنان كما في الأردن وقعت صدامات بين الجيش والفدائيين الذين كان يرى فيهم كل نظام حاكم أو مسيطر على انفراد مصدر خطر يهدد بقاءه.

لقد استتقت قيادة "فتح" من التحطيم العسكري للمقاومة، ثم إبعادها من الأردن على يد الجيش الأردني درساً أساسياً مهماً: إن الكفاح المسلح في صيغة حرب شعبية كطريق لتحرير فلسطين قد فشل وإلى غير رجعة. إلا أن إشكالية في مثل هذا الحجم كانت على ما يبدو أكبر من أن يقوم عرفات ورفاقه في م.ت.ف بمواجهتها بشكل علني، ناهيك، ربما، عن الشروع في إيجاد حل لها. فخلال العام ١٩٦٨ وبعد معركة الكرامة، كانت "فتح" قد حركت الفلسطينيين للانضمام إليها، ومن ثم للنضال معها من أجل تحرير فلسطين. فبدلاً من تحرير فلسطين تم تشريد "فتح" والمقاومة ككل من موقعها المركزي في الأردن. فأى قيادي من "فتح" كان بإمكانه في مثل هذا الوضع الدقيق أن يواجه الفلسطينيين، سكان المخيمات، الذين قدم منهم في أيلول الأسود وبعده في حزيران ١٩٧١ الآلاف من أرواحهم، ليوضح لهم أن موت أقاربهم كان موتاً من أجل وهم، وهم تحرير موطنهم؟^{٧٢}

ومن غير طول تردد، قررت قيادة الحركة، متمسكة بنشاطية "فتح" ذات التقليد الذي لم يخب، الاستمرار في المقاومة، مقاومة الفلسطينيين للمصير المفروض عليهم بلا هوية وبلا وطن، وقد سلك هذا الطريق غالبية الفلسطينيين تابعين بذلك قيادتهم الوطنية، ليتم من جديد إعادة تشكيل الحركة الوطنية ككل في لبنان. لذلك كانت الوظيفة المركزية للكفاح المسلح منذ العام ١٩٧٠/١٩٧١ تتمثل في حماية الحركة الوطنية من ادعاءات الهيمنة للأنظمة العربية أو حتى من التصفية الجسدية.

إلا أنه وفي الوقت الذي كان فيه مهجرو ١٩٤٨، أولئك التعساء في الشتات دوت تمييز، متمسكين بحلم التحرير والعودة، مستمرين في اعتباره خياراً سياسياً واقعياً يضمن الكفاح المسلح والفدائيون تحقيقه، بدأت قيادة "فتح" بانتهاج سياسة واقعية (Real Politic).

وبذلك شكلت فترة العامين ١٩٧٠/١٩٧١ تحولاً في تاريخ "فتح" لم تدركه غالبية الفلسطينيين من مؤيدي "فتح" أو أعضائها. وكون القيادة لم تحاول إبراز هذا التحول أو الفتق كما هو، وبالتالي استنباط النتائج السياسية والإستراتيجية المترتبة عليه، فإنها تستحق حسب تقديري أن تنتقد. فباتخاذها مسار السياسة الواقعية، من غير إعلام من يشملهم الأمر، أو حتى محاولة إقناعهم بأهميته أو حتى بالفرص والإمكانات التي تقطن داخله، فإن "فتح" تقدم نفسها كممثل آخر ليس إلا، وكضرب إضافي لما يطلق عليه هشام شرابي أنظمة الحكم الإرثية الجديدة (neopatrimonial controls systems).^{٧٢} وعلى ما يبدو، فإن "فتح"، كقيادة سياسية للحركة الوطنية الفلسطينية اعتبرت الفلسطينيين غير "ناضجين" بما فيه الكفاية للسير خلفها عاطفياً وفكرياً في ذلك الطريق الوحيد الممكن للنضال السياسي الرئيسي، وحيثما ظهر ذلك ضرورياً، وممكناً أو ذا معنى، نوعاً من الضغط العسكري. إلا أنه بذلك يكون قد تم خلق معضلة سبق الحديث عنها، تلك التي تتمثل في التناقض بين خيار الكفاح المسلح والمرتبط ارتباطاً وثيقاً بوهم التحرير الكامل لفلسطين. ونضال سياسي دبلوماسي طويل الأمد يقوم على صياغة أهداف سياسية يمكن عملياً تحقيقها وتحمل مسؤوليتها؛ أهداف تستطيع إلى حد كبير تحريك أكبر دعم ممكن على مستوى محلي وإقليمي ودولي. فالهدف السياسي نحو تحقيق استقلالية وطنية فلسطينية، بغض النظر عن الصورة العملية، بين إسرائيل والأردن في ظل تعايش سلمي، بدأت ترسم معالمه وللمرة الأولى منذ العامين ١٩٧٠/١٩٧١.

وعلى قدر من الأهمية في تبلور برنامج الدولة، الذي تقودنا جذوره التاريخية إلى جريدة "فتح" السريّة فلسطيننا،^{٧٣} كانت علاقات "فتح" مع عبد الناصر التي توثقت بعد حرب حزيران. فبالقدر نفسه الذي ابتعد فيه القوميون أو الجبهة الشعبية عن كان يوماً ما مثّلهم الأعلى، حدث تقارب بين "فتح" وعبد الناصر. وقد لا نشذ عن القاعدة إذا ما انطلقنا من أن عبد الناصر كان قد أحاط القيادة الفلسطينية الملتفة حول عرفات علماً بنواياه السياسية فيما يتعلق بمشروع روجرز ١٩٧٠: يجب العمل من

أجل إيجاد حل سلمي لمشكلة الشرق الأوسط، وعلى "فتح" أن تقوم على رعاية أهداف سياسية عملية حتى تضمن لنفسها مقعداً على طاولة المباحثات المستقبلية.^{٧٥} كما كان للاتحاد السوفييتي تأثيرات شبيهة، وبخاصة في الفترة التي شهدت اهتمام "فتح" بإقامة علاقات أفضل مع الدولة العظمى الثانية كنوع من التوازن السياسي مع الولايات المتحدة المؤيدة لإسرائيل، وكمصدر للسلاح. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأحزاب الشيوعية العربية قد دعت ومنذ العام ١٩٤٨ إلى الاعتراف بإسرائيل، وإقامة دولة فلسطينية طبقاً لقرار الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين. وعلى هذا الأساس، فقد كان بإمكان "فتح" في حال تبنيها لمشروع الدولة أن تبني على دعم الاتحاد السوفييتي، ثم هناك على أرض الواقع فرصة التحالف مع الحزب الشيوعي الأردني، تلك الحركة السياسية المنظمة ذات البنية التحتية الصلبة في المناطق المحتلة.^{٧٦} وأخيراً، فإن الميل التاريخي لإقامة دولة الذي لازم "فتح" كنتيجة لنشوئها في أوساط الجالية الفلسطينية المهاجرة في الكويت كما سبق ذكره، قد بدأ يدفع وبشكل حتمي نحو وضع، بحيث كان على هذه الدولة أن تجد المكان السياسي الذي تتجسد فوقه؛ فاللوائح الداخلية الأولى لـ "فتح" كانت قد قادت آنفاً في هذا الاتجاه؛ فخلال السنوات القليلة في الأردن نجحت "فتح" في بناء هيكل لبنية تحتية تسبق قيام الدولة (القطاع الطبي، والضمان الاجتماعي، وقطاع الاقتصاد، والإدارة، بالإضافة إلى عدد يتزايد باستمرار من الموظفين والعمال... الخ). وفي لبنان تم تنظيم الوحدات الفدائية المتبقية والجنود والضباط الفلسطينيين من الجيش الأردني الذين التحقوا بالمقاومة إلى ما يشبه الجيش النظامي. في حين، وبشكل مواز لذلك وعلى الرغم من التأكيد الرسمي على مبدأ المقاومة المسلحة... فقد تم التخلّص بشكل فعلي من مفاهيم سياسية عسكرية مثل حرب العصابات وحرب شعبية.^{٧٧} فهيكّل الدولة على طريق البناء تم تعزيزه سنوياً من خلال قيادة "فتح". وأخيراً العام ١٩٧٢ طلب من مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت التابع لـ م.ت.ف بإعداد دراسة اقتصادية حول قابلية دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة للحياة.^{٧٨}

وقد لعب فقدان الأردن كقاعدة للمقاومة، ومشروع المملكة المتحدة كوحدة بين الضفة الغربية وقطاع غزة مع الضفة الشرقية الذي أطلقه الملك حسين في أعقاب ذلك، دور الشرارة. فالملك حسين، وبعد قضائه على المقاومة عسكرياً أراد تتويج ذلك بنصر سياسي. ومن هنا كان على "فتح" أن تتحرك، كان عليها أن تناضل من جديد لاستعادة شرعيتها كممثل للحركة الوطنية الفلسطينية، أو بالأحرى للشعب الفلسطيني بشكل عام. ومن خلال هجوم سياسي دبلوماسي مضاد تم القيام به وإلى حد كبير، بعيداً عن الأضواء ومن موقع الضعف المطلق نجحت "فتح" / م.ت.ف وبشكل باهر خلال الفترة التي سبقت حرب تشرين الأول / أكتوبر التي تلتها في استعادة موقعها الأصلي كممثل للشعب الفلسطيني عامة. وبلا شك، فقد كان للدعم المتزايد والتعاطف البالغ الذي

حصلت عليه المقاومة من المناطق المحتلة أثر بالغ في ذلك؛ ففي أعقاب أيلول الأسود مباشرة زارت عرفات وفود كثيرة من غرب النهر مؤكدة دعمها له ولتحته على تبني موضوع "الدولة" كهدف نهائي. إلا أن الزعيم الفلسطيني رفض الفكرة، معتبراً أن الوقت غير مناسب لمثل هذا التحول السياسي الحاسم.^{٧٩} ومع ذلك، فإن "الدولة" كفكرة حصلت على دفعه إلى الأمام.

إلى ذلك كله انضمت وفي تعاقب متسارع الهجمات السياسية والعسكرية على الوطنية الفلسطينية كما تطرحها "فتح". فقد عقدت إسرائيل العام ١٩٧٢ انتخابات محلية في المناطق المحتلة أسفرت في جوهرها عن تأكيد للأعضاء القدامى في مناصبهم، في الوقت الذي لم يلبّ السكان نداء م.ت.ف بمقاطعة الانتخابات. ومن جهته، اعتبر الملك حسين نتيجة الانتخابات نجاحاً سياسياً له.^{٨٠} وعسكرياً، كثفت إسرائيل من حربها ضد المقاومة على المستويات كافة داخل لبنان وخارجه؛ فقد اغتيل في وسط بيروت ثلاثة من قادة م.ت.ف / "فتح" على يد وحدة إرهاب إسرائيلية.^{٨١} أما الجيش اللبناني، فلم يلبث أن دخل في جولة جديدة من القتال ضد ما اعتبر دولة داخل دولة.

ولم يُخرج عرفات من هذا المأزق حيث التهديد المتسارع من الاتجاهات كافة سوى الديناميكية التي انبثقت عن حرب تشرين الأول/أكتوبر، فاستغلها العام ١٩٧٤ وليصبح بفضلها الرابع الأكبر. فكان هناك الجبهة الوطنية في المناطق المحتلة التي فهمت نفسها "كجزء مكمل للحركة الوطنية الفلسطينية كما هي منظمة داخل م.ت.ف، بالإضافة إلى الاعتراف الدولي بـ م.ت.ف من قبل الاتحاد السوفييتي.^{٨٢} أما الدولتان العربيتان اللتان كان عليهما خوض حرب أكتوبر، مصر وسوريا، فقد كانتا من جهتهما تعتمدان بقدر كبير على م.ت.ف، وبخاصة أنها هي الوحيدة المخولة بمنح الشرعية لأي تحرك سياسي يخططون له بعد الحرب. وإذا كان هناك من يستطيع أن يتخلى عن تحرير كامل التراب الفلسطيني، أو تقديم تنازلات للدولة اليهودية، فالفلسطينيون أنفسهم.

وعلى خلفية هذا التعقيد الدولي والإقليمي تمكنت في النهاية ثلاثة تنظيمات داخل م.ت.ف من طرح برنامج "السلطة الوطنية الفلسطينية" في المناطق المحتلة منذ العام ١٩٦٧، ألا وهي: "فتح"، والجبهة الديمقراطية بقيادة نايف حواتمة التي كانت قد اتخذت مساراً سوفييتياً منذ العام ١٩٧١، والصاعقة تلك المجموعة الموالية لسوريا.

أما السباق إلى ذلك فقد كان نايف حواتمة، وذلك في كلمة له ألقاها أمام حشد من الطلاب في جامعة بيروت العربية بتاريخ ١٢/٦/١٩٧٣ متحدياً فيها الإمارة الأردنية بشكل صارخ: "أية أراض فلسطينية لن نسمح بعودتها للملك حسين، ولن نسمح بإلحاقها بإسرائيل، بل يجب إقامة سلطة وطنية فلسطينية مستقلة".^{٨٣} وعلى ما يبدو، فإن "فتح" قد تنازلت للجبهة الديمقراطية فيما يتعلق بأسبقية الدعوة بشكل عام إلى مشروع الدولة، وذلك بهدف اختبار رد الفعل الفلسطيني العام على المسار السياسي

الجديد. فسياسة التنظيم الأكبر في المقاومة التي يسيطر عليها عرفات كانت تتحاشى القيام بمبادرات سياسية إلا في حال وجود أكبر إجماع ممكن أو إجماع كلي. وفي الوقت نفسه ساد قدر كبير من الغموض كافة تصريحات "فتح" على النقيض تماماً من الجبهة الديمقراطية التي سعت إلى وضوح ودقة أمثلين، بالإضافة إلى تعليل واستنباط منطقي لبرنامجها. وبلا ريب، فإن عرفات كان قد سلك العام ١٩٧٣-١٩٧٤ مساراً جديداً لا يزال يواظب عليه وبثبات حتى وفاته. وفي الوقت نفسه اعتبر على ما يبدو، أنه من الضروري عوضاً عن كونه موات سياسياً اتباع سياسة الخيارات المفتوحة من أجل حماية نفسه وإلى أبعد حد أمام المعارضة الداخلية الفلسطينية. وفي المقابل على الصعيد الخارجي، فإن الأعداء لم يوفروا هذا الصيد الثمين. وهنا حري بنا أن نتساءل: إلى أي حد كان المسار الذي اختاره عرفات وكنتيجه للشرعية غير الثابتة التي يركز إليها قد أجبر عليه، أو أنه كان بإمكانه تغيير مسار التاريخ من خلال قرارات سياسية مصاغة بشكل لا لبس فيه، وهي قرارات كان قد اتخذها بالفعل كلما رأى نفسه مقيداً من خلالها؟^{٨٤}

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي أبدتها الجبهة الشعبية، التي سمعت أيضاً من داخل "فتح"، فقد نجح التحالف المكون من "فتح" - الديمقراطية - الصاعقة في استصدار قرار من المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في القاهرة في حزيران ١٩٧٤ بقبول برنامج النقاط العشر، وذلك بأغلبية ساحقة (١٨٣ من ١٨٧ صوتاً). وقد كرر هذا البرنامج المرحلي الأول لـ م.ت.ف رفضه لقرار ٢٤٢، حيث تضمنت النقطة الثانية: "إن م.ت.ف تناضل بالوسائل كافة، في المقام الأول من خلال الكفاح المسلح، لتحرير الأرض الفلسطينية، وإقامة سلطة الشعب الوطنية المناضلة والمستقلة على أية بقعة محررة من أرض فلسطين".^{٨٥}

وما هي إلا أسابيع قليلة مضت على ذلك النجاح الكبير الذي حققته "فتح" في المجلس الوطني حتى انفض عقد ذاك الإجماع الدقيق الذي ساد، ففي ٢٦/٩/١٩٧٤ أوقفت الجبهة الشعبية نشاطها داخل اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف، ولينبثق تحت قيادتها في العاشر من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٤ في بغداد جبهة رفض مؤلفة من الجبهة ذاتها، والجبهة الشعبية - القيادة العامة، وجبهة التحرير العربية الموالية للعراق.^{٨٦} وهكذا تعود الميول الثورية الساذجة للجبهة الشعبية الموجهة في جوهرها ضد كافة أشكال برامجة الدولة ليكون لها اليد العليا. ففي العام ١٩٧٠/١٩٧١ سبق وأن صوتت الجبهة ضد برنامج الدولة الديمقراطية، والآن تعود لتهاجم وبلا هوادة الدولة الفلسطينية. فهذا الهدف، هكذا نقرأ في أدبياتها التي هاجمت فيها "فتح" والجبهة الديمقراطية، يعني "التخلي عن تحرير كامل فلسطين".^{٨٧} بالإضافة إلى ذلك، فإن الأمر كان يعني تحرير الأردن بأكمله من الحكم الهاشمي، وضمه إلى دولة فلسطينية لاحقة تتم إقامتها على كامل أرض فلسطين التاريخية. فالفترة الممتدة من ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٦ تميزت بنوع من "الجمود الرسمي للتصورات الاستراتيجية، والتكتيكية" للجبهة الشعبية.^{٨٨} فسياسياً لم يذهبوا هم ومن تبعهم من جبهة الرفض إلى أبعد من موقف رافض اتسم

بالتعنت والمعادنة. أيديولوجياً، تم تكرار الدعوة إلى تحرير كامل التراب الفلسطيني أو العالم العربي بكامله، حيث يأتي الأردن في المقام الأول، ناهيك عن الاستمرار بالكفاح المسلح. في حين أنه لم ينشأ في أي مكان تطوير لتصورات معينة حول الكيفية التي يمكن من خلالها تحقيق هذه الأهداف عملياً.

وفي الوقت الذي كان فيه عرفات قد قام على الصعيد السياسي-الدبلوماسي "بعمل جيد"، فإن جبهة الرفض، ومهما تصرفت براديكالية، بقيت في النهاية بلا نتائج. وأخيراً اضطرت في الفترة ما بين ١٩٧٦-١٩٧٩ إلى التراجع خطوة خطوة عن موقفها الرافض، والعودة إلى اللجنة التنفيذية لـم.ت.ف العام ١٩٨١.^{٨٩}

أما بالنسبة لعرفات فقد شكلت سنة ١٩٧٤ الذروة السياسية-الدبلوماسية الأولى. فبعد الدورة الناجحة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، تم في مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الرباط في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٤ الاعتراف بـم.ت.ف "كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني". فال مؤتمر ساند الفلسطينيين في هدفهم "إقامة سلطتهم الوطنية المستقلة بقيادة م.ت.ف على كافة الأراضي الفلسطينية المحررة".^{٩٠} وأخيراً تمت دعوة عرفات كرئيس للجنة التنفيذية لـم.ت.ف لإلقاء كلمة أمام الاجتماع العام للأمم المتحدة في نيويورك في تشرين الثاني ١٩٧٤. وفي القرار رقم ٣٢٣٦ الصادر عن الاجتماع، تم الاعتراف "بالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، ومنها: حق تقرير المصير دون تدخل أجنبي؛ وحق الاستقلال الوطني والسيادة".^{٩١}

فقد تم الاعتراف بالفلسطينيين "كشريك مركزي في صنع سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط". كما تم ومن خلال قرار رقم ٣٢٣٧ منح م.ت.ف وضع مراقب في الأمم المتحدة. وهكذا حبل هذا العام بمجموعة من النجاحات التي حققتها سياسة م.ت.ف التي يوجهها ياسر عرفات. فشرعية قيادة "فتح" /م.ت.ف والخط السياسي الذي تمثله والهادف إلى إقامة دولة فلسطينية لاقت اعترافاً واسعاً في أوساط المجتمع الفلسطيني، وبخاصة ذلك الجزء (الأهم في المستقبل) الذي يعيش في المناطق المحتلة. فإقليمياً تم التأكيد عليها من خلال مؤتمر القمة العربي، على الرغم من معارضة الأردن، ودولياً تم دفعها والاحتفال بها في أروقة الأمم المتحدة.^{٩٢}

وبلا ريب، فقط أوضحت السرعة التي تشكلت بها معارضة مبدئية تقف على رأسها الجبهة الشعبية إلى أي حد كان على هذه الشرعية أن تبقى دقيقة، على الرغم من الاعتراف الواسع الذي حظيت به، إذا لم تصحبها نجاحات سياسية جوهرية. ومن أجل السيطرة على مثل هذا الوضع أقدمت "فتح" -عرفات على اتباع خط تخشى مغبته مليء بالغموض والالتباس. فزورا وبهتاناً حافظت على إحياء الوهم وبشكل مستمر في أن "الدولة" ليست إلا هدفاً مرحلياً على طريق التحرير الكامل لفلسطين، زورا وبهتاناً وبشكل مناقض تماماً للاستراتيجية العسكرية المتبعة حقاً، هذا في حال اعتبرنا أن الحديث عن ذلك ممكن! تم الاحتفاظ بأسطورة الكفاح المسلح كإستراتيجية محرّكة.^{٩٣}

فهل كانت لدى عرفات أسباب مقنعة تمكنه من تبرير مثل هذا الموقف؟ إذا أردنا أن نجيب عن هذا السؤال، فعلينا أن نطرح سؤالاً آخر: هل كانت الدولة الفلسطينية في المناطق المحتلة منذ العام ١٩٦٧ كهدف نهائي قادرة بما فيه الكفاية للإبقاء على الفلسطينيين في الشتات، وفي لبنان بالذات، محتشدين خلف م.ت.ف، وبخاصة على ضوء الاستراتيجية العدوانية ضد الفلسطينيين التي بدأت بحرب لبنان العام ١٩٧٥ لنجد الكتائب اللبنانية وسوريا وإسرائيل في خندق واحد تقريباً أمام ذلك العدو المشترك؟ وهنا علينا أن نذكر أن الغالبية العظمى من الفلسطينيين القاطنين في لبنان قد اندحدروا من ذلك الجزء من فلسطين الذي تحوّل العام ١٩٤٨ ليصبح من ضمن أراضي دولة إسرائيل. ولو افترضنا جدلاً، وكتكملة للسؤال السابق، أن م.ت.ف كانت قد تخلت العام ١٩٧٤ وبشكل واضح عن خيار الكفاح المسلح في صيغة أعمال فدائية، بقيت إلى حد كبير من غير معنى، ضد أهداف مدنية في إسرائيل، ما كان له أثر عكسي، رابطة ذلك بقرار حاسم يدعو إلى دولة فلسطينية بجانب إسرائيل، فهل كان ذلك سيؤدي إلى إحداث تطور بديل ليس على مستوى لبنان فحسب، وإنما في المناطق المحتلة أيضاً؟

ويبدو في هذا السياق جلياً أنه ليس بالإمكان التقليل من أهمية الكفاح المسلح كقوة نفخت في الشتات الفلسطيني روحاً جديدة وإحساساً بالذات والهوية.^{٩٤} وإلا كيف نفهم قراراً يصدر عن الجبهة الديمقراطية للقيام بأعمال إرهابية على غرار ما حصل العام ١٩٧٤ في معالوت في شمال إسرائيل،^{٩٥} في الوقت الذي كان فيه هذا التنظيم سباقاً فيما يتعلق بمسألة الاعتراف بالإسرائيليين. ومع ذلك تجد الجبهة الديمقراطية نفسها مضطرة، كما يبدو، للتكفير عن ذنبها أو مسح وصمة "الطرف المستسلم" عن جبينها، وذلك من خلال القيام بعمل بشع لا معنى له أودى بحياة فلسطينيين وإسرائيليين على السواء. ويجدر بنا في هذا المقام تسليط الضوء على عامل آخر لعب دوراً شبه مهم ألا وهو التنافس المتبادل بين الفصائل الفلسطينية المختلفة، حين حاول كل منها "التشبيح" على الآخر، واستعراض عضلاته، من خلال القيام بعمليات دموية داخل إسرائيل.

ثانياً: منظمة التحرير الفلسطينية والمناطق المحتلة

أ. الهوية والدولة في المناطق المحتلة

تشكلت في المناطق المحتلة في آب ١٩٧٣ جبهة وطنية فلسطينية ضمت أعضاء ومؤيدين للتنظيمات الأكثر أهمية في المقاومة ("فتح" والجبهة الديمقراطية ولبعض الوقت الجبهة الشعبية)، ومجموعة من السياسيين المستقلين، وحزب البعث الذي كان يتمتع تقليدياً بقاعدة قوية في الضفة الغربية، بالإضافة إلى الحزب الشيوعي في موقع قيادي.^{٩٦}

وفي برنامجها المؤلف من ثلاث عشرة نقطة والمؤرخ في ١٥ آب ١٩٧٣، تعرّف الجبهة الوطنية الفلسطينية نفسها على أنها " جزء متمم للحركة الوطنية الفلسطينية ... م.ت.ف ". وكأهم واجباتها تسمى الجبهة الدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ومن بينها حق تقرير المصير، وحق العودة إلى الديار التي هُجّر منها. كما يتوجب تكثيف النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي وفي الوقت نفسه يتم التشديد على وحدة النضال الفلسطيني في كل أماكن وجوده. وأخيراً أدى الضغط الذي مارسه الجبهة الوطنية، والسقف الذي تمتعت به إلى إقرار برنامج السلطة الوطنية في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة التي انعقدت العام ١٩٧٤ في القاهرة. وقد حمل هذا البرنامج في طياته وبشكل واضح فكرة دولة فلسطينية بجانب دولة إسرائيل.^{٩٧} أما تلك الأسس الضرورية من أجل تطور هوية فلسطينية مميزة، أي كيان في منطق "فتح"، وبشكل ملازم التبلور المتعاضد لفكرة قيام دولة فلسطينية مستقلة في المناطق المحتلة، فسيتم التعرض لها لاحقاً.

وحسب القانون الدولي، فإن سكان الضفة الغربية والقدس هم مواطنون أردنيون. فهويتهم الفلسطينية تم اضطرادها بشكل منظم بعد الضم إلى الأردن (شرق الأردن) العام ١٩٥٠ وإبدالها بأخرى أردنية تم إملأؤها من فوق. أما الاحتجاجات التي انطلقت ضد هذه الإجراءات من قبل قطاعات الشعب المختلفة (مثقفون ومعلمون وتلاميذ وطلاب وأصحاب مهنة حرة من الشباب) فقد عبرت عن نفسها، وبشكل واضح، من خلال أيديولوجيات وحركات عربية- قومية (حزب البعث وحركة القوميين العرب).^{٩٨} في حين يُعتبر سكان قطاع غزة الذي تم وضعه بعد ١٩٤٨ تحت الإدارة العسكرية المصرية، رعايا بلا جنسية، وهو ما مكن وعن غير قصد، من المحافظة بلا انقطاع نسبياً على الهوية الفلسطينية أو حتى ترسيخها. وهنا لعبت الظروف الحياتية الصعبة في مخيمات اللاجئين البائسة دوراً مهماً.

وقد قام الاحتلال الإسرائيلي العام ١٩٦٧ بفصل هذه المناطق في بداية الأمر عن العالم العربي، وهو تطور شبيه بشكل عام بذلك الذي أقدمت عليه سلطة الانتداب البريطاني في فلسطين. ومن هنا، فلا غرابة والأمر كذلك، أن يكون رد الفعل الفلسطيني على هذه الطريقة أو الأسلوب الخاص الذي يتم فرضه من الخارج وطنية فلسطينية يُعاد بعثها من جديد. أما الشكل الأولي السياسي الذي اتخذته هذه الوطنية فقد تمثل في مطلب العودة إلى الوضع الراهن السابق، أي العودة إلى السلطة الأردنية أو المصرية. إلا أن واقع الاحتلال الإسرائيلي وما يتضمنه من مواجهات يومية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أي بين المحتلين والاحتلال، قاد وبشكل حتمي تقريباً، إلى وطنية فلسطينية ذات تعاضد مستمر لم تلبث أن أقامت جسراً مع الحركة الوطنية التي تكونت للتو في الشتات: ليس في الأردن فحسب، وإنما في سوريا ولاحقاً في لبنان أيضاً.

وقد مكنت سخرية التاريخ إسرائيل بالذات، وهي التي كان بإمكانها حتى في الأعوام ١٩٦٧/١٩٦٨ القضاء على محاولة تنظيم المقاومة المسلحة من الخارج، والثورة الشعبية في الداخل، وهي لا تزال بعد في طور التكوين، من الظهور بمظهر الشريك المخلص، عندما قدمت، ومن خلال سياسة اضطهاد لا هوادة فيها ضد كل ألوان المقاومة السياسية، وما يشبه القاعدة البنيوية لهذا الاندماج الذي شمل السكان المحليين والشتات (على شكل حركة وطنية منظمة مؤسساتياً في م.ت.ف). فقد عمدت إسرائيل إلى طرد المئات من القادة السياسيين الفلسطينيين من مختلف الشيع والأطواف، فقد كان الشيخ عبد الحميد السائح، رئيس محكمة الاستئناف الإسلامية في القدس أول المبعدين الفلسطينيين مباشرة بعد دخول الإسرائيليين إلى الضفة الغربية والقدس العام ١٩٦٧. وليس مصادفة أن يكون قد تولى في المنفى رئاسة المجلس الوطني الفلسطيني، وكمال ناصر الصحفي والشاعر القادم من بيرزيت والمقرب من حزب البعث، ثم إبعاده مع اثنين آخرين من القياديين في اليسار. وقد اغتيل في مطلع العام ١٩٧٣ على يد وحدة إرهاب إسرائيلية، حيث كان قد أصبح الناطق الرسمي باسم م.ت.ف. وفي العاشر من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٣، قامت سلطات الحكم العسكري بإبعاد ثمانية من قادة الجبهة الوطنية إلى الأردن، تلك الجبهة التي كان قد مر على تأسيسها نصف عام. ومن بين هؤلاء عبد الجواد صالح، وهو بلا شك أحد أنشط أعضاء الجبهة الوطنية، ومن القلائل بين السياسيين الفلسطينيين ممن تمتعوا بكاريزما واضحة. وفي المنفى أصبح عبد الجواد صالح عضواً في اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف.^{٩٩}

حلقة وصل بنيوية أخرى بين الأجزاء المختلفة للمجتمع الفلسطيني في "الداخل" تحت الاحتلال، وفي "الخارج" في الشتات شكلتها العمالة الفلسطينية المهاجرة من المناطق المحتلة إلى الأردن وإلى دول الخليج العربي، وبشكل خاص الكويت والعربية السعودية،^{١٠٠} فكل مهاجر تقريباً سبق وأن اتصل في الشتات مع مؤسسات م.ت.ف، ومع البنية التحتية للتنظيمات المتعددة، بشكل أو بآخر. فبعضهم احترف السياسة واضطر معها للبقاء في المنفى، في حين عاد البعض الآخر بعد اكتسابهم خبرة عملية في التعامل مع م.ت.ف. وبهذه الطريقة طور عدد غير محدود من العائلات المقيمة تحت الاحتلال علاقة من نوع ما مع الحركة الوطنية الفلسطينية في الخارج. وأخيراً تجدر الإشارة إلى الآلاف من الطالبات والطلاب ممن كانوا يتركون المناطق المحتلة سنوياً قاصدين الدول العربية للدراسة فيها. ومن المؤكد أن التسامح الإسرائيلي اتجاه إنشاء بضعة جامعات في المناطق المحتلة كان يهدف إلى ممارسة قدر أكبر من السيطرة على عملية تشكل الطليعة الفلسطينية الجديدة.^{١٠١}

وفضلاً عن هذه الشبكة الوثيقة من العلاقات، ساعدت الكوارث والحوادث، ممن كان لها أهمية تاريخية في الشتات، في مواصلة تطور وطنية فلسطينية مستقلة "في الداخل" بشكل جذري. فقد شكل أيلول الأسود (عمان ١٩٧٠)، ومذبحة حزيان (جرش وعجلون)

الكارثة الأولى؛ فالنسبة للغالبية، وبخاصة ممن لم ينشطوا سياسياً من الفلسطينيين، كان ذلك بمثابة الطلاق النهائي مع المملكة الأردنية. " فرجل الشارع " اعتاد، من الآن فصاعداً، أن ينظر إلى نفسه كفلسطيني ينزع نحو م.ت.ف كمثل له. في حين أن الأردن، ومنذ ذلك الحين، لم يبق له سوى مجموعة من الأعيان الموالين له الذين يمكن تحديدهم بشكل جيد. وكرد فعل على أيلول الأسود، قام بعض القادة السياسيين من المناطق المحتلة بزيارة ياسر عرفات في عمان، وفي نيتهم إعلان انفصال الضفة الغربية عن المملكة الأردنية.^{١٠٢} وقد قابل عرفات هذه الرغبة بالرفض، وحجته في ذلك أن " المؤامرة الأمريكية الإسرائيلية تهدف في الوقت الحاضر إلى إقامة دولة فلسطينية ذات ارتباط وثيق بإسرائيل.^{١٠٣}

ويقدم عبد الجواد صالح رئيس بلدية البيرة المبعد العام ١٩٧٣ شيئاً متمماً لذلك وذا دلالة واضحة:

أتذكر الاجتماع في القدس بعد المعارك في عمان العام ١٩٧٠. فقد حضر كل رؤساء البلديات من ذوي النفوذ بالإضافة إلى القادة التقليديين في الأراضي المحتلة. كلهم أجمعوا، على إعلان انفصال الضفة الغربية عن الضفة الشرقية. أحضر الجعبري [رئيس بلدية الخليل] القرآن حتى يقسم الجميع على هذا القرار. فالجعبري كان بالطبع قد شجع على ذلك من قبل الإسرائيليين، وذلك بعد أن أعلنت الثورة الفلسطينية منطقة جرش منطقة محررة. خطة الجعبري كانت الخطوة الأولى في اتجاه ضم الضفة الغربية من قبل إسرائيل. وهنا تدخلت أنا في النقاش، وأظهرت للمجتمعين أن هذه خطوة خطيرة ضد الثورة الفلسطينية، وخطر على مستقبل قضيتنا. وضع الجعبري القرآن جانبا، وتخلّى بذلك عن فكرته. لقد فشل الاجتماع.^{١٠٤}

وهنا يبرز، وبشكل معبر جداً، ذلك الإجماع حول الأهداف السياسية الذي نشأ بين القادة الوطنيين في الضفة الغربية والحركة الوطنية المتواجدة في الأردن على الرغم من الشق الذي كان لا يزال يفصل بينهما في ذلك الحين.

وفي هذا السياق يتم النظر أيضاً إلى الرفض القاطع لكل الخطط المتعلقة بإقامة دولة في المناطق المحتلة، ليس فقط من قبل القادة السياسيين، وإنما من قبل السكان عامة. هذا الرفض الذي استعصى للوهلة الأولى على المتتبع للأحداث من الخارج فهمه، استمر حتى ١٩٧٢/١٩٧٣؛ فلا الشيخ الجعبري الذي سبق الاستشهاد به، ولا المحامي المناهض للأردن عزيز شحادة من رام الله أود. حمدي التاجي الفاروقي (أيضاً مناهض للأردن) أو الصحافي المقدسي المستقل محمد أبو شلباية وجدوا تأييداً لتصوراتهم المختلفة والممتدة من حكم ذاتي فلسطيني تحت سيطرة إسرائيلية (الجعبري) حتى دولة فلسطينية مستقلة (شحادة ١٩٦٧/١٩٦٨، أبو شلباية ١٩٧١).^{١٠٥} فمشاريعهم ظهرت إلى حيز الوجود مبكرة، وكانت في ذلك السياق أقرب ما تكون إلى الزندقة. فلا غرابة إذاً، والحالة هذه، أن يقذفوا بالعمالة. إلا أن اختفاء رد الفعل الإسرائيلي على

هذه المشاريع ما لبث أن أبطل كل ما صدر من تهم. وحتى لو افترضنا جدلاً أن الأمر هنا كان يتعلق بمجموعة من الخونة الفلسطينيين ممن أبدوا استعداداً للمشاركة في حكومة تكون بمثابة الدمية بين يدي الإسرائيليين، فإن إسرائيل، على ما يبدو، لم تبدِ أدنى اهتمام بذلك.

ومع ذلك، فإن فكرة دولة فلسطينية مستقلة في المناطق المحتلة غداة تحريرها من نير الاحتلال الإسرائيلي قد بدأت تدريجياً بالتبلور. ومن غير ريب، فإن الفضل يعود في ذلك بالدرجة الأولى إلى الحزب الشيوعي في الضفة الغربية. ففي العام ١٩٦٩ أُستند الحزب إلى مشروع التقسيم للعام ١٩٤٧ مستمداً منه حق السكان الفلسطينيين في المناطق المحتلة في مقاومة المعتدي، وإنهاء الاحتلال، بالإضافة إلى حق اللاجئين في العودة، وتقرير المصير على أرضهم الخاصة بهم.

وفي المقابل، تجسد الضغط الخارجي في شكل المشروع الأردني ضغطاً إضافياً شكلته الخطط الأردنية لقيام المملكة العربية المتحدة، وهو ما أثار -وبلا انقطاع- رد فعل سلبي بين الفلسطينيين القابعين تحت الاحتلال: "إن الملك حسين لا يملك حق التحدث باسمنا. فنحن نرفض مشروعه، ونقف ضد أي ارتباط لشعبنا بالعائلة الهاشمية".^{١٠٦}

وفي ظل هذا الوضع الذي يستثني الفلسطينيون معه، وبشكل قاطع، كلاً من الرجوع إلى المظلة الأردنية أو الضم إلى إسرائيل، فإن المسرح كان معداً لنزوع نحو دولة فلسطينية مستقلة بقيادة م.ت.ف. وقد بدأ الستار يرتفع عن ذلك بفضل هوية فلسطينية أضحت معالمها تتضح يوماً بعد يوم، بعدما ظهرت في مطلع السبعينيات في أشبه ما يكون ببقعة وطنية ثقافية (حضارية) ذات طابع كلاسيكي؛ فكانت هناك بلالين بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الفرق المسرحية التي لحقت بها، كما كانت هناك الأغاني السياسية الفلسطينية، والأدب الفلسطيني المعادي للاحتلال، وقد تمتعت جميعها بتوجه أساسي ذي طابع تقدمي واضح تلفه العلمانية بشكل كلي، وتغلب عليه صفات الطليعة الثقافية السياسية، تلك التي لا تأبه بمحرمات المجتمع التقليدي.^{١٠٧} فالتحرر بمعناه الواسع كان من ضمن المواضيع التي جمعها جدول أو برنامج المهام اليومية. أما الحوافز فقد استقتها هذه الطليعة الشابة من بيئتها الخاصة، كما كان لليسار أشياء أخرى من بيروت والغرب. كما كان لليسار الإسرائيلي (ماتسين) تأثيرات فعالة، وبخاصة منذ أن عقدت اتصالات شخصية وسياسية حميمة في أعقاب ١٩٦٧ مباشرة. ومع ذلك يبقى التأثير الأساسي لجو البعث الذي بدأ يسود قطاعات متنوعة من المجتمع الفلسطيني (بالذات تلك المراكز السكانية رام الله، والقدس، وبيت لحم) عاملاً على كسر جمودها. فانطلقت مجموعات من المعلمين والتلاميذ والطلاب وأساتذة الجامعات، بالإضافة إلى أفواج من السكان الشباب قدموا في البداية من منطقة القدس الكبيرة، للقيام بمشاريع العمل التطوعي في قرى ومدن أرضهم المحتلة.^{١٠٨} وقد أتت المساهمة النشطة للحزب

الشيوعي في هذه المبادرات لتكون أشبه بتعويض عن غياب الحزب أو موقفه المعارض للكفاح المسلح، الذي كان قد طغى على أحلام الشباب وخيالهم أكثر من أي شيء آخر. وإلى هذه الفترة بالذات تعود جذور المقاومة التي تميزت بها المقاومة الفلسطينية منذ العام ١٩٨٧، التي خلت، وإلى حد كبير، من العنف. وخلافاً للانتفاضة، شكل النضال الثقافي في بداية السبعينيات رأس الحربة بالنسبة للحركة، فمنه جاءت النبضات التي دفعت الكفاح السياسي ضد الاحتلال قدماً، ومن خلاله كان يتم حشد قطاعات جديدة من السكان وتسييسهم. فكان الفلسطينيون في مواجهة مباشرة مع الخصم القومي جداً إسرائيل، مميزون بشكل واضح في مقابل الأردن أو حتى العالم العربي بشكل عام، حيث أمامه بالذات بدأ الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية ينظر إلى نفسه كطليعة ثورية.

وأخيراً أصبحت العلاقات المباشرة بين مختلف تنظيمات م.ت.ف أو م.ت.ف نفسها، والمجتمع الفلسطيني في الداخل أكثر توثقاً وتعقيداً؛ ففي السنوات الأولى التي أعقبت ١٩٦٧ كان يتم فقط إرسال مجموعات مسلحة إلى المناطق المحتلة لتنفيذ عمليات أو القيام باغتيالات. بالإضافة إلى ذلك تم بالفعل استخدام الفلسطينيين القابعين تحت الاحتلال للمشاركة عملياً في العمليات الفدائية. إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى بدأت التنظيمات كافة بمحاولة خلق أرضية لها، ليس فقط من أجل العمل الفدائي، وإنما السياسي أيضاً. وقد لعبت عملية التثقيف التي كانت تحدث خلف القضبان دوراً مهماً في عملية تطوير المستوى للقيام بعمل أفضل من ناحية نوعية بعد الخروج من السجن. كما كان يتم إرسال عناصر شابة إلى الخارج، غالباً بهدف الدراسة، في خضم تطوير الكوادر، ورفع مستوى العناصر الجيدة. وقد بقي النشاط على اتصال مستمر مع قيادة المقاومة في بيروت، حيث حصلت الخلافات الأولى بين الداخل والخارج لتتطور في نهاية السبعينيات إلى صراع منظم على السلطة لم تلبث "فتح" وم.ت.ف بقيادة عرفات أن خرجت منه منتصرة وبشكل واضح؛ فالتصورات المختلفة حول أفضل السبل لدفع عملية التسييس في المناطق المحتلة قدماً، عوضاً عن الطريقة التي يجب من خلالها ممارسة وطنية فلسطينية تحت ظروف الاحتلال بشكل عام، كانت قد ظهرت مسبقاً في المرحلة التي خلت قيام الجبهة الوطنية. وحسب رواية كل من عبد الجواد صالح وإبراهيم الدقاق، وكلاهما من مؤسسي الجبهة الوطنية، فإن رد فعل قيادة م.ت.ف على أولى المبادرات التي انطلقت العام ١٩٧٢ في اتجاه إقامة جبهة وطنية في المناطق المحتلة كان سلبياً.^{١٠٩}

فالوضع الذي عاشته م.ت.ف بعد هزيمتها في الأردن الذي اتسم بالضعف يوضح بشكل كاف، تحفظات م.ت.ف على أية قيادة جديدة في المناطق المحتلة، في الوقت الذي استطاعت فيه الحركة في الداخل أن تؤكد نفسها. "فالقيادة في المناطق المحتلة لم

تدعّن لرأي قيادة م.ت.ف ... فقمنا بتشكيل الجبهة بلجنتها المركزية ... القيادة الأولى التي وحدت المنطقتين [الضفة الغربية وقطاع غزة] منذ العام ١٩٤٨ " ١١٠

وعلى ما يبدو فإن المبادرين إلى إقامة الجبهة الوطنية قد حاولوا التنسيق مع قيادة م.ت.ف في الخارج أينما كان ذلك ممكناً، وبخاصة أن ذلك كان يمنحهم في نهاية الأمر قدراً كبيراً من الشرعية الفلسطينية على المستوى الداخلي. فقد تم العام ١٩٧٢ إرسال مندوب عن المجموعة التحضيرية للجبهة الوطنية إلى عمان ودمشق وبيروت لتبادل وجهات النظر حول مسألة إقامة جبهة مع التنظيمات الفلسطينية المختلفة. ١١١ وفي كانون الثاني ١٩٧٣، اتخذ القرار السري بإنشاء جبهة. إلا أنه تم الانتظار حتى آب من العام نفسه حتى تم الإعلان عن برنامج الجبهة، وإقامة لجنتها المركزية. أما الجلسة الأولى للجنة المركزية فقد حصلت مع تأخير زمني جديد، وذلك في تشرين الثاني ١٩٧٣، حيث انبثق عنها الرسالة الرسمية الأولى للجبهة الوطنية الموجهة إلى م.ت.ف والمؤرخة في كانون الأول ١٩٧٣. ١١٢

وعلى الرغم من الجذور التاريخية، وظروف الوجود المختلفة لكل منهم والمتباينة بشكل واضح، فقد تطورت علاقات جيدة نسبياً بين الجبهة الوطنية و م.ت.ف في الأعوام ١٩٧٣/١٩٧٤، وذلك على خلفية المهام المتشابهة إلى حد كبير. فقد كانت الجبهة الوطنية حيث الحزب الشيوعي كتنظيم مسيطر تدعمه الجبهة الديمقراطية ذات التوجه السوفييتي المتزايد و م.ت.ف و "فتح" والجبهة الديمقراطية والصاعقة قد تبنا في تلك الفترة مشروع إقامة دولة مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ثم أصبح عليهم الدفاع عنه أمام الهجمات التي بدأت تهب من كل الأطراف.

إلا أنه وبعد نجاح الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة العام ١٩٧٤، والاختراق الذي حصل في مؤتمر القمة العربي في الرباط بالإضافة إلى خطاب ياسر عرفات في الأمم المتحدة الذي شكل الذروة، فإن شرعية م.ت.ف بقيادة عرفات في الداخل كما في الشتات قد تم لوقت ما ضمانها. وانطلاقاً من موقع القوة هذا، حاولت قيادة م.ت.ف بزعامة عرفات بسط سيطرتها الآن في الاتجاهات كافة، وبخاصة في المناطق المحتلة حيث الجبهة الوطنية صعبة المراس. وهنا يجب عدم التقليل من أهمية الخلافات الأيديولوجية - البرامجية بين الحزب الشيوعي من جهة، وقيادة م.ت.ف اليمينية الوطنية من جهة أخرى. فما كان يعني عرفات هو ترسيخ سلطة "فتح" / م.ت.ف حتى يتم على هذا الأساس تطوير برنامج سياسي واقعي، والعمل على وضعه موضع التنفيذ ضد كل العوائق. في المقابل، فإن الجبهة الوطنية بمشاركة الحزب الشيوعي والجبهة الديمقراطية كانت قد دخلت في عملية تحويل ثورية لمجتمع المناطق المحتلة؛ فقد ركزوا هنا وبشكل جوهري على العمل القاعدي على غرار برامج العمل التطوعي التي سبق ذكرها. ومهما يكن من أمر، فإن المجال لم يكن مفتوحاً أمام مبادرات سياسية كبيرة في ظل ظروف الاحتلال القائمة. من ناحية

أخرى، فإن قيادة "فتح" /م.ت.ف وبعد هزيمة الكفاح المسلح في الضفة الغربية العام ١٩٦٧، ثم في الأردن العام ١٩٧٠/١٩٧١، وأخيراً في قطاع غزة العام ١٩٧١، كانت قد انعطفت من غير رجعة، نحو مسار سياسي-دبلوماسي. ناهيك عن أنها لم تكن في يوم من الأيام مهتمة بثورة أو تحولات اجتماعية. فجل اهتمامها انصب في تلك السنوات على حشد كافة الشرائح الاجتماعية-الاقتصادية والقوى الاقتصادية من أجل أهدافها ولتتم السيطرة عليها. وقد زاد من هذه النزعة اشتعال الحرب في لبنان العام ١٩٧٥، إذ أن قيادة م.ت.ف لم تكن قادرة أو راغبة في القتال على كل الجبهات في وقت واحد أو ترك توجيه السلطة بمجموعة غير تابعة لها مباشرة. ففي العام ١٩٧٥ تم من بيروت الطلب من الجبهة الوطنية "أن تقصر نشاطاتها على التوقيع على مذكرات دعماً لسياسة م.ت.ف".^{١١٣}

أما أولى الخلافات الكبيرة فقد نشأت وبشكل يدعو للاستغراب، في سياق الانتخابات المحلية التي أعلنت عنها إسرائيل في المناطق المحتلة العام ١٩٧٦ التي تحولت فيما بعد إلى نصر سياسي كبير لـ م.ت.ف، وحسب رواية عبد الجواد صالح الذي احتفظ في ذلك الوقت بمقعد في اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف:

تباطأت (هذه) في اتخاذ قرار واضح بشأن دعم الانتخابات. فأغلب التصريحات كانت تنادي بمقاطعة الانتخابات، ما دفع (رئيس بلدية البيرة المبعد) وفي رسالة رسمية إلى اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف إلى التهديد بالاستقالة في حال عدم قيام هذه باتخاذ موقف واضح من الانتخابات ... فقط في آخر لحظة، وحينما كان موعد الانتخابات يقرع الأبواب، قررت م.ت.ف دعم القائمة الوطنية.^{١١٤}

إبان ذلك بدأت قيادة م.ت.ف في بيروت بتعليق كل آمالها على رؤساء البلديات الذين تم انتخابهم حديثاً بهدف تحييد الجبهة الوطنية، وهو الشيء الذي نجح على نطاق ضيق فقط، وبخاصة أن التأثيرات اليسارية كانت قد بدأت تترك بصماتها بشكل واضح على هؤلاء السياسيين المحليين. وفي هذه النقطة بالذات تقاطعت الأهداف السياسية لـ م.ت.ف مع سياسة اضطهاد عميق مارسها السلطات الإسرائيلية بشكل خاص ضد أولئك الوطنيين اليساريين من رؤساء البلديات. وكنوع من رد الفعل على مقررات كامب ديفيد (أيلول ١٩٧٨) التي قوبلت في المناطق المحتلة برفض جامع، قررت م.ت.ف إعادة إحياء الجبهة الوطنية.

فالقيادة الرسمية لـ م.ت.ف طلبت انضمام رشاد الشوا رئيس بلدية غزة المعين، وإلياس فريخ رئيس بلدية بيت لحم إلى اللجنة المركزية للجبهة ... ولما رفضت اللجنة المركزية للجبهة ذلك، طلبت قيادة م.ت.ف من عبد الجواد صالح فرض رئيسي البلديتين على اللجنة المركزية، وإلا فلن يكون هناك جبهة أبداً. وقال محمود عباس، عضو اللجنة المركزية لـ "فتح"، ذو النفوذ الواسع شخصياً: "إذا لم يكن الشوا وفريخ على رأس الجبهة، فلن يكون هناك جبهة قط".^{١١٥}

وفي الأسبوع ذاته أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي أرييل شارون اعتبار الجبهة الوطنية الفلسطينية خارجة عن القانون.

أما لجنة التوجيه الوطني التي تشكلت بشكل علني العام ١٩٧٨ في المناطق المحتلة للنضال ضد قرارات كامب ديفيد، فلم تعترف بها قيادة م.ت.ف.قط، ونتيجة لذلك لم تقم بدعمها مادياً أبداً.^{١١٦} فرئيس بلدية نابلس المنتخب بسام الشكعة الذي كان قد فقد كلتا ساقيه العام ١٩٨٠ في عملية نفذتها منظمة إرهابية إسرائيلية، يعيش اليوم، وإلى حد كبير، معزولاً في بيته في نابلس بعد عزله من منصبه من قبل سلطات الحكم العسكري الإسرائيلية العام ١٩٨٢، وتجاهله من قبل قيادة م.ت.ف. وفي العام ١٩٨٣ فقد عبد الجواد صالح مقعده داخل اللجنة التنفيذية لم.ت.ف. ولكن كيف يمكن تعليل هذه الاختلافات بين م.ت.ف. والجبهة الوطنية التي ترتب عليها في نهاية الأمر خلافات من هذا القبيل، وأين تقف على السلم التاريخي؟

تبقى مسألة عدم التوافق الزمني باعتبارها المدخل الأفضل لهذه القضية. ففي الوقت الذي بدأت فيه الجبهة الوطنية بالتشكل كانت "فتح" قد قطعت شوطاً بعيداً: فقد أحييت الوطنية الفلسطينية في الشتات، وخطت بالكرامة خطوة أساسية خروجاً من هزيمة ١٩٦٧ على طريق تحويل م.ت.ف. إلى حركة جماهيرية، واضعة بذلك الأساس لم.ت.ف. كتنظيم فلسطيني حقيقي بدلاً من دمية تحركها السياسة العربية الرسمية. ولما كان الكفاح المسلح لتحرير فلسطين كخيار معتمد من قبل "فتح" قد فشل في الأردن في الأعوام ١٩٧٠/١٩٧١، فقد حاولت "فتح" / م.ت.ف. في أعقاب ذلك بسط سلطانها، وكشروط مسبق لذلك، شرعيتها على الأصعدة كافة. وفي هذا السياق، يمكن اعتبار العام ١٩٧٤ محطة بارزة على الطريق. فالانعطاف التاريخي الذي أحدثته حرب أكتوبر مكن م.ت.ف. بقيادة عرفات من دفع برنامجها السياسي الجديد ومحوره الدولة الفلسطينية في المناطق المحتلة من خلال المجلس الوطني الفلسطيني، ثم الاعتراف بها كممثل شرعي وحيد دولياً وإقليمياً.

ومن هنا، فإن ظهور منافس محتمل من المناطق المحتلة صعب المراس، وليس من السهل إخضاعه لجهاز السلطة وعملية صنع القرار لم.ت.ف.، كان لا بد أن يلقي مقاومة. فحتى الديمقراطية الفلسطينية التي طال التطلع إليها لم تستطع هضم وجود مركزين لصنع القرار. عوضاً عن ذلك، فإن الجبهة الوطنية حاولت أن تخطو خطواتها الأولى هناك، حيث، حسب إدراك قيادة "فتح"، لم تفشل المقاومة في الأردن فحسب، بل وبها سببت كارثة: تحولات وتجارب اجتماعية، وتحطيم بنى سلطوية تقليدية... الخ. فأمام الجبهة الوطنية ارتأت "فتح" لنفسها دور الأخ الأكبر المتمرس الذي يريد أن لا يقع الأخ الأصغر في الأخطاء نفسها الذي كان هو قد وقع فيها، أو كسياسي لبق عليه أن يلحق ذلك الثوري المراهق درساً حول صناعة السياسة، وكيفية صناعة الأحداث.^{١١٧}

وفي مقابل موقف "فتح" هذا، وجدت الجبهة الوطنية نفسها في معضلة؛ فمن جهة استطاع الحزب الشيوعي كونه التنظيم الأقوى داخل الجبهة الوطنية أن يبنى على تقاليد عريقة ورحبية مقارنة بـ "فتح": فتحت تصرفها وضعت كل الخبرات التي جمعت لدى الشيوعية العالمية، ومن جهة أخرى لم تكن الأضواء لتسلط على الجبهة لولا النجاحات التي حققتها م.ت.ف بقيادة "فتح". وعلى الرغم من البنية التنظيمية التحتية التي حافظت على سريتها، فإن الحزب الشيوعي بقي دائماً أقرب ما يكون إلى حزب طليعي ذي العدد المحدود جداً وغير القادر ولو قليلاً على اجتذاب الجماهير المنشودة. فالجبهة الوطنية كانت بمثابة الناصية التي مكنت الحزب من الخروج قليلاً خارج الجيتو الذي أحاط به نفسه. من جهتها، فإن الجبهة الوطنية هي التي منحت قيادة "فتح" / م.ت.ف تلك الشرعية المطلوبة بشكل ضروري من المناطق المحتلة. في المقابل كانت "فتح" و م.ت.ف هما اللتان منحتا الشرعية للحزب الشيوعي في المجتمع الفلسطينية، وبخاصة بعد أن بقي الحزب ومنذ العام ١٩٤٨ موصوماً بشائبة الاعتراف السوفييتي بإسرائيل.^{١١٨} وعلى ما يبدو، فإن كلا من قيادة م.ت.ف في "الخارج"، وقيادة الجبهة الوطنية في "الداخل" كانتا في احتياج لبعضهما. ومن هنا، فإننا نتفق ومن غير تحفظ مع عبد الجواد صالح بأن كلا الطرفين، كشركاء متساويين في نضال مشترك، قد اختارا الحل الأفضل المناسب لهما الذي يتمثل في نوع من "الأيلولة الفلسطينية".^{١١٩} وبلا ريب، فإن م.ت.ف التي مقرها في الخارج امتلكت، وبخاصة في أعقاب حرب أكتوبر، الذراع الأطول الذي مكنها في نهاية المطاف من فرض سيطرتها على الجبهة الوطنية، فقد خصت نفسها، وبشكل لا يجارى، بسلطة أكبر. كما مثلت الشتات الفلسطيني بكافة قطاعاته وسيطرتها أو اعتمدت على جهاز مؤسساتي ضخم يتبع م.ت.ف. أما ما وضع تحت تصرفها من وسائل مادية، فقد منحها قدراً كبيراً جداً من حرية الحركة.

هل من بدائل ممكنة؟ هل استحوذ تاريخ المناطق المحتلة الحديث على معالم على الطريق، بحيث أن قراراً استراتيجياً كان سيفتح الطريق أمام إمكانية أخرى لتتقدم؟ يستدل من نظرة أولى مختارة على الفترة التي جاءت في أعقاب العام ١٩٧٢ أن حيز اتخاذ القرار الذي كانت تتمتع به م.ت.ف محصور جداً. ومنذ البداية دعم كل المطامح نحو إقامة جبهة وطنية، فإن إسرائيل كانت هي في النهاية التي قامت بإبعاد ثمانية من قادة الجبهة في كانون الأول ١٩٧٣؛ ثم لو افترضنا جدلاً أنه لم تكن هناك صراعات داخل الجبهة الوطنية أو لجنة التوجيه الوطني، فإن الحكم العسكري الإسرائيلي كان سيقوم بمنعها تماماً كما حصل مع لجنة التوجيه بعد ذلك بسنوات عدة؛^{١٢٠} وهل كان وقوف م.ت.ف خلف رؤساء البلديات من ذوي المراس الصعب كان سيمنع إقالتهم من قبل سلطات الاحتلال؟

ومن هنا يبدو الأمر عبيثاً حتى إن حاولنا التنبؤ، ما هو الممكن أن يحدث لو أن م.ت.ف. في الخارج قامت بدعم تام للقيادة السياسية في الداخل. في هذه الحالة ستسبق ردة الفعل الإسرائيلية الحكم.

واقع الأمر، فإن الجبهة الوطنية كانت تستطيع من طرفها الحاجة في أن سياسية دعم غير محدودة من قبل م.ت.ف. كان المحتمل أن تقود وبسرعة كبيرة جداً إلى تلك الدرجة من الحشد والتسييس للمجتمع الفلسطيني في المناطق المحتلة التي على أساسها قامت الانتفاضة العام ١٩٨٧: هل المقصود انتفاضة قبل موعدها بعشر سنوات؟

في المقابل، يأتي اعتراض قيادة "فتح" / م.ت.ف. التي تشتمل على قدر من الصحة في أن الجبهة الوطنية لم تسعَ قط إلى حشد المجتمع الفلسطيني بأكمله، بل كانت تركز دائماً على مجموعات اجتماعية معينة مستتنية بذلك قطاعات إستراتيجية، على سبيل المثال المجموعات الاجتماعية التقليدية في الضفة الغربية وقطاع غزة، والبرجوازية والدوائر المؤيدة للأردن، التي كان يجب كسبها إلى جانب الوطنية الفلسطينية. وبالتالي، فليس من المفاجئ أن يتم حسم التطور السياسي على المستوى الفلسطيني الداخلي على أساس توازن القوة بين الداخل والخارج، وفي المجابهة بين الأيديولوجية الوطنية البرجوازية الصغيرة وبرامجية "فتح" من جهة، والشيوعية الوطنية التي مثلها الحزب الشيوعي والجبهة الديمقراطية من جهة أخرى، وقفت الأغلبية وبشكل واضح إلى جانب "فتح". إلا أنه وفي نهاية المطاف وقفت تلك القوة العاتية لدولة إسرائيل لتوقف ليس الجبهة الوطنية فحسب، وإنما م.ت.ف. أيضاً عند حدودهما.

ب. الكفاح المسلح في المناطق المحتلة

أن يتم التوحد في نضال مشترك لا يعني بالضرورة التطابق الكامل. لقد كان هناك خلاف جوهري بين كلا الشريكين... فالشعار "السلاح وحده يتكلم" لم يلعب أبداً دوراً مهماً في حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال، على الرغم من أنه، من ناحية عاطفية، كان مهماً جداً... فالأولوية بالنسبة للفلسطينيين تحت الاحتلال تشكيل شعب، وبناء مؤسسات تستطيع الصمود أمام الاحتلال. وحتى نضالهم غير المتسم بالعنف فقد أخذ شكل بناء تنظيمات جماهيرية هدفها قيادة النضال مع مجموعات العمل التطوعي، والتعاونيات في كل المجالات، وحركات المرأة والطلاب، وحملات مكافحة الأمية والتصنيع المنزلي.^{١٢١}

هكذا صاغ عبد الجواد صالح جوهر المشكلة التي أثارها تكتيك أو إستراتيجية الكفاح المسلح في المناطق المحتلة. وكما القوميين، فقد فشل عرفات في محاولته العام ١٩٦٧ تنظيم ثورة شعبية في الضفة الغربية ضد الاحتلال. وبعد الذروة التي لم يسبق أن بلغت العمليات المسلحة من الخارج أو الداخل سواء ضد الاحتلال أم دولة إسرائيل

بشكل عام، (١٩٦٩: ٢٤٣٢ عملية حصيلتها ٢٤٣ قتيلاً في الجانب الإسرائيلي، ٢٤٠ في الجانب الفلسطيني) فقد تراجع عدد هذه العمليات منذ ١٩٧٠ بشكل سريع ومستمر^{١٢٢}. وقد عرفت سنة ١٩٧١ هزيمة المقاومة في الأردن، بالإضافة إلى التحطيم النهائي للكفاح الفدائي المنظم محلياً في قطاع غزة (بشكل خاص من قبل قوميين سابقين أو كوادر الجبهة الشعبية). ومنذ ذلك الحين اقتصر الكفاح المسلح في المناطق المحتلة على عمليات تقوم بها خلايا عسكرية تعمل بشكل سري، وينعدم بينها التنسيق، تشكلت في غالبيتها من "فتح" والجبهة الشعبية، وعلى اعتداءات تقوم بها وحدات انتحارية تنطلق غالباً من لبنان في محاولات فاشلة لإطلاق سراح معتقلين فلسطينيين من السجون الإسرائيلية، وذلك من خلال استخدام مدنيين إسرائيليين كرهائن. ولأنه لم تتم مراعاة الخط المرسوم أصلاً الذي يفصل بشكل واضح بين الأهداف العسكرية والمدنية في كل العمليات (سواء من الداخل أم من الخارج) ولأن أكثرية ضحايا هذه الهجمات كانوا مواطنين إسرائيليين عاديين غالبيتهم من الشباب أو أطفال وكبار، فإن مردود ذلك على الحركة الوطنية الفلسطينية، وبخاصة على صعيد السياسة الدولية كان شراً ووبالاً. ومع عمليات خطف الطائرات المخيفة، وهجمات شنها فلسطينيون ضد إسرائيليين ويهود في أوروبا، بالإضافة إلى الحرب السرية بين الموساد الإسرائيلي والمخابرات الفلسطينية، كل ذلك ساهم في بداية السبعينيات وبشكل حاسم في نشوء صورة الفلسطيني الإرهابي.^{١٢٣}

وبشكل يبدو للوهلة الأولى متناقضاً، فإن هذه الصورة المشوهة للنضال الفلسطيني من أجل تقرير المصير الوطني نشأت بالذات في وقت قامت فيه قيادة "فتح" /م.ت.ف بتحويل المسار الإستراتيجي من الكفاح المسلح إلى الكفاح السياسي الدبلوماسي. فمن وجهة نظر السكان الفلسطينيين في المناطق المحتلة، فإن ذلك التطور قد حصل بشكل مختلف جداً ودونما علاقة بالإرهاب. فغالبيتهم الفلسطينيين تحت الاحتلال رأوا في كفاح م.ت.ف في "الخارج" والجبهة الوطنية في الداخل جهوداً تهدف إلى إنهاء الاحتلال، ووضع حق تقرير المصير في إطار دولة فلسطينية موضع التنفيذ. وبشكل مواز لذلك، وكجزء لا يتجزأ من هذه الأهداف السياسية العملية، وجد الفلسطينيون أنفسهم في طور قيام شعب بما يعني ذلك من بروز هوية فلسطينية خاصة. وهنا بالذات تكمن أهمية الكفاح المسلح، وبشكل خاص بالنسبة للأراضي المحتلة.

فالتجارب التاريخية للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة كان قد طغت عليها وحتى العام ١٩٦٨ سلسلة من الهزائم المعقدة، سواء من قبل الحركة الصهيونية المتفوقة عسكرياً أو منذ العام ١٩٤٨ من قبل دولة إسرائيل.^{١٢٤} أما التحول، وفي الوقت نفسه ساعة ميلاد الوطنية الفلسطينية الحديثة، فقد أتت به معركة الكرامة التي شكلت نقطة الانطلاق الحاسمة للدور الأساسي الذي من المفترض أن يلعبه الكفاح المسلح

في عملية صنع الهوية الوطنية الجماعية للفلسطينيين. وهنا نخال أنفسنا أمام مرآة نرى فيها إلى حد كبير صورتين متشابهتين، الأولى تعكس الواقع الإسرائيلي والدور المركزي للجيش الإسرائيلي فيه، والثانية تلاحق تطور واقع فلسطيني أصبح الفدائي الفلسطيني فيه مركز الثقل. فالتاريخ الفلسطيني المعاصر هو أشبه بتأكيد، ولو بأثر رجعي، للطرح النظري حول أهمية العنف في عملية تحرير شعوب العالم الثالث عند فانون (F.Fanon). فـ "فتح" بالذات استندت منذ مطلع الستينيات وبشكل واضح إلى فانون، تاركة أدبياته توزع على أعضائها.

فتحت الاحتلال وما يعنيه ذلك من تحارب يومييه مذلة على يد الجيش الاسرائيلي، ولاحقاً على يد المستوطنين اليهود أيضاً، كان للكفاح المسلح بلا شك، تأثيره الإيجابي في خلق الهوية: فعاطفياً أعاد للكثير من الفلسطينيين ذلك الشعور بالكرامة والثقة التي حطمها الجيش، وسياسياً حمل في طياته الأمل بالنجاح في تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية، على الرغم من التفوق العسكري الساحق للجيش الإسرائيلي.^{١٢٥} وقد جسد هذا الأمل ما حصل لاحقاً في الانتفاضة من قلب المقارنة الدعائية الإسرائيلية رأساً على عقب: فبدلاً من داود الإسرائيلي الذي يصارع جوليات العربي، أصبح هناك الآن داود فلسطيني يكافح ضد جوليات الإسرائيلي.^{١٢٦}

وفي ذلك الوقت بالذات، وعندما تم الاعتراف بـ "فتح" من قبل الفلسطينيين في الداخل كقائدة للوطنية الفلسطينية الشرعية، أي في الأعوام ١٩٧٣/١٩٧٤، كانت "فتح" وبشكل واضح، قد انعطفت إلى طريق الكفاح السياسي. وهو ما عكس نفسه في نهاية الأمر في مقررات المجلس الوطني الفلسطيني، حيث أخلى الكفاح المسلح "بوحدايته" مكانه بشكل تدريجي للاعتراف بالسياسة كطرف متكافئ. ومع ذلك فإنه لم يتم حتى اليوم التخلي عن الكفاح المسلح وحتى لو حاول عرفات في كانون الأول ١٩٨٨ نبذ كل ألوان الإرهاب وبشكل لا يقبل التأويل.^{١٢٧}

وبذلك تطور، على الأبعد منذ العام ١٩٧٤، تناقض داخل السياسة الفلسطينية ليكون، ربما، رهانها الأصعب؛ فمن جهة تم التخلي عملياً عن أسبقية العمل الفدائي أو الحرب الشعبية، إذ بدأت م.ت.ف في الخارج بالنضال على المستوى السياسي والدبلوماسي من أجل أهداف الوطنية الفلسطينية. أما في الداخل، فقد اتبعت الجبهة الوطنية، والتشكيلات التي انبثقت عنها (وبخاصة لجنة التوجيه الوطني) إستراتيجية منظمة للعصيان المدني، والمقاومة مستخدمة اللاعنف. في الوقت نفسه تم بشكل رسمي المرة تلو المرة، التأكيد من خلال دعوات كلامية على الكفاح، وأهميته ليس فقط من قبل قيادة "فتح" وم.ت.ف، وإنما أيضاً من قبل الجبهة الشعبية، والديمقراطية، وكل التنظيمات الأخرى (باستثناء الحزب الشيوعي الذي اشتهر بذلك).

وفي هذا السياق، يتحدث يزيد صايغ، أحد أبرز منتقدي النضال العسكري لـ م.ت.ف. عن "نواقص أساسية في الإستراتيجية العسكرية السياسية لـ م.ت.ف"، التي تمثلت بشكل خاص في عدم اتباع م.ت.ف والتنظيمات ذات العضوية فيها لأهداف سياسية أو عسكرية محددة بشكل واضح عند القيام بعمليات عسكرية. ومن خلال ذلك، والحديث لا يزال ليزيد صايغ، اضطرب النضال العسكري الفلسطيني في تناقض مستمر، وصل في الغالب حد التصادم المباشر مع الأهداف السياسية المنشودة في الوقت نفسه: "شكل ومنطق العمل العسكري الفلسطيني في الفترة الممتدة من ١٩٤٧-١٩٨٢ ... لم يستند أبداً إلى الأهداف السياسية النشيطة، التي حاولت م.ت.ف تحقيقها".^{١٢٨}

وفي نهاية المطاف، فإن الأهداف السياسية ذاتها كان يتم طمسها من خلال الأعمال العسكرية. وهنا أخالف يزيد صايغ الرأي؛ ففي اعتقادي أنه من الأفضل الانطلاق من أن م.ت.ف بزعامة عرفات لم تمتلك في يوم ما إستراتيجية عسكرية سياسية أو مارسستها عملياً. وإذا ما استرجعنا كلمات أبو جهاد، القائد العسكري بين المؤسسين الأوائل لـ "فتح"، فإن أهمية الكفاح المسلح الذي انتهجته "فتح" / م.ت.ف كمنت في "إصرار [الفلسطينيين] على التمسك بالكفاح المسلح، بأبعاده الشاملة تلك لتحقيق كل أهدافهم".^{١٢٩} وعلى ما يبدو، فإن فلسطينيي المناطق المحتلة ربطوا الكفاح المسلح بهذا المعنى بالذات.

ويبقى هذا المقام حري بالسؤال حول الكيفية التي طبقتها م.ت.ف في المجتمع الفلسطيني بقطاعاته كافة، وبشكل خاص أولئك القابعون تحت الاحتلال للجمع بين الكفاح المسلح كأيدولوجية تم إعداد شأنها مع واقع النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي الذي اتسم إلى حد كبير باللاعنف. وإذا ما طبقنا ذلك بشكل إيجابي، فإنه يجب مواصلة السؤال عن السبب وراء عدم تطور أيدولوجية حركة للنضال الفلسطيني ضد الاحتلال أو على الأقل إستراتيجية أولية للعصيان المدني، وذلك منذ العام ١٩٧٤؟ واقع الأمر، أن ذلك حدث عملياً وبشكل تدريجي منذ بداية السبعينيات في المناطق المحتلة. أما المحاولة الوحيدة من جانب قيادة "فتح" / م.ت.ف لإلباس النضال السياسي الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي ثوباً أيدولوجياً، فقد تمثلت في صياغة شعار الصمود: على الفلسطينيين الصمود في مواجهة الاحتلال حتى لا يتم الرضوخ أمام بطش السلاح كما حصل العام ١٩٤٨، ومرة أخرى العام ١٩٦٧، وبالتالي التخلي أو إضاعة الوجود المادي في فلسطين.

"إن مجرد صمود يوم واحد، هو انتصار صغير"، عبارة وردت على لسان ياسر عرفات العام ١٩٧٣.^{١٣٠} ثم كان للصمود معنى آخر؛ ففي العام ١٩٧٨، وكرد فعل مباشر على اتفاقيات كامب ديفيد التي تجاهلت الفلسطينيين كشعب وم.ت.ف كقيادته السياسية، ارتفعت كلمة صمود كشعار سياسي يعبر عن الرفض الفلسطيني والعربي

لهذه الاتفاقيات المصرية الإسرائيلية. ومن هنا قرر مؤتمر القمة العربي المنعقد في بغداد في تشرين الثاني ١٩٧٨ دعم الفلسطينيين في نضالهم ضد الاحتلال من خلال أموال الصمود، فكانت هناك اللجنة الفلسطينية الأردنية التي عملت على تمرير الأموال إلى الأراضي المحتلة.^{١٣١}

أما التطورات التي استبقت حصول مثل هذا القرار فتشكل في محصلتها نتيجة للمشروع الذي أقره المجلس الوطني العام ١٩٧٤ الداعي إلى إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على كافة المناطق التي يتم تحريرها من إسرائيل. وهكذا تم تمهيد الطريق لتطور يهدف إلى نقل مركز ثقل النضال التحرري الفلسطيني من الشتات إلى فلسطين ذاتها، أو ما تبقى منها، وتركه يتخذ شكل حرب التحرير شيئاً فشيئاً. وهو ما كان يعني بالنسبة لقيادة "فتح" / م.ت.ف أن الجبهة الوطنية المشكلة العام ١٩٧٣، عليها أن تسقط رويداً رويداً بين يدي "فتح". ولما ظهر أن الأمر ليس بتلك السهولة، حجب عرفات كل ألوان الدعم عن الجبهة الوطنية، ولجنة التوجيه الوطني التي تشكلت لاحقاً. في الوقت نفسه وبشكل مواز لذلك، بدأت "فتح" في إقامة بنية تنظيمية سياسية في المناطق المحتلة كانت نسخة طبق الأصل عن التركيبة الداخلية لـ "فتح: في الشتات: مجموعة كاملة من أنظمة مختلفة، ومستقلة كلياً عن بعضها البعض، وتعمل في الغالب على أساس مبادئ يطبعها التناقض بشكل جزئي، ويلفها ويجمعها ويسيطر عليها أن لا سند لها سوى القيادة في "الخارج".

أما الشخصيات القيادية في المناطق المحتلة، فكان يجب كسبها إلى جانب "فتح"، وإلا فمصيرها التحديد. فبنية تحتية لدولة على شكل مؤسسات عديدة كانت في طور البناء، في حين كان على رجال "فتح" العمل من أجل السيطرة على المؤسسات القائمة. في الوقت نفسه تم إنشاء روابط حرفية، وتنظيمات قاعدية وجماهيرية، أو تم ختمها بختم "فتح". وحتى في العام ١٩٨٠، فقد كان من المتعذر تجاهل هذه النجاحات أيضاً من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

في كلتا السنتين الماضيتين أقامت م.ت.ف بالاشتراك مع القيادة في المناطق المحتلة... بنية تحتية، يمكن اعتبارها كقاعدة لدولة فلسطينية... هذا حدث في شكل تنظيم للمجتمع السياسي... ولتمويل هذا المشروع التنظيمي الواسع، تم ضخ أموال م.ت.ف ومؤتمر بغداد قيمتها حوالي ١٥٠ مليون دولار في السنة، منها ١٠٠ مليون دولار للضفة الغربية وحدها...^{١٣٢}

وعلى الرغم من أن "فتح" كانت قد أخذت على عاتقها آنفاً العام ١٩٧٤ وضع المناطق المحتلة في صدارة عملها السياسي التنظيمي، ثم أتت الحرب في لبنان العام ١٩٧٥ لتخلق ضغطاً إضافياً في هذا الاتجاه، وتم بلوغ الذروة عندما تم اعتبار نتائج الانتخابات البلدية العام ١٩٧٦ كأكبر نجاح حققته م.ت.ف حتى ذلك الحين، فإن

صدمة على غرار مقررات كامب ديفيد كانت ضرورية من أجل دفع "فتح"، ومعها أيضاً الجبهتان الشعبية والديمقراطية إلى تركيز نشاطها في حشد المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وتنظيمه. وفي النهاية، فإن حرب إسرائيل ضد م.ت.ف. في لبنان العام ١٩٨٢ التي نتج عنها إخلاء الجهاز الكامل لم.ت.ف. من بيروت قد أتت على آخر البدائل. ويضع خالد الحسن النقاط على الحروف ليصور لنا العام ١٩٨٣ الوضع المستجد: "أعتقد أن السكان في الداخل يتمتعون الآن بقدر أكبر من الأهمية بالمقارنة معنا. فدعمهم لنا يمنحنا شرعية دولية... إنهم مبعث مقاومتنا الأخير".^{١٢٣}

أما اليسار (الجبهة الديمقراطية والحزب الشيوعي والجبهة الشعبية) فقد ركز نشاطه الحشدي والتنظيمي على التنظيمات القاعدية مثل الحركات النسائية والطلابية، اتحادات العمال بالإضافة إلى اللجان الطبية والزراعية، محققاً في ذلك، وبشكل يدعو للدهشة، نجاحاً كبيراً. فتقليدياً كان التلاميذ والطلاب نشيطين سياسياً وبشكل بارز داخل المجتمع الفلسطيني عوضاً عن استعداد مسبق لاستقبال البرامج اليسارية بشكل رحب. وبواسطة لجان المساعدة الذاتية تم التعرض للمشاكل الاجتماعية القائمة، وتطوير طرق نموذجية للحل.^{١٢٤}

في المقابل، خاطبت قيادة "فتح" / م.ت.ف. كافة قطاعات المجتمع الفلسطيني: وجهاء وسياسيون موالون للأردن، وجيل جديد مما يسمى بالشخصيات الوطنية، وتجار، ورجال أعمال، وعدد قليل من الصناعيين، ومجموعة عريضة من المهن الحرة، واتحاداتها المهنية، ومعلمون وأساتذة جامعات، وحتى طلاب وتلاميذ، وأخيراً -وقد سبقهم اليساريون في ذلك- المرأة والعمال. وعلى الرغم من أن كثيراً من توغلاتهم في دوائر البرجوازية، وتلك الصغيرة منها كانت ناجحة جداً، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تعني -وإلى حد كبير- الانحراف عن مبدأ الصمود؛ فبدلاً من دعم المجتمع الفلسطيني ككل، وفي المقدمة القطاعات المحتاجة، ازدادت عائلات غنية في غناها، وبلا انقطاع تقريباً انصبت الأموال في جيوب تتمتع بعمق غائر، أصحابها أولئك الأغنياء الجدد ممن احترفوا السياسة، انتهازيون ووصوليون. فأحد الفصول الأكثر إيلاماً في تاريخ م.ت.ف. في لبنان نجح في العودة إلى خشبة المسرح في الثمانينيات يستعرض نفسه من جديد في الضفة الغربية وقطاع غزة. فقيادة "فتح" / م.ت.ف. وبشكل خاص جداً عرفات الذي اعتاد أن يعيش في منتهى التواضع وحتى الخشونة لم يستطيعوا أو ربما، لم يريدوا وضع حد لذلك. فاليسار مجتمعاً غاظه، وبحق، تبذير الأموال، وهي التي كانوا في أمس الحاجة إليها للقيام بنشاطهم الاجتماعي.^{١٢٥}

أما الاختراق الحاسم على المستوى الجماهيري فقد حققته "فتح" من خلال التنظيم الشبابي "الشبيبة" التي نشطت في مطلع الثمانينيات في الجامعات والمدارس، بالإضافة إلى مخيمات اللاجئين والقرى والمدن. وللوهلة الأولى يبدو متناقضاً،

فإعراض قيادة "فتح" عن الكفاح المسلح (١٩٧١-١٩٧٢) يتم العمل به للمرة الأولى على مستوى القاعدة من خلال تنظيم الشبيبة، وهو ما مكن من تطوير إستراتيجية وتكتيك جديد في النضال من أجل الاستقلال، أو أنه لفت الانتباه للمرة الأولى بشكل لا لبس فيه إلى عدم وجود مثل هذه الإستراتيجية النضالية، وبخاصة على ضوء السياسة القمعية المتزايدة للاحتلال.

ويتحدث الصحفي الإسرائيلي أيهود يعاري، الذي اشتهر باتصالاته الجيدة مع المخابرات الإسرائيلية، وإطلاعه على المعلومات التي تملكها عن المقاومة الفلسطينية، في سياق تعرضه للشبيبة عن "واقعية حديثة الاكتساب" تعكس نفسها في "أدبهم الكفاحي".^{١٣٦} فالكراسة رقم ١ كانت عبارة عن مرشد مفصل في كيفية تنظيم المظاهرات وتنفيذها. أما قنابل المولوتوف، سلاح الشباب الأكثر شعبية في المناطق المحتلة، فتمت مناقشتها عن كثب مع التعرض للأوجه الإيجابية والسلبية لها. وكراسات أخرى انشغلت وبشكل مفتوح جداً، بمسألة العمليات الفدائية التي تنطلق من "الخارج" تلك الأخطاء التكتيكية والعملية التي حصلت، ولكن وبشكل خاص مسألة اختراق كافة فصائل المقاومة من قبل عملاء إسرائيليين. وأخيراً تم تخصيص كتاب كامل لمسألة الاعتقال في السجون الإسرائيلية، وما ينتظر المرء هناك. على سبيل المثال، كيف يتصرف المرء أثناء التحقيق معه من قبل الجيش أو المخابرات.

لكن ما هي معالم الإستراتيجية الجيدة للشبيبة التي من المفترض أن تحول بعد وقت قصير الكفاح المسلح إلى شيء قديم الطراز؟ هذه الإستراتيجية يبرزها يعاري، وبشكل معبر جداً، من خلال تقييم مخيم بلاطة للاجئين (بالقرب من نابلس) كمثال. فقد كان في العام ١٩٨٢ قد تم هناك تأسيس حركة شبيبة، وذلك في أعقاب قيام الجيش الإسرائيلي بإغلاق ناد للشباب كان يخدم كمركز لتجنيد نشيطين لـ "فتح". الشيء المثير للسخرية هو أن الشبيبة كانت أكثر نجاحاً من سابقتها، ولم تلبث أن تحولت إلى وسيلة فعالة ساعدت السكان، ولكنها في الوقت نفسه سيطرت عليهم؛ فقيادة الشبيبة "خليط من طلاب... سجناء وسياسيين سابقين أطلق سراحهم، ومشاكسين عاديين" بسطت بسرعة فائقة سلطتها على المخيم. "فأعضاء الحركة كانوا يقومون بأعمال الدورية في طرقات المخيم ليلاً. فعائلات المتعاونين كان عليها مغادرة المخيم، وتجار السموم، وصالات لعب القمار، ومن مارسوا الدعارة، والقوادون تم نبذهم اجتماعياً. فالشبيبة تابعت بعزم وإصرار مهمتها في المحافظة على الروح العامة والوطنية، ولم تلبث أن مارست سيطرة غير محدودة على كل المجالات في المخيم تقريباً. فتم تنظيم أعمال تطوعية ساعدت في تشييد الطرقات، وتحسين المجاري، وتنظيم عملية جمع القمامة، بالإضافة إلى تصليح المسجد. وقد لعبت الرياضة، وبشكل خاص كرة القدم، دوراً مركزياً".^{١٣٧}

وبفضل سيطرة الشبيبة السياسية والاجتماعية على المخيم لم يعد الجيش الإسرائيلي يجرؤ على الدخول إلى المخيم. "فالحجارة تطايرت ليلاً نهاراً في بلاطة ... وكوكتيل المولوتوف تحوّل إلى مشكلة أصبحت معها دوريات الجيش تتجنب المخيم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. فبلاطة كانت قد أعلنت تمرداً قبل كانون الأول ١٩٨٧ مخلصاً نفسها بذلك من قبضة الإدارة الإسرائيلية واقفة وقفة رجل واحد خلف مليشيا غير مسلحة تتبع الشبيبة".^{١٣٨} في المقابل، وجد في غزة الجهاد الإسلامي الأصولي الذي حاول الوصل مع العمل الفدائي الذي حصل في السنوات الأولى للاحتلال.

وفي السنوات ١٩٨٦/١٩٨٧ قامت بعدة عمليات فدائية ناجحة.^{١٣٩} وحسب معلومات المخابرات الإسرائيلية، فقد ارتبط الجهاد الإسلامي مع "فتح" من خلال حلف رخو، حيث شكل أبو جهاد كقائد للقطاع الغربي الوسيلة لذلك. "لقد أراد ضخ دم جديد في جهازه العسكري المتآكل فظهرت حركة الأصوليين الشباب بالنسبة له كمجال ممتاز للتجنيد. بالإضافة إلى ذلك، فقد أخذ على عاتقه السيطرة على كل مجموعة تقوم خارج م.ت.ف، وذلك لتجنب التنافس... فـ "فتح" كانت تقوم بالتخطيط وتقديم السلاح، في حين يقدم الجهاد الفدائيين".^{١٤٠}

أما اليسار الفلسطيني، وفي المقام الأول الجبهة الشعبية، فقد استمر في التراجع حاملاً النقد المقلّب ضد "فتح" متهماً إياها بإهمال الكفاح المسلح، وبدلاً من ذلك التركيز فقط على النشاط السياسي - الدبلوماسي. وعلى الرغم من ذلك، فإن اليسار بقي حتى الآن عاجزاً عن طرح إستراتيجية بديلة للكفاح المسلح في ظل الظروف الخاصة للاحتلال الإسرائيلي، ناهيك عن تدبّر عن تطبيقها. وفي هذا المضمار بالذات، تمكن الجهاد الإسلامي من خطف الأضواء من اليسار. إلا أنه هو أيضاً فشل أمام القوة والفاعلية العسكرية المتفوقة للجيش الإسرائيلي.

وعلى الرغم من التأثير المحفز للجهاد الإسلامي، والعمليات التي قام بها في قطاع غزة، فقد كانت الانتفاضة هي المبادرة إلى إظهار التفوق الواضح للنضال، الذي اتسم إلى حد كبير باللاعنف، وبتخليه عن قصد عن استخدام السلاح، على النضال التقليدي المسلح.

هوامش الفصل الخامس

^١ كأمثلة، تم، من ناحية، ذكر شيلر (١٩٨٢)، ومن ناحية أخرى، جريش (١٩٨٤). حول شيلر انظر الدراسة النقدية التي قام بها شيفلر (١٩٨٤) ص ١١٣ وما بعدها، وحول جريش، انظر دراستي النقدية (Baumgarten, 1987b)، ص ١٦٢-١٦٩.

^٢ حول قصة م. ت. ف، انظر كوبان (Shemesh, 1984). (Cobban, 1984 and 1988)، ص ٤٢ وما بعدها. شعبي (١٩٧٩/١٩٨٠)، حوراني (١٩٨٠)، و(Quandt, 1973) ص ٦٧-٧٣.

^٣ كوبان (١٩٨٤) ص ٤٣، "المكتب الدائم" شمل بالإضافة إلى "فتح" مجموعة من التنظيمات الصغيرة، لم تلبث أن انضمت إلى "فتح" في كانون الثاني ١٩٦٨. انظر تحت ص ٢٢٠.

^٤ مقتبس حسب كوبان (١٩٨٤)، ص ٤٣ و ص ٢٦٧-٦٨.

^٥ انظر عطا (١٩٨٦)، ص ٢٧٦، كوبان (١٩٨٤)، ص ١٥، ٣٤، ٥٣. وهاني الحسن (١٩٧٢)، ص ١١. انتقادات الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية لذلك عند هب (١٩٨٥) ص ٢١٩ حول الوضع في الخليج انظر باومغرتن / بوتنر (Baumgarten/Buettner, 1985).

^٦ حول أهمية هذه الهزيمة والتعاطي معها من خلال منظور نقدي، انظر زريق (١٩٦٧)، العظم (١٩٦٨)، وبشكل عام (Scudder Jr, 1971).

^٧ في العام ١٩٦٧، استبدلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أيديولوجية القومية العربية، التي تم، منذ نهاية الخمسينيات، ومن خلال عملية طويلة، البدء بإدخال أفكار اشتراكية إليها، بالاشتراكية العلمية كأيديولوجية. على أن التحول في الخطاب هذا، عليه ألا يغيب عن أعيننا أن الأفكار المركزية التي سادت في سنوات الخمسينيات والستينيات لم تفقد أهميتها، حتى في ما بعد ١٩٦٧. في حين تم استبدال المفردات اللغوية التي شاع استخدامها آنذاك إلى حد كبير.

مقتبس حسب هب (١٩٨٥) ص ١٢٣. انظر أيضاً كزيجة (١٩٧٥)، ص ٨٤ وما يتبع.

^٨ مقابلات مع قبعة، ٢٨ آب ١٩٧٨، حبش ٢٦ شباط ١٩٧٩، أبو ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨.

^٩ الحرية، ١١ كانون الأول ١٩٦٧، ص ٣. انظر كزيجة (١٩٧٥)، ص ٨٦. هب (١٩٨٥) ص ٢١٧.

^{١٠} مقابلة مع فضل شورو، ١٧ آب ١٩٧٨. انظر كوبان (١٩٨٤) ص ١٦١ وما بعدها، كزيجة (١٩٧٥)، ص ٨٦.

^{١١} مقابلات مع صخر، ٢٨ أيلول ١٩٧٨، مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨، الحوت، ٣ أيار ١٩٧٨، انظر أيضاً كوبان (١٩٨٤) ص ٤٣.

^{١٢} مقابلة مع تيسير قبعة، ٨ أيلول ١٩٧٨. قبعة ترك القاهرة مباشرة بعد انتهاء الحرب، ليعود إلى مسقط رأسه، قلقيلية، في الضفة الغربية. مباشرة بعد عودته، تمت الوشاية به واعتقاله.

^{١٣} مقابلات مع أبي ماهر، ٢٦ تموز ١٩٧٨، جورج حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩، أبو عدنان، ٢٥ آب ١٩٧٨.

^{١٤} هب (١٩٨٥) ص ٢١٩، الذي يقتبس هنا من برنامج - آب للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (١٩٦٨): التقرير السياسي الأساسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (بالعربية)، ص ٤٨.

^{١٥} حجار (١٩٧٥)، ص ١٢٥، ١٣١. كوبان (١٩٨٤) ص ٤٤. مقتبس أعلاه حسب هب (١٩٨٥) ص ٢٣١.

^{١٦} هب (١٩٨٥) ص ٢٢٠، الذي يقتبس من برنامج آب، ص ٥٩، وما يتبع.

^{١٧} حول دور المنهج العلمي انظر المقابلات مع جورج حبش، ٢٦ شباط ١٩٧٩، وتيسير قبعة، ٢٨ آب ١٩٧٨. انظر فرانك (Frank, 1989)، ص ١٠٦ وما بعدها.

^{١٨} هب (١٩٨٥) ص ٢٢١. مقابلة مع نايف حواتمة، ١٤ تموز ١٩٧٩. انظر أيضاً كزيجة (١٩٧٥). تدخل "فتح" أدنى، فقط، إلى إنهاء إطلاق النار، الذي ساد شوارع عمان من غير تمييز، وحال دون تصفية أنصار حواتمة. بخصوص ذلك، المقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨.

^{١٩} هب (١٩٨٥)، ص ٢٢٠، انظر أيضاً (Jeune Afrique, 1969) ٤٢٩، ص ٥٠-٥٠. تشاليند (Chaliand, 1971) يتحيز بشكل واضح للجهة الديمقراطية. غير أن عمله يبقى دون دلالة. خاصة إذا ما قارن المرء بين برنامجي الجهة الشعبية والجهة الديمقراطية في الفترة الواقعة بين ١٩٦٩-١٩٧٢.

^{٢٠} هب (١٩٨٥)، ص ٢٢٠-٢٣٠، (Jeune Afrique, 1969) ٤٢٩، ص ٥٠-٥٣، (Chaliand, 1971).

^{٢١} (Jeune Afrique, 1969) ٤٢٩ ص ٥١، حسب هب (١٩٨٥) ص ٢٢١.

^{٢٢} مقابلة مع حبش، (Spiegel 8, 1970)، ص ٨٤.

^{٢٣} هب (١٩٨٥) ص ٢٥٤، الذي يقتبس من "مهمات المرحلة الجديدة"، ص ١٧٢ وما يتبع.

^{٢٤} (New Left Review 6) (١٩٧١) ص ٥٤. مقتبس حسب هب (١٩٨٥) ص ٢٦٤.

^{٢٥} انظر:

(Hirst, 1977, reprint 1983), p306, (Hart, 1984), p307, (Cobban, 1984), p54f., (Kerr, 1971 3rd ed.), p140-145.

مقابلة مع حواتمة ١٤ تموز ١٩٧٩..

^{٢٦} برنامج الجهة الشعبية لتحرير فلسطين "الإستراتيجية السياسية والتنظيمية" (١٩٧٠)، ص ٧١ (بالعربية)، مقتبس حسب هب (١٩٨٥) ص ٢٢٤.

^{٢٧} بهذا الخصوص، وبشكل مفصل (Cooley, 1973)، ص ١٤٦-١٥٥، انظر هب (١٩٨٥)، ص ٢٣١ وما بعدها، ٢٦٨ وما بعدها.

^{٢٨} هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٩.

^{٢٩} التقرير السياسي المقدم إلى المؤتمر الثالث للجهة الشعبية لتحرير فلسطين (١٩٧٢)، "مهمات المرحلة الجديدة"، ص ١٠٦ وما يتبع، (بالعربية)، مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٧٤.

^{٣٠} (Jeune Afrique, 1969) ٤٢٩، ص ٥٣ مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٧١.

^{٣١} بهذا الخصوص هب (١٩٨٥)، ص ٢٣٠ وما بعدها، هارت (١٩٨٤)، ص ٣٩٧-٤٣٦، كوبان (١٩٨٤)، ص ٤٩-٥٢، أبو إياد (١٩٧٩)، ص ١١١-١٤٢.

^{٣٢} الجهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، "اعتداء- أيلول. تحليلات وعبر" (بالعربية)، بدون مكان نشر وسنة نشر، ص ١٢، مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٣ وما بعدها.

^{٣٣} "مهمات المرحلة الجديدة"، ص ٤٦ مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٤.

^{٣٤} "اعتداء - أيلول"، ص ١٧، مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٧.

^{٣٥} "مهمات المرحلة الجديدة"، ص ٩٠، بالإضافة إلى "قانون الأحزاب" (بالعربية 1972, O.O.) ص ٥ وما يتبع، مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٤ وما بعدها، ٢٢٦ وما بعدها.

^{٣٦} (Jeune Afrique, 1969) ٤٢٩، ص ٥٣:

"Habash accepte l'idéologie marxiste, mais agit politiquement en non-marxiste. C'est ainsi qu'il a placé un certain nombre de marchands et de capitalistes d'Amman à la direction du Front".

"تبني حبش الأيديولوجية الماركسية، ولكنه يتعامل سياسياً كغير ماركسي. فقد عين في قيادة الجهة مجموعة من التجار والرأسماليين من عمان".

وهنا، يتضح، مرة أخرى، إلى أي حد كان شبح القومية يلاحق ليس فقط الجهة الشعبية وإنما الجهة الديمقراطية أيضاً بقيادة نايف حواتمة. وقد حصلت في مطلع الستينيات خلافات حادة داخل حركة القوميين العرب على خلفية العلاقة الشخصية الوثيقة التي تمتع بها حبش مع اتباع البرجوازية الفلسطينية في عمان، (التي يعود بعضها إلى زمن الدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث اعتادت البرجوازية الفلسطينية، وبشكل عام العربية، إرسال أبنائها للدراسة هناك). وإلى هذه العلاقات بالذات، التي كانت، بلا أدنى شك، على درجة كبيرة من الأهمية خلال الأوقات العصيبة التي مرت بها الجهة الشعبية لتحرير فلسطين في الأردن خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٩-١٩٧١، يلوح حواتمة في هجومه المبين أعلاه.

وقد اعتاد التجار ورجال الأعمال الفلسطينيين على النظر إلى حبش كما لو كان واحداً منهم. (حديث مع رجل الأعمال الفلسطيني - اللبناي النمر، ٢٥ آب ١٩٧٨). في المقابل، فقد هوجم حواتمة باعتباره يسارياً هائجاً، يتحمل وحده فقط مسؤولية إبعاد "البرجوازية" الفلسطينية الغنية، واحداً تلو الآخر، من صفوف حركة القوميين وذلك في مطلع الستينيات. هذه العلاقة بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعالم المال ورجال الأعمال الفلسطيني، التي يصعب اليوم فهمها، لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، وليس بالإمكان تفسيرها إلا من خلال قصة نشوء حركة القوميين، وبالذات تأصلها في الجامعة الأمريكية - بيروت. انظر في هذا الشأن (Baumgarten, 1985)، ص ١٤١-١٥٦.

^{٢٧} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨. انظر أيضاً المقابلة مع عضو في "فتح"، رفض الإفصاح عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨. (قطع دراسته في أحد البلدان العربية، ليشترك بفعالية في المقاومة في الأردن، وذلك بعد تلقيه التدريب العسكري في أول معسكر تدريب تابع لـ "فتح" في مصر، في تشرين الثاني ١٩٦٧. وهناك التحق بيسار "فتح" الوليد). وقد أكد -إلى حد بعيد- على صحة المعطيات التي قدمها ناجي علوش. حول يسار-فتح. انظر، بالإضافة إلى ذلك، مقابلاتي مع نزيه أبو نضال، ٢٨ آب ١٩٧٨، أبو حاتم، ٥ تموز ١٩٧٨، ماجد أبو شرار، ٧ تشرين الأول ١٩٧٨، وعضو "فتح"، الذي فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨.

^{٢٨} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨.

^{٢٩} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨.

^{٣٠} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨. انظر أيضاً المقابلات مع عضوين في "فتح"، رفضا الإفصاح عن هويتهم، ٥ تموز ١٩٧٨، ١٨ كانون الثاني ١٩٧٩.

^{٣١} إلا أن علوش، كان حتى ١٩٧٧، رئيساً لاتحاد الكتاب الفلسطينيين، وبحكم وظيفته هذه، لا بد وأن كان له بعض التأثير السياسي.

^{٣٢} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨.

^{٣٣} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨، ومع عضوين في "فتح"، فضلاً عن عدم الكشف عن هويتهم، ٥ تموز ١٩٧٨، ١٨ كانون الثاني ١٩٧٩، مع قبعة، ٢٨ أيلول ١٩٧٨، مع حواتمة ١٤ تموز ١٩٧٩، ومع أبي حاتم، ٥ تموز ١٩٧٨. أما الاستعداد للتعاون مع "فتح"، بوصفها حركة برجوازية صغيرة - ثورية، فقد بدا عند الجبهة الديمقراطية الشعبية أكثر رجوحاً. انظر (Jeune Afrique, 1969)، ص ٥٣.

^{٣٤} على الأغلب بأمر من قيادة "فتح". انظر مقابلاتي مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨. حول مسألة تدخل محتمل من جانب "فتح" ضد اليسار في الأردن خلال الفترة ١٩٦٨-١٩٧١، انظر المقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨، مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨، بالإضافة إلى كوبان (١٩٨٤)، ص ١٥٢ وما بعدها، ١٦٦ وما بعدها.

^{٣٥} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨. التأكيد على ذلك عند هارت، ومقابله مع أبي داود، هارت (١٩٨٤)، ص ٣٣٠ وما بعدها، وبشكل عام ص ٣٣٠-٣٣٦.

^{٣٦} هارت (١٩٨٤)، ص ٣٣٠-٣٣٦، كوبان (١٩٨٤)، ص ١٦٦ وما بعدها.

مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨، الذي تحدث بشكل واسع ومفصل. وحسبما ذكر، فإن النظام الأردني اعتاد أن يطلب من "فتح" تصفية اليسار؛ إلا أن النتيجة، في نهاية المطاف، كانت رفض "فتح" لذلك، ربما بالأساس انطلاقاً من أن الخطوة الثانية للنظام الأردني ستكون تحطيم "فتح" ذاتها. وقد تم حل المشكلة من خلال اعتماد أيديولوجية الوحدة الوطنية.

^{٣٧} هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٥. في الغرب، كسبت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين أنصاراً ومتعاطفين كثر إلى جانبها، وذلك بشكل خاص، عبر (Chaliand)، والتقارير الإضافية من الأردن وبيروت في (Le Monde Diplomatique) و (Jeune Afrique)، بالإضافة إلى طلاب فلسطينيين، كانوا أعضاء في الجبهة الشعبية الديمقراطية... انظر أيضاً ماير (١٩٨٠) حول علاقة اليسار الألماني مع المقاومة.

^{٣٨} علوش (١٩٧١)، ص ١٢٩، مقتبس حسب هب (١٩٨٥)، ص ٢٦٩ وما بعدها.

^{٤٩} العظم (١٩٧٠، ١٩٧٢، ١٩٧٣).

^{٥٠} مقابلة مع عضو من "فتح" فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨، مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨ بالإضافة إلى مسودته غير المنشورة حول أيلول الأسود. أما المقدمة المنشورة بهذا الشأن، التي تغطي السنوات ١٩٦٥ حتى تموز ١٩٧٠ فلم يتيسر لي الاطلاع عليها. انظر أيضاً الحسن (١٩٧١)، ص ٣٩-٥٥، والخطيب (١٩٧١)، ص ٣٠-٥.

^{٥١} كولي (١٩٧٣)، ص ١٢١ وما بعدها، ١٣١ وما بعدها، كوبان (١٩٨٤)، ص ٥٣، (١٩٨٤) هارت، ص ٣٣٣ وبشكل عام ص ٣٣٠-٣٦ انظر المقابلات مع عضو في "فتح"، فضل عدم الإفصاح عن هويته، ٢٢ تموز ١٩٧٨، والمقابلة مع صخر، ٢٩ آب ١٩٧٨.

^{٥٢} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الإفصاح عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨.

^{٥٣} مقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨، انظر أيضاً المقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٢٢ تموز ١٩٧٨، ومع صخر، ٢٨ أيلول ١٩٧٨ (حول مؤتمر - "فتح").

^{٥٤} أبو حاتم كان مدير مكتب "فتح" للعلاقات الخارجية، مي صايغ كانت نشيطة ضمن اتحاد المرأة الفلسطينية. مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨.

^{٥٥} حتى حصول التمرد داخل "فتح" العام ١٩٨٣، عندما أصبح أحد قادة التمرد. انظر بهذا الشأن (MERIP) ١١٩ (Nov.-Dec. 1983).

^{٥٦} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٢٢ تموز ١٩٧٨.

^{٥٧} مقابلة مع نزيه أبي نضال، ٢٨ آب ١٩٧٨، انظر أيضاً نقده لـ "فتح" (١٩٨٤). انظر المنشورات العديدة لمنير شفيق، ذات الانتشار الواسع في أوساط الطلبة الفلسطينيين، ولتبلغ الضفة الغربية أيضاً. وبلا شك، فقد سيطر شفيق على المجموعة الأفضل تنظيماً. انظر المقابلة مع ماجد أبو شرار، ٧ تشرين الأول ١٩٧٨. كائظمة وطنية، كان يقصد، آنذاك (أو حتى اليوم)، أن سوريا والعراق على درجة من الأهمية. كان هذا، على الأخص، في ما يتعلق بدور سوريا في الحرب اللبنانية منذ ١٩٧٥، ورد الفعل الفلسطيني الممكن، أو الضروري على ذلك. لم يتطرق سيل (Seale, 1988)، وللأسف، نهائياً لهذا الموضوع. انظر المقابلة مع ناجي علوش، ٢٨ نيسان ١٩٧٨، ومنشوراته العديدة الصادرة في منتصف السبعينيات.

فالتأثير الذي تمتع به أبو حاتم كان بشكل خاص صنيع أفكاره. في حين وقف أبو فارس على رأس مجموعة يسارية صغيرة. انظر النقد اللاذع الذي يمارسه عضو "فتح"، الذي فضل عدم الإفصاح عن هويته (٥ تموز ١٩٧٨) على أبو فارس:

"... Politically secret, organizationally frank. If you just wait here at the corner of the street, you can see all of them within three hours. They are a caricature. They try to be secret, so they don't speak about their point of view, but they are known as persons. They claim to follow the Vietnamese way".

"..عميق السر سياسياً، صريحة العبارة تنظيمياً. فإذا ما انتظرت هنا على قارعة الطريق، فباستطاعتك رؤيتهم الواحد تلو الآخر. خلال ثلاث ساعات، حتى لتحسبهم صورة كاريكاتورية. يحاولون البقاء غامضين، ولذلك لا يتحدثون عن رأيهم، إلا أنهم معروفون كأشخاص. إنهم يدعون اتباعهم للطريق الفيتنامي".

وفي العام ١٩٧٧/١٩٧٨، ظهر في بيروت كتاب أخضر صغير لناجي علوش. في المقابل، ظهر في أوساط جماعة أبو فارس كتاب أحمر صغير، وقد تماثل كلاهما من حيث المضمون. وبهذا الخصوص، يدعي أبو فارس، "أن علوش قد نسخ الكتاب عنه". واليوم، لم يبق سوى أحمد عبد الرحمن (فلسطين الثورة - الناشر) ومنير شفيق (مدير مكتب التخطيط) على درجة من الأهمية في السياسة الفلسطينية.

^{٥٨} انظر هب (١٩٨٥)، ص ٣٠٨ وما بعدها.

^{٥٩} حول التمرد داخل "فتح" في ١٩٨٣ انظر (MERIP) ١١٩ (November 1983).

انظر أيضاً المراجع عند عطا (١٩٨٦)، ص ٣٨٤ وما يتبع.

^{٦٠} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٨ تموز ١٩٧٨، انظر كوبان (١٩٨٤)، ص ٢٦ وما بعدها. الخالدي (١٩٨٦)، ص ١٠٢ وما بعدها.

^{٦١} مقابلة مع عضو في "فتح"، فضل عدم الكشف عن هويته، ٢٢ تموز ١٩٧٨.

^{٦٢} انظر النقد لأحمد (Eqbal Ahmad, 1983).

^{٦٣} انظر اسم التنظيم الجديد لناجي علوش: حركة التحرير الشعبية العربية. في الخطاب التي تستخدمه الجبهة الشعبية اليوم، كذلك الأمر عند الجبهة الديمقراطية، تذوب الثورة الفلسطينية في تلك العربية. انظر بهذا الشأن مقابلي مع عضو "فتح"، الذي فضل عدم الإفصاح عن هويته، ٥ تموز ١٩٧٨:

"All they do is wait for the Arab Revolution, for one Arab revolutionary party, then revolution all over the Arab world, all at once".

"كل ما يفعلونه هو انتظار الثورة العربية، حزب ثوري عربي واحد. وبعدئذ، ثورة في كل أرجاء الوطن العربي، كل ذلك في وقت واحد".

ونتيجة لانتهيار الاتحاد السوفييتي، وبالنظر إلى غزو العراق للكويت، يبدو أن الجبهة الشعبية هي في طور التخلي عن "الاشتراكية العلمية"، والعودة من جديد إلى الجذور التاريخية لحركة القوميين العرب. إلا أن هذه القومية العربية الجديدة تقتفي أثر صدام وليس عبد الناصر. فالمعلومات الشفوية الأولى، التي تعود إلى كانون الأول ١٩٩٠، تشير إلى هذا الاتجاه.

^{٦٤} كمثال، يشير إلى التغيير داخل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في خريف ١٩٩٠. انظر يعاري (١٩٩٠).

^{٦٥} جريش (١٩٨٤)، ص ٣٣ انظر أيضاً ص ١٧ وما بعدها. أبو حاتم (مقابلة بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٨) يؤكد الزمان والمكان:

"It was after the battle of Karama that Fatah decided to open an office outside the Arab World... The place chosen was Paris. And I came here... Various forces... began questioning us about the nature of the Palestinian revolution, its goals... We adopted the resolution of 1 January 1969 which was released in Paris".

^{٦٦} Press Release No. 1, Al-Fatah. The Palestine National Liberation Movement, January 1968, p14.

^{٦٧} أبو إياد (١٩٧٩)، ص ١٩٩.

^{٦٨} "فتح" ١، ٦ (١٩٧٠)، مقتبس حسب مور (1974) Bad. Vol. III Moore، ص ١٠٩٧-١١٠٤.

^{٦٩} جريش (١٩٨٤)، ص ٣٢.

^{٧٠} في جوهره، يحتوي هذا البرنامج على فكرة الدولة المرتبطة بمواطنيها، سواء أكانوا يهوداً أم فلسطينيين. الشيء الذي مكن، آنذاك، المنظمة الإسرائيلية اليسارية "ماتسبن" (Matzpen) من أن تدافع عن مفهوم الدولة هذا. انظر شماس (١٩٨٩) حول الأوجه الثورية لهذا البرنامج. حول موقف الجبهة الديمقراطية، انظر جريش (١٩٨٤)، ص ٤٠ وما بعدها. حول النقد القادم من الضفة الغربية، انظر شحادة (١٩٦٩).

^{٧١} بيان - "فتح" إلى الدورة العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٦٨، مقتبس حسب مور، Vol. III (١٩٧٤)، ص ١٠٩٥. حول الحرب الشعبية، انظر منشور - "فتح": "كفاحنا المسلح: نظرية وتطبيق". انظر عطا (١٩٨٦)، ص ٢٥٣، حول النقد لهذه الاستراتيجية في تطبيقها من قبل "فتح" ص ٢٥٥ و ٢٥٨.

^{٧٢} انظر (Kerr, 1971)، ص ١٥١ وما بعدها.

^{٧٣} شرابي (١٩٨٨).

^{٧٤} "إن هناك أقساماً عربية من فلسطين وعلى هذه الأقسام ينبغي أن نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي". فلسطيننا (تشرين الثاني ١٩٦٠)، ص ٣، انظر أيضاً سخيني (١٩٧٥) بالإضافة إلى الهيكل في: عطا (١٩٨٦)، ص ٣٢٦.

^{٧٥} أبو إياد (١٩٧٩)، ص ١، انظر أيضاً هارت (١٩٨٤)، ص ٣٠١، ٣٠٣، هب (١٩٨٥)، ص ٢٧٩.

^{٧٦} حول السياسة السوفييتية تجاه "فتح" / منظمة التحرير الفلسطينية انظر (Golan 1988 and 1980) حول الحزب الشيوعي وإسرائيل على أفضل وجه فلورس (١٩٨٠)، ص ٢١-٢٤. انظر جريش (١٩٨٤)، ص ١٣٣ وما بعدها. حول الحزب الشيوعي في الضفة الغربية كوهين (١٩٨٢).

^{٧٧} صايغ (١٩٨٦)، ص ١٠٠.

^{٧٨} انظر (Lesch, 1979a).

^{٧٩} انظر الوثائق العربية الفلسطينية (١٩٧٠)، ص ٩٤٥-٩٤٨، جريش (١٩٨٤)، ص ١٠٥.

^{٨٠} (Lesch, 1980)، ص ٤٣-٤٨، جريش (١٩٨٤)، ص ١١٤-١١٨.

^{٨١} حول حرب الإرهاب بين دولة إسرائيل والمقاومة الفلسطينية، انظر (Steven, 1980) (١٩٨٠)، أبو إياد (١٩٧٩)، ص ١٤٣-١٧٥، وهارت (١٩٨٤)، ص ٣٢٧-٣٦٣.

^{٨٢} انظر (Lesch, 1980)، ص ٥٣، حول الجبهة الوطنية الفلسطينية، بشكل عام، ص ٥١-٥٤. انظر جريش (١٩٨٤)، ص ٩٠.

^{٨٣} حسب الوثائق الفلسطينية العربية (١٩٧٣)، ص ٥٠٧، انظر أيضاً هب (١٩٨٥)، ص ٢٧٩ وما بعدها.

^{٨٤} انظر في هذا الشأن المقدمة التي كتبها مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) في جريش (١٩٨٤) ص ١٤١ وما بعدها، (١٩٨٤) ص. XV-XIX.

^{٨٥} (International Documents on Palestine) (١٩٨٤)، ص ١٦٨ حول الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ص كوبان (١٩٨٤) ص ٦٢، ١٧١-١٦٧.

^{٨٦} جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول السلمية، باختصار، جبهة الرفض. انظر هب (١٩٨٥)، ص ٢٨٣، جريش (١٩٨٤)، ص ١٤٦-١٤٩، ١٨٤-١٨٧.

^{٨٧} هب (١٩٨٥)، ص ٢٨٢. مصادر في هذا الشأن: "من الذي يؤيد قيام دولة فلسطينية؟" في: الهدف ٨٩ (١٩٧١)، ص ٥، بالإضافة إلى كنفاني، "شبح دولة فلسطينية"، في: الهدف ٩٠ (١٩٧١)، ص ٦ وما يتبع. اعتادت الجبهة الشعبية أن تستخدم اسم الدولة بدلاً من الدولة الصغيرة.

^{٨٨} هب (١٩٨٥)، ص ٢٨٢.

^{٨٩} في أيلول ١٩٧٤، تم سحب ممثل الجبهة الشعبية من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. منذ نهاية ١٩٧٨، عادت الجبهة الشعبية للتعاون ضمن الهيئات الرئاسية لمنظمة التحرير الفلسطينية. في نيسان ١٩٨١ فقط، وخلال الدورة الخامسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، عاد ممثل الجبهة الشعبية، أحمد اليماني (أبو ماهر)، رسمياً، إلى اللجنة التنفيذية. انظر كوبان (١٩٨٤)، ص ١٥١ وما بعدها. انظر أيضاً جريش (١٩٨٤)، ص ١٨٤-١٨٧.

ومن البديهي أن الحرب في لبنان، بشكل عام، وما ترتب عليها من تهديد جسدي للمقاومة، ناهيك عن سياسة كامب ديفيد وما ارتبط بها من محاولات لتصفية م. ت. ف من أية تسوية سياسية لقضية فلسطين. حول كامب ديفيد، انظر (Quandt, 1979), (F A Sayigh, 1986 and 1988).

^{٩٠} الوثائق العربية الفلسطينية (١٩٧٤)، ص ٤٢٠-٤٢١ هناك ترجمة إنجليزية موجودة في مجلة الدراسات الفلسطينية: JPS ١٤ (١٩٧٥)، ص ١٧٧ انظر أيضاً جريش (١٩٨٤)، ص ١٧٩.

^{٩١} جريش (١٩٨٤)، ص ١٨٠.

^{٩٢} إلى جانب ذلك، كانت الزيارة الرسمية الأولى لعرفات في موسكو في تموز ١٩٧٤، عوضاً عن فتح مكتب لـ م. ت. ف. في موسكو. انظر جريش (١٩٨٤)، ص ١٨٠ وما بعدها، وبشكل عام (Golan, 1980).

^{٩٣} انظر بهذا الشأن ما يطرحه جريش (١٩٨٤)، ص ١٦٥، ١٧١. فهو يتحدث، في هذا السياق، عن سياسة ارتكازية تمارسها م. ت. ف. حول الحرب في لبنان ١٩٧٥/١٩٧٦، انظر الخالدي (١٩٧٩)، انظر أيضاً (Cobban, 1984), chapter 4: Caught in the Lebanon, p.58-80

^{٩٤} انظر بهذا الشأن جريش (١٩٨٤)، ص ١٦٣-١٦٥. انظر أيضاً بشكل عام أعمال فانون.

^{٩٥} حول معالوت، انظر جريش (١٩٨٤)، ص ١٦٢ وما بعدها.

^{٩٦} حول ما يلي انظر (Lesch, 1980)، ص ٥٣. حول الحزب الشيوعي في المناطق المحتلة ونشاطه حتى العام ١٩٦٧ كوهين (١٩٨٢).

^{٩٧} صالح (١٩٨٧)، ص ١٣٠. انظر أيضاً (Lesch, 1980)، ص ٥٣ وما بعدها. بالإضافة إلى جريش (١٩٨٤)، ص ١٣٣-١٣٦.

^{٩٨} حول الأحزاب في الضفة الغربية حتى ١٩٦٧، كوهين (١٩٨٢)، حول السياسة الأردنية في الخمسينيات اتجاه الفلسطينيين، بلاسكوف (١٩٨٢).

^{٩٩} (Lesch, 1980)، ص ٣٣، ٣٢، ٥٦. حتى ١٩٧٨، تم إبعاد أكثر من ١٠٠٠ شخص، معظمهم قادة سياسيون، أو شخصيات من الحياة العامة. أما الذروة فقد شكلتها سنة ١٩٧٠، إذ بلغ عدد المبعدين ٤٠٦. حول مسألة الإبعادات، بشكل عام (١٩٧٩)، (Lesch)، و (Hiltermann). في كتاب ماعوز حول رؤساء البلديات في الضفة الغربية (١٩٨٤)، لا يأتي ذكر صالح البتة.

^{١٠٠} (Baumgarten, 1987a) (مقالة غير منشورة) (Sabatello, 1985)، (Loefgren, 1982).

^{١٠١} برامكي (Baramki, 1987)، ص ١٢ وما يتبع.

^{١٠٢} من الوثائق الفلسطينية العربية (١٩٧٠)، ص ٩٤٦.

^{١٠٣} مقتبس حسب جريش (١٩٨٤)، ص ١٠٥.

^{١٠٤} صالح (١٩٨٧)، ص ١٤٨.

^{١٠٥} انظر في هذا الموضوع جريش (١٩٨٤)، ص ٦٨-٧٩.

^{١٠٦} جريش (١٩٨٤)، ص ٨٥. حول برنامج المملكة العربية المتحدة الذي يعود إلى ١٥ آذار ١٩٧٢، انظر ص ٨٢.

^{١٠٧} انظر شنار (Shinar) (١٩٨٧)، ص ١١٧-١٥٠، أيضاً تراكي (Taraki, 1990)، ص ٦٢-٦٥ المجموعة المسرحية الأكثر أهمية آنذاك كانت بلالين، التي انبثق عنها في نهاية السبعينيات الحكواتي. الممثل البارز ومنشئ الأغنية السياسية الفلسطينية، والموسيقى الفلسطينية المعاصرة هو مصطفى الكرد. الأدب الفلسطيني مثلته حتى اليوم -وبتميز- سحر خليفة، التي ترجمت معظم رواياتها إلى الألمانية. أما الرسم والتصوير الفلسطيني، فقد مثلهم، منذ حين، وبشكل خاص، سليمان منصور، وعصام بدر.

^{١٠٨} صك الحاكم العسكري الإسرائيلي لمدينة رام الله آنذاك عبارة "الوحدات الخاصة لعبد الجواد صالح". وقد كان هذا الأخير لا يزال على رأس عمله حينئذ كرئيس لبلدية البيرة. انظر صالح (١٩٨٧)، ص ١٢٨، تراكي (١٩٩٠)، ص ٥٩ وما يتبع، تتحدث بشكل متمم عن برنامج العمل التطوعي لجامعة بيرزيت الذي تم تطويره آنذاك. انظر أيضاً برامكي (١٩٨٧)، ص ١٧.

^{١٠٩} انظر صالح (١٩٨٧)، ص ٢٤: "المؤلف كأحد مؤسسي الجبهة تم إعلانه العام ١٩٧٢ ... من قبل قيادة م. ت. ف، أنها لا تؤيد إقامة جبهة ذات قيادة مركزية لكل الأراضي المحتلة". انظر بهذا الشأن أيضاً دقاق (١٩٨٣)، ص ٧٥:

"My purpose is to stress that the [PNF] was not established through bureaucratic procedures, on the contrary, these procedures were not employed to serve the pressing need to establish it".

^{١١٠} صالح (١٩٨٧)، ص ١٣٠.

^{١١١} دقاق (١٩٨٣)، ص ٧٥.

^{١١٢} انظر دقاق (١٩٨٣)، ص ٧٥ وما يتبع. اللجنة المركزية للجبهة تألفت من ممثلين عن الحزب الشيوعي، "فتح"، والجبهة الديمقراطية، والحركة النسوية ومستقلين. الجبهة الشعبية - التي تم منذ البداية عقد اتصال معها - لم ترسل مندوباً عنها إلى اللجنة المركزية، إلا أنها كانت تنسق مع الجبهة الوطنية، وذلك من خلال الاتصالات الشخصية مع عضو في اللجنة المركزية. انظر أيضاً جريش (١٩٨٤)، ص ٨٧-٩٠، ١٣٣-١٣٦.

^{١١٣} دقاق (١٩٨٣)، ص ٧٩: "الرسالة كانت، أن أدبيات الجبهة الوطنية يجب إعدادها في "الخارج" ليتم، من ثم، تهريبها من أجل توزيعها في "الداخل"."

^{١١٤} صالح (١٩٨٧)، ص ٢٣. صالح يعتقد، أنه من خلال هذه -حسب رأيه- السياسة الخاطئة ل. م. ت. ف، فإن الادعاء الإسرائيلي أيضاً بأن الانتخابات قد سارت على هذا النحو فقط كنتيجة لسياسة التخويف المكثفة

التي مارستها م. ت. ف. قد بلغ حد السخف. فلممارسة التخويف - والكلام لا يزال لـ صالح - لم يكن لدى منظمة التحرير الوقت قط. فصالح يرى هنا إذاً نصراً انتخابياً لرؤساء البلديات الوطنيين، تم إحرازه على الرغم من منظمة التحرير، الذي اعتبرته م. ت. ف. في نهاية المطاف نصراً لها، وأخيراً وليس آخراً، نتيجة للدعاية الإسرائيلية.

^{١١٥} صالح (١٩٨٧)، ص ٢٣، ١٦٤ وما يتبع. هناك تجد الوثائق المهمة مطبوعة.

^{١١٦} في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٨، انظر دقاق (١٩٨٣)، ص ٨٤-٨٨، صالح (١٩٨٧)، ص ٢٣.

^{١١٧} هذه بلا شك أنظمة الحكم الأبوي الجديد، كما وصفها وحللها شرابي (١٩٨٨). انظر أيضاً التحليل النقدي كما يقدمه العظم (١٩٧٠) و (١٩٧٢).

^{١١٨} فلورس (١٩٨٠)، ص ٢١-٢٤.

^{١١٩} صالح (١٩٨٧)، ص ٢٣.

^{١٢٠} تأسست الجبهة الوطنية العام ١٩٧٣، وتم اعتبارها غير قانونية في تشرين الأول ١٩٧٩. أما لجنة التوجيه، فقد أسست العام ١٩٧٨، ومنعت العام ١٩٨٢.

^{١٢١} الحرية (١٩٨٧)، ص ٢٤.

^{١٢٢} المعطيات العددية حسب صايغ (١٩٨٦)، ص ١١٠، حاشية ١٣، بالإضافة إلى هارت (١٩٨٤)، ص ٢٩٦.

١٩٦٧	٩٧ عملية	مع	٣٨ قتيلاً في الجانب الإسرائيلي
١٩٦٨	٩١٦ عملية	مع	٢٧٣ قتيلاً في الجانب الإسرائيلي
١٩٦٩	٢٤٣٢ عملية	مع	٢٤٣ قتيلاً في الجانب الإسرائيلي
١٩٧٠	١٨٨٧ عملية	مع	١١١ قتيلاً في الجانب الإسرائيلي

بين آب ١٩٦٧ وأيلول ١٩٧٠ قتل ١٨٠٠ فدائي في عمليات ضد إسرائيل. انظر عطا (١٩٨٦)، ص ٢٦٤. انظر أيضاً عند عطا (١٩٨٦)، ص ٢٦٥ الرسم البياني للتطور الكمي للعمليات. بين ١٩٧١-١٩٧٥ كان هناك ما يزيد قليلاً على ٤٠٠ عملية سنوياً، بعد ١٩٧٥ هبط العدد إلى أقل بكثير من ٤٠٠ عملية سنوياً.

^{١٢٣} انظر بهذا الشأن المطبوعات المتعددة حول أدبيات الإرهاب، إلى حيث يحتل الفلسطينيون "مكاناً مألوفاً" هناك، على سبيل المثال (Schiller, 1988). وكمثال على تحليل ينطلق من وضع آخر، انظر (Chomsky, 1988)، وسعيد (١٩٨٨). فالإلى أي حد طور الباحثون في مجال الإرهاب نوعاً من ضيق الأفق اتجاه وجهات النظر الأخرى، ذلك ما تثبته ندوة أقيمت في معهد ترومان التابع للجامعة العبرية في القدس ١٩٨٨؛ ففي الوقت الذي أكد فيه وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك، اسحق رابين، المرة تلو الأخرى، بأن الانتفاضة ليست إرهاباً، بل ثورة شعبية حقيقية، تحدث خبير الإرهاب ج. ألكسندر (J. Alexander)، تقريباً بعد رابين مباشرة، عن أن الانتفاضة ليست إلا مثلاً حياً للإرهاب الفلسطيني.

^{١٢٤} على سبيل المثال النكبة العام ١٩٤٨، "الضربات الانتقامية" الإسرائيلية، التي ميزها في الغالب طابعها الوحشي الفائق، في الضفة الغربية منذ مطلع الخمسينيات، الهجوم على غزة العام ١٩٥٥، حرب ١٩٥٦، حيث وقع قطاع غزة تحت الاحتلال لأشهر عديدة، ثم أخيراً حرب ١٩٦٧.

^{١٢٥} انظر بهذا الشأن صورة الفدائي في الأدب والشعر الفلسطيني المعاصرين، على سبيل المثال عند كنفاني، سحر خليفة ومحمود درويش.

^{١٢٦} انظر بهذا الشأن (Eisenstadt, 1985)، ص ٣٥٩.

^{١٢٧} انظر بهذا الشأن التصريحات السياسية الصادرة عن المجلس الوطني الفلسطيني ابتداءً من الدورة الثانية عشرة العام ١٩٧٤، وحتى الدورة التاسعة عشرة العام ١٩٨٨. أولى التحليلات لذلك يقدمها رشيد الخالدي (١٩٩٠)، ص ٢٩-٤٢؛ ففي حين تم في ميثاق ١٩٦٨ تثبيت الكفاح المسلح كإستراتيجية في حرب التحرير الفلسطينية، ليس هناك ما يشير إلى الميثاق أو الكفاح المسلح في البيان السياسي الصادر عن الدورة التاسعة عشرة.

^{١٢٨} صايغ (١٩٨٦)، ص ١٠٢ وما يلي.

^{١٢٩} مقابلة مع أبو جهاد في شؤون فلسطينية (١٩٨٥) ١٥٣/١٥٢، ص ١٥. انظر بهذا الشأن أيضاً عرفات، مقتبس من قبل هارت (١٩٨٤)، ص ١٨٣.

"I know very well that even by fighting we cannot recover Palestine. We must fight to tell the world that we exist. We must fight to tell the world that there is a Palestinian people". See also, Schueftan (1983). "It was in the political sphere that the military instrument was to find expression".

^{١٢٠} مقابلة مع عرفات في فلسطين الثورة، ١ آب ١٩٧٣ ص ٦. ترجمة إنجليزية في مجلة الدراسات الفلسطينية JPS ٩ (Autumn, 1973)، ص. ١٩٢. انظر ليش مع الاقتباس نفسه (١٩٨٠)، ص ٥١ وما بعدها.

^{١٢١} البيان النهائي لمؤتمر الصمود في:

JPS ٣٠ (Winter, 1979)، ص. ١٨٤-١٨٧.

انظر ف.أ. صايغ (F A Sayigh, 1979). حول النقد المتعلق بالممارسة العملية لهذه اللجنة، انظر دقاق (١٩٨٧)، ص ٨٦-٨٨، ٩١. اللجنة التنفيذية لـ م. ت. ف حول كامب ديفيد في:

JPS ٣٠ (Winter, 1979)، ص ١٧٧-١٧٩.

^{١٢٢} شنار (Shinar, 1978)، ص ٧. فهو يقتبس من مقال

"Processes and Trends in the Territories" in: Skira Hodshit (May 1980), p. 3-8.

^{١٢٣} مقتبس حسب كوبان (١٩٨٤)، ص ٢٥٧ وما بعدها.

^{١٢٤} إلى ذلك على أفضل وجه (Hiltermann) انظر أيضاً تراكي (١٩٩٠)، ص ٥٣-٧٢، وفلورس (١٩٨٨)، ص ٦٤.

^{١٢٥} انظر فلورس (١٩٨٨)، ص ٦٣ وما بعدها.

^{١٢٦} شيف/يعاري (Schiff / Ya'ari, 1990)، ص ٦٣. حول ما يلي انظر ص ٥٩-٦٥. انظر أيضاً كُتّاب (١٩٨٨)، ص ٢٠ وما يلي.

١٣٧ شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٦٠.

^{١٣٨} شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٦١. انظر بهذا الشأن

Jerusalem Domestic Service (English) من ٣١ أيار ١٩٨٧، حول إبعاد قائد الشبيبة عبد الله مسايمة من بلاطة الذي تم إبعاده بتاريخ ٤ حزيران ١٩٨٧.

(FBIS-MES-ISRAEL-L5, from 1 June 1987).

^{١٣٩} شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٥٢ وما يلي. انظر بهذا الشأن أيضاً تحليلات

(Legrian, 1986 and 1988, 1990).

^{١٤٠} شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٥٦. انظر أيضاً (Legrain, 1988)، ص ١٨ وما بعدها.

الفصل السادس

الانتفاضة،

التمرد الفلسطيني على الاحتلال الإسرائيلي

الانتفاضة،

التمرد الفلسطيني على الاحتلال الإسرائيلي

عندما تظهر على السطح كتلة خطيرة من أناس معبئين بالسخط كنتيجة لتأثير طويل الأمد لقوى تأسيسية، فإن كل شيء يصبح معداً لظهور "المحرضين من الخارج"، ومن المهم هنا الاعتراف بالأهمية الحاسمة لدورهم.

برينغتون مور (Barrington Moore)

أولاً: الجذور التاريخية

أ. الأسباب البنيوية: استياء الفلسطينيين من الاحتلال

اتخذ الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، والقدس الشرقية وقطاع غزة في حزيران ٦٧، وبسرعة كبيرة، أشكالاً دائمة أخذت طابع البنية ذات التعقيد المتزايد التي لم تلبث أن تحولت تدريجياً إلى نظام.

وفي العام ١٩٨٧ كان حوالي نصف أراضي الضفة الغربية قد وقع في أيدي الإسرائيليين. وفي ربيع ١٩٩١ كان قد وصل الثلاثين. "وكأكثر الطرق أهمية في عملية وضع الأرض الفلسطينية تحت السيطرة الإسرائيلية، يجب تسمية: "المصادرة لأغراض عسكرية، "إغلاق" للتدريبات العسكرية، بسط اليد على أراضي الدولة الأردنية، وضع أملاك الغائبين تحت الوصايا، نزع الملكية لأهداف عامة، الإعلان عن أرض غير مسجلة كأراضي دولة، إعادة استملاك أراض ومشتريات يهودية سابقة." ١ وحتى العام ١٩٧٩، ساد، وبشكل واضح، أسلوب المصادرة لأغراض عسكرية. بعد ذلك عمدت إسرائيل إلى اتباع طريق آخر في محاولتها بسط سيطرتها على الأراضي

الفلسطينية: فكل الأراضي التي لا يمكن إثبات ملكيتها الخاصة، وبشكل قاطع، يتم الإعلان عنها أراضي تابعة للدولة.^٢ وقد كان الجيش الإسرائيلي قد بدأ أثناء حرب ١٩٦٧ بمصادرة الأراضي، وذلك عندما تم تهجير سكان بيت نوبا، ويالو، وعمواس من قراهم، ليتم بعدئذ مسحها عن وجه الأرض، وحيث هي كانت، يوجد الآن منتزه إسرائيلي.^٣ فوفرة الأراضي التي أصبحت تقع تحت تصرف الاحتلال الإسرائيلي في المناطق المحتلة، مكنت من وضع نظام لشبكة كاملة من المستعمرات الإسرائيلية، أما خطط البناء المتوفرة فتعمل على أساس استيعاب حتى المليون مستوطن.^٤

ويعيش حتى نهاية ١٩٩٠ حوالي ١٠٠,٠٠٠ مستوطن في الضفة الغربية، حين زاد عددهم في العام ١٩٩٠ فقط بما يقارب خمسة عشر ألف شخص. وقد شهد ربيع ١٩٩١ عملية تسريع للاستيطان يمكن النظر إليها كرد على محاولات السلام الأمريكية. فتحت إشراف وزير الاسكان أرييل شارون، يتم توسيع المستوطنات القائمة أو إقامة أخرى جديدة. وعاش ما يقارب ٣٠٠٠ مستوطن في قطاع غزة، حيث كانت إسرائيل تسيطر على ٤٠٪ من الأراضي. وتحصل منطقة تل أبيب والقدس الكبرى على نصيب الأسد (٨٥٪) من عدد المستوطنين القاطنين في الضفة الغربية.^٥ وهنا تجدر الإشارة إلى أن حوالي ١٢٠,٠٠٠ مستوطن إسرائيلي يقيمون في القدس والمناطق التي ضمت إليها، نازعين عن أنفسهم أية صفة استيطانية، ذلك لأن القدس تم ضمها العام ١٩٦٧، ومن وجهة نظر إسرائيلية لم تعد منطقة محتلة بعد. ويشكل هؤلاء الآن ثلث السكان اليهود القاطنين في القدس بشقيها الشرقي والغربي. ويعتقد أن عددهم سيرتفع مع نهاية ١٩٩١ إلى مائة وخمسين ألف شخص. وبذلك أصبح يعيش في منطقة القدس المحتلة منذ ١٩٦٧ وضواحيها عدد متساو من اليهود والفلسطينيين.^٦ وقد بلغ مع نهاية ١٩٩٠ عدد السكان في إسرائيل والمناطق المحتلة ٣,٩١٧,٠٠٠ يهودي إسرائيلي و ٢,٧٨٧,٠٠٠ فلسطيني (٨٦٠,٠٠٠ في إسرائيل الواقعة داخل حدود ١٩٦٧، ١,١٧٧,٠٠٠ في الضفة الغربية، بالإضافة إلى ٧٥٠,٠٠٠ في قطاع غزة)، أي ما نسبته ٥٨٪ يهود و ٤٢٪ فلسطينيون.^٧ وتشير التنبؤات التي حصلت العام ١٩٨٨ إلى أن هذه النسبة ستصبح متساوية في حدود العام ٢٠١٠، فيصبح هناك العدد نفسه تقريباً من الفلسطينيين واليهود الإسرائيليين. وهنا يبرز الخطر الديموغرافي الذي طالما تحدث الإسرائيليون عنه، والذي بدأ يتراجع إلى الخلف بفضل الهجرة الجماعية المتزايدة لليهود السوفييت، فقد ارتفعت نسبة الزيادة في عدد السكان اليهود الإسرائيليين العام ١٩٨٩ / ١٩٩٠ لتصل، وللمرة الأولى منذ ١٩٧٩ إلى ٢,٤٪، ومع نهاية العام ١٩٩٠، ٥,٣٪. فقد تم تسجيل ٤٩٠٠٠ مهاجر جديد مقابل ١٤,٥٠٠ في السنة التي سبقت. وقد هاجر خلال ١٩٩٠ وحده ما مجموعه ٢٠٠,٠٠٠ شخص، منهم ١٨٥,٠٠٠ من الاتحاد السوفييتي وحده.^٨

أما موضوع المياه حيث تعتمد إسرائيل بنسبة الثلث في استهلاكها للمياه على الضفة الغربية، فهو "الأساس لمطلب إسرائيل بضرورة احتفاظها، وتحت كل الظروف، بمخزون المياه في الضفة الغربية".^٩ فمن "يسيطر على احتياطي المياه في الضفة الغربية، يستطيع ببساطة شديدة أن يصيب الساحل الإسرائيلي بالجفاف".^{١٠} ففي الأحاديث غير الرسمية على هامش كامب ديفيد، أوضح الجانب الإسرائيلي "أن إسرائيل ستصر على أن تبقى مسألة المياه في الضفة الغربية تحت سيطرتها الكاملة".^{١١} فأقل من ٢٠٪ من مخزون المياه في الضفة الغربية مسموح للفلسطينيين باستهلاكه، في حين أن ٨٠٪ يذهب إلى إسرائيل، أو يتم استخدامه من قبل المستوطنين الإسرائيليين. كما أن استهلاك الفلسطينيين للمياه في المشاريع الزراعية بقي على ما هو عليه بسبب الرقابة الإسرائيلية، في الوقت الذي ازداد فيه استهلاك الإسرائيليين لمياه الري في سنوات الثمانينيات وحدها إلى ما يزيد على ١٠٠٪. فكل مستوطن يهودي في الضفة الغربية يستهلك من الماء ٣ أضعاف ما يحصل عليه نظيره الفلسطيني. كما أن بناء المستوطنات في الضفة الغربية لا يمكن فصله عن اعتماد إسرائيل على مصادر المياه في المنطقة. ففي العام ١٩٧٧، على سبيل المثال، (حيث كان حزب العمل لا يزال في السلطة) "تم إقرار بناء مجموعة من المستوطنات اليهودية في السامرة الغربية [شمال الضفة الغربية حسب التعبير الإسرائيلي] وذلك للحيلولة دون وقوع مصادر المياه في المنطقة تحت سيطرة أجنبية".^{١٢}

فالتطور الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة كان شبه مستحيل، ويرجع ذلك إلى الجهود التي بذلتها سلطات الاحتلال للقضاء على أية منافسة كامنة، وهي لا تزال بعد في المهد، ما نتج عنه بقاء اقتصاد الضفة الغربية في سنوات الثمانينيات متخلفاً تعوزه القدرة الذاتية على الحياة، وخاضعاً إلى حد بعيد. كما ساد الركود قطاع الزراعة في الوقت الذي هبطت فيه مساهمة الصناعة في الدخل القومي الإجمالي إذا ما قورن ذلك بالوضع العام ١٩٦٧. فالمناطق المحتلة تم اختصارها إلى خزان للأيدي العاملة الرخيصة في إسرائيل، وإلى سوق رائجة للبضائع الإسرائيلية. في الوقت نفسه ارتفع، وبشكل مستمر، مستوى المعيشة في المناطق المحتلة، وذلك على خلفية المداخل التي كان يحصل عليها العمال الفلسطينيون في إسرائيل.^{١٣}

فالنظام الإسرائيلي الذي اتبع في السيطرة على سكان المناطق المحتلة هو نظام متطور جداً، ويرتكز منذ العام ١٩٨٧ إلى بنك للمعلومات حشرت فيه كل المعلومات التي تبدو مهمة عن حياة الفلسطينيين. وفي هذا الصدد، يتحدث ميرون بنفستي عن "وسيلة لا تضاهي من أجل السيطرة على السكان"، "مرحلة جديدة في إقامة المؤسسات الكاملة للدولة البوليسية".^{١٤} وحسب رواية المحامي الفلسطيني رجا شحادة من رام الله، فإن "كل وجه من حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال تتم السيطرة عليه من خلال الأوامر العسكرية".^{١٥} فالجيش يمارس سلطة مطلقة على الفلسطينيين في المناطق المحتلة.

وبالدرجة نفسها، يسيطر الحكم العسكري تشريعياً وتنفيذياً وقضائياً. كما أن بدء العمل بالإدارة المدنية في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨١ لم يغير في الأمر شيئاً؛ فقد بقيت الإدارة المدنية خاضعة لذلك المسؤول العسكري المحلي، ومنه انبثقت سلطاتها. ومن ضمن صلاحياته حق إصدار القوانين، وفرض السلطة في إطار قوانين الطوارئ من العام ١٩٤٥.^{١٦}

فالحياة تحت الاحتلال الإسرائيلي تعني أن حقوق السكان أو حتى أبسط الحقوق الإنسانية الأساسية معرضة في أي وقت للاعتداء عليها أو حتى سلبها، ليس فقط على يدي الجيش الإسرائيلي، وإنما وبشكل متزايد على يدي المستوطنين الذين يحق لهم حمل السلاح. وهنا تجدر الإشارة ولو بشكل مقتضب إلى العنف الذي يمارسه الجيش الذي يصل حد القتل المتعمد، مضايقات من مختلف الأنواع، معاقبات غير قانونية، حظر تجول، واعتقالات، وتفتيش المنازل بشكل تعسفي، وسوء معاملة وحالات متكررة من التعذيب، وإغلاق أو نسف المنازل، تقييد حرية الفكر والكلمة، والحق في التربية والتعليم.^{١٧}

وتتشكل قمة هذا التقييد والتعليق للحقوق الإنسانية الأساسية من التحريم الذي يمنع أي نوع من العمل السياسي، فاللقاءات السياسية ممنوعة والرقابة لا يخلو منها حين، وإذا لم يف كل ذلك بالغرض فهناك السلاح الأكثر فتكاً، ألا وهو إمكانية فرض منع التجول في أية لحظة. "فلسطينيو الضفة الغربية"، كما يوضح رجا شحادة، "يعاملون في ديارهم وكأنهم أجانب يحملون إقامة دائمة"، وربما بأقل من ذلك. فالأجانب في الولايات المتحدة -على سبيل المثال- يحصلون على حق التجنس بالجنسية الأمريكية بعد مرور خمس سنوات.^{١٨} كما أنهم، وعلى الصعيد المحلي لا يملكون حق الانتخاب، ناهيك عن حق تقرير المصير الوطني.^{١٩} وبالنسبة لشحادة، فإن تفاعل كل هذه العوامل مجتمعة يوضح أن هدف الاحتلال الإسرائيلي هو دفع الفلسطينيين إلى مغادرة ديارهم، ومن ثم تسلم الأرض خاوية تمهيداً لضمها.^{٢٠} ويطلق بنفستني على الاحتلال الإسرائيلي صفة "الاستعمار الداخلي". فالفلسطينيون تحت الاحتلال "لا يتمتعون بأية حقوق سياسية، وكما يدعى كنتيجة للاحتلال العسكري. إلا أنه في الوقت نفسه، لم تتم مراعاة حقوقهم القائمة على المواثيق الدولية من خلال الاحتلال العسكري، لأن الحكومة [الإسرائيلية] لا تعترف بتطبيق هذه المواثيق على المناطق المحتلة".^{٢١}

وأخيراً يلفت بروفيسور إسرائيل شاحاك من الجامعة العبرية، الذي يعتبر من أشد منتقدي السياسة الإسرائيلية المتبعة اتجاه الفلسطينيين، الانتباه إلى ثلاث مشاكل مركزية تقف في صلب العلاقة بين إسرائيل والفلسطينيين: مسألة الأرض، ومسألة المياه، والاستغلال الاقتصادي. فإسرائيل، كما يفسر شاحاك الحقائق المعطاة، قامت على الفور بعد احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة بالإضافة إلى القدس الشرقية، بإقامة نظام حكم عنصري، وذلك في كافة مجالات الحياة ولكن، وبشكل خاص، في الثلاثة التي تم ذكرها آنفاً.^{٢٢}

وعلى هذا المنوال تسير حياة الفلسطينيين منذ ١٩٦٧. ومنذ هذا التاريخ لم يتوقفوا عن الاحتجاج والنضال ضد هذا الذي يعتبر "الأحدث" بين أنظمة الاحتلال قاطبة. إلا أن الانتفاضة في كانون الأول ١٩٨٧ شكلت أول رد فعل جماعي للسكان ككل على الاحتلال.^{٢٣} ومن غير ريب، فإن هناك مجموعة من التطورات المهمة التي حدثت في ظل حكم الاحتلال التي يجب وضعها في سياق واحد مع الانتفاضة، لا يمكن تجاهلها.

ففي آب ١٩٨٥ وتحت إشراف وزير الدفاع اسحق رابين، بدأ العمل "بسياسة القبضة الحديدية" الجديدة ضد الفلسطينيين. وحده فقط العام ١٩٨٥ اتخذ قراراً بإبعاد ٣١ شخصاً، في حين كان قد تم الاستغناء عن العمل بهذه الإجراءات التي تعتبر حسب القانون الدولي غير قانونية خلال السنوات ١٩٨٠-١٩٨٥. كما انطبق هذا الأمر على مسألة الاعتقال الإداري الذي تمت العودة للعمل به وللمرة الأولى منذ العام ١٩٨٠؛ ففي العام ١٩٨٥ تم احتجاز ما يزيد على ١١٠ أشخاص لمدة ستة أشهر أو أكثر دون وضع الإجراءات القضائية العادية موضع التنفيذ. أما الإقامات الجبرية، سواء في البيت أو المدينة، فتم استخدامها بشكل أكبر، في حين عاد الجيش إلى القيام بعمليات هدم للبيوت على نطاق واسع (العام ١٩٨٤ فقط أربعة بيوت، في المقابل ١٩٨٥، ٥٥ بيتاً وبعد ذلك في العام ١٩٨٦، ٤٨ بيتاً). وبناءً على تعليمات من وزارة الدفاع فقد شهدت عملية جمع شمل العائلات تراجعاً كبيراً، ففي حين كان يتم في الفترة ما بين ١٩٨١-١٩٨٤ الموافقة سنوياً على ٩٠٠-١٢٠٠ طلب، تم العام ١٩٨٥ الموافقة على ٣٠٠ طلب فقط. بلغت سياسة الاضطهاد الجديدة هذه ذروتها بسبب بناء وتشغيل بنك المعلومات الآنف الذكر.^{٢٤}

وفي تموز ١٩٨٧ تم، وللمرة الأولى، داخل المؤسسة الإسرائيلية الكشف عن دعم صريح لإمكانية "ترانسفير" أي الترحيل الجماعي للفلسطينيين من المناطق المحتلة، وحتى من داخل إسرائيل نفسها. فحتى ذلك الحين لم يكن يؤيد موضوع "الترانسفير" بشكل علني سوى الحاخام مائير كهانا، الذي يعيش على هامش الأحداث في إسرائيل كسياسي منبوذ.^{٢٥} في حين تقاسم ميجر جنرال (احتياط) رحبعام زئيفي أمين متحف تل أبيب ونائب وزير الدفاع ميخائيل ديكل (ليكود) قصب السبق كأول أعضاء في المؤسسة السياسية الإسرائيلية بالدعوة علناً إلى "ترانسفير كحل إنساني وعملي" للفلسطينيين. وفي شباط ١٩٨٨ نظم زئيفي ندوة حول الترانسفير كحل وحيد للمعضلة الإسرائيلية من خلال الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن دون سكانها الفلسطينيين. فالإبعاد الجماعي، حسب رواية النشيط من أجل إسرائيل الكبرى تسفي شيلواح، سيزيل عن كاهلنا عبء "أن نصحي كل صباح، ونحن مضطرون إلى سؤال أنفسنا كم من العرب وُلدوا في الليلة".^{٢٦}

وقد ترشح رجب عام زئيفي لانتخابات الكنيست العام ١٩٨٩ بقائمه المستقلة مولدت (الوطن الأم) حيث شكل موضوع الترانسفير حجر الزاوية فيها. ولم يلبث زئيفي أن أصبح عضواً في الكنيست الإسرائيلي على رأس قائمة مؤلفة من عضوين. منذ ربيع ١٩٩١ يشغل زئيفي منصب وزير في حكومة شامير.

وأخيراً أصبح الفلسطينيون تحت الاحتلال في سنوات الثمانينيات معرضون، وبشكل متزايد، للاستفزازات والاعتداءات الوحشية على أيدي المستوطنين؛ ففي أعقاب عملية تبادل الأسرى التي جرت في أيار ١٩٨٥، حيث تمت مبادلة ١١٥٠ معتقلاً فلسطينياً يقبعون في السجون الإسرائيلية بثلاثة جنود إسرائيليين كانوا قد أسروا في لبنان، سرت موجة من الهجمات المنظمة نفذها المستوطنون ضد القرى والمدن ومخيمات اللاجئين في الضفة الغربية. فكل المستوطنين على الإطلاق يحملون السلاح، هذا إذا لم يمتلكوا ترسانة تبعث على الرعب. وهم في ذلك جزء من القوات المسلحة الإسرائيلية، وملحقون بالجيش الإسرائيلي كوحدات دفاع محلية. وحقيقة فإن الشرطة والجيش، وحتى في حالات الخروج على القوانين المعلنة (إطلاق النار، والإصابة القاتلة)، كانوا يتدخلون مكرهين ودون رغبة، ضد المستوطنين، فقد شجعهم ذلك على أن يزدادوا سنة بعد سنة وقاحة وعدوانية. وقد توصل معلق في صحيفة هآرتس الإسرائيلية ذات النفوذ الواسع إلى استنتاج مفاده "إن الدرس العملي هو أن المرء في يهودا والسامرة، يستطيع إطلاق النار على الناس وقتلهم دون أن يتم في الواقع معاقبته على ذلك".^{٢٧} ويسجل بنفسه في العام ١٩٨٧ عدداً متزايداً من الهجمات "الانتقامية" القاسية على أيدي وحدات حراسة مشكلة من مستوطنين يهود: استخدام السلاح الناري، وتحطيم زجاج السيارات الرابضة على قارعة الطريق، وإحراق البيوت، والاعتداء بالضرب على المارة... الخ.^{٢٨}

فهل كانت العشرون سنة من الاحتلال، وبالذات منذ أن بُدئ العام ١٩٨٥ بتشديد "القبضة الحديدية"، ناهيك عن الاضطهاد المتزايد على أيدي الجيش والمستوطنين، كافية لأن يبلغ السيل الزبي؟ يبدو لي مع ذلك أن هذا التعليل غير كاف، ويحركه بشكل قوي حسٌ سيكولوجي.

فوحده قرار واع ناشئ عن وضع لا يمكن الصبر عليه، ويجب النضال ضده، ومحاولة تغييره، بغض النظر عن الجهة التي يصدر عنها، ليس بإمكانه أن ينجب انتفاضة في مثل هذا التعقيد ومستمرة حتى هذا اليوم. فتصرف يضع نصب عينيهِ الهدف المنشور يقوم به أناس ذوو وعي سياسي هو بلا شك عامل مهم في التطور التاريخي. إلا أن هناك عوامل أخرى لا يسمح بتجاهلها، وهي التي تؤثر في الغالب في معزل عن الفاعلين. وبالذات تبقى في النهاية هذه التغييرات البنوية ذات الأمد الطويل في حاجة إلى إبرازها قبل القيام بمحاولة للوصول بين المستويين من أجل إيضاح مكانة الحركة الوطنية الفلسطينية في سياق الانتفاضة.

ففي صيف ١٩٧٦، بدأت سلطات الاحتلال الإسرائيلي في المناطق المحتلة بتحصيل ضريبة جديدة هي ضريبة القيمة المضافة. وقد تميز رد فعل رجال الأعمال، وأصحاب المتاجر الفلسطينية بسلسلة من الإضرابات. ناهيك عن التظاهرات والمصادمات الدموية مع الشرطة والجيش. وحجتهم في ذلك كانت أنه حسب لوائح اتفاقية لاهي، فإن تحصيل ضرائب جديدة في ظل احتلال هو عمل غير شرعي. إلا أن الاقتصاد الفلسطيني تخوَّف بشكل خاص من الخسائر المتوقعة في معاملاتها التجارية التي كانت قد تضررت بشكل كبير كنتيجة للتضخم. ونتيجة مباشرة للإضراب تم تخفيض عدد الذين تشملهم ضريبة القيمة المضافة، كما أن تحصيلها خارج نطاق القدس تم تأخيرها حتى كانون الأول ١٩٧٦، وفي كانون الأول بدأت جولة جديدة من الإضرابات. وموجة جديدة أخرى من الإضرابات حصلت في آب ١٩٨٠ في سياق محاولة لإجبار ناقشي الحجارة في الضفة الغربية على ضبط دفاترهم، حتى يتم تحديد دفعات ضريبة القيمة المضافة بالضبط. وقد وقفت خلف الإضراب مجموعة من الدوافع الاقتصادية والاجتماعية: الخوف من الاضطرار إلى دفع ضرائب عالية، ورفض الخروج على تقليد متبع في التعامل بين أناس لم يعرفوا يوماً ما شيئاً اسمه مسك الدفاتر.^{٢٩} في المقابل، اعتقدت الصحافة الإسرائيلية من جانبها أن لـ م.ت.ف يداً في الموضوع ككل، على الأقل فيما يتعلق بإعداد صندوق للإضراب.

ما يحدث هنا هو حرب اقتصادية حقيقية ضد إسرائيل ... فهم [الفلسطينيون] يرون أية خسائر يلحقها الإضراب بنا، وغداً سيدعون العمال إلى عدم الذهاب إلى إسرائيل بعد الآن. هناك مال كاف ... في العالم العربي لدعم كل عامل. يجب عدم السماح لذلك بالحدوث. يجب أن لا نسمح للعرب بالبدء بمقاطعة ضد دولة إسرائيل.^{٣٠}

أما رد الفعل الفلسطيني فقد صاغه محمود علي طزين، رئيس لجنة الإضراب، ونجل أحد رجال الأعمال البارزين في الضفة الغربية: "إن أكثر الأشياء التي تزعج [الإسرائيليين] هي طريقة تنظيم الإضراب، وحقيقة أنه كان قادراً على الصمود مدة شهرين".^{٣١}

وقد بدأت إسرائيل في كانون الأول ١٩٨١ بتحصيل ضريبة القيمة المضافة في قطاع غزة أيضاً. ومرة أخرى حدثت إضرابات لم يلبث أن انضم إليها ساسة محافظون على غرار رئيس بلدية غزة رشاد الشوّا، الذي اشتهر عنه ولاؤه للأردن، في غضون ذلك لم يعد الأمر يقتصر على دوافع اقتصادية فحسب، بل احتج الناس ضد الضريبة الجديدة كجزء متمم لسياسة الاحتلال الإسرائيلي القمعية، وكلبنة جديدة في عملية الضم الإسرائيلي للمناطق المحتلة، تلك التي كانت تتحرك من غير ضجيج ولكن بفاعلية قصوى. فالتشوا ينطق بالنيابة عن غالبية السكان الفلسطينيين عندما يقول:

نحن نرفض الاحتلال الإسرائيلي، ونحن نرفض أن نستعبد من قبل إسرائيل أو أي طرف آخر. نحن شعب حر. نحن مصممون على حقنا في تقرير مصيرنا على

أرضنا، أرض آبائنا وأجدادنا. هذا هو الوضع اليوم في غزة. أرجو أن لا يفسر هذا كله كمقاومة ضد ضريبة القيمة المضافة فقط. فالناس هنا لديهم الشعور أن إسرائيل تريد أن تسلبهم كل قطعة أرض، كل بيت يملكونه.

أتذكر، عندما كنت طفلاً ثم لاحقاً فتى كان الأتراك هنا، وعندما كنت رجلاً شاباً البريطانيون، وكرجل كبير، أخيراً، عشت مع المصريين والآن معهم [الإسرائيليين]. فهل سلبنا الأتراك أرضاً من أجل مستوطنات؟ ... هل فعل البريطانيون أو المصريون ذلك؟ لا. فقط هم. المشكلة معهم: نكون أو لا نكون، فهم يسلبوننا كل شيء".^{٢٢}

وعلى ما يبدو، فإن إسرائيل باستحداثها لضريبة القيمة المضافة قد شددت وتر القمع حتى كاد أن ينقطع. فما تم اتخاذه من جهة إسرائيلية كإجراء اقتصادي موجه بشكل خاص ضد أية منافسة كامنة من جهة المناطق المحتلة، ولكن أيضاً كإجراء ضريبي زاهر بالأرباح، تحول، ليس فقط من وراء ظهر الاحتلال، وإنما أمام عينيه أيضاً، إلى حد أكثر التأثيرات المحركة أهمية. هذا الشيء ساعد تبعاً على تكتل قطاعات أكبر في عالم المال الفلسطيني من برجوازية صغيرة وكبيرة ضد الاحتلال، ومن ثم دفعها بشكل حتمي في أحضان الوطنية الفلسطينية المنظمة. فأمام ذلك الضغط الضريبي المتزايد والباهر، لم يجد ذلك التاجر غير المسيس سوى الوطنية ملاذاً يهتم بها ليتعلم مع الوقت كيف يعبر عن نفسه من خلال مطلب تاريخي اشتهر في سياق آخر ألا وهو لا واجبات دون حقوق (No Taxation without Representation).^{٢٣}

كما يجب النظر إلى الضرائب التي تُحصلها إسرائيل من المناطق المحتلة من زاوية أخرى مختلفة. فقد دأب الفلسطينيون منذ منتصف السبعينيات ليس على تمويل الاحتلال المفروض عليهم فحسب، وإنما على المساهمة في النفقات الإسرائيلية العامة أيضاً. وحسب بنفنستي، فقد بلغ مجمل ما دفعه الفلسطينيون لإسرائيل في العشرين عاماً الأولى على احتلالهم ٨٠٠ مليون دولار كحد أدنى، منها ٨٠ مليون دولار فقط العام ١٩٨٧. ومما لا شك فيه أنه كان بالإمكان من خلال استغلال هذا المبلغ مضاعفة ميزانية التطوير في المناطق المحتلة.^{٢٤} وقد بلغت حصة ضريبة القيمة المضافة التي دار الجدل حولها في العام ١٩٨٥ فقط ٦٠ مليون دولاراً. كما كانت هناك ضريبة على البنزين بلغت ١٦ مليون دولار، بالإضافة إلى ٥ ملايين دولار كجمارك مفروضة على الواردات. ومن هنا، فإن ضريبة القيمة المضافة هي بلا شك عماد "ضريبة الاحتلال".^{٢٥}

وأخيراً يظهر في تقرير صادر عن الأونكتاد (UNCTAD) من العام ١٩٨٧ ما مفاده أن "... ضريبة القيمة المضافة كانت في السنوات السابقة أحد الحواجز الضريبية الأكثر أهمية أمام تطوير الصناعة والتجارة عند الفلسطينيين". وبناء على ذلك، يصبح ادعاء الإدارة المدنية في المناطق المحتلة القائل بأن فرض ضريبة القيمة المضافة كان اقتصادياً

في صالح السكان الفلسطينيين لاغياً.^{٣٦} أما النتائج السياسية التي ترتبت على فرض ضريبة القيمة المضافة منذ العام ١٩٧٦ فقد أمكن لمسها فور بدء الانتفاضة، وذلك من خلال تجاوب التجار ورجال الأعمال واستعدادهم للإضراب وعدم دفع الضرائب.

فرفض ضريبة القيمة المضافة من قبل أهل التجارة والمال الفلسطينيين رسخته التحولات طويلة الأمد في سياسة سلطة الاحتلال مقابل البرجوازية الفلسطينية. ففي ظل حكومة الليكود تغيرت، وبشكل مستمر، التركيبة البيروقراطية للاحتلال، وذلك من خلال عدد متنام من اليمينيين واليمينيين المتطرفين. فبدلاً من تركها في ركنها المحفوظ تتمتع فيه ومنذ بداية الاحتلال بشتى أنواع الامتيازات، أرادت البيروقراطية اليمينية مساواة الجميع أمام بطش الاحتلال. ففي أعقاب الانتفاضة مباشرة تم شطب ما تبقى من امتيازات. فالفلسطينيون من مختلف الطبقات والشرائح أصبحوا الآن يقفون في الصف نفسه للحصول على الموافقات العديدة. في حين تم سحب بطاقات عبور الجسر الصفراء التي كانت البرجوازية قد حصلت عليها في الثمانينيات لتخليص أنفسهم من ذلك التفتيش المهين على الجسر. فالسياسة الضريبية، والتمييز الذي عانى منه الفلسطينيون جميعاً، غنياً كان أم فقيراً، صنع من أهل المال بالذات، وهم تقليدياً محافظون، نشطاء مدركين لدورهم في الانتفاضة.^{٣٧}

أما العمالة المهاجرة من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى دول الخليج العربي فتعود إلى العام ١٩٤٨. فمنذ العام ١٩٤٩ وحتى ١٩٦٧ ترك حوالي ٢٠٠,٠٠٠ فلسطيني ديارهم. ونتيجة مباشرة لحرب حزيران ١٩٦٧ ترك ٢٠٠ ألف شخص آخر المناطق التي احتلت في غضون ذلك. فالإحصاء الإسرائيلي الأول الذي أجري في أيلول ١٩٦٧ شمل ٣٣٪ من البيوت التي كان لها ولد أو بنت خارج الضفة الغربية: ٤١٪ منهم عاش في الأردن، و ٢٤٪ في الكويت، و ٦٪ في العربية السعودية. ومنذ العام ١٩٦٩ وحتى العام ١٩٨١ كان هناك من العمالة المهاجرة ما مجموعه ١٥٠ ألفاً منهم ١١٠,٠٠٠ من الضفة الغربية والباقي من قطاع غزة. وفي السنوات ما بين ١٩٧٠-١٩٧٤ تميزت هجرة العمالة الفلسطينية من المناطق المحتلة إلى دول الخليج بضعفها نسبياً، ذلك لأن الاقتصاد تمتع في المرحلة نفسها بنموه السريع: حوالي ٣٠٠٠ مهاجر سنوياً، إذ اختار كثير من المهاجرين المحتملين الطريق الأقصر، فذهبوا للعمل في إسرائيل ضامنين العودة في المساء إلى بيوتهم. بعد ذلك ومنذ العام ١٩٧٥ وعندما بدأ النمو الاقتصادي الإسرائيلي بالتراجع إلى الصفر، كان الرخاء النفطي في غضون ذلك قد أصاب دول الخليج العربي جميعها، فهاجر إليها سنوياً حوالي ١٣ ألف شخص. ثم ارتفع العدد في الأعوام ١٩٨٠-١٩٨١ ليصل إلى ٢٠ ألفاً.^{٣٨}

ثم كان هناك الكساد الاقتصادي الذي بدأ يرخي سدوله بشكل ملموس منذ العام ١٩٨٣، أضاف إلى ذلك السياسة الجديدة التي ابتعتها دول الخليج في تحديدها للتأشيرات الممنوحة، ناهيك، وبشكل أساسي، عن قوانين الزيارة الأردنية الصارمة

التي كان هدفها منع الهجرة من الضفة الغربية إلى أبعد حد ممكن. وعليه، فقد كان هناك العام ١٩٨٣، ١٠,٠٠٠ مهاجر، وفي السنة التي تلت ٣٠٠٠ فقط.

أما التأثيرات التي نتجت عن تلاشي فرص الهجرة فقد كانت ظاهرة بشكل خاص عند أولئك الشباب ممن أنهوا الثانوية أو الدراسة الجامعية، الذين شكلوا تقليدياً غالبية المهاجرين. فمن قبل وفي العام ١٩٨٤ كان هناك ١٠ آلاف من الخريجين. ومنذ ذلك الحين كان العدد في تزايد مستمر.^{٣٩}

أما النتائج السياسية لهذا التطور الاقتصادي الطويل الأمد فبدت واضحة، فالمجموعة الأكثر تسييساً داخل المجتمع الفلسطيني القابع تحت الاحتلال مشكلة من فئة الطلاب والتلاميذ الذين اعتادوا أن يخسروا سنة بعد سنة تقريباً عدداً من نشاطهم الأكثر خبرة كجزء من العمالة المهاجرة، لم تعد تخشى ذلك بسبب اضطرار الكثيرين إلى مراوحة أماكنهم. هذا الجيش من العاطلين عن العمل كان في تزايد مستمر، ناهيك عن تمتعه بطاقة كامنة لخوض صراع سياسي بدأت تتضح أكثر فأكثر. وكما هو الحال بالنسبة لضريبة القيمة المضافة، تتشابك هنا أيضاً مشاكل اقتصادية مع استياء اجتماعي وسياسي لينتج عن ذلك خليط سياسي متفجر. فظاهرة البطالة في صفوف الشباب الذين انتهوا من المدرسة بنجاح، ويحملون إلى جانب ذلك درجة أكاديمية، أنتج على المستوى الاجتماعي السياسي تحولاً عميقاً في القيم، ففي المجتمع الفلسطيني، سواء في الداخل أم في الشتات، كانت التربية والتعليم، وكنتيجة لنكبة ١٩٤٨، تعتبر أفضل شيء يملكه الفلسطيني، ويسعى إليه الشباب للتسلح بشكل أفضل "للقدر الفلسطيني"، وهو ما نتج عنه مع الأيام ولع حقيقي بالتعليم. فالبطالة التي بدأت عام بعد عام تأخذ أبعاداً أكبر من ذي قبل، وكان تأثيرها الأكثر حدة من نصيب المناطق المحتلة، دفعت عالماً بأكمله إلى الانهيار، فبدأت أعداد متزايدة من الشباب تتساءل عما إذا كانت هناك أية جدوى لهذا الجهد الذي يبذل في المدارس والجامعات، وبخاصة أن الأمر بات ينتهي إما بالبطالة أو كعامل غير ماهر في إسرائيل. وللخروج من هذه المعضلة، هكذا اعتقد الكثيرون، لا بد من تغيير الوضع بشكل جذري، أي إنهاء الاحتلال، وبذلك ترتبط الفرص المستقبلية بالمصير الجماعي للشعب. وبالإضافة إلى تأثيرات الاحتلال الإسرائيلي ذات المدى البعيد على المجتمع الفلسطيني، فإنه من المفترض أن نبحث عن مؤشرات تأزمية سادت الدولة الإسرائيلية خلال الثمانينيات.^{٤٠} وهنا تقدم نفسها الحرب الإسرائيلية ضد م.ت.ف في العام ١٩٨٢ كأفضل ما يكون، ويبقى السؤال نحو نتائجها بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، نظامه السياسي وبالطبع جيشه.

ففي اللغة الدارجة (لغة الشارع الإسرائيلي) كما هو الحال بالنسبة للجيش الإسرائيلي، يطلق على هذه الحرب "حرب أريك" أي حرب وزير الدفاع في ذلك الوقت أرييل (أريك) شارون. ويتبنى هذا التفسير أيضاً كلا الصحافيين الإسرائيليين زئيف شيف، وأيهود

يعاري. فكلاهما اعتبر هذه الحرب نتيجة "لطموح رجل واحد لا مبال ومستعد لكل شيء". ففي تقييمهم الأولي لـ "حرب إسرائيل في لبنان"، دار الحديث عن "مغامرة مسرفة أفقدت [إسرائيل] الكثير من قوتها الداخلية". "حرب دفعت إسرائيل ثمنًا باهظًا في مقابل نجاحات هزيلة". "حرب غالية الثمن عديمة المعنى".^{٤١}

وقد يكون من المفيد وذي دلالة أن نتتبع كيف نجح شخص بمفرده في بلد يتمتع بديمقراطية يُشهد لها في تحييد كل آليات المراقبة في عملية صنع القرار على مستوى عال، وليشل بشكل فعال، ليس الحكومة المصغرة فحسب، وإنما قيادة الجيش أيضاً. في حين استخدم حزب العمل وظيفته كمعارضة ببطء شديد، وفي وقت متأخر جداً. وحتى الصحافة الإسرائيلية ذات الحس النقدي المميز، فشلت في اللحظة الحاسمة عوضاً عن أنها كانت قد انجرت ولو جزئياً، إلى جوقه الترانيم الشوفينية.

أما نجاح أو فشل حرب ما فيمكن الحكم عليه -على سبيل المثال- من خلال الأهداف التي تم تحقيقها. وهنا يعدد شيف ويعاري أربعة أهداف:

١. القضاء على م.ت.ف كعامل سياسي مستقل.
٢. توجيه ضربة إلى سوريا تؤدي إلى تحجيمها وتحييدها كعامل يشكل خطراً على إسرائيل.
٣. إقامة نظام في لبنان يسيطر عليه بشير الجميل المتحالف مع إسرائيل.
٤. تعاون أقوى مع الولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه إضعاف النفوذ السوفييتي في المنطقة.^{٤٢}

ويسمى المؤرخ الإسرائيلي يهوشوع بوراث (Y. Porath) في تحليل نادر كههدف رئيسي لغزو لبنان محاولة "وقف صعود م.ت.ف إلى درجة الاحترام السياسي". "توجيه ضربة قوية إلى م.ت.ف. كقوة سياسية، كان السبب لعملية (Raison d'être)"^{٤٣}

وباستثناء الهدف الرابع المتعلق بتعاون وثيق مع الولايات المتحدة، فقد فشلت الحرب من النواحي كافة، وبشكل خاص في تحقيق هدفها الأكثر أهمية، وهو استبعاد م.ت.ف من السياسة في المنطقة. كما أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد خلقت الحرب الأزمة الأولى الشاملة التي يمر بها الجيش الإسرائيلي، أزمة مع نفسه، مع هويته ومع شرعيته. فمنذ دخول لبنان العام ١٩٨٢ وحتى موعد الانسحاب الرسمي في صيف ١٩٨٥، جرى الحديث يومياً في الصحف الإسرائيلية ما بين معارض ومؤيد لهذه الحرب، بالإضافة إلى دور الجيش شارك فيه صحافيون، وضباط احتياط وضباط في الخدمة. كما ازدادت نسبة الانتحارات في الجيش، ناهيك عن ازدياد سريع في استخدام المخدرات وخرق القانون. فتكررت الحوادث إلى حد أن جنوداً إسرائيليين

باعوا سلاحهم إلى لبنانيين أو إلى عالم الأجرام الإسرائيلي. فأعداد الإسرائيليين التي باتت تحاول التهرب من خدمة الاحتياط كانت في تصاعد، كما حصلت طفرة في عدد رافضي الخدمة الإلزامية.^{٤٤}

أما ذلك الأثر الباقي الذي خلفته الحرب، فقد كان بالتأكيد تلك "الشروخ العميقة في ثقة الجيش في قيادته وفي عدالة قضيته".^{٤٥} وإذا ما تم ومن هذه النقطة بالذات، رسم خط مباشر مع الانتفاضة، فإنه من الممكن، حسب رأيي، فهم عملية التفكك التي بدأت داخل الجيش الإسرائيلي منذ الأعوام ١٩٨٧/١٩٨٨ التي شخصها المؤرخ العسكري مارتن فان كريفلد (Martin van Creveld) بشكل دراماتيكي.^{٤٦}

أما فيما يتعلق بالهدف الرئيسي للحرب، فلا م.ت.ف انتهت، ولا قاربت المسألة الفلسطينية حلاً لها، بل على النقيض من ذلك، فإن النزاع بين الإسرائيليين والفلسطينيين قد تفاقم في أعقاب حرب ١٩٨٢ ليصب منساباً في الانتفاضة. وهنا يحاول كل من شيف ويعاري ذكر السبب. "ربما كانت المأساة الكبرى لهذه الحرب، أن إسرائيل، وعندما وضعت الحرب أوزارها ... لم تمتلك الحكمة في اتباع نهج يقود إلى حل سياسي مع الفلسطينيين...".^{٤٧}

فما تبقى لإسرائيل من هذه الحرب كان سمعة متضررة عند الرأي العام العالمي، وتوترات كبيرة مستديمة مع أجزاء من الشتات اليهودي، بالإضافة إلى مشاكل اقتصادية متنامية. فالدولة اليهودية خرجت من هذه الحرب تحمل أعباء أزمة عميقة. أزمة في حياتها السياسية، في أيديولوجيتها، وفي داخل جيشها.^{٤٨} فللمرة الأولى في تاريخ إسرائيل تنشط أثناء سير الحرب حركة احتجاج ضد الحرب نفسها، منذ العام ١٩٤٨ كانت كل الحروب تعتبر من ناحية أيديولوجية حروباً دفاعية لحماية وجود الدولة ومجتمعها! وبمبادرة من اليساريين المتطرفين، تم زج حركة السلام الآن المعتدلة في دوامة احتجاج كانت ترفد بشكل خاص من الجيش. النتيجة كانت مظاهرات أكبر وأكبر، أما الذروة فقد شكلتها المظاهرة التي حدثت احتجاجاً على مذبحه صبرا وشاتيلا التي تم قتل مئات الفلسطينيين من قبل مليشيات لبنانية مسلحة تحت عيون الجيش الإسرائيلي، هذه المظاهرة ضمت بضعة آلاف من المتظاهرين. حركة الاحتجاج هذه التي كانت قد برزت خلال حرب لبنان عادت، وشكلت نفسها من جديد خلال الانتفاضة محاولة بعزم ونشاط جديدين الدعوة إلى هدفها من أجل تعايش إسرائيلي فلسطيني سلمي يتم تحقيقه بشكل جلي.

وكنتيجة لحرب لبنان، فقد نشأت فجوة عميقة داخل المجتمع الإسرائيلي بين اليمين واليسار دمرت نهائياً وإلى الأبد ما كان حتى ذلك الحين قائماً من إجماع سياسي أيديولوجي حول إسرائيل كدولة، مكانتها ودورها في المنطقة إضافة إلى مستقبلها

السياسي. فجزء من المجتمع الإسرائيلي أصبح أكثر تصلباً غير مبدي أي استعداد للوصول إلى اتفاق ويريد بناء مستقبل إسرائيلي على أساس القوة العسكرية فقط. في حين ينطلق الجزء الآخر من استحالة الوصول إلى السلام في المنطقة، وبالتالي السلام لإسرائيل من غير حل للقضية الفلسطينية. فتسوية مع الفلسطينيين، م.ت.ف، بحيث يمكن في نهاية المطاف أن تشكل دولة فلسطينية هو الحل، وبالتالي الأساس لنظام سلام مستقبلي.^{٤٩} هذا الشق في المجتمع الإسرائيلي وجد ملحاً له في الشتات اليهودي، وبخاصة في التجمعات اليهودية في الولايات المتحدة.

فأزمة إسرائيل، التي ربما شاركت في جعل الانتفاضة أمراً ممكناً لا تزال مستمرة حتى اليوم. كما أن حكومة الدولة اليهودية التي تمكن شارون العام ١٩٨٢، وبذكاء شديد، من تحييدها، أظهرت نفسها حتى الآن غير قادرة على اتخاذ قرار عملي بخصوص مستقبل إسرائيل ومستقبل الفلسطينيين. فالمحافظة على وضع راهن لا يمكن الصبر عليه طويلاً كان سيقود عاجلاً أم آجلاً إلى أن يقوم أحد شركاء النزاع، وعادة الأكثر معاناة، إلى أخذ المبادرة بيديه.

وإذا ما ألقينا نظرة إلى الوراء مستقصين ما حصل في الشتات والمناطق المحتلة، تظهر سنوات السبعينيات والثمانينات وكأنها سلسلة متلاحقة من الهجمات ضد الوجود السياسي، والوطني، وحتى في الغالب ذلك الجسدي للفلسطينيين. فالشتات حفل "بأيلول الأسود"، ومجازر حزيان في الأردن، ثم تبعتها الاعتداءات الإسرائيلية ضد قادة م.ت.ف في قلب بيروت في نيسان ١٩٧٣، وهجمات الجيش اللبناني ضد مخيمات اللاجئين المتناثرة حول بيروت. وفي أعقاب ذلك مباشرة هبت أخيراً رياح الحرب اللبنانية في ربيع ١٩٧٥. وبلغت الأحداث ذروتها العام ١٩٨٢ في الاجتياح الإسرائيلي للبنان، والمعارك ضد م.ت.ف والفلسطينيين واللبنانيين في جنوب لبنان، في بيروت وحولها، ثم في صبرا وشاتيلا، وحرب المخيمات منذ ١٩٨٣ وبلا انقطاع تقريباً، حيث عاد الفلسطينيون الموالون لسوريا مع حلفائهم للقتال ضد م.ت.ف بقيادة عرفات والفلسطينيين الموالين له في المخيمات في لبنان.

وفي ظل هذا التهديد الذي يتعرض له الفلسطينيون في لبنان، فإن منطقاً سياسياً ما كان لا بد أن يفرض نفسه. فقد كان على قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية أن تجد مخرجاً من هذه المتاهة الدموية في لبنان يستطيع إنقاذ اللاجئين الفلسطينيين، ويوفر لهم فرصاً سياسية مستقبلية مقرباً بذلك المسألة الفلسطينية من حل يقبله الجميع. فالكفاح المسلح وبالكيفية التي تم فيها المحافظة عليه حتى الآن على الأقل من ناحية لفظية، وكأيديولوجية محرقة، قد فشل بشكل مطبق. كما أن حلاً عسكرياً للصراع لم يعد مطروحاً على بساط البحث. فلم يبق هناك سوى سبيل المفاوضات السياسية والدبلوماسية، شريطة أن تتوفر الظروف الملائمة.

فقيادة م.ت.ف، "فتح" بزعامة عرفات، بالإضافة إلى التنظيمات الأكثر أهمية المنضوية تحت لواء م.ت.ف: "فتح"، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية، كانت متفقة فيما بينها على أن الحل يقع فقط في المناطق المحتلة. ولذلك، حاولت جميعها، وعلى الأبعد منذ العام ١٩٧٨ (مفاوضات كامب ديفيد)، أو ١٩٨٢ (بعد حرب إسرائيل ضد م.ت.ف)، تركيز نشاطها السياسي والتنظيمي هناك حتى يتم الشروع بنضال مشترك مع ذلك الجزء من المجتمع الفلسطيني الرايض في الضفة الغربية وقطاع غزة، للوصول إلى حل لقضيتهم الفلسطينية يتمثل في دولة.

وخلافاً للوضع العام ١٩٦٧، فقد نشأ في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات وضع في المناطق المحتلة سمح للنشاط الحشدي والتنظيمي لم.ت.ف بالعمل وسط تربة خصبة. إضافة إلى ذلك، فإن كل التنظيمات كانت قد تعلمت في هذه الأثناء كم هو مهم الحشد السياسي، وكم هي عديمة محاولة إقامة خلايا مسلحة تعمل في السر تحت ظروف الاحتلال الإسرائيلي. وأخيراً وليس آخراً، فإن ظروف الاحتلال اليومية التي كان قد سبق الحديث عنها آنفاً بنظامها القمعي متعدد الطبقات قد أعطت الوطنية الفلسطينية دفعة لا مثيل لها. فالفلسطينيون في الداخل كانوا مهددين من كل الجهات. وكما إخوانهم في لبنان فقد تعرضوا لضغط ثابت ومستمر لم يكن أقل حدة وهو ما حاولت رسمه بريشتها الأدبية الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة:

توتر داخلي، توتر خارجي، أنت تشعر وكأنك في دوامة، في إعصار، قدّر
بخاري، احتلال، وتظاهرات، وأخبار، محاكمات، وسجون، وبيوت مدمرة،
وأرواح محطمة. وضرائب، تخفيض جديد، ومستوطنة جديدة. وتوتر. يبنون
مستعمرة جديدة هناك، غدا يبنون مستعمرة جديدة هنا. فإلى أين يجب أن أذهب
إذا؟ من سيسمع احتجاجي؟^{٥٠}

لقد أرادت إسرائيل من حربها في لبنان أن تتخلص سياسياً من م.ت.ف، تمهيداً لفرض حل إسرائيلي في المناطق المحتلة. ففي الوقت الذي رأى فيه الفلسطينيون في لبنان أنهم معرضون بالدرجة الأولى للتهديد الجسدي، تعرض الفلسطينيون تحت الاحتلال لتهديد سياسي متنام. فتنفيذ الأهداف الاستراتيجية، السياسية الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة كان يعني نهاية الفلسطينيين كشعب وإحباط تطلعاتهم نحو الاستقلال. وإذا كان هناك من شيء على الفلسطينيين القيام به فهو التحرك وبشكل جماعي.^{٥١}

ب. "المحرضون من الخارج" والانتفاضة

حسب الفرضية الأوسع انتشاراً حول دور م.ت.ف، فإن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية مع عرفات على رأسها، وبشكل لا يختلف عن إسرائيل، والصحافة العالمية وخبراء الشرق الأوسط المجتمعين، قد أخذت كلياً على حين غرة، وأن الانتفاضة فاجأتهم تماماً، ولذلك حاولت وبعد تأخر كبير القفز إلى العربة السائرة. وعلى هذا الأساس، لم يكن "للمحرضين من الخارج"، عطفاً على مقولة برينغتون مور (Barrington Moore)، دور في الانتفاضة.^{٥٢} فهل تدعم الحقائق المتوفرة هذه الفرضية؟

في أعقاب موت طالبين من قطاع غزة بعد إصابتهما بالرصاص خلال مظاهرة شهدتها جامعة بيرزيت في كانون الأول ١٩٨٦، اندلعت في قطاع غزة اضطرابات غطت وبشكل غير متواصل سنة ١٩٨٧، مشكلة بذلك خطأ يقود مباشرة إلى الانتفاضة. وإذا ما حاول المرء تتبع المواقف المعلنة لقيادة م.ت.ف، فإن الانطباع المكتسب يكمن في أن ما كان يحصل في الداخل في هذه الفترة كانت تتم متابعته وبشكل دقيق جداً في الخارج. فالتظاهرات ضد الاحتلال، والاضطرابات في مخيمات اللاجئين والمدن كان يتم التقاطها في الخارج بشكل إيجابي، بحيث تقدم بشكل مثالي في الكلمات التي تلقى في مناسبات "الثورة" المختلفة محدثة من خلال عملية تقييم استرجاعي (feedback) تأثيراً تحريكياً مضاعفاً. في الوقت نفسه علينا أن لا ننسى وجود بنية بلاغية يبدو أنها تمتلك معنى أيديولوجياً مهماً. فالحديث لم يقتصر فقط على كفاح الفلسطينيين ضد الاحتلال في مخيمات اللاجئين في لبنان ضد أولئك الذين يتناوبون على الاعتداء عليها. ففي كانون الثاني العام ١٩٨٧، وبمناسبة العيد الثاني والعشرين للثورة الفلسطينية التقط عرفات المبادرة بكتا يديه: فحيا من تظاهر واستشهد في بيرزيت، وبلاطة، والخليل، وغزة، ونابلس، مفسراً الاضطرابات في الداخل كبريق أمل في مقابل حرب المخيمات المريعة في لبنان، بالإضافة إلى كونها دعماً يقدمه الفلسطينيون تحت الاحتلال من أجل إخوانهم في الشتات.^{٥٣}

أما لجوء عرفات إلى اعتبار النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال في المستوى نفسه من العلاقة الوثيقة مع نضال سكان المخيمات في لبنان دفاعاً عن وجودهم، فهو يبين في الوقت نفسه الفوهة التي تتمتع بها الوطنية الفلسطينية. وهنا يصبح ثانوياً إذا كانت هذه الاضطرابات في المناطق المحتلة قد افتعلت حقاً بإدراك من أجل نصرة الفلسطينيين في لبنان. ذلك أن مثل هذا الوعي قادر على النشوء فيما بعد كإحدى النتائج المترتبة على تأثيرات البلاغة الخطابية فهذا أمر لا يمكن استبعاده بسهولة. لذلك، دعونا نقرأ ما نقلته الجيروزالم بوست على لسان وزير الدفاع الإسرائيلي (السابق) اسحق رابين بهذا الخصوص. "عمدت م.ت.ف إلى إحداث الموجة الحالية من الاضطرابات في المناطق لجذب الانتباه إلى المخيمات الفلسطينية المحاصرة في لبنان، واستعادة مواقعها التي خسرتها كنتيجة لتقاربها التدريجي مع الأردن".^{٥٤}

وقد شددت القيادة في الخارج في الأحاديث والمقابلات التي جرت معها خلال سنة ١٩٨٧ على ضرورة تصعيد النضال ضد الاحتلال. فقد دار الحديث آنفاً حول انتفاضات،^{٥٥} وفي المحادثات بين "فتح"، والجهة الديمقراطية، والحزب الشيوعي الفلسطيني لحل الصراعات داخل م.ت.ف تم التعامل إيجابياً مع "ثورة شعبنا الفلسطيني في الوطن المحتل، ووحدته القتالية التي تزداد التحاماً وتصميماً في المقاومة ضد مخططات الاحتلال الصهيوني، وكل المؤامرات ضد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني".^{٥٦} فعملية التوحيد التي بدأت في الشتات، التي بلغت ذروتها في المجلس الوطني الفلسطيني الثامن عشر في الجزائر في ربيع ١٩٨٧ بمشاركة "فتح" والجهة الشعبية، والجهة الديمقراطية، والحزب الشيوعي الفلسطيني، رأت في وحدة الفلسطينيين، سواء كانت حقيقية أم هكذا تمت رؤيتها، في الداخل مثلاً يحتذى به.^{٥٧} وبشكل مقبول استندت الانتفاضة منذ كانون الأول ١٩٨٧ إلى مثال الوحدة الوطنية في الشتات من أجل خلق جبهة موحدة في الداخل، والمحافظة عليها خلال فترة زمنية غير قصيرة.^{٥٨}

وفي خضم اضطرابات نيسان في المناطق المحتلة التي حصلت في سياق إضراب المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية عن الطعام وكتأييد له، يكشف أبو جهاد المسؤول في فتح عن المناطق المحتلة في مقابلة معه عن ماهية تفكير القيادة الفلسطينية. "قرارنا يهدف إلى تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الإسرائيلي، وفي الوقت نفسه تصعيد الكفاح السياسي لشعبنا في المناطق المحتلة، وذلك للحفاظ على صورة الشعب الواحد في مواجهة العالم".^{٥٩}

وقبل ذلك ببضعة أيام يجيب عرفات عن سؤال حول إستراتيجية م.ت.ف: "... إن مواصلة تطور نضالات شعبنا في الوطن المحتل الذي يشكل القوة الأكثر أهمية في مواجهة العدو الإسرائيلي، ونضالات شعبنا خارج الوطن المحتل، يجب أن توضع جميعها تحت إشراف م.ت.ف".^{٦٠} فالتشديد على أن "الشعب الفلسطيني كل مكتمل" كان في ذلك الشيء الحاسم دائماً.

وأخيراً أصدرت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف في حزيران ١٩٨٧ البيان التالي: "إنها لتعبر عن فخرها العظيم في الثورة الجماهيرية الرائعة والمستمرة ضد الاحتلال ... هذه الثورة تبين تصميم الجماهير الثورية المقاتلة على الاستمرار في الكفاح حتى يهزم الاحتلال، وتحرر أرضنا المحتلة". وتختتم البيان مطالبة بـ "تصعيد الكفاح، وذلك من خلال استخدام كافة أشكال النضال الجماهيري والكفاح المسلح".^{٦١}

أما موجة الاضطرابات التي حصلت في أكتوبر فقد فسرها شموئيل جورين، منسق شؤون المناطق المحتلة في وزارة الدفاع الإسرائيلية (سابقاً)، على الشكل التالي: فحسب رأيه فإن القائمين على العمل هم مجموعة من النشطاء الشبان المتطرفين الذين ينتظرون

بفارغ الصبر الفرصة للتحرك. " ببساطة ركبت م.ت.ف موجة التمرد هذه ". في حين حاول جورين الحط من قدر الجهاد الإسلامي المشارك مباشرة في الاضطرابات بحجة أنه " تنظيم يفتقر إلى البنية والتركيب الهرمي الجيد ". ولذلك فهو يعمد إلى مقارنة الاضطرابات في أكتوبر بتلك التي كانت قد حصلت مع نهاية ١٩٨٦ / مطلع ١٩٨٧. " قبل عدة أشهر قتل طالبان في بيرزيت. لقد كانا من خان يونس وغزة، وشهدنا بعدها اضطرابات في غزة لمدة حوالي عشرة أيام ". وبشكل عام، والحديث لا يزال لجورين، فإن سلطة الاحتلال سبق وأن تعرضت لظروف أكثر حرجاً دون أن تصاب بضرر. لذلك على المرء ألا يصاب بالفزع أو يعمد إلى المبالغة. " نشهد في هذه الأيام موجة من التمرد التي، حسب اعتقادي، لن تستمر طويلاً. وفي تقديري أنها قد دخلت آنفاً في دور التلاشي " ^{٦٢}.

هذا التطور رأى فيه في ذلك الوقت اثنان من السياسيين الفلسطينيين المحافظين أكثر من سحابة صيف عابرة. فقد حاول إلياس فريج رئيس بلدية بيت لحم المنتخب التصدي بقوة للمشروع الإسرائيلي في التنقيب عن الماء بالقرب من بيت لحم بهدف تزويد القدس والمستعمرات المجاورة بالمياه. " هذا المشروع يهددنا في صميم وجودنا ... هذه مسألة حياة أو موت. إنه الوضع الأكثر خطورة الذي نجابه به خلال العشرين سنة الماضية. سوف نقاوم بكل الوسائل المتوفرة لدينا وعلى كل الأصعدة ... هذا اعتداء على حقوقنا الوطنية " ^{٦٣}.

أما رئيس بلدية غزة الذي أُقيل من منصبه، رشاد الشوا، فيصف في مقابلة إذاعية الوضع في قطاع غزة في صيف ١٩٨٧:

الجو متوتر جداً في المدينة. هذا التوتر يخيم منذ فترة طويلة، منذ أن سمع الناس ما قاله السيد ديكل بخصوص " ترانسفير " للسكان من غزة، التخلص من السكان العرب ... الخ. إن السكان العرب في المناطق يحسون بتهديد متزايد إزاء ما يقوله أناس مثل زئيفي وديكل وبشكل غير مباشر شامير أيضاً. ... إن الوضع في تدهور مستمر ... لقد حاولنا جذب انتباه السلطات، والحكومة الإسرائيلية إلى أننا نقف على حافة انفجار ... ^{٦٤}.

كيف تصرف م.ت.ف والتنظيمات التي تُولفها في مثل هذا الوضع؟ للإجابة عن هذا السؤال سنتناول نشاطين أساسيين من نشاطات " فتح ": بناء تنظيم شبابي (الشبيبة)، وأعمال الجهاد الإسلامي في المناطق المحتلة. لقد كان قد تم على الأبعد سنة ١٩٨٧ بناء شبكة كاملة من المنظمات المحلية في جميع أنحاء المناطق المحتلة، وهي التي شكلت في مجموعها بنية تحتية سياسية كاملة: اتحادات عمال، وحركة طلابية، ولجان مرأة، ولجان إغاثة طبية ... الخ. وفي ذلك كانت كل تنظيمات م.ت.ف مشاركة. أما فيما يتعلق بالمرأة والعمال فقصب السبق كان من نصيب الجبهة الديمقراطية، والشعبية والحزب الشيوعي،

في حين وضعت "فتح" ثقلها وبشكل واضح في حركة الشبيبة. وعلى ما يبدو، فإنه لم تكن في تلك الأثناء قرية أو مخيم أو ركن في مدينة يخلو من "شبيبة".^{٦٥}

وقد صدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي هذا التطور، ممسكة هنا وهناك بأحد النشاطات القياديين لتقوم بإبعاده. إلا أنها لم تدرك أن التطور كان قد وصل مرحلة متقدمة، بحيث أن إبعاد بعض القياديين كان محكوماً عليه بالبقاء بلا فاعلية، إذ أن البديل وجد دائماً. ففي كانون الثاني ١٩٨٧، أصدرت السلطات في غزة أمراً بإبعاد محمد يوسف دحلان، الذي سبق وأن اعتقل مرات عدة بحجة "نشاط متزايد في الأشهر الأخيرة لصالح م.ت.ف.". فهو "زعيم حركة الشبيبة، "فتح" في غزة"، ومتهم بنشاطات هدامة وبالتحريض وإعطاء التعليمات للآخرين. ويضاف إلى لائحة الاتهام "تلقي أموال وتعليمات من الخارج من "فتح" ". وبعد ذلك بأيام حصلت تظاهرة طلابية في خان يونس ضد قرار الإبعاد.^{٦٦}

وفي ٣١ أيار ١٩٨٧ تقرر إبعاد نشيط آخر، هذه المرة من مخيم بلاطة للاجئين بالقرب من نابلس. أما خلفية ذلك فكانت اضطرابات في المخيم استمرت أسابيع طويلة مصحوبة بتظاهرات جماهيرية، وبقذف قنابل حارقة ضد سيارات الجيش الإسرائيلي. جهاد عبد الله محمود مصايمة البالغ من العمر ٣٦ عاماً كان قائد الشبيبة في المخيم، تم إبعاده في الرابع من حزيران نحو الأردن بعد أن نسبت إليه تهم تنظيم تظاهرات، ومصادمات مباشرة مع الجيش. وكان قد صدر عليه العام ١٩٧٩ حكماً بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً لقيامه بهجمات بالقنابل في نابلس، ثم أفرج عنه العام ١٩٨٣ في عملية تبادل أسرى^{٦٧}. ومن المفترض أن أبو علي شاهين، القائد الفتاوي شبه الأسطورة الذي كان قد تم إبعاده في مطلع العام ١٩٨٥ كان له باع طويلة في تنظيم الشبيبة في قطاع غزة.^{٦٨}

وهنا يبدو أن بنية ما قد أخذت ترسم معالمها مكنت "فتح" من الاستفادة من عملية تبادل الأسرى في العام ١٩٨٥. فمقاتلو "فتح" الذين احتجزوا سنوات وسنوات في السجون الإسرائيلية طبقوا على الفور بعد خروجهم من السجن القدرات التنظيمية والحشدية التي اكتسبوا جزءاً منها في فترة الاعتقال، واضعين إياها تحت تصرف الجيل الناشئ وبنجاح كبير، وهو ما كان على الانتفاضة أن تظهره لاحقاً. وهنا يتضح أن قيام الشبيبة كان يعني تبني إستراتيجية واضحة للحشد السياسي: فالجماهير كان يجب كسبها إلى جانب "فتح". وفي هذا السياق بالذات، كان النشاط من الرعيل الأول ممن جمعوا الخبرة خلال فترات الاعتقال الطويلة يشكلون النماذج الأكثر تأثيراً، وبخاصة بالنسبة للجيل الشاب. وهو ما برزت أهميته بشكل خاص عند "فتح"، لأن النماذج والعلاقات الشخصية لعبت هنا دوراً أكبر مقارنة مع المجموعات اليسارية ذات الحشد الأيديولوجي الأكثر تمايزاً على الرغم من أن النماذج الشخصية والكاريزماتية قد بدأت هناك أيضاً تكتسب تأثيراً أكبر.

وقد كان أسعد الصفاطوي أحد مقاتلي "فتح" منذ الساعة الأولى، الذي قضى ست سنوات في السجن في الفترة ما بين ١٩٦٥-١٩٧٥، أحد الأبطال الرموز بالنسبة للشبيبة في قطاع غزة. فبيته تحول إلى ملتقى يرتاده مؤيدو "فتح" في المنطقة بانتظام. ومن المحتمل أيضاً أن هذا البيت هو الذي شكل ما يشبه المفصل الأول في الاتصالات التي حدثت بين "فتح" والجهاد الإسلامي، ذلك التنظيم الذي شاء القدر أن يقوم بالعودة إلى البدايات الأولى لـ "فتح" في محاولة لاستخدام الكفاح المسلح من جديد كأداة للحشد وكمحفز لثورة شعبية. ويبدو معقولاً أن نقوم هنا باقتفاء أثر المعلومات التي تملكها المخابرات الإسرائيلية التي تتحدث عن اتصالات نشأت بسرعة كبيرة بين الجهاد في الداخل و"فتح"، وأبو جهاد في الخارج. ألم يكن أبو جهاد ذاته قد بدأ في سنوات الخمسينيات وبشكل لا يختلف كثيراً عن أسعد الصفاطوي، الابن في الثمانينيات، النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي على أسس إسلامية أصولية ولكنها في الوقت نفسه وطنية فلسطينية؟

أما الثمرة الأولى لهذا التعاون المشترك بين الجهاد و"فتح" فقد تمثلت في العملية الفدائية التي وقعت في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٦ في القدس ضد لواء جفعاتي، أحد الألوية المشهورة في الجيش الإسرائيلي.^{٦٩} ومن المفترض أن العام ١٩٨٧ قد شهد نشاطاً لخلايا الجهاد الإسلامي في حوالي نصف مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية، في بعض القرى في شمال الضفة الغربية، وفي كافة أنحاء قطاع غزة.

وفي الثامن عشر من أيار ١٩٨٧، نجح الجهاد الإسلامي في تسديد ضربته الأكبر حتى ذلك الحين: أول عملية فرار ناجحة من سجن إسرائيلي شديد الحراسة في غزة منذ بداية الاحتلال. وقد أعيد إلقاء القبض على أحد الفارين الستة الذي أحجم عن تقديم أية معلومات عن رفاقه. أما الخمسة الآخرون فلم يغادروا المنطقة كما كان متوقعاً، بل استقروا في وسط غزة للبدء من جديد بعمليات جريئة ضد الجيش الإسرائيلي؛ فalcوا بالقنابل على المقر العسكري الرئيس في غزة، ونصبوا الكمائن لعملاء الشين بيت، متمكنين من إصابتهم عوضاً عن قتلهم لعميلين فلسطينيين. وفي المعدل نشطوا مرة في الأسبوع مستخدمين مبدأ ضرب واهرب.

وظل الأمر على حاله حتى الأول من تشرين الأول ١٩٨٧ عندما تم اقتفاء أثر ثلاثة منهم وقتلهم أثناء محاولتهم اقتحام حاجز للجيش. في السادس من الشهر ذاته، وخلال عملية ملاحقة معقدة أسفرت عن قتل الفدائي الأخير الفار مع عناصر أخرى من الجهاد، وبالإضافة إلى أحد عملاء الشين بيت لم يبق منهم سوى عماد الصفاطوي الذي تمكن من الفرار إلى مصر.^{٧٠}

فمعركة السادس من تشرين الأول تحولت بسرعة كبيرة إلى ما يشبه الأسطورة وحولت الفارين الستة من أعضاء الجهاد إلى أبطال، ووزعت صورهم في كل

مكان. وحين دعت منظمة الجهاد الإسلامي في العاشر من الشهر ذاته إلى الإضراب العام، انطلقت التظاهرات في الشوارع والمساجد وفي الجامعة الإسلامية في غزة: فأشعلت الإطارات وأقيمت الحواجز. كما هاجم حشد من مؤيدي الجهاد الإسلامي مركز الشرطة في غزة. وهكذا فإن إستراتيجية الجهاد لم تخل من النجاح: فملاحقة الجيش الإسرائيلي والشين بيت للفارين الستة تطورت إلى درجة المصادمة المباشرة بين الاحتلال والسكان الفلسطينيين. أما قرار إبعاد الشيخ عبد العزيز عودة أحد قادة الجهاد، والصادر بتاريخ ١٠ تشرين الثاني، فقد قاد إلى مصادمات جديدة.

وأخيراً، وفي الخامس والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر كان أحمد جبريل زعيم الجبهة الشعبية-القيادة العامة هو الذي أشعل الشرارة المشهورة، أو قدم الشعرة التي قسمت ظهر البعير أياماً قليلة قبل اندلاع الانتفاضة. ومرة أخرى كانت عملية فدائية كلاسيكية على غرار ذلك الهجوم الذي حدث ضد جنود جفعاتي في القدس العام ١٩٨٦، حين اجتاز شخص قدم من لبنان الحدود بسهولة ليهبط بطائرته الشراعية في معسكر للجيش صارعاً ٦ جنود بالرصاص قبل أن يلقي حتفه. ومرة أخرى، رأى الفلسطينيون بطلاً جديداً يقوم بعمل مثير. "سنة مقابل واحد" شكل شعاراً استخدمه أطفال غزة لاستفزاز الجنود الإسرائيليين. كل هذه التراكمات أدت إلى نمو ثقة الجماهير بنفسها في قطاع غزة في الأشهر التي سبقت كانون الأول ١٩٨٧. فالفعاليات التنظيمية، وفي المقام الأول تلك التي نظمها "فتح"، إضافة إلى التي نظمها الجهاد في قطاع غزة، كانت موجودة في كل مكان تقريباً.

ويبقى هذا المقام حرياً بطرح السؤالين التاليين: أية أهمية أكسبتها م.ت.ف وتنظيماتها للكفاح المسلح في المناطق المحتلة العام ١٩٨٧؟ وهل كان هناك اتفاق ووثام في العلاقة مع السكان والمقاتلين في الداخل؟ إلى أي حد كان الاتصال جيداً ووثيقاً بين "الداخل" و"الخارج" على سبيل المثال بين الشبيبة وأبي جهاد بالإضافة إلى عرفات، أو بين فروع الجبهة الديمقراطية والشعبية وقياداتها في الشتات؟

ويبدو في حكم المعقول أن قيادة "فتح" قد طرحت في أعقاب إخراج م.ت.ف من لبنان ١٩٨٢ أفكاراً جديدة تتعلق بإمكانية كسر الجمود على جبهات الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني بواسطة القيام بعمليات عسكرية.^{٧١} وفي هذا السياق، يصب في الغالب التعاون بين "فتح" في "الخارج" والجهاد في "الداخل". ولذلك مدلول خاص وهو أنه ربما لم يكن لدى "فتح" في المناطق المحتلة استعداد للرجوع مجدداً إلى الكفاح المسلح ذي التكاليف الباهظة. ولسنا نجازف إذا ما افترضنا أن ما يشبه التناغم قد ساد داخل "فتح"، بحيث تبقى العمليات المسلحة من شأن "فتح"-الشتات، في حين يقتصر نشاط التنظيم في "الداخل" على حشد وتنظيم السكان على أوسع نطاق. وعلى ما يبدو أن حال الجبهتين الشعبية والديمقراطية لم يختلف كثيراً في ذلك.

أما الضربة الكبيرة التي توفقت "فتح" في تسديدها فتمثلت في تنشيط نوع جديد من المقاتلين (مقاتلي الجهاد) ممن كانوا في وضع يسمح لهم بتحويل الكفاح المسلح من مسرحية هزلية طالما مثلها، إلى خطر جدي على الاحتلال الإسرائيلي. في الوقت نفسه، فقد كانت "فتح" في العام ١٩٨٧، وربما للمرة الأولى في تاريخ الاحتلال، في وضع يمكنها، وذلك من خلال بنية تحتية منظمة من احتضان التأثير التحريكي لبعض التنظيمات الفدائية لتصب جميعها في عملية الحشد الجماهيري. ففدائيو الجهاد والجماهير الفلسطينية تظاهرت ضد الاحتلال تحت راية م.ت.ف و "فتح". وحتى تلك التنظيمات الفلسطينية التي اتسمت بعدائها لـ "فتح" على غرار الجبهة الشعبية-القيادة العامة، لم تستطع أن تغير من الواقع في شيء: فالجماهير الفلسطينية منحت م.ت.ف، وبالتالي "فتح" شرف نجاح عملية الطائفة الشراعية التي نفذت باسم القيادة العامة.

أما على صعيد الاتصالات بين الداخل والخارج، فقد تمتعت "فتح" بتفوق واضح على التنظيمات اليسارية الصغيرة. ويعود السبب في ذلك إلى البنية التحتية العملاقة الموضوعية تحت تصرف "فتح"، سواء في الشتات أم في الداخل، بالإضافة إلى الموارد المادية والمالية التي اختصت نفسها بها. في المقابل، تمتع اليساريون في دمشق بوضع دقيق جداً، بحيث أن الحرية التي امتلكوها كانت دائماً محدودة أو عرضة لخسارتها في أية لحظة. والنتيجة كانت أن القيادة في الشتات في حال "فتح" أمسكت بلا انقطاع بكل الخيوط، ولم تكن في يوم من الأيام مستعدة للتخلي عن بعض سلطاتها في اتخاذ القرار للمقاتلين في الداخل. في حين أن كلاً من الجبهتين الشعبية والديمقراطية لم يكن أمامهما من مخرج سوى ضمان حرية كاملة لتنظيماتهما في "الداخل".^{٧٢} فقيادة اليساريين هناك وبشكل خاص الجبهة الديمقراطية، ونتيجة لوجودها تحت الاحتلال، كانت في وضع سمح لها بتطوير إستراتيجية حشد مثلى تتلاءم والظروف في الضفة الغربية وقطاع غزة هناك ومن ثم تطبيقها. فالدوغماتية التي تميزت بها التنظيمات اليسارية في "الخارج" كإرث لاصق منذ عهد القوميين، واعتادت أن تبرز بشكل متكرر، حظيت بتأثير محدود جداً في المناطق المحتلة.^{٧٣} ولأن قيادة "فتح" امتازت دائماً بالبراغماتية كما تحلت ببنيتها التنظيمية بالمرونة الشديدة والتنوع، فقد تمتعت أنظمة "فتح" المتعددة في "الداخل" بمجال كبير للحركة. فالشعبية كحركة جماهيرية استطاعت التعايش والتعاون، وإلى حد كبير، بلا مشاكل أو نزاعات مع المؤسسات الوطنية المتعددة أو الشخصيات الوطنية المختلفة.

وباختصار، فإن الوضع في المناطق المحتلة في خريف ١٩٨٧ كان حافلاً وشديد التنوع. و"فتح"، كما يبدو، كانت التنظيم الوحيد الذي راهن على الكفاح المسلح داخلياً وخارجياً، بالإضافة إلى حشد الجماهير على الطريق نحو ثورة شعبية. أما اليسار فقد قام، وبشكل جزئي، بعمل لامع على صعيد الحشد والتنظيم.

فهل يعني ذلك أن عرفات وحش وحواتمة في الشتات كانوا ينتظرون إعطاء الشرارة لانطلاق الثورة الشعبية؟ بالتأكيد لا. كما أنه من المؤكد أيضاً أنه لم يحدث في التاريخ قط أن ثورة أو تمرداً جماهيرياً قد قام كنتيجة لمثل هذه الإشارة. "فالثورات لا تصنع، إنها تأتي"، هكذا صاغها فينديل فيلبس (Wendell Phillips).^{٧٤} ويؤكد المؤرخ الإنجليزي إريك هوبس باوم (E. Hobsbawm) وبحق أن "الأهمية الظاهرة للممثلين في الدراما... لا تعني أنهم أيضاً دراماتيون، منتجون ومعدو المسرح".^{٧٥} وكما أسلفنا واصفين، فإن الثورات الجماهيرية تحتاج للجماهير "المستاءة" قدر حاجتها إلى "المحرضين من الخارج". فالثورات والتمردات الشعبية هي دائماً نتيجة لاجتماع حوادث، وتطورات وعوامل مختلفة، "تلاقي عمليات ومجهودات جماعية تتحدد فيما بينها بشكل مختلف وليس بينها تنسيق مسبق (أو في غايتها ثورية)".^{٧٦} ويظهر أن هاني الحسن أحد مستشاري عرفات المقربين كان يعي هذا الأمر. ففي مقابلة معه جرت في نيسان ١٩٨٧ يستذكر هاني الحسن تشي جيفارا من خلال الجملة المشهورة: "اذهبوا إلى الجبال، وانتظروا اللحظة التي يصبح فيها الشيء النادر سائداً". ويطبق ذلك على "فتح" مستنتجاً: "يجب أن نضمن أن نكون هناك عندما تأتي هذه اللحظة". وهو ما يعني بالنسبة للمناطق المحتلة: "في الماضي أجبرونا على الكفاح المسلح... الآن نحن حاضرون هناك... أعتقد أن شعبنا في المناطق المحتلة ميسس ومنظم". وأخيراً يعقد في مقام آخر مقارنة مع فيتنام: "أنا متأكد أنه في العام ١٩٧٤ لم يكن هناك قائد فيتنامي واحد يعتقد أن فيتنام ستحرر العام ١٩٧٥".^{٧٧}

ثانياً: اشتعال الانتفاضة

قصيدة حجر وبصلة (مصطفى الكرد)

حجر وبصلة وسطل مي
زادي وزوادي صاروا معاي
مات الخوف ودفنته بايدي
مد بنارك يا الله يا خي

الخوف اللي سكن القلوب
قتل الأمل وسكر الدروب
طفى النور ودوب الشموع
مات ودفنته بايدي يا خي

الخوف اللي كان غول كبير
طفى وتجير وظلم كثير
كسر الخابية ودلق الزيت
مات ودفنته بايدي يا خي

الخوف الوقفنا طوابير
بليل البرد كبير وصغير
وستي تقول يهد الظالمين
مات ودفنته بايدي يا خي

حجر وبصلة وسطل مي
زادي وزوادي صاروا معاي
مات الخوف ودفنته بايدي
مد بنارك يا الله يا خي

يوماً كما كان الحال أيضاً يوم الثلاثاء الموافق الثامن من كانون الأول، تعود أفواج العمال الفلسطينيين بعد يوم عمل طويل في إسرائيل في المساء إلى قطاع غزة. منذ الرابعة صباحاً يقفون على أقدامهم، متعبون ومرهقون من العمل الجسدي القاسي في أماكن العمل الوضيعة، ناهيك عن الإذلال والمهانة التي يتعرضون لها في الطريق من العمل وإليه، وبخاصة على نقاط التفتيش التي يقيمها الجيش، فلا يأتي المساء حتى

يكون في رأسهم حلم مشترك: الوصول بأقصى سرعة ممكنة إلى البيت، في تلك المساكن التي تعجز الكلمات عن وصفها.

وهناك على حاجز "إيرز" بوابة قطاع غزة المصطنعة التي تبعد كيلومترات قليلة عن جباليا، أول المخيمات الكبيرة، وقع ذلك الحادث الذي لم يلبث أن صنع تاريخاً: شاحنة إسرائيلية قادمة من القطاع خرجت عن خط سيرها تحت ظروف غامضة لتتصادم وجهاً لوجه مع اثنتين من الحافلات الصغيرة من الاتجاه المعاكس. وقد أدى الحادث إلى مقتل أربعة أشخاص على الفور بالإضافة إلى الآخرين الذين أصيبوا بجراح. قبل هذا الحادث بأيام قليلة كان إسرائيلي قد تعرض للطعن في وسط غزة. وكما تدب النار في الهشيم، انتشرت في جباليا شائعة مفادها أن سائق الشاحنة الإسرائيلية قد افتعل الحادث عن قصد بهدف الانتقام مسيئاً موت الفلسطينيين الأربعة.

ولم يستطع الناس في جباليا التخفيف من حدة هذا الإحساس الذي اقتلع العقلانية بجذورها. فقد أحسوا فجأة بالخطر يداهم وجودهم الجسدي. كل ذلك تفرغ في حلق وغيط، ولم يلبث أن تحول في المساء، وفي اليوم التالي إلى أكبر تظاهرة جماهيرية تقع حتى الآن تحت الاحتلال. فخلال ساعات قليلة ارتفعت ألسنة اللهب في سائر أنحاء القطاع، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى الضفة الغربية. وما هي إلا أيام قليلة حتى عمت الانتفاضة كل المخيمات والقرى والمدن وحتى القدس الشرقية، بعضها بشكل عشوائي وبعضها نتيجة لنشاط منظم قام به فلسطينيون نشيطون. ولم يكد يحل منتصف كانون الأول حتى كان قد نشأ وضع لم يستطع الجيش الإسرائيلي السيطرة عليه.^{٧٨}

لقد أحكمت الدائرة حول الغالبية العظمى من الفلسطينيين، فشبح الاختناق لم يكن ليتركهم برهة: مصادرة أراض، ومستوطنون عدوانيون، وشبح الترانسفير، مسألة المياه التي باتت ملحة، والإبعادات، وحرب المخيمات في لبنان منذ سنوات، والتطورات السياسية المحلية والدولية مع الاستثناء الواضح للمسألة الفلسطينية من هذه التطورات، وكان عليهم التخلص منه. فكان حادث "إيرز" في خضم هذا المسلسل من الأحداث أشبه بالنقطة التي دفعت بالكيل إلى أن يطفح. وفي غضون ذلك كان الفلسطينيون في قطاع غزة، وبالذات في العام ١٩٨٧ قد جمعوا خبرات حافلة في ميدان النشاط الجماهيري، والتظاهرات والهجمات ضد الجيش. فعمليات الجهاد الإسلامي والاضطرابات الجماهيرية التي أحدثتها، بالإضافة إلى التمرد الذي حدث في مخيم بلاطة الذي استمر أسابيع كانت أشبه ما تكون ببروفا عامة ناجحة للانتفاضة. أما الثقة بالنفس اللازمة للتحرر من الخوف الذي تعمقت جذوره في مواجهة الجيش الإسرائيلي، فقد حصلوا عليها من العمليات الفدائية للجهاد الإسلامي. وأخيراً وليس آخراً الهجوم بالطائرة الشراعية من لبنان. فللمرة الأولى منذ بداية الاحتلال يقف المجتمع الفلسطيني مروراً عبر كل الطبقات والشرائح الاجتماعية محشوداً ومنظماً

بشكل مثالي إما في الشبيبة، وإما في التجمعات المهنية أو الغرف التجارية. ولم تلبث ضريبة القيمة المضافة أن دفعت بالبرجوازية كآخر حصون المجتمع إلى أحضان هذه الجبهة المشتركة. فالانخفاض الكبير في عدد العمال المهاجرين لأسباب اقتصادية دفع بالطلاب النشطاء والمتمرسين سياسياً إلى البقاء في قريتهم أو مدينتهم وغالباً كعاطلين عن العمل. وقد بدأ هؤلاء وبشكل اضطراري، التفرغ كلياً للمقاومة. كما أن عملية تبادل الأسرى التي حصلت العام ١٩٨٥ قد حررت مقاتلين متمرسين غالبيتهم من أبناء الرعيل الأول بعد "دراسة" دامت سنوات طويلة خلف القضبان، الذين لم يلبثوا أن انغمسوا فوراً في الصراع الدائر.

وقد عبر موسى البديري، أستاذ التاريخ في جامعة بيرزيت، عن المزاج السائد في مقال حول الوضع القائم في نهاية تشرين الأول ١٩٨٧. "للفلسطينيين مطلبٌ واحد ذو أهمية شمولية. فكما سبق وقال مارتن لوثر كينغ: إننا نريد حريتنا... نريدها الآن!"^{٧٩}.

ونتيجة لأزمته التي نشأت عن حرب لبنان ١٩٨٢، عجز الجيش الإسرائيلي والمؤسسات المخبراتية المختلفة عن رؤية ما بدأ يبرز واضحاً أمام عينيها، كما أنها لم تكن قادرة، حينما اندلعت الانتفاضة، على تقديم الرد "الملائم". فمنذ كانون الأول ١٩٨٧ هذا كان شيء اسمه الانتفاضة يحدد تقريباً كل شيء.

في كانون الأول ١٩٨٧ كان المجتمع الفلسطيني بأسره تقريباً قد خرج إلى الشارع معبراً عن رفضه القاطع للاحتلال. أما رد الفعل الإسرائيلي فقد وصل حد الوحشية، إلا أنه بقي في الوقت نفسه عاجزاً عن وضع حد لما حدث؛ فاستخدام الجيش للذخيرة الحية ذهب بأرواح العديدين، كما ترك عدداً لا يحصى من الجرحى والمعاقين. كما أن القيادة السياسية لم تذهب إلى أبعد من إطلاق الدعوات غير الملائمة بتاتاً من أجل المحافظة على الهدوء والنظام. وفجأة ظهرت الحكومة الإسرائيلية غير قادرة على تقديم جواب سياسي.

ومما لا شك فيه، فإن المبادرة كانت هذه المرة من نصيب الفلسطينيين. فالمشكلة التي جابهتهم في كانون الأول كانت في حد ذاتها تنظيمية سياسية. والمهم في الأمر كان عدم ترك زخم الانتفاضة يخبو، ذلك الذي هو من شأن تنظيم وقيادة جيدين. فالمقارنة التحليلية التي قام بها برنغتون مور (Barrington Moore) بين "الجماهير" و"الحزب"، تسلط الضوء، ومن كل الجوانب، على المعضلة التي كان على النشطاء السياسيين الفلسطينيين في "الداخل" وقيادة م.ت.ف في "الخارج" مواجهتها والتغلب عليها.

تختلف الجماهير الثورية بشكل جذري عن الحزب الثوري. وفي حين أن الحزب منظم ومنضبط، فإن الجماهير الثورية منظمة بشكل رخوا جداً. فالجماهير تُظهر بشكل عام أشكالاً من السلوك الإنساني الجماعي تنشأ خارج التركيبات المؤسساتية العادية، والأواصر التقليدية للإذعان السياسي، والواجبات نحو العمل... الخ. فالجماهير أشبه ما تكون في إجازة من مجتمع كل يوم. فكما هو الحال بالنسبة للإجازة وأشكال أخرى من النشوة... فإنه لا يمكنها الدوام فترة طويلة. فسرعان ما يفرض نفسه عسف الحياة اليومية، وضرورة تأمين المأكل، أو على الأقل مبادلة بعض السلع والخدمات... فالاضطرار إلى التعاون يفرض نفسه بسرعة كبيرة، وتنتهي الإجازات... من الطبيعي أن الشغل الشاغل للحزب الثوري أن يقوم ساعة الأزمة بدور الطليعة الإستراتيجية، وقيادة الجماهير في اللحظة الصحيحة إلى الأهداف الإستراتيجية المهمة... وكشكل من أشكال السلوك الجماعي خارج نطاق المؤسسات المسيطرة، فإن الجماهير غالباً ما تقوم بانتخاب قادتها. فالدراسات تبين أن السلوك الجماعي بشكل جماهيري قد يكون عقلانياً. فالجماهير تخلق قادتها بنفسها تجمع المعلومات التي تخصها، وتقرر الأفعال التي تمهها، كل ذلك على شكل ديمقراطية فورية مباشرة. وطالما وجدت الجماهير، فإنها تبدي قدراً عالياً من الاستقلالية. فقائد يأتي من خارج المحيط، ويمتلك إحساساً حاداً بمشاعر سامعيه، وباستطاعته إقناع الجماهير واجتذابها، ووضع أهداف جديدة... وما شابه ذلك... ومن جهة أخرى يجب أيضاً أن يشارك الجماهير بشكل عام، قائد قوي في أغلب مشاعرها، وهو في ذلك مقيد مثله مثل القائد الجماهيري.^{٨٠}

ويبدو أن هذا هو أفضل ما وصفت به الانتفاضة، وهي لا تزال بعد في أسابيعها الأولى. إضافة إلى ذلك، فإن مور يعرض هنا طريقتين أو منفذاً للخروج من حلبة الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني. فلسنا بمصدقين إذا ما يقوله المغرضون الإسرائيليون في م.ت.ف، الذي لا تعوزه السمات، من أن هذه الأخيرة قد حاولت الالتحاق بالركب بعد أن كاد يفوتها، وأنه لم يكن لها أية علاقة بالانتفاضة نهائياً، ولسنا مقتنعين بالفتوى التي أطلقتها طائفة من م.ت.ف مدعية أن عرفات بشخصه كان هو الذي أعطى الإشارة،^{٨١} بل إن جل ما يهمنا هنا هو كيف تمكنت م.ت.ف وعلى رأسها حركة "فتح" من قيادة جماهير الانتفاضة، وخلق ظروف مكنت هذا التمرد من الاستمرار في عامه الرابع، وأخيراً صياغة البرنامج السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية، بما يتفق والهدف السياسي للانتفاضة الذي تدعمه أغلبية واضحة.

وبلا ريب، فإن انبثاق "القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة" كان قد شكل نقلة نوعية، وعاملاً حاسماً في ترسيخ الانتفاضة. وقد كانت "فتح" على ما يبدو، بمشاركة الجهاد الإسلامي قد بادرت إلى ذلك، ثم انضم إليهما الجبهة الشعبية والديمقراطية وأخيراً الحزب الشيوعي الفلسطيني.^{٨٢} وبذلك تكون قد انضوت تحت لواء "القيادة الموحدة" كل الفصائل الفلسطينية التي شاركت في دورة "الوحدة الوطنية" للمجلس

الوطني في نيسان ١٩٨٧ في الجزائر. وبشكل منطقي، بقيت القيادة الموحدة تعمل في السر وتؤثر في مجرى الأحداث من خلال مرقمة تغطي مواضيع مختلفة كما اعتاد الناس على استقبالها في مواعيد منتظمة، وهو ما منحها سلطة تلفها السرية، وتميزها المنعة.

أما الخطوة التالية، فقد تمثلت في تأطير الإضرابات. فبعد أن أضربت القدس (الشرقية) مدة واحد وأربعين يوماً بلا انقطاع تقريباً، نتج عنه إضرابات تضامنية مماثلة في مدن أخرى من الضفة الغربية، كان لا بد من إيجاد حل عملي ومعقول لكل من المستهلك والتاجر. وهنا أيضاً كانت "فتح" الرائدة في ذلك. إلا أن نجاحها كان مرهوناً بوجود تجار معبأين بالسخط نتيجة للسياسة الضريبية المجحفة التي كانت إسرائيل تنتهجها، ثم أن التنظيمات اليسارية قد وافقت على التقييم الذي قدمته "فتح" حول الوضع ومن ثم أيدته. وفي ورقة عمل داخلية يعود تاريخها إلى العشرين من شباط ١٩٨٨، تقوم "فتح" على إبراز قطاع التجار على أنه "العامل الفاصل في استمرار الانتفاضة". فهي، والحديث لم ينته بعد، التي تملك القوة والقدرة فقط على شل الاقتصاد بأكمله من خلال إضراب شامل. فإستراتيجية "فتح" ارتكزت على أربع نقاط رئيسية:

أولاً- على "فتح" أن تبين للتجار أن الامتناع عن دفع الضرائب يقع في صميم مصالحهم. وعلى هذا الأساس فقط يمكن لإضراب طويل الأمد أن يستمر.

ثانياً- يجب أن تضمن "فتح" لأصحاب الحوانيت بقاء حوانيتهم محمية دائماً من النهب، وبخاصة في حال قيام الجيش باستخدام العنف لفتح أبواب الحوانيت، وذلك من أجل كسر الإضراب. فعلى الحركة الوطنية أن تقوم بإصلاح الحوانيت التي تعرضت للضرر، والقيام بالحراسة الليلية.

ثالثاً- يجب دعم أصحاب الحوانيت المضربين، في المقابل معاقبة من كسر الإضراب بشدة.

رابعاً- إن قوة الإضراب العام تكمن في قدرته على الصمود. ومن هنا استوجب أن يبقى الإضراب محدوداً زمنياً، وأن يتم تنسيق ذلك من خلال المناشير الوطنية.^{٨٣}

وعلى خلفية ما تم الوصول إليه، أرادت القيادة الموحدة منذ ربيع ١٩٨٨، كذروة للانتفاضة، وكأساس للهدف الأسمى المتعلق بإقامة دولة فلسطينية مستقلة في حملة من العصيان المدني الشروع بالتحرك والانفصال تدريجياً عن الاحتلال الإسرائيلي، وفي الوقت نفسه وبشكل مواز، بناء التركيبات الفلسطينية البديلة على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. بكلمات أخرى، يجب تحويل التمرد الجماهيري ضد الاحتلال إلى حركة شعبية من أجل نيل الاستقلال. فالطاقات الجامعة للجماهير التي خرجت إلى الشارع يجب تقنينها بشكل بناء، ويجب أن يتحول المناضلون ضد الاحتلال إلى رجال يبنون دولة أو يؤسسونها.^{٨٤}

أما النجاحات الأولية في هذا الاتجاه فكانت مذهلة. فقد تركت الغالبية العظمى من رجال الشرطة الفلسطينيين، وموظفي الجمارك والضرائب أعمالهم. في الوقت نفسه كان الامتناع عن دفع الضرائب شبه تام تقريباً. أما لجان الحراسة المحلية فقد قامت بالوظائف التي من المفترض أن تقوم بها الشرطة، وكانت في ذلك ناجحة إلى حد كبير. كما قام العملاء أفواجاً أفواجا، بالتنكر علناً لأعمالهم الخيانية معلنين توبتهم، وهو ما يعني انهيار شبكة المراقبة المتينة التي كانت إسرائيل قد بنتها عبر سنوات طويلة. ولم تمض أسابيع قليلة على قيام الجيش الإسرائيلي بإغلاق المدارس والجامعات حتى كان قد تم إنشاء نظام تعليمي بديل كان محل فخر الكثيرين من نشطاء الانتفاضة. في حين قامت اللجان الطبية بمحاولة بناء شبكة كثيفة من العيادات من أجل تقديم الخدمات الطبية الأساسية. من جانبها، هدفت اللجان الزراعية إلى أن تصبح إحدى دعائم الانتفاضة، بل الدولة المستقبلية؛ فالشعار المطروح كان "عودة إلى الأرض الطبية". يجب عدم ترك الأرض البور بلا فلاح، أما الحدائق الصغيرة التي تقع خلف المنازل أو تلفها، فهناك مكان في أحد أركانها مزرعة صغيرة تضمن اكتفاء ذاتياً يحتوى على المنتجات الحيوانية من حليب ولحوم وبيض. كل ذلك جنباً إلى جنب مع تطور الصناعة الوطنية، وتكثيفها كان من المفترض أن يشكل القاعدة التي سينطلق منها، وعلى نطاق واسع عملية مقاطعة البضائع الإسرائيلية. فهل كان الهدف تحقيق اكتفاء ذاتي أو إيجاد اقتصاد مستقل؟ على ما يبدو، فإن هذا هو موطن إحدى مشاكل الانتفاضة المستعصية، إذ كيف يمكن وبشكل عام، في ظل ظروف التداخل الاقتصادي المعقد بين المناطق المحتلة وإسرائيل، وفي عالم تسوده الحاجة المتبادلة، السعي إلى مثل هذا الهدف ومحاولة تحقيقه؟ وإذا ما كان ذلك ممكناً، فأى الطرق تقود إلى روما؟ وهنا تتركنا قيادة الانتفاضة في حيرة من أمرنا.

إلا أن التطبيق العملي أُرانا وبوضوح أية صعوبات كانت تقف في سبيل تحقيق هذا الهدف حتى في مراحله الأولية جداً. فحتى يتم رفع معدل الإنتاج المحلي (الوطني) كان على القيادة الوطنية أن تسمح لأصحاب المصانع ومنتجي السلع بدفع الضرائب المستحقة عليهم، وذلك لتمكينهم من الحصول على ما يلزمهم من واردات، في الوقت الذي كان على صغار التجار، وأصحاب الحوانيت الاستمرار في عملية المقاطعة، ما أدى إلى حصول توترات داخلية كبيرة، وبخاصة أن أصحاب المصانع الفلسطينيين كانوا يزدادون غنى شهراً بعد شهر، في حين أو وضع التجار كان يتدهور يوماً بعد يوم.^{٨٥}

أما التصدع الكبير الذي حصل في عملية بناء بنية تحتية فلسطينية بديلة جنباً إلى جنب مع تحريك الشعب الفلسطيني وتفعيله في المناطق المحتلة بقطاعاته كافة التي كانت قد خطت خطوات واسعة إلى الأمام، فقد حصل حين تم منع كل لجان الانتفاضة في آب ١٩٨٨ عوضاً عن أن كل من يمارس نشاطاً من خلالها أو حتى مجرد أن ينتسب إليها يعرض نفسه للعقاب.^{٨٦} وبذلك تكون سلطات الاحتلال قد سجلت إصابة مباشرة، وفي

مكان موجه جداً، إذ مثلت اللجان الشعبية العصب المركزي للانتفاضة كحركة خلافة. كل ذلك حصل بالضبط في تلك اللحظة التاريخية حين أعلن الملك حسين عن تخليه عن السيادة على الضفة الغربية، ما يعني، وبشكل حتمي، إفساح المجال للانتفاضة بلجانها المختلفة لملء هذا الفراغ.^{٨٧} إلا أن الجيش الإسرائيلي تمكن من إعاقة ذلك، وإضاعة فرصة خلق مؤسسات الدولة المطلوبة وحتى البدء بتشغيلها. وتكمن أسباب هذا التطور في قوة سلطة الاحتلال الإسرائيلي. فقد كان الاحتلال الإسرائيلي قد استوعب الأمواج الأولى التي أحدثتها الانتفاضة التي كادت تعصف به إلى أن عاد الجيش الإسرائيلي إلى السيطرة على الأمور والتعود على الوضع الجديد، ومن ثم المبادرة إلى أخذ زمام الأمور بيديه دافعاً بالفلسطينيين بعد أن فقدوا المبادرة إلى اللعب حسب الشروط التي يفرضها هو. ولا يزال هذا الصراع شبه الهادئ أو شبه المرئي مستمراً حتى يومنا هذا.

من جهة أخرى، وخلافاً لما كان متوقعاً، أظهر المجتمع الفلسطيني صعوبة كبيرة في عملية تحويل طاقة المقاومة والتحرر إلى عمل بناء مؤسساتي الطابع. فالتظاهرات وقذف الحجارة واستفزاز الجيش كلها أعمال كان الفلسطينيون قد مارسوها عبر سنوات الاحتلال الطويلة، حتى أن بعضهم قد احترفها. في حين أن إستراتيجيات العصيان المدني لم يتم أبداً التعرض لها بشكل واضح، كذلك التي تم تطويرها واختيارها لتناسب الأوضاع غير العادية في ظل الاحتلال، وهو نقص لم يكن بالإمكان التستر عليه فترة طويلة. صحيح أن مناضلاً وحيداً هو مبارك عوض قد حاول سنوات طويلة القيام بذلك وإلى حد كبير دونما نجاح، هذا عوضاً عن السخرية التي كان يقابل بها، في الوقت الذي كان فيه المجتمع الفلسطيني بحاجة لإستراتيجية من هذا القبيل بسبب الخاصية التي تتمتع بها المشكلة الفلسطينية، إلا أنه تم إبعاده في اللحظة التي بدأت تلاقي دعوته صدى مع ارتفاع الأصوات المنادية بالعصيان المدني. ويبدو أن المرء في الجانب الإسرائيلي قد تنبّه حينئذ إلى الخطر الذي كمن في الأفكار التي ينادي بها هذا الشخص منذ سنوات طويلة إذا ما تم استيعابها على المستوى الجماهيري، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مرحلة التطبيق.^{٨٨}

في غضون ذلك كانت عملية الامتناع عن دفع الضرائب قد وصلت إلى طريق مسدود على الرغم من وجود مجموعات من صغار التجار ورجال الأعمال عملت على البقاء صامدة أو عادت إلى المقاطعة من جديد. ومن جديد أيضاً عادت شبكة العملاء إلى الازدهار في صورتها القبيحة السابقة. ويبدو أن عجز الانتفاضة عن وقف مثل هذا التطور هو الذي دفع ما يسمى بالقوى الضاربة إلى إقتراف أعمال قتل بشعة، وهو ليس بالأمر السهل، وستمضي سنوات طويلة قبل أن يتمكن المجتمع الفلسطيني من التخلص من هذا العبء، على الرغم من أن مثل هذه الظواهر تلازم كل احتلال تقريباً، حيث يكون الحل في الغالب دموي الطابع، ومع ذلك فإنه لا يمكن التقليل من الجانب الأخلاقي.^{٨٩}

وإذا كان الاحتلال قد عاد لترسيخ أقدامه في مجالات كثيرة، فإن الانتفاضة لم تتوقف. وعلى ما يبدو فإن تصميم غالبية الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة على النضال ضد الاحتلال من أجل حريتهم، ومهما كان الثمن باهظاً، لم تخف حدته. فالحس الشعبي العام يميزه استعداد للاستمرار في التضحية "على الرغم من كل شيء!"، بإضرابات ومصادمات يومية يلقي خلالها فتیان شبان بأرواحهم في مهاوي الردى لتجسيد حلم اسمه الحرية. أفواجاً أفواجاً كان يتم اعتقال قادة الحركة الوطنية اللامعين وإبعادهم أو حتى اغتيالهم غداً من قبل العملاء أو المخابرات. فأى مجتمع ذلك الذي يمتلك احتياطاً لا ينضب من عقول سياسية ناضجة.^{٩٠}

فانعدام القيادة والرؤية الواضحة تبدو سبباً وراء لجوء الفلسطينيين، وبشكل فردي إلى استخدام السكاكين في مهاجمة مدنيين إسرائيليين داخل إسرائيل نفسها. وبالطبع، كان للاحتلال الإسرائيلي دوره المباشر، فالاضطهاد الذي يطبق على السكان من كل الجهات ليس أقل مسؤولية عن تصاعد أعمال العنف الذي بلغ الذروة مرات عدة ربما كان آخرها تلك المذبحة التي حدثت في الثامن من تشرين الأول ١٩٩٠ في ساحة الحرم الشريف، حين لقي سبعة عشر فلسطينياً مسلماً غاليبتهم من منطقة القدس مصرعهم على أيدي حرس الحدود والشرطة الإسرائيلية.

كما كان لأزمة الخليج دورها في تفاقم الأحداث؛ فرجل الشارع بدأ يكتشف في صدام حسين رجلاً يتحدى إسرائيل، والقوة العظمى الولايات المتحدة، ولم يلبث أن تماثل مع "رجل" العالم العربي القوي الجديد. إلا أنه وفي حين كان تماثل الفلسطينيين مع عبد الناصر في سنوات الخمسينيات والستينيات قد جرهم إلى حد كبير إلى السلبية، وتفاعل فلسطينيو الضفة الغربية وقطاع غزة بعد غزو صدام للكوييت ملتحمين بشكل أقوى مع قوات الاحتلال الإسرائيلي من خلال مصادمات جديدة وأكثر عنفاً.

لكن أين وقفت أو أين تقف قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية في الشتات من هذا التطور؟ يبدو أن قيام القيادة الموحدة تم بمبادرة من "الداخل"، ولم تلبث أن باركها وأيدها "الخارج". وقد ضمن هذا الشكل التنظيمي حرية اتخاذ القرارات العملية المتعلقة بالتطورات اليومية أو شبه اليومية للوضع في المناطق المحتلة ميدانياً، إمّا بشكل مركزي من قبل القيادة الموحدة أو محلياً من قبل اللجنة المعنية. إلا أن وضع الخطوط السياسية العريضة أو بشكل عام، اتخاذ القرارات الإستراتيجية قد بقي حكرًا على قيادة م.ت.ف في "الخارج". فظروف الاحتلال لم تترك مجالاً لحل عملي أو مناسب آخر. ويبدو أن هذا التوازن بين "الداخل" و"الخارج" الذي تمت المحافظة عليه في الأشهر الأولى للانتفاضة قد اختل بشكل جذري نتيجة لعمليات الاعتقال والإبعاد المتلاحقة. بالإضافة إلى ذلك فقد أعاققت هرمية م.ت.ف/ "فتح" وبشكل بيروقراطي عملية دمج الطاقات السياسية للكوادر المبعدة وإطلاقها. ويبدو أن تصادماً ما قد حصل هنا بين نماذج تمثل القاعدة الديمقراطية الذاتية من "الداخل" والبطيريركية الجديدة

التي انتعشت في " الخارج "، وذلك ودون أدنى شك، على حساب القاعدة الديمقراطية السياسية. ومع ذلك يبدو أن كثرة أجهزة " فتح " بالإضافة إلى أهمية التنسيق بين هيئات عدة في " الداخل " و " الخارج " وفرت الحد الأدنى من المرونة التي سمحت، وتسمح للانتفاضة بالاستمرار.

أما تلك الدفعة التي عليها أن تأتي من " الخارج " من أجل تقدم الانتفاضة في تطورها النوعي، فيبدو أنها حتى اللحظة لم تأت. وحسب اعتقادي، فإن إطاراً استراتيجياً لحملة جماهيرية للعصيان المدني يأخذ بعين الاعتبار ظروف الناس تحت الاحتلال، بالإضافة إلى الدعم الضروري على المستوى المادي، والسياسي والأيدولوجي لا يمكن أن يكون مصدرهما إلا الخارج. وفي هذه الحالة، لا بد من تحريك كل المبعدين وحشدهم ودمجهم في القيادة على أعلى المستويات.^{٩١}

ويبدو أن القيادة الثلاثية في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، عرفات، وبسام أبو شريف (الجهة الشعبية سابقاً ومستشار عرفات لاحقاً) وياسر عبد ربه (الجهة الديمقراطية)، بالإضافة إلى تلك الدائرة الضيقة من المستشارين وعلى رأسهم هاني الحسن، قادت الكفاح من أجل دولة فلسطينية بشكل أساسي في الشتات، وعلى مستوى السياسة والدبلوماسية الدولية. في المقابل، يبدو أن هناك إهمالاً في عملية بناء دولة في " الداخل "، وما يتبعها من مشاركة لا بديل عنها لكل قطاعات المجتمع الفلسطيني وطبقاته. فمن المحتمل أن هناك في قيادة م.ت.ف من يعتقد أنه حال حلول ساعة الصفر، فإن جهاز م.ت.ف بكامله سيتم نقله من " الخارج " إلى " الداخل "، بحيث يتم حينئذ توسيع قاعدة الدولة الفلسطينية المستقبلية حوله. إلا أن القيادة السياسية للحركة الوطنية الفلسطينية في المناطق المحتلة، ولكن وبشكل خاص في الشتات، عليها أن تتساءل عما إذا كان من الممكن بشكل عام، تحقيق حلم الدولة الفلسطينية من خلال مفاوضات دبلوماسية-سياسية.

ولكن ليس هناك ما يشير إلى ذلك. وتبقى وظيفة القيادة في " الداخل " بالإضافة إلى المبعدين في الشتات توضيح ذلك بشكل لا لبس فيه. وحين يتم خلق حقائق على الأرض فقط، إضافة إلى الشروع بعمليات التطوير، بحيث لا يبقى هناك من طرق سوى الطريق إلى دولة فلسطينية، حينئذ تكون قيادة م.ت.ف في الخارج قد امتلكت تلك الأوراق التي تؤهلها للكسب في لعبة البوكر الدبلوماسية. فضغط الشارع وحده مهما كان معبراً، وفي الوقت نفسه مؤلماً، وبخاصة إذا تمعنا في سن أولئك الشباب الذين ضحوا بأنفسهم، لا يكفي لتحقيق اختراق سياسي.

ثالثاً: إعلان الدولة الفلسطينية

في الخامس عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٨، كان التمرد الفلسطيني في الأراضي المحتلة قد بلغ ذروته الأولى. فقد أعلن المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في الجزائر وبإجماع نادر، عن قيام دولة فلسطينية مستقلة.

... وانطلاقاً من قرارات القمم العربية، ومن قوة الشرعية الدولية التي تجسدها قرارات الأمم المتحدة منذ العام ١٩٤٧، ممارسة من الشعب العربي الفلسطيني لحقه في تقرير المصير والاستقلال السياسي والسيادة فوق أرضه، فإن المجلس الوطني يعلن، باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية، وعاصمتها القدس الشريف.^{٩٢}

وبذلك يكون تطور كان قد بدأ في نيسان ١٩٧٤ مع إقرار المجلس الوطني في دورته الثانية عشرة في القاهرة بإقامة "سلطة وطنية فلسطينية على أية بقعة تتحرر من أرض فلسطين"، قد بلغ أوجهه. إلا أن إعلان الاستقلال الصادر في تشرين الثاني ١٩٨٨ لا يقتفي فقط أثر التحول الذي بدأ مع حلول الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني، بل إن الخيوط تقودنا إلى النكبة وإلى إعلان الاستقلال الإسرائيلي الصادر في أيار ١٩٤٨، وهو بالتالي يمثل أول وثيقة فلسطينية رسمية تصدر عن الحركة الوطنية الفلسطينية منذ ١٩٤٨، وتتخذ من قرار التقسيم للعام ١٩٤٧ وبشكل إيجابي مرجعاً لها.

ومع الظلم التاريخي الذي لحق بالشعب العربي الفلسطيني بتشريده، وبحرمانه من حق تقرير المصير، إثر قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ العام ١٩٤٧، الذي قسم فلسطين إلى دولتين، عربية ويهودية، فإن هذا القرار ما زال يوفر شروطاً للشرعية الدولية تضمن حق الشعب العربي الفلسطيني في السيادة والاستقلال الوطني.^{٩٣}

وما هي إلا أيام معدودة بعد صدور القرار حتى يقوم بسام أبو شريف، أحد المستشارين السياسيين لعرفات، باستبيان الأهمية التاريخية لهذه الخطوة

من خلال القبول بالقرار ١٨١ يكون المجلس الوطني الفلسطيني قد اعترف بإسرائيل كإحدى الدولتين اللتين اقتسمتا أرض فلسطين التاريخية، والأخرى دولة فلسطين المستقلة التي تم الإعلان عنها في ١٥ تشرين الثاني. أما الاعتراف القانوني المتبادل بين فلسطين وإسرائيل فسيحدث خلال مؤتمر السلام الدولي

....

فميثاق م.ت.ف، التي لا تدعو إلى تدمير إسرائيل، ولا تؤيد إلقاء اليهود في البحر، بل وضعت نصب عينيها في الأساس إقامة دولة ديمقراطية يتمكن من العيش فيها في هدوء وسلام كلا الشعبين اللذين يدعيان أحقيتهما في فلسطين التاريخية، أصبح بفعل قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، صانع الميثاق، لاغياً.

فمن خلال دعمه لحل على أساس دولتين، يكون المجلس الوطني الفلسطيني قد طرح جانباً حل الدولة الواحدة الذي يتبناه الميثاق، إذ شكل في جوهره رفضاً لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة. في حين قام المجلس الوطني الآن بسحب هذا الرفض

لقد غيّرت م.ت.ف موقفها الرسمي الرفض كلياً لحق إسرائيل في الوجود كدولة صهيونية مقصورة إلى الاعتراف الكامل بإسرائيل وفقاً لشروط قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذي يدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلت العام ١٩٦٧. ف.م.ت.ف، التي كانت ترفض في السابق، وبشكل مبدئي المفاوضات مع إسرائيل، تعبر الآن، وبشكل رسمي، عن رغبتها في إجراء محادثات مع إسرائيل في إطار مؤتمر دولي للسلام، بهدف الوصول إلى حل على أساس دولتين للمشكلة الفلسطينية الإسرائيلية.

فالبرنامج القديم لم.ت.ف الذي أراد تحرير فلسطين بطرق الكفاح المسلح، استبدل الآن رسمياً بسياسة (تبحث) عن حل للصراعات الدولية والإقليمية بوسائل سلمية بما يتفق مع الميثاق ومع قرارات الأمم المتحدة التي ترفض التهديد معها أو استخدام القوة، والعنف أو الإرهاب من الفلسطينيين أو الإسرائيليين كما يظهر ذلك واضحاً في بيان الاستقلال الفلسطيني.^{٩٤}

فكيف حصل إذاً مثل كل ذلك؟ وأين وجه الغرابة؟ وما دور الانتفاضة في هذا التطور الحاصل؟

لقد بدأت تتضح خلال الأسابيع الأولى للثورة الشعبية معالم وضع رأت فيه قيادة م.ت.ف استهلالاً لانيثاق ربما قاد في نهاية المطاف إلى تحقيق هدفها السياسي المركزي، ألا وهو إقامة دولة فلسطينية تحت سيطرتها. أما محاولة تشكيل حكومة في المنفى، كخطوة أولى في هذا الاتجاه، فلم يكتب لها النجاح كنتيجة لغياب الإجماع الوطني. وهنا تجدر الإشارة إلى أن إقامة الدولة كان هدفاً تبنته القيادة الموحدة للانتفاضة في وقت مبكر جداً، وعبرت عنه بشكل واضح في نداءاتها. "ليس هناك بديل عن دولة فلسطينية بقيادة م.ت.ف، ممثلنا الشرعي والوحيد".^{٩٥}

وفي نيسان ١٩٨٨، وفي أحد التعليقات الأسبوعية على الانتفاضة التي تم توزيعها في اللغة الإنجليزية نقرأ ما يلي:

إن جوهر هذا الكفاح [الانتفاضة] تشكله مسألة السيادة. وعلى المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى اضطهاد الشعب الفلسطيني، واستغلاله، وإلى جعل الاحتلال شيئاً طبيعياً رد الفلسطينيين بكفاحهم من أجل إنهاء الاحتلال وتوكيداً للسيادة الفلسطينية من خلال إقامة دولة مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.^{٩٦}

من قبل وفي الرابع عشر من كانون الثاني العام ١٩٨٨، وحتى قبل أن تتم عملية بناء القيادة الموحدة، كان د. سري نسيبة المحاضر في جامعة بيرزيت قد طرح خلال مؤتمر صحفي عقد في القدس، وباسم "الشخصيات الوطنية" الفلسطينية أربعة عشر مطلباً حملت المقدمة التالية: "مرة أخرى يثبت هذا التمرد أن شعبنا يتشبث وبشكل لا زعزعة فيه بتطلعاته الوطنية. وتشمل هذه التطلعات الحقوق الثابتة لشعبنا في تقرير المصير، وإقامة دولة مستقلة على أرضنا الوطنية تحت قيادة م.ت.ف كممثنا الشرعي والوحيد".^{٩٧}

ولم تكد تمر نصف سنة على اندلاع الانتفاضة وفي أعقاب زيارة رسمية لعرفات إلى موسكو، وعشية انعقاد مؤتمر القمة العربي الاستثنائي في حزيران ١٩٨٨ في الجزائر "قمة الانتفاضة" حتى يعود بسام أبو شريف إلى الأضواء من خلال ورقته "فرص لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي"،^{٩٨} التي يحاول فيها رسم الخطوط العريضة لأساس يوفر الحد الأدنى لإجماع فلسطيني إسرائيلي، وبالتالي كقاعدة لأيّة مفاوضات مستقبلية بين الطرفين.

وكخطوة أولى يقترح أبو شريف عقد استفتاء في المناطق المحتلة تحت مظلة دولية لاختيار ممثلين للفلسطينيين. فالسبب الذي وجدت من أجله م.ت.ف، والحديث لا يزال لأبي شريف، ليس تدمير إسرائيل، بل "تحرير الشعب الفلسطيني والمحافظة على حقوقه، بما فيها حقه في حرية الرأي بشكل ديمقراطي، وتقرير المصير الوطني". وهذا أمر لا يمكن تحقيقه إلا في إطار مؤتمر دولي. "نحن نريد الذهاب إلى المؤتمر الدولي كحركة تحرر وكممث شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، للتفاوض مع أعدائنا الإسرائيليين".

ففي حين تحفظت الجبهة الشعبية في نقدها لما يغزله أبو شريف، كان هناك دعم بلا حدود من قبل الأراضي المحتلة. ويبقى موقف القيادة الموحدة حاسماً في مثل هذه المواضيع، إذ لم يصدر عنها أي تصريح سلبي بهذا الخصوص.^{٩٩}

ثم بدأت الأحداث بالتهافت. ففي ٣١ تموز، أي في اليوم نفسه الذي تم فيه اعتقال فيصل الحسيني، وبعد أن عثرت الشرطة الإسرائيلية على مسودة، بيان الاستقلال الفلسطيني،^{١٠٠} أعلن الملك حسين في حديث متلفز عن تخليه عن أحقيته في السيادة على الضفة الغربية والقدس الشرقية. وقد استند الملك حسين في قرار الانسحاب هذا إلى "قرار وحدة الضفتين" الذي حصل في نيسان ١٩٥٠ الذي يتم فيه التأكيد على "المحافظة على كل الحقوق العربية في فلسطين، والدفاع عن هذه الحقوق بكل الوسائل المشروعة، دون مساس بالحل النهائي للقضية العادلة للشعب الفلسطيني على أساس رغبات الشعب، والتعاون العربي، والعدالة الدولية". وبذلك يكون الملك قد أحدث ربطاً تاريخياً بين ضم الضفة الغربية العام ١٩٥٠، وقرار مؤتمر الرباط العام ١٩٧٤ الذي

اعترف بمنظمة التحرير كونها " الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني "، ثم قرار مؤتمر القمة العربي المنعقد في فاس العام ١٩٨٢ الذي دعا إلى إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة وحتى تخليه عن السيادة الأردنية على الضفة الغربية.

وبشكل واضح جداً يتوجه العاهل الأردني إلى أولئك السياسيين الإسرائيليين الذين يريدون ضم المناطق المحتلة، واعتبار الأردن، ومن طرف واحد، كونها الدولة الفلسطينية الوحيدة. " الأردن ليست فلسطين. إن دولة فلسطينية مستقلة سيتم إقامتها فوق الأرض الفلسطينية المحتلة بعد تحريرها... هناك سيحقق الفلسطينيون هويتهم الفلسطينية، هناك سيثمر الكفاح الفلسطيني، كما يرينا ذلك الآن التمرد المشرف للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال " ١٠١.

وما هي إلا أيام قليلة، وفي الرابع من آب ١٩٨٨ بالذات حتى جاء رد فعل اللجنة المركزية لـ م.ت.ف معلنا عن تحمل م.ت.ف مسؤوليتها عن الأراضي المحتلة ١٠٢. وقد اعتبر النداء رقم ٢٣ الصادر في ٥ آب تخلي الأردن قانونياً عن الضفة الغربية نجاحاً حاسماً حققته الانتفاضة.

يا جماهير شعبنا الفلسطيني العظيمة، يا جماهير الانتفاضة المظفرة: تدخل انتفاضتكم هذه الأيام شهرها التاسع، محققة المزيد من النجاحات، على الطريق النضالي الطويل والشاق نحو الحرية والاستقلال، نحو تحقيق أمني وطموحات شعبنا الوطنية العادلة، في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة، وعاصمتها القدس.

إن الإجراءات الأردنية الأخيرة، بفك الارتباط القانوني والإداري مع الضفة الغربية، جاءت كأحد أهم إنجازات الانتفاضة الشعبية الكبرى، وكخطوة فعلية باتجاه تنفيذ مقررات قمة الجزائر، وتعزيز مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، ووحدانية تمثيلها لشعبنا، باعتبارها الجهة الوحيدة المخولة بتحمل كافة المسؤوليات اتجاه شعبنا في الوطن والشتات. ١٠٣

وحتى اجتماع المجلس الوطني في تشرين الثاني كان على قيادة م.ت.ف، وعلى رأسها ياسر عرفات القيام بالمهمة الصعبة، ألا وهي إقناع كل التنظيمات المجتمعة تحت سقف م.ت.ف بأن إعلان الدولة في هذا الوقت هو ضرورة تاريخية، والرد الوحيد المناسب على الانتفاضة. وقد كان للضغط الذي مورس من داخل الأراضي المحتلة دور حاسم في إنجاح هذه الجهود. ويعتبر الإعلان السياسي الصادر عن المجلس الوطني التاسع عشر أول إعلان لا يستند إلى ميثاق م.ت.ف من العام ١٩٦٤ أو ١٩٦٧، بل يُشكل بيان الاستقلال والانتفاضة وبشكل صريح الأساس لشرعية قراراته.

أما التغيير الثاني في هذا الإعلان السياسي الذي يعتبر تحولاً تاريخياً مهماً، فيتعلق بالكفاح المسلح. فهو لا يظهر لا في بيان الاستقلال، ولا في الإعلان السياسي. ففي

حين يُظهر ميثاق م.ت.ف من العام ١٩٦٨ الكفاح المسلح كونه "الطريق الوحيد لتحرير فلسطين"، اعتبره المجلس الوطني الذي انعقد ١٩٧٣ "طريقة صحيحة، وحتمية والأكثر أهمية لتحرير فلسطين". وأخيراً وفي دورة المجلس الثامنة عشرة في الجزائر، دار الحديث فقط حول "مواصلة الكفاح بكافة أشكاله: مسلح، وسياسي، ونضال جماهيري".^{١٠٤}

فنضال الحركة الوطنية الفلسطينية بعد العام ١٩٤٨ الذي كان قد بدأه طلاب ولاجئون فلسطينيون في لبنان تحت راية القومية العربية، وهو نفسه الذي خلق من "فتح" حركة جماهيرية واسعة بعد معركة الكرامة العام ١٩٦٨، كان قد رسي عند نقطة تحول تاريخية. وعلى أساس الشرعية الكاملة التي منحها فلسطينيو الشتات والمناطق المحتلة لـ م.ت.ف، استطاعت هذه الأخيرة وبقيادة "فتح" أن تتخلى عن الأسطورة المحركة التي مثلها الكفاح المسلح في خريف ١٩٨٨، عشرون عاماً بعد معركة الكرامة، لصالح الإعلان عن دولة فلسطينية الذي عبّر المجتمع الفلسطيني من خلاله، وأربعون عاماً بعد النكبة، وبشكل لا يقبل التأويل، عن استعدادة للتعايش السلمي مع دولة إسرائيل.

هوامش الفصل السادس

^١ انظر:

(Flores, 1988), p. 35, (Benvenisti, 1985), p. 139f., (1986), p. 25-36, (1987), p. 35-39.

^٢ شحادة (١٩٨٨) ط٢، ص ١٧-٥٩، (Benvenisti, 1986)، ص ٢٦ وما بعدها.

^٣ مطر (١٩٨٤)، ص ١٢٨. انظر (Association pour reconstruire Emmaus) (١٩٨٧).

^٤ (Benvenisti, 1986)، ص ٢٩.

^٥ (Benvenisti, 1987)، ص ٥٢؛ التطورات المستجدة حتى نهاية ١٩٩٠ مشمولة حسب هارتس، ٢٢ حزيران ١٩٩٠ و ١٤ شباط ١٩٩١. بالإضافة إلى معطيات المركز الفلسطيني لمعلومات حقوق الإنسان القدس. Palestine Human Rights Information Center, Jerusalem (PHRIC).

^٦ Israeli Government Press Office. ٧ آذار ١٩٩٠. العام ١٩٨٥ لم يزيدوا على ٨٠,٠٠٠. انظر (Benvenisti, 1986a) ص ٦٦. انظر أيضاً معطيات PHRIC.

^٧ حسابات ذاتية على خلفية الإحصائيات الإسرائيلية الرسمية، معطيات مصححة من ميرون بنفستتي، بالإضافة إلى معلومات من المركز الفلسطيني لمعلومات حقوق الإنسان. فحسب الكتاب السنوي الصادر عن المكتب الإسرائيلي المركزي للإحصاء (Central Bureau of Statistics) عاش في نهاية ١٩٨٩، ٣٧١٧٠٠٠ يهودي في الأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ ١٩٤٨، ومن الفلسطينيين عاش ٨٤٢٥٠٠ في إسرائيل. وضمن حدود ١٩٦٧، ٩١٥,٠٠٠ في الضفة الغربية و ٦١٢,٠٠٠ في قطاع غزة. فإذا ما أضاف المرء ٢٠٠,٠٠٠ من القادمين الجدد في العام ١٩٩٠، يكون عدد اليهود الذين عاشوا في إسرائيل مع نهاية ١٩٩٠ هو ٣,٩١٧,٠٠٠. المعطيات الإسرائيلية الرسمية بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٩١ تصحح الإحصائيات التي نشرت مؤخراً حول تعداد الفلسطينيين في المناطق المحتلة. وعليه، فمن المفترض أن عدد الفلسطينيين الذين عاشوا في الضفة الغربية وقطاع غزة في نهاية ١٩٩٠ قد بلغ ١,١٧٦,٧٥٦ و ٧٤٤,١١٢ على التوالي. ولم يزل الرقم الأخير قد حدد بشكل قليل إذا ما قورن بالتصححات التي أجراها بنفستتي ١٩٨٨ على المعطيات الرسمية التي كانت سارية حتى ذلك الحين. وقد سبق وأن انطلق بنفسه العام ١٩٨٨ من سكان يبلغ عددهم ٧٥٠,٠٠٠ في قطاع غزة. وعلى ما يبدو فإن عدد السكان هناك يبلغ في الوقت الحاضر ٧٥٠,٠٠٠ شخص. انظر أيضاً:

Jerusalem Post, 18 March 1988، ص ١، بالإضافة إلى April 1990، ص ٩، ٢٩، وحسب المكتب المركزي للإحصائيات بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٩١، عاش حتى هذا التاريخ ٤.٩ مليون نسمة في إسرائيل، دون المناطق المحتلة، منهم ٤ ملايين يهودي، ازداد عددهم بنسبة ٦.٤٪ في الفترة ما بين ١٩٩٠-١٩٩١، وذلك من خلال ٢٢٠,٠٠٠ قادم جديد، إضافة إلى ٩٠٠,٠٠٠ غير يهودي. مقتبس حسب هارتس، ١٧ نيسان ١٩٩١، وحسب FBIS، ١٩ نيسان ١٩٩١.

^٨ Jerusalem Post, 29 April ١٩٩٠، ص ١، و April 1990، ص ١، ٢٤، بالإضافة إلى December 25 1990، ص ١. انظر أيضاً New Outlook Dec. 1990/Jan. 1991، ص ٢٥، حيث يجري الحديث عن ٢٠٠,٠٠٠ قادم جديد العام ١٩٩٠، منهم ١٨٥,٠٠٠ قدموا من الاتحاد السوفييتي. انظر أيضاً معطيات المركز الفلسطيني لمعلومات حقوق الإنسان (PHRIC). إن معدل زيادة السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية يصل إلى ٢.٢٪، وفي قطاع غزة حوالي ٣.٤٪، في حين من المتوقع أن يكون مثيله في إسرائيل قد وصل، وعلى خلفية الذروة التي بلغت موجة الهجرة في كانون الأول ١٩٩٠، إلى ٥.٣٪. أما تطور الهجرة في العام ١٩٩١ فليس من الممكن بعد رؤية ذلك بوضوح.

^٩ (Benvenisti, 1986)، ص ٢٠.

^{١٠} هارتس، ٢٥ نيسان ١٩٨٩. حول مسألة المياه انظر (Lowi, 1984) and (Cooley, 1984).

^{١١} هارتس، ٣ أيار ١٩٨٩، ٢٥ نيسان ١٩٨٩، مقتبس حسب: خدمة شاحك الصحافية Shahak-Press Service, The Israeli theft of water from the Territories and the water problem in Palestine in general, p.4.

انظر: (Benvenisti, 1986)، ص ٢٢.

^{١٢} هـآرتس، ٣ أيار ١٩٨٩.

^{١٣} (Benvenisti, 1968a) ص ٦٧، ٨٩ وما بعدها. بعد الولايات المتحدة، شكلت المناطق المحتلة، وحتى بدء الانتفاضة، ثاني أكبر سوق للمصادرات الإسرائيلية.

^{١٤} (Benvenisti, 1987)، ص ٣٤ وما بعدها.

^{١٥} شهادة (١٩٨٨) ط ٢، ص ١١٧.

^{١٦} (Benvenisti, 1986)، ص ٣٩.

^{١٧} شهادة (١٩٨٨)، ص ١٢٤-١٧٣.

^{١٨} شهادة (١٩٨٨)، ص ١١٥، أيضاً (Benvenisti, 1986)، ص ٤١، (١٩٨٤)، ص ٤٥.

^{١٩} تم إجراء انتخابات محلية فقط في الأعوام ١٩٧٢، ١٩٧٦. فإذا ما استثنينا رئيس بلدية بيت لحم، فإن كل رؤساء البلديات، الذين تم انتخابهم آنذاك، إما أبعادوا أو أصيبوا بجراح صعبة، أو قتلوا، أو عزلوا من مناصبهم. انظر

(Benvenisti, 1986), p.41: “Thus, the Palestinian Community remains disenfranchised even at the local level, and devoid of any autonomous authority”.

^{٢٠} شهادة (١٩٨٨)، ص ٤ وما يتبع. ولهذا يستشهد بأهارون ياريف، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية: “Some people talk of expelling 700,000 to 800,000 Arabs in the event of a new war. And instruments have been prepared (for the contingency)”.

^{٢١} (Benvenisti, 1987)، ص ٧٠.

^{٢٢} Shahak-Press-Service, The Israeli Theft of Water, p. 1.

^{٢٣} ومع ذلك، فإنه من الخطأ الاعتقاد أن الهدوء كان سائداً تحت قبعة الاحتلال، إذ كانت -في الغالب- تحصل -هنا وهناك، وبلا انقطاع- اضطرابات، واصطدامات، وتمردات ذات أمد قصير، ولا تخرج عن كونها محلية الطابع. حول سنوات الاحتلال الأولى، انظر ليش (١٩٨٠). حول السنوات ١٩٧٨-١٩٨٢، انظر جريش (١٩٨٤)، ص ٢١٨-٢٢١.

^{٢٤} (Benvenisti, 1987)، ص ٤٠، (١٩٨٦)، ص ٤٥.

ومع أنه قد تم العام ١٩٧٩-وتحت حكم الليكود-إلغاء المادة ١١٢ من قوانين الطوارئ (الدفاع) البريطانية للعام ١٩٤٥، التي على أساسها كان الإبعاد ممكناً، إلا أن هذا الأمر لا ينطبق على المناطق المحتلة عينها. الملفت للانتباه أن وزراء الليكود، حتى ١٩٨٥، لم يستخدموا الإبعاد كسلاح موجّه ضد السكان. انظر (Benvenisti, 1986)، ص ٤٤.

^{٢٥} اغتيل منير كاهانا في نيويورك في تشرين الثاني ١٩٩٠.

^{٢٦} انظر

The Other Israel (Newsletter of the Israeli Council for Israeli-Palestinian Peace), 28 September 1987, p.1.

^{٢٧} ماتي جولان (Matti Golan) في: هـآرتس، كانون الأول ١٩٨٤، مقتبس حسب شهادة (١٩٨٨)، ص ١٢٩.

^{٢٨} (Benvenisti) (1987)، ص ٤١، ٤٤.

^{٢٩} ليش (١٩٨٠)، ص ٨٠ وما بعدها، تماري (١٩٩٠)، ص ١٦١، أرونسون (Aronson, 1987)، ص ٢٢٠، مارك ستيفنز (Marc Stephens, 1990). وهذا يستدرك أن الأساس لجباية الضرائب في الأراضي المحتلة هو ميثاق لاهاي وليس جنيف. وقد كانت الجبهة الوطنية العام ١٩٧٣ قد دعت السكان في المناطق المحتلة إلى عدم دفع الضريبة كنوع من التأييد لحرب أكتوبر. انظر دقاق (١٩٨٣)، ص ٧٦.

^{٣٠} (Aronson, 1987)، ص ٢٢٠ وما بعدها.

^{٢١} ارنسون (Aronson, 1987)، ص ٢٢١. في آب ١٩٨٩، تم انتخاب محمد علي الطيزي رئيساً لاتحاد الغرف التجارية والصناعية الفلسطينية، ذي النشأة الحديثة. وحسب تماري:

“This became the only corporate body representing, on a national scale, the interests of the Palestinian businessmen and shopkeepers”.

تماري (١٩٨٩)، ص ٤.

^{٢٢} هـآرتس، ١٣ كانون الأول ١٩٨١، مقتبس حسب ارنسون (١٩٨٧)، ص ٢٦٤ وما بعدها.

^{٢٣} فالأمر هنا لا يحتاج إلى مجهر لنستدل -وبشكل واضح- أننا نتعامل هنا مع البدايات الأولى، أو لنقل، مرحلة ما قبل الانتفاضة. انظر التفسير المائل الذي يقدمه تماري (١٩٩٠)، ص ١٦١:

“The turning point was the imposition, in ١٩٧١, of the value-added tax (VAT) on all merchandise and services in the occupied territories as a means of financing the budget of the Israeli Military Government.”

انظر:

Finkelstein (1990), p. 62-66, Grace (1990), p.99-107

Benvenisti (1987), p.32 ^{٢٤}

Benvenisti (1987), p.202f ^{٢٥}

Stephens (1990), p.54f., 67 note 72 ^{٢٦}

Tamari (1990), p. 160 ^{٢٧}

Loefgren (1982), p.11, Sabatello (1985), p.29 Benvenisti (1986a), p.52 ^{٢٨}

Sabatello (1985), p.29, Benvenisti (1986), p.14 ^{٢٩}

وحسب شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٩١، فمن المفترض أن عدد خريجي الجامعات العاطلين عن العمل كان قد وصل إلى ١٥١٠٠.

^{٤٠} لقد دلت الأبحاث التي قامت بها ثيدا سكوبول (Theda Skocpol)، حول الأسباب الكامنة وراء الثورات، أن الأوضاع الثورية تنشأ " نتيجة لأزمات سياسية-عسكرية تتعرض لها الدولة والسيطرة الطبقيّة "، (Skocpol (1979)، ص ١٧.

ومن غير أن نحاول أن نصنع من الانتفاضة " ثورة اجتماعية "، يبدو أن البحث عن أزمة تعيشها إسرائيل كدولة ليس بالشيء غير المجدي.

^{٤١} شيف/يعاري (١٩٨٤)، ص ٣٠١.

^{٤٢} شيف/يعاري (١٩٨٤)، ص ٣٠٤.

^{٤٣} هـآرتس، ٢٥ حزيران ١٩٨٢، مقتبس حسب (Chomsky, 1989)، ص ٢٦٨.

^{٤٤} Peri (1989), p. 150.

^{٤٥} شيف/يعاري (١٩٨٤)، ص ٣٠٥.

^{٤٦} انظر

New Outlook (April 1990), p. 11f. p. 18-20

^{٤٧} شيف/يعاري (١٩٨٤)، ص ٣٠٦.

^{٤٨} بشارة (Bishara, 1989)، ص ٢١٧-٢٢٩.

Kaminer (1989), p. 231-245, Bar-On (1988), p. 46-65, (1987), p.21-36, Kaufmann (1989) and (1988), p. 66-80.

^{٤٩} وحتى أزمة العراق لم تغير في هذا الوضع الشيء الكثير. انظر: New Outlook 33,9 (September-November 1990)، وأيضاً:

Shahak-Press-Service (November 1990), The Crisis between the Palestinians and the Zionist Left.

واقع الأمر أن عدد الإسرائيليين المعنيين بالتعايش السلمي قد تناقص أكثر فأكثر، في حين أن الكثيرين من أنصار حركة "السلام الآن" يقفون إلى جانب الفصل الواضح بين اليهود والفلسطينيين، مع رغبة أكيدة في أقل علاقة ممكنة مع الفلسطينيين.

^{٥٠} من محاضرة لـ سحر خليفة بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧٨ في:

International Writers' Seminar in Iowa City, Iowa، مقتبس حسب (Lesch, 1980)، ص ١٠٣.

^{٥١} انظر بهذا الشأن الأبحاث التي أجراها تيلي (Tilly) حول الفعل الجماعي: "إن مقدار الفعل الجماعي... إذا حكم بعلاقة وظيفية مع الإحساس بالخطر "يزداد بشكل أسرع مما لو كانت هذه العلاقة الوظيفية محكومة "بالشيء الممكن". (Tilly, 1978)، ص ١٣٥.

^{٥٢} انظر (Moore, 1982)، ص ٦٢٢ وما بعدها.

^{٥٣} ٢ كانون الثاني ١٩٨٧ في: صوت فلسطين من بغداد، في: FBIS-5January 1987-A1. انظر أيضاً ليش (١٩٩٠) حول غزة.

^{٥٤} Jerusalem Post, 16 February 1987, p.2. شهد العام ١٩٨٧ سلسلة من التظاهرات عاشتها الضفة الغربية وقطاع غزة احتجاجاً على اعتداءات أمل على المخيمات الفلسطينية في لبنان.

^{٥٥} انظر الكلمة التي ألقاها عرفات أمام مؤتمر القمة الإسلامي بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٨٧، في: FBIS-2-February 1987-A3. انظر أيضاً منشور فتح الصادر في أيلول ١٩٨٧، الذي يستشهد به عنبري (١٩٨٨)، ص ٢٦، ذلك المنشور الذي وزع في ذكرى صبرا وشاتيلا. وفي نهاية المنشور تتم الدعوة إلى التمرد (انتفاضة) في الأراضي المحتلة.

^{٥٦} ٢٠ شباط ١٩٨٧، صوت فلسطين من بغداد، في: FBIS-24 February 1987-A3.

^{٥٧} حول الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، انظر الوثائق ذات الأهمية في: JPS 64 (summer 1987), p 189-204. حول الضغط الذي مارسه الاتحاد السوفيتي على الفلسطينيين، وبشكل خاص على التنظيمات القريبة منه مثل الجبهتين الشعبية والديمقراطية، لكي يتحد هؤلاء -أخيراً- في إطار م. ت. ف، انظر المقابلة مع خالد الحسن، شباط ١٩٨٧، في Oslo Aftenposten في FBIS-9. February 1987-A1.

^{٥٨} على سبيل المثال منشور رقم ٢٣ الصادر في ٥ آب ١٩٨٨.

^{٥٩} صوت فلسطين من بغداد، ١٢ نيسان ١٩٨٧، في:

FBIS-14. April 1987-A2

^{٦٠} مقابلة مع عرفات أجراها أحمد وليد الخالدي في:

Strategic Bulletin (London), 30 March 1987. بالإضافة إلى فلسطين الثورة في:

FBIS-6. April 1987-A5

^{٦١} صوت فلسطين من صنعاء، ٢٠ حزيران ١٩٨٧، في:

FBIS-22.June 1987-DD1

^{٦٢} مقابلة في حداثوت (تل أبيب)، ١٦ تشرين الأول ١٩٨٧، ص ١٢-١٣، في: FBIS-87-202, p 28.

^{٦٣} Jerusalem Post, 28 June 1987, p.1

^{٦٤} راديو الجيش الإسرائيلي (بالعبرية)، في: FBIS-3.August 1987-L2 and L3.

^{٦٥} هيلترمان (Hiltermann, 1988)، حول اتحادات المرأة والنقابات، وبشكل عام، فلورس (١٩٨٨) ص ٦٤. حول الشبيبة انظر د. كُتاب (Kuttab, 1988)، ص ٢١، (Frisch, 1990) ص ١٠٦ وما بعدها.

^{٦٦} راديو القدس، ١٢ كانون الثاني ١٩٨٧، في: FBIS-15 January 1987-IC. وراديو القدس (بالعبرية)، ٢٤ كانون الثاني ١٩٨٧، في: FBIS-27 January 1987-I3 انظر أيضاً بنفستتي (١٩٨٧)، ص ٤٣.

- ^{٦٧} راديو القدس (بالإنجليزية)، ٣١ أيار ١٩٨٧، في: FBIS-1 June 1987-L5 انظر بنفستتي (١٩٨٧)، ص. ٤٣.
- ^{٦٨} بتاريخ ١٧ شباط ١٩٨٥، انظر شيف/يعاري في النسخة العربية (١٩٨٩)، ص. ٢٢.
- ^{٦٩} شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٥٢. يتعلق الأمر بهجوم بالقنابل على منتسبين للواء جفعاتي، أحد ألوية الجيش الإسرائيلي، كانوا بصدد تأدية اليمين أمام حائط المبكى. وقد أسفر الهجوم عن مصرع أحد المتحقيقين باللواء، وإصابة اثني عشر من المنتسبين إليه. انظر أيضاً (Legrain, 1988)، ص ١٨.
- ^{٧٠} شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٥١-٧٢.
- ^{٧١} انظر كوبان (١٩٨٤)، ص ٢٥٥. وهناك يتم الحديث عن "innovations in guerilla strategy" عن "تجديدات في استراتيجية حرب العصابات"، بالإضافة إلى "new stress on developing military aspects of the struggle inside the Israeli-occupied areas".
- ^{٧٢} انظر Steinberg (١٩٨٨)، ص ٢٢.
- "... the PFLP, like Hawatmeh's Democratic Front, is ready to allow the internal leadership in the territories broad freedom of action on operational matters, provided that the leadership acknowledges in principle the authority of the PLO leadership 'outside'".
- فشتاينبرغ (Steinberg) يتحدث عن self-reliance of the territories، ويعتقد أن الجبهة الشعبية اعتمدت سياسة،
- "delegating as many operational powers as possible, in the areas of both covert military activity and overt popular political activity".
- والسؤال الذي يطرح نفسه هنا بشكل طبيعي عما إذا كان ذلك جزءاً من مبادئ الجبهة الشعبية، أم -ربما- هو نتيجة للظروف القسرية.
- ^{٧٣} وعلى الرغم من ذلك، حصل في خريف ١٩٩٠، انشقاق داخل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، انظر *Jerusalem Report* (20. December 1990).
- ^{٧٤} مقتبس حسب Skocpol (١٩٧٩)، ص ١٧.
- ^{٧٥} مقتبس حسب Skocpol (١٩٧٩)، ص ١٨.
- ^{٧٦} مقتبس حسب Skocpol (١٩٧٩)، ص ٢٩٨، Note 44.
- ^{٧٧} الأنباء، ٦ نيسان ١٩٨٧، في: FBIS-16.April 1987, A1-A7.
- ^{٧٨} انظر شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ١٧-٢٣، انظر أيضاً Legrain (١٩٨٨)، بالإضافة إلى التقرير الإخباري اليومي في *Jerusalem Post* في كانون الأول ١٩٨٧.
- ^{٧٩} *Jerusalem Post*, 27 October 1987.
- ^{٨٠} مور (١٩٨٢)، ص ٦٣٢ وما بعدها.
- ^{٨١} شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص. ٤٥-٤٩ الصحفي المصري لطفي الخولي (١٩٨٨).
- ^{٨٢} حول مسألة مشاركة الجهاد في القيادة الوطنية في غزة في بداية ١٩٨٨، انظر صوت فلسطين من بغداد، ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٨، في: FBIS-88-013.21 January 1988. وهناك يتم الاستشهاد بمنشور "القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة، غزة"، الذي يقول:
- "إن وحدتكم القوية ... صنعت أسطورة فلسطينية ... إننا نحبي الأخوان في حركة الجهاد الإسلامي الذين التحقوا بالقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة". انظر في المقابل شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ١٨٨-٢١٩.
- و Legrain (١٩٨٨)، ص ٢٢-٢٦، وما بعدها.
- ^{٨٣} تماري (١٩٩٠)، ص ١٦٥.
- ^{٨٤} هذا يمكن تتبعه -بشكل واضح- في البيانات الصادرة في هذه الأشهر، حيث شكل بيان رقم ٢٣ الصادر في ٥ آب ١٩٨٨ أولى الذروات.

- ^{٨٥} بشكل نقدي لذلك تماري (١٩٩٠)، ص ١٦٨ وما يتبع.
- ^{٨٦} Facts Jerusalem (١٩٨٨)، ص ١٥٥ في ١٨ آب ١٩٨٨ وفي معرض كلمة ألقاها في معهد ترومان الملحق بالجامعة العبرية بالقدس، أعلن رابين عن عدم شرعية اللجان الشعبية.
- ^{٨٧} انظر بهذا الشأن - وبشكل مفصل - شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٢٦٧-٢٧٣. خطاب الملك حسين بتاريخ ٣١ تموز ١٩٨٨. يمكن العودة إليه مترجماً إلى الإنجليزية في: JPS 69 (autumn 1988)، ص. ٢٧٩-٢٨٣.
- ^{٨٨} حول عواد، انظر شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٢٤٠-٢٤٥.
- ^{٨٩} انظر بهذا الشأن رواية سحر خليفة، باب الساحة.
- ^{٩٠} عرض أولي يشمل القادة المعتقلين أو المبعدين تجده عند شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ١٨٨ وما يتبع. حول تصفية النشطاء القبايين من خلال الجيش الإسرائيلي، انظر مركز القدس للإعلام والاتصالات (JMCC): The Intifada: An Overview. The first two years (1989), p.45.
- ^{٩١} إذا ما اقتفى المراء أثر شيف/يعاري (١٩٩٠)، ص ٢٨٢، على الرغم من أن هذا لم يحدث. وتعارض ذلك تطورات مستجدة يأتي يعاري على ذكرها في: Jerusalem Report (20 December 1990).
- ^{٩٢} مقتبس حسب: المدهون، ربعي (١٩٨٨)، الانتفاضة الفلسطينية، الهيكل التنظيمي وأساليب العمل. عكا: دار الأسوار. ص. ١٤٨.
- ^{٩٣} مقتبس حسب: المدهون، ربعي (١٩٨٨)، الانتفاضة الفلسطينية، الهيكل التنظيمي وأساليب العمل. عكا: دار الأسوار. ص. ١٤٧.
- ^{٩٤} مقتبس حسب: JPS 71 spring 1989، ص 179.
- ^{٩٥} منشور رقم ١٠، ١٠ آذار ١٩٨٨، مقتبس حسب: Facts (١٩٨٨)، ص ٩٨.
- ^{٩٦} Facts: Weekly Review Nr.4, 2 April 1988, p.11.
- ^{٩٧} مقتبس حسب: JPS 67 (spring 1988), p63 ff.
- ^{٩٨} انظر JPS 69 (autumn 1988), p.272-275.
- ^{٩٩} جورج حبش، في: راديو لبنان الحر، ١٨ حزيران ١٩٨٨، في: FBIS-88-118, 20 June 1988, p.5.
- ^{١٠٠} مطبوع في Jerusalem Post, 12 August 1988, p.10.
- فيسل الحسيني هو رئيس "جمعية الدراسات العربية"، ويعتبر من أبرز ممثلي "فتح" م. ت. ف. في المناطق المحتلة خطاب الملك حسين في autumn 1988 (JPS 69)، ص. ٢٨٢.
- ^{١٠١} خطاب الملك حسين في autumn 1988 (JPS 69)، ص. ٢٨٢.
- ^{١٠٢} autumn 1988 (JPS 69)، ص ٢٨٢ وما بعدها.
- ^{١٠٣} عدوان، عبد الجبار، الانتفاضة، على طريق الاستقلال الفلسطيني، الكتاب الأول: أنياب الخوف. (يتضمن بيانات الانتفاضة من ٦-٢٥). (بدون سنة نشر أو مكان نشر)
- ^{١٠٤} انظر، الخالدي (١٩٩٠)، ص ٣٥ وما يتبع.

الخاتمة

ما كان أمس حلمًا ومرادًا، سيتحقق غداً. فصد الشوق فقط لا ينفع
عنف ولا ظلام. وخلف الصحراء ينتظر كنعان ببهاء سبحان من
أبدع، والرب مصكوك دائماً إما على شكل غيمة في النهار، أو في الليلة
الظلماء عمود من نار.

"آرنست بلوخ"

لقد تميز الطريق الذي سلكه الفلسطينيون في أعقاب النكبة الجماعية التي لحقت بهم،
وحتى الانتفاضة، بظلمته ووعورته وكثرة مزالقه. أربعون عاماً تفصل بين إقامة
حكومة عموم فلسطين في الثاني والعشرين من أيلول ١٩٤٨، وبيان الاستقلال
الفلسطيني الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة في الفاتح من
تشرين الأول ١٩٤٨ من جهة، وبين الإعلان عن دولة فلسطينية مستقلة، وذلك من
خلال المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشرة في الجزائر في الخامس
عشر من تشرين الثاني ١٩٨٨. ف.م.ت.ف، ذلك العنوان السياسي للفلسطينيين التي
جمعت في إطارها الحركة الوطنية الفلسطينية في عهد ما بعد النكبة بأيدولوجيتها
وأهدافها المختلفة، هي اليوم شيء آخر يختلف كلياً عما كانت عليه الهيئة العربية العليا
و"حكومة عموم فلسطين". كما أن ياسر عرفات كزعيم سياسي، وبالمقارنة مع الحاج
أمين، ينتمي لحقبة زمنية جديدة تختلف تماماً عما سبقها. ف.م.ت.ف التي تسيطر
عليها "فتح"، وكلاهما يخضعان لزعامة ياسر عرفات، ليست سوى الصيغة السياسية
العملية للتعبير عن مجتمع مشحون استطاع أن يفرض نفسه من جديد كشعب، وذلك
نتيجة لتصديه لتلك الظروف الخارجية التي جعلت منه في أعقاب ١٩٤٨ ذلك المجتمع
المتشرد الذي بدأ في مطلع الخمسينيات شديد الشبه بتجمع لمجموعات بشرية تفتقر

بعد إلى التبلور، ليس إلا. ولم يكن لهذا الشيء أن يصبح ممكناً لولا تلك التطورات الاجتماعية العميقة التي لازمت هجرة ثلاثة أرباع مليون فلسطيني وتهجيرهم من ديارهم؛ فلم يعد قائماً ذلك المجتمع الزراعي التقليدي الذي عرفته فلسطين في فترة الانتداب (١٩٢٠-١٩٤٨) الذي تزعمته طبقة الأعيان القادمة من المدينة، تلك التي بنت نفوذها على تملكها لمساحات شاسعة من الأراضي وعلى سيطرتها على الوظائف الإدارية وبشكل خاص الدينية منها، وهو ما عمل الانتداب البريطاني لاحقاً على تحجيمه. وبدلاً منه حل شكل جديد هو أقرب إلى هيكلية مجتمع امتاز بتشردن جغرافي شديد، وتناقض اجتماعي كبير. فبرجوازية جديدة تنتشر في دول الخليج، بالإضافة إلى بيروت وعمان، ومن غزة حتى لبنان يعيش جيش مهمش من اللاجئين في المخيمات. ومع ذلك، وقفت بين هذا وذاك طبقة متوسطة ميزها نمو متصاعد لتأثيرها السياسي الاجتماعي، بالإضافة إلى عدد الأفراد المنتمين إليها، والأهم من ذلك أن هذه الطبقة بالذات هي التي أفرزت قيادة وأعضاء الحركة الوطنية الفلسطينية الجديدة في الشتات: شباب عملت غالبيتهم في مهن حرة، وغالباً ما كانوا من ذوي الكفاءة العالية. وعلى النقيض تماماً من القيادة التقليدية السابقة التي وقف على رأسها الحاج أمين، واكتسبت شرعيتها بشكل تقليدي موروث، لتسيطر من ثم على المجتمع الفلسطيني من خلال تركيبة شديدة الهرمية تركز على الولاءات العمودية التي تسير في اتجاه واحد فقط، كان على القيادة الجديدة التي تشكلت بعد ١٩٤٨ أن تعمل بادئ ذي بدء على جمع أشلاء مجتمع ممزق ومشتت جغرافياً من أجل تفعيله، وأخذ الشرعية منه. وهو ما حاولت القيادة الجديدة تحقيقه من خلال طرح أيديولوجية وطنية جديدة شكل محورها الكفاح المسلح، والأسطورة المحركة التي نشأت عنه.

فعملية الانطلاق من جديد كشعب مرتبطة إذاً بما سبق ارتباطاً وثيقاً. فهي تبدو غير ممكنة من غير تلك الأسطورة المميزة. ومع ذلك كان على الحركة الوطنية الجديدة أن توصل مع التقاليد التاريخية لتلك التي سبقتها ولتقوم من ثم بالتغلب عليها تمهيداً لانتهاج خط مستقبلي مستقل. فكانت هناك مجموعة من الأفكار التقليدية المختلفة التي تقاطعت أحياناً أو حتى تناقضت في نقاط كثيرة لتشكل بالتالي رهاناً صعباً أدى بشكل جزئي إلى تشويه للتطور الذي حصل بعد العام ١٩٤٨. صحيح أنه كان هناك الخط الفلسطيني التقليدي والمميز الذي مثله الحاج أمين دافعاً في اتجاه استقلال فلسطين ذاتي، ولكن ضمن سياق أكبر، ألا وهو السياق العربي. ومن هنا يبقى الحاج أمين مسؤولاً عن سياسة التآرجح بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية. في المقابل برز هناك الكفاح المسلح الذي ارتبط في الوعي الفلسطيني الجماعي بالفلاحين طبقة الجماهير الكادحة. فعبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس العام ١٩٤٨ بقي في العقل والضمير الفلسطيني ذلك القائد الشعبي لتلك الجماهير العريضة، ولم يلحق بطبقة الأعيان على الرغم من انتمائه إليها.

وتبدو هذه التناقضات شديدة الوضوح في حركة "فتح" التي كانت قد تشكلت في نهاية الخمسينيات في الكويت. فقد نظر جزء كبير من الجيل المؤسس لحركة "فتح" إلى الحاج أمين باعتباره المرشد السياسي الأول، إن لم يكن الممثل الوحيد الباقي للوطنية الفلسطينية المستقلة. إلا أنه وحتى يتم التخلص من عبء المسؤولية عما حدث العام ١٩٤٨ التي يتحملها الحاج أمين، فقد كان على الحركة الشابة أن تتصل منه، حتى تتمكن على الأقل، من كسب اعتراف الشعب الفلسطيني بها كحركة تمثله. لذلك عرّف الوطنيون الشباب بأنفسهم كجيل جديد تعلم من أخطاء الجيل الذي سبق. وقد حافظت الوطنية الفلسطينية الحديثة طويلاً (حتى السبعينيات) على نوع من التعتيم فيما يتعلق بعلاقتها بالحاج أمين. وبدلاً من ذلك عمدت إلى الاستناد إلى التقليد "الثوري" الذي يؤلفه الكفاح المسلح الذي خاضه في عهد الانتداب الفلاحون وسكان الريف بشكل عام، وفي أعقاب النكبة ١٩٤٨، سكان المخيمات في الشتات. فالشخصية أو الهوية الفلسطينية الجديدة ذات الأساس التاريخي لم تبرزها سوى شخصية ذلك الفدائي. في حين عملت تجربة الكفاح المسلح على تثبيت الفلسطيني في شخصيته وهويته.

ومنذ البداية، وبشكل مواز للكفاح المسلح، انهمكت قيادة "فتح" في محاولات سياسية ودبلوماسية مجددة بذلك التقليد السياسي للحركة الوطنية القديمة. إلا أن ذلك وفي خضم عملية الحشد والتحريك الجماهير بقي رهين الصمت المطبق إلى أن ظهر للمرة الأولى العام ١٩٧٣/١٩٧٤ عندما بدأ الحديث بشكل أولي عن دولة فلسطينية تقوم إلى جانب إسرائيل كهدف في حد ذاته. فبدلاً من اعتبار الكفاح المسلح ومنذ البداية "استمراراً للسياسة ولكن بوسائل أخرى" ومن ثم الترويج له من هذا المنطلق، أخضعت "فتح" نفسها لمنطق التناقض غير الحقيقي بين الكفاح المسلح والسياسة، وهو ما مكن بالتالي المعارضة الفلسطينية ممثلة بالجهة الشعبية لتحرير فلسطين، من العمل باستمرار على تأخير وضع الأهداف السياسية للحركة الوطنية موضع التنفيذ. ولم يخرجها من هذا المأزق سوى النضال السياسي للجماهير الذي ظهر أخيراً وبشكله الجماعي العام ١٩٨٨ ليثبت تفوقه على الكفاح المسلح كما مارسته المقاومة الفلسطينية.

فالاستقطاب الذي ساد داخل الحركة الوطنية القديمة بقيادة الحاج أمين بين الوطنية الفلسطينية والقومية العربية وأدى في نهاية المطاف إلى شل الحركة، تحوّل ليصبح بعد ١٩٤٨ ذلك التناقض الحاسم بين حركتين منفصلتين عن بعضهما تنظيمياً: حركة التحرير الوطني الفلسطيني، "فتح"، وحركة القوميين العرب والتنظيمات التي خلفتها لاحقاً على غرار الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية. فكلتا الحركتين تشكلتا على هامش التجمعات السكانية الفلسطينية، حيث المقاومة لأية قيادات جديدة هي في الغالب ضعيفة. ومع ذلك، فلم يكد يمر عقد من الزمن على قيام "فتح" حتى استطاعت هذه أن تبرز على أساس كونها التنظيم الأكثر عدداً والأوسع انتشاراً من ناحية سياسية، ثم لم تلبث أن سيطرت على قيادة الحركة الوطنية الجديدة.

وقد اشتملت المقدمة النظرية لهذه الدراسة على المصنفات التي استخدمها تورين (Tourain) في سياق تحليله للحركات الوطنية بشكل عام، ألا وهي الهوية، الشمولية والمعارضة. وبلا ريب، فإن هذه الأمور قد لعبت دوراً حاسماً في سياق توضيحنا للكيفية والأسباب التي مكنت "فتح" من منازعة القوميين باعتبارهم يمثلون الحركة السياسية الأقوى في الشتات الفلسطيني.

فالقوميون حدّدوا هوية سامعيهم كعرب أو كفلسطينيين عرب. أما إسرائيل، مثلها مثل الأنظمة العربية الرجعية، بالإضافة إلى الإمبريالية، فقد حشرت جميعها في صف المناوئين ولتشكل الخصم الذي لا بد من هزيمته. في حين اتخذ مبدأ الشمولية بمفهومه الواسع شكل القومية العربية كأيدولوجية باعتبار أن بلوغ أهدافها يحقق نوعاً من العدالة. ولما حدث ذلك التحول في المسار الأيديولوجي للتنظيمين اللذين تفرعا عن حركة القوميين العرب، الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، وحلت الماركسية والاشتراكية محل العروبة والقومية العربية، بقي "الخصم" على حاله ولم يتبدل، وكل ما هناك أن مبدأ الشمولية بمحتواه الجديد أضحى يعني ثورة اشتراكية في المنطقة العربية بأكملها وعلى رأسها بالطبع فلسطين. ومن هنا يمكننا القول إن الأيدولوجية التي تبنتها حركة القوميين العرب والتنظيمات التي تفرعت عنها لاحقاً، بقيت من حيث المضمون، إن لم تكن فضفاضة جداً. فليس غريباً إذاً أن يتجاوب الفلسطينيون معها بطريقة لا تختلف، من قريب أو بعيد، عما يبديه السوري أو اللبناني أو العراقي أو المصري مثلاً اتجاهها. وخلافاً لذلك، فقد اشترط هؤلاء، أي حركة القوميين ومن تفرع عنها، تغلغلاً معقولاً في واقع كل شخص على انفراد، وبخاصة أن المسألة ليست مرتبطة مباشرة بالصورة الواقعية للواقع، بل، إذا ما استثنينا إسرائيل كخصم، بتصورات يتم إسقاطها على الواقع.

وعلى النقيض من ذلك تماماً، وقفت "فتح" كأيدولوجية. فالهوية التي حملتها كانت فلسطينية مميزة استثنيت، وبشكل حاسم، كل العرب الآخرين. فالخصم لم يكن سوى إسرائيل أو الصهيونية. أما الإمبريالية فقد تم النظر إليها كما لو كانت الدفيئة، ومن هنا تم التعامل معها وبشكل واضح كمشكلة من الدرجة الثانية. "فمبدأ الشمولية" شكلته هنا قضية التحرر الوطني. وقد تمكنت "فتح" من خلال طرحها لهذا الشعار من أن تقدم حلاً عملياً للمسألة الفلسطينية، وهو ما مكنها في الوقت نفسه من اتخاذ مكان لها في السياق الزمني التاريخي لعملية التحرر الوطني من الاستعمار والإمبريالية. ومهما يكن من أمر، فالمسألة تبقى هنا منوطة بتلك العناصر المجربة عملياً في الواقع النضالي لكل فلسطيني على انفراد، وهي التي يسرت له من ثم أن يجد فيها (فتح) مباشرة، ودون أدنى تعقيد أيديولوجي، ضالته المنشودة. فقد كانت بلا شك تلك الوطنية الفلسطينية الصرفة التي استندت إليها "فتح"، وبخاصة في سنواتها الأولى، في تظافرها الأيديولوجي في مواجهة حركة القوميين العرب ومن تفرع عنها.

ولما كان القوميون أصلاً من حيث التركيبة الأيديولوجية دون "فتح"، فإن قيامهم لاحقاً بتبديل لأحصنه السابق (تركهم للقومية العربية وركوبهم حصان الاشتراكية) قد أضعف من تأثيرهم أكثر فأكثر. فجنباً إلى جنب مع تشدد عقائدي متزايد يصحبه تقديس أعمى للعلم خائر الطابع، تحولت الجبهة الشعبية إلى أشبه بكاريكاتير لبدائياتها الأولى الواعدة عندما انطلقت كتتنظيم طلابي في بيروت غارق في تحليلات قسطنطين زريق الناقدة للمجتمع العربي، أو فترة انبعاثها من جديد في بداية الستينيات وذلك عندما بدأت باستلهم أفكار اشتراكية، إضافة إلى السنوات الواقعة بين ١٩٦٧-١٩٧٠ عندما كرس التنظيم نفسه للأفكار الاشتراكية بشكل كامل في محاولة منه لطرح نفسه كبديل ثوري لـ "فتح". وقد كان بالذات تشبثها بالعلم، كما الإيمان عادة حسبما يورد مانفريد فرانك (Manfred Frank)، "ضرورياً للتغطية على تلك المسحة الظاهرة من عدم الثقة بالنفس".^١

وإذا ما نظرنا إلى "فتح" باعتبارها حسب مفهوم رودنسون (Rodinson) "حركة أيديولوجية"، فإن أسطورتها المحركة، والمقصود هنا الكفاح المسلح، تقفز على الفور إلى دائرة الضوء. فالكفاح المسلح، حسبما سخرته "فتح"، ارتبط بعوامل ثلاثة يجدر ذكرها. دوره الكبير في خلق الهوية الفلسطينية. في الوقت نفسه وعلى اتصال وثيق مع مسألة الهوية، فقد شكل الكفاح المسلح القاعدة الشرعية لـ "فتح" في تزعمها للوطنية الفلسطينية. وأخيراً، وهو الأساس الذي قامت عليه الهوية والشرعية، فقد انطلق الكفاح المسلح بدعوى تحرير فلسطين ثم إقامة الدولة الفلسطينية. ومع ذلك، فإن التطور التاريخي للأحداث ودور "فتح" فيه جعل من غير الممكن القيام بعملية ربط منطقية وغير معقدة بين العوامل الثلاثة التي سبق ذكرها. وعلى الأبعد منذ ١٩٧٣/١٩٧٤ وقفت السياسة التي تمارسها "فتح" من جهة، وتشبثها الأيديولوجي بالكفاح المسلح (وبخاصة فيما يتعلق بوظيفته كمنح للهوية ومثبت للشرعية) من جهة أخرى، في مواجهة مباشرة مع بعضهما بعضاً.

ولم تعمل قيادة "فتح" على مواجهة هذا التناقض بشكل مفتوح، بل تركته "للزمن" لعله يأتي بحل. في الوقت نفسه أخذت، وفي معزل عن الرأي العام، تتدخل في عملية صنع الحدث التاريخي. فمعضلة "فتح" كمنت بشكل واضح في رغبتها بتطبيق حل للمسألة الفلسطينية يقوم على قاعدة التعايش السلمي بين إسرائيل ودولة فلسطينية مستقبلية. ومن أجل تحقيق مثل هذه الرغبة، وهو الذي يعني تحولاً جذرياً في الأهداف السياسية الفلسطينية، كان لا بد من توفر قدر كاف من الشرعية. إلا أن الشرعية التي تمتعت بها "فتح"، ونتيجة لظروف نشأتها التاريخية المميزة، قد ارتبطت بشكل مباشر بالكفاح المسلح، وهو ما أدى، وبشكل حتمي، إلى وقوع تصادم مباشر مع النهج السياسي والدبلوماسي الذي اتبعته "فتح".

بقيت بعض القضايا السياسية العملية معلقة، وعلى اتصال وثيق مع ما سبق، لتقف حجر عثرة في طريق "فتح" نحو تطبيق إستراتيجيتها المتعلقة بإقامة الدولة؛ فبالإضافة إلى الكفاح المسلح تبوأ مسألة الكيان الفلسطيني، والهوية الوطنية الفلسطينية مركز الصدارة في أيديولوجية "فتح" الوطنية.

لكن طالما بقي الفلسطينيون بعيدين عن كونهم شعباً، لم يكن أمام م.ت.ف التي تتزعمها "فتح" سوى رفض قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ أو ٢٣٨ لسبب جوهري جداً والمتمثل في كون القرارين يتعاملان مع الفلسطينيين كلاجئين فقط وليس كشعب أو أمة. إلا أنه، وفي اللحظة التي أحس الفلسطينيون فيها بأنهم قد وصلوا تلك الدرجة من الثقة بالذات التي يصعب معها خدش مشاعرهم الوطنية، باتت هذه القرارات لا تشكل حجر عثرة، في الوقت الذي شكلت فيه الانتفاضة نقطة التحول التي تقدم عندها الفلسطينيون، منطلقين من وعي ذاتي لا يتزعزع، لاحتلال مكانهم كطرف سياسي متداول في تاريخ الأمم والدول الوطنية، وليتحلوا بتلك المرونة السياسية التي تمكنهم من لعب دور أساسي كلاعب محترف في السياسة والدبلوماسية الدولية، وليس كمشاهد من بعد يحاول الإزعاج، ولكن هيهات، من غير جدوى.

وينطبق الأمر نفسه على تطور الكفاح المسلح كأسطورة محرقة. فمع بدء الانتفاضة، وفي اللحظة التي تم فيها للشعب الفلسطيني بلوغ أهدافه الخاصة بخلق الهوية والحصول على الشرعية أصبح المسرح معداً لتحول نموذجي في الأسس التي أقامت عليها م.ت.ف/ "فتح" شرعيتها. فالفلسطينيون كشعب أو كأمة، وحيثما وجدوا، عبروا، وبصريح العبارة، أمام العالم أجمع أن م.ت.ف هي ممثلهم السياسي. فالجماهير هي التي أقدمت على منح عرفات والسياسة التي ينتهجها الشرعية المطلوبة، ما مكن م.ت.ف تحت قيادته من الإسراع في تنفيذ أهدافها. ومن خلال ذلك فقط، أصبح الميثاق الوطني الفلسطيني من العام ١٩٦٨ لاغياً أو (Caduc) كما عبر عن ذلك ياسر عرفات العام ١٩٨٩، بحيث أمكن القبول بقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ والاعتراف بوجود إسرائيل كدولة.^٢

وإذا ما نظرنا إلى الوراء قليلاً، فإن نجاح الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في الجزائر، الذي تتوج بذاك الإعلان التاريخي عن قيام الدولة، تبرر النهج السياسي العملي الذي اتبعته "فتح" منذ ١٩٧٣/ ١٩٧٤ الذي اتسم بقدر كبير من الغموض إن لم يكن التناقض، ناهيك عن أنه لم يكن الطريق الأكيد نحو النجاح. وهناك سؤال يطرح نفسه في هذا المقام. ألم يؤد هذا النهج الغامض إلى أن يدفع الفلسطينيين ثمناً غالياً لتضحياتهم، ربما كان من الممكن تجنبه؟ ينبغي علينا أن لا ننسى أن هذا النهج الغامض الذي حاول أن يحافظ على الكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين، في الوقت الذي أراد فيه تحقيق الأهداف المتعلقة بإقامة دولة فلسطينية بجانب إسرائيل، قد صاحبه

قيام جبهة الرافض العام ١٩٧٤ ناهيك عن الانشقاق الذي حدث في صفوف "فتح" العام ١٩٨٣. فهل كان من الممكن إذاً تغيير مجرى التاريخ لو كان قد تم العام ١٩٧٤ الدفع باتجاه حل يقوم على أساس دولتين لشعبين؟ هل امتلكت "فتح" في ذلك الحين قدراً كافياً من الدعم في المناطق المحتلة للمضي قدماً في حل من هذا القبيل؟

سؤال صعب وليس من السهل العثور على جواب واضح عليه. صحيح أن الجبهة الوطنية في المناطق المحتلة تمتعت حتى في تلك الأثناء بتأييد واسع في صفوف الجماهير، إلا أن ذلك لا يقارن بذلك القدر العالي من التسييس والتنظيم الذي يسود اليوم في المناطق المحتلة. في الوقت نفسه استمر حزب العمل الإسرائيلي بالتشبث بما سمي بالخيار الأردني الذي يستبعد م.ت.ف نهائياً، ناهيك عن سياسة أمريكية تميزت بتجاهلها، وإفئقارها إلى التعاطف مع التطلعات الوطنية الفلسطينية.

ومع ذلك يبدو لي أن سياسة فلسطينية دؤوبة تقوم على أساس دولتين لشعبين كان من الممكن لها أن تنجح في تحريك الوضع الجامد في الشرق الأوسط لو أن م.ت.ف كانت على استعداد لتقاسم نفوذها مع الجبهة الوطنية في المناطق المحتلة، وهو ما كان سيتعارض حتماً مع مبادئ "فتح" جميعها. وبطرح هذا التساؤل، يبدو واضحاً إلى أي حد كانت العلاقة بين الجبهة الوطنية "في الداخل" و م.ت.ف / "فتح" "في الخارج" مشحونة، ولم تكن في النهاية سوى سياسة الإبعاد الإسرائيلية التي سلطت ضوءاً قوياً على مكانة القيادة السياسية المحلية، بحيث قُدر لـ "فتح" أو كان عليها، شاءت أم أبى، أن تقفز لتعبي الفراغ الذي ترتب على ذلك، محاولة على الفور الإمساك بزمام الأمور. فمن لا يهتدي من سياسيي الضفة الغربية، فلن يترك ليفعل ما يشاء. فالنهج البطريركي الذي اتبعته "فتح"، إضافة إلى إمكانياتها المادية الضخمة، جنباً إلى جنب مع أيديولوجيتها الوطنية المتفوقة، جعل منها، وحتى منتصف الثمانينيات القوة السياسية المسيطرة في المناطق المحتلة.

ومع ذلك فإنه لا يمكن تجاهل حقيقة مفادها أن الحدود التي كانت قيادة "فتح" تخشى تخطيها، كانت على الأغلب أضيق مما ذهب بعضهم، إلى اعتقاده؛ فالتصارع مع الجبهة الشعبية أدى إلى تقليص مجال المناورة إلى حد كبير، وبخاصة أن الجبهة عرفت كيف ومتى تحرك الجماهير من أجل الضغط على قيادة "فتح". ولا يمكن في النهاية تناسي الدور الذي لعبته الأنظمة العربية وبخاصة سوريا؛ فعلى الرغم من كل الجهود الدبلوماسية المضنية والدقة في الاختيار والتطبيق، بقي عرفات وتنظيمه مرتبطين وإلى حد كبير بالأهداف المرتبطة بالصراع على النفوذ والسلطة بين الدول العربية المحيطة بإسرائيل التي كان بإمكانها استخدام أو إساءة استخدام "الجوكر"، ألا وهو القومية العربية، متى شاءت. ومن هذا المنطلق، فإن منطق عرفات و "فتح" في ترك أمور كثيرة للتاريخ يحكم فيها يبدو إلى حد بعيد مبرراً.

لكن كيف أمكن الجمع بين الشعار الذي انضوت تحت لوائه كل التنظيمات الفلسطينية في كفاحها من أجل التحرير والتحرر الفلسطيني من جهة، والإعلان العام ١٩٨٨ عن دولة تقوم على المدى القريب أو البعيد في القدس الشرقية، والضفة الغربية وقطاع غزة من جهة ثانية؟

في مقابلة جرت معه في نيسان ١٩٧٠ تحدث ياسر عرفات، وبشكل راديكالي، عن التحرير واضعاً إياه في موقع النقيض من العيب المترتب على "إنشاء حكومة":

أؤكد لك أننا لا نسعى لإقامة أي شكل من أشكال الحكومات. قلناها باستمرار إننا حركة تحرر وطني تهدف إلى الحرية والعودة ولا نريد واجهات جديدة تكون عبئاً على حركة النضال الوطني. والحكومة الفلسطينية تعني لنا مزيداً من الرسمية، ومزيداً من التعقيدات التي تعرقل مسيرة الثورة.^٣

وعلى النقيض من ذلك تماماً يحتاج هاني الحسن، أحد أهم المستشارين السياسيين لياسر عرفات، ولكن بعد ذلك بثمانية عشر عاماً. "نحن على وعي أن كل حركة تحرر تبدأ كثورة. في الوقت نفسه فإنها تطمح في الوصول إلى حالة من التطور تبدأ معها بإقامة البنية التحتية للدولة. فعملية البناء والترسيخ لبنى الدولة هذه هي فقط التي تقدم برهاناً على نجاح التحرر".^٤

يبدو أن التحرر والتأسيس وقفا العام ١٩٧٠ على طرفي نقيض. أما العام ١٩٨٨ فقد وصل الأمر إلى حد اعتبار البنية التحتية للدولة كدليل على نجاح عملية التحرر أو حتى تحقيقها. هل كنا إذاً نرقب عملية تحول م.ت.ف بزعامة "فتح" من تنظيم يكافح من أجل التحرير إلى تنظيم يسعى إلى إقامة دولة؟ فهل أصبح تنظيم كان يوماً ما ثورياً بفعل الجمود والبيروقراطية تنظيمياً مثقلاً بأعباء مرحلة ما قبل الدولة كما تدّعي "فتح" - أبو موسى منذ ١٩٨٣؟

واقع الأمر لا، إذ ليس بالإمكان تجاهل تلك الميول المتأصلة في "فتح"، ومنذ نشوئها، نحو إقامة دولة إلا أن التنظيم على ما يبدو كان قد وقع العام ١٩٧٠ أسير الأخطاء التي حفل بها التاريخ الفلسطيني، وبخاصة فيما يتعلق "بحكومة عموم فلسطين" وما ترتب على ذلك بشكل عام من تقييم سلبي للسياسة والحكومات والدول. إلا أنها استطاعت العام ١٩٨٨ تحرير نفسها من هذا المأزق التاريخي مفسحة بذلك المجال لهاني الحسن ليتغنى بالدولة بمفهومها الهيجلي (Hegel) كهدف تاريخي في حد ذاته. فهي الرد المناسب على الظروف الحياتية للفلسطينيين في ظل نظام دولي يسود فيه نظام الدولة الوطنية. من جهة أخرى، فإن السؤال نحو المساواة والتحرر يبرز في المثال الفلسطيني أيضاً، وهو الأمر الذي بدأ يتضح أكثر فأكثر من خلال النقد المتزايد لقيادة "فتح" ذات النهج البطريكي الجيد الذي صدر مؤخراً عن المبادرات الديمقراطية

التي حدثت على مستوى القاعدة في المناطق المحتلة يحركها الحرص على نوعية الدولة المستقبلية. ومهما يكن من أمر، فلا مفر من التأكيد على أن "فتح" أو م.ت.ف التي تسيطر عليها "فتح" لم تكن يوماً ما تنظيماً ثورياً ذي ادعاءات ثورية اجتماعية خاصة به، بل مؤسسة مدنية تقف على رأسها قيادة لا جدل حولها تتشكل من الطبقات الفلسطينية الوسطى، بالإضافة إلى البرجوازية الفلسطينية (وبخاصة تلك الموجودة في الخليج وبشكل محدود في عمان). ومن هنا، فإن دولة فلسطينية مستقبلية ستقع، بلا شك، تحت سيطرة هذه الطبقة. وهنا علينا أن لا ننسى أن هذه القيادة السياسية الفلسطينية بالذات هي التي أقامت قبل الانتفاضة، ولكن، بشكل حاسم بعد ١٩٨٨، بإجراء الاتصالات مع الإسرائيليين المستعدين للحوار من أجل تعاون مشترك ومستمر بين كلا المعسكرين المتحاربين يؤدي إلى إقامة جسور اجتماعية سياسية نظراً لأهمية ذلك على المدى البعيد.

أليست هذه إذاً بدايات تلك اللحظة الثورية في برنامج الدولة الديمقراطية العلمانية التي تتطلع إلى رؤية فلسطين المستقبل يسكنها مجتمع متعدد الأديان متداخل العروق، ويتحدث بأكثر من لسان، بحيث يتم تخطي حواجز الدولة الوطنية والشوفانية القومية، وفي الوقت نفسه الوصل مع التقليد السائد في منطقة حوض البحر المتوسط الذي ترسو على شواطئه مراكب محملة بعروق وحضارات ولغات مختلفة؟ أليس هذا هو ما يردده ياسر عرفات باستمرار وبصوت عال عندما يتحدث عن إمكانية الحل الفيدرالي، وضرورة العمل من أجله مستقبلاً؟ أما رمز هذا التعاون الفلسطيني-الإسرائيلي فهو فيصل الحسيني؛ فبعد القادر الحسيني والد فيصل هو القائد الفلسطيني الأسطوري الذي هزم ولاقى حقه في معركة القسطل إبان حرب ١٩٤٨.

وقد كانت إسرائيل والأردن، تدعمهما بريطانيا العظمى، قد أفلحتا العام ١٩٤٨ في الحيلولة دون قيام دولة فلسطينية، وبالتالي التطبيق الكامل لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة. من جهتها، افتقرت الحركة الوطنية في عهد الانتداب بزعامة الحاج أمين إلى القوة السياسية والاقتصادية الاجتماعية، ناهيك عن العسكرية اللازمة للتصدي لتلك المؤامرة. فحكومة عموم فلسطين التي تشكلت في خريف ١٩٤٨ بقيت ملحوظة على هامش التاريخ، ولم تعبر سوى عن لحظة الضعف والهزيمة التي عانى منها المجتمع الفلسطيني.

وقد قوبل الإعلان عن دولة فلسطينية في تشرين الثاني ١٩٨٨ بالرفض القاطع والمتعجرف من قبل الحكومة الإسرائيلية. "مرة أخرى"، كما ورد على لسان وزارة الخارجية الإسرائيلية، "تثبت المنظمة، التي تدعي تمثيل الشعب الفلسطيني، أنها غير قادرة أو مستعدة للاعتراف بالواقع".

فإسرائيل تدعمها الولايات المتحدة، تلك الدولة العظمى المتبقية في الوقت الحاضر لا تزال تصر، كما في السابق، على رفض الاعتراف أو الإقرار بدولة فلسطينية كشيء ضروري وذو معنى. ومع أن الولايات المتحدة كانت قد أقدمت على القيام بخطوة صغيرة جداً نحو الأمام، في تشرين الثاني ١٩٨٨، فإنها لم تلبث، بعد ذلك بأشهر قليلة، أن أوقفت الحديث المباشر مع م.ت.ف ومن ظرف واحد، معيدة بذلك الوضع إلى سابق عهده. وفي المقابل، يتعرض نشيطو حركات السلام الإسرائيلية لعقوبة السجن إذا ما قام هؤلاء بالاجتماع مع ممثلي م.ت.ف. وعلى ما يبدو، فإن الأمواج العاتية التي جلبت معها عشرات الآلاف من اليهود السوفييت إلى المنطقة قد قضت على كل أمل فيما يتعلق باستعداد الحكومة الإسرائيلية للتوصل إلى حل. فهل تأمل الحكومة الإسرائيلية إذا بجل ديمغرافي للمسألة من خلال "معجزة" ثانية على غرار ما حصل بعد ١٩٤٨، تأتي هذه المرة من الاتحاد السوفييتي؟

تشهد الفترة التي نعيشها ازدياداً ملحوظاً في الحديث عن الحرية. فما بال رياحها لا تهب صوب الرقعة الواقعة بين الأردن وشواطئ المتوسط! فاليهود السوفييت الذين يحلمون بالعيش في الولايات المتحدة يجدون أنفسهم فجأة في "أرض الميعاد". لقد سبق وأقدم "الغرب الحر" على إغلاق أبوابه في مواجهة موجة الهرب والهجرة التي قدمت من الشرق آنذاك، في الوقت الذي يتم فيه حرمان الفلسطينيين، الذين يتعرض وجودهم في لبنان منذ سنوات، وبشكل يومي، للخطر من العودة إلى ديارهم. أما الفلسطينيون القابعون في ظل الاحتلال الإسرائيلي الذين يناضلون من أجل حريتهم متعلمين بعد سنوات من الاضطهاد والعبودية والإذلال الطريق السليم للكفاح، فهناك من يريد إخراهم من خلال استخدام الغاز المسيل للدموع، والرصاص المطاطي والذخيرة الحية أيضاً.

ولكن كيف تبدو الرؤية المستقبلية لهذه الرقعة الصغيرة من الأرض ومن تشبث بها؟ كثيراً ما يتم التذكير بوجود حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، التي اتخذت قلباً العام ١٩٨٨ على أيدي الفلسطينيين من الإخوان المسلمين كحركة جماهيرية تأتي روافدها بشكل خاص من قطاع غزة ونابلس والخليل،^٦ لتدل على أن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لا حل له. فإذا ما غض المرء ناظره، ولم يلمح سوى ذلك المعسكر الديني القومي الراديكالي الآخذ في الكبر على الجانب الإسرائيلي، بالإضافة إلى "حماس" على الجانب الفلسطيني حينئذ يموت الاجتهاد ويبقى فقط هذا التفسير حياً. ولكن وجه الواقع ترسم عليه خريطة تمنح حماساً في المجتمع الفلسطيني، والمتعصبين من اليهود المتدينين على الجانب الآخر رقعة محدودة.

ومن الجدير بالذكر أن المجتمع الفلسطيني لا تعوزه التقاليد التي يمكنها أن تلعب دور المذهب للتطرف الإسلامي؛ فالتعاون المسيحي الإسلامي على المستوى السياسي الوطني يعود إلى عهد الانتداب، وهو ما عملت م.ت.ف، وبوعي، على استيعابه ولتستمر من ثم في

ترسيخه. كما أنه ليس سراً أن المفاهيم الدينية الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من الوطنية الفلسطينية الحديثة. فد "فتح" أو م.ت.ف يمكنها وبسهولة مطلقة أن تستوعب في صفوفها مسلمين صالحين، دونما حاجة لتنظيم خاص بهم على غرار "حماس" مثلاً.

"الإسلام... هو أحد العناصر الكثيرة للهوية الفلسطينية... فالرموز الإسلامية تشكل اليوم صعيداً من أخرى كثيرة تتألف منها الثقافة الفلسطينية".^٧ والرموز الإسلامية في الوطنية الفلسطينية كما عبرت عنها م.ت.ف. / "فتح" "مفعمة بالمعاني المزدوجة والضمنية".^٨ "فاستدلال المعاني الإسلامية والوطنية العلمانية [من حيث اللفظ والدلالة] تسمح... بتصوير واسع لأحوال الصراع. وهكذا يغدو ممكناً ذلك الكم الهائل من التأويلات للعدو وأشكال العمل والهوية الجماعية. وهو ما يعني بالتالي، أن... التضامن الجماعي وتحديد الشكل الخارجي للجماعة ممكن إلى درجة كبيرة، في حين يتم في الوقت نفسه مخاطبة جمهور عريض إلى أقصى حد".^٩

وهكذا يتضح لنا السبب الذي جعل من "فتح" كبرى تنظيمات الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة. فالغموض الذي تعمدته "فتح" في صياغتها للمفاهيم جلب لها كل هذا الدعم واختصها بهذا الكم من الجماهير الفلسطينية. ومنذ العام ١٩٨٨ تحاول "حماس" استخدام الورقة ذاتها ضد "فتح"، وهو الشيء الذي راهنت عليه الجبهة الشعبية منذ مطلع السبعينيات: الرفض الصارم لكل تسوية إقليمية مع إسرائيل. وفي وضع مثل هذا، حيث لا يلوح في الأفق أمل، فإن مثل هذه الخيارات الراديكالية تمتلك قوة جذب أكبر. فمتى يجنح أولئك العقلانيون على الجانبين إلى محاربة الميول والأهواء المتطرفة؟!

ويستغل الكاتب الفلسطيني الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية أنطون شماس مناسبة الإعلان عن قيام دولة فلسطينية في تشرين الثاني ١٩٨٨ ليعبر عن مخاوفه إزاء الإعلان عن الدولة المستقلة حول "أحبولة الاستقلال".^{١٠}

أن نتحدث اليوم في الشرق الأوسط عما سيكون عليه الغد، تبدو -بعض الشيء- وكأن المرء مغرم بالحديث عن الصداق الآتي بعد فرط شرب، في حين لا يزال المولوتوف-كوكيتل في متناول اليد. فدولة فلسطينية مستقبلية ستواجهها على الأغلب صعوبات وتحديات كثيرة بشكل مشابه لما كان قد حصل مع الدولة اليهودية منذ قيامها - وعلى المرء أن يكون واعياً لكل تلك الحفر والأحابيل التي على الدولة الفلسطينية أن لا تقع فيها.

نقطتان في بيان الاستقلال الفلسطيني تثيران قلق شماس:

- الافتتاحية الدينية، وهو الشيء المألوف إسلامياً، والانتهاء بآية من القرآن الكريم وما يعنيه ذلك على الأغلب من ترك مسألة الدولة الديمقراطية العلمانية تتخذ طابع الحلم فقط.

- الأسلوب والوسيلة التي من الممكن أن تؤدي إلى أن تصبح الدولة الفلسطينية المستقبلية نسخة معكوسة عن دولة إسرائيل، أي "كما يتم الادعاء دولة ديمقراطية لا دستور لها، ولا تتطابق فيها المواطنة مع القومية؛ بل واحدة جديدة لا تختلف عن دول الشرق الأوسط الأخرى ويختلط فيها الدين بالدنيا لينتج عنهما مزيج عالي السمومية.

لقد حدث في الصيف الماضي أن سأل كاتب إسرائيلي شاب شمعون بيرس (كان حينئذ وزير الخارجية الإسرائيلي) السؤال التالي: هل تحلم (ليلاً) بمواضيع سياسية؟ "لا"، أجاب بيرس. "إنني نادراً ما أحلم. أنا م قليلًا ولكن بعمق". وربما مكننا هذا أيضاً من التوضيح إلى حد ما، لماذا تقوم إسرائيل بقمع الانتفاضة بلا هوادة. "إنه يعز على أصحاب الأحلام السابقة، الذين تعريضهم الخيبة والإحباط، أن يروا الأحلام التي راودتهم العام ١٩٤٨، تُسرق، إن صح التعبير، عبر الخط الأخطر من قبل شباب فلسطينيين لا تعوزهم الحيوية".^{١١}

ويختتم شماس أفكاره بوقفة تدعو إلى التأني، تاركاً إيانا مع التأمل والتمني.

في بيان الاستقلال الأمريكي هناك جملة تخاطب القلب مباشرة، وهي التي تقول إن التطلع إلى السعادة حق لا يمكن التصرف به. لقد بحثت في كل من بيان الاستقلال الفلسطيني والإسرائيلي عن هذه الكلمة - السعادة فلم أجدها في أي منهما. فالشعوب في الشرق الأوسط ستقبل راضية بقطعة من الأرض، أما السعادة فتبقى بالنسبة لها حلمًا بعيد المنال.^{١٢}

ولكن، أليس من هذه الأحلام وفيها تعيش الانتفاضة، كما نحس ذلك في أغنية الفنان الفلسطيني مصطفى الكرد:

بحلم ببكرة

بكرة الأمان

بكرة المحبة

بكرة السلام

ببكرة بحلم

هوامش الخاتمة:

^١ Frank (1989), p. 106f

^٢ مقابلة – (Caduc) – ”لاغ“ مع عرفات في (JPS 74 (winter 1990) ص ١٤٤ وما بعدها.

^٣ الوثائق العربية الفلسطينية (١٩٧٠)، ص ٢٠٨ وما يتبع.

^٤ الأنباء (الكويت) ٢٨ آب ١٩٨٨، ص ٢١، في: FBIS - 88- 169 -31. August 1988, p.8.

^٥ هذا يظهر في شخص قائد ”فتح“ في المناطق المحتلة – كما يشاع – فيصل الحسيني، واتصالاته الوثيقة مع ممثلي المجتمع الإسرائيلي، من اليسار ماتسبن (Matzpen) إلى اليمين موشيه عميراف (Moshe Amirav). عضو الليكود السابق. انظر أيضاً المقابلة مع عرفات، ٣٠ آذار ١٩٨٧، في:

FBIS - 6 April 1987-A5.

“... penetration of the Israeli enemy’s ranks by encouraging democratic and progressive elements and opening dialogue with them”.

انظر في ذلك أيضاً القرارات الصادرة عن الدورات المتعاقبة للمجالس الوطنية الفلسطينية منذ بداية السبعينيات.

^٦ حول ”حماس“، انظر:

(Legrain (1986), (1988) and (1990).

^٧ Johnson (1982), p. 94

^٨ Johnson (1982), p. 101

^٩ Johnson (1982), p. 93

^{١٠} Shammas, Anton (1989), p. 52

^{١١} Shammas (1989), p. 56

^{١٢} Shammas (1989), p. 56

ملحق الوثائق



صورة لغلاف مجلة العروة الوثقى. حيث ترأس تحريرها مجموعة من القيادات التي أسست حركة القوميين العرب في وقت لاحق. (صفحة ١ من ١)

العروة

مجلة قومية عربية

تصدرها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية ببيروت

المدير المسؤول : الدكتور جاد مرهع

رئيس التحرير : سمير صبر

ويحررها فريق من الطلاب الجامعيين اعضاء « العروة الوثقى »

مكتب المجلة : غرفة ٣٠٢ وست هول
الجامعة الاميركية بيروت
ص . ب . ٢٢٤ الجامعة الاميركية

السنة ١٨ العدد ٤

آذار ١٩٥٣

الوحدة العربية

تصدير

الوحدة ... الوحدة ... الوحدة ... تزيد وحدة عربية ...

وهكذا كل يوم يشتد النداء، ويملأ صوت الواقع الاجتماعي الحلي، يطالب بالوحدة، ويشعر الاستعمار بأن الظروف الميكروية التي حاكها في الماضي قد بدأت تنزق أمام ارادة الحق، فيتملأ، ويعلو نباح اليهود، وتسير الانباج في كل مكان يمتدنون ويمسون: لا وحدة ... لا وحدة ... لا وحدة ...

الوحدة في صالح اليهود والاستعمار .

ويستقطب الاستعمار الاقليمية من جديد بنقوفن ويتعبرون، ويصيحون بالحد والحد، ويرددون كالبناوات ما سمعوه من ان في الوحدة ضرراً للصالح العام ... وان في الوحدة تركيزاً للدعائم الاستعمارية . . . ودعماً لاشخاصه معروفين ... ولها ضحايا وادهام ليس إلا تزول مع مرور الايام .

وتشعر الفئة الحاكمة بأنها زائلة، لا شاك، لو انت ملايين الشعب العربي قد اصعبت كتلة واحدة معها، واصحابها وصلصة الوطن قبل كل شيء: فترسل رسلم ونسخر اذاعائنا وصحفا مرده القوال اليهود والمستعمرين ودعاة الاقليمية دون

العمرة

مجلة قومية عربية تصدرها جمعية « العمرة الوثق »
يشرف على تحريرها نخبة من اعضاء الجمعية

الاشتراكات المبنوية

الاردن والمراق نصف دينار:
سوريا ولبنان : ٣٥ قرش لبناني
مصر : نصف جنيه
البحرين والكويت : ٦ درويات
انحاء الوطن العربي الاخرى : نصف جنيه مصري



ترسل الاشتراكات الى العنوان التالي :

مجلة العمرة الوثق - الجامعة الاميركية - بيروت
ص. ب. (٦٤)

الظلم ان لا نشر ك ونحن منه، في الدفاع عن حقه ونقيم حقيقته .

يجب ان ننقل الدعوة للوحدة الى صفوف شعبنا العظيم . ويجب ان يرد هذا الشعب في كل مكان: « الوحدة . . . الوحدة . . . » . فمقابل المبرقة من اذئاب اليهود والاستعمار، المناهضة بالوحدة، ومقابل دعاوة القلة الحاكمة الى المحافظة على هذه الكيانات البربرية القائمة، ومقابل حاداة الاقلياتم الاقليمية، يجب علينا ان نضع مقابل كل هؤلاء شعباً يناهض بالوحدة، ويعمل لها . شعباً يحطم بارادته اوهام الملود، ويقضي بعزمه على اليهود والمبهورين، ويحز من ارضه جذور الاستعمار وركائزه .

لقد آن لهذا الكيان المبرق ان يصبح كتلة واحدة تواجه اليهود والاستعمار وتقضي عليها .

لقد آن لهذه القوى التي ارادها الاجنبي متنافرة ومتفرقة، ان تصبح سيلاً عرواً يجرف في طريقه ادوار الماضي، واقدار الماضر، ويشق في سبوره خطوط المستقبل الجدير للعرب في وطنهم الواحد .

لقد آن لجهايز الشعب العربي ان يثبت في رحاب وطنها فانتهي الوحدة العربية .

التحوير



اي تحريف او تحوير، اللهم الا فيما يتناسب مع مقامها .

والشعب العربي يستمع في اول الامر الى دعوة الوحدة فنتشر صده، ويستمع بعد ذلك الى اقوال المفرضين فيرقب في اس دعاة الوحدة، ويحذر في أي طريق يسلك، ويطمئن الى اقوال المفرضين لانه يسميها في كل مكان، ولانه لم يدرك حقيقته بعد .

الوحدة العربية ليست مجرد نزوة طارئة، ولا هي خيالا في الازدهات . بل هي حقيقة بغرضها تاريخ العرب وتطلعيها وافهم في كونهم امه لها خصائصها وعليها استغيا في وطنها كتلة واحدة لا تفرقة بين اناياها ولا تجزئة في ارضها .

والوحدة العربية دعوة صريحة لصالح العرب في وطنهم، وتحطم اكيد للاستعمار وركائزه . فالاستعمار هو الذي جزا الوطن، وهو الذي اثار التفرقة والتساق في صفوف الشعب العربي، وهو الذي غذى ولا يزال يغذي كل هذا .

فليس غريباً ان يجارب الاستعمار كل محاولة تلجج شمل العرب وتوحيد وطنهم . وليس غريباً ان يمت اعوان الاستعمار الدعوة للوحدة العربية بكل ما تنضج به صفائهم من ١٠٠٠

وفي الوحدة العربية نقف، على الفتنة الحاركة وتحطيم لناورنا وفيها فصح لكل من يعمل ضد العرب ولكل الثافي ومساموم، كائناً من كان، همه جمع المال والمحافظة على منبهه او مركزه على حساب العرب ومصالحهم .

ان الوحدة العربية آتية لا ريب فيها، شاء اعداؤها ام ابوا، وانما علينا نحن شباب العرب ان نهيئ لها السبيل حتى تأتي سريعة لا تشوبها تأنية. وقد آن لنا ان ننقل صراعنا من اجل الوحدة الى صفوف الشعب العربي كي يدرك حقه وحقيقته. كما دنا عل، حق، وما دنا نؤمن بهذا الشعب وامكاناته، فانه لن

كلمتنا

فشلت مؤامرة الصلح !

مرة أخرى يتجه الشعب العربي في إبعاد شبح الصلح، ويثير الفتنة الحارقة على أن ترفض الدخول في مفاوضات مباشرة مع اليهود. وهكذا يحطم هذا الشعب المناضل الشجاع مؤامرة جديدة من مؤامرات اليهود والاستعمار، ويرغن للعالم أجمع أنه لا زال مصمماً على الثأر واسترجاع فلسطين.

ومناورة الصلح الاخيرة التي دأبها الشعب بأقدامه بدأت يوم حادث قرية الدامي. فقد أراد أعداء العرب أن يجعلوا من قرية مجزرة تفقد الشعب أعضائه، وتدفعه الى الرضوخ والاستسلام. الا ان تلك المسرحية فشلت فشلاً ذريعاً وأعطت نتائج عكسية. فبدل أن يهرع سكان القرى الامامية ويتركوا قراهم مذعورين هلعين رأيتهم يصعدون في جنادونبات. وحتى تلك البقية الباقية من اهالي قرية الرئاسة رفضت هي الاخرى ان تتراجع شبراً واحداً الى الوراء. وهكذا نهاوت المحاولة الاولى من المؤامرة الدنيئة القادرة.

ثم جاء «جونستون» موقداً إزهاور الخاص بحمل مشروعات استئجار مياه الأردن. وقد وصف هو نفسه هذه المشاريع بأنها «مفتاح الصلح بين العرب واليهود». ولكن مهمة «جونستون» تأثرت الى حد بعيد بفشل مناورة

قرية. فقد وصل «جونستون» الى هذا الوطن في وقت كان التوتر الشعبي فيه في اعلى مراحلها بعد حادث قرية. مما اضطر الفتنة الحارقة ان تلصق رسول اليهود الامين بايقاف (مساعي) «وفاة»، وتجنب إثارة الشعب. لهذا قال «جونستون» في نيويورك انه مزعج على العودة الى الشرق العربي في مطلع العام الجديد. وهكذا فشلت اسطورة السانبة من المؤامرة. وان كان «جونستون» يريد ان يغطي فشله هذا بمناورة جديدة.

بعد فشل اليهود والاستعمار في ارباب الشعب في قبسة، وفي اغرائه بمشروعات جونستون، لجأوا الى الضغط السياسي المباشر. فجاءت دعوة الامين العام للأمم المتحدة لاجراء مفاوضات مباشرة للصلح بين الاردن و «اسرائيل». الا ان الفتنة الحارقة اضطرت تحت ضغط الشعب الى رفض الطلب، وكانت صريحة فعلا حين قالت لنا تخاف غصبة الشعب اذا هي اقدمت على الدخول في المفاوضات!

لقد شجع الشعب العربي حتى اليوم في تحطيم جميع المحاولات لفرض الصلح، وهو مصمم على تحطيم كل محاولة من هذا النوع في المستقبل. ليس هذا فحسب، بل هو مصمم ايضا على ان يتزود ارضه للسلوبة المفضية وان يسحق آخر يهودي فخر تحت اقدامه!

هيئة مقاومة الصلح مع «اسرائيل»

كلمتنا

الوحدة .. ايها العرب !

الى متى ستظل هذه الامة ممزقة الاوصال
دامية الجراح ؟ الى متى ستبقى هذه الكمائن
الغزيلة للتداعية (دمي) تحركها ايادي
المستعمرين واليهود ؟ الى متى ستعمل الاذى ،
ونقض الطرف عن القصاص المعتدي ؟ الى
متى سنبص صمت الجبان ، ونصير صبور
الضعيف الكبير الجفاح ؟ بحزرة في قبيلة .
واستفزاز في القتال . ومئات من الفدائيين
يساقون الى جبال المشانق في تونس ومراكش
والجزائر ... صفعات مثالية ملاحقة ،
تحرك الاموات فكيف بالاحياء احفاد الابطاد ؟
الى متى ايها العرب ؟ الى متى .. والوطن
مهدد من كل صوب ؟

لقد قلنا بالامس وسنبقى نقول ابد الدهران
وحدة هذا الوطن ضرورة من ضرورات
الحياة . وان بقاء الامة العربية ومن يتجمع
قواها وتكاتف ابنائها في كل موقع من اصقاع
الوطن .

انظروا الى اعدائكم ؛ ايها العرب ،
كيف يتكاثرون ويتجمعون ، انظروا الى اليهود
كيف يستعدون ويتخفرون . انظروا الى
(الدول الثلاث) كيف تتداند وتتساعد في
المغرب وفي الوادي وفي العراق والاردن
والجزيرة . انظروا الى الاستعمار كيف يهيئ
لكم الدسائس والمكائد ، والى اليهود كيف
يهددون لغزو جديد !

انظروا الى هذا واذكروا انكم تعيشون
في وطن يمزق مشوه . اذكروا ان في وطنكم
عشرات الدول والامارات . وان في كل دولة
وامارة حكام وسلطان ، وان لكل سلطان
وحاكم شهوة تحركه وتدفعه الى مقاومة
الوحدة بكل فواه .

فالوحدة اذن مطلب غالي لا يدركه المتردد
المتقاعد . والوحدة فكرة لا تنقبها عقول
المتهمين الساجدين في خيرات هذا الوطن
العائرين بقدراته . اذكروا ان الوحدة مطلب
الشعب . وان الافريقية سياج لعروش الحكام
وشبانه لبقاء « اسرائيل » ، وناذرة يطل منها
كل مستعمر غاصب .

اذكروا ان الطريق الى الوحدة طويل
شاق . وان للوحدة (معركة) لا بد من
خوضها . فانشروها اذن نصراً تفرضه جوعكم
يوم المعركة ، لا هيبة تنظرونها عبثاً من
ايادي الاعداء .

اذكروا هذا في كل ساعة وفي كل لحظة .
اذكروا هذا حين يترق رصاص الغزاة يمش
سهاراً في قبيلة . وحين يقاد العشرات من
اخوانكم الى الموت في المغرب العربي . اذكروا
هذا حين تتجداكم وتستفزكم قوى الاحتلال
الاجنبي من كل لون وشكل .

نعم اذكروا هذا جيداً ، وآمنوا ان
هناك طريقاً واحداً نحو العزة والكرامة :
الوحدة ايها العرب .. الوحدة !

« هيئة مقاومة المصلح مع « اسرائيل »



النازيون يطلبون السلاح ويرفضون مشاريع الاستيطان

الاغانة الدولية جادة في تنفيذ مشاريع الاسكان بشكل مركز أكثر من اي عهد مضى، فقد زار «كورفوازيه» حجم التغطية لوضع الخطط لبناء ثكنات تقسم لاسيحاب نيف وعشرة آلاف نازح هناك. الا ان النازحين قدموا له عريضة موقعة من معظمهم يملنون فيها عن رفضهم لمثل هذه المشاريع... فإكان من «كورفوازيه» عندئذ الا ان دفع مأجوريه من موظفي الوكالة وعلى رأسهم المدعو صالح فخر» وهو المسؤول عن مكتب توزيع الاغذية، لتقديم عريضة تقض العريضة الاولى وتدعو لجنة الاغانة لتنفيذ مشروعها بسرعة. ولقد قام «صالح فخر» هذا بتضليل الجهة والامين من النازحين لتوقيع هذه العريضة المفترضة... ايها النازحون هذه الحفنة من المخاذيب التي تدس بين صفوفكم اخبروها بحزم وقوة واجعلوا منها عبرة لكل مساورم ذليل.. علمت «النار» مؤخراً ان الطلاب النازحين في جنوبي لبنان استغلوا فرصة تدريب الطلاب الثانويين عسكرياً من قبل الحكومة اللبنانية، فحاولوا الانضمام لصفوف المتدربين. الا ان حكومة لبنان ابت الا ان تحرم النازحين حتى هذه الفرصة البسيطة فمنعتهم، وهددت كل طالب نازح بمحاول الاشتراك بالفصل من مدرسته فوراً!!!

.. من قال ان النازح بانس بانس؟ من ادعى ان النازح استكان للوضع الشاذ الراهن ورضي به؟ من يجزم واتهم النازح بالاستسلام والخنوع؟ الا انهم يادعون الانزاع والتخاذل.. الا انهم ايها الحونة - اذئاب الدخلاء.. فالنازح على حاله.. سلة تضطرم ولماً يتصاعد ويتزايد.. واما ما بقا مصوراً بحب الوطن السليب.. وهو لا يزال قد قسمه المقدس.. قسم استرجاع فلسطين عربية خالصة.. قسم النار من كل دخيل دنس زية الوطن برجنه.. قسم اغناء اليهود..

فها هم النازحون في غزوة ينتفضون لسماهم خبر الاعتداء اليهودي الآثم على القنصات المصرية، وهو اصفا واحداً ليعلنوها صرخة دأوية ته لا تريد نداء ولا كساء وانما تريد سلاحاً.. ملهونا.. سلهونا ونشني نكفل القضاء على هذه الافات الحية. واندام النازحون في منطقة غزة بعدة تظاهرات وخطوا سياراتهم لوكالة الاغانة الدولية وانلقوا كل محتوياتها.. هذا وقد هاجوا مكتب الاغانة ومكتب مراقبة المدنة بما دعى الكثيرين من الوطن الاجانب الى القرا من سخط النازحين رافقهم.

هـ هذا وثمة حدث آخر يكشف النقاب عن نفقة مشاعر النازحين وعواطفهم المتأجبة التي تغمر لشجب المشاريع الاستعمارية.. فإنا لت وكالة

النازيون يطلبون السلاح ويرفضون مشاريع الاستيطان. مجلة النار "حركة القوميين العرب". بيروت، ١٠/٣/١٩٥٥. (صفحة ١ من ١)

متى يتم تشكيل جيش عربي من النازحين؟؟؟

من الاف السنين، ولهذا فان النازحين يؤمنون بان استرداد الوطن المألوف يتوقف على تشكيل جيش من ابناء فلسطين وتسليحه باسلحة حديثة واطلاق يده في اقصاء اليهود الذين دنسوا ارض فلسطين.

وبهذه المناسبة يعاني النازحون عن عدم رضاهم عن ابعادهم عن العمل لقضيتهم وهم الذين يعرفون من خلفنا هذه القضية ما لا يعرفه الكثيرون من رجال العرب.

ويعتبر النازحون نصريج دالس ومقرحاته الاخيرة مقترحات خيالية ترففها جملة وتفصيلا حيث انها تساعد على بقاء «اسرائيل» وتحول بين النازحين والعودة الى ديارهم. اما مشروع جونستون فهو استغفورة واكثر اذى للقضية العربية في فلسطين من مقترحات دالس اذ انه يربط اقتصادات الدول العربية بالاقتصاد اليهودي.

ومنذ ان تسلمت وكالة الغوث الاشراف على مقدرات النازحين والحالة بينهم تسير من سيء الى اسوأ فيوماً نجد الاخلاق في تدهور، وثارة نرى الكرامة قد دبت. ولذلك فان النازحين الموهوبين يطلبون الى وفود الدول العربية تبني طلباتهم المرفوعة الى الجمعية العمومية والتي تضد فساد جهاز الوكالة.

.. سنون سبع عجاف، عاشها النازحون مع الم حرمان والكبت والاضطهاد..

سبع سنين مضت على اقتطاع اليهود لفلسطين. سبع سنين والاعداء يحشدون كل ما اوتوا من قوى وامكانيات لاجتثاث جذوة الثورة في نفوس النازحين.. ولكن عبثاً.. خسروا.. فارتسامة الهزيمة والنصدي والايان لازالت قوية متعالية، تصفع دعاة الانخاضية والتخاذل.. هذا ولقد زعم النازحون في الاردن مذكرة الى الامين العام بجامعة الدول العربية تنطق بالنقمة والثورة والنضال جاء فيها:

«يعيش في منطقة نابلس الجبالية لارض فلسطين المقتضية اكثر من ١٥٠ الف نازح تقيم اغليتهم في بيروت مهدمة وخيام مهلهلة بعد ان كانت تنعم في قصور ساحية ومنازل فخمة. ان هؤلاء جميعاً يرفعون الى الامين العام بجامعة الدول العربية هذه المذكرة طالبين الاهتمام بمحتوياتها حفظاً لحقوق سكان فلسطين الاصليين.

» من المفهوم ان الدول العربية لم تعمل رغم مضي سبع سنوات على مأساة العروبة في فلسطين عملاً بطموح عرب فلسطين الى مصيرهم واعادتهم الى ديارهم وممتلكاتهم التي ورثوها

حول الكيان الفلادلفي

الامصال المستور البينظم مع كل

تجريح فلسطيني داخل كل قطر
من الاطمار ، فانقصار هذا
الكيان على مجموعة مديا بلنت
من الكفاءة والوجود تمثيل بعيدا
عن واقع الفلسطيين اليومي
ستجمله موزولا عن الجسم
الطبيعي له وبالتالي عاجرا
من عادية مهجته الحقيقية .

هذه بعض اهم الصفات
الاساسية التي يجب توفرها
كحد أدنى في أي كيان فلسطيل
للحياة والشباب العربي
الفلسطيني الذي يؤمن ايها
عزوبا بان قضية فلسطيل هي
قضية الامة العربية كلها ، بقدر
ما هي قضية الفلسطيين يؤمنه
الى الشعب الفلسطيني بهذا
البيان طالما جيع فلسطيل
الامالة المعمل على فلسطيل
الكل الفلسطيني على امس
قوية سلمية .
الشباب العربي الفلسطيني
١٩٦٤ - ٣ - ٧

احدى جهات هذا الكيان
الحرى السور الدائب على
ملاحظة تنفيذ جميع بنود
الشروط الصادرة عن مؤتمر
الامة والوقوف بشروط
وحزم في وجه أية محارلة
لنبيع هذه القرارات .

كما ان من مهمات هذا
الكيان تهيئة جميع الظروف
والوسائل التي تسهل على
الفلسطيني مهنة النقل في مختلف
الاتجار العربية وكفوف له حرية
القول والعمل لصلحه قضيه
وتهيئة جميع المشاكر القاتيا
المختلفة بشؤون الفلسطيين
بما في ذلك الاعتراف باليهودية
على مهنة وكالة التوتوث
الدولية في مختلف حق دول
الجهلات .

والسمة الخامسة لهذا
الكيان تتناول شخصيته الداخلية
بحيث يوجه هذا الكيان
لاستكمال تنظيماته في مختلف
الاتجار العربية كي يمكن من
الاعتراف العربية كي يمكن من

فلسطيني ثوري وجدي .
يا أبناء فلسطيل :

ان اولى هذه المهمات التي
يجب توفرها في أي كيان جدي
هي ان ياتي هذا الكيان
تجسيدا حقيقيا حرا لرغبة
وارادة شعبنا بخلاف تجمعاته
وقعا عليه حينما وجدت ولن
يكون ذلك الا بالبرسلسل
التجدي الحقيقية اي بالانتخاب
الحر الذي يبرر تغييرا صادقا
وحقيقا عن اراء الفلسطيين
التي نعتقد ان اية محاولة

لفرض موكين ومثولين اوضح
اسس الكيان خارج اراءه للفلسطيين
الفلسطيني الحرة هي محاولة
سيفيق شعبنا فيها من مجرم
قضيه مونتيل وانا ان تطالب
بوتفير هذه الصفة الاسلامية
لكن نترك حجة اوراق فلسطيل
ووعينا حقيقة الطوروف
العرفية القاتية في عدد من
الاتجار العربية والتي قد
تشكل عقبة تحول دون

السياسات المرتبطة بالفلسطيني

لما اخيرة التازون :

بعد انقار دام ستة عشر عاما عشيقوها سابعة بساعة
تدين عن مساحة العمل العظم الموحدة من أجل قضيتكم . وبعد
ذلك الظروف القاسية التي برزت بكم وعشتم خلالها اسما
بناه عروبة انسان المعسر الحديث ومخيم انتادوا لجمع
اعمالكم الاستعمارية التي استهفنت ذاتها تصفية
تسكم اصالح عدوكم المتصمككم انتم فيها تسكم التحديد
وااكم وحكم المشروع في بحيره وهما طال الزمن وتكاثرت
اسرى ولا التين .

كما تحمل هذه الرحلة ايضا
محاذير يمكن ان تحولها الى
مجرد موسم من مواسم القضية
الفلسطينية تغير عاتقه
الجاهل لغيره قصيرة ثم لا
تلت ان تنف عاجزة عن
الارتفاع الى المستوى الجدي
الاقار على الاستفاد من
دروس النضال الثوري
التي هارسته الشعوب المختلفة
سواء في الدول التي يحكم
سلوية جسيمة
سواء في قضية عربية
جدا وصورة قاطعة لا

اضواء حول الكيان الفلسطيني

يرجع الرافقون السياسيين
القائمة في تشرين الثاني/الآلة
الصحفيين بقوله : « (لا
كثي في الانتخابات القائمة)

والآن بعد مقتل كيدي
سلفه ؟ لم هل تسي القصة
جائه السياسية الطويلة
الحدوة اللوح الذي يستند
حديثة على الحياة السياسية

ظاهرة غريبة

يجب المرض على فل
مولهم أن جون كيدي
ظاهرة غريبة وجديدة ، و
مده الظاهرة بقيت ك
طار « السياسية التعددية
الولايات المتحدة ، والآن
أن مات كيدي ، زالت ه
الظاهرة ، وعادت الحال
طبيعية ، في الولا
الحدوة !!

سقوط غول ووتر

- فلسطين لن تسود الإبلية ، والقوة في وحده الشعب .
- معركة استرداد فلسطين هي معركة المصير العربي .
- مؤتمر الثورة خطوة على طريق الإعداد لتحرير فلسطين .
- توحيد شعب فلسطين وأعداده للمعركة الفاصلة هو واجب قومي مقدس .



المشوري

أيها الأخوة

واننا إذ نشكر السلطات
الانتابية العظمى التي قامت
للفلسطينيين بتمسية الزبارة
القائمة للاشتات احسن
الشعيرة الى لبنان تنفيذا
للاذلة بارائهم ووجهت نظرم
باسمعال حقهم المشور
للادلة بارائهم ووجهت نظرم
بكل حرية واطمئنان فمصر
حدود القانون عانتا تهييب كماله
اخرنا الفلسطينيين ، ونحن
جميعا امام تشيية مقدسة ان
يلتوما تلك الحدود، لان الاذلال
بالامن والتمام يسمى لنس

العمل المنظم البني على

اسس شعبية وفورية شبيهة ،

والهم هو البدء في الاعداد

لتحيز الشروط اللازمة لقيادة

هذا العمل البطيء ، المهم ان

نرسي اخطاء الكفة ، ونستفيد

من دروسها القائمة بومسي

وإدراك ، يستدعيه العمل

والنتاج .

ان محاولة تنظيم الكيان

الفلسطيني فرصة قد تسهل لنا

طريق العمل ، فاستدعيه من

هذه الفرصة وتوجه جينسا

انجل من الكيان الانتابسي

الثوري الذي تحدثنا عنه .

ان التجربة الحرة التي

وحدنا بجبه ان تكون دافعا

لنا للمولود دون كل محاولة

تقوم بها القبات الرجعية

للانتماء القوي الى الكيان

للمعاصرة بقتدينا القديمة .

يجب أن يبنى الكيان منذ

بأكملها عربية خالصة .

مسؤولية وضع الجليل ضمن
دائرة الحوار وذلك وفي
النتائج والعمليات الجديدة
المستوحاة من التحليل ، وفي
شوة القناعات السياسية
والإيجابية التي احدثتها
الثورة الاجتماعية .

في نطاق الكلام عن تشيية الارجنة

الجديدة وضاعتها انزل الرئيس عبد

النسي الى سبعة الزرامة « وفوروة

تفويها لهم بومسي في القسم

الوطني « . وقال « انه اذا كنا

نمقد اللغة الثورية للزمي اسما

لثورة الزرامة كانه لا بد من تقسيم

هذه اللغة بالعمول الذي ينظم

الوجه ويديمه بالقلم الحديث « .

والواقع ان تشيية الزرامة في مصر

وقعية تحويل الاصلاح الزراعي الى

ثورة زراعية الشراكة ، ان هسة

التشيية تير جلة من القناعات المكونة

والعملية التي لا بد ان يواجهها

للتفكير بالمشاكل والحوادث الاسلامية .

فلاجاه - القائم الآن - التي

الاشياع على نطاق يسبح بالمشاد ،

ان هذا الاتجاه لا بد ان يحدث

تطورات هامة واساسية تفرس تشيها

عن القناعات الزراعي . وكذا الرئيس

عبد النسي ايضا الاتجاه بشكل فعال

الى تطوير الصناعة الثقيلة فمصر

الحيلة الاقتصادية القائمة وعلى اهمية

وذكر النسي الثقيلة على دفع مستوي

الانتاج والتفري وسقوى التحلل القومي ،

وكانت ايضا الى جعلها تنظم الامور

عامة الاسمية في عداد المشاور

المهمة التي يجدها العمل الوطني في

مصر .

لا يتوقع الجمهوريون الانتخابات المقبلة ، إلا من ضمنون الممركة في سنة ١٩٦٨ أو حتى عام ١٩٧٢ . لقد سقط منذ اليوم المرشحان الجمهوريان إلا كاتا في واجهة المسمي

الذي غولف ووتر ويليس وككل في الانتخابات التي حصلت في نيويورك . وقد يرشح الجمهوريون مرة أخرى في الانتخابات القادمة ، إلا أني نالهم عن قرب الأوض الداخلية للحرب الجمهوريون برحون برشج وجوه في الثورة القاديه ، واسي حكومت المرشح الذي في المرة الماضية . ويرشد عري كابوت لودج واست وليم سكرتون في مقته الإساء الجيدة للشرحه

لا يتوقع الجمهوريون الانتخابات المقبلة ، إلا من ضمنون الممركة في سنة ١٩٦٨ أو حتى عام ١٩٧٢ . لقد سقط منذ اليوم المرشحان الجمهوريان إلا كاتا في واجهة المسمي

الذي غولف ووتر ويليس وككل في الانتخابات التي حصلت في نيويورك . وقد يرشح الجمهوريون مرة أخرى في الانتخابات القادمة ، إلا أني نالهم عن قرب الأوض الداخلية للحرب الجمهوريون برحون برشج وجوه في الثورة القاديه ، واسي حكومت المرشح الذي في المرة الماضية . ويرشد عري كابوت لودج واست وليم سكرتون في مقته الإساء الجيدة للشرحه

لا يتوقع الجمهوريون الانتخابات المقبلة ، إلا من ضمنون الممركة في سنة ١٩٦٨ أو حتى عام ١٩٧٢ . لقد سقط منذ اليوم المرشحان الجمهوريان إلا كاتا في واجهة المسمي

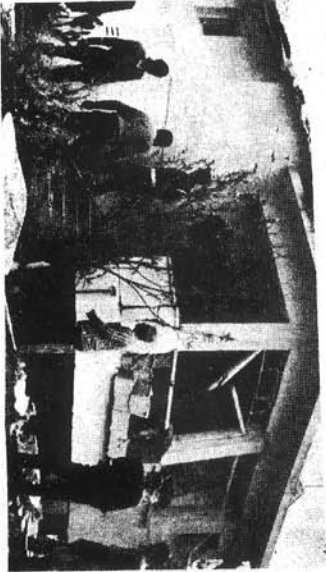
الذي غولف ووتر ويليس وككل في الانتخابات التي حصلت في نيويورك . وقد يرشح الجمهوريون مرة أخرى في الانتخابات القادمة ، إلا أني نالهم عن قرب الأوض الداخلية للحرب الجمهوريون برحون برشج وجوه في الثورة القاديه ، واسي حكومت المرشح الذي في المرة الماضية . ويرشد عري كابوت لودج واست وليم سكرتون في مقته الإساء الجيدة للشرحه

فلسطين

في العدد الماضي بدأت « فتح »
- ردا على مقال في « فلسطين » -
مناقشة حول أسلوب عملها
واستراتيجيتها
« فلسطين » تقدم فيما يلي ردها :

قبل الخوض ، من جديد في هذا النقاش مع « فتح » نرى من الضروري التأكيد على نقطة هامة تتعلق بالهسيح الواجب اتباعه في هذه النقطة كي نصل بها الى هدفها الرئيسي ألا وهو حلّ الجو الناصري/الوحدة القوي الثورية الفلسطينية. هذه النقطة التي نرغب في التأكيد عليها هي أن هذه النقطة لا يجوز أن تتحول الى نوع من المناقشة الأكاديمية الحدية البحتة التي تقف فوقها اسم كل ثقافة من ثقافات الاخلاق ، مهما كان حجمها ، وبهذا نقسم الزوايا على الهدف الاسمي للنقاش ...

هذا النهج الأكاديمي الجدلي ليس له مكان هنا ، لأنه يعكس طبعه يؤدي الى توسيع الخلافات حيث يتجاهل « سلام الانفصاليات » ، ونحن يتناسى ان وحدة القوى الفلسطينية هي الهدف المقصود من وراء هذا النقاش ، وهي البرر المنطقية لقيامه .



ان يكون هناك حرص شديد على عدم استخدام العمل العدائي لتحقيق أهداف

ولكن طاقا يعني ذلك كله عمليا ؟
● ان يمتد : في نظرنا : ان استخدام العمل العدائي لتحقيق أهداف

ان النهج الذي نلزمه لهذه النقطة
من نهج قومي وواحد ، وذلك يتطلب الى المؤسسين السابقين على مجمل

علاقاتنا بالقوى الفلسطينية الاخرى .

علاقاتنا بالقوى الفلسطينية الاخرى .

فلسطين، ترد على مقال " فتح " . ملحق فلسطين التابع لحركة القوميين العرب، كان يصدر مع جريدة المحرر الناصرية البيروتية. ٧/٤/١٩٦٦ . (صفحة ١ من ٤)

العلم والاداءة التمشي .
● واستكمال التحمية . : فانا نول
لأن السحاب الذي طويته و قدس
جربا للثقل ، الذي التحية للشمس
فماضين ، والتي يول حال يتوسم
العمل الذي بعد الطلوع على ساحته
المركبة ، هذا الطلوع لم جرى استلهاء
بما لا يدار هذا ال كارهه جعله
ان عليه توجهه الذي الذي يتبعه
ان تسحب ، لربما ، حركة الاستساح
الشمس ، وتساير حركة الارض حين
ومدة الذي اليومية الفلسطينية وليس
تبع حركة الكواكب الشمس .
● فتح = فتح = لاسم الجيعة
● حرب التحرير
بالإمكان للشمس داي ، فتح = دول
هذا الموضع بالتالي الثاني : -
● تستمد = فتح = فكرة الحروب
غلوبية الكاشيتي والتايتي وتشرح
المركبة ، حرب التحرير .
● في نظر = فتح = ان جهنة
الجيش العربية في حله حدود الدول
العربية المجرة ، في حين ان جهنة
المجال التمشي السطح اللحاء على
اسر التسل .
● في تصور = فتح = ان المستور
قد رسم اسر التجميع العسكرية
على اسس جوهية حرب فريسة
كلاسيكية مبرمة ، وبالتالي ملقا يوجب
ان توجهه حرب شبيهة طويلة النفس .
● منقذ = فتح = بل حرب التحرير
ا كما تقر بها ، هي السمل رد على
الحالات الفعل الاستمراري العسكري
لوقت حرب التحرير المسلحة .
● تنقل = فتح = في ان مستطيع
الجيش الثاقبة العربية لجسور
المرافق والمساب التي يتوسلها
الاستمرار لهاها لشها من جوش حرب
الشمس .
● تولى = فتح = ان الجهل يحمي
الكلاسيكية كطريق التحرير قد اعطى
الجاهر الفلسطينية والعربية شمورا
بالقابلة والاسترجاع ، في حين ان
حرب التحرير تنقل حشد كل الذي
الشمس لاجها .

في معيتة ، معيتة ، في مرمى ان
مربة الاستراتيجية العسكرية التحرير
تسليط ، بل كهل شين التفتوت
وتتبع = فتح = حركة التحرير
الشمس ، في حاشي = فتح =
● كان رايها ، بل الشام ، ان في
اجها اللحاء صوب هذا العمل اللدالي
بل ان حرب التحرير توحي بها
لان ذلك يتوزن الى الكاشيتي الذي
اجها تاجه في حاشي الذي العسكري
التي يستطيع العمل اللدالي الجسور
تيرة ودون تسليط مع الذي العربية
ساحته القوة .
● وكان رايها ، وما زال ، بل الذي
الشمس لتسبب التسلط في مركة

الشمس في حاشي معيتة معيتة
الشمس اللدالي الحاشي معيتة معيتة
تسليط ، بل كهل شين التفتوت
وتتبع = فتح = حركة التحرير
الشمس ، في حاشي = فتح =
● كان رايها ، بل الشام ، ان في
اجها اللحاء صوب هذا العمل اللدالي
بل ان حرب التحرير توحي بها
لان ذلك يتوزن الى الكاشيتي الذي
اجها تاجه في حاشي الذي العسكري
التي يستطيع العمل اللدالي الجسور
تيرة ودون تسليط مع الذي العربية
ساحته القوة .
● وكان رايها ، وما زال ، بل الذي
الشمس لتسبب التسلط في مركة

الشمس في حاشي معيتة معيتة
الشمس اللدالي الحاشي معيتة معيتة
تسليط ، بل كهل شين التفتوت
وتتبع = فتح = حركة التحرير
الشمس ، في حاشي = فتح =
● كان رايها ، بل الشام ، ان في
اجها اللحاء صوب هذا العمل اللدالي
بل ان حرب التحرير توحي بها
لان ذلك يتوزن الى الكاشيتي الذي
اجها تاجه في حاشي الذي العسكري
التي يستطيع العمل اللدالي الجسور
تيرة ودون تسليط مع الذي العربية
ساحته القوة .
● وكان رايها ، وما زال ، بل الذي
الشمس لتسبب التسلط في مركة

الشمس في حاشي معيتة معيتة
الشمس اللدالي الحاشي معيتة معيتة
تسليط ، بل كهل شين التفتوت
وتتبع = فتح = حركة التحرير
الشمس ، في حاشي = فتح =
● كان رايها ، بل الشام ، ان في
اجها اللحاء صوب هذا العمل اللدالي
بل ان حرب التحرير توحي بها
لان ذلك يتوزن الى الكاشيتي الذي
اجها تاجه في حاشي الذي العسكري
التي يستطيع العمل اللدالي الجسور
تيرة ودون تسليط مع الذي العربية
ساحته القوة .
● وكان رايها ، وما زال ، بل الذي
الشمس لتسبب التسلط في مركة

الشمس في حاشي معيتة معيتة
الشمس اللدالي الحاشي معيتة معيتة
تسليط ، بل كهل شين التفتوت
وتتبع = فتح = حركة التحرير
الشمس ، في حاشي = فتح =
● كان رايها ، بل الشام ، ان في
اجها اللحاء صوب هذا العمل اللدالي
بل ان حرب التحرير توحي بها
لان ذلك يتوزن الى الكاشيتي الذي
اجها تاجه في حاشي الذي العسكري
التي يستطيع العمل اللدالي الجسور
تيرة ودون تسليط مع الذي العربية
ساحته القوة .
● وكان رايها ، وما زال ، بل الذي
الشمس لتسبب التسلط في مركة

ترد على مقال مفتاح

كيف تنظر فتح الى اعمال الماصفة وما هو تقييد الـ ٠.٠ وما هو تقييدنا ؟

وعلى تقييد مركز الصهيونية بالقدس

كثرت صحيفة " في دالاس " وارتفع تبول " عن الدكتور ييجر ، نائب وزيره و"ويس " الجلسي الصهيوني لليهودية

الكلية :
- وادع من الجير للمهاجرين للصهيونية
بلاية في امريكا قال ان مسؤوليه
البراميل حتى للتراجع المزمع - الاسرائيلي
فخصني : بل انية مسؤوليه الولايات
المتحدة ايضا .

فقد قال الدكتور ييجر في تصريحه :
- بالرغم من ان على الولايات المتحدة
ان تفتح اتساع الصدمات على الحدود
في الشرق الاوسط ، كان ذلك لا يتشكل
بما به صاف لاسرائيليا . . .

واضاف :
- وليس جزءا هاما من القضية في الشرق
الاطوسط فانسح سمن الاوسايات
الصهيونية بانك - السبي الصهيوني -

التحرير في حين يطبع شمس فلسطين من
يشق لها ويخرج !!

الناظمي شيا مع " فتح " حول
مروءة مدينة شعب فلسطين واستاداه
للحركة . ويتناقص معينا حتى تصل
الحمل الدالامي دورا اكبر من فلسطين .

بذراعه التسلب ولكن الجسم المشوي
يصل في يد اللوى الصهيونية الملتصقة
للحركة فاصلى ذلك والمطاطي بل
الصهيونية العمل الجوى الفلسطيني
يعتري ان يرسم على اسس حصة
الحركة الصهيونية ارا امة .

ان افعال " الماصفة " ليست
هي الثورة المسلحة وذلك
ما يعرف به " فتح " صراحتا
واقوالا " الماصفة " فويضا
نفت وضالفت ان تستطيع
تفرض الضم على ساحله
المركبة

لملت هذه الوحدة الوطنية لتعصب
لشطين توجت بمقلة نحو مركزين
اللقوة المادية والمعنوية في الوطن
المرمي سقالة في الصهيونية العربية
المتحدة والسكول الجوى القوية ،

ومجتمعا للصهيونية . كما أوجنا الصهيونية
والصهيونية لمرور شعب فلسطين كصهيونية
منظم ومنسدة للثقل " وائر فلسطين
على جعل الوضع المزمع واستعداده
حرب التحرير

وحما يبرز سؤال لا بد منه : هل
على اسهل المناقشة حركة " فتح " من
من النظام جوى رئيسي في صياغة توجيه
الركوى ؟

ولما كان موقف " فتح " المتعصب
المتطري هو الامتناع عن الجهود الدولية
من اجل توجيه المسوى الصهيونية



عمود عبد الفتاح جابر

والكتابة بل المكس هو الصهيونية
بالفرض في أي شعب يتوهم العرب
ان يكون مجندا لها بكل خائفة . . .

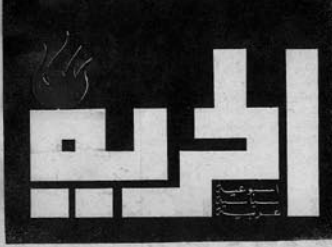
هذا بلخص لوجهات نظر " فتح " حول
حرب التحرير والصهيونية التي
يجب ان تخلى بها . وان لنا ملاحظات
حول هذه الصورة المروءة تولى من
الصهيونية ارا اية هنا جميعا للتحليل
ووجها للصهيونية :

● ان حرب التحرير التي تقودها
" فتح " هي اقية ما تكون بصحرو
التحرير التي خاضها الكور - من
الصهيونية الصهيونية في بوشام جلال على
ذلك . ولكن السؤال الذي يطرحه
يصلح هنا هو : هل تتصور الظروف

والصهيونية داخل الارض المحتلة للصهيونية
والصهيونية حرب تحريرية من هذا الطراز ؟
التي هو التمس الذي مستوحى هذه
الحرب ؟ وان هي : الموانع الصهيونية
التي يستعني الثورة من القسوة
الامر الدولية للصهيونية ؟ كلها

توالت اخرى في ضيق حرب تحريرية
من هذا الطراز ولكن لا يتكلمه من

وهذه صورة الحرب الحالية للصهيونية لا
رالت بقله اصلا وليس يهسا ما يشير



AL - HURRIA B . P 857 . NO 401 . LUNDI . 26 - 2 - 78

غير مخصص للبيع

دراسة حول

الحركة الوطنية في الخليج العربي

الاثنين ٢٦ - ٢ - ٦٨ • العدد ٢٠١ • السنة التاسعة • الثمن ٢٥ ق.ل

مقاومة غزة بأوسع تفاصيلها

الجبهة الشعبية تقود الكفاح المسلح بعد نجاحها في تحقيق الوحدة الوطنية

حركة المقاومة

بين تهديدات اشكول
وتراجعات التل هوني



اسطورة "الصف الوطني" في لبنان كما تبدو على ضوء "الوقائع" الانتخابية الصغيرة

صورة لغلاف مجلة الحرية. بدأت في الصدور في العام ١٩٥٩، حيث اصبحت في وقتاً لاحق تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومن ثم الى الجبهة الديمقراطية. (صفحة ١ من ١)

أثبتت
امتيازها
وردت ٥
الأبيض
جونسون

نقد تصنيف هذه الصورة

تكرر الحديث عنها كثيرا
ومن أبرز ما تضمنته هذه
١ - أحوال النازي
في المراكز التي دارت حول
النازي الرسمي ان هذا
والفت للفتل في هذا
الجمهوريين خائفا
الظواهر الصهيونية التي

عقدت بين دولتين . ومع
هذا الإنفاق ، إلا أنها
في الحالة قوارات أخرى ؛
٢ - تلحق الرئيس
استعدادا لعقد معاهدة
ذلك . وقد جاء هذا التا
نظر الإوضاع في الشرق
والجنوب بالمثل . إن الد

المدلية الأمريكية . فقد
رايين « تحفة هو أيضا
هذا الأمر بطرق كثيرة
المراتبي المعروف ، ١
في الجمهورية العربية التي
وقد جاءت هذه الأقوال
الأمريكية إلى اسرائيل ما
غرض حملة التطويق
الوسط . وهو يتكفي
ومسكيا .

الجيبهة الشعبية لتحرير فلسطين تصدر أول بيان عن عملياتها في الأراضي المحتلة

« بعد أن قوتت البدء في نشر بيانات عن عملياتها ،
تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مؤزرا لها عن العمليات
المسكينة التالية :

١ - اشباج « بتاريخ ٦ - ١٠
٢ - بين إحدى وحداتنا وكمين
أسرائيلي بجوار مسجدة « الرزاع »
استشهد خلال الاشتباك القتال حسن
الصيد ، كما جرح مقاتل آخر . لم
تتمكن من معرفة خسائر العدو .

٣ - كمين أعدته إحدى وحداتنا
لغورية عسكرية إسرائيلية شرق مدينة
جنين « بتاريخ ١٥ - ١٠ - ٧٧ » ،
تم تحرير سيطرة الغورية وقتل ثلاثة
جند اسرائيل داخليا .

٤ - هجوم بالأسلحة المستعدة
للدور « بتاريخ ١٤ - ١٠ - ٧٧ »
على كمين إسرائيل كان يفكر قتال
« هاجية » وبسبب مضيقه مضطرة
لغورية التي الغورية الحاضرة .
تمزق ثلاث سيارات عسكرية للعدو .
كما جرى تطويق خنادق الكمين
الاسرائيلي بالقتال الجدية . فحضر
العدو ٩ قتلى . استشهد قتال
القتال عند الكمين وسلاح
الغوري . تقديرا مسلحا مضادا

٥ - كمين لسيارة عسكرية
إسرائيلية في منطقة الموجة « بتاريخ
١٠ - ١١ - ٧٧ » . تم تحصين
السيارة بالقتال الجدية . اعترف
العدو بعقل جندي واحد وسقوط
جرحين .

٦ - هجوم خافق بالقتال
المضادة للدور على معسكر
إسرائيل جنوب الخليل « بتاريخ ١٢
١١ - ٧٧ » . تمكنت وحداتنا من

٧ - كمين خافق خافق بالقتال
المضادة للدور على معسكر
إسرائيل جنوب الخليل « بتاريخ ١٢
١١ - ٧٧ » . تمكنت وحداتنا من



دخل المسكر وانقلت ثائنها على
مواقع الجند من منطقة خفسين
مدا . أصابت إحدى القذائف وموتها
للأخرة مما تسبب في حدوث انفجار
عنيف . اعترفت المسكينة الإسرائيلية
بوقوع القصف من منطقة لخبائن مورا
ثم علقت واعتبرت بقاء وقع من منطقة
لا تزيد عن خمسين مورا .

٧ - تفصيل خط مسكة العديد
قرب بئر السبع « بتاريخ ٤ - ١٢ -
٧٧ » من طريق نصف قاطع طوله ١٨
مورا من الخط المأخور . خرجت أربع
عربات من الخط ولم تتمكن من مواصلة
خسائر العدو . « اعترفت العدو بوقوع
هذا الحادث » .

٨ - نصف مؤثر مياه ومضخة
قويان كروية ليرودان مستعملين
« كمال روبين » ومستعملين بجوار
بئله والكروية . وقع الهجوم بتاريخ
١ - ١٢ - ٧٧ . وقتلت الكروية وقطعة
من المستعمرات القتال لمدة ثلث بعد
الهجوم . تمكنت بئله الهجوم مضخة
ترويد المستعمرات ووقع ترويد الإسماع
بأياه . وقد اعترفت المسكينة
الاسرائيلية بوقوع هذا الحادث .

أول بيان تصدره الجبهة الشعبية عن أول عملياتها في الأراضي المحتلة. مجلة الحرية.
صفحة ٢، ٢٥/١٢/١٩٦٧. (صفحة ١ من ١)

إبنا

قد طال أمد النكبة وانتشر أبناءها يملئون الدروب بقلوب دامية
وعيون دامعة حزينة .. يبحثون عن المصير .. عن المستقبل .. تجددهم في
كل بقعة ترابها وهم لا يزالون مقيمين على العهد ، أوفياء للوطن
الحبيب ، فذكرى الوطن الحبيب تملأ حياتهم وأجواءهم .. ولكن .. هل
الذكرى تكفي يا شباب النكبة؟! يا رواد الثانويين! نعم إنها الطريق الأساسي للوعي والتضحية ،
ولكن الذكرى لا تجدي إذا ما بقيت على الصعيد النظري .. بل إن العمل من أجل العودة إلى أرض الوطن
الحبيب يدل على صدق في الوعي كما أنه الثمرة الناضجة للذكرى ، والا فإن الذكرى تبقى خيالا لحلم ،
أو سحابة صيف سرعان ما تتلاشى .

انكم يا شباب النكبة أصلب من نار لتحرير وطنه .. لقد كنتم مشعلا وضاء يسير الثانويون على هدهد ،
انكم انتم الذين تستطيعون تغيير مجرى الاحداث التي تسيطر على جو النكبة والتي تنقط سببا وحديدا .
لم تتجور الشعوب يوماً بالألماني أو بفارغ الحديث ، بل تحورت تلك الشعوب التي اعتبرت من التاريخ
فانتظمت صفاً واحداً سلاحها الوعي والتضحية وارانها نخطت الذات والصعاب ، فلم تكن العوائق أمام
الشعوب المكافحة إلا أداة تشجدهم ولم تكن المأساة في تاريخ الشعوب المكافحة إلا معاول لهدم تلك
المأساة فهي مدء للعزم والفداء كانت ولا تزال .

هاهي السنين تتعاقب وظروف النكبة تسير من سيء لآخر ، وإبناء الخيمة البالية ينتظروننا على
الدرب لترتقي جميعاً سلم الفخار والمجد .. طريق الشهادة الصاعد للعلاء .. طريق الحرية .. طريق
السعادة الأبدية . فالخياة في الخيمة أصبحت موتاً حقيراً .. فالموت في سبيل الحياة .. في سبيل فلسطين
الحبيبة لأند وامتع وأشرف لنا من لثمة الزقوم .. لثمة العيش مع هدر الكرامة ..

لقد كنتم يا أبناء فلسطين طليعة للمكافحين وصمدتهم وحيدتهم في المعركة .. وما عليكم الآن إلا ان
تعاودوا الإجماع وتحرقوا الغاصبين بتعاونكم وتكاتفكم وتكتلهم . انا نحن أبناء النكبة سنعود للمعركة
أصلب عوداً وأشد مراساً وأكثر حنكة وسنستفيد من دروس الماضي .. فلن نقبل أطول بهذه الحياة
الكريمة القذرة . هذه الحياة التي هدرت كياننا الأدبي والمعنوي والسياسي وحتى كرامتنا الانسانية ، ولا
تخال أبناء النكبة يرضون بأرواحهم واموالهم في سبيل اخوتهم الضائعين التعساء وفي سبيل تربيتهم المقدسة .
انا نستجيب لنداءكم يا أبناء الخيمة السوداء ، وانا فداء لكم وستنكم في طريق النور والحياة ..
وستكون مشاغل نضي الطريق للشعوب المكافحة .. وستكون دروسنا في التاريخ الذين ظلموا فاعتصبت
أروهم وحرروها .

انا نثق بأبناء النكبة فيهم وطنيون مخلصون لفلسطينهم .. وهم نبلاء أوفياء لن يدخلوا بالنفس والنفس .
فأبناء النكبة أباء يابون ان تزوا الدخلاء يعيشون تربة اجدادهم وعلى أجداد اولئك الاجداد الغر الميامين .
هائتم صبرهم طويلاً يا أبناء النكبة وانتظروهم ومدكم بالانتظار ترقبون الاحداث وتقناتون السوف
فاذا بتلك الاحداث صودة بأوضاع مختلفة لنفس المأساة ، وستبقى المأساة .. اما الخيمة فيستوارني
ساكنها وبصبح عظاماً بالية ومن خارج الخيمة يبقى مملوك الكرامة فاقد الارادة يعيش نائها بلا هدف .
هذه هي نتيجة النكبة الحتمية اذا ما بقي أبناء النكبة بعيدين عملياً عن أجوائها .. ولكن أبناء
النكبة سيجلون ذكوتهم جيداً وسيندفعون في الطريق السوي .. طريق قيادة شعبيهم لتحرير الوطن
الحبيب .. سيبسروا أبناء النكبة إلى فلسطين رافعي الرؤوس وسيكونون نبزاً وهاجماً تستنبره
الشعوب المظلومة في خط كفاحها .. وبذا نكتب صفحة من صفحات امنا العربية العظيمة .

فالى الحياة .. الى وحدة الصف .. الى تحرير فلسطين يا أبناء النكبة .

فتح

رأينا " الافتتاحية " . مجلة فلسطيننا ، أول مجلة سرية تابعة لحركة فتح . صدرت في بيروت
من العام ١٩٥٩ وحتى العام ١٩٦٤ ، وفي هذه الافتتاحية ورد أسم حركة " فتح " لأول مرة .
العدد ٢ ، شهر ١١ عام ١٩٥٩ . (صفحة ١ من ١)

دراسات ثورية

ان احساس الانسان بفساد واقعه وبالظلم الذي يعيش تحت وطأته يجعله يتحلل ويحرك بوعى او بدون وعى لتتأخر تحركاته ايماناً منه بحقه في التعبير عن نفسه واحساسه الناقم بشكل عمل حاسم . وتلتقى الارادات الانسانية في طريق النعمة فتثور على واقعها الاجتماعي لتحطم فيه كل مؤسساته كي تفتح الطريق امام واقع اخر لينمو ويزدهر فيصبح حاجات الجماهير المادية والروحية . بهذا المعنى تكون الثورة .

ربما تختزن الجماهير تفتتها في النفس وتغير عنها في حديثها بالنقد او الارتداد الى التجريح بالذات حتى تفرج هذه الجماهير عن بقعتها على الواقع الفاسد . ولكن مع ذلك تبقى نار الثورة مكنتزة في النفس حتى تأتي عوامل خارجية لتشعلها وتسيرها نحو الاهداف المعينة .

فذا وعيت الثورة حقيقتها ونظمت نفسها وصارت في طريق مرسوم ، اتخذت بدون شك اتجاهها مساعدا مستمرا والا فان اشتعال الثورة يعني انها تشتعل كل شيء وتحيله عمدا ان لم يفسر حسب مخطط مرسوم ، ولا شك في ان مهمة الثورة فسي البداية . التحطيم والهدم للواقع الفاسد ولكن اذا لم تكبح جماحها فانها سوف ترتد بعد ذلك الى نفسها لتلتهم ذاتها وتتحرف ثم تذوي وتموت بعد ان احوالت حياة المجتمع المشوه الفاسد الى موت رهيب يغمر من بذور الحياة قلت ان الانسان يحس بفساد واقعه . ثم يتطور هذا الاحساس مع الزمن ليصبح وعياً وتنظيماً بعد ذلك الى ان الانسان يعمد الى البحث عن اسباب الفساد ويتحسس بعناية وتقدير طريق الخلاص بالتقاء الارادات الانسانية الناقمة في بوتقة العمل لتسير حسب منهج معين . والثورة التقدمية عبارة عن قفزة

للسيطر - ٦ -

تاريخية تحققها الارادات الانسانية الواعية العاملة كي تتخطى احدي المنعطقات الحياتية الخاطئة في تاريخ الانسان ، لتعود بهذا الانسان الى مجرى التطور الطبيعي . وهكذا فان دولة اليهود حدثاً ومنطقاً خاطئاً في تاريخ امنا العربية ولا بد من ازالة الاثر الوجودي لهذا الحدث القتل .

ان الثورة التقدمية الصاعدة تأخذ مفعولها بشكل شامل في الواقع التي تعيش فيه وتجسد ايقاعها العمل بتناسق ووعي وإدراك . اي ان الثورة التقدمية تصيب كل مناحي الحياة الانسانية المادية منها والروحية ، وتسير سعيها صاعداً مدركة كل الادراك جميع خطواتها المتتالية ومراحل تضالها .

والخوف لا يمكن ان يكون داعياً للثورة التقدمية ، لان الخوف كاحد غرائز الانسان يتنافى ومفهوم الثورة ، فالثورة شجاعة وتجاوز وتحد لكل ما هو موجود من معطيات او مرتكزات او قيم او مؤسسات . ان الثورة عملية خلق جديد يفرضها منطق التطور التاريخي .

منطق الثورة ومراحل العمل الثوري :

ان الثورة في تكوينها قيادة وقاعدة ولا بد ان يتم التفاعل الواعي بين القاعدة التي هي الجماهير وبين القيادة لفهمان نجاح الثورة واستمرارها .

مرحلة التنظيم والتعبئة : ان حركة الجمع الثوري للارادات الناقمة الواعية تأخذ مفعولها قبل الانفجار الثوري . ان انتظام الارادات الانسانية وتنسيق جهودها تحت قيادة واحدة جريئة امر يسبق الثورة المستعجلة فاذا تكونت الطلائع الثورية القيادية ، بدأت مرحلة التعبئة الجماهيرية واعدادها للدرحلة المقبلة - مرحلة التفجير

الثوري . وهنا تكمن دراية الطلائع الثورية وحكمتها في تعبئة الجماهير تعبئة نفسية وزيادة ثقتها حتى تصبح مستعدة للثورة بكل طاقاتها المخترجة . ان عملية التعبئة الجماهيرية هي عملية النحلة التي تمتص رحيق الزهور ليتفاعل هذا الرحيق بعذرة حية في جسدها فتحيه خلاياها واعضاؤها الحية الى شهد . فالطلائع الثورية القيادية هي النحلة بكل اعضائها وخلاياها الحية العاملة .

والصبر والعمل الدائب هما اهم عناصر العمل الثوري ولا بد للطلائع الثورية ان تتحلل بهاتين الميزتين . قلنا ان الثورة عملية شاملة لذلك لا بد ان يشمل العمل الثوري التحضير كل الجماهير قاطبة وان اختلف التركيز في العمل بالنسبة لمختلف فئات الشعب .

مرحلة التفجير الثوري :

ان مرحلة التفجير الثوري هي اخطر المراحل ، لان الطاقات الثورية سوف تنساب في الواقع لتحطم كل ما تلقاه ، لذا فان مهمة الطلائع الثورية القيادية هي تسير هذا الانسياب الثوري في اتجاه معين حسب الخطة المرسومة . ولا بد للثورة ان تركز قواها الثورية وطاقاتها على الاهداف المحددة حتى لا يضيع الجهد الثوري ويتوزع في الاجتهادات والمسالك الفرعية .

ان اعلان الثورة وانطلاقها يعنيان بدء مرحلة الانفجار الثوري ، فترى الجماهير الحاقدة الناقمة تندفع في طريق الثورة بشكل زخم عزم . وكأنها طاقات سائبة تحرق كسائر شيء يقف في طريقها . وهنا لا بد للطلائع الثورية القيادية للثورة ان تضبط الانفجار وتسير معه الثوري نحو الهدف المعين في طريقها المرسوم

جميل عبود. دراسات ثورية، مجلة فلسطيننا، أول مجلة سرية تابعة لحركة فتح. صدرت في بيروت من العام ١٩٥٩ وحتى العام ١٩٦٤. شهر ٨ عام ١٩٦٣، ص ٦، ٧، ٣٠. (صفحة ١ من ٣)

والخطأ بالضرورة . لذلك فإن اختلاف الاجتهادات المسلكية جائز في حدود الوعي التاريخي للثورة والضرورية اتجاهها الصاعد في مرحلة البناء .

ولكن هذا الاختلاف في الاجتهاد لا يعني ارتداد الثورة الى نفسها فنصطرح قوماً في الداخل ، بل على هذه القوى المجتهد ان تقدم صورة مختلفة ومتعددة للواقع الجديد ليتم بناؤه على افضل وجه .

ولا خوف اطلاق من هذا الاختلاف في الاجتهاد المسلكي لان الجماهير في تلك المرحلة ، مرحلة البناء ، تكون قد تغلبت الوعي الثوري فاصبحت القاعد الضابطة لكل التحركات او تزييف .

كيف تفجر الطاقات الثورية ؟ :

ان الطاقة للثورة كائنة في كبل نفس ولكن وجودها في الانسان المحروم اكثر قابلية للتفجير والانطلاق وما دام الامر ذلك فلا بد لنا ان ندعو اول من ندعو ذلك الانسان المحروم ، انسان الخيبة البالية والعامل الكادح والنازح المغترب . ذلك الانسان الذي يكتنز الالم والذكريات والمعاناة وغير التجارب القاسية . انه الانسان الذي يحمل بين طيات نفسه زخم الثورة والاستعداد للنضحية والبذل . ان الدعوة للثورة تنير في نفسه زوايا النعمة من جديد وتفتح امامه ابواب الامل والرجاء . وتبهر له طريق العروة وتفجير الطاقات الثورية للجماهير الفلسطينية . بمعنى انتقام هذه الجماهير في كادر ثوري موحد ، اى ايمانها بالثورة واهدافها وبمخططاتها وبمنهجها في العمل الثوري .

ان التفجير الثوري للطاقتات الجماهيرية هو بعد ذاته عملية تطوير وانماء للثورة . ونمو الثورة وتطورها دالة على حيويتها وفعاليتها . ولا بد لكل ثورة من النمو والتطور فسيختلف مراحلها في التنظيم والتفجير والبناء .

ان مهمة نمو وتطور الثورة تقع على كاهل الطلائع الثورية القيادية . وفي

— البقية على الصفحة ٣٠ —

حسب وجود هذه الجماهير في مختلف الاقطار العربية او حسب القيادات الثورية في المشرق العربي ، او حسب القيادات الفلسطينية العاملة في هذا المجال .

ومجمل القول لا بد من معالجة توزيع الولا، معالجة دقيقة قبل انطلاق الثورة وذلك لضمان ولاء الشعب العربي الفلسطيني قاطبة لثورته وقيادتها .

لا بد من واجهة ثورية للثورة قبل انطلاقها ، على ان تكون هذه الواجهة الثورية مكونة من نماذج انسانية معروفة بولائها للعمل الثوري فسي القضية الفلسطينية . ولا بد لها ان تعطي مدلولاً مميزاً ومستقلاً حتى لا يكون هناك اى تاويل عن اتجاه

الثورة او تبعيتها لغير الشعب العربي الفلسطيني . وان تكون الواجهة الثورية مثلية لمختلف الاتجاهات العاملة في الحركات الفلسطينية الثورية .

قلنا ان الثورة شمول ولا بد ان تكون الثورة الفلسطينية شاملة فسي تكونها وفي رفعة عملها الثوري . والشمول بالنسبة للثورة الفلسطينية هو الانضباط البشري للشعب

العربي الفلسطيني بفكره وعمله وولائه . لذلك فان الثورة التقدمية

الصاعدة ترفض وجود تنازع فكري او اتجاهات متعددة في مراحلها الاولى ، مراحل عمدها للواقع الفاسد واجتثاثه . ان الثورة فسي هذه المرحلة وحدة واتجاهها واحد بكل ما فيها من قوى عاملة . ان مسير الثورة التقدمية مسير واضح فما دام الجهد الثوري كما قلنا منصب في المراحل الاولى للثورة على الهدم والانقضاء على الواقع الفاسد واجتثاث متركزاته الوجودية .

اما في مرحلة البناء بعد الانتهاء من الاجهاز على الواقع وتحطيمه فيص ان يتنوع الاجتهاد الثوري في العمل لان هيك المجتمع الذي يراد بناء غير موجود في الواقع وهذا يعني ان تضعف مرحلة البناء لمنطق التجربة

لنا ان يتم الا اذا كانت الجماهير منظمة بالثورة مؤمنة بها واهدافها جلية قادتها وتثق بهم .

ان الانضباط الجماهيري ، اسم الاعمال التي تجب ان تقوم

في الثورة في مرحلة الانفجار الثوري هذا يعني بالضرورة انتشار الطلائع الثورية في جميع المؤسسات القطاعية الشعبية قبل الانفجار الثوري لضمان الانضباط الجماهيري على الطلائع الثورية ان تحول دون سلب الجماهير لزمام المبادرة مهما كانت الاسباب او المصائب .

يجب ان لا تخضع الثورة لمنطق الظروف الآنية ، ويجب ان تخضع ارادة الثورة لعقلها المدبر .

دوماً تتعرض الثورة خلال مرحلة لانفجار الثوري الى تكسات او اخطاء كما يتعرض قادتها الى اغتيال او السجن او العيش في اجواء مشحونة بالخيانة والغدر والسومة . لذلك على الطلائع الثورية القيادية تقص

مسؤولية تصحيح المنحرجة الثوري والحيولة دون الوقوع في مهادون الاغراق او الاستمرار في العنف دون

مير ثوري سليم . على الطلائع الثورية القيادية ان تتصدع بالصبر والحكمة والنضحية كي تغلب على

هذه المرحلة التي تحاول فيها القوى العادية للثورة اجهاس الثورة قبل

الواجهة الرمزية للثورة :

صحيح ان ولا الجماهير للثورة ثوري هم بصورة شاملة بعد الانطلاق الثوري ومدى قريب ولكن لا بد لهذه الجماهير ان تمي بصورة واضحة

محددة إطار الثورة واهدافها ونوعية اعمالها فيها ، حتى لا يفسح انطلاق الثورة الجماهير الشعبية في حالة شتات وجزء فتشتتها الفئات الاجتماعية والمنحرفة . وينطبق هذا القول على الثورة الفلسطينية

والجماهير الفلسطينية مؤمن

من شعاراتنا

الكيان النورى سيخرج الى النور
موقعا ببناء شهداءنا الابرار .
الكيان النورى ٠٠٠ لا يدل عنه .
الكيان النورى يبعدنا عن الوقوع
في مصيصة الاحتراف السياسى
والكيانات السياسية الضيقة الأفق
الكيان النورى الفلسطينى يمتد
من المحيط الى الخليج فى النطاق
العربى وسينبثق فى كل مكان فى
العالم كرمز للنضال ضد الصهيونية!
والاستعمار ٠٠٠
الكيان النورى الفلسطينى لا
يعترف الا بوحدة القاعدة الثورية
الشعبية .
الكيان النورى الفلسطينى طريق
الفجر والنور لشعبنا !
الكيان النورى ٠٠٠ فجرنا المرتقب
٠٠٠ فجر الثورة المسلحة فى
فلسطيننا !

عليها !
لا يعترف شعب فلسطين باية فئة
تخرج على السرح السياسى لا تربط
بثورة مسلحة وطنية فى فلسطين .
لن يقبل الشعب العربى الفلسطينى
بالاوصاف ايا كان منشاهم ومناههم
لا يمثل شعب فلسطين الا ابتلاءه
المؤمنون بالثورة المسلحة طريقا وحيدا
للمودة .
الشعب العربى الفلسطينى تغطى
فى نضاله الكيان السياسى والاحتراف
السياسى .
الشعب العربى الفلسطينى يؤمن
بالكيان النورى ٠٠٠ الكيان المرتبط
بالثورة المسلحة .
الكيان النورى طريق العزة والكرامة
والعودة لابناء فلسطين .
الكيان النورى أمل شعبنا المنشود
فى خط نضاله .

فلسطين قلب العروبة ٠٠٠ ولا
حياة لامتنا بدون قلبها .
كل عمل سياسى او لوى لا
يتبنى سحق الانتصاب الصهيونى
الاستعمارى فاشل .
لن يستقر الشرق العربى ما دام
هناك وجود دول للاستعمارىين
الصهيونيين .
كل هدف عربى لا يتلوه تحرير
فلسطين مباشرة يصعب تحقيقه .
الثوريون الحقيقيون هم الذين
يعترفون بشعب فلسطين رأس حرب
التحرير لفلسطين .
لن يأسف الشعب العربى على اى
حكم لا يشاؤك فى معركة تحرير
فلسطين .
لن يفرق الشعب العربى الفلسطينى
فى مجانات سياسية غايتها شل
الروح الثورية فى صفوفه والنضال

دراسات ثورية - تتمة -

مرحلة النصر والبناء .
ان التفاعل المستمر للثورة عن
طريق كادرها الثورى والجماعى هو
الذى يغنى الثورة ويزيد قوتها
ومنعة . ان الاتصال الحى بين الثورة
والجماعى فى كل مراحلها هو العامل
الاصيل فى نجاح الثورة وضمان
استمرارها الصاعد .
ان مرحلة الانطلاق الثورى تعتبر
مرحلة انصار الطاقات الثورية فى
بوقة العمل والنضال والتجربة
حتى تصل الثورة الى المستوى المطلوب
من النضج يؤهلها بعد ذلك ان تنتقل
بصورة حية متصلة الى مرحلة البناء
« جميل محمود »
- يتبع -

اعطاء مدلولات معينة وتقدم منجزات
خاصة . وهكذا يزداد عطاء الثورة
وبازدياد عطاء الثورة تزداد الجماهير
ايمانا بها وثقة بقادتها ، اى ان
الثورة تأخذ فى الامتداد والتعمق فى
وجدان الجماهير لتعيش حقيقة حية
فى نفوسها وتنضوى الجماهير تحت
لوائها محقة المزيد من المنجزات
المعلية . اى ان التسامول الثورى
يصيب كل الجماهير فكرا وعملا وولاء
بعد ذلك يزداد وعى الجماهير لمعنى
الثورة وضرورة نجاحها حتى تصبح
هذه الجماهير على مستوى مسن
الوعى الثورى الذى يشكل الكبر
ضمانة لسلامة الاتجاه الثورى
والحفاظة على استمراره الصاعد فى

مرحلة التنظيم تبدأ الثورة
بعد ان طرحت اهدافها ومبادئها
ووسائل نضالها وعملها الثورى
استقطاب المزيد من الاعضاء لكى ينمو
الكادر البشرى للمنظيم الثورى حتى
يكتمل الكيان العضوى للثورة بمختلف
قطاعاتها العاملة فنادا ووصلت الثورة الى
منه المرحلة من الاكتمال فى نموها
العضوى اصبح من الضرورى ان تنتقل
الى مرحلة اخرى مرحلة الانطلاق
لتحقيق الاهداف المرسومة اى الى
مرحلة الالتحام والصراع مع القوى
المادية ، فنصب الثورة بعد ان اكتمل
نموها العضوى كل طاقاتها لهضم
الواقع الفاسد . وفى هذه المرحلة
من التجربة المعلقة تأخذ الثورة فى
فلسطيننا - ٣٠ -

وفي ختام القسم الاول اشترنا
ايضا الى ان الفلسطينيين الثوري بعد
ان فهم معنى الثورة ومعنى العمل
الثوري المؤدى الى تفجيرها ، تمكن
من تحديد الاطار العام لعمله والخطوط
العريضة لاساليب هذا العمل ،
ووضع ايضا الميزان الذي يزن به
الاحداث واتارها ونتائجها ويحدد
بواسطته موقفه من الاقوال والاعمال

في القسم الاول من بحث (الفهم الثوري للقضية
الفلسطينية) الذي نشر في العدد الماضي ،
اوضحنا : ان الثورة
واقع قائم تعنى رفض هذا الواقع من
اساسه جملة وتفصيلا .

وان العمل الثوري هو كل عمل
يؤدى الى نسف هذا الواقع
القائم واحلال واقع جديد محله ، يختلف عن الاول
اخلاقا جذريا في القواعد
والجوهر والتفاصيل .

الفهم

وان الفلسطينيين الثوري قد فهم دوره بعد ان فهم
قضيته ونكته بأسبابها ومسبباتها
وصلتها بالامة العربية ،

وادرك بكل وضوح ان الثورة في مفهومه هي الثورة
المسلحة على الواقع
الاسرائيلي والوجود الصهيوني
في فلسطين المحتلة وسحقها
واقتلاعها من الجذور
لاعادة فلسطين عربية خالصة
الى اهله العرب .

وما يترتب عليها في مجالات الشعب
العربي الفلسطيني والامة العربية
والمجالات الدولية الرسمية والشعبية

اما الان وفي هذا القسم الثاني
والاخير من بحثنا فاننا سنحاول
توضيح شكل ومحتوى الاطار العام
للعمل الثوري الفلسطيني والخطوط
العريضة لاساليب تنفيذه ، لنوضح
من خلال ذلك الميزان الذي يقيم به
الفلسطينيون الاعمال والاقوال
والمواقف المتعلقة بقضيتهم باعتبارها
قضية تواجه الامة العربية .

الاطار العام للعمل الثوري الفلسطيني

لا غرو ان الاطار العام للعمل
ومعالم الطريق المتصلة يتحدد بنوع
الهدف المطلوب تحقيقه والظروف
المرحلية التي تحيط بذلك كله .

وان العمل الثوري الفلسطيني هو كل ما يؤدي الى
انجاح الاعداد والتهيئة
لقيام الثورة الفلسطينية المسلحة وتفجيرها
وتحقيق نصرها الحاسم .

الفهم الثوري للقضية الفلسطينية. مجلة فلسطينا، أول مجلة سرية تابعة لحركة فتح. صدرت في بيروت من العام ١٩٥٩ وحتى العام ١٩٦٤. العدد ٤٠، شهر ١١ عام ١٩٦٤، ص ٢٨ - ٣١. (صفحة ١ من ٤)

وهدف الفلسطينيين ازالة اسرائيل
من الوجود ليعود الى ارضه العربية ،
عربيا ، أصيلا بفكره ، وقيمه واعماله
ومصيره .
ومعالم الطريق الموصلة الى هذا
الهدف ، هي ايضا واضحة في عقل
الفلسطيني وفي مشاعره وضوحا
يفرغه منطق الحوادث .

حتما بعملية صراع هائلة بين قوتين
وهدفين . بين قوة الصهيونية
الاستعمارية المتحالفة مع الاستعمار
الغربي بقيمها التعسفية ، وبين
قوة الامة العربية وايمان شعبي
فلسطين العربي بحقه بوطنه . وثقته
الكاملة باهدافه الخيرة وبالقيم
الحضارية الانسانية لامتته .

الخطوط العريضة لاساليب العمل
الثوري الفلسطيني
اما محتويات هذا الاطار ، واساليب
العمل الثوري الفلسطيني المترتبة
عليه فلم تكن واضحة تماما لدى
الفلسطينيين عندما حلت بهم النكبة
وفي السنوات الاولى من وقوعها .
فقد عاش الفلسطينيون السنين الاولى

الثوري للقضية الفلسطينية

معالم الطريق هي بكل بساطة
الاعداد للثورة الفلسطينية المسلحة
تفجير على ارض فلسطين المحتلة
وتزيل اسرائيل من الوجود .
فاسرائيل حدث عدواني استعماري
سرق ارضا وشرد شعبا ومرغ كرامة
امة بكاملها في التراب ... حدث
عدواني يمثل قمة التعسف الشريرة
التي لا توجد ولا تعيش الا في ظلال
العنف العدواني .

ان حدثا قام بهذا وعلى هذا منطلقا
ووجودا واحدا ، لا يمكن ان يزول
الا بالقوة المشبعة بكل معاني الحق
على الشر والاثم وبكل معاني الايمان
المطلق بالحق والخير والوجود
الانساني الشريف .

ان محو هذا الحدث العدواني ،
محو اسرائيل من الوجود ، يرتبط

لقد قامت اسرائيل بالقوة واستمر
وجودها حتى الان بالقوة وبالتالي لا
يمكن اجتثاث هذا الوجود الا بالقوة
المسلحة التي تمكن الشعب العربي
الفلسطيني من تفجير معركته على
ارض فلسطين المحتلة ، ومن هنا
تكون القوة المسلحة والاعداد لها
واستعمالها في معركة عسكرية
لسخن الوجود الاسرائيلي ، هي الاطار
العام للعمل الثوري الفلسطيني ،
ولذلك يكون شعار الثورة الفلسطينية
المسلحة هو الشعار الذي يعطي هذا
الاطار مفهومه الصحيح ونقطة انطلاقه
الصحيحة ويحول الشعب العربي
الفلسطيني الى جو الممارسة والمسؤولية
الذي يصلغ لفعالياته ويظهر الكامن
من طاقاته وقدراته ويعيده الى مجال
الكفاح الرائد .

من نكبتهم مذهولين بما اصابهم وبما
اتهموا به من اخوانهم العرب ...
ومضت الايام وبدأت العقائق في
الظهور وبدأ الشعب العربي
الفلسطيني يصحو على نفسه ويفكر
بواقعه ومصيره واسباب نكبته وكيفية
العودة الى تضالته ليعود الى ارضه
ودياره ... ثم بدأت لمعات النور
تظهر في افق الوعي العربي وبدأ
الفلسطينيون يجذبون اليها بكل
اندفاع وتجاوبون معها بكل تطرف
وعاشوا الواقع العربي وانفجاراته
وتطورات تجاربه لحظة بلحظة ،
وظن الكثيرون ان هذه اللمعات وتلك
الانفجارات وما حملته من تجارب
عمل وتطبيق شعارات الحرية والوحدة
والاشتراكية هي الطريق الحتمي
الوحيد الى فلسطين . ومرت الايام

قاعدة استعمارية عرفها التاريخ القديم والحديث ، ينطلق منها وبها ليحطم كل المحاولات العربية الايجابية لتحقيق وحدة العرب السياسية وتكاملها الاقتصادي ورفقها الحضاري الانساني .

اوجد اسرائيل ليووجد بها جوا متوترا يسود المنطقة العربية بكاملها ويرهق الاقتصاد والجهد العربي بتحويله الى شراء السلاح ليتفوق على القوة العسكرية الاسرائيلية التي يمدحها الغرب دوما بالمال والسلاح لتتفوق على القوة العربية وتزيد في مساحة ما تحتصته من الارض العربية اذا دعت مصلحة الغرب الى مثل هذه الزيادة لضرب الفري العربية الصاعدة ، وبذلك يعمل الغرب على ابقاء المنطقة العربية على حافة الحرب وابقاء النفسية العربية في موقف المدافع الخائف الذي يتلمس العون من هنا وهناك لتلمس التابع الضعيف ، ويبقى الجهد العربي مقتنا موزعا بين الخوف من اسرائيل والاستعداد لرد عدوانها وبين الرغبة في النهوض في اقتصاده وتحقيق رخائه ووحدته .

لذلك كان لا بد من القضاء على اسرائيل حتى يتم القضاء على اكبر عقبة تقف في طريق هذه الوحدة .

لذلك كان لا بد من القضاء على اسرائيل لتحويل موارد الاقتصاد العربي الى البناء الاجتماعي والثقافي والحضاري العربي الاصيل ، ومن هنا ادركت الطلائع الثورية الفلسطينية ان الشعب العربي الفلسطيني يحمل عبء واجبين وواجب الاسهام فسن تحقيق هدفين ، اعادة فلسطين وتحقيق الوحدة العربية .

معركة الشعب الفلسطيني هي معركة تحرير فلسطين والامة العربية :

ادرك الشعب الفلسطيني انه

الاستعمارية الغربية على ارض فلسطين وشعب فلسطين واقامة اسرائيل لم تكن عطفا من الاستعمار الغربي على اليهود او ايمانا منه بحقهم التاريخي او الديني المزعوم في العودة الى فلسطين ، وانما كانت لاجهاض حركة الامة العربية السائرة نحو الاستقلال السياسي وما سيتبعه من استقلال ونمو اقتصادي واخصاب فكري وحضاري يعيد للمنطقة قوتها وسيادتها الكاملة على ارضها ، ويقدم للامة العربية قيادتها السياسية المخلصة الواعية التي تحسن استفلال خيرات بلادها وميزاتها موقعها الجغرافي في زمني السلم والحرب .

الاستعمار واسرائيل ضد الوحدة العربية :

ادرك الشعب الفلسطيني ان الاستعمار يبدل المستحيل للقضاء على كل ما قد يؤدي الى وحدة الامة العربية السياسية لتبقى هذه الامة مقسمة بشريا وجغرافيا وسياسيا ليعملها ويرهقها ليستمر في بسط نفوذه عليها واشباع شرهه في امتصاص دماء اهلها وسلب خيراتها

وثرواتها والتحكم في ممراتها واستراتيجيتها ، فخلق اسرائيل في غفلة من وعي الامة العربية مستغلا خنوع بعض حكامها وايمانهم الساذج بجذوى صداقة الاستعمار وشرف وعده وكلمته ومستغلا جشع وطمع البعض الاخر الذي استمرأ ملاذ الحياة يشربها من دماء الجبابرة العربية في جراح شهدائها ... واستغل ذلك كله ، فاوجد اسرائيل ليفتن جهود جماهير الامة العربية ويبدد اموالها ويرهق اقتصادها ويعيق كل تقدم وازدهار لها .

اوجد اسرائيل ليعمن الوحدة العربية وليجعل من اسرائيل اكبر

وزاد احساس الفلسطيني بواقعه وبواقع الامة العربية وزاد تفكيره بدوره الحقيقي في مجال قضيته عمقا ووضوحا واتساعا ، فظهرت طلائع الفكر الثوري الفلسطيني الذي ادرك بكل وضوح الحقيقة التي هرب منها الكثيرون واغفلتها الاحزاب والصحف والاذاعات وابعدت عن تحليلها الموضوعي الدقيق اقلام اكثر المفكرين واصوات اكثر الخطباء والمحاضرين وكل من بيدهم وسائل الاعلام والنشر الفعالة ، وتجلست لديه اساليب الجبر العقلي والجذب التثقيفي التي فرضت على الامة العربية بشكل عام والشعب الفلسطيني بشكل خاص في كل ما يتصل بالفهم الصحيح والتوجيه العملي للفعال للقضية الفلسطينية والمتطلبات الاساسية الواجب تامينها للاعداد الى معركة العودة .

ظهرت طلائع الفكر الثوري الفلسطيني العربي قبل اكثر من عشر سنوات واخذت هذه الطلائع الثورية في التفاعل والتبلور والنمو ليظهر فكرها العمل النامي وشعاراتها الثورية العملية على صفحات هذه المجلة عند صدورهما سنة ١٩٥٨ .

لقد تجسد على صفحات هذه المجلة ادراك الشعب العربي الفلسطيني بقيادة طلائعه الثورية لحقيقة الواقع الفلسطيني والقضية الفلسطينية وطريقة واساليب العمل الصحيح لها من خلال ادراكها التحليلي الواضح لاسباب النكبة واسباب قيام اسرائيل وحقيقة اهدافها الاستعمارية والترسمية المتخالفة مع الاستعمار الغربي وصلة ذلك كله بالامة العربية وجودا ومصيرا ..

لقد ادرك الشعب العربي الفلسطيني بقيادة طلائعه الثورية ان الامة

يحمل عبء تحرير ارضه لتحرير نفسه وامته من الذل الذي اصابها والعار الذي لحق بها . ادرك ان هذا التحرير هو انقاذ للامة العربية من اسرائيل ، هذا الشرك الهائل الذي

اوقعها به الاستعمار ليعتري قواها ويشل امكاناتها ويلهبها في معارك متعددة عن العمل السريع القسوى لمعركة العودة . ادرك ان هذا التحرير هو انقاذ للامة العربية من التوسع الصهيوني الارضى وبالتالي منح المزيد من التشرذم واللجوء والاستجداء

والذل والهوان الذي اصاب الشعب الفلسطيني . ادرك ان انتظار تحقيق الوحدة العربية حتى يتحقق

بعد قيامها تحرير فلسطين المحتلة ، انما هو في حقيقته اعطاء فرصة ذهبية لاسرائيل والاستعمار ، اعطاهما فرصة الافساده من الزمن الذي

يحتسبان استخدامه بشكل يثير الدهشة ، الزمن . . . هذا العدو الرهيب في معركتنا مع اسرائيل ، هذا الذي سيحقق لليهود فرصة النمو العلمي والاقتصادي والصناعي والعسكري والذي . . . هذا الزمن

الذي سيحقق للاجيال الاسرائيلية المهاجرة ان تنواله وتترعرع فسي سهول فلسطين وعلى جبالها وشطاتها فيتحقق لها بذلك الاستمرار

الاجتماعي ويمكن لها من تقوية ارتباطها بالارض ارتباطا يحولها الى مسقط راس ومركز تفاعل واخصاب اجتماعي يحولها بعد ذلك الى وطن .

لقد مكن هذا الزمن وسيتمكن اسرائيل من استغلال خيرات الارض الفلسطينية المحتلة وامكاناتها المدنية والمالية والكهربائية والصناعية

استغلالا كاملا قويا يمكنها ايضا من توسيع وإرساء قواعدها الانمائية والاستثمارية والتسويقية في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الامر الذي يؤدي بالتالي الى مضاعفة

مواردها وقوتها ويصبح وجودها لا يشكل خطرا عاديا تقليديا . فحسب بل يشكل البوادر لكارثة حقيقية على الامة العربية وكل ما يتصل بوجودها وازدهارها ومصيرها .

لذلك ، ومن خلال هذا الادراك ، رفعت الطلائع الثورية شعـ

العودة طريق الوحدة - محددة بذلك خطا عربيا اساسيا من خطوط العمل الثوري الفلسطيني لا بد من تبنيه والعمل بوفاء له في المجالين الفلسطيني والعربي حتى :

- يعود منطق العمل الفلسطيني والعربي الى الاتجاه الصحيح لتحرير فلسطين .

- وحتى يتحول الموقف الفلسطيني والعربي من موقف المدافع عن نفسه عبر اسلاك الهدنة وجلسات مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة ، الى موقف المهاجم الذي يعد نفسه بكل جهده وقوته ويسابق الزمن ليشكل من جديد ساعة الصفر وبدء معركة الشرف الاسمي ، شرف استعادة الوطن المقتصب .

- وحتى يفوت على الاستعمار والصهيونية ، قدر الامكان ، فرصة الاستفادة من الزمن في تنمية قوة اسرائيل العلمية والفنية والاقتصادية والصناعية والكهربائية والعسكرية في الارض المحتلة وعبر اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وغيرها .

لقد ادرك الشعب العربي الفلسطيني عن طريق طلائعه الثورية: - ان العودة هي الطريق الاقصر

والامثل للوحدة .

- وان الثورة الفلسطينية المسلحة هي الطريق الاقصر والامثل للعودة .

- وادرك بالتالي ان وحدة الجهد الفلسطيني هو الدعامه الاساسية في قيام الثورة الفلسطينية المسلحة وانطلاقها .

ابن حيفا

قريبا

جدا

فلسطيننا

في

حالة

جديدة

واخراج

جديد

دراسات ثورية

(بقلم جميل عيود)

المسيرة الى فلسطين بين المثالية والانحراف

الليثاني أن يذوب في العروبة ، ونود ان نسال الاستاذ ناجي هل طالبت فلسطيننا باقامة دوله فلسطينية او حكمه مؤقتة كما طالب هو نفسه ؟ اننا نعي وعيا عميقا ان ادولة هي اخر مراحل الثورة ، وما دما ندعو الى قيام حركة ثورية فلا يعمل ان نطالب بدوله ، فللدولة اساس وقواعد لا تكمل الا بهيها ، وبانسيبه لفلسطين لن تتواثر هذه الاسس والقواعد الا بعد التحرير .

ان هنادانا بشعار انجباد لا يعني السلمية والتفوق ، انما نعتقد ان فزع عرب فلسطين في انتفاضات الثورية هو بند دائر يوزي فيهم وليس للثورة انفسها اسم .

ان مجرد انخراط العربي الفلسطيني في معارك جانيه هو نشوبه لنضاله القومي وانحرافه بالنضال الفلسطيني من مسيرته الثورية وحرمانها من عناصرها الثورية الفاعلة ، وتشتيت للجهد الفلسطيني حتى لا تطرح قضية فلسطين طرعا جديا مسؤولا امام الشعب العربي بأسره . ان المكان المثالي لتسوي فلسطين على ارض الحركة الثورية هو فلسطين ، وكل وضع اخر للشعب الثوري الفلسطيني هو وضع خاطئ ، وزيغ وفروض بالثنية .

وجوده بوجود الطلائع الثورية المسلحة التي انبثقت بها مسؤولية خلق الكيان الفلسطيني كونه مؤسسة ثورية . نحن لم نطالب بايجاد دولة كما كتب الاستاذ ناجي ، انما نعتقد ان خلق دولة فلسطينية قبل مرحلة التحرير عملية اجهاض للثورة الفلسطينية .

ان الكيان الثوري الذي ننادي به هو وحدة العمل القومي الفلسطيني بعد ان فقد شعب فلسطين كل رابطه سياسية ، فالكيان الوحيد السلمي يمكن ان يتجسد هذا الشعب هو الكيان الفلسطيني الثوري . نحن لم نطالب ولن نطالب بكيان سياسي على مستوى الكيانات العربية الاخرى ، بل رفعنا شعار الكيان الثوري الذي تلقى فيه الارادات الثورية الفلسطينية لتحقيق هدف التحرير للوطن السليم . ان هذا الشعار احدى مستلزمات الحركة الثورية التي تقوم على اساس اعتبار شعب فلسطين وحدة نضالية ذات اهداف متحدة هي تحرير الارض المحتلة .

ياخذ الكاتب على مجلة فلسطيننا رفعها لشعار الحياد وعدم التدخل في شؤون الدول العربية ، لان هذا الشعار يعزز الدعوات الإقليمية (ص ١٧٨) ، ويقول « ان الفلسطيني عندما يقول اريد دولة لي تنطبق باسمي ، لا يستطيع ان يطلب من

تناول الاستاذ ناجي علوش في كتابه « المسيرة الى فلسطين » - وجهه نظر - مجلة فلسطيننا (على حد تعبيره) بالنقد مبينا رايه فيها . ويبدو انه تعمد تسميتها وجهة نظر حتى ينزع عنها الجدية التي تتسم بها المبادئ والشعارات الثورية ، ثم بسط وجهة النظر هذه بشكل ساذج جعل القاري ينظر الى فلسطيننا وكأنها ذات افكار اقليمية مبعثرة لا تركز الى مبادئ واهداف قومية واضحة بل مجرد انفعالات عاطفية كان للتجربة الجزائرية الاثر الاكبر في تحريكها .

ولا بد لنا ان نتناول كل ما عرضه الاستاذ ناجي في كتابه حتى نعطي ا ثري فكرة واضحة عن ما ينادى به المؤلف .

يقول الاستاذ ناجي ان مجلة فلسطيننا قد رفعت شعار الكيان الفلسطيني ، وهذا الشعار في نظره تكريسا لفكرة الكيانات العربية التي تم من عمر التجزئة وتطعن الوحدة في التسميم .

والحقيقة ان مجلة فلسطيننا كانت اول من نادى بهذا الشعار ولكنها لم تتركه كما ادعى الاستاذ ناجي شعارا مجردا . عندما نادينا بذلك نادينا به كيانا ثوريا واشترطنا

١١٨

جميل عيود. دراسات ثورية، المسيرة الى فلسطين بين المثالية والانحراف. مجلة فلسطيننا، أول مجلة سرية تابعة لحركة فتح. صدرت في بيروت من العام ١٩٥٩ وحتى العام ١٩٦٤. شهر ١١ عام ٦٤، ص. ٣٨، ٣٩. (صفحة ١ من ٢)

يوجد الشعب الفلسطيني • أم أن الاستاذ ناجي تهرب من تسميته؟
الحركة الثورية الفلسطينية حتى لا تفقد معناها العربي بالتسمية •

ولا نرى فرقا بين الحركة التي نادت بها فلسطينا وبين الحركة التي ينادي بها الاستاذ ناجي • كلاهما يشمل عرب فلسطين فقط • التسمية فهي في نظري ليست مهمة •

الخلافاً الواضح بيننا يقع على
مهمة هذه الحركة في مراحلها المختلفة:

يرى الاستاذ ناجي أن تقسيم الحركة بتحرير الاردن مما يسميه بالحكم الرجعي وتوحيد المظفلة المجاورة لاسرائيل قبل الانطلاق •

الحق أن تحرير أي قطر عربي هو خطوة في طريق تحرير فلسطين ، ولكننا نرفض الانسحاق وراء هذه المثاليات المشبوهة وواضح أمام كل مبصر ما آلت اليه حالة انقسام فلسطين من جراء ذلك !!

يقول الاستاذ ناجي في معرض حديثه أن أي اتجاه لا يطرح تحرير المنطقة المجاورة للمنطقة المحتلة ووجدها اتجاه ضار ومضلل تكون نتيجته الحتمية تمزيق أبناء فلسطين وبليلة أفكارهم •

والحقيقة وبجراحة فائنا من أصحاب هذا الاتجاه - الشمال والمضلل - كما يسميه الاستاذ ناجي في هذه الرحلة من مراحل نضالنا الثوري • ويصود السبب في ذلك إلى اعتقادنا الراسخ أن تطوير الاوضاع العربية المجاورة للأرض المحتلة لن يتم بصورة فعالة مجدية إلا بعد انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلحة • لأن انطلاق هذه الثورة هو الكفيل بالانتقال بهذه الاوضاع بطرق سلمية أو عنيفة إلى المستوى المطلوب للثورة العربية الكبرى •

(يتبع)

تسليم: ٢٩

ناجي (ص ٤٩) يقول : « نحن نرى أن يبدأ تنظيم أبناء فلسطين دون انتظار موافقة أحد ، وهذا التنظيم ليس بحاجة لاشراف أحد • وأن يكون التنظيم سرياً » •

ونحن بدورنا لا نخالف الاستاذ ناجي في رأيه •••

ثم يقول لا بد من أن يتوفر في هذا التنظيم الخصائص التالية :

١ - قيام حركة عربية ثورية في الضفة الغربية وغزة والمخيمات والمهاجر ، يكون من أهدافها :

أ - استعادة وحدة فلسطين بالثورة
ب - وضع معركة فلسطين في مكانها من خطط التحرر العربي والاستفادة من عرب فلسطين المستفاد كاملة •

ج - تحرير الاردن من الحكم الرجعي وتوحيده مع الاقطار المتحررة •

د - الزام الدول المتحررة بمخطط عربي موحد •

و - اعتبار غزة منطقة محسرة وإنشاء أذاعة ومراكز حكومية مؤقتة فيها • وإعلان انضمامها قطرا باسم فلسطين إلى الجمهورية العربية المتحدة (تمت الوحدة أو لم تتم)
ثم يقول : على الدول العربية المتحررة أن تعمل على ما يلي : (ص ٢٢٣)

١ - تحقيق أهداف حركة فلسطين الثورية •

٢ - تحقيق وحدة ثورية بين الاقطار المتحررة •

٣ - تحرير المناطق المجاورة لاسرائيل بسرعة وتوحيدها •

ونتساءل بدورنا هل يعني الاستاذ ناجي بالحركة الثورية في الضفة الغربية وغزة والمخيمات الخ • أن هذه الحركة فلسطينية ، لأنه حددها

أن النضال القومي هو نضال الجماهير المنظمة التي ترتبط ارتباطا واعيا بواقعها ، ولا يمكن أن يكون هذا الواقع واقعا قوميا صحيحا أن تجاهل عرب فلسطين قضيتهم القومية تحرير فلسطين والعمل من أجل ذلك • أن الإنسان في نضاله مرتبط بأرضه وبيئته وجمود اجتماعية معينة تفرض عليه الالتزام بها أن أراد لنضاله أن يكون نضالا واقعيا • أن المعطيات الاجتماعية والسياسية والتاريخية لكل قطر عربي تكون مجموعها وحدة نضالية ، وأن اردنا أن نتخطى هذه الفوارق القطرية لنجعل النضال نضالا قوميا ، لا بد لنا أن نستغل هذه المعطيات في نضالنا ولا أقول أن نسل بها ، وعليه فلا بد أن يتحرك القطر العربي قبل كل شيء بعد ذلك تتحرك الإرادة القومية لتتبع نضاله إلى أن يستوى هذا القطر تحريرا ومرحليا مع الاقطار المتحررة الأخرى ، أي أن يرتفع إلى مستوى القبول والحدود مع هذه الاقطار المتحررة •

أن أهم عامل في معركة التحرير القومية هو سلامة الانتفاضة القطرية والتنظيم الشعبي فيها ، والا سداد القطر نفسه حائل من الثورة واليوعة سيؤثر حتما على مستوى قبوله الحدودي مع الاقطار العربية الأخرى لأنه سيكون بحالته هذه خطرا على وحدة هذه الاقطار •

صحيح أن الجماهير العربية في الوطن العربي تتفاعل بوجودها مع القضية الفلسطينية ولكن إيجابية هذا التفاعل وحدته مرهوتين حتما بانطلاق الجماهير الفلسطينية المنظمة ونجسيدها لثورتها المسلحة بتسيدها عمليا ، ساعتها ترتفع القضية الفلسطينية إلى مستواها القومي المطلوب •

ودعونا الآن نقرأ ما يقوله الاستاذ

في اللغات الأولى من عام ١٩٦٥. وبينما كان العالم يحتفل بمراد عام واستقبال عام في أعوا
مغلقة وتمددة من الشعب ٠٠ كان شعبنا الفلسطيني البطل يحتفل بصمت صيق من خلال طلائع
القداء من قوات الناصفة الفلسطينية بمراد ١٢ عاماً - من الذل والتمردية ، من الكبت والارتباك ، من
المراهرات والدسائس ، من الصر والتخوف ، واستقبال نجر شجرة الذاتية التي انطلقت من آلامه
وآماله ٠٠٠ من نكته وقدره ٠٠ من حرمانه من الحياة الإنسانية ومن حقه في هذه الحياة ، وها
البلاغ العسكري الاول لقوات الناصفة نقلة الانطلاق ونقطة اللاعودة في الفجح المسلح حتى النقص.

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ عسكري رقم (١)

اتصلاً بنا على الله وايضاً بنا بحق شعبنا في النكاح لا سترداد وطنه المنصب ، وايضاً
بنا بواجب الجهاد المقدس ، وايضاً بنا بموقف السرى الثائر من السمعنة الخليج ، وايضاً بنا بموازية احرار
وشرفنا العالم ، ولذا فقد تدركت انجعة من قواتنا القارية في ليلة الجمعة ١٩٦٥/١٢/٢١ وقامت
بتنفيذ العمليات المسلحة فيما كالة ضمن الارض المحتلة . وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة . وانا
لندور المدور من التهام بأية اجراءات ضد المدنيين الاثني العرب أينما كانوا ، لان قواتنا سترد على
الاعتداء باقتدار ساحلة ، وستستمر هذه الاجراءات من جرائم الحروب . كما وانا نحذر جميع الدول من
التدخل لصالح العدو بأى شكل كان لان قواتنا سترد على هذا العمل بتمهيد بمالح هذه الدول للدمار
أيضاً كانت .

ماشت وحيدة شعبنا

وكان فلسطينه لاستعادة كرامته وروائه ،

" القيادة العامة لقوات الناصفة "

لم يكن غريباً بعد هذا البلاغ العسكري الاول لقوات الناصفة الفلسطينية أن يصاب الرأى العام
السرى بشىء من الدور بعد ان بشرنا في نفسه - خلال أعمام النكبة الداهية - استحالة انطلاقة
الشعب الفلسطيني بشجرة تنب من ناه . وشداق بانكنايات ، وتندى بأبنائه ، وشهد به الى النقص ،
واستل الجسر العرب بكم من عاصات الاستقبال ٠٠ الكثير الكثير منها يريد معرفة الحقيقة ليقيم بواجبه ،
واقليل التليل يمين التشكيك والدس والتقية ، وفي هذا الجسر الملتب أصدور مدير مكتب منظمة التحرير
الفلسطينية في بيروت البيان التالى - ((يمني . مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ان يكون
للبنظمة اية علاقة بالبيان الذى صدر عنها امي " بالقيادة العامة لقوات الناصفة " ، والذى جاء فيه
ان بقوات هذه القيادة قد قامت بتنفيذ عمليات سنية في الارض المحتلة ، ويتتبع المكتب هذه الفرومة
ليؤكد بان أى عمل عسكري فلسطينى ضد اسرائيل حر من صانعسات وانتماس جيش التحرير الفلسطيني
الذى يتولى رده مسؤولية النكبة العسكرية لآباء الشعب الفلسطينى من اجل تحرير الارض المحتلة)) .
ولكن ، وفي يوم الأحد ١٩٦٥/١/٢٤ طالتنا صحيفة الراصد البيروتية على صفحتها الخامسة
بمقاله صغرى مسؤل مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ٠٠ من الأسئلة والأجوبة البديدة
التي تضمنها هذا التحقيق . ميمناً كلمة للحقيقة أن نذكر اليوم هذا السؤال ٠٠٠

عقب ٣/٠٠

بلاغ عسكري ١. القيادة العامة لقوات العاصفة. ١٩٦٥/١/٣. (صفحة ١ من ٤)

((ما هو مقسم من بلاغات ما يسمى بقوات العاصفة)) ؟ وقد أجاب مدير مكتب المفوضية في بيروت على هذا السؤال بقوله - ((هذا سؤال يتجاوز صلاحياتي كدير مكتب ، ونحن بانتظار معلومات حول هذا الموضوع من قبل الجيوش المختلفة في اللجنة التنفيذية . ولتقني استطيع القول بأن القناح المسلح هو سجلنا لتدمير فلسطين شرط ان يكون هذا القناح قاضيا للخطوة مدروسة وقصيرة بقيادة جبهة التحرير وبالتنسيق مع الدول العربية المجاورة وذلك ضمانا للنصر وتجنبنا لأى مشكلة يمكن ان تحدث في حال عدم توفر هذه الشروط)) .

✓ يوم ١٢/١/٦٥ أذيع البلاغ العسكري الثاني لقوات العاصفة للفلسطينية -

بسم الله الرحمن الرحيم
بلاغ عسكري رقم (٢)

١ - تلبية لنداء الحاجب المقدس تجاه رايانا السليب ، وايضا منا بحققنا النصر وبأن السبيل لا سترجاء هو الثورة المسلحة فقد تحركت قواتنا في ارضنا المحتلة كما يلي -
أ - قامت قوة ضخمة من المجموعة الأولى من الجناح الثالث بمهاجمة المدور ومنشآت تحويل نهر الاردن واستلام هذه القوات ان نصيب اعدائها المنددة لها في كسل من نفق عمليون وسهل البياض . وقد استشهد د فـ هذه العملية مناضل انضم لاجرائه في قائمة البياض والشرف .
٢ - استطاعت قوة من المجموعة الثالثة بمنزلة من جنود المدور على طريق بئر السبع - ايلات ، وقد قتل ثلاثة من جنود المدور في هذه العملية ، وعادت القوة الى قواعد ما حاله .
٣ - تحركت قوة من المجموعة الثالثة ونسفت مخازن المياه وسحابة الضيق في بيت دناس في المنطقة الجنوبية وعادت القوة الى قواعد ما حاله .
٤ - تحركت قوة من المجموعة الثانية (الجناح الأول) ونسفت جسرا على طريق عكا - لنصرة .
عاشمت وحدة الفضال لشهنا الناضل
عاشمت فلسطين حرة مريسة ،
القيادة العامة لقوات العاصفة

✓ لم تستطع اسرائيل أن تهبط هذه المرة ، فقد كانت السلطات الأردنية التي اشار اليها البلاغ العسكري الثاني أكثر من ان تعتمد في براجمتها سياسة الدم التي حاصرت اسرائيل عليها حتى لا يظهر الشعب الفلسطيني على مسرح الأحداث ، فقد أذاع راديو اسرائيل يوم ١٢/١/٦٥ أن نالقا بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي أعلن ان جماعات شبيهة تسلل الى داخل الاراضي الاسرائيلية ، وأنها مرحلة من تميل منظمة تدعى باسم العاصفة وأنها تموضت بالنسف لتدور تحويل نهر الاردن " . وفي الوقت نفسه صدر نص

بلاغ عسكري رقم ٢ . القيادة العامة لقوات العاصفة . ١٢/١/١٩٦٥ . (صفحة ٢ من ٤)

وأخيراً بتاريخ ١٩٦٥/١/٢١ نشرت صحيفة "الأحد" اللبنانية كلمة قصيرة بلهجة

يمنون وردة الدم من فلسطين " جاء فيها -

من هم قادة اراغصا لقوات الناصفة الفلسطينية ؟ سؤال تردد طوال عدة اسابيع ، وفي مختلف الاوساط ، حتى ان لم يعرف احد شيئا . ولكن اليك استبداد افضل تصريف ؟ وهل يحتاج من ينجو المعركة التي ننج عليها عنكبوت المطيح خيوطه طوال حياة عشر عاما الى تركية ؟ وردة الدم التي تنفتح اليوم في الاراضي القدسة لا يخسرنا ان ينالها الضباب . انها موجودة ، وحاضرة اكثر من اء حضور عربي ثوري او غير ثوري آخر . تسرق النمل الفلسطيني ؟ كيف ومن قال هذا ؟ هل النضال شركة تجارية ودبلوماسية يمكن احتكارها واخذ امتياز . بملكيتها . معركة فلسطين لا يستعين ان يحتكر امتيازها احد ، انها معركة مفتوحة لا للخطب والنفقات ، بل هي مفتوحة لمهوى البنادق ، للأيدي الشريفة ، للدم . اننا نجهل حين لا نستطيع ان نؤد لقوات الناصفة غير التحية .

XXXXXXXXXX

يوم ١٩٦٥/١/٢٨ أذاعت القيادة العامة لقوات الناصفة البيان السياسي الأول -

- بيان سياسي هام -

لقد مرت ستة عشر عاما على شهادتنا وهو يثير بعيدا عن قنينة التي قبت في أدراج الهم المشددة كذبة لاجئين مشردين بينما المدري يخطط بكل امكاناته على الصيدين المحلى والدولى لاقامة طويلسة الامد في بلادنا عتجاه لا شديتنا الفلسطينية البطل . ومن هذا الواقع المسى ، ولأن عامل الزمن يسير في اتجاه سداد انطلقت قوات الناصفة لتؤكد للدم والسمالم كله ان هذا الشعب لم يمت وان الثورة المسلحة هي طريق المردة والنصر .

ان قوات الناصفة المنبثقة من ارادة الجماهير الفلسطينية الثائرة لتدر . ادراكا عاما أبناء المعركة سياسيا وهكريا وهي تعمل متخفية كل الدلوف والمقبات بقوة على قوتها الذاتية واثقات شديتنا العربي . يا جماهير شديتنا الصامد الدياهد /

هذا طريقنا وهذه صيرتنا . ان الموقف جد لا مزل ، فالشهاد قد تساقطوا والدماء قد أريقت ، ففترض الى مستوى المسؤولية . مسؤولية المعركة الشريفة لان هذه الانطلاقة ما من الا بداية لحسرب تعبيرة ذات منهم مخطط ومدرس . وبينما في هذه المرحلة التاريخية الحرجة ان تعلن بوضوح تام ان صلاطتنا في الميدان العسكري والسياسي لا تتعارض مع المخطاط الفلسطيني والعربي الرسميين في المعركة . لان الانفصاح من اجل فلسطين يصعب في مجرى واحد يبتدى . منتهى باجتماعات الدار الصهيونية من على ارضنا . واننا لنناشد الامة العربية وقادتها ان يرتدوا بمسؤولياتهم الى المستوى القوي الملتزم . فمركزتنا من اسرائيل معركة حارية لا يد لها من الاستعداد والاستنفار .

أما نحن فلتب تحركنا من مزالق فلسطيني مرتجل بتمة الوطن وش . يدقنا ايماننا بان هذا هو الدريق السلم لاخراج تميمنا من الداراة التي عاشت فيها ، مستعدين على امتنا العربية وكفاحها المستمرت .

بيان سياسي هام. القيادة العامة لقوات العاصفة. ١٩٦٥/١/٢٨. (صفحة ٣ من ٤)

واقوى التعمرية في العالم ، ولن يوقف هذا الزحف حتى يرفرت علم فلسطين فوق ارضنا الثالية مهما
كانت التضحيات . واننا لنعاهد شعبنا على الاستمرار في هذا الطريق ولا نلق السلاح حتى يتحقق النصر .
وهذه الناحية تتوجه قواوات الناصفة بالشكر لجميع وسائل الاعلام العربية اذاعات وصحافة
وأقلام حرة شيفة التي تهيئت مقفنا وساندت بكل انصاف في انطلاقنا اليهارة . كما نشهد بموقف
المنظمات والهيئات الفلسطينية والعربية التي قامت بتأييدنا ووقفت الى جانبنا . وان الشعب العربي
والعربي يتأييد هذه الانطلاقة وهذا المزيد من الدعم المادي والمعنوي حتى نحقق اهدافنا في العودة
والحرية .

عاشت امتنا العربية البهولة ،

عاشت فلسطين عربية حرة ،

القيادة العامة لقواوات الناصفة

لقد نشر هذا البيان في كثير من الصحف العربية ، ومن راديو دمشق ، كما تناوله بعض
الصحف العربية بالتعليق . . . وهذه مجموعة من أقوال الصحف اثر اذاعة هذا البيان السياسي لقواوات الناصفة .

بتاريخ ١٩٦٥/١/١ أهرزت صحيفة " اخبار فلسطين " توالى مجلات قواوات الناصفة في أعلس
صفحتها الأولى وستاهن كبيرة . . . وعلى الصفحة الأولى ايضا نشرت " اخبار فلسطين " ملخصا للبيان
السياسي لقواوات الناصفة . . . وفي داخل هذا العدد طالسا هذه الكلمة للاستاذ محمد آل رضوان
وعنوانها " من الحصة " -

تفتت لو كنت منهم . . . أسير على خطوطهم ، وضربات قلبهم تتشام ضربات قلوبهم ، وانفاس تترسم
انفاسهم ، ويمناز تتد ان تالعاتهم . . . تفتت ان اسير على شوق بلادي في النجم اجتالاه لانجوه
بالرصاص والتار وأرى عين اللهب تنض وجده امنا الارض المحلقة على حراوات الاحتلال بأشراقة فجسر
شهرتها الفالدة .

تفتت ان أمقط وسطهم على صدر الارض التي دفعت الدم في عروق . . . كظفة من الرصاص والدم
والدم وان اغض عيني تحت سما بلادي ، وعلى ارض بلادي . . . وفي نهاية معركة متفجرة الفاعة في قلب
ارض بلادي المعتلة . . . تفتت ان يأكل دود ارض بلادي لحمي وان ينقر طير بلادي مني . . . وان يدور ربح
بلادي بأشلاء فوق كل شهر من ارض بلادي . . . لا تل الى الابد احد جنود الناصفة الفلسطينية البهولة ،
سامتها سألهم بكل اغنياء بلادي . . . وسألها كل ربيع بلادي . . . وسألهم اجرا من الحرية ومن تقبل جبين
الشمس المشرقة على ارض الوطن الحمر . . . فطريق بلادي من أحلى طريق . . . وأصب طريق . . . وأشد
طريق . . . فطريق الجند والمصدق في يديه . . . قدماهم تضرعان الارض بشدة . . . والندى يزفد في عتة
الطريق المطلوب على حبال الاحتلال .

١٩٦٦

حركة التحرير الوطني الفلسطيني

فـتـحـ

بشبان حركة التحرير الوطني الفلسطيني

بعد عام على انه لاقي قواتها المعاصرة داخل الجزء المحتل من فلسطين المحتلة مع الالة عام ١٩٦٥ بدأت قوات المعاصرة الفلسطينية اعمالها القومية داخل الارض المحتلة تعلن للامة العربية والاحرار الدنيا ان ابناء النكبة بعد ١٧ عام من التشرد واليهوان ومن عقود السياسات الصربية السلبية ، قد قرروا الانطلاق على درب التحرير الوحيد الذي عرفه الثوار الاحرار وتبناه التاريخ على مر المصور ، ذلك هو طريق الكفاح المسلح .

ومع الالة عام ١٩٦٦ يكون قد مضى عام كامل على قوات المعاصرة وهي تنشر الذعر والخراب داخل الجزء المحتل من فلسطينا الحالية ، تمركزوا الامن والاستقرار الذي يحشه للصهاينة لنهاب العمل المسلح بفضل الخلافات العربية تارة ولانعدام الدليل لضغوط الاستعمار وتهديداته تارة أخرى .

لقد اعتاد الناس عند حلول ذكرى المناسبات البطولية والاعمال الحميدة ان يهنؤ بعضهم بعضا ويأمن يتداسوا اعمالا ، أباطالهم ويشيدوا بالبطولات التي بنانا نوارسهم وأحرارهم ، الا أن قوات المعاصرة قيادة وجنودا لا بد وأن تعتمد قليلا عن هذا الاسلوب .

فطبيعة العمل القذافي أن يحسد العالم المستمر بعيدا عن أنوار الدعاية وسداسة تسليم الانوار . والعمل القذافي يدالب الى أبدا الى المزيد من القديسات ومن جماهير الامة التي ينتهي اليها المزيد من الدعم والسند قبل أن ينتشر الشكر والتقدير . لان من طبيعة القذافي أن يحاسب نفسه عما لم يفعله قبل أن يحمي بما فعل . والعمل القذافي يشير بكل وضوح وشجاعة الى مواطن التقاعس والتخاذل في الاجواء القديسة قبل أن يقدم الشكر لمن ساعد والتشجيع لمن أيد وشارك . ان العمل القذافي الفلسطيني الذي اندلق في الارض المحتلة متخذا من التناقضات العربية والعقليات الانهزامية ليس الاعمال ثورية رائدة ينير الطريق الى معركة التحرير بدما الشدة الابدال ، فيفتح أمام العقول المتحيزة الى غسل عار النكبة باب العمل من خلال العمل والثقة بالنفس والقدرة الذاتية على تخلي الركاهز الانهزامية التي أودعها الاستعمار وساعد على ترسيخها المتداولون الميناء .

فالعمل القذافي الفلسطيني لا بد وأن يميز النفوس التي بنيت على الخوف والتردد واستمرأت الحوار والجذل من تلك المتاعف الوشيرة القرائن الدائقة ، لا بد وأن يميز العقول التي فطنت ثقفا بنفسها وبقدرتها الذاتية وامكانات جماهيرها القوية ، فاستمرأت النار الى الامور من خلال عقدة الخوف . الخوف من قوة الاستعمار وجميروت اياماته ودباباته واساطيله فاسد . فكانت الى التقاعس وتخاذلت عن مواجهة هذه الليات معركة التحرير وصموا ولسانها وخاضعة لتضحية والاستشهاد .

في مالدع عام ١٩٦٤ عقد مؤتمر القبة الصربية الاول وسمح بابراز الشخصية الفلسطينية لتنمو وتعمل بشكل تحرري وهوري ، وأعلن وجوب رفع القضية الفلسطينية فوق مستوى الخلافات العربية ووجوب اعداء الالوية في العمل الى اعداد لمركة التحرير . . . ومكدا تمت المنجزة واعتبرت القادة العرب اجمعين — ولوردميا — بما كانوا ينكرونه على ابناء النكبة . . . فأصبح نمو الشخصية الفلسطينية عملا قوميا وشعبيا بعد أن كان يدعس اليه كعمل اقليمي تخريبي . . . وقامت منظمة التحرير الفلسطينية وقد مؤتمر القبة الصربية الثاني في سبتيمبر (ايلول) من سنة ١٩٦٤ ، كاد الجو الرسمي العربي ينقلب رأسا على عقب لتضمنه من الموافقة على انشاء

- ٤ -

لقد كان الفدائي أحمد موسى أول شهيد من قوات العاصفة بعد انطلاقها . .
 لقد سقط أحمد مضرًا بدمه قرب أسلاك الهدنة برصاص عربي وهو عائد من أداء واجبه داخل
 الأرض المحتلة . أما بعد رفاق أحمد فقد كانوا أول من اعتقلوا بأيدٍ عربية ليُدخلوا سجنًا عربيًا . وبما هي
 الاعتقالات تتوالى وتتمتع لتصل إلى من يظن أنه يدخل أو يؤيد عمل العاصفة ، في الوقت الذي يصمد
 فيه البطل محمود حجاز في أحد سجون العدو يجسد الكفاح الفلسطيني الثوري في أروع صوره وأعنف
 مثابرة من خلال إقدامه والتحدى الثوري لأعدائنا الصهاينة .

إن أصحاب مذكرات الاعتقال وسيطر التمذيب بدلا من أن يذكروا في أنفاد محمود
 حجاز وفيما يجب أن يقدم لحجاز وللثورة التي ينتهي إليها حجاز . . . لقوات العاصفة . . . بدلا من
 كل ذلك يمتثلون المئات ويمتثلون الكثيرون من المعتقلين بالضرب والنفخ والشار والكهرباء .
 إن قوات العاصفة إن تمس برعلى كل الإلام والضربات التي تتلقاها من بعض المسؤولين
 الصرب حول الأرض المحتلة ، لتأمل أن تجد في نمو دعم الجماهير لها ومقاومة الإحراق الشرطي
 لحملات الاعتقال وأعمال تمذيب المعتقلين ما يساعد (العاصفة) على كسب النية والتزام أحد
 مبادئها الأساسية في حصر عملها الفدائي داخل الأرض المحتلة

عاشت وحدة الجهد الفلسطيني في مجال الكفاح المسلح
 عاشت وحدة الجهد الثوري بدعم قوات العاصفة بالمال والسلاح
 ويمنع عنها وعن أنصارها ومؤيديها الاعتقال والتمذيب ،
 وعاشت فلسطين حرة عربية ،

- فتح -

١٩٦٦/١/١

بعد عام على انطلاق قوات العاصفة. بيان حركة التحرر الوطني الفلسطيني "فتح".
 (صفحة ٢ من ٢) ١٩٦٦/١/١

المصادر الأولية

مراجع

Journal of Palestine Studies (1972). "The Palestinian Resistance Movement and the Arab-Israeli Conflict in Arab Periodicals". in: *JPS* 2 (winter), 121-132.

JPS (1971). "Periodicals and Pamphlets published by the Palestinian Commando-Organizations". in: *JPS* 1 (autumn), 136-151.

Khalidi, Walid and Jill Khadduri (1974). *Palestine and the Arab-Israeli Conflict. An Annotated Bibliography*. Beirut: IPS.

Shulman, Frank Joseph (1973). *American and British Doctoral Dissertations on Israel and Palestine in Modern Times*. Ann Arbor, Mich.: Xerox Univ. Microfilms.

Stein, Kenneth W. (1981). "A general historiographic and bibliographic review of literature on Palestine and the Palestine Arabs". in: *Orient* (Hamburg), 22, 1 (March), 100-112.

مجلات وصحف ودوريات

Arab World, Beirut جولة في الصحافة اليومية

Arab Report and Record (Beirut).

BBC Summary of World Broadcasts (Middle East).

Foreign Broadcast and Information Service (FBIS) (Middle East).

Journal of Palestine Studies (كروولوجيا ومقتطفات صحافية)

Middle East Record (MER) (Tel Aviv).

Keesing's Contemporary Archives.

جرائد، مجلات ومطبوعات صدرت عن حركة القوميين العرب، والتنظيمات التي انبثقت عنها، بالإضافة إلى تلك التي أصدرتها "فتح".

حركة القوميين العرب، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وهي:

العروة الوثقى (مجلة طلابية أصدرتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأمريكية في بيروت)

١٩٤٧ - ١٩٥٥

الثأر (بيروت، جريدة سرية) ١٩٥٢-١٩٥٨

الرأي (جريدة حركة القوميين العرب، دمشق) ١٩٥٥ - ١٩٥٨

الحرية (جريدة حركة القوميين العرب. وبعد ١٩٦٩، غدت لسان حال الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ومنظمة العمل الشيوعي اللبناني) منذ ١٩٥٩

فلسطين (ملحق المحرر، بيروت؛ أصدرها عضو قيادة حركة القوميين العرب غسان كنفاني) ١٩٦٤ - ١٩٦٧

الهدف (لسان حال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) منذ ١٩٦٩

فلسطين الديمقراطية (الجبهة الشعبية، بالإنجليزية)

نشرة الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (الجبهة الديمقراطية بالإنجليزية)

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: البيان السياسي الأساسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (بالعربية)، والمعروف باسم برنامج - آب ١٩٦٨

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: الإستراتيجية السياسية والتنظيمية (بالعربية) ١٩٧٠

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: متطلبات المرحلة الجديدة. التقرير المقدم إلى المؤتمر الثالث للجبهة (بالعربية) ١٩٧٢

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (أو في حينه الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين): اعتداء أيلول. تحليلات ونتائج. ١٩٧١

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: البرنامج السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ١٩٧٥

حركة التحرير الفلسطينية "فتح". وهي:

فلسطيننا (بيروت) ١٩٥٩ - ١٩٦٤

هيكل البناء الثوري ١٩٦٢

العاصفة (بيروت و/أو دمشق) ١٩٦٥ - ١٩٧٦

اضواء ثورية في طريق العودة (بيروت/دمشق) (١٩٦٦؟)

دراسات ثورية، ظهرت في أجزاء من مجلة فلسطيننا بين العام ١٩٥٩ و ١٩٦٤، ومن ثم ظهرت بعد عام ٦٧ سلسلة كتيب بدون مكان وبدون سنة.

انظر بشكل خاص: بيان حركتنا، ص ٧ - ٢٤

دراسات وتجارب ثورية، على الأرجح بعد ١٩٦٨، بأجزاء كبيرة في فلسطيننا. بدون مكان وسنة نشر انظر بشكل خاص:

- "فتح" تبدأ النقاش (ص. ٥ - ٢٣)

- بيان التوقيت (ص. ٢٥ - ٣٨)

- كيف تفجر الثورة الشعبية المسلحة (ص. ٢٥ - ٣٨) (ظهرت أيضاً بشكل منفصل كنشرة مستقلة، بدون مكان أو سنة نشر

- Al-Fatah: Press Release N o.1 كانون الثاني - ١٩٦٨

- فلسطين الثورة

كتب ومقالات

- دروزة، الحكم، وحامد الجابوري. **مع القومية العربية**، بيروت: دار الفجر الجديد، (الطبعة الرابعة الجديدة)، ١٩٦٠.
- _____ **الشيوعية الإقليمية والنضال القومي للعرب**، بيروت: دار الفجر الجديد، ١٩٦١.
- زريق، قسطنطين. **معنى النكبة**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٨.
- _____ **الوعي القومي**، بيروت: دار المكشوف، ١٩٤٩ (١٩٣٩).
- _____ **نحن والتاريخ**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩.
- _____ **مرة أخرى حول معنى النكبة**، بيروت، ١٩٦٧.
- كنفاني، غسان. **أرض البرتقال الحزين، قصص، عكا القديمة: الأسوار**، (بدون سنة نشر).
- الهندي، هاني، ومحسن إبراهيم. **إسرائيل: فكرة، حركة، دولة**، بيروت: دار الفجر الجديد، ١٩٥٨.

Kishli, Muhammad (1970). *Kapitalismus und Linke im Libanon. Herausgegeben, uebersetzt und eingeleitet, mit Anmerkungen und einem Nachwort versehen von Bassam Tibi*, Frankfurt/Main: *Europäische Verlagsanstalt*.

Zurayk, Constantine (1979). "The Essence of Arab Civilization", in: *MEJ* (3 April 1949), 137-138.

_____ (1956). *The Meaning of the Disaster*. Beirut: Khayat's College Book Cooperative.

_____ (1967). "Today and Yesterday", in: *Middle East Forum* 43 (1967), 2-3, 13-20.

مقابلات شخصية

(مقابلات مسرودة لا تقل عن ساعتين)

حركة القوميين العرب، لاحقاً الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

د. جورج حبش، بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٦.

أبو ماهر (أحمد اليماني)، بتاريخ ١٩٧٨/٧/٢٦ و ١٩٧٩/٢/١٥.

تيسير قبعة، بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٨ و ١٩٧٨/٩/٢٨.

بسام أبو شريف، بتاريخ ١٩٧٨/٦/٢.

حركة القوميين العرب، لاحقاً الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين، أو الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (منذ ١٩٧٤)

نايف حواتمة، بتاريخ ١٩٧٩/٧/١٤.

أبو عدنان (عبد الكريم حمد)، بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٥.

أبو فراس، بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٤.

محمد كشلي، بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٩.

الجهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة

فضل شرورو، بتاريخ ١٧/٨/١٩٧٨.

جبهة التحرير الفلسطينية (الجهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة سابقا)

عبد الفتاح غانم، بتاريخ ١/٧/١٩٧٨.

علي اسحق، بتاريخ ٣١/٨، ٩/٩/١٩٧٨، و٧

حركة التحرير الفلسطينية "فتح"

توفيق حوري (فقط محادثة قصيرة، لم يتم الحصول على مقابلة معه)، بتاريخ ٢/٢/١٩٧٩.

أبو حاتم (محمد أبو ميزر)، بتاريخ ٥/٧/١٩٧٨.

ماجد أبو شرار، بتاريخ ٧/١٠/١٩٧٨.

صخر، بتاريخ ٢٨/٩/١٩٧٨.

ناجي علوش، بتاريخ ٢٨/٤/١٩٧٨.

نزيه أبو نضال، بتاريخ ٢٨/٨/١٩٧٨.

شخص غير مسمى: كادر متوسط، التحق العام ١٩٦٦ كطالب في القاهرة، ٥، ٨ و ٢٢ تموز ١٩٧٨.

شخص غير مسمى: كادر متوسط التحق العام ١٩٦٤ كمعلم في العربية السعودية، بتاريخ ١٨/١/١٩٧٩.

منظمة التحرير الفلسطينية

شفيق الحوت، بتاريخ ٣/٥/١٩٧٨ و ٢٤/٢/١٩٧٩.

كل المقابلات تم إجراؤها في بيروت (بعضها بالإنجليزية، وبعضها بالعربية).

مقابلات منشورة وسير ذاتية

ابو اياد (١٩٨٠)، فلسطيني بلا هوية، لقاءات مع الكاتب الفرنسي اريك رولو، القدس: مؤسسة صيام للدعاية والنشر.

ابو جهاد، مقابلة في: شؤون فلسطينية ٧٧ (١٩٧٨) ص. ٢٣-٢٩.

_____. مقابلة في: اللواء، ١/٤/١٩٧٩، ص. ٩ و ص. ١٢.

_____. مقابلة في: شؤون فلسطينية ١٥٢/١٥٣ (١٩٨٦) ص. ٣-٢٦.

ياسر عرفات (ابو عمار): مقابلة في: فلسطين الثورة، ١/٨/١٩٧٣.

مقابلة مع محمود درويش واحمد عبد الرحمن في: شؤون فلسطينية ٨٦، ١١-٢٩.

مقابلة ١٩٨٧ في: *Strategic Bulletin*. لندن في ٣٠/٣/١٩٨٧ مقتبسة من FBIS-6. 4. 1987-A5.

'Caduc' – Interview in: JPS 74 (Winter 1990), 144-146.

Awad, Mubarak (1988). Interview with Sophie Jaquin in: *Les Cahiers de l'Orient* 10:2 (1988), 71-84.

Fallaci, Oriana (1970). Interview with Dr. George Habash (A leader of the Fedayeen: "We want war like Vietnam"). in: *Life*, June 12, p. 34.

_____. (1976). Interview with Arafat, in: *Life* 1976: Interview with History, London: Michael Joseph, 123-139.

_____. (1982). Interview with Ariel Sharon, in: *Times* (London), 30/8/1982, 5-6.

George Habash (1970). Interview in: *Spiegel* 8 (1970), p. 84.

جورج حبش، مقابلة في: البلاغ، ٣/٨/١٩٧٣، ص. ١٨.

الحاج امين، مقابلة (١٩٧٤) (مع خيرية قاسمية وعماد شقور)، في: شؤون فلسطينية ٣٦، ١٢-١٨.

Al-Qawuqji, Fauzi 1972: "Memories, 1948", in: *JPS* 4 (summer), 27-58, and *JPS* 5, 3-33.

الشقيري، احمد (١٩٧١). من القمة الى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، بيروت، دار العودة.

وثائق ومجموعات وثنائق

Hanna, Sami A. and George Gardner (1979). *Arab Socialism. A documentary survey*. Leiden: Brill.

Informationsstelle Palästina (Hg.) (1989). *Die palästinensische Friedensinitiative*. Dokument. Palästina Dokumentation Nr. 12, Bonn.

IPS: *International Documents on Palestine* (yearly), Beirut: IPS.

معهد الدراسات الفلسطينية: الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، بيروت: معهد الدراسات الفلسطينية.

_____ : الوثائق الفلسطينية العربية (سنوي)، بيروت: معهد الدراسات الفلسطينية.

Kadi, Leila S. (1969). *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistance Movement*. Beirut: PLO-The Palestinian Research Center.

الكيالي، عبد الوهاب (تحرير) ١٩٦٨. وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الانتداب البريطاني والصهيونية ١٩١٨-١٩٣٩، بيروت: معهد الدراسات الفلسطينية.
_____ ١٩٧٣. القضية الفلسطينية ١٩٦٤-١٩٦٦، بيروت.

Khader, Bichara et Naim (١٩٧٥). *Textes de la Révolution Palestinienne* ١٩٧٤-١٩٦٨. Paris: Sindbad.

Khalidi, Walid and Yusuf Ibish (ed.). *Chronology of Arab Politics I-IV*, Beirut: A.U.B.

Khalil, Muhammad (١٩١٢). *The Arab States and the Arab League*. Vol. II, Beirut: Khayat's.

جامعة الدول العربية، مجموعة المعاهدات والاتفاقيات المعقودة في نطاق جامعة الدول العربية ومع بعض الهيئات الدولية. القاهرة: دار النشر للجامعات. (بدون سنة نشر).

Moore, John Norton (ed.) (1974). *The Arab Israeli Conflict*, 3 Volumes. Princeton Univ. Press.

_____ (ed.) (1977). *The Arab-Israeli Conflict. Readings and documents. Abridged and revised edition*. Princeton: Princeton Univ. Press.

OAK-Beiruter Büro 1960: L'Affaire palestinienne, in: L'Orient (Paris), 16:4, 4, 183-221. Darin: "Manifest com September 1959", 183-199. "Organisierung des palästinensischen kiyen. Die Wahrheir über die Sitzungen in Kairo", 15. 11. 1959, 200-209, "Richtigstellung bezüglich des OAK-Manifestes", 2. 2. 1960, 210-216. "Memorandum des OAK an die arabischen Außenminister vom 20. 8. 1960", 217-218.

Clapp Commission (1949). *Report, UN Economic Survey Mission of the Middle East*. New York, quoted in Badran 1980.

كتاب فلسطين الثورة ١٩٨٨ (عدة مجلدات)، نيكوسيا.

Journal of Palestine Studies (Documentary Section)

عبد الناصر، جمال ١٩٦٥. مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، المجلد الثالث. القاهرة.

عدوان، عبد الجبار، الانتفاضة، على طريق الاستقلال الفلسطيني، الكتاب الأول: أنياب الخروف. (يتضمن بيانات الانتفاضة من ٦-٢٥). (بدون سنة نشر أو مكان نشر).

المصادر الثانوية

- ابراهيم، محسن ١٩٧٠. لماذا منظمة العمل الاشتراكي اللبناني. بيروت: دار الطليعة.
- ابو نضال، نزيه ١٩٨٤. تاريخ الأزمة في فتح من التأسيس الى التمرد. نيقوسيا: دار الصمود العربي.
- ايوب، سمير ١٩٧٨. البناء الطبقي للفلسطينيين في لبنان. بيروت: الجامعة العربية.
- بدر، عدنان ١٩٧٤. "سبع سنوات للجهة الشعبية لتحرير فلسطين". الهدف، ١٤ كانون اول ١٩٧٤.
- بدران، نبيل ١٩٦٩. التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني - الجزء الثاني ١٩٤٨-١٩٦٧. بيروت: مركز الأبحاث.
- بشير، سليمان ١٩٨٠. جذور الوصاية الأردنية: دراسة مستقاة من الأرشيف الصهيوني. القدس: نشر ذاتي.
- توما، اميل ١٩٧٣. جذور القضية الفلسطينية. بيروت: مركز الأبحاث.
- جريس، جاكين فرهود ١٩٧٥. «الشعب الفلسطيني: ارقام ومؤشرات». شؤون فلسطينية، العدد ٤١-٤٢ (كانون ثاني-شباط ١٩٧٥) ص. ٣٩٩-٤٣١.
- حبيبي، اميل ١٩٧٧. المتشائل. القدس: مكتبة صلاح الدين.
- الحسن، هاني ١٩٧٢. "فتح بين النظرية والتطبيق". شؤون فلسطينية، العدد ٧ (آذار ١٩٧٢). ص. ٢١-٩.
- _____. ١٩٧٢. "وقفة عند الذكرى الرابعة لمعركة الكرامة". شؤون فلسطينية، العدد ٨ (نيسان ١٩٧٢) ص. ٤١-٥٧.
- الحسن، بلال ١٩٧١. "أحداث أيلول ومسؤولية النظام الأردني". شؤون فلسطينية، العدد ١ (آذار ١٩٧١) ص. ٣٩-٥٥.
- _____. ١٩٧١. "الفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران". شؤون فلسطينية، العدد ٣ (تموز ١٩٧١). ص. ١٩-٥.
- _____. ١٩٧٢. "المقاومة الفلسطينية والرد على مشروع الملك حسين". شؤون فلسطينية، العدد ٩ (ايار ١٩٧٢) ص. ٢٤٧-٢٥٣.
- _____. ١٩٧٤. الفلسطينيون في الكويت، دراسة إحصائية. بيروت: مركز الأبحاث.
- الحسن، خالد ١٩٨٥. الاتفاقية الأردنية الفلسطينية للسياسة المشتركة. عمان: ١١/٢/١٩٨٥.
- القدس: وكالة ابو عرفة.
- الحوار، فيصل ١٩٨٠. الفكر السياسي الفلسطيني ١٩٦٤-١٩٧٤. بيروت: مركز الأبحاث.
- الخطيب، حسام ١٩٧١. "الثورة الفلسطينية: الى اين؟" شؤون فلسطينية، العدد ٤ (ايلول ١٩٧١) ص. ٣٠-٥.
- خورشيد، غازي ١٩٧١. دليل المقاومة الفلسطينية. بيروت: مركز الأبحاث.
- الخوري، الياس ١٩٧٤. احصائيات فلسطينية. بيروت: مركز الأبحاث.
- الخولي، لطفي ١٩٨٨. الانتفاضة والدولة الفلسطينية. القاهرة: مركز الأهرام.

- سباعي، امين ١٩٧٠. "نشأة الحركة القومية العربية في الجامعات." **الجريدة**. بيروت، ١٥/٣/١٩٧٥، ص. ٤.
- سخنيني، عصام ١٩٧٣. "نشرة الثأر، قراءة في مقدمات الفكر المقاوم." **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١ (أيار ١٩٧٣) ص. ١١٩-١٢٧.
- _____. ١٩٧٥. "الكيان الفلسطيني، ١٩٦٤-١٩٧٤." **شؤون فلسطينية**، العدد ٤١-٤٢ (شباط ١٩٧٥) ص. ٤٦-٧٤.
- شبيب، سميح ١٩٨٢. "مقدمات المصادرة الرسمية للشخصية الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨-١٩٥٠." **شؤون فلسطينية**، العدد ١٢٩-١٣٠-١٣١ (آب - أيلول - تشرين أول ١٩٨٢) ص. ٧٢-٨٧.
- صايغ، انيس ١٩٦٦. **الهاشميون والقضية الفلسطينية**. صيدا، بيروت: دار المحرر والمكتبة العصرية.
- العارف، عارف ١٩٥٦-١٩٦٢. **نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود**. صيدا: المكتبة الحديثة (٧ أجزاء).
- العظم، صادق جلال ١٩٦٨. **النقد الذاتي بعد النكسة**. بيروت.
- _____. ١٩٧٠. **دراسات يسارية عن القضية الفلسطينية**. بيروت: دار الطليعة.
- _____. ١٩٧٢. **دراسات نقدية عن ايديولوجية المقاومة الفلسطينية**. بيروت: دار العودة.
- علوش، ناجي ١٩٦٤. **المسيرة إلى فلسطين**. بيروت: دار الطليعة.
- _____. ١٩٧١. "من أجل استراتيجية جديدة للثورة الفلسطينية." **دراسات عربية**، العدد ٤، ص. ١٦-٥ و ١٣٥-١٥٨.
- _____. ١٩٧١. "نقد تقرير الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين عن هجوم أيلول." **دراسات عربية**، العدد ٥، ص. ١٦-٥ و ١٥٩-١٦٠.
- _____. ١٩٧٤. **الحركة الوطنية الفلسطينية في وجه اليهود والصهيونية**. بيروت: مركز الأبحاث.
- _____. ١٩٧٤. **عن الإستراتيجية العامة لحركتنا وثورتنا**. بيروت: دار الطليعة.
- الدهون، ربيعي ١٩٨٩. **الانتفاضة الفلسطينية، الهيكل التنظيمي وأساليب العمل**. عكا: دار الاسوار.
- مندس، هاني ١٩٧٤. **العمل والعمال في المخيم الفلسطيني**، دراسة ميدانية عن مخيم تل الزعتر. بيروت: مركز الأبحاث.
- نويهض، عجاج ١٩٧٤. "الحاج محمد امين الحسيني." **شؤون فلسطينية**، العدد ٣٦ (آب ١٩٧٤) ص. ١١-٥.
- الهندي، خليل وآخرين ١٩٧١. **المقاومة الفلسطينية والنظام الأردني**. بيروت: مركز الأبحاث.
- ياسين، عبد القادر ١٩٧٥. **نضال الشعب الفلسطيني ما قبل ١٩٤٨**. بيروت: مركز الأبحاث.

Bibliography

Books and Articles

Abboushi, W. F. (1977). "The road to rebellion. Arab Palestine in the 1930's", in: *JPS* 23 (spring), 23-46.

'Abdallah (King) (1950). *Memoirs of King 'Abdallah of Transjordan*. London: Jonathan Cape.

Abdallah ibn al-Husain (1945). *My Memoirs Completed (at-takmilah)*, English translation, Washington D. C.: American Council of Learned Societies.

Abdel-Malek, Anouar (1968). "Vers Une Sociologie Comparative Des Idéologies», in : *L'homme et la société* (Paris), January-March, 115-130.

Abed, George T. (1991). «The Palestinians and the Gulf Crisis», in: *JPS* 78 (winter), 29-42.

Asad, Abdul-Rahman and Rashid Hamid (1980). *The Palestine Liberation Organization: Past, Present and Future*, Paper presented at the First UN Seminar on the Question of Palestine, July 14-July 18. Arusha: UN Publication.

Abidi, Aqil Hyder Hasan (1965). *Jordan. A Political Study 1948-1957*. New York: Asia Publishing House.

Abu Eishe, Anwar (1982). *Mémoires palestiniennes*. La terre dans la tête. Témoignages recueillis par Anwar Abu Eishe, Paris. Editions Clancier-Guénaud.

Abu-Ghazaleh, A. M. (1970). «The Impact of 1948 on Palestinian Arab Writers: The first decade», in: *Middle East Forum* 2-3, 46, 81-92.

Abu Jaber, Kamel S. (1966). *The Arab Ba'th Socialist Party*, New York: Syracuse University Press.

Abu-Lughod, Ibrahim (1971) *The Transformation of Palestine. Essays on the Origin and Development of the Arab-Israeli Conflict*. Evanston: Northwestern University Press.

_____ 1973: "Educating a Community in Exile: The Palestinian Experience", in: *JPS* 7 (spring), 94-111.

_____ 1989: "The War of 1948. Disputed Perspectives and Outcomes", in: *JPS* 70 (winter), 119-127.

Abu-Lughod, Janet 1971: "The Demographic Transformation of Palestine", in: Ibrahim Abu-Lughod: *The Transformation of Palestine*. Evanston: Northwestern University Press

Ahmad, Eqbal (1983). "Yasir Arafat's Nightmare", in: *MERIP* 119 (Nov.-Dec. 1983), 18-23.

Ajami, Fouad (1974). "On Nasser and his Legacy", in: *JPR* XI, 41-49.

_____. 1983. *The Arab Predicament. Arab Political Thought and Practice Since 1967*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.

Akhavi, Sharough (1975). "Egypt's Socialism and Marxist Thought: Some Preliminary Observations in Social Theory and Metaphysics", in: *Comparative Studies in Society and History* 17 (April), 190-211.

Alami, Musa (1949). "The Lesson of Palestine", in: *MEJ* 3:4 (October), 373-405.

Alatas, Syed M. (1977). *Intellectuals in Developing Countries*. London: Frank Cass.

Amin, Samir 1980. *Class and Nation: Historically and in the Current Crisis*. New York: Monthly Review Press.

Amos II, John W. (1979). *Arab-Israeli Military/Political Relations*. New York: Pergamon Policy Studies 25.

_____. (1980). *Palestinian Resistance. Organization of a Nationalist Movement*. New York: Pergamon Press.

Anabtawi, Samir N. (1974). "The Palestinians as a Political Entity", in: J. N. Moore (ed.). *The Arab-Israeli Conflict I*. Princeton, N.J.: Princeton Univ. Press, 506-517.

Antonius, George 1965 (1938). *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*. New York: Capricorn.

Aronson, Geoffrey (1987). *Creating Facts: Israel, Palestinians and the West Bank*. Washington: IPS.

Aronson, Shlomo (1978). *Conflict and Bargaining. An Israeli Perspective*, Baltimore. The Johns Hopkins Univ. Press.

Aruri, Naseer H. (1972). *Jordan: A Study in Political Development*. The Hague: Martinus Nijhoff.

_____ and Samih Farsoun (1980). "Palestinian Communities and Arab Host Countries", in: Khalil Nakhleh and Elias Zureik (ed.), *The Sociology of the Palestinians*. London: Croom Helm, 112-145.

Asad, Talal (1975). "Anthropological Texts and Ideological Problems: An analysis of Cohen on Arab villages in Israel", in: *Review of Middle East Studies* I, 1-40.

Association pour reconstruire Emmaüs 1987: *Reconstruire Emmaüs*. St. Sulpice, Switzerland.

Al-Azm, Sadik Jalal (1973). «The Palestinian Resistance Movement Reconsidered», in: Edward Said and Fuad Suleiman (ed.): *The Arabs today - Alternatives for tomorrow*. Columbus, Ohio: Forum Assoc. Inc.

Badran, Nabil (1980). "The Means of Survival: Education and the Palestinian Community, 1948-1967", in: *JPS* 36 (summer), 44-74.

Baer, Gabriel (1982). *Fellah and Townsman in the Middle East: Studies in social history*. London: Frank Cass.

- Bailey, Clinton (1978). "Changing Attitudes Toward Jordan in the West Bank", in: *MEJ* 32, 2 (spring 1978), 155-166.
- ____ (1984). *Jordan's Palestinian Challenge 1948-1983*. Boulder, Col.: Westview Press.
- Bar-On, Mordechai (1987). "Trends in the Political Psychology of Israeli Jews", in: *JPS* 65 (autumn), 21-36.
- ____ (1988). "Israeli Reactions to the Palestinian Uprising", in: *JPS* 68 (summer), 46-65.
- Bar-Zohar, Michael (1978). *Ben-Gurion. A political Biography*. New York: Delacorte.
- Barakat, Halim and Peter Dodd (1972). "Palestinian Refugees: Two surveys of uprootedness", in: Paul Y. Hammond and Sydney S. Alexander (ed.): *Political Dynamics in the Middle East*. New York: American Elsevier, 325-349.
- Baram, Amazia (1983). "Qawmiyya and Wataniyya in Ba'thi Iraq: The search for a New Balance", in: *Middle Eastern Studies* 19:2 (April), 188-200.
- Baramki, Gabi (1987). "Building Palestinian Universities under Occupation", in: *JPS* 65 (autumn), 12-20.
- Baransi, Salih (1981). "Oral History: The story of a Palestinian under occupation", in: *JPS* 41 (autumn), 3-30.
- Baron, Xavier (1977). *Les Palestiniens, Un Peuple*. Paris: Le sycomore.
- Batatu, Hanna (1978). *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers*. Princeton, N. J.: Princeton Univ. Press.
- ____ (1979). "Class Analysis and Iraqi Society", in: *Arab Studies Quarterly* 1:3 (summer), 229-244.
- Baumgarten, Helga (1980). „Die palästinensische Nationalbewegung in der Arabischen Welt. Das Beispiel Jordaniens und des Libanon“, in: *Orient* 21:4 (Dezember), 511-528.
- ____ and Friedemann Büttner (1985). "Der Nahost-Konflikt und die Golfstaaten", in: Fred Scholz (Hrsg.): *Die Golfstaaten*. Braunschweig: Westermann, 65-80.
- ____ (1985a). "Camp-David-Abkommen", in: *Pipers Wörterbuch zur Politik*. Bd. 5 Internationale Beziehungen (Hrsg. Andreas Boeckh), 79-81.
- ____ (1987). "The PLO, its struggle for legitimacy, and the question of a Palestinian state", in: *The Jerusalem Journal of International Relations* 9:3, 99-114.
- ____ (1987a). *Migration and Diaspora Nationalism*. Paper delivered at the German-French Workshop on Migration, Aix-en-Provence, June.
- ____ (1987b). "PLO-Stocktaking: A Review of Recent Literature", in: *Birzeit Research Review* 4 (winter/spring), 162-169.

- _____ (1988). *Labor Migration and New Political Movements*. Paper delivered at the German-French Workshop on Migration in Berlin, June.
- _____ (1990) Discontented People and Outside Agitators. The PLO in the Intifada, in: Roger Heacock and Jamal Nassar (ed.): *The Intifada. Palestine at the crossroads*. New York: Praeger Publ., 207-228.
- _____ (1991) "The PLO's Political Program and the Gulf Crisis", in: Bernard Sabella (ed.): *Palestinian Assessments of the Gulf War and its Aftermath*. Jerusalem: PASSIA.
- _____ (1991) "Krieg am Golf. George Bushs "Neue Weltordnung" und Saddam Hussein", in: Norbert Mattes (Hrsg.): *"Wir sind die Herren und ihr unsere Schuhputzer!"*. Der Nahe Osten vor und nach dem Golfkrieg. Frankfurt/Main: Dagyeli Verlag, 21-48.
- Beaugé, Florence (1991). «A nouveau l'oubli sur les territoires occupés», in: *Le Monde diplomatique* no. 446 (mai 1991), 17-13.
- Begin, Menachem 1983 (1952). *The Revolt*. Jerusalem: Steinmatzky's.
- Benvenisti, Meron (1986). *1986 Report. Demographic, economic, legal, social and political developments in the West Bank*. Jerusalem. The Jerusalem Post, The West Bank Data Base Project.
- _____ (1986) West Bank Handbook. *A Political Lexicon*. Jerusalem: The Jerusalem Post.
- _____ (1987) *1987 Report*. Jerusalem: The Jerusalem Post.
- Bernadotte, Folke (1951). *To Jerusalem*. London: Hodder and Stoughton. Reprint Hyperion: Westport, Conn. 1976.
- Bertelsen, Judy S. (1976) *The Palestinian Arabs: A non-state nation systems analysis*. Sage Professional Papers in International Studies 4, Beverly Hills: Sage.
- Bethell, Nicolas (1979). *The Palestinian Triangle: The struggle between the British, the Jews and the Arabs 1935-1948*. London: Andre Deutsch.
- Bishara, Azmy (1989). "The Uprising's Impact on Israel", in: Z. Lockman and J. Beinun (ed.): *Intifada*. Boston: South End Press, 217-229.
- Bishop, Vaughn (1983). "Political Terrorism in the Palestinian Resistance Movement", in: Michael Stohl (ed.): *The Politics of Terrorism*. New York and Basel: Marcel Dekker.
- Blaschke, Jochen (1984). *Volk, Nation, Interner Kolonialismus, Ethnizität. Konzepte zur politischen Soziologie regionalistischer Bewegungen in Westeuropa*. Berlin: Berliner Institut für Vergleichende Sozialforschung.
- Bloch, Ernst (1969). *Thomas Münzer als Theologe der Revolution*. Frankfurt am Main: werkausgabe edition suhrkamp, Bd. 2.
- Bopst, Wolf-Dieter (1968). *Die arabischen Palästinaflüchtlinge. Ein sozialgeographischer Beitrag zur Erforschung des Flüchtlingsproblems*, Regensburg.

- Bottomore, Tom (1964). *Elites and Society*. London: Watts.
- _____ (ed.) (1983). *A Dictionary of Marxist Thought*. Oxford: Blackwell Publishers.
- Bowden, Tom (1975). "The politics of the Arab rebellion in Palestine, 1936-39", in: *Middle Eastern Studies* 11:2 (May), 147-174.
- _____ (1977) *The Breakdown of Public Security. The case of Ireland 1916-1921 and Palestine 1936-39*. London/Beverly Hill: Sage Publications.
- Brand, Laurie A. (1988). *Palestinians in the Arab World. Institution Building and the Search for State*. New York: Columbia Univ. Press.
- Brecher, Michael (1980). *Decisions in Crisis. Israel 1967 and 1973*. Berkeley, Cal.: Univ. of California Press.
- Breuilly, John (1982). *Nationalism and the State*. Manchester: Manchester Univ. Press.
- Bruhns, Fred C. (1955). "A study of Arab Refugee Attitudes", in: *MEJ* 9:1 (winter), 103-138.
- Büren, Rainer (1982). *Ein palästinensischer Teilstaat? Zur internen, regionalen und internationalen Dimension der Palästinafrage*. Baden-Baden: Nomos.
- Budeiri, Musa K. (1982). "Changes in the Economic Structure of the West Bank and Gaza Strip under Israeli Occupation", in: *Labour, Capital and Society* 15:1 (April), 46-63.
- Büttner, Friedemann (Hg.) (1971) *Reform und Revolution in der islamischen Welt. Von der osmanischen Imperialdoktrin zum arabischen Sozialismus*. München: List.
- Burns, E. L. M. (1962). *Between Arab and Israeli*. London: George Harrap and Co.
- Busailah, Reja-e (1981). "The fall of Lydda, 1948. Impressions and reminiscences", in: *Arab Studies Quarterly* 3:2 (spring), 123-151.
- Campbell, John C. (1960). *Defense of the Middle East: Problems of American Policy*. New York: Harper and Bros. (revised edition).
- Carré, Olivier (1972). *L'idéologie Palestinienne de résistance. Analyse de textes 1964-1970*. Paris: Armand Colin.
- _____ (1977). *Le mouvement Palestinien*. Paris: Ed. Gallimard.
- _____ (1980). *Septembre noir. Refus arabe de la résistance Palestinienne*. Bruxelles: Ed. complexe.
- _____ (1984). "Arafat vingt ans après: « Cent ans de solitude ... »", in: *Maghreb / Machreq* 104 (avril-juin), 51-65.
- Chagnollaude, Jean Paul (1977). *Maghreb et Palestine*. Paris: Sindbad.
- Chaliand, Gérard (1970). "La Palestine n'est pas le Vietnam", in: *Partisans* 52 (mars-avril), 171-173.

- _____ (1970a). "Le double combat du F.P.L.P.", in : *Le Monde Diplomatique*, Juillet 1970, 6-9.
- _____ (1971). *Kann Israel noch besiegt werden? oder Die Kommandos kämpfen weiter*. Reinbek: rororo aktuell.
- _____ (1972). *The Palestinian resistance*. Middlesex: Penguin.
- _____ (1977). *Revolution in the Third World. Myths and Prospects*. New York: Viking Press (French original 1976: *Mythes révolutionnaires du tiers monde*, Paris: Ed. du Seuil).
- al-Charif, Maher (ed.) (1980). *Le patrimoine culturel Palestinien*. Paris : Ed. du Sycomore.
- Chomsky, Noam (1988). "Middle East Terrorism and the American Ideological System", in: Edward Said (ed.): *Blaming the Victims. Spurious Scholarship and the Palestinian Question*. London: Verso, 97-147.
- _____ (1989). "Israel's Role in US Foreign Policy", in: Z. Lockman and J. Beilin (ed.): *Intifada, The Palestinian Uprising against Israeli Occupation*. Boston: South End Press, 253-273.
- Cigar, Norman (1983). "Arab socialism revisited: The Yugoslav roots of its ideology", in: *Middle Eastern Studies* 19:2 (April), 152-187.
- Cobban, Helena (1984). *The Palestinian Liberation Organisation. People, Power and Politics*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.
- Cohen, Amnon (1982). *Political Parties in the West Bank under the Jordanian Regime 1949-1967*. Ithaca and London: Cornell Univ. Press.
- Cohen, Michael J. (1978). *Palestine: Retreat from the Mandate. The making of British Policy 1936-1945*. New York: Holmes and Meier.
- _____ (1978a). "Why Britain left: The end of the mandate", in: *Wiener Library Bulletin* XXXI (new series 45/46), 74-86.
- _____ (1983). "Origins of the Arab States' involvement in Palestine", in: *Middle Eastern Studies* 19:2 (April), 244-252.
- Cohen, Stanley 1991: "Aus dem abgedichteten Zimmer: Die israelische Friedensbewegung während des Golfkriegs", in: Norbert Mattes (Hrsg.): "Wir sind die Herren und ihr unsere Schuhputzer". *Der Nahe Osten vor und nach dem Golfkrieg*. Frankfurt am Main: Dayyeli, 129-145.
- Colombe, Marcel (1964). "Le problème de « l'entité Palestinienne » dans les relations interarabes", in: **Orient** (Paris), 29:8, 57-87.
- Cooley, John K. (1973). *Green March, Black September. The Story of the Palestinian Arabs*. London: Frank Cass.
- _____ (1984). "The war over water", in: *Foreign Policy* 54 (spring 1984), 3-26.
- Corm, Georges (1983). *Le Proche-Orient Eclate. De Suez à l'invasion du Liban 1956-1982*. Paris: La Découverte/Maspéro.

- Dakkak, Ibrahim (1983). "Back to Square One: A Study in the Re-Emergence of the Palestinian Identity in the West Bank 1967-1980", in: Alexander Schölch (ed.): *Palestinians over the Green Line*. London: Ithaca Press, 64-101.
- Dann, Uriel (1976). "The United States and the recognition of Transjordan, 1946-1949", in: *Asian and African Studies* 11:2 (fall), 213-240.
- _____ (1989). *King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism. Jordan 1955-1967*. Oxford: Oxford Univ. Press.
- Davis, Uri et al (ed.) (1975). *The Palestinians*. London: Quartet.
- _____ et al (1980). "Israel's water policies", in: *JPS* 34 (winter), 3-3 1.
- Davis-Willard, Eric (1978). "Theory and method in the study of Arab nationalism", in: *Review of Middle East Studies* 10, 125-138.
- Dawn, Ernest (1988). "The formation of Pan-Arab Ideology in the Interwar Years", in: *Journal of Middle Eastern Studies* 20, 67-91.
- De Reynier, Jacques (1950). *A Jérusalem un drapeau flottait sur la ligne de feu*. Neuchâtel: Ed. de la Baconnière.
- Devlin, John F. (1976). *The Ba'th Party. A History from its origins to 1966*. Stanford.
- Diner, Dan (1980). *Israel in Palästina. Über Tausch und Gewalt im Vorderen Orient*. Königstein/Taunus: Athenäum.
- _____ (1982). "Keine Zukunft auf den Gräbern der Palästinenser." *Eine historisch-politische Bilanz der Palästinafrage*. Hamburg: VSA.
- Dodd, Peter and Halim Barakat (1972). *Palestinian refugees*. see under Barakat, Halim.
- Dodge, Bayard (1958). *The American University of Beirut. A brief history of the university and the lands which it serves*. Beirut: Khayat's.
- Dubar, Claude et Salim Nasr (1976). *Les classes sociales au Liban*. Paris: Presses de la fondation nationale des sciences politiques.
- Duri, A. A. (1987). *The Historical Formation of the Arab Nation. A study in identity and consciousness*. London: Croom Helm.
- Eilts, Hermann Frederick (1991). "The Persian Gulf Crisis: Perspectives and Projects", in: *Middle East Journal* 450, 1(winter), 7-22.
- Eisenstadt, S.N. (1985). *The Transformation of Israeli Society. An Essay in Interpretation*. Boulder, Col.: Westview Press.
- Elpeleg, Zvi (1989). "Why was Independent Palestine never created?", in: *Jerusalem Quarterly* 50 (spring), 3-22.
- Emmerson, Donald K. (ed.) (1968). *Students and politics in developing nations*. London. Pall Mall Press.
- Ende, Werner (1978). "The Palestine conflict as reflected in contemporary Arabic literature", in: *Orient* (September), 75-94.

- Facts (1988). *Towards a State of Independence*. Jerusalem.
- Fallaci, Oriana (1976). *Interview with history*. Boston: Houghton Mifflin Co.
- Fanon, Frantz 1974 (1961). *Les damnés de la terre*. Paris: Maspéro.
- Finkelstein, Norman (1990). "Bayt Sahur in Year II of the Intifada: A Personal Account", in: *JPS* 74 (winter), 62-74.
- Fischer-Weth, Kurt (1943). *Amin al-Husseini. Großmufti von Palästina*. Berlin-Friedenau. Walter Titz Verlag.
- Flores, Alexander (1980). *Nationalismus und Sozialismus im arabischen Osten: Kommunistische Partei und arabische Nationalbewegung in Palästina, 1919-48*. Münster: Periferia.
- _____ (1980a). The Palestine Communist Party during the Mandatory period. An account of sources and recent research, in: *Peuples Méditerranéens* 11 (avril - juin), 57-84.
- _____ (1980b). "The Arab CPs and the Palestine Problem", in: *Khamsin* 7, 21-40.
- _____ 1981: "Die Entwicklung der palästinensischen Nationalbewegung bis 1939", in: Helmut Mejcher und Alexander Schölch (ed.): *Die Palästina- Frage 1917-1948*. Paderborn: Schöningh, 89-118.
- _____ (1988). *Intifada. Aufstand der Palästinenser*, Berlin: Rotbuch Verlag.
- Frangi, Abdallah (1982) *PLO und Palästina. Vergangenheit und Gegenwart*. Frankfurt/Main: R. G. Fischer Verlag.
- Franjeh, Samir (1972). "How Revolutionary is the Palestinian Resistance? A Marxist Interpretation", in: *JPS* 2 (winter), 52-60.
- Frank, Manfred (1989). *Kaltes Herz. Unendliche Fahrt. Neue Mythologie*. Frankfurt/Main: edition suhrkamp.
- Friesel, Evyatar (1979). "The holocaust and the birth of Israel", in: *Wiener Library Bulletin* XXXII (new series 49 / 50), 51-60.
- Frisch, Hillel (1990). "From Armed Struggle over State Borders to Political Mobilization and Intifada within it: The Transformation of PLO Strategy in the Territories", in: *plural societies* XIX, 2 und 3 (March), 92-115.
- Gabbay, Rony E. (1959). *A political Study of the Arab-Jewish Conflict. The Arab Refugee Problem (A case study)*, Geneva: Librairie Droz.
- Galtung, Johan (1972). "Eine strukturelle Theorie des Imperialismus", in: Dieter Senghaas (ed.): *Imperialismus und strukturelle Gewalt. Analysen über abhängige Reproduktion*. Frankfurt/Main: Suhrkamp, 29-104.
- _____ (1979). "Gewalt, Frieden und Friedensforschung", in: Dieter Senghaas (ed.): *Kritische Friedensforschung*. Frankfurt/Main: Suhrkamp, 55-104.
- Gellner, Ernest (1964). *Thought and Change*. Chicago: The Univ. of Chicago Press.
- _____ (1983) *Nations and Nationalism*. Oxford: Blackwell.

- Gershoni, Israel (1986). "The Muslim Brothers and the Arab Revolt in Palestine, 1936-1939", in: *Middle Eastern Studies* 22:3, 367-397.
- Geyer, Dietrich (1985). Zwischen Bildungsbürgertum und Intelligenzija: Staatsdienst und akademische Professionalisierung im Vorrevolutionären Rußland, in: Werner Conze und Jürgen Kocka (Hrsg.): *Bildungsbürgertum im 19. Jahrhundert*, Stuttgart: Klett-Cotta, 207- 230.
- Ghabra, Shafeeq N. (1987). *Palestinians in Kuwait. The Family and the Politics of Survival*. Denver, Col.: Westview Special Studies on the Middle East.
- _____ (1991). "The Iraqi Occupation of Kuwait: An Eyewitness Account", in: *JPS* 78 (winter), 112-125.
- Glazer, Steven (1980). "The Palestinian Exodus in 1948", in: *JPS* 36 (summer), 96-118.
- Glubb, John Bagot (1957). *A soldier with the Arabs*. London: Hodder and Stoughton.
- _____ (1984). *Glubb Pasha. A Biography (by James Lunt)*, London: Harvill Press.
- Golan, Galia (1980). *The Soviet Union and the Palestine Liberation Organization*. New York: Praeger.
- _____ (1988). *The Soviet Union and National Liberation Movements in the Third World*, Boston: Unwin Hyman.
- Gomaa, Ahmed M. (1977). *The Foundation of the League of Arab States. Wartime diplomacy and inter-Arab politics*. London-New York: Longman.
- Gorokhoff, Philippe (1985). "Les Palestiniens au Koweït", in: *CERMOC: Migrations et changements sociaux dans l'Orient Arabe*, Beirut, 37-83.
- Grace, Anne (1990). "The Tax Resistance at Bayt Sahur", in: *JPS* 70 (Winter), 99-107.
- Graham-Brown, Sarah (1984). "The Economic Consequences of the occupation", in: Naseer Aruri: *Occupation: Israel over Palestine*. London: Zed Press, 167-222.
- _____ (1984b). "Impact on the Social Structure of Palestinian Society", in: *ibid.*: 223-267.
- Granqvist, Hilma (1975). *Marriage conditions in a Palestinian village, vol. I and II*. New York: AMS Press (original copy Helsingfors 1931 und 1935).
- Gresh, Alain (1984). *The PLO: The Struggle within. Towards an Independent Palestinian State*. London: Zed Press (French original 1983 Paris: SPAG-Papyrus).
- _____ (1984a). "OLP: vingt ans après", in: *Maghreb/Machreq* 104 (avril-juin), 37-50.
- _____ (1991). "Les Palestiniens dans le grand jeu", in: *Le Monde Diplomatique* 445, 1 et 10.

- Gurr, Ted (1970). *Why Men Rebel*. Princeton: Princeton Univ. Press.
- Haas, Marius (1975). *Husseins Königreich. Jordaniens Stellung im Nahen Osten*. München: tuduv.
- Habash, George (1988). "Student Days in Beirut and Beyond", in: *The Jerusalem Quarterly* 48 (fall), 105-110.
- Haddad, E. N. (1921). "Political Parties in Syria and Palestine (Qaisi and Yemeni)", in: *Journal of the Palestine Oriental Society* 1, 209-214.
- Haim, Sylvia (ed.) 1976 (1962). *Arab Nationalism. An Anthology*. Berkeley-Los Angeles: University of California Press.
- Hajjar, George (1974). *Kanafani: Symbol of Palestine*. Karoun (Lebanon): Published by George Hajjar.
- Halbrook, Stephen P. (1982). "Left Hegelianism, Arab Nationalism and Labor Zionism", in: *Journal of Libertarian Studies* VI:2 (spring), 181-199.
- Hamid, Rashid (1975). "What is the PLO?", in: *JPS* 16 (summer), 90-109.
- Hanf, Theodor (1969). *Erziehungswesen in Gesellschaft und Politik des Libanon*. Bielefeld.
- al-Haq (1988). *Punishing a Nation*. Ramallah.
- Harkabi, Yehoshafat 1970 (first 1968). "Fedayeen Action and Arab Strategy", in: *Adelphy Papers* 53, London: Institute of Strategic Studies.
- _____ (1974). *Palestinians and Israel*. Jerusalem: Keter Publ. House Ltd.
- _____ (1975). "The Palestinians in the fifties and their awakening as reflected in their literature", in: Moshe Maoz (ed.): *Palestinian Arab Politics*. Jerusalem: Jerusalem Academic Press, 51-90.
- _____ (1979). *Das Palästinensische Manifest und seine Bedeutung*. Stuttgart: Seewald.
- _____ (1989). *Israel's Fateful Decisions*. London: J. B. Tauris.
- Hart, Alan (1984). *Arafat. Terrorist or Peacemaker?*. London: Sidgwick Jackson.
- _____ (1989). *Arafat. A Political Biography*. Bloomington: Indiana Univ. Press.
- Hartmann, Richard (1944). "Arabische politische Gesellschaften bis 1914. Ein Beitrag zur Entwicklung des arabischen Nationalismus", in: R. Hartmann und H. Scheel (Hrsg.): *Beiträge zur Arabistik, Semitistik und Islamwissenschaft*. Leipzig: Harrassowitz, 439-467.
- Hassouna, Hussein A. (1975). *The League of Arab States and Regional Disputes. A study of Middle East conflicts*. Dobs Ferry, N. Y.: Oceana Publishers.
- Hattis, Susan Lee (1970). *The Bi-National Idea in Palestine During Mandatory Times*. Tel Aviv: Shikmona Publishing Company.
- Heacock, Roger and Jamal Nassar (ed.) (1990). *Intifada: Palestine at the Crossroads*. New York: Praeger Publishers.

- Heller, Mark E. (1983). *A Palestinian State: The implications for Israel*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press.
- Heller, Joseph (1984). "Bernadotte's mission to Palestine 1948", in: *Middle Eastern Studies* 20:4 (October), 224-232.
- Hilal, Jamil (1976). "Class transformation in the West Bank and Gaza", in: *MERIP Reports* 53 (December), 9-15.
- Himadeh, Said B. (ed.) (1938). *The Economic Organization of Palestine*. Beirut: The American Press.
- Hirst, David (1983) (reprint, first 1977). *The Gun and the Olive-Branch: The roots of violence in the Middle East*. New York: Futura Publishers.
- _____ (1990). "Arafat damaged by his dance with the devil", in: *Guardian Weekly*. September 2, 9.
- Hobsbawm, Eric J. (1959). *Primitive Rebels. Studies in Archaic Forms of Social Movements in the 19th and 20th Centuries*. Manchester: Manchester Univ. Press.
- _____ (1972). "Anmerkungen über den Nationalismus", in: *Wiener Tagebuch* 7/8 (Juli-August), 26-32.
- _____ (1978) "Bemerkungen zu Tom Nairns «Modern Janus»", in: *Nationalismus und Marxismus*. Berlin: Rotbuch Verlag, 45-77.
- Höpp, Gerhard (1978). "Vom Nationalismus zum Sozialismus - Zu Geschichte und Ideologie der «Bewegung der Arabischen Nationalisten» 1949-1975", in: *Die Große Sozialistische Oktoberrevolution und der revolutionäre Weltprozess*. Bd. 3, Berlin (DDR), 315-337.
- _____ (1982). "Das Verständnis von Klassen und Klassenkampf als Gegenstand und Moment ideologischer Auseinandersetzungen in arabischen Ländern", in: Martin Robbe und Herausgeberkollegium: *Geistige Profile Asiens und Afrikas. Aktuelle Fragen der ideologischen Auseinandersetzung in der nationalen Befreiungsbewegung*. Berlin (DDR): Akademie- Verlag, 155-189.
- _____ (1982a). "Zur Entwicklung der strategisch-taktischen Konzeption der 'Bewegung der Arabischen Nationalisten' und ihrer palästinensischen Nachfolgeorganisationen (1948-1980)", in: *Asien, Afrika, Lateinamerika* 10:3, 446-460.
- Hoexter, Miriam (1973). "The Role of the Qays and Yaman Factions in local political Divisions: Jabal Nablus Compared with the Judean Hills in the First Half of the Nineteenth Century", in: *Asian and African Studies* (Jerusalem) 9:3, 249-311.
- Hollstein, Walter 1977 (first 1972). *Kein Frieden um Israel. Zur Sozialgeschichte des Palästina-Konfliktes*. Bonn: pdw.
- Hourani, Albert (ed.) (1981). *The Emergence of the Middle East*. London: MacMillan Press.
- _____ 1983 (1962). *Arabic thought in the liberal age*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.

- Hourani, Cecil (1949). "Review of Zurayk's Ma'na An-Nakba", in: *MEJ* 3:4 (October), 469-470.
- al-Hout, Bayan Nuweihid (1979). "The Palestinian Political Elite During the Mandate", in: *JPS* 33 (autumn), 85-111.
- al-Hout, Shafiq (1982). "Palestine and the Gulf: A Palestinian Perspective", in: Rashid Khalidi and Camille Mansour (ed.): *Palestine and the Gulf*. Beirut: IPS, 265-291.
- Hroch, Miroslav (1965). "Zur sozialen Charakteristik der Intelligenz in der ersten Hälfte des 19. Jahrhunderts", in: *Wissenschaftliche Zeitschrift der Friedrich-Schiller-Universität Jena. Gesellschafts- und Sprachwissenschaftl. Reihe* 14:2, 230-233.
- _____ (1969). *Die Vorkämpfer der nationalen Bewegung bei den kleinen Völkern Europas. Eine vergleichende Analyse zur gesellschaftlichen Schichtung der patriotischen Gruppen*. Prag: Universita Karlova.
- Hudson, Michael (1972). "Developments and setbacks in the Palestinian Resistance Movement 1967-1971", in: *JPS* 3 (spring), 64-84.
- _____ (1977). *Arab Politics. The search for legitimacy*. New Haven and London: Yale Univ. Press.
- _____ (1981). "Social mobilization theory and Arab politics", in: Richard L. Merritt and Bruce M. Russett (ed.): *From national development to global community. Essays in honor of Karl W. Deutsch*, London: George Allen and Unwin, 46-69.
- Huntington, Samuel P. (1968). *Political order in changing societies*. New Haven and London: Yale Univ. Press.
- Husaini, M. (1956). *The Muslim Brethren*. Beirut.
- Hutchison, E. H. (1956). *Violent Truce. A military observer looks at the Arab-Israeli conflict 1951-1955*. London: Devin-Adair Company.
- Ibrahim, Muhsin (1968). "Arab Socialism in the Making", in: Kemal Karpaz (ed.): *Political and social thought in the contemporary Middle East*. New York: Praeger.
- Inbari, Pinhas (1988). *The Palestinian Option. The PLO Facing the Zionist Challenge (Hebrew)*. Jerusalem: Karmel Publishing House.
- Ionescu, Ghita and Ernest Gellner (ed.) (1969). *Populism. Its meaning and national characteristics*. London: Weidenfeld and Nicolson.
- Ismael, Jacqueline S. (1981). "The alienation of Palestine in Palestinian Poetry", in: *Arab Studies Quarterly* 3:1 (winter), 43-55.
- _____ (1982). *Kuwait. Social Change in Historical Perspective*. Syracuse: Syracuse Univ. Press.
- Ismael, Tareq Y. (1976). "Harakat al-Qawmiyyin al-'Arab. The Arab Nationalist Movement", in: same (ed.): *The Arab Left*. Syracuse, N. Y.: Syracuse Univ. Press, 62-77.

- Issawi, Charles (1955). "The Entrepreneur Class", in: Sydney Nettleton Fisher (ed.): *Social Forces in the Middle East*. Ithaca, 116-136.
- _____ (1982). *An economic history of the Middle East and North Africa*. New York: Columbia Univ. Press.
- Jabra, Jabra I. (1979). "The Palestinian Exile as a Writer", in: *JPS* 30 (winter), 77-87.
- Jackson, Elmore (1983). *Middle East Mission*. New York: W N. Norton.
- Jbara, Taysir (1985). *Palestinian Leader Hajj Amin al-Husayni, Mufti of Jerusalem*. Princeton: Kingston Press.
- Johnson, Chalmers (1966). *Revolutionary Change*. Boston: Little Brown.
- Johnson, Nels (1982). *Islam and the politics of meaning in Palestinian nationalism*. London: Kegan Paul International.
- Jeune, Afrique (1969). Les Frères Ennemis du Front Palestinien s'expliquent. 429 (24.-30.3.), 50-53
- Jreissaty, Jacqueline (1975). "La dispersion palestinienne". in: *Khamsin* 2 (1975), 25-45.
- Kahhaleh, Subhi (1981). *The water problem in Israel and its repercussions on the Arab-Israeli conflict*. Beirut: IPS.
- Kaminer, Reuven (1989). "The Protest Movement in Israel", in: Lockman and Beinun (ed.): *Intifada*. Boston: South End Press, 231-245.
- Kanafani, Anni (1973). "Ghassan Kanafani", in: *Arab Palestinian Resistance* 7 (1973), 42-61.
- Kayyali, 'Abd al-Wahab (1973). *Palestine. A Modern History*, London: Croom Helm.
- Kazziha, Walid M. (1975). *Revolutionary transformation in the Arab World. Habash and his comrades from nationalism to Marxism*. London and Tonbridge: Charles Knight.
- _____ (1979). *Palestine in the Arab Dilemma*. London: Croom Helm.
- Kedourie, Elie und Sylvia Haim (ed.) (1982). *Palestine and Israel in the 19th and 20th centuries*. Totowa, New Jersey, and London: Frank Cass.
- _____ (ed.)(1982a). *Zionism and Arabism in Palestine and Israel*. London: Frank Cass.
- Kerr, Malcolm 1971 (1965): *The Arab Cold War. Gamal 'Abd al-Nasir and his rivals 1958-1970*, London and Oxford: Oxford Univ. Press.
- Khadduri, Majid (1951). "The Scheme of Fertile Crescent Unity. A study in inter-Arab Relations", in: Richard N. Frye (ed.): *The Near East and the Great Powers*. Cambridge, Mass.: Harvard Univ. Press: 137-177.
- Khalidi, Rashid (1984). "The Palestinians in Lebanon: Social repercussions of Israel's invasion", in: *MEJ* 38:2 (spring), 255-266.

- _____ (1986). *Under Siege: P.L.O. Decision-making during the 1982 War*. New York: Columbia Univ. Press.
- _____ (1990). "The 19th PNC Resolutions and American Policy", in: *JPS* 70 (winter), 29-42.
- Khalidi, Tarif (1981). "Palestinian historiography 1900-1948", in: *JPS* 39 (spring), 59-76.
- Khalidi, Walid (1959). "Why did the Palestinians leave?", in: *Middle East Forum* XXXV:7, 21-24 und 35.
- _____ (1961). "Plan Dalet - The Zionist Master Plan for the Conquest of Palestine", in: *ibid.* XXXVII: 9, 22-28.
- _____ (1978). "Thinking the Unthinkable: A Sovereign Palestinian State", in: *Foreign Affairs* 56:4 (July), 695-713.
- _____ (1979). *Conflict and Violence in Lebanon: Confrontation in the Middle Eas*. Cambridge, Mass.: Harvard Center for International Affairs.
- _____ (1991). "The Gulf Crisis: Origins and Consequences", in: *JPS* 72 (winter), 5-28.
- Khoury, Philip S. (1981). "Factionalism among Syrian Nationalists during the French Mandate", in: *International Journal of Middle East Studies* 13 (November), 441-469.
- _____ (1982). "Tribal shaikh, French tribal policy, and the nationalist movement in Syria between two world wars", in: *Middle Eastern Studies* 18:2 (April), 180-193.
- _____ (1983). *Urban notables and Arab nationalism. The politics of Damascus 1860-1920*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.
- _____ (1984). Syrian Urban Politics in Transition: The quarters of Damascus during the French Mandate, in: *International Journal of Middle East Studies* 16, 507-540.
- _____ (1985). "Divided Loyalties? Syria and the Question of Palestine, 1919-1939", in: *Middle Eastern Studies* 21 (July), 324-348.
- _____ (1987). *Syria and the French Mandate. The Politics of Arab Nationalism. 1920-1945*, Princeton: Princeton Univ. Press.
- Kidron, Peretz and Ellen Cantarow (1980). "Getting rid of the Palestinians", in: *Middle East International* 136 (October 24), 9-12.
- Kimche, Jon and David (1961). *Both Sides of the Hill. Britain and the Palestine War*. London: Seeker and Warburg.
- Kirkbridge, Alex Sir (1956). *A crackle of thorns*, London: J. Murray
- _____ (1976). *From the wings. Amman memoirs 1947-1951*. London: Frank Cass.
- Klieman, Aaron S. (1982). "The Arab States and Palestine", in: Elie Kedourie and Sylvia G. Haim (ed.): *Zionism and Arabism*, 118-136.

- Kohn, Hans (1948). *The Idea of Nationalism. A study in its origins and background*. New York: The MacMillan Company.
- Kossaifi, George (1980). "Demographic Characteristics of the Arab Palestinian People", in: Khalil Nakhleh and Elia Zureik (ed.): *The Sociology of the Palestinians*. London: Croom Helm, 13-46.
- Kostiner, Joseph (1981). Arab Radical Politics: Al-Qawmiyyun al-Arab and the Marxists in the turmoil of South Yemen, 1963-1967, in: *Middle Eastern Studies* 17:4 (October), 454-476.
- _____ (1984). *The Struggle for South Yemen*. London: Croom Helm.
- Krasner, Stephen (1984). "Alternative Conceptions and Historical Dynamics: Approaches to the State (Review Article)", in: *Comparative Politics* 16:2. (January), 223-246.
- Krippendorff, Ekkehard (1977). *Internationale Beziehungen als Wissenschaft*. Einführung 2, Frankfurt/Main: Campus.
- _____ (1985). *Staat und Krieg. Die historische Logik politischer Unvernunft*. Frankfurt/Main: edition suhrkamp.
- Kupferschmidt, Uri M. (1983). "Islam on the Defensive: The Supreme Muslim Council's Role in Mandatory Palestine", in: *Asian and African Studies* 17 (1983), 175-206.
- Kuroda, Alice K. and Yasumasa (1978). *Palestinians without Palestine. A study of political socialization among Palestinian Youths*. Washington D. C.: Univ. Press of America.
- Kuttab, Daoud (1988). "A Profile of the Stone Throwers", in: *JPS* 67 (spring), 14-23.
- Laclau, Ernesto (1981). *Politik und Ideologie im Marxismus. Kapitalismus-Faschismus-Populismus*. Berlin: Argument-Verlag.
- Legrain, Jean François (1986). "Islamistes et lutte nationale Palestinienne dans les Territoires Occupés par Israël", in: *Revue Française de Science Politique* 36:2. (avril), 227-247.
- _____ (1988). "Les Islamistes Palestiniens à l'épreuve du soulèvement", in: *Maghreb/Machreq* 121 (juillet-septembre), 5-42.
- _____ 1991: "The Islamic Movement and the Intifada", in: Roger Heacock and Jamal Nassar (ed.): *Palestine at the Crossroads*. New York: Praeger, 175-190.
- Lemberg, Eugen (1964). *Nationalismus, 2 Bände*. Reinbek bei Hamburg: Rowohlt.
- _____ 1974 (1971). *Ideologie und Gesellschaft. Eine Theorie der ideologischen Systeme, ihrer Struktur und Funktion*. Stuttgart: Kohlhammer.
- Lesch, Ann M. (1979). *Arab Politics in Palestine 1917-1939. The Frustration of a Nationalist Movement*. Ithaca and London: Cornell Univ. Press.
- _____ (1979a). "Israeli Deportation of Palestinians from the West Bank and the Gaza Strip: 1967-1978", in: *JPS* 8:2 (winter), 101, 131 and 8:3 (spring), 80-112.

- _____ (1979b). "Palestinian Politics and the Future of Arab-Israeli Relations", in: Robert O. Freedman (ed.): *World Politics and the Arab-Israeli Conflict*. New York: Pergamon Press, 218-234.
- _____ (1980). *Political Perceptions of the Palestinians on the West Bank and the Gaza Strip*. Washington, D. C.: The Middle East Institute.
- _____ (1990). "Prelude to the uprising in the Gaza Strip", in: *JPS* 77 (autumn), 1-23.
- _____ (1991). Contrasting Reactions to the Persian Gulf Crisis: Egypt, Syria, Jordan and the Palestinians. in: *Middle East Journal* 45,1 (winter), 30- 50.
- Lipset, Seymour Martin (1967). "University Students and Politics in Underdeveloped Countries", in: - (ed.): *Student Politics*. New York: Basic Books.
- Lockman, Zachary and Joel Beinin (ed.). (1989). *Intifada. The Palestinian Uprising against Israeli Occupation*. Boston: South End Press. A MERIP Book.
- Longuenesse, Elisabeth (1982). "Structures de Classe au Proche Orient", in: *Peuples Méditerranéens* 20 (Juillet-Sept.), 167-185.
- Louis, W. M. Roger/Robert W. Stookey (1986). *The End of the Palestine Mandate*. Austin: The Univ. of Texas Press.
- Love, Kenneth (1969). *Suez: The Twice-Fought War*. New York: McGraw- Hill.
- Lowi, Miriam (1984). *The Politics of Water. The Jordan River and the Riparian States*. Montreal: McGill Studies in International Development.
- Lukacs, Yehuda and Abdalla M. Battah (eds.) (1988). *The Arab-Israeli Conflict. Two Decades of Change*. Denver, Col.: Westview Press.
- Lunt, James (1984). *Glubb Pasha: A Biography*. London: Harvill Press.
- MacDonald, Robert W. (1965). *The League of Arab States. A study in the dynamics of regional organization*. Princeton: Princeton Univ. Press.
- Mahr, H. (1971). *Die Ba'th Partei. Portrait einer panarabischen Bewegung*. München.
- Ma'oz, Moshe (ed.) (1975). *Palestinian Arab Politics*. Jerusalem: Jerusalem Academic Press.
- _____ (1984). *Palestinian Leadership in the West Bank*. London: Frank Cass.
- Mattar, Philip (1988). *The Mufti of Jerusalem. Al-Hajj Amin al-Husayni and the Palestinian National Movement*. New York: Columbia Univ. Press.
- Matar, Ibrahim (1984). "Israeli Settlements and Palestinian Rights", in: Naseer Aruri (ed.): *Occupation over Palestine*. London, 117-141.
- Mattes, Norbert (Hrsg.) (1991). "Wir sind die Herren und ihr putzt uns die Schuhe". Der Nahe Osten vor und nach dem Golfkrieg. Frankfurt/Main. Dagvli-Verlag.
- Mayer, Thomas (1982). "The Military Force of Islam. The Society of the Muslim Brethren and the Palestine Question, 1945-1948", in: E. Kedouri and S. Haim (eds.): *Zionism and Arabism in Palestine and Israel*. London: Frank Cass, 100-117.

- _____. (1983). *Egypt and the Palestine Question 1936-1945*. Berlin: Klaus Schwarz Verlag.
- McDowall, David (1989). *Palestine and Israel. The Uprising and Beyond*, Berkeley. The University of California Press.
- Mehnert, Klaus (1963). "The Social and Political Role of the Intelligentsia in the New Countries", in: Kurt London (ed.): *New Nations in a Divided Role. The International Relations of the Afro-Asian States*. New York: Praeger, 121-133.
- Mejcher, Helmut (1981). Palästina in der Nahostpolitik Europäischer Mächte und der Vereinigten Staaten von Amerika 1918-1948, in: H. Mejcher und A. Schölch (ed.): *Die Palästina-Frage 1917-1948*. Paderborn.. Schöningh, 163-216.
- Mertz, Robert Anton (1970). "Why George Habash Turned Marxist", in: *Mid East X*:4 (1970), 31-36.
- Meyer, T. (1980). *Am Ende der Gewalt? Der deutsche Terrorismus - Protokoll eines Jahrzehnts*. Frankfurt/Main.
- Migdal, John S. (1980). *Palestinian society and politics*. Princeton, N. J.: Princeton Univ. Press.
- _____. (1977). :Urbanization and Political Change: The Impact of foreign Rule:, in: *Comparative Studies in Society and History* 19:3 (July), 328-349.
- _____. (1978). "State and Society in a Society without a State", in: Gabriel Ben-Dor (ed.): *The Palestinians and the Middle East Conflict*. Haifa: Turtledove Publ., 377-400.
- Miller, Aaron David (1986). *The Arab States and the Palestine Question: Between Ideology and Self-Interest*. New York: Praeger Special Studies.
- Miller, Ilana N. (1985). *Government and Society in Rural Palestine 1920-1948*. Austin: University of Texas Press.
- Mishal, Shaul (1978). *West Bank/East Bank. The Palestinians in Jordan 1949-67*. New Haven and London: Yale University Press.
- _____. (1986). *The PLO under Arafat: Between Gun and Olive Branch*. New Haven: Yale University Press.
- Mitchell, Richard P. (1969). *The Society of the Muslim Brothers*. London: Oxford University Press.
- Moore, Barrington (1982). *Ungerechtigkeit. Die sozialen Ursachen von Unterordnung und Widerstand*. Frankfurt/M.: Suhrkamp.
- Morris, Benny (1987). *The birth of the Palestinian refugee problem, 1947-1949*. Cambridge: Cambridge University Press.
- _____. (1990). *1948 and After*. London: Oxford University Press.
- Murray, Robin (1971). "The Internationalization of Capital and the Nation State", in: *New Left Review* 67 (May-June), 84-109.
- Muslih, Muhammad Y. (1976). Moderates and Rejectionists within the Palestine Liberation Organization. in: *MEJ* 30:2 (spring), 127-140.

- _____. (1988). *The Origins of Palestinian Nationalism*. New York: Columbia University Press.
- Nakhleh, Khalil (1980). "Palestinian Intellectuals and Revolutionary Transformation", in: - and Elia Zureik (ed.): *The Sociology of the Palestinians*. London: Croom Helm, 176-199.
- _____ and Elia Zureik (ed.) (1980). *The Sociology of the Palestinians*, London: Croom Helm.
- Nashabe, Hisham (ed.) (1988). *Studia Palaestina, Studies in honour of Constantine Zurayk*. Beirut (Arabic and English).
- Nashif, Taysir (1979). *The Palestine Arab and Jewish Political Leadership*. New York: Asia Publ. House.
- Nazzal, Nafez (1978). *The Palestinian Exodus from Galilee 1948*. Beirut.
- Nevo, Joseph (1978). "Abdallah and the Arabs of Palestine", in: *Wiener Library Bulletin* XXI (new series 45/46), 51-62.
- _____ (1984). "Al-Hajj Amin and the British in World War II", in: *Middle Eastern Studies* 20:1 (January), 3-16.
- _____ (1987). "The Arabs of Palestine 1947-1948: Military and Political Activity", in: *Middle Eastern Studies* 23:1 (January), 3-38.
- Nieuwenhuijze, C.A.O. van (ed.) (1977). *Commoners, climbers and notables. A sampler of studies on social ranking in the Middle East*, Leiden: E. J. Brill.
- Nusseibeh, Sari (1988). "Time for Palestinian Offensives", in: *Middle East International*, Dec.2, 1988, 17-18.
- Ovendale, Ritchie (1984). *The Origins of the Arab-Israeli Wars*. London: Longman.
- Owen, Roger (1981). *The Middle East in the World Economy 1800-1914*. London and New York: Methuen.
- _____ (ed.) (1982). *Studies in the Economic and Social History of Palestine in the nineteenth and twentieth Centuries*. London: MacMillan Press Ltd.
- Pappe, Ilan (1988). *Britain and the Arab-Israeli Conflict, 1948-1951*. London: MacMillan Press.
- Partisans 52 (mars-avril 1970): Special issue: Le peuple Palestinien en marche.
- Pearlman, Maurice (1947). *Mufti of Jerusalem: The Story of Hajj Amin el-Husseini*. London: Victor Gollancz.
- Pedhazur, Reuben (1989a). "Water from the Boulder of Contention", in: *Ha'aretz*, April 25, 1989 (Hebrew), translated by Israel Shahak: Press Service. Collection: The Israeli Theft of Water from the Territories and the Water Problem in Palestine in general.
- _____ (1989b). "The Common Faucet. Any future settlement in the West Bank will have to guarantee Israeli supervision over the water resources and include the participation of Jordan, which controls the Yarmuk-River", in: *Ha'aretz*, May 3, 1989 (Hebrew), translated by Israel Shahak, *ibid*.

- Peri, Yoram (1983). *Between Battles and Ballots. Israeli Military in Politics*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.
- _____ (1990). "Getting the Territories Out of the IDF", in: *New Outlook* (April), 8-10.
- Persson, Sune O. (1979). *Mediation and Assassination: Count Bernadotte's Mission to Palestine 1948*. London: Ithaca Press.
- Peters, Rudolph (1979). *Islam and Colonialism - The Doctrine of Jihad in Modern History*. The Hague: Mouton Publishers.
- Petran, Tabettha (1987). *The Struggle over Lebanon*. New York: Monthly Review Press.
- Pfaff, Richard H. (1970). "The Function of Arab Nationalism", in: *Comparative Politics* 2:2 (January), 147-168.
- Picaudou, Nadine (1982). La Bourgeoisie Palestinienne et l'Industrie. Etude socio-historique, in: *Industrialisation et changements sociaux dans l'Orient arabe*. Beirut, Lyon : CERMOC, 347-400.
- _____ (1984) "Genèse des élites politiques palestiniennes, 1948-1982", in: *Revue française de sciences politiques* 34, 2(avril), 324-351.
- Plascov, Avi (1981). *The Palestinian Refugees in Jordan 1948-1957*. London and New York: Frank Cass.
- _____ (1982). "The Palestinians of Jordan's Border", in: Roger Owen (ed.): *Studies in the Economic and Social History of Palestine in the 19th and 20th century*, London: MacMillan Press, 203-241.
- Polk, William, David Stamler and Edmund Asfour (1957). *Backdrop to Tragedy - The Struggle for Palestine*. Boston: Beacon Hill Press.
- Porath, Yehoshua (1968). "Usbat at-taharrur al-watani (The National Liberation League) 1943-1948", in: *Asian and African Studies* (Jerusalem), IV,1-21.
- _____ (1971). "Al-Hajj Amin al-Husayni. Mufti of Jerusalem - his Rise to Power and the Consolidation of his Position", in: *Asian and African Studies* (Jerusalem) 7, 121-156.
- _____ (1972). "The Palestinians and the Negotiations for the British-Hijazi Treaty, 1920-1925", in: *ibid.* 8,1, 20-48.
- _____ (1973). "Social Aspects of the Emergence of the Palestinian Arab National Movement", in: Menahem Milson (ed.): *Society and Political Structure in the Arab World*. New York, 93-144.
- _____ (1973a). "A Muslim view of the history of Greater Syria", in: *Asian and African Studies* (Jerusalem) 9,1, 87-90.
- _____ (1974). *The Emergence of the Palestinian-Arab National Movement: 1918-1929*. London. Frank Cass.
- _____ (1977). *The Palestinian Arab National Movement. From Riots to Rebellion*. vol. 2, London: Frank Cass.

- _____ (1978). "Palestinian and Pan-Arab Nationalism, 1918-1939", in: *Wiener Library Bulletin XXXI* (New series 45-46), 29-39.
- _____ (1984). "Abdallah's Greater Syria Programme", in: *Middle Eastern Studies* 20, 2 (April), 172-189.
- _____ (1986). *In Search of Arab Unity, 1930-1945*. London: Frank Cass.
- Poulantzas, Nicos (1973). *Die Internationalisierung der kapitalistischen Produktions-verhältnisse und der Nationalstaat*. Berlin: Merve Verlag.
- Quandt, William P., Fuad Jabber and Ann M. Lesch (1973). *The Politics of Palestinian Nationalism*. Berkeley: Univ. of California Press.
- Quandt, William P. (1977). *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976*. Berkeley: Univ. of California Press.
- _____ (1978). "U.S. policy in the Jordan Crisis, 1970", in: Barry M. Blechman and Stephen S. Kaplan (eds.): *Force Without War: U.S. Armed Forces as a Political Instrument*. Washington D.C.: Brookings Inst.
- _____ (1984). "Reagan's Lebanon Policy: Trial and Error", in: *MEJ* 38 (spring), 237-254.
- _____ (1986). *Camp David: Peacemaking and Politics*. Washington D.C.: Brookings Inst.
- _____ (1988). *The Middle East. Ten Years after Camp David*. Washington D.C.: Brookings Inst.
- Qasimiyya, Chairiyya (1981). "Palästina in der Politik der arabischen Staaten 1918-1948", in: *Helmut Mejcher und Alexander Schölch (Hrsg.): Die Palästina-Frage 1917-1948*. Paderborn: Schöningh, 119-162.
- Qutub, Ishaq (1961). "Social change in rural Jordan: The rise of the middle class", in: *Middle East Forum* 37, 10 (Dec.), 40-44.
- Rabin, Yitzhak (1979). *The Rabin Memoirs*. New York: Little, Brown and Co.
- Rabinovich, Itamar (1978). "Syria, Israel and the Palestine Question 1945-77", in: *Wiener Library Bulletin XXXI* (new series 47-48), 135-141.
- Raouf, Fouad (pseudonym) (1974). "La société Palestinienne", in: *Politique Aujourd'hui* no. 5-6-7 (mai-juin-juillet), 57-70.
- El-Rayyes, Riad N. and Dunia Nahas (1974). *Guerillas for Palestine. A study of the Palestinian commando organizations*. Beirut: An-Nahar Arab Report Books.
- Reilly, James (1981). "The Peasantry of late Ottoman Palestine", in: *JPS* 40 (summer), 82-97.
- Rejwan, Nissim (1958). Arab Nationalism in Search of an Ideology, in: Walter Z. Laqueur (ed.): *The Middle East in Transition*. New York: Praeger, 155-157.
- Revue d'Etudes Palestiniennes (1984). *Special Issue 20 Years PLO*, 14 (winter).
- Rodinson, Maxime (1968). "Le Marxisme et la Nation", in: *L'homme et la société* 7 (janvier-mars), 131-149.

- _____ (1970) (reprint, 1968). *Israel and the Arabs*, Harmondsworth. Penguin.
- _____ (1972). *Marxisme et Monde Musulman*. Paris: Ed. du Seuil.
- _____ (1972a). "Problématique de l'étude des rapports entre Islam et communisme", in: *ibid.*, 130-180.
- _____ (1975). Nation et Idéologie. in: *Encyclopaedia Universalis II*, Paris, 571-575.
- _____ (1975a). "Qu'est-ce que les Palestiniens?", in : *La Nouvelle Critique* 82 (63), nouvelle série (mars), 55-67.
- _____ (1983). "Un cas très particulier de l'histoire de la décolonisation, la Palestine", in: *Hérodote* 29-30 (avril-sept.), 187-214.
- _____ and Ernest Mandel (1971). "Nationalisme et lutte de classes. Débat", in: *Partisans* 59-60 (mai-août), 42-58.
- _____ (1988). "Al-wa'y al-qaumi et sa place dans l'évolution de la pensée nationaliste arabe", in : Hisham Nashabe: *Studia Palaestina. Studies in honour of Constantine Zurayk*. Beirut: JPS.
- Rouleau, Eric (1984). *Les Palestiniens d'une guerre à l'autre*, Paris: La Découverte.
- Rubenberg, Cheryl (1983). *The Palestinian Liberation Organization. Its Institutional Infrastructure*, Belmont. Mass.: Institute of Arab Studies.
- _____ (1983a). "The civilian infrastructure of the Palestine Liberation Organization", in: *JPS* 47 (spring), 54-78.
- _____ (1986). *Israel and the American National Interest. A critical examination*. Urbana and Chicago: The Univ. of Illinois Press.
- Rustow, Dankwart (1966). "The Study of Elites. Who's Who, When, and How", in: *World Politics* 18, 690-717.
- Saab, Eduard (1967). "Les «Harakiyines» sont-ils une 3ème force?", in: *Jeune Afrique* 318, 20-21.
- Sabatello, E. (1985). *The Population of the Administered Territories*. Jerusalem: West Bank Data Base Project.
- Sabella, Bernard (ed.) (1991). *Palestinian Assessments of the Gulf War and its Aftermath*. Jerusalem: PASSIA.
- Safran, Nadav (1978). *Israel: Embattled Ally*. Cambridge, Mass.: Belknap Press.
- Said, Edward W. (1980). *The Question of Palestine*. London: Routledge and Kegan Paul.
- _____ (1988) (ed.): *Blaming the Victims. Spurious Scholarship and the Palestine Question*. London: Verso.
- _____ 1988a: "The Essential Terrorist", in: *ibid.*, 149-158.
- _____ and Fuad Suleiman (ed.) (1973). *The Arabs Today - Alternatives for Tomorrow*. Columbus, Ohio: Forum Assoc. Inc.

- Saleh, Abdul Jawad (1987). *Israel's Policy of De-Institutionalization. A Case Study of Palestinian Local Governments*. London: Jerusalem Center for Development Studies.
- Salinger, Pierre (1991). "Faltering steps in the sand", in: *The Guardian*, February 4.
- _____ and Eric Laurent (1991). *Guerre de Golfe: Le Dossier Secret*. Paris: Editions Olivier Orban.
- Sanbar, Elias (1982): "Territorialités Palestiniennes: La communauté nationale Palestinienne et l'idée de Retour", in: *Peuples méditerranéens* 18 (janvier-mars), 129-142.
- _____ (1984). *Palestine 1948. L'expulsion*. Paris: Institut d'Etudes Palestiniennes.
- Sayegh, Anis (1970). *Palestine and Arab Nationalism*. Beirut: PLO-Research Center.
- Sayigh, F.A. (1979). "The Camp David Agreement and the Palestine Problem", in: *JPS* 30 (winter), 3-40.
- Sayigh, Rosemary (1977). "The Palestinian Identity among Camp Residents", in: *JPS* 23 (Spring), 3-22.
- _____ (1978). "The struggle for survival. The economic conditions of Palestinian refugees in Lebanon", in: *ibid.* 26 (Winter), 101-119.
- _____ (1979). *The Palestinians: From Peasants to Revolutionaries*. London: Zed Press.
- Sayigh, Yezid (1986). "Palestinian Armed Struggle: Means and Ends". in: *JPS* 61 (Autumn), 95-112.
- _____ (1989). "The intifadah continues: legacy, dynamics and challenges", in: *Third World Quarterly* 11:3 (July), 20-49.
- _____ (1989a). "Struggle within, struggle without: The transformation of PLO politics since 1982", in: *International Affairs* 65:2 (Spring), 247-271.
- Schechtman, Joseph B. (1965). *The Mufti and the Führer: The Rise and Fall of Haj Amin el-Husseini*. New York: Thomas Yoseloff.
- Scheffler, Thomas (1984). "Review of David Thomas Schiller 1982", in: *PVS-Literatur* 25:1, 113-11.
- Schieder, Theodor (1969). *Zum Problem des Staatenpluralismus in der modernen Welt*. Köln und Opladen: Westdeutscher Verlag.
- Schiff, Ze'ev and Ehud Ya'ari (1984). *Israel's Lebanon War*, New York: Simon and Schuster.
- _____ (1990). *Intifada. The Palestinian Uprising - Israel's Third Front*, New York and London: Simon and Schuster (Hebrew edition 1989).
- Schiller, David Thomas (1982). *Palästinenser zwischen Terrorismus und Diplomatie. Die paramilitärische palästinensische Nationalbewegung von 1918-1981*. München: Bernard und Graefe.

- _____ (1988). "A Battlegroup Divided: The Palestinian Fedayeen", in: David C. Rapoport (ed.): *Inside Terrorist Organizations*. New York: Columbia Univ. Press, 90-108.
- Schleifer, Abdallah (1972). *The Fall of Jerusalem*. New York: Monthly Review Press.
- Schölch, Alexander und Helmut Mejcher (Hrsg.) (1981). *Die Palästina-Frage 1917-1948*. Paderborn: Schöningh.
- Schölch, Alexander (1981). "Europa und Palästina 1838-1917", in: *ibid.*, 11-46.
- _____ (1981a). "Zum Problem eines außereuropäischen Feudalismus: Bauern, Lokalherren und Händler im Libanon und in Palästina in osmanischer Zeit", in: *Peripherie II*:5/6 (Sommer/Herbst), 107-121.
- _____ (1981b). "Economic Development of Palestine 1856-1882", in: *JPS* 39 (spring), 35-58.
- _____ (1982). "European Penetration and the Economic Development of Palestine 1856-1882", in: Roger Owen (ed.): *Studies in the Economic and Social History of Palestine in the 19th and 20th centuries*, London, 10-87.
- _____ (1982a). "Das Dritte Reich, die Zionistische Bewegung und der Palästina-Konflikt", in: *Vierteljahreshefte für Zeitgeschichte* 30: 4 (Oktober), 646-674.
- _____ (1986). *Palästina im Umbruch 1856-1882. Untersuchungen zur wirtschaftlichen und soziopolitischen Entwicklung*. Stuttgart: Steiner. (translated into English and Arabic).
- _____ (1987). "Der arabische Osten im neunzehnten Jahrhundert 1800-1914", in: Ulrich Haarmann (Hrsg.): *Geschichte der arabischen Welt*. München: C.H. Beck, 365-431.
- Schueftan, Dan (1983). "The PLO after Lebanon", in: *Jerusalem Quarterly* 28 (summer), 3-24.
- Schwedler, Hanns-Uve (1985). *Arbeitsmigration und urbaner Wandel. Eine Studie über Arbeitskräftewanderung und räumliche Segregation in orientalischen Städten am Beispiel Kuwaits*. Berlin.
- Seale, Patrick (1965). *The struggle for Syria. A study of post-war Arab politics 1945-1958*. London: Oxford Univ. Press.
- _____ (1988). *Asad: The Struggle for the Middle East*. London: I.B. Tauris.
- Seccombe, Jan. J. (1983). "Labour migration to the Arabian Gulf. Evolution and characteristics 1920-1950, in: *British Society for Middle Eastern Studies*, Bulletin 10:1, 3-20.
- Senghaas, Dieter (1977). *Weltwirtschaftsordnung und Entwicklungspolitik. Plädoyer für Dissoziation*, Frankfurt/Main: Suhrkamp.
- _____ (1982). *Von Europa lernen. Entwicklungsgeschichtliche Betrachtungen*. Frankfurt/Main: Suhrkamp.
- Sha'ath, Nabil (1971). "The Palestine of Tomorrow", in: *International Socialist Review* 32:8 (September), 24-30, 41-45.

- _____ (1972). "High Level Palestinian Manpower". in: *JPS* 2 (winter), 80-95.
- Shadid, Mohammed and Rick Seltzer (1988). "Trends in Palestinian Nationalism. Moderate, Radical and Religious Alternatives", in: *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies* XI:4 (summer), 54-69.
- _____ (1988a). "Political Attitudes of Palestinians in the West Bank and the Gaza Strip", in: *MEJ* 42:1 (winter), 16-32.
- Shahak, Israel. "Israeli Apartheid and the Intifada", in: *Race and Class* 30:1 (July-Sept.), 1-12.
- _____ (1989). Press-Service. Collection: The Israeli Theft of Water from the Territories and the Water Problem in Palestine in General.
- _____ (1990). Press-Service. Collection: *The crisis between the Palestinians and the Zionist Left*.
- _____ (1991). Press-Service. Collection: *The Zionist Left again and especially Yossi Sarid*.
- _____ (1991). Press-Service. Collection: *The Palestinians in the Territories*.
- _____ (1991). Press-Service. Collection: *The U.S.-Israel relations as affecting Israeli strategies*.
- Shammas, Anton (1989). "Der Tag danach – Fallstricke einer Staatengründung. Palästina und Israel", in: *Lettre International* 4 (Frühjahr), 52-56.
- _____ (1991). Staub, Gas, Wüstensturm, in: *Lettre International* 12 (Frühjahr).
- Shanin, Teodor (1966). "The peasantry as a political factor", in: *Sociological Review* 14:5, 5-27.
- Sharabi, Hisham (1957). "The crisis of the intelligentsia in the Middle East", in: *Muslim World* 47, 187-193.
- _____ (1965). "The transformation of ideology in the Arab world", in: *MEJ* 19 (fall), 471-486.
- _____ (1966). *Nationalism and Revolution in the Arab World*, New York: van Nostrand.
- _____ (1969). *Arab Intellectuals and the West: The Formative Years 1875-1914*. Baltimore. Johns Hopkins Press
- _____ (1969a). *Palestine and Israel. The lethal dilemma*. New York: Pegasus.
- _____ (1970). *Palestine Guerillas. Their credibility and effectiveness*. Beirut: IPS.
- _____ (1984). "Looking back at A.U.B", in: *The Jerusalem Quarterly* 30 (winter), 43-49.
- _____ (1988). *Neopatriarchy. A Theory of Distorted Change in Arab Society*. Oxford: Oxford Univ. Press. (translated into Arabic).
- Sharon, Ariel (with David Chanoff) (1989). *Warrior. An Autobiography*. New York: Simon and Schuster.
- Shehadeh, Raja 1988(1985). *Occupier's Law. Israel and the West Bank*. Washington D.C.: IPS.

- _____ 1989 (1988). "Der 'Mythos' von Law and Order", in: *Flores* 1989: Intifada, Berlin. Rotbuch Verlag, 124-128.
- Shemesh, Moshe (1984). The Founding of the PLO 1964, in: *Middle Eastern Studies* 20:4 (October), 105-141.
- _____ (1984a). "The West Bank: Rise and Decline of Traditional Leadership", June 1967 to October 1973. in: *ibid.* 20:3 (July), 290-323.
- _____ (1988). *The Palestinian Entity, 1959-1974: Arab Politics and the PLO*. London: Frank Cass.
- Shihadeh, Aziz (1969). "Why Fatah does not speak for Democratic Palestine. Our way to Palestinian nationhood - A reply to Yasir Arafat. in: *New Middle East* 6 (March), 11-12.
- Shinar, Dov (1987). *Palestinian Voices. Communication and Nation Building in the West Bank*. Boulder, Col.: Lynne Rienner Publ.
- Shlaim, Avi (1988). *Collusion across the Jordan. King Abdallah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine*. Oxford. Clarendon Press.
- Shoufani, Elias (1972). "The fall of a village", in: *JPS* 4 (Summer), 108-121.
- Al-Shuaibi, Issa (1979/80). "The Development of Palestinian Entity-Consciousness", in: *JPS* 33 (autumn), 67-84, 34 (Winter), 50-70, 35 (Spring), 99-124.
- Shwadran, Benjamin (1950). "Jordan annexes Arab Palestine", in: *Middle Eastern Affairs* I:4 (April), 99-111.
- Sigrist, Christian (1973). "Emanzipationsbewegungen in abhängigen Gesellschaften", in: Martin Greiffenhagen (ed.): *Emanzipation, Hamburg: Hoffmann u. Campe*, 365-386.
- Silberman, Gad (1972). "National Identity in Nasserist Ideology, 1952-1970", in: *Asian and African Studies (Jerusalem)* 8:1, 49-85.
- Sinai, Anne and Allen Pollack (ed.) (1977). *The Hashemite Kingdom of Jordan and the West Bank*. New York: American Academic Assoc. for Peace in the Middle East.
- Sirhan, Bassem (1975). "Palestinian Refugee Life in Lebanon", in: *JPS* 14 (winter), 91-107.
- Sivan, Emmanuel (1987). "The Arab Nation-State: In Search of a Usable Past", in: *Middle East Review* XIV:3 (Spring), 21-30.
- Sklar, Richard (1967). "Political Science and National Integration - A radical approach", in: *The Journal of Modern African Studies* 5: 1, 1-11.
- Skocpol, Theda (1979). *States and Social Revolutions*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.
- _____ (1982). "Rentier-State and Shi'a Islam in the Iranian Revolution", in: *Theory and Society* 11:3, 265-283, with a commentary by Nikkie R. Keddic, *ibid.*, 285-292.

_____ (1984). *Vision and Method in Historical Sociology*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.

_____ (1984a). "Emerging Agendas and Recurrent Strategies in Historical Sociology", in: *ibid.*, 356-391.

Slonim, Shlomo (1981). "President Truman, the State Department and the Palestine Question", in: *Wiener Library Bulletin XXXIV* (new series 53-54), 15-29.

Smith, Anthony Douglas (1971). *Theories of Nationalism*. New York: Harper and Row.

_____ (1976). *Nationalist Movements*. London: MacMillan.

_____ (1979). *Nationalism in the Twentieth Century*. Oxford: Martin Robertson.

_____ (1981). *The Ethnic Revival*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.

Smith, Pamela Ann (1975). "Aspects of class structure in Palestinian society, 1948-67", in: Uri Davis et alii (ed.): *Israel and the Palestinians*. London: Quartet, 98-118.

_____ (1984). *Palestine and the Palestinians 1875-1983*. London: Croom Helm.

Smootha, Sammy (1988). "Israel and Palestinians. Is partition Viable?", in: *Middle East Insight* 6:3 (Fall), 28-35.

Sofer, Naim (1976). "The political status of Jerusalem in the Hashemite Kingdom of Jordan 1948-1967", in: *Middle Eastern Studies* 12:1 (January), 73-94.

Stein, Kenneth W. (1984). *The Land Question in Palestine 1917-1939*. Chapel Hill, N. C.: Univ. of North Carolina.

Steinberg, Matti (1988). "The Worldview of Habash's 'Popular Front'", in: *The Jerusalem Quarterly* 47 (summer), 3-26.

_____ (1989). "The Worldview of Hawatmeh's 'Democratic Front'", in: *ibid.* 55 (spring), 23-40.

_____ (1989a). "The Pragmatic Stream of Thought within the PLO according to Khalid al-Hasan", in: *Jerusalem Journal of International Relations* 11:1 (March 1989), 37-57.

Stephens, Marc (1990). *Taxation in the Occupied West Bank 1967-1989*. Ramallah: al-Haq.

Steppat, Fritz (1969). "Eine Bewegung unter den Notabeln Syriens 1877-1878. Neues Licht auf die Entstehung des Arabischen Nationalismus", in: *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Supplement I, XVII Orientierungstag, Teil 2*, Wiesbaden, 631-649.

_____ (1988). "Re-Reading 'The Meaning of the Disaster' in 1985", in: Hisham Nashabe (ed.): *Studia Palaestina*. Beirut: IPS, 12-19.

Steven, Stewart (1980). *The spymasters of Israel*. London: Hodder and Stoughton.

Suleiman, Michael W. (1967). *Political Parties in Lebanon: The challenge of a fragmented political culture*. Ithaca, N.Y.: Cornell Univ. Press.

- Sutcliffe, Claude R. (1974). "Palestinian Refugee Resettlement. Lessons from the East Ghor Canal Project", in: *JPR* XI, 57-62.
- Tamari, Salim (1982). "Factionalism and class formation in recent Palestinian history", in: Roger Owen (ed.). *Studies in the Economic and Social History of Palestine in the nineteenth and twentieth Centuries*. London: MacMillan Press Ltd., 177-202.
- _____ (1983). "In League with Zion: Israel's Search for a Native Pillar", in: *JPS* 48 (summer), 31-66.
- _____ 1990: "The Revolt of the Petite Bourgeoisie: Urban merchants and the Palestinian Uprising", in: Roger Heacock and Jamal Nassar (ed.): *Intifada*, 159-174.
- _____ (1991). "The Next Phase: Problems of Transition", in: Bernard Sabella (ed.): *Palestinian Assessments of the Gulf War and its Aftermath*. Jerusalem: PASSIA, 11-22.
- Taraki, Lisa (1990). "The Development of Political Consciousness among Palestinians in the Occupied Territories, 1967-1987", in: Roger Heacock and Jamal Nassar (ed.): *Intifada*, 53-72.
- Taylor, Alan R. (1982). "The PLO in Inter-Arab Politics", in: *JPS* 42 (winter), 70-81.
- Teveth, Shabtai (1985). *Ben-Gurion and the Palestine Arabs*, Oxford. Oxford Univ. Press.
- Tibawi, A. L. (1956). *Arab Education in Mandatory Palestine*. London.
- _____ (1963). "Visions of the Return. The Palestine Arab refugees in Arabic poetry and art", in: *MEJ* 17:5 (fall), 507-526.
- _____ (1967). "The History of the Syrian Protestant College", in: *MEJ* XXI, 1-15, 199-212.
- _____ (1969). *A modern history of Syria, including Lebanon and Palestine*. London. MacMillan.
- _____ (1981) und (1982). "English Education for Palestine Arabs", in: *Orient* 22:4, 598-613, und 23:1, 106-121.
- Tibi, Bassam (ed.) (1969). *Die arabische Linke*. Frankfurt/Main: Europäische Verlagsanstalt.
- _____ (1971). *Nationalismus in der Dritten Welt am arabischen Beispiel*. Frankfurt/Main: Europäische Verlagsanstalt.
- _____ (1988). "Structural and Ideological Change in the Arab Subsystem since the Six Day War", in: Yehuda Lukacs and Abdalla M. Battah (ed.): *The Arab-Israeli Conflict. Two Decades of Change*. Boulder, Col.: Westview Press, 147-163.
- Tilly, Charles (ed.) (1975). *Formation of National States in Western Europe, Studies in Political Development No. 8*. Princeton, N.J.: Princeton Univ. Press.
- _____ (1978). *From Mobilization to Revolution*, Reading, Mass.: Addison-Wesley Publ. House.

- _____ (1985). "War Making and State Making as Organized Crime", in: Peter B. Evans et alii (ed.): *Bringing the State Back In*. Cambridge: Cambridge Univ. Press, 169-191.
- _____ (1991). "The Teeth of Dragons", in: *Revision* 2, September 10.
- Touraine, Alain (1974). *Soziologie als Handlungswissenschaft*. Darmstadt: Luchterhand.
- _____ (1976). *Les sociétés dépendantes*. Paris: E. Duculot.
- Turki, Fawaz 1974 (1972). *The Disinherited. Journal of a Palestinian Exile*, New York: Monthly Review Press.
- _____ (1974a). "To He a Palestinian", in: *JPS* 11(Spring), 3-17.
- _____ (1975/76). "The Palestinian Estranged", in: *JPS* 17/18 (Fall), 82-96.
- _____ (1980). "The Passions of Exile: The Palestinian Congress of North America", in: *JPS* 36 (Summer), 17-43.
- Waines, David (1971). "The Failure of the Nationalist Resistance", in: Ibrahim Abu-Lughod (ed.): *Transformation of Palestine*, 207-235.
- Ward, Richard J. et alii (1977). *The Palestinian State. A Rational Approach*. Port Washington, N.Y.: Kennikat Press.
- Wehler, Hans-Ulrich 1977 (1973). *Geschichte als Historische Sozialwissenschaft*. Frankfurt/Main: Suhrkamp.
- Wiener Library Bulletin (1978). *Special Issue 'Palestine in the Mandatory Period'*, XXXI (new series 45/46).
- Wiesenthal, Simon (1947). *Großmufti-Großagent der Achse*. Salzburg: Ried-Verlag.
- Wild, Stephan (n.d.): "Ghassan Kanafani - ein palästinensisches Leben", in: *Dritte Welt Magazin*. Sonderheft Ghassan Kanafani, Bonn n.d. (probably 1976), 3-10 (text of Wild's inaugural lecture at the Univ. of Amsterdam).
- _____ (1976). "Der Palästinenser im literarischen Werk Ghassan Kanafanis", in: A. Dietrich (ed.): *Akten des VII. Internationalen Arabisten- und Islamwissenschaftlerkongresses*. Göttingen, 395-400.
- Wilson, Evan M. (1979). *Decision on Palestine. How the U.S. came to recognize Israel*. Stanford: Hoover Inst. Press.
- Wilson, Mary C. (1987). *King Abdullah, Britain and the making of Jordan*. Cambridge: Cambridge Univ. Press.
- Winder, R. Bayly (1956). *Translation of Zurayk, Constantine: The Meaning of the Disaster*. Beirut: Khayat's.
- Wright, Edmond (1951). "Abdallah's Jordan: 1947-1951", in: *MEJ* 5 (fall), 439-460.
- Ya'ari, Ehud (1970). *Strike Terror. The story of Fatah*. New York: Sabrah Books.
- _____ (1975). *Egypt and the Fedayeen 1953-56 (Hebrew)*, Givat Haviva. Centre for Arab and Afro-Asian Studies.

_____ (1984). see Schiff, Ze'ev.

_____ (1990). see Schiff, Ze'ev

_____ (1990a). "Power to the Insight", in: *Jerusalem Report* I, 10 (December 20), 38-39..

Yaniv, Avner (1987). *Dilemmas of Security*. New York : Oxford University Press

Zahlan, A. B. (1980). "The problematic of the Arab Brain Drain", in: *Arab Studies Quarterly* 2:4 (Fall), 318-331.

_____ and Rosemarie Zahlan (1977). "The Palestinian Future: Education and Manpower", in: *JPS* 24 (Summer), 103-112.

_____ and Edward Hagopian (1974). "Palestine Arab's Population. The Demography of the Palestinians", in: *JPS* 12 (Summer), 32-73.

Zubaida, Sami (1978). "Theories of Nationalism", in: Gary Littlejohn et alii (ed.): *Power and the State*. London: Croom Helm, 52-71.

Zureik, Elia (1985). "Reflections on Twentieth-Century Palestinian Class Structure". in: Khalil Nakhleh and Elia Zureik (ed.): *The sociology...*, 47-63.

_____ and Khalil Nakhleh (1980). *The sociology of the Palestinians*. see Nakhlehl, Khalil 1980.

Unpublished works:

Atta, M. Saleh (pseudonym for Saleh 'Abd al-Jawad) (1996). *Genèse et Evolution d'un mouvement de libération nationale: Le Fath*, Université de Paris X. Nanterre. Thèse de Doctorat.

Baumgarten, Helga (1979). *al-Fath 1959-1965*. MS Beirut.

_____ (1985). *Entstehung und Entwicklung der Palästinensischen Nationalbewegung 1948- 1967/1968. Untersuchungen zu Ideologie und Politik der Bewegung der Arabischen Nationalisten (BDAN) und der Bewegung zur Befreiung Palästinas (Fath)*. Freie Universität Berlin: Phil. Diss.

Ernst, Friedhelm (1982). *Sozialstruktur und Erziehungswesen im arabischen Sektor Palästinas (1919-1948)*. M.A.-Arbeit, Darmstadt.

Hiltermann, Joost R. (1988). *Before the Uprising: The Organization and Mobilization of Palestinian Workers and Women in the Israeli-Occupied West Bank and Gaza Strip*, Univ. of California at Santa Cruz: Ph. D.-Thesis. Published 1991 by Princeton Univ. Press.

Höpp, Gerhard (1985). *Vom Nationalismus zum Sozialismus. Zur Geschichte und Ideologie der Bewegung der Arabischen Nationalisten (BDAN) und ihrer Nachfolgeorganisationen, 1948-1975*. Berlin (DDR): Dissertation zur Promotion B. (Habil.-Schrift).

Al-Kubaisi, Basil R. (1971). *The Arab Nationalist Movement 1951-1971: From pressure group to socialist party*. Ph.D.-Thesis Washington: The American University.

Löfgren, Hans (1982). *Migration from the West Bank*. MS Stockholm.

Scudder Jr., Lewis R. (1971). *Arab Intellectuals and the implications of the defeat of 1967*. M.A.-Thesis: American Univ. of Beirut.

Tamari, Salim (1989). *Shopkeepers, Peddlers and Urban Resistance in the Palestinian Uprising. Paper delivered at the International Conference of Urbanism in Islam*. (October) The Institute of Oriental Culture, University of Tokyo.

منشورات مواطن

سلسلة دراسات وأبحاث

- من التحرير إلى الدولة: تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨-١٩٨٨
هليغى باومغرتن
بروز النخبة الفلسطينية المعولة (باللغة الانجليزية والعربية)
ساري حنفي وليندا طبر
الحدائثة المتقهقرة طه حسين وأدونيس
فيصل دراج
صنفد: في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧-١٩٤٨
مصطفى العباسي
بالتعاون مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية والمقدسية
الجبل ضد البحر
سليم تماري
من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية
عزمي بشارة
تشكل الدولة في فلسطين (باللغة الانجليزية)
تحرير: مشتاق خان، جورج جقمان، انج أمندسن
مستقبل النظام السياسي الفلسطيني والآفاق السياسية الممكنة
تحرير: وسام رفيدي
وقائع مؤتمر مؤسسة مواطن، ومعهد ابراهيم ابو لغد ٢٠٠٤
التربية الديمقراطية، تعلم وتعليم الديمقراطية من خلال الحالات
ماهر شلبي
حركة معلمي المدارس الحكومية في الضفة الغربية ١٩٦٧-٢٠٠٠
عمر عساف
المجتمع الفلسطيني في مواجهة الاحتلال: سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الاقصى
مجدي المالكي وآخرون
اسطورة التنمية في فلسطين الدعم السياسي والمراوغة المستديمة
خليل نخلة
جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨-١٩٤٨
فيصل حوراني
القطاع العام ضمن الاقتصاد الفلسطيني
نضال صبري
هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز
ساري حنفي
تكوين النخبة الفلسطينية
جميل هلال

الحركة الطلابية الفلسطينية الممارسة والفاعلية

عماد غياظة

دولة الدين، دولة الدنيا: حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية

رجا بهلول

النساء الفلسطينيات والانتخابات، دراسة تحليلية

نادر عزت سعيد

المرأة وأسس الديمقراطية

رجا بهلول

النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية

جميل هلال

ما بعد اوسلو: حقائق جديدة (باللغة الانجليزية)

تحرير: جورج جقمان

ما بعد الازمة: التغييرات البنوية في الحياة السياسية الفلسطينية، وآفاق العمل

وقائع مؤتمر مواطن ٩٨

التحرر، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في العالم الثالث

وقائع مؤتمر مواطن ٩٧

اشكالية تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي

وقائع مؤتمر مواطن ٩٦

العطب والدلالة في الثقافة والانسداد الديمقراطي

محمد حافظ يعقوب

رجال الاعمال الفلسطينيون في الشتات والكيان الفلسطيني

ساري حنفي

مساهمة في نقد المجتمع المدني

عزمي بشارة

حول الخيار الديمقراطي

دراسات نقدية

سلسلة مداخلات واوراق نقدية

التنظيمات والأحزاب السياسية الفلسطينية

جميل هلال

الراهب الكوري .. سَفَرٌ وأشياء أخرى

زكريا محمد

واقع التعليم الجامعي الفلسطيني: رؤية نقدية

ناجح شاهين

طروحات عن النهضة المعاقة

عزمي بشارة

ديك المنارة

زكريا محمد

لئلا يفقد المعنى (مقالات من سنة الانتفاضة الاولى)

عزمي بشارة

في قضايا الثقافة الفلسطينية

زكريا محمد

ما بعد الإجتياح: في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية

عزمي بشارة

المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين

وليد سالم

الحركة الطلابية الفلسطينية ومهمات المرحلة تجارب وآراء

تحرير مجدي المالك

الحركة النسائية الفلسطينية اشكاليات التحول الديمقراطي واستراتيجيات مستقبلية

وقائع مؤتمر مواطن ٩٩

اليسار الفلسطيني: هزيمة الديمقراطية في فلسطين

علي جرادات

الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى

عزمي بشارة

أزمة الحزب السياسي الفلسطيني

وقائع مؤتمر مواطن ٩٥

المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في فلسطين

زياد ابو عمرو وآخرون

الديمقراطية الفلسطينية

موسى بديري وآخرون

المؤسسات الوطنية، الانتخابات والسلطة

اسامة حلبى وآخرون

الصحافة الفلسطينية بين الحاضر والمستقبل

ربى الحصري وآخرون

الدستور الذي نريد

وليم نصار

سلسلة اوراق بحثية

دراسات اعلامية ٢

تحرير: سميح شبيب

دراسات اعلامية

تحرير: سميح شبيب

الثقافة السياسية الفلسطينية

باسم الزبيدي

العيش بكرامة في ظل الاقتصاد العالمي

ملتون فيسك

الصحافة الفلسطينية المقرؤة في الشتات ١٩٦٥ - ١٩٩٤

سميح شبيب

التحول المدني وبذور الانتماء للدولة في المجتمع العربي والاسلامي

خليل عثامنة

المساواة في التعليم اللامنهجي للطلبة والطالبات في فلسطين

خول الشخشير

التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الاسيرة

خالد الهندي

التحولات الديمقراطية في الاردن

طالب عوض

النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين

محمد خالد الازعر

البنية القانونية والتحول الديمقراطي في فلسطين

علي الجرباوي

سلسلة التجربة الفلسطينية

مغدوشة: قصة الحرب على المخيمات في لبنان

ممدوح نوفل

يوميات المقاومة في مخيم جنين

وليد دقة

أحلام بالحرية

عائشة عودة

الجري الى الهزيمة

فيصل حوراني

أوراق شاهد حرب

زهير الجزائري

البحث عن الدولة

ممدوح نوفل

سلسلة مبادئ الديمقراطية

ما هي المواطنة؟

المحاسبة والمساءلة

فصل السلطات

الحريات المدنية

سيادة القانون

التعددية والتسامح

مبدأ الانتخابات وتطبيقاته

الثقافة السياسية

حرية التعبير

العمل النقابي

عملية التشريع

الاعلام والديمقراطية

سلسلة ركائز الديمقراطية

التربية والديمقراطية

رجا بهلول

حالات الطوارئ و ضمانات حقوق الانسان

رزق شقير

الدولة والديمقراطية

جميل هلال

الديمقراطية وحقوق المرأة بين النظرية والتطبيق

منار شوربجي

سيادة القانون

اسامة حلبي

حقوق الانسان السياسية والممارسة الديمقراطية

فاتح عزام

الديمقراطية والعدالة الاجتماعية

حليم بركات

سلسلة تقارير دورية

نحو نظام انتخابي لدولة فلسطين الديمقراطية

جميل هلال، عزمي الشعبي وآخرون

الاعمال التشريعية الصادرة عن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية

سناء عبيدات

دراسة تحليلية حول أثر النظام الانتخابي على تركيبة المجلس التشريعي القادم

احمد مجدلاني، طالب عوض

